سلسلة "كتب فلسطينية" – ٤١

النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨

الدكتورة خيرية قاسمية

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
شارع كولومباني المتفرع من السادات
بيروت
ايار (مايو) ١٩٧٣

Dr. Khairieh Kasmieh,
Zionist Activities in the Arab World and its Repercussions (1908 - 1918),
Palestine Books No. 41,
Palestine Liberation Organization,
Research Center,
P.O.Box 1691,
Beirut — Lebanon,
May 1973

محتويات الكتاب

	الصفحة
مقدمة ، للدكتور انيس صايغ	V
مدخل	١
الفصل الاول : فلسطين والنشاط الصهيوني قبل العام ١٩٠٨	٩
الفصل الثاني : نظام الحكم الجديد في تركيه ١٩٠٨ – ١٩١١ تجدد النشاط الصهيوني ورد الفعل العربي	٤١
الفصل الثالث : تغير في العلاقات (١٩١١ – ١٩١٢) بين مناقشة المبعوثان والحرب البلقانية	٨٩
الفصل الرابع : امل صهيوني جديد ... الحرب البلقانية ومحاولات تفاهم عربي صهيوني ١٩١٣	١٣١
الفصل الخامس : بين الحركة العربية والصهيونية...لقاء ام صدام ؟ ١٩١٤	١٩١
الفصل السادس : نحو تصريح بلفور : الحرب العالمية الاولى وتطور المسألة الصهيونية في الشرق	٢٦٣
الفصل السابع : الشرق العربي على ضوء سياسة تصريح بلفور	٣٣١
وثائق	٣٩٥
مصادر البحث	٤١٥

مُقدِّمَة

هناك مجموعة من الحقائق ، المتعلقة بالمسألة الفلسطينية ، التي نعرفها ونتوارث الاقتناع بصحتها جيلا بعد جيل، دون ان نعنى كثيرا بجمع المعلومات الوافية والاثباتات الاكيدة حول صحتها ، ودون ان نملك ما يكفي من الادلة العلمية التي تدحض اي تشكيك او اتهام موجه ضدها .

ويمكن تلخيص هذه الحقائق ، مما يتعلق بفترة ١٩٠٨ – ١٩١٨ الخطيرة ، باربع بديهيات :

اولا ، تركز الاطماع الصهيونية على ارض فلسطين ، بحيث اصبح الاستيلاء على هذه الارض واقامة كيان عنصري فيها هو الهدف الابعد الذي يعمل له آلاف الصهيونيين في شتى انحاء العالم ، مستخدمين في ذلك كل الوسائل من سياسية ودبلوماسية وتخطيطية وعسكرية وثقافية ونفسية ودعاوية . مما ادى الى تطوير مساعيهم والى تكثيف محاولاتهم بحيث اصبح التآمر الصهيوني على فلسطين قضية دولية يشعر بها ويتعرض لها آلاف السياسيين والمسؤولين وملايين البشر في العالم كله . ولم تعد المؤامرات الصهيونية في العقد المذكور من هذا القرن مجرد امان واحلام بل اصبحت سياسة مرسومة تتولى تنفيذها شبكة محكمة من الاجراءات والاتصالات والمساعي الحثيثة .

ثانيا ، على الرغم من ضعف الوعي القومي والسياسي والثقافي في المشرق العربي، بما فيه فلسطين ، في تلك الفترة ، بعد خضوع المنطقة مدة اربعة قرون كاملة للحكم المستبد العثماني الذي قام على التخلف الحضاري والثقافي والاجتماعي والسياسي والذي منع تطوير المشرق العربي وحرم سكانه من التنور ، على الرغم من ذلك فقد وعى شعب فلسطين ، والى حد كبير نسبيا يسترعي الانتباه والاعجاب ، الخطر الصهيوني ، العلني والدفين ، وادرك الشعب خطورة الاجراءات الصهيونية واتخذ اجراءات فعالة معاكسة لحماية ارضه ، ولو بشكل متقطع ونتيجة مبادرات فردية في كثير من الحالات . وامتد هذا الوعي في عدد من الاحيان الى مناطق اخرى من المشرق العربي ، وخاصة في البلاد السورية ، الى درجة ان المرء يستطيع ان يقول ان موجةمن الحذر من الصهيونية والمعارضة لها قد عمت المشرق العربي قبل نهاية الحرب العالمية الاولى وقبل صدور وعد بلفور اثناء تلك الحرب .

ثالثا ، ان الصهيونية ـ التي كانت منذ ظهورها في الكتابات والمحاضرات كأفكار واحلام والى اليوم حينما اصبحت اساسا لدولة مغتصبة تحظى بربع قرن من العمر، كانت ولا تزال جزءا لا يتجزأ عن الاستعمار ـ انما ركزت هذا الارتباط العضوي على الحمى الاستعمارية التي تأججت في سياسات دول اوروبه واميركه في النصف الاول من القرن العشرين (وخاصة تجاه المشرق العربي منذ القرن التاسع عشر) بحيث قدم الصهيونيون حركتهم الى ارباب الاستعمار كأداة ينفذون بواسطتها اطماعهم في المنطقة، على الرغم من الاختلاف في المصالح الاقليمية بين الدول الاستعمارية الطامعة ببلادنا .

رابعا ، ان الكذبة الكبرى التي استعملها الصهيونيون كلهم ، من ايام هرتزل (بل من قبل هرتزل) الى بن جوريون وجولدا مئير وغيرهما من القادة المعاصرين للحركة الصهيونية ، بان انشاء دولة يهودية في فلسطين انما هو من صالح المشرق وان اهل فلسطين سيستفيدون من هجرة يهود اوروبه واميركه الى بلادهم ، وانه بالتالي بالامكان التوفيق بين القومية العربية والمصالح العربية وبين الصهيونية ، تلك الكذبة الكبرى التي تفضحها الاحداث يوما بعد آخر منذ هجرة اول يهودي اوروبي الى فلسطين انما اتخذت اشكالا جريئة وجرت محاولات كثيرة بشأنها في الربع الاول من القرن الحالي ، من الجهة الواحدة ، ولم تنطل على الفلسطينيين ابدا بل فضحها الفلسطينيون وردوها وافشلوا جميع المحاولات الرامية الى خدع الفلاحين والمزارعين واستمالة صغار الملاك وجعلهم يصدقون انهم ان باعوا اراضيهم الى المستوطنين الاوروبيين وان اشتروا منهم حاجاتهم فانهم هم المستفيدون ماديا .

جميع هذه الحقائق ، التي تسلم بها وتتكلم عنها غالبية المعنيين بالقضية الفلسطينية من المؤمنين بالحق العربي في فلسطين تحتاج الى الاسناد العلمي حتى يجابهون بها الدعاية الصهيونية التي تتقن تبديل الحقائق وتغيير الوقائع وتغليف الدسائس والافتراء بالتزوير والتلفيق .

وكتاب الدكتورة خيرية قاسمية يقوم بهذه المهمة خير قيام . اذ انه يدعم الحقائق المذكورة بالاثباتات الصحيحة التي لا يمكن الطعن بها .

لقد اختارت الدكتورة خيرية فترة هي بالفعل من اخطر فترات تاريخ تطور المسألة الفلسطينية ، ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ . فعلى الصعيد الفلسطيني العربي ، خرج العرب في السنوات المذكورة من الاستعمار العثماني ليقعوا فريسة الاستعمار الاوروبي الاكثر شراسة وتصميما وحقدا . وعلى الصعيد العالمي الدولي ، تبدلت في الحرب العالمية الاولى ، او بسببها او في اعقابها ، الخارطة السياسية للعالم ، وخاصة في آسيه وافريقيه واوروبه ، تبدلات اساسية تركت آثارها الكثيرة حتى هذه الساعة (بزوال امبراطوريات ، وبانحلال دول ، وبقيام دول اخرى ، وبتبلور قوميات جديدة). في هذا الاطار التاريخي درست المؤلفة تطور الاطماع الصهيونية والرد الفلسطيني عليها لمدة عشر سنوات .

واذا كنت اقول ان الدكتورة خيرية قاسمية قد قدمت الاثباتات الصحيحة ،

المجهول معظمها من قبل ، على حقائق قد تكون معروفة للكثيرين من الناس ، فلأنها قد توصلت الى ، واستعملت ، اكبر مجموعة من مصادر المعلومات التي يمكن للباحث ان يصل اليها ، وهي مصادر وثائقية رئيسية موزعة على عشرات الاماكن . وهذا هو الفضل الاكبر والاهم للكتاب الذي اتولى تقديمه للقارىء . انه اول كتاب عربي يكشف عن هذا القدر الكبير من الوثائق الرئيسية المتزنة ويدرسها ويحللها ويستفيد منها في تاريخ الصراع المذكور .

لقد سافرت المؤلفة الى لندن واكبت على درس الوثائق الرسمية البريطانية (والى حد اقل الوثائق الرسمية الاميركية والتركية) في عدد من دور الوثائق ومكتبات الجامعات البريطانية . وطالعت في لندن ، وفي بيروت وعمان ودمشق والقاهرة ، العشرات من الصحف المهمة التي كانت تصدر في تلك الفترة ، من فلسطينية وسورية ولبنانية ومصرية وبريطانية وصهيونية. وتنقلت بين عدد لا بأس به من العواصم العربية لتقابل العديدين من الشخصيات السياسية ممن لعبوا ادوارا مهمة في بلورة الامور قبل نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولتسجل ملاحظاتهم ولتستمع الى اجوبتهم على استفساراتها . كما درست مذكرات العشرات من السياسيين العرب الذين دوّنوا تجاربهم ومعلوماتهم ، مما هو منشور ومما هو غير منشور . والى جانب ذلك كله حصلت على مجموعة جيدة من الوثائق والاوراق والمذكرات الصهيونية ، ومعظمها من غير المنشور ، ودرستها واستفادت منها في تكذيب الحجج والمزاعم الصهيونية وما كانت المؤلفة لتنجح في ذلك لولا حيوية ونشاط زائدين ولولا حس علمي مرهف يجعلها لا ترضى عما تكتب الا بعد ان تكون قد غطت جميع المصادر ، البعيد منها مثل القريب . وقد دعم ذلك دأب ومثابرة ونفس طويل ، من جهة ، وهدوء وتجدد ودقة من جهة اخرى .

ان مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي يحاول ان يؤرخ للمسألة الفلسطينية في تطوراتها وللحق العربي في فلسطين ، بجمع الوثائق وتسهيل استعمالها على الباحثين وبدعوة الدارسين الى معالجة النواحي الصعبة غير المطروقة من قبل وبنشر دراساتهم ، انما ينشر هذا الكتاب باعتزاز وبثقة ، وهما الاعتزاز والثقة نفساهما اللذان اشعر بهما شخصيا ، وقد رافقت جهود المؤلفة في جمع المعلومات واعداد المسودات منذ ان بدأت الدراسة الى ان تفضل الاستاذ المشرف على الرسالة ، الزميل الكبير الدكتور محمد انيس ، بدعوتي للاشراك في مناقشة المؤلفة قبل منحها الدكتوراه من الدرجة الممتازة ، وباعتزاز وبثقة ايضا اقول ان هذا الكتاب هو من افضل ما نشر حتى الآن في تاريخ الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني في فترة محددة من ثلاثة ارباع القرن التي مضت على نشوء هذا الصراع الخطير .

الدكتور انيس صايغ
مدير عام مركز الابحاث

مدخل

تتناول الفترة ، موضوع البحث ، السنوات العشر الاخيرة من الحكم العثماني في آسيه العربية (١٩٠٨ – ١٩١٨) ، التي بدأت بمحاولة لتجديد الامبراطورية وانتهت بتقويضها . وكانت اجزاء كثيرة من الدولة العثمانية قد اصبحت مطمعا للنفوذ الاوروبي منذ سنوات عديدة سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى . وبدت الحركة الصهيونية وجها آخر من الغزو الاوروبي للشرق ، استغلت منذ نهاية القرن التاسع عشر ظروفا دولية مواتية كانت مصلحتها زرع استيطان يهودي في فلسطين . واستندت الحركة الصهيونية في بدايتها الى افكار نمت بين يهود شرق اوروبه ، الا انها طورت على يد هرتزل لتعمل من خلال المنظمة الصهيونية واجهزتها المختلفة على تحويل هذا الجزء من الوطن العربي الى وطن قومي يهودي ، حسب المخطط الذي رسم في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ .

ومع ان بداية العمل الصهيوني في الشرق كانت اسبق من عام ١٩٠٨ الا ان توفر ظرفين جديدين في ذلك العام قد اعطى الحركة تطورا آخر :

الظرف الاول : تغير النظام السياسي في تركيه ١٩٠٨ الذي قدم للحركة الصهيونية آمالا جديدة ، اذ كانت الحركة قبل زوال نظام عبد الحميد قد يئست من تحقيق برنامجها ، نتيجة لصعوبات سياسية بالغة ، حتى لقد حول هرتزل انظاره عن فلسطين ، وانشقت فئة كبيرة عن الحركة الصهيونية لتبدأ عملية تجوال في العالم لايجاد مكان يشكل فيه اليهود كيانا سياسيا خاصا بهم . ولكن وصول الاتحاديين للسلطة ، ومساهمة فئات من اليهود العثمانيين في احداث الانقلاب السياسي ، ثم حاجة الدولة للاموال اليهودية ، كل ذلك دفع العمل الصهيوني في فلسطين خطوات الى الامام . ورغم ان الخط الصهيوني الجديد بدأ يتخذ اتجاها جديدا من الدعاية تحت ستار الولاء للعثمانية ، والعمل لمنفعة الدولة ونفي الهدف السياسي ، لكن هذا لم يمنع من ان يظل الهدف الاصلي لمشروع هرتزل بانشاء الوطن القومي كامنا في خلفية اذهان الصهيونيين . واستمر البحث عن ضمانات دولية ، عن طريق كسب الدول جميعها كعامل ضغط على تركيه بهدف ازالة العقبات التي تعرقل – ولا تمنع – العمل الصهيوني ، ثم الحصول على امتيازات وتنازلات جديدة . ومع كل ما ابدته الحكومة العثمانية من عطف فقد ظل موقفها حذرا ، اذ كانت الصهيونية تمثل مفتاح التدخل الاجنبي والاطماع السياسية ، ولم

يقم الحكم الجديد الا بحجة انقاذ الدولة من هذه الاطماع . عامل آخر كان يزيد من ترددها هو العداء العربي للتغلغل الصهيوني .

الظرف الثاني : الذي اعطى المسألة الصهيونية في الشرق اتجاها آخر بعد ١٩٠٨ هو التطور الجديد الذي مرت به الحركة العربية الحديثة :

فقد كان على الصهيونية ، منذ نفذت الى الشرق ، ان تواجه معضلة اخرى لم تكن في حسبانها هي اهل البلاد انفسهم . ومنذ الايام الاولى للاستيطان اليهودي ، كان هناك تخوف من ان يحل القادمون الجدد محل السكان الاصليين . وتزايد هذا الشعور بالتخوف ، اذ كان لا يمكن لعملية التغلغل الاستيطاني ان تسير دون ان تثير ردود فعل للظواهر الجديدة التي حملها المهاجرون الجدد : شراء الاراضي ، طرد الاهالي ، انشاء المستعمرات ، اقامة المدارس ، احياء اللغة العبرية ، المحاكم ، الطوابع البريدية وكل مظاهر الحكم الذاتي . ومع ان ردود الفعل كانت اولية وغير سياسية ، الا انها مع السنين اتخذت شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني ، ولم يعد ينظر الى الصهيونية على انها تهدد حياة السكان الاقتصادية بالخطر فحسب، بل انها تهدف الى فصل جزء مهم من الامبراطورية وتحويله الى دولة ، وتوقع نجيب عزوري منذ عام ١٩٠٥ وقوع صراع محتمل بين الحركتين في الشرق، تكتسب لاحداهما الغلبة في نهايته.

وجاءت ثورة ١٩٠٨ لتزيد في حدة مقاومة العرب للصهيونية لعدة اسباب: منها تساهل الحكم الجديد مع الصهيونيين ، وظهور الصحافة العربية في الاجزاء العربية من آسيه وخاصة في فلسطين ، حيث حملت لواء المعارضة للصهيونية ونقلته خارج حدود فلسطين ، ثم عودة النظام البرلماني ، الذي اتاح المجال لعرض القضية على مستوى رسمي واسع ، واخيرا سعي الحركة العربية للحصول على حقوق العرب القومية داخل اطار الامبراطورية العثمانية . وبدت الصهيونية التي تخطط لاغتصاب ارض عربية تهديدا خطيرا للفكرة العربية الناشئة. وكان الرأي العربي يتابع تطور الحركة الصهيونية بالاطلاع على منشوراتها وكتبها وصحفها ، وان كان هذا الاطلاع قد اقتصر على فئة المثقفين الا انه لا يمكن انكار اهمية الرأي العام ، اذ يكفي ان قاعات المحاكم في حيفا ويافا ، التي حاكمت مرارا اصحاب الصحف المعارضة للصهيونية، كانت تغص بجمهور الحاضرين ، وكانت تعقب كل تبرئة شبه تظاهرة وطنية ، وحتى لو لم يكن مرشحو المبعوثان في متصرفية القدس صادقين في بياناتهم الانتخابية ، فان تأكيدهم على مقاومة الصهيونية كجزء من برنامجهم كان يدل على ان هناك رأيا عاما يجب ان يأخذوه بعين الاعتبار .

وحاول الصهيونيون تعليل هذا العداء بانه امر طبيعي ناجم عن الصراع بين عالمين مختلفين : احدهما متخلف والآخر متطور، وشبهوا هذا الموقف المضاد بقوى الصحراء التي تقف كالحارسة ضد اي محاولات استيطان جديد ، عزوه احيانا الى ظروف اقتصادية اجتماعية واحيانا اخرى الى عداء مسيحي متأثر بفكرة « المعاداة للسامية »، ولكن مهما حاولوا التقليل من اهميته فقد كان يقلقهم ، وبذلوا جهودا لابطال مفعوله : تجلت في عدد الكتّاب اليهود الذين جندوهم للدفاع عن الصهيونية ، والتأكيد على

منافعها المادية ، او في شراء عدد من الصحف العربية ، او في مساعيهم المتواصلة لدى الدولة العثمانية كي تتخذ من الصهيونية سلاحا مضادا للفكرة القومية العربية . وكان آخر محاولاتهم مساعيهم الدبلوماسية من اجل التقارب : بحجة المنفعة المتبادلة وتقارب الشعبين والعمل معا لاحياء الشرق ، وما يمكن ان تقدمه الصهيونية من منافع مادية للبلاد العربية كلها ـ وليس فلسطين وحدها ـ وقد استغل الصهيونيون هذا الميل الذي بدأ في اوساط بعض الزعماء العرب نحو التفاهم ، اذ رغم ان وجهة النظر العربية كانت متفقة على الخطر الصهيوني، الا انها اختلفت في تقدير مدى هذا الخطر، وقصرت بعض الفئات العربية ـ وخاصة خارج فلسطين ـ هذا الخطر على الجانب المادي ، وادعت انه يمكن اضعافه والتقليل منه بأخذ ضمانات معينة . كما وجدت ان الفشل المتواصل في اسلوب المواجهة للخطر الصهيوني يمكن تلافيه بمحاولة تقييد الحركة الصهيونية بشروط معينة تحد من امتدادها ، وخاصة انه كان على هذه الفئات ان تصارع في الوقت نفسه الخطر التركي المركزي الشديد . لكن محاولات عقد مؤتمر مشترك انتهت الى الفشل في وقت كان الوعي العربي قد ادرك تماما مدى الخطر المهدد في المستقبل ، وبدأت ترسم خطوط عامة لمواجهة هذا الخطر بأسلوب جامع يبدأ بانشاء الجمعيات وينتهي بالعمل المسلح .

ولكن ... حتى لو عقد المؤتمر المشترك ، ولم تفوت القيادات الصهيونية فرصة اللقاء فهل كان بالامكان تغيير مجرى الاحداث التالية ؟ الواقع ان العلاقات العربية الصهيونية قد ازدادت حدة مع نشوب الحرب العالمية الاولى (آب ، اغسطس ١٩١٤). فقد شغل الشرق العربي بتطورات الحرب ، وفقد كثيرا من زعمائه السياسيين والمفكرين نتيجة للاضطهاد التركي ، ثم شغلته احداث الثورة العربية ، وعجز عن ملاحقة المسألة الصهيونية التي اصبح مجال نشاطها الدبلوماسية الخارجية بعد ان كاد يتجمد في فلسطين ـ وان لم يتوقف ـ نتيجة لظروف الحرب . ومع قرب انتهاء الحرب حدث تطور جديد للمسألة: اذ وصلت الصهيونية، مستغلة الظروف السياسية والعسكرية ، والانسجام بين مصالحها والمصالح الامبراطورية البريطانية ، الى غاية مساعيها بتصريح بلفور . واجبرت الظروف العرب ان يعقدوا تحالفا مع نفس الدولة صاحبة التصريح ، ووقعوا في مأزق ، يقع فيه كل ضعيف يعتمد على دولة عظمى لتحقيق مآربه ، فهو بحاجة الى قوة تلك الدولة ولا يستطيع ان يحملها على تفضيل مصالحه على مصالحها ، فبريطانيه كانت قد التزمت بارتباطات اخرى تتعارض مع ارتباطاتها مع القوميين العرب . وان كان بعضهم قد ابدى استعدادا اذا اقتضى الامر الى بعض التنازلات ، الا انه كان لا يمكنهم ان يذهبوا ابعد من ذلك ، وهو قبول ما التزمت به حليفتهم من انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، الامر الذي كان من شأنه ـ حتى لو حاولت بريطانيه انكاره ـ ان يؤدي في آخر الامر ، الى انشاء دولة يهودية لا يكون فيها خيار لسكان فلسطين العرب سوى ان يكونوا اقلية او يهجروا ديارهم (١) .

ويتوقف البحث مع انتهاء الحرب العالمية الاولى واعلان الهدنة ، حين اصبح

١ – Hourani, A., **Arabic Thought in the Liberal Age**, London, 1962

تقرير مستقبل فلسطين جزءا من المسائل المعروضة على بساط البحث امام مؤتمر السلم في باريس .

لقد كانت السنوات العشر موضوع البحث مليئة بالاحداث . ومع ان الهدف الاصلي للبحث كان دراسة صدى النشاط الصهيوني في فلسطين بين عامي (١٩٠٨ – ١٩١٨) ، الا انه كان لا يمكن دراسة هذا الموضوع وحده دون القاء الضوء على جوانب اخرى ، لها علاقة مباشرة ، او غير مباشرة به ، فكان لا بد من الاشارة الى النشاطات الصهيونية العملية في فلسطين وكذلك الى الخط الصهيوني السياسي خارج فلسطين، ثم دراسة صدى هذا النشاط ، ليس في فلسطين وحدها بل خارجها ، وخاصةموقف الفئات المثقفة وقيادات الفكرة القوميةالعربية تجاه الحركة الصهيونية، كما انه لا يمكن فهم هذا الصدى دون دراسة موقف السياسة العثمانية الرسمية وسلطاتها المحلية ازاء النشاطالصهيوني العمليوالسياسي، وكان لا بد من التعرض الىالظروفالدولية المتشابكة التي كانت تحيط بالمنطقة قبل الحرب ، والتي زادتتعقيدا بنشوب الحرب، حين اصبحت فلسطين موضع الاهتمام البريطاني وحده .

والمؤلفات العربية والاجنبية التي تبحث في القضية الفلسطينية وتطور المسألة الصهيونية تمر بهذه الفترة مرورا سريعا . وغالبا ما كان الحكم عليها مبنيا على النتائج التي توضحت فيما بعد . ولم تجر محاولة لدراسة وثائقية لهذه الفترة ، الا تلك التي قام بها نيفيل ماندل في بحثه المقدم لنيل درجة الدكتوراه في مركز الشرق الاوسط في كلية سنت انتوني في اوكسفورد عام ١٩٦٥ بعنوان Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine (٢) .

حاول ماندل ان يكون بحثه موضوعيا وان يترك الحقائق تتكلم عن نفسها دون ان يغوص في التحليل او اعطاء الاحكام – كما جاء في مقدمته – الا ان اعتماده الاساسيعلى الارشيف الصهيوني قد اعطى الاحداث لونا خاصا . يضاف الى ذلك ان بحث ماندل يتوقف مع نشوب الحرب العالمية الاولى .

وهناك بحث آخر تعرض لدراسة هذه الفترة (ولكن من زاوية اخرى) قدمه في الجامعة العبرية يعقوب روي ونشرت خلاصة له في Middle Eastern Studies, Vol. 4. No. 3, April 1968 بعنوان The Zionist Attitude to the Arabs 1908 - 1914 وهو يهتم بالموقف الرسمي للمنظمة الصهيونية وفروعها تجاه الحركة العربية اكثر من اهتمامه بردود الفعل العربية .

---

٢ – والدراسة مبنية على مصادر اولية عديدة كان ابرزها وثائق الارشيف الصهيوني في القدس (Central Zionist and Israel State Archives) والذي يحوي مادة غنية جدا عن احداثتلك الفترة في المراسلات التي كانت تدور بين المراكز الصهيونية (كولون ، برلين ، استامبول ، يافا) . وقد اتاح لي الاستاذ البرت حوراني المشرف على الرسالة فرصة الاطلاع عليها في مكتبة الكلية . ولم ينشر ماندل رسالته الى الآن مع انه قد نشر خلاصة لها في مقالين :
الاول : بعنوان الرسالة نفسها في
St. Antony's Papers No. 17, **Middle Eastern Affairs**, No. 4. Oxford, 1965
والثاني : بعنوان «Attempts at an Arab - Zionist Entente : 1913 - 1914»
Middle Eastern Studies, Vol. 1 No. 3, April 1965.

اما عن فترة الحرب العالمية الاولى فمعظم الدراسات التي تتناول هذه الفترة تركز اما على تطور النشاط الصهيوني في خارج فلسطين ، او على الظروف التي رافقت ونتجت عن الثورة العربية (٣) . ولم تجر الى الآن دراسة قائمة على الوثائق البريطانية التي كشفت مؤخرا وخاصة اوراق المكتبالعربي فيالقاهرة Arab Bureau Papers (٤) .

حاولت في بحثي على الرغم من عدم توفر المادة الوثائقية العربية الكافية ، العودة الى المصادر الاولية التي امكنني الاطلاع عليها . وكان اولها الصحفوالدوريات العربية التي كانت تصدر في تلك الفترة في فلسطين وخارجها ، ومع ان بعض المجموعات لم تكن كاملة الا انها اعطت مادة حية لما كان يجري . وكان في مقدمة تلك الصحف (الكرمل) لصاحبها نجيب نصار في حيفا وهو اول من حمل لواء المعارضة للصهيونية في فلسطين دون توقف خلال الفترة السابقة للحرب (١٩٠٩ – ١٩١٤) ثم جريدة (فلسطين) للاخوين العيسى في يافا ، ورغم موقفها المناوىء للصهيونية الا ان لهجتها كانت اقل حدة ، وان كانت في الاشهر السابقة للحرب قد شددت حملتها وتفوقت على الكرمل . وللاسف فان مجموعتي الكرمل وفلسطين لم تتوفرا الا بين (١٩١٢ – ١٩١٤) في دار الكتب الوطنية بالقاهرة ، ووجدت بضعة اعداد متفرقة في دار الكتب الوطنية في بيروت ، الا انه امكن تغطية هذا النقص بالعودة الى جريدة (المقتبس) الدمشقية لصاحبها محمد كرد علي، ومجموعتها شبه كاملة ١٩٠٨ – ١٩١٤ فيدار الكتببالقاهرة ولم تتوقف الا لفترة بعد ملاحقة صاحبها ، واستبدلت اسمها عدة اشهر عام ١٩١٤ باسم القبس وكانت تنقل اخبار فلسطين عن الكرمل ، وتخصص صفحات كثيرة لبحث المسألة الصهيونية . كما ان كرد علي اصدر كذلك مجلة عرفت بنفس الاسم (المقتبس) بين القاهرة ودمشق . واهتمت الاهرام والمقطم بالقضية الصهيونية في تلك الفترة وان كان لهما موقف تجاه الصهيونية يختلف في كثير من الاحيان عن الموقف العربي العام ، خاصة المقطم التي كانت موضع شبهة . كما ان (المؤيد) كانت تتعرض احيانا لذكر المسألة في اشارات عابرة . وفي عام ١٩١٤ ظهرت فيالقاهرة صحيفة (الاقدام) يحررها فلسطيني من حزب اللامركزية (محمد الشنطي) خصصت قدرا كبيرا من اهتمامها لبحث المسألة ، وقد اشارت مجلة (المنار) لصاحبها رشيد رضا (من اقطاب اللامركزية) مرارا الى المسألة الصهيونية . وامكنني الاطلاع على اعداد متفرقة من صحف بيروت : المفيد ، الرأي العام ، الاصلاح ، الاتحاد العثماني ، فتى العرب (دار الكتب في بيروت والقاهرة) (٥) كما وجدت بعض اعداد من الصحف العربية التي كانت تمولها الصهيونية (النفير العثماني في حيفا ، النصير في بيروت) .

---

٣ – انظر مثلا كتاب : Kedourie, E., **England & the Middle East, the Destruction of the Ottoman Empire 1914 - 1921**, London, 1956.

٤ – اسس المكتب العربي في شباط (فبراير) ١٩١٦ وكان يتبع دائرة الاستخبارات العسكرية في مصر، واوكلت مهمته الى جلبرت كلايتون وكان يضم عددا من الخبراء في شؤون الشرق من رحالة وعلماء آثار ومستشرقين .

٥ – مجموعة فيليب دي طرازي الصحفية ، وهي تضم الاعداد الاولى من معظم الصحف العربية مع رسائل شخصية من اصحابها او رؤساء تحريرها موجهة لفيليب دي طرازي كي يضمها الى كتابه : **تاريخ الصحافة العربية** ، بيروت ١٩١٣ – ١٩١٤ (٣ اجزاء) .

وقد استفدت من مادة وثائقية اخرى امكنني الحصول عليها بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب ، وكان امين سر حزب اللامركزية . وهي مراسلات عربية كانت تدور بين حزب اللامركزية وبين نسيم ملول وهو يهودي تونسي عاش في مصر ولعب دورا بارزا في صحيفة المقطم للدفاع عن المسألة الصهيونية ، والدعوة للنهضة اليهودية في مصر ، ثم عمل مراسلا للمقطم في يافا ، واصبح عضوا نشطا في حزب اللامركزية تربطه صداقة بكثير من اعضائه ، ولكن جانبا خفيا من نشاطه غاب عن الاوساط العربية في تلك الفترة ـ وهو ما تكشف عنه المصادر الصهيونية ـ فقد كان مكلفا من قبل مكتب فلسطين الصهيوني برئاسة المركز الصحفي الملحق بهذا المكتب ، لملاحقة ما تكتبه الصحف العربية عن المسألة الصهيونية وترجمته الى العبرية وكتابة تقارير عنه ، ثم الرد عليه في الصحف العربية ، وفي المجموعة نفسها وجدت بعض المراسلات حول المساعي التي كانت تبذل للاتفاق العربي الصهيوني (١٩١٣ ـ ١٩١٤) اهمها رسائل اسعد داغر مراسل المقطم في استانبول ، ومحمد الشنطي رئيس تحرير (الاقدام) . وهذه المراسلات كان لا يمكن ان تعطي صورة كاملة عما كان يدور من مساع دون ان تكمل بما نشرته المصادر العبرية عن خفايا هذه المسألة الخطيرة قبل الحرب .

ولم تزودني المقابلات الشخصية التي اجريتها مع كل من ارملة نجيب نصار وخالد شكري العسلي وعزة دروزة واحسان الجابري بجديد ، وقد تعذر علي الاطلاع على الوثائق العثمانية ، الا انه اتيحت لي فرصة الاطلاع على المادة الوثائقية الغنية في لندن دار الوثائق العامة Public Record Office ، وتتضمن المراسلات والتقارير التي تبودلت بين الخارجية البريطانية والهيئات القنصلية في الشرق قبل الحرب ، حول تلك المسألة التي كانت تحظى باهتمام كبير قبل الحرب نظرا لاهمية موقع فلسطين بجوار مصر ، ولان الاستيطان اليهودي كان يشكل لعدة سنوات جزءا من السياسة البريطانية في الشرق . ومع نشوب الحرب وازدياد اهتمام بريطانيه بالمنطقة وزيادة النشاط الدبلوماسي الصهيوني لدى الدوائر البريطانية السياسية ، وبخاصة بعد وقوع فلسطين تحت الاحتلال العسكري البريطاني قبل اشهر من اعلان الهدنة ، اضيف الى مراسلات الخارجية والسلطات في مصر وفلسطين اوراق المكتب العربي في القاهرة والنشرة السرية التي كان يصدرها باسم Arab Bulletin ، وهذه الاوراق تبدو اكثر تفصيلا واغزر مادة من اوراق الكابتن وليام ييل الذي كلف من وزارة الخارجية الاميركية بتغطية اخبار المنطقة قبل اشهر من انتهاء الحرب (٦) . وقد اطلعت على اعداد جريدة التايمز في تلك الفترة ، واعداد مجلة The Near East (٧) وكذلك الاعداد الكاملة للمجلة التي كان يصدرها صندوق الاستكشاف الفلسطيني Palestine Exploration Fund .

اما بالنسبة الى المصادر اليهودية ، فالى جانب المؤلفات العامة التي كتبت بالانجليزية ـ ونشرت خلال الفترة موضوع البحث ، ومذكرات وتراجم الاشخاص

٦ ـ اطلعت على بعض اوراق ييل في (كلية سنت انتوني) وهي المجموعة التي عمل بها ايلي خضوري .
كما ان الدكتور محمود صالح منسى (جامعة الازهر) قد اطلعني على مجموعة كبيرة من اوراق ييل التي حصل عليها من الارشيف القومي في واشنطن ومن مكتبة جامعة ييل .

٧ ـ صدرت بعد تغير نظام الحكم في تركيه ١٩٠٨ لملاحقة كل الاخبار المتعلقة بالشرق العثماني .

الذين عاصروا احداث هذه الفترة ، فقد تمكنت من الاطلاع على المجموعات الكاملة للدوريات اليهودية التالية التي كانت تصدر بالانجليزية (٨) . جريدة جويش كرونيكل (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) . والجريدة تنطق بلسان يهود بريطانيه ، ولكنها كانت تخصص حيزا كبيرا لبحث تطور المسألة الصهيونية في الشرق، وان كانت تحاول تصوير المقاومة لها باسم (المعاداة لليهود) . مجلة جويش ريفيو (١٩١٠ ـ ١٩١٤) ناشراها : نورمان بنتويتش وليون سيمون (لندن) . وجريدة ذي تروث (١٩١٠ـ١٩١٤) وكانت تصدر في القدس ويحررها سلمون فينجولد وكان يرأس في الوقت نفسه تحرير الصحيفة العبرية هائيميت (Haemeth) .

واطلعت كذلك على الاعداد الكاملة من مجلة Palestine (التي صدرت في لندن سنة ١٩١٧ بتأثير من جماعة منشستر الصهيونية للربط بين المصالح البريطانية والصهيونية) ووجدت بضعة اعداد من سنة ١٩١١ لصحيفة (Le Jeune Turc) الصهيونية التي كانت تصدر في الآستانة (باللغة الفرنسية) ، وكذلك بعض المقالات الموزعة في الدوريات اليهودية التالية : Jewish Social Studies و American Jewish Historical Society وقد اطلعت على بعض منشورات وتقارير المنظمة الاقليمية اليهودية ITO وخاصة التقرير الخاص المتعلق باستيطان يهودي في سيرانيكا (برقه) (مكتبة المتحف البريطاني) . اما المقالات باللغة العبرية فمنها مقال P. A. Alsberg بعنوان « المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى » Shivat Zion, Vol. 4. 1956-57. وهي دراسة مبنية بصورة رئيسية على الارشيف الصهيوني ، ولها ملاحق هامة منها مراسلات هوخبرغ Hochburg بالفرنسية (رئيس تحرير الصحيفة الصهيونية التي كانت تصدر في الاستانة Le Jeune Turc) (٩) ، وبعض مراسلات بالالمانية لـ سوكولوف وجاكوبسون وروين حول المسألة العربية ، كما اطلعت في المجلة اليهودية « همزراح هحداش » (الشرق الجديد) على مقالين بالعبرية الاول « الاتصالات الدبلوماسية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية عند نهاية الحرب العالمية الاولى» ليوسف لونتس (عدد ١٢ ، رقم ٣ ، السنة ١٩٦٢) والثاني هو « تل ابيب في نظر الصحافة العربية ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ » لكاتبه ي. يهوشع (عدد ١٩ ، رقم ٣ ، السنة ١٩٦٩) (١٠) .

لقد كان هذا البحث محاولة لاعطاء صورة واقعية لما كان يجري في تلك الفترة وليس الحكم عليها على ضوء التطورات التالية . ورغم ان العرب لم يكونوا على مستوى التنظيم الصهيوني الا انهم كانوا اكثر تحسسا للخطر الصهيوني مما هو متوقع وكانت

٨ ـ معظم هذه المجلات تتوفر في مكتبة المتحف البريطاني في لندن .

٩ ـ كان هوخبرغ قد كلف بمهمة خاصة من قبل المنظمة الصهيونية للاتصال بالحركة العربية وبحث امكانية ايجاد لقاء معها .

١٠ ـ المقالان السالفان مع كتاب آخر لـ اهارون كوهين Israel and the Arab World (الذي صدر بالعبرية اولا ١٩٦٤ ثم بالانجليزية ١٩٧٠ ، ومؤلفه يمثل الجناح اليساري في الحركة الصهيونية) تحاول جميعها ان تركز على العلاقات الصهيونية العربية وايجاد التشابه في خط سير الحركتين العربية واليهودية ، وانه كان بالامكان في ظروف سياسية معينة امكانية الاتصال بين الحركتين .

ردود الفعل مبكرة ، ولذلك لم يكن الصراع مع الصهيونية امرا مفاجئا تفجر بعد نهاية الحرب العالمية الاولى حين بدأ التنفيذ الفعلي لتصريح بلفور ، بل ان في جذور هذه الفترة التي اخذتها للدراسة تفسيرا لما دار في المنطقة فيما بعد .

ولا يسعني الا ان اتقدم بالشكر الجزيل لكل من اعانني على مواصلة هذا البحث، واخص بالشكر استاذي المشرف الدكتور محمد انيس لحسن توجيهه ورعايته .

خيرية قاسمية

الفصل الأول

فلسطين والنشاط الصهيوني قبل العام ١٩٠٨

آ ـ مقدمة عن الاوضاع الادارية والاجتماعية في فلسطين (ووضع اليهود خاصة) :

شكلت فلسطين في الفترة موضوع الدراسة جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وكانت بحدودها التي عرفت في عهد الانتداب البريطاني تقسم اداريا الى المناطق التالية (١) :

- في الشمال متصرفية عكا (وتشمل اقضية حيفا ، الناصرة ، طبريه ، صفد) ومتصرفية نابلس (وتشمل قضائي جنين وطولكرم) وكلها تتبع ولاية بيروت.
- وفي الجنوب متصرفية القدس المستقلة (وتشمل اقضية : القدس ، يافا ، غزة ، الخليل وبئر السبع) وتقع مباشرة تحت اشراف الحكومة المركزية في الاستانة (٢) ، وشكلت المناطق التي تقع شرقي نهر الاردن جزءا من ولاية دمشق .

ورغم هذه التقسيمات الادارية ، ومع ان فلسطين كانت تعتبر دوما جزءا من سوريه ، تلك المنطقة التي عرفتها الجغرافية العربية باسم الشام او (بر الشام) ، فقد كان هناك مفهوم عربي جغرافي لمنطقة فلسطين ، تعود جذوره الى عوامل دينية مرتبطة بمعنى الاراضي المقدسة ، ثم الى عوامل تاريخية تتعلق بالتطور الاداري الذي شهدته المنطقة منذ تاريخ الفتح العربي الاسلامي (٣) . الا ان مفهوم فلسطين كان يزداد وضوحا مع دخول عامل جديد للمنطقة ، اضيف الى العوامل الدينية التاريخية، وهو الصهيونية التي كانت دافعا لمناطق فلسطين المختلفة كي تتخذ منها موقفا موحدا.

---

١ ـ عمر البرغوتي وخليل طوطح ، **تاريخ فلسطين** ، القدس ١٩٢٣ ، ص ٢٥٧ وما بعدها . وتبلغ مساحة فلسطين ٢٦١٥٨ الف دونم او ١٠١٥٠ ميلا مربعا او ٢٦٣٠٥ كيلومترات مربعة .

٢ ـ انظر ص ٢٤ من هذا الفصل عن اسباب هذا الاجراء .

٣ ـ شكل (جند فلسطين) وحدة ادارية تشمل جنوب ووسط فلسطين الحالية بينما كان (جند الاردن) يشمل المناطق الواقعة شرقي النهر مع غربي الجليل . ولم يحدث التقسيم الى مناطق عديدة الا في العهد المملوكي واستمر حتى العهد العثماني مع تغيير في التوزيع لم يستقر الا في اواخر القرن التاسع عشر .

Porath, Y., **The Political Awakening of the Palestinian Arabs and their Leadership Towards the End of the Ottoman Period,** Jerusalem, Forthcoming publication, pp. 1 - 8

قدر عدد سكان فلسطين عام ١٨٨٢ بـ ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة ، منهم حوالي ٣٥ر٠٠٠ يهودي . الا ان اول تقدير دقيق لعدد سكان فلسطين (عام ١٨٩٥) هو ٤٥٧ر٥٩٢ نسمة ، منهم حوالي ٦٠ر٠٠٠ يهودي (٤) ، وقد تزايد هذا العدد على ابواب الحرب العالمية الاولى فقدر بحوالي ٦٠٠ر٠٠٠ نسمة منهم ٨٥ر٠٠٠ يهودي . وجرى اول احصاء رسمي لعدد سكان فلسطين في عام ١٩٢٢ فكانوا ٦٧٣ر٠٠٠ منهم ٦٧ر٠٠٠ يهودي (٥) .

ويتبع التصنيف الاجتماعي لسكان فلسطين النموذج السائد في سائر البلاد العربية ، فهناك البدو (حسب احصاء ١٩٢٢ قدر عددهم بـ ١٠٣ر٠٠٠) وسكان المناطق الريفية ويعملون غالبا بالزراعة (قدرهم احصاء ١٩٢٢ بـ ٣٧٤ر٦٩٣) ثم سكان المدن الذين يمكن ان تقسمهم الى ثلاث فئات : تشمل الفئة الاولى كبار الملاك (الافندية) ورجال الدين وكبار الموظفين وبعض التجار وبعض اصحاب المهن الحرة ، وتضم الفئة الثانية سائر التجار واصحاب الحوانيت ، بينما يشكل صغار الحرفيين والعمال اليوميين وغيرهم عامة سكان المدن . وهناك تصنيف آخر للسكان يتبع الفروق الدينية ، فحسب احصاء ١٩٢٢ سابق الذكر ، قدر عدد المسلمين بـ ٥٢١ر٠٠٠ (وكلهم من السنيين تقريبا) وعدد المسيحيين ٧٨ر٠٠٠ نسمة (عشر عدد السكان) . ووجود بعض الفروق في التركيب الاجتماعي والاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين يعود الى كون معظم المسيحيين من سكان المدن ، والى ميلهم للاستفادة اكثر من الفرص التعليمية التي رافقت قدوم الارساليات التبشيرية ، الا ان التقارب بين المجموعتين اصبح مؤكدا نتيجة لحركة التحديث ونمو الفكرة القومية العربية ، ثم نتيجة للموقف الموحد الذي اتخذه الجانبان ضد الحركة الصهيونية (٦) .

ولو تركنا جانبا ما يحيط بوجود اليهود في فلسطين من تقاليد تاريخية واساطير ، نجد انه في العهد العثماني لم تخل فلسطين ، كسائر اجزاء الامبراطورية العثمانية (في آسيه واوروبه وافريقيه) من اليهود . وهم يرجعون في اصلهم اما الى بقايا اليهود القدامى التي امتزجت مع اهل البلاد واطلق عليها اسم (المستعربين) ، وهم اقدم الطوائف اليهودية في العالم . ثم جاء افراد الموجة الكبرى من اسبانيه (سفارديم) في اعقاب نهاية الحكم العربي في الاندلس ، ووجدوا في الامبراطورية العثمانية ملجأ (٧)

٤ – ESCO Foundation for Palestine, **Palestine A Study of Jewish, Arab and British Politics**, New Haven, Yale University Press, 1947 Vol. 1. p. 463.

نقلا عن Guinet, V., **Syrie, Liban et Palestine, geographie administrative, statistique, discriptive et raisonée**, Paris, 1896.

٥ – **Loc. Cit.**

٦ – **Loc. Cit., p. 465**

٧ – وكان الامبراطور بايزيد قد اعطى اوامره في كل مكان بفتح ابواب الامبراطورية على مصراعيها قائلا « خسارة اسبانيه هي كسب لنا »

Mayer, N., **The Jews of Turkey** (London, 1913), pp. 28-33

ومقال اليهود الاسبان في تركيه في Times, 29.6.1914

وحماية . وقدم في القرن التاسع عشر اليهود من المانيه وشرق اوروبه وعرفوا باسم اشكنازيم (٨) .

وقد عمل اليهود في الامبراطورية في كل فروع التجارة والعمل والصناعة والعلم . ووصل بعضهم الى مراكز هامة . وتمتع اليهود ـ كسائر الاقليات داخل الامبراطورية ـ بقدر كبير من الاستقلال الذاتي والاداري والطائفي ، فكان الحاخام باشي او الحاخام الاكبر هو ممثل اليهود في كل امر امام الحكومة ، كما سمح لافراد الطائفة بحرية اختيار رؤسائهم الروحيين ، وفرض الضرائب ، وحل الخلافات فيما بينهم . وكانت المحكمة اليهودية تحكم بينهم حسب الشريعة اليهودية ، كما لم يحدث ادنى تدخل بالاموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية او التعليمية ، وتمتعت مدارسهم الطائفية باستقلال ثقافي ذاتي . وقد استفاد اليهود منذ وقت مبكر بمنافع الامتيازات التي اعطيت للرعايا الاجانب ، والتي اخذت ـ بادىء الامر ـ شكل منح من السلطان ، الا انها كانت بالفعل معاهدات تعطي القناصل والسفراء الاجانب سلطة قضائية على رعاياهم ، وتضمن لهم حقوق التجارة والامن والحرية الدينية . وكانت هذه الامتيازات تشمل كذلك كل العاملين لدى الاجانب اصحاب الامتيازات ، ونظرا لان من بينهم عددا كبيرا من اليهود ، فقد شملتهم الحماية . ولعب هذا النظام دورا كبيرا بالنسبة ليهود الامبراطورية العثمانية عامة ، ويهود فلسطين بصفة خاصة ، لا سيما بعد ان تدفقت افواج المهاجرين من اليهود الاجانب ، الذين حافظوا على تبعيتهم الاصلية مع كل ما لها من امتيازات استثنائية تتمتع بها الدول الاجنبية في البلاد الشرقية (٩) .

وكانت لفلسطين ، من بين سائر اجزاء الامبراطورية ، مكانة خاصة عند اليهود لما لها من ذكريات تاريخية دينية ، وكانت فكرة التطلع الى فلسطين جزءا من معتقداتهم الدينية ، الا انها كانت ذات طبيعة غامضة واعتبرت نوعا من المعجزات ترتبط بظهور المسيح الذي سيأتي « لخلاص الشعب اليهودي من منفاه ، واعادته الى صهيون » ، واصبح هذا الاعتقاد مسرحا خصبا « لكتاب الاساطير ومهووسي العظمة » (١٠) ، تجلى في محاولات متكررة للعودة على يد « المسيح الكاذب » كانت آخرها محاولة يهودي تركي في القرن السابع عشر هو « شبتاي زيفي » الذي انضم له بعض الاتباع من اليهود الشرقيين ، وظلوا يعتقدون بانه كان المسيح المنتظر حتى بعد تحوله الى الاسلام ، وعرفوا باسم « الدونمة » (١١) . ومع ذلك فقد ظل جزءا من التراث اليهودي التقليدي ان يتوجه الحجاج اليهود الى (الاراضي المقدسة) لقضاء ايامهم الاخيرة فيها .

٢ ـ اهتمامات عالمية باليهود في فلسطين :

ولكن منذ القرن التاسع عشر ، لم تعد فلسطين مجرد فكرة مثالية وجزءا من

٨ – Cohen, I., (ed.), **Zionist Work in Palestine**, (New York 1912).

بحث عن السكان في فلسطين ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

٩ – Wolf, L., **Note on the Diplomatic History of the Jewish Question**, (London, 1919), pp. 3 - 4.

١٠ – Zangwill, I., **The Return to Palestine**, The New Liberal Review (Dec. 1901) p. 616.

١١ – انظر الفصل الثاني .

التراث الروحي ، بل اصبحت تشغل اهتماما خاصا بالنسبة لقضية الاستيطان اليهودي . ولم يكن ذلك بسبب ان المعاناة اليهودية كانت اشد من ذي قبل ، او ان امكانية (العودة) الى فلسطين اعظم مما سبق ، بل لان توطين اليهود في فلسطين قد اصبح يلعب دورا كبيرا في امور السياسة الدولية العملية ، حتى قبل ان توجد الحركة الصهيونية السياسية ، ورافق ذلك زيادة الاهتمام الدولي العام بالشرق الادنى واحوال سوريه بوجه خاص . وحاولت فرنسه اولا ان تتبنى الفكرة . ويقول لوسيان وولف Wolf (١٢) « ان الحصول على الدعم اليهودي للفرنسيين في الشرق ... بتأسيس كومنولث يهودي في فلسطين شكل جزءا من الخطط السرية التي اعدتها حكومة المديرين سنة ١٧٩٨ ... وانه في الوقت الذي كان فيه نابوليون يقوم بمحاولته الجريئة لبناء امبراطورية شرقية وضرب المصالح البريطانية ، وجه نداء يدعو فيه اليهود في آسيه وافريقيه للالتفاف حول رايته من اجل اعادة مملكة القدس القديمة ... » ، وتلاشى المشروع بمعارك عكا وابي قير (١٣) . الا ان تبني فرنسه للفكرة لم يدم طويلا ، وكان توسع محمد علي في سوريه بداية لقاء بين المصالح البريطانية في الشرق وتوطين اليهود في فلسطين . وقد عالج عدد من الكتاب والساسة البريطانيين ، من غير اليهود ، مسألة التوطين اليهودي كوسيلة لتحكم بريطانيه في المسألة الشرقية ، وتثبيت سيطرتها على سوريه وحماية طريق الهند . ومن اجل هذا الهدف كانت رحلات موسى مونتفيوري (اليهودي الانجليزي) الى فلسطين (١٤) ، لوضع مشروع واسع للاستيطان ، وكذلك تعليمات بالمرستون الى اول قنصل بريطاني في القدس لتقديم الحماية لليهود ١٨٣٩ ، ومشروع القنصل البريطاني في سوريه « الكولونيل تشرشل » في الستينات لتوطين اليهود في فلسطين ، والمفاوضات الفاشلة في الاستانة في السبعينات للصحفي والنائب البريطاني لورنس اوليفنت ــ الذي كان يحظى بعطف دزرائيلي ، رئيس الوزارة البريطانية ــ من اجل استيطان يهودي في ارض جلعاد (شمال شرقي البحر الميت) (١٥) .

١٢ – Notes on the Diplomatic History of the Jewish Question, London, 1919, p. 104.

١٣ – يذكر ايلي ليفي ابو عسل في كتابه **يقظة العالم اليهودي** (القاهرة ١٩٣٤) ص ٩٩ وما بعدها ، نص رسالة كتبها يهودي فرنسي عام ١٧٩٨ جاء فيها : « ... ان عددنا يبلغ ٦ ملايين في اقطار العالم ، وفي حوزتنا ثروات طائلة .. فيجب ان نتذرع بكل ما لدينا من وسائل لاستعادة بلادنا .. اما البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسه فهي اقليم الوجه البحري في مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من عكا الى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر ، فهذا المركز الملائم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الاحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وافريقيه الجنوبية والشمالية واثيوبيه والحبشة ، ثم ان مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة مع فرنسه وايطاليه واسبانيه » .

١٤ – يذكر **المصدر السابق** ، ص ١٤٦ ، ان مفاوضات مونتفيوري مع محمد علي قد انتهت بالوعد بامتياز استئجار اراض لمدة خمسين سنة حرة من الضرائب ، والسماح بارسال خبراء لتدريب اليهود على الزراعة ، الا ان تراجع ابراهيم باشا عن سوريه افشل المشروع واقتنع مونتفيوري بانشاء مزارع صغيرة بجوار يافا والقدس وصفد ومساعدة اليهود الفقراء .

١٥ – انظر الفصل السابع حول الارتباط بين المصالح البريطانية والقضية الصهيونية ، حيث اصبحت فكرة الدولة اليهودية تحت الحماية البريطانية ضرورة سياسية في العقلية البريطانية وجزءا رئيسيا من الفكرة الصهيونية .

Pre-War Turkish Administrative Districts comprised in Syria and Palestine — No 1

War Office, 1937.

التقسيمات الادارية العثمانية في سوريه وفلسطين قبل الحرب العالمية الاولى

نقلا عن كتاب : Cohen, Aharon, **Israel and the Arab World**, London, 1970.

الا ان مسألة توطين اليهود في فلسطين كعامل له دوره في السياسة الدولية لم يحقق نتيجة محسوسة في ذلك الوقت المبكر ، فمن جهة ، كانت القضايا الاخرى في الشرق تمتص فاعليات الدبلوماسية الشرقية ، ومن جهة اخرى كان من المحتمل ان تمس الفكرة نفسها سلامة الامبراطورية العثمانية ، وهذا كان يتضارب مع مصالح السياسة البريطانية التقليدية والدول الاوروبية الاخرى التي لم تكن قد اتفقت بعد على تركة الرجل المريض (١٦) . ولكن الجهود المتفرقة ذات النشاطات الخيرية اليهودية قد لاقت نجاحا عمليا اكثر ، فالى جانب نظام الصدقة حلوكا (Haluka) التقليدي ، وهي المعونات المالية التي كانت تعطى منذ عهود مبكرة لليهود الذين يعيشون ويدرسون في المدن المقدسة الاربع عند اليهود (القدس ، صفد ، طبريه، الخليل) (١٧)، وجدت تنظيمات يهودية عالمية لعبت دورها بالاهتمام باحوال اليهود بوجه عام ، وكانت تملك اجهزة نشطة عاملة في فلسطين . وفي عام ١٨٦٠ عمد ستة من اليهود الفرنسيين البارزين الى تشكيل تحالف هدفه الدفاع عن اليهود وتحريرهم من الجهل ، والعمل على تقدمهم الاقتصادي ، عرف باسم Alliance Israéelite Universelle وكانت لجنته المركزية في باريس ، وقد انشأ له فروعا في بلاد اخرى ، وركز نشاطه الرئيسي على نشر التعليم وتشجيع الحرف ، كما كان يولي اهمية كبرى لتعليم الفرنسية الى جانب العبرية (١٨) . واول اهتمام ابداه « الاليانس » في فلسطين كان عام ١٨٧٠ بانشاء اول مدرسة زراعية (مكفه يسرائيل Mikveh Israel) (اي امل اسرائيل) على ارض قرب يافا منحتها الحكومة التركية الى يهودي فرنسي هو شارل نيتر . واتبعت مؤسسة مشابهة في انجلترة هذا الاتجاه في الاهتمام بالتطوير الثقافي والاجتماعي لليهود وهي Anglo-Jewish Association (تأسست عام ١٨٧١) . وفي عام ١٨٧٣ تأسس اليانس الماني على نفس خطوط الاليانس الفرنسي في نشاطه التعليمي .

٣ ـ ماهية الصهيونية :

وبينما كان لا يزال بعض اليهود من النموذج التقليدي يجدون طريقهم الى فلسطين للاستقرار في المدن الاربع المقدسة ، وقضاء ايامهم الاخيرة في صلاة ودراسة ، تمدهم رعاية يهودية عالمية ، بدأ آخرون من جيل اصغر من اوروبه الشرقية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر يتوجهون الى فلسطين بدعوى انها وطن للشعب اليهودي ، يهدفون الى خلق جماعة تتميز عما حولها باللغة والثقافة واسلوب الحياة ، ويقومون بتجارب عملية لاستيطان زراعي حديث (١٩) . وترسم طلائع هذه الحركة ، التي وصلت

١٦ ـ Wolf, p. 101.

١٧ ـ Burstein, M., **Self Government of the Jews in Palestine**, (Tel-Aviv, 1934) p. 24.

كانت الطوائف اليهودية في المدن الاربع المقدسة ترسل ممثليها لجمع المعونات من اليهود في انحاء العالم . وحتى بداية القرن التاسع عشر كانت الصدقة في يد السفارديم ، ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر بدأ الاشكنازيم يرسلون مندوبيهم الى اوروبه لتوزع المعونات التي يجمعونها عليهم فقط ، بينما حصرت جهود ممثلي السفارديم في شمال افريقيه ، ايطاليه ، تركيه ، اليمن ، الهند، فارس والولايات المتحدة .

١٨ ـ **Jewish Review**, Sept. 1911, p. 257.

١٩ ـ Simon, L., & Stein, L., (eds.) **Awakening Palestine** ,London, 1923 - p. 251.

فلسطين عام ١٨٨٢ (والتي تعرف بالهجرة الاولى او العالية الاولى) (٢٠) بداية الصهيونية الحديثة ، حتى قبل ان يدعو هرتزل الى المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ (٢١) . وماهية هذه الحركة هي مجموعة قضايا او مشكلات متعددة لو مزجت معا كانت الصهيونية : في جذورها تقاليد دينية واساطير ، فاليهود كلهم صهيونيون بمعنى او بآخر ، اذ ان فكرة العودة الى فلسطين ـ كما يشرح ذلك محمد المحمصاني في مقال له سنة ١٩١٤ (٢٢) : « فكرة عريقة في القدم وجدت مع التوراة وغيرها من كتب اليهود المقدسة التي تعد اليهود بالرجوع الى صهيون » ، وهذا الطور الاول الديني للحركة الصهيونية يدعوه بالمسيانسيم نسبة الى المسيح المنتظر ... ويضيف : « ... ان الصهيونية والمسيانسيم ظلت فكرة واحدة لغاية واحدة ، بمعنى ان التضرع لمجيء المسيح ، الذي سوف يكون الخلاص عن يده ، هو في الوقت ذاته دعاء للرجوع الى ارض الميعاد ... ولكن هذه العقيدة اخذت تضعف وتتضاءل الآمال بالعودة ... واصبحت مع الفلسفة العقلية في القرن الثامن عشر ، ضربا من الاوهام ...» . الا ان فكرة ترقب المسيح و « الشوق الى صهيون » ظلت من عقائد الايمان الديني ، ولكن هذا لم يمنع الصهيونية ـ رغم انها حركة علمانية حديثة ـ ان تثبت هذه العقيدة وتجعل الدين اليهودي جوهر القومية ، التي سعت لايجادها .

قضية اخرى غير اسطورة « الشوق الى صهيون » تكمن وراء الحركة الصهيونية هي قضية الاضطهاد اليهودي : فقد كانت اوروبه مركز استيطان الطوائف اليهودية في العصر الحديث ، وفي اوساطها نشأت الفكرة الصهيونية ، وكانت هذه الطوائف تقوم حول نواة تجارية مالية ، وتؤلف طوائف انعزالية (نظام الجيتو) . وقد خلق موقع الطوائف الاقتصادي والتعصب الديني في كثير من الاحيان ظروف الاضطهاد ، رغم ان الاضطهاد لم يكن قاصرا على اليهود وحدهم الا انه كان امرا واقعا ، بحيث انه وصل الى حد ان اي روائي يبحث عن شخص حقير او نذل في روايته كان يلتفت الى اليهودي ليملأ هذه الفجوة (٢٣) . ويشرح الكابتن وليام ييل (٢٤) « تلك النظرة الاجتماعية (المتدينة) التي عانى منها اليهود في العالم ، بغض النظر عن مناصب الشرف التي يمكن ان يحصلوا عليها ، والامتيازات التي يمكن ان يكسبوها ، والوظائف الرفيعة التي يمكن ان يتولوها . فاليهود بطريقة شعورية ـ او لا شعورية ـ قد جعلوا يحسون ان كونهم يهودا هو وصمة عار اجتماعية » . واستحدثت ظروف جديدة للاضطهاد مع تطور

٢٠ ـ الكلمة العبرية للهجرة الى فلسطين (عاليه) وتعني الصعود وهي كلمة مشتقة من التوراة حيث تعني كلمة الصعود الحج الى « ارض اسرائيل » .

٢١ ـ ESCO, p. 8.

٢٢ ـ جريدة **فتى العرب** (بيروت) ٤ ايار (مايو) ، مقال « الصهيونية والصهيونيون » انظر الفصل الرابع .

٢٣ ـ Palestine, Jaffa, The Balfour Declaration, an analysis published by Palestine, 21.10.1929.

٢٤ ـ Yale Papers, Department of State, **Division of Near Eastern Affairs**, Report No. 24, 22.4.1918.

وكان الكابتن وليام ييل قد ارسل من قبل وزارة الخارجية الاميركية الى منطقة الشرق الادنى في اواخر الحرب العالمية الاولى لتغطية اخبار المنطقة .

النظام الرأسمالي في اوروبه ، فقد وجد الرأسماليون في الغرب في الراسمالية اليهودية منافسا لهم ، واستغلوا بغض الرأي العام لليهود لخدمة اغراضهم . الا انه اطلق على اضطهاد اليهود اسم جديد متأثر بنظريات الاجناس وتفوق العرق ، وهو اسم (مقاومة السامية Anti-Semitism) . « والمقصود من هذا الاسم اضطهاد العنصر السامي برمته ، ومنه العرب ، ولكن لقلة وجود شعوب سامية في اوروبه من غير اليهود ، اصبحت هذه الحركة تظهر وكأنها مقتصرة على اليهود ... » (٢٥) . ولكن المهم في فكرة مقاومة السامية العنصرية ، انها تعتبر اليهود امة منفصلة لا يمكن لافرادها ان يندمجوا بالشعوب التي يعيشون بينها ، والتقت في ذلك مع الفكرة الصهيونية التي ادعى اصحابها انها الرد الوحيد على مقاومة السامية ، ورغم ما بين الحركتين من تناقض ، كانت احداهما تغذي الاخرى ، فوجدت الصهيونية في مقاومة السامية عاملا مساعدا على تحقيق برامجها ، وعزز الاضطهاد ــ بطريقة ما ــ الشعور الصهيوني (٢٦) .

وكانت الحركتان تقفان معا ضد مشكلة الاندماج ، التي هي احدى القضايا المكونة للفكر الصهيوني . وقد ظهرت هذه المشكلة مع تكسر جدران (الجيتو) امام الاحداث السياسية التي جرت في نهاية القرن الثامن عشر وما بعده ، مثل الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية وظهور الحركات القومية في اوروبه . وقد نمت بين الطبقات المثقفة اليهودية حركة مشابهة من اجل ازالة الحواجز بين اليهود والامم الاخرى ، ومن اجل كسب الحقوق المدنية وفتح الطريق واسعا امام اندماج الطوائف اليهودية بالشعوب التي تعيش بينها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا (٢٧) . وتفاوتت عملية اندماج اليهود بين غرب اوروبه وشرقها (وخاصة في روسيه) اذ كان الاخيرون هم يهود (الجيتو) الباقون . وبين هؤلاء نشأت بذور الفكرة الصهيونية ، وزعمت الحركة الصهيونية حين نظمت في الغرب انها قامت لانقاذهم . مع ذلك فان الصهيونية حين بدأت نشاطها في روسيه كانت بعض الفئات المثقفة اليهودية في روسيه تسعى للاندماج مع الحركة الثورية العامة كما كانت تسعى لكسب الحقوق اليهودية المدنية (٢٨) . واعتبر بعض المتطرفين من مثقفي اوروبه الشرقية اليهود حركة الاندماج هذه « قوة محطمة ، بل هي اكثر تهديما لليهودية المتميزة من الاضطهادات او عزلة العصور الوسطى » (٢٩) . وامام خطر الاندماج الذي يهدد اليهود « بفقد شخصيتهم القومية في بوتقة التذويب الكبرى » جاءت الصهيونية كالخيار الوحيد للجيل اليهودي الحديث مدعية ان مقاومة السامية ابدية ، وان المشكلة اليهودية لا حل لها بغير تجميع اليهود او تجميع الشتات في مركز واحد ، فيقيمون دولتهم وتنتهي مشكلتهم التي امتدت

٢٥ ــ نقولا ، جبر ، في **العالم اليهودي** (القدس ١٩٣٥) ، ص ٣٢ .

٢٦ ــ يحاول زانغويل في مقال له بعنوان «The Return to Palestine» **The New Liberal Review,** Dec. 1901, p. 625.
ان يشرح مقاومة السامية بمنطق غريب : « ... في كل بلد فيها يهود فيها مساوىء ، لذلك فاليهود هم سبب المساوىء ، واليهود ــ كالحرب الاجنبية ــ يصلحون في تحويل الاهتمام عن المشاكل الداخلية » .

٢٧ ــ جريدة **فتى العرب** ــ ٨ ايار (مايو) ١٩١٤ ، مقال محمد المحمصاني عن الصهيونية .

٢٨ ــ Weizmann, Ch., **Trial and Error,** (London 4th impression 1950) p. 29.

٢٩ ــ F. O. 882/14 Arab Bureau Papers, 5/2/1917.

حوالي الفي سنة ، فكانت فكرة المركز القومي اليهودي هي المحاولة من جانب هذه الفئة من اليهود لجعلهم يشعرون بانهم « من عرق مختلف ، وشعب مختلف ، مرفوض من الشعب الذي يعيش بينه... » (٣٠) .

ومن هذه الدوائر انبعثت حركة احباء صهيون (Chibbatt Zion) ــ ولادة الصهيونية الحديثة ــ وهي حركة حاولت صياغة افكارها صياغة علمية ، واعطاءها صفة قومية : حلم التخلص من المنفى ، بعث الحياة القومية ، الثقافة العبرية ، العودة الى الارض والطبيعة ، اقامة حياة اقتصادية لها جذورها في التربة لوضع نهاية التجول اليهودي في العالم . وتطورت حركة احباء صهيون على يد ليو بنسكر في كتابه « التحرير الذاتي » (نشر بالالمانية اولا في سنة ١٨٨٢ ثم بالعبرية والروسية) ليؤكد ان اليهود ليسوا جماعة دينية فقط بل هم امة مستقلة بذاتها ، وخلاصهم من حياة الاضطهاد لا يكون الا بتحرير انفسهم بأنفسهم باستقلالهم في ارض يعيشون فيها عيشة قومية حرة (٣١) ، ولم تكن هذه الارض بالضرورة فلسطين .

لا شك ان اوضاع اليهود في روسيه كانت صعبة ، والقيصرية كانت تشجع المنازعات القومية والدينية ، الا ان المصاعب لم تكن قاصرة على اليهود بل عمت سائر سكان الامبراطورية ، ولم تكن اوضاعهم اسوأ من الفلاحين الروس . وبحث اليهود ــ كسائر الفئات ــ عن شروط معيشية افضل في الخارج ، وامام المغريات في البلاد المتطورة صناعيا في الغرب ، حملت الهجرة من شرق اوروبه آلاف اليهود نحو الغرب وحتى عبر الاطلسي . وتقدمت الرأسمالية اليهودية الغربية للمساعدة بدافع من العطف والشفقة ، الا ان ذلك قد امتزج « بتخوف من ان يهز المهاجرون الجدد امن وراحة اليهودية التي اصابت نجاحا في البلاد الاكثر تطورا » (٣٢) . ولابعاد الهجرة عن شواطىء اوطانهم ، بدأ اثرياء الغرب من اليهود وضع مخططات بعيدة المدى من اجل حل المشكلة ، وكان هذا خلفية المشاريع المتعددة التي وضعت حول مشكلة Whither او Wohin وهي : الى اين يجب ان يوجه اليهودي المهاجر ، وخاصة بعد ان وضعت القيود امام تدفق الهجرة اليهودية الى البلدان الصناعية الكبرى ؟

والتقت بذلك افكار بعض مثقفي يهود روسيه ومصالح يهود الغرب حول ضرورة ايجاد « وطن » ، خاصة وان المهاجرة لا تحل (المشكلة اليهودية) التي يتصورها المتطرفون ، بل تعرض اليهود للاندماج . ولكن المشكلة هي اين يجب ان يقام هذا الوطن ؟ ولم تكن فلسطين هي الحل الوحيد ، الا ان الاتفاق نهائيا على اختيار فلسطين كانت لسببين : الاول : انه يسهل استقطاب الجماهير اليهودية حول فكرة بناء الوطن القومي في فلسطين ، بسبب اقترانها بالدين وبذكريات تاريخية ، والعامل الثاني

٣٠ ــ من تقرير ييل السابق (رقم ٢٤ ، ١٩١٨/٤/٢٢) .

٣١ ــ Cohen, Aharon, **Israel and the Arab World,** (London 1970) pp. 32-38.
وجريدة **فتى العرب** ٢١ حزيران (يونيو) ١٩١٤ ، مقال محمد المحمصاني عن الصهيونية .

٣٢ ــ Perlmann, M., **Paul Haupt and Mesopotamian Project, 1882-1914.** (Publication of the American Jewish Historical Society, XLVII 3, March, 1958). p. 157.

– وهو الاهم – نشوء ظروف اتفقت فيها مصلحة السياسة العالمية والصهيونية . وشرح زانغويل (الكاتب اليهودي البريطاني) ذلك فيما بعد ببضع كلمات (٣٣) « ... الآن، وليس وقت آخر ، هو فرصة اسرائيل ... فهناك تغييرات كثيرة ... لن ننتظر لا اليهودي ولا فلسطين بعد ان حملت قناة السويس العالم الى ابواب فلسطين ... » لقد كان وقوع فلسطين على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط عند نقطة الالتقاء بين الشرق والغرب ، ذا اهمية قصوى ، استراتيجية وتجارية بالنسبة الى اي دولة اوروبية ، تدفعها للسعي الى امتلاكها . وكانت وجهة النظر الصهيونية حيال الاطماع الدولية في فلسطين – كما عبّر عنها كاتب يهودي سنة ١٩٠٧ – (٣٤) هي : « ... ان منح فلسطين لليهود هو الحل الوحيد لهذا التنافس والعداء بين الدول الكبرى على النفوذ في الاراضي المقدسة ، على الاقل لكي تتوصل هذه الدول الى تسوية للمشكلة اليهودية عندها ، وتبعد الهجرة اليهودية عن شواطئها ... » .

٤ – الاستيطان المبكر في فلسطين على يد احباء صهيون :

كان اول تطبيق عملي لهذه الافكار التي يشكل مجموعها ما يعرف بالصهيونية الحديثة ، هو تكوّن جمعيات طلابية في روسيه عرفت باسم بيلو (Bilu) (٣٥) تعمل من خلال جهود جمعيات « احباء صهيون » بهدف تجهيز الطلائع (الحالوتس) (٣٦) وتوجيهها الى فلسطين من اجل الاستيطان . ووصلت اول مجموعة منها الى فلسطين في ٥ آب (اغسطس) ١٨٨٢ ليؤسسوا مستعمرة ريشون ليتسيون بين القدس ويافا، وبين ١٨٨٢ – ١٨٨٤ انشئت تسع مستوطنات ، وضعت اساس الاستيطان الحديث في فلسطين (٣٧) .

الا ان العمل الاستيطاني قد بدأ في التعثر ، وهو بعد في مراحله الاولى . فالى جانب معارضة السكان العرب ، والقيود التي وضعتها السلطات التركية (٣٨) كان المستوطنون اقلية تدفعهم نظريات مجردة ، وبدلا من قهر الارض عن طريق العمل – كما كانوا ينادون – لم يكن باستطاعتهم مواجهة شروط الحياة الجديدة (٣٩) . وكان لا بد من البحث عن العون من الخارج ، واستطاع مندوبو احباء صهيون اقناع

٣٣ – Zangwill, «Return to Palestine», **The New Liberal Review**, Dec. 1901, p. 627.

٣٤ – Schor, S., **Palestine for the Jew**, (London 1907) ,p. 29

٣٥ – هي الاحرف الاولى من اربع كلمات عبرية في التوراة معناها « .. آل يعقوب دعونا ننهض ونذهب » .

٣٦ – كلمة حالوتس (Halutz) تعبير في التوراة يعني القوة المسلحة التي تذهب في طليعة الشعب لفتح الارض . ESCO, p. 350.

٣٧ – كان عدد من اليهود البريطانيين قد اسس مستوطنة بتاح تكفا (بوابة الامل) (ملبس العربية) ، وقد فشلت محاولتهم وجددها احباء صهيون ، كما انشىء عدد آخر من المستوطنات قرب يافا : ريشون ليتسيون (الاول في صهيون) وقطرة ، عقرون ووادي حنين . وفي الجزء الشمالي من سهل سارونة انشئت مستوطنة زخرون يعقوب (ذكرى البارون جيمس دي روتشيلد وهي زمرين العربية). وفي الجليل مستوطنة روش بينا (حجر الزاوية) (الجاعونة العربية) ، ومشمار هايردن (حارس الاردن) ويسود همعلاه .

٣٨ – حول ردود الفعل العربية والعثمانية انظر ص ٢٣ وما بعدها من هذا الفصل .

٣٩ – FO 882/260 Arab Bulletin, 19/1/1917.

البارون (ادموند دي روتشيلد) ، الذي كان يبدي اهتماما كبيرا بعمليات الاستيطان اليهودي ، كي يتقدم للمساعدة . وبفضل الاموال التي قدمها البارون استطاعت المستوطنات الاولى ان تستمر ، وتم الحصول على مساحات واسعة من الاراضي ، واسست مستوطنات اخرى بين ١٨٨٤ – ١٨٩٠ ، كما ارسل البارون خبراء من فرنسه لارشاد المستوطنين في زراعة الكروم وزراعة الحبوب وبناء معامل الخمور والاقبية وقدم معونات مالية للتعليم والصحة ، ومنح المستوطنين راتبا شهريا ثابتا . ومع ذلك فان المحاولة لم تكن ناجحة تماما ، فاليهودي ليس ناجحا في العمل الزراعي، ولم تكن الادارة الفرنسية التي وضعها البارون ذات فائدة للمستوطنين الذين استكانوا الى الفقر والكسل ، وفكر كثير منهم في العودة (٤٠) .

ونتيجة لذلك فقد عهد البارون بادارة مشاريعه الى منظمة : Jewish Colonization Association التي تعرف اختصارا باسم ICA وهي منظمة للاستيطان الزراعي اسسها البارون دي هيرش (النمسوي الاصل) (٤١) . ومع ان عمل هذه المؤسسة لم يكن مقتصرا على فلسطين ، اذ كانت تساعد اليهود على الهجرة والاستيطان في اجزاء اخرى من العالم (في الارجنتين وكنده والولايات المتحدة والبرازيل) ، فقد تولت العمل الاستيطاني في فلسطين . وبين سنتي ١٨٩٩ – ١٩٠٨ اسست ٨ مستوطنات جديدة وتولت اعادة تنظيم مستعمرات البارون روتشيلد . وعلى الرغم من كل ذلك فشلت توقعاتها ولم تكن تقاريرها لتدل على تفاؤل ، واقر تقرير عام ١٨٩٩ بانه « يصعب تحويل اليهود في فلسطين الى مزارعين ، ومعظمهم يعيش في خمول قاتل » (٤٢) . وهكذا ، ففي السنوات التي سبقت انشاء المنظمة الصهيونية ، لم تكن تجربة الاستيطان الزراعي في فلسطين قد اثبتت نجاحها . وكان معظم القادمين الجدد تجذبهم المدن . وبلغ عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٩٧ قرابة ٥٠٫٠٠٠ يهودي ، منهم حوالى ٤٥ الفا يعيشون في ٩ مدن صغيرة وكبيرة (في القدس وحدها ٢٨٫٢٥٥) بينما لم يكن هناك سوى ٤٣٥٠ فردا يتوزعون على ١٩ مستوطنة يمثلون الاستيطان الحديث (٤٣) . ولم يكن هذا العدد كفيلا بتغيير النموذج التقليدي للاستيطان القديم القائم على الصدقة (الحالوكا) (٤٤) .

٥ – هرتزل والصهيونية السياسية :

وكانت حركة (احباء صهيون) في اوروبه الشرقية في السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر قد كونت صلات مع المفكرين في اوروبه الغربية والوسطى ، ومن

٤٠ – مذكرة بدون توقيع في ١٩١٧/٢/٥ FO 882/14 Arab Bureau Papers

٤١ – تأسست ICA عام ١٨٩٣ لمساعدة يهود روسيه من كبار الاثرياء اليهود في العالم ، ومكاتبها الرئيسية في باريس ، ويتألف مجلس ادارتها من ١١ عضوا منهم ٣ انجليز ، ٣ فرنسيين ، ٣ المان ، ٢ بلجيك – وكان البارون دي هيرش (de Hirsch) من اهم اعضائها ، ومنح ٨ ملايين جنيه استرليني للجمعية .

٤٢ – ICA, **Report of the Central Administration**, 1898-1899.

٤٣ – Ben Gurion, **The Jews in Their Land**, (London 1966) p. 278.

٤٤ – Burstein, pp. 185 - 189.

هذه الدوائر جاء ثيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) الصحفي النمسوي ، مراسل جريدة Neue Freie' Presse في مجلس النـواب الفرنسي . عمل هرتزل على خلق صهيونية جديدة في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر في غرب اوروبه ، كانت اكثر طموحا من الصهيونية الاولى في الشرق ، التي بدأت بأحباء صهيون . وفكرت الصهيونية الجديدة بأساليب سياسية للحصول على فلسطين بـدلا مـن الاستيطان البطيء ، وبذلك اقترنت الصهيونية السياسية باسم « هرتزل » بعد ان وضعها على اسس ثابتة بكتاباته ، وبالمنظمة الصهيونية التي نشأت بعد المؤتمر الصهيوني الاول . وعلى حد قول وايزمان (٤٥) « ... ان صهيونيي الشرق لم يكونوا قد سمعوا باسمه في عداد الصحفيين قبل ظهور كتابه دولة اليهود * » .

وكان هرتزل قد نشر كتابه هذا سنة ١٨٩٦ بالالمانية ثم بالفرنسية وبالانجليزية، دون ان يشير الى من سبقه ، مع انه ـ على ما يبدو ـ كان على معرفة بمـا توصل اليه هؤلاء من نظريات ، ولم يحتو الكتاب اي فكرة جديدة سوى تجاهله ذكر فلسطين وتجاهله اللغة العبرية . لقد كان مشروع هرتزل ماديا صرفا ، خاليا مـن العنـاصر الروحية ، يفترض ان الشعوب التي يعيش اليهود بينها معادية للسامية ، ضمنا او صراحة ، وهي لطابعها العدائي انشأت الشعب اليهودي ووحدتـه بدون ارادتـه او موافقته . ويرى انه حين يتحرك اليهود من البلاد التي يعانون منها الى بلاد اخـرى يحملون (المشكلة اليهودية) معهـم . وتمسك هرتزل بان الاصلاحـات السياسية والتغيرات الاجتماعية ليست قادرة على استئصال المشكلة اليهـودية ، والاندماج لا يمكن ان يحل سوى مشكلة عدد صغير من الافراد ، ولكن الامة كلها لا تريد ان تندمج، واستنتج من ذلك ان المسألة اليهودية ليست مسألة دينية او اجتماعية ، بـل هـي قومية . ولذلك من الضروري ايجاد حل قومي لمشكلة اليهود الذين لا يريدون الاندماج او لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، فدعا الى ايجاد دولة مستقلة ذاتيا في بلـد ملائم (ليس من الضروري ان يكون فلسطين) ، ينهي تطواف اليهـود على وجـه الارض ويكسبهم الاحترام الذاتي بانتمائهم الى دولة يهودية (٤٦) .

اثار كتابه هذا ردود فعل قوية بين اليهود في كل من اوروبه الشرقية والغربية ، واعجب به المشبعون بفكرة القومية الحديثة ، وايدته الرأسمالية اليهودية التي ترى في الرأسمالية الاجنبية خطرا على مصالحها ، ووجـدت في الدولة اليهودية طريقـة تضمن لها هذه المصالح وتمكنها من توسيعها والتدرج بها ، واعجب به احباء صهيون وسعوا لاقناع هرتزل في جعل فلسطين مركز الدولة اليهودية. وفي مؤتمر بال الصهيوني الاول الذي دعا اليه هرتزل في سويسره (آب ، اغسطس ١٨٩٧) ، تصارعت الافكار والاساليب بين جماعة (احباء صهيون) الذين يريدون مركزا روحيـا في فلسطين ، ويمثلهم آحاد هاعام (٤٧) صاحب مدرسة التفكير المعروفة بـ « الصهيونية الروحية »

---

٤٥ ـ Weizmann, p. 61.
* «Der Judenstaat»
٤٦ ـ Cohen, Aharon, p. 38.
٤٧ ـ كان هذا هو الاسم المستعار ومعناه « احد الناس » الذي يوقـع به المفكر اليهودي آشر غنسبـرغ

(التتمة على الصفحة التالية)

وبين انصار الدولة اليهودية من يهود غرب اوروبه الذين تعضدهم الرأسمالية اليهودية وكانوا يريدون دولة مدنية عصرية كاملة أينما تيسر ذلك (٤٨) . ولكـن الراي الـذي انتصر داخل المؤتمر هو الذي يعتبر فلسطين اصلح مكان لتجميع اليهود ، ولكن ليس عن طريق الاستيطان البطيء غير المضمون وذي الطابع الاحساني المحض، والذي يجعل من فلسطين رمزا لأمل بعيد ، بل بأساليب ذات هدف سياسي محـدد للحصول في المستقبل القريب على فلسطين بشكل دولة يهودية ذات سيادة او مستقلة ذاتيا (وهو ما اصطلحوا على تسميته بالوطن القومي) عن طريق وثيقة مـن السلطان مضمونـة دوليا . هذه التسوية السياسية عرفت باسم برنامج بال (٤٩) .

ان الحجة التي وضعت في هذا المؤتمر لصالح التمركز في فلسطين ، لو تركنـا جانبا التذرع بالمشاعر والتقاليد الدينية ، هي انها ملجأ للسكان اليهود المضطهديـن والمعدمين من روسيه وشرق اوروبه . لقد كان في روسيه وحدها اكثر مـن ٤ ملايين يهودي ، ولا يظن ان اي صهيوني داخل المؤتمر كان يأمل (بعودة) نسبة كبيرة مـن اليهود الى بلد صغير ذي امكانيات قليلة كفلسطين ، وخاصة ان المهاجرين الى اميركه بامكانهم ان يشقوا طريقهم اقتصاديا بسهولة وسرعة اكثر من المهاجرين الى فلسطين . ومع ذلك فقد كان هناك اصرار وتشبث من اجل تحقيق الوطن القومي في فلسطين .

حسب برنامج بال ، كرس هرتزل جهوده وجهود المنظمة الصهيونية (٥٠) التـي

(Asher Ginsburg) مقالاته . وقد نشرت هذه المقالات بالعبرية تحت عنوان «عند مفترق الطرق» عام ١٩٠٢ . وترجمت الى لغات عدة ، وقام بترجمة مختارات منها عن العبرية تلميـذ آحاد هاعام وصديقه L. Simon عام ١٩١٢ بعنوان **Selected Essays by Ahad Haam**, Philadelphia, 1912, The Jewish Publication Society of America.
واعيد طبعها سنة ١٩٣٦ .

٤٨ ـ نقولا ، جبر ، ص ٤٦ .
٤٩ ـ ينص برنامج بال على ان هدف الصهيونية هو انشاء وطـن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنـه القانون العام . ولتحقيق هذا الهدف يرى المؤتمر الوسائل التالية :
أ ـ تطوير الاستيطان في فلسطين على اسس مناسبة من قبل العمال اليهود الزراعيين والصناعيين.
ب ـ تنظيم ودمج كل اليهودية بواسطة مؤسسات مناسبة محلية ودولية طبقا لقوانين كل بلد .
جـ ـ تقوية وتعزيز الشعور والوعي القوميين لدى اليهود .
د ـ خطوات تمهيدية من اجل الحصول على موافقة حكومية عند الضرورة لتحقيق اهداف الصهيونية.
٥٠ ـ السلطة العليا للمنظمة الصهيونية تتمثل في المؤتمر الصهيوني الـذي يجتمع سنويا (واصبـح كل سنتين فيما بعد) في مدينة اوروبية ـ ويرسل دافعـو الشاقل Shekel مندوبيهم الـى المؤتمـر (والشاقل هو المساهمة المالية التي تدفع الى المنظمة) وكل مجموعة من ٨٠٠ عضو لها حق بممثل. ويتراوح العدد الذي يشترك في المؤتمرات الصهيونية بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ عضو يمثلون ١٠,٠٠٠ عضو . والمؤتمر الصهيوني يقرر الخطوط الرئيسية للسياسة في الناحية العملية والسياسية ويوافق على الميزانية المقدرة للنفقات لكل دائرة وينتخب رئيسا وجهازا تنفيذيـا يكلف بمسؤولية القـرارات وتنفيذها والاشراف على العمل بين دورتي المؤتمر . وتتركز السلطة التنفيذية في لجنة العمل الكبرى (Greater Actions Committee) وتعرف كذلك باسم (General Council) وتتألف مـن ٢٥ ـ ٥٠ عضوا . ولجنة العمل الصغرى (Smaller Actions Committee) وتعـرف باسم (Executive) وتضم ما بين ٥ ـ ٧ اعضاء ، وهي الجهاز التنفيذي الاعلى Esco, pp. 335 - 336

انشئت ، وكذلك المؤسسات التابعة لها (٥١) لتحقيق مقررات المؤتمرات الصهيونية بموارد عظيمة وعمل سريع . ولخص وايزمان صهيونية هرتزل في كلمات قليلة : « هناك يهود اغنياء ويهود فقراء ... الاغنياء الذين يرغبون في مساعدة الفقراء لديهم نفوذ واسع في مجالس الامم ... ثم هناك سلطان تركيه الذي يريد مالا ... والذي يملك فلسطين ... واكثر اهمية من منح الاغنياء المال للسلطان هو كيفية دفع اليهود الفقراء الى الرحيل الى فلسطين . وهناك خطوتان للعمل : اولا ان يقوم الاغنياء بفتح اكياس نقودهم ... وثانيا اقناع الدول بممارسة ضغط على تركيه وان تكون ضمانا للصفقة » (٥٢) ولم يكن هرتزل يؤمن بمحاولة غزو فلسطين سرا ، وكانت اكثر مناوراته الدبلوماسية تتركز على الامبراطورية العثمانية ، وفي لقاءاته المتعددة مع السلطان ، كان يسعى للحصول على ميثاق يحتفظ بشكل ما من اشكال السيادة العثمانية على فلسطين ، ويعترف قانونا باستيطان يهودي فيها بشيء قريب من الحكومة المحلية (٥٣) . وفي محاولة التأثير على السلطان يقول « ... دعونا نأتي الى فلسطين ... حيث لا نعتبر كغرباء ، ونحن سوف نضمن لكم ـ الى جانب المبالغ نقدا ـ تطور مجتمع حديث مزدهر في قلب العالم ، ووسيط بين الشرق والغرب ، الذي سوف يدفع الخطوط الحديدية نحو الهند وبغداد ، ويعيد احياء تركيه كما يحيي اسرائيل ... » (٥٤) . ولكن جهود هرتزل لضمان اساس شرعي للهجرة والاستيطان اليهودي اثبتت فشلها ، رغم نشاطه

---

٥١ ـ المؤسسات التابعة للمنظمة الصهيونية والتي تعمل المنظمة عن طريق نشاطاتها على تحقيق اهداف الصهيونية هي :

أ ـ Jewish Colonial Trust وهو الجهاز المالي الرئيسي للمنظمة الصهيونية الذي اقترحه هرتزل وتأسس عام ١٨٩٩ في لندن كشركة انجليزية ورأسماله مليوني جنيه استرليني .

ب ـ Anglo Palestine Co. وهو بنك متفرع عن Jewish Colonial Trust ، مسجل في لندن برأسمال قدره ١٠٠,٠٠٠ استرليني ومركزه الرئيسي في يافا ثم فتح فروعا في القدس وفي مدن اخرى من فلسطين لتمويل المستوطنين اليهود والمشاريع الصهيونية .

ج ـ Anglo Levantine Banking Co. وهو مؤسسة متفرعة عن Jewish Colonial Trust اسست سنة ١٩٠٨ في لندن برأسمال مسجل ١٠٠,٠٠٠ استرليني (ومركزها الاستانة) للتجارة مع الشرق الادنى .

د ـ Jewish National Fund او Keren Kayemeth وهو مسجل كشركة انجليزية تأسس عام ١٩٠٢ للحصول على اراضي في فلسطين تكون ملكا للشعب اليهودي غير قابل للتحويل (تبرع له بـ ٣٠٠ الف استرليني) .

هـ ـ Palestine Land Development Co. تأسس سنة ١٩٠٨ بعد انشاء مكتب فلسطين بادارة ارثر روبن برأسمال ١٧,٥٠٠ استرليني .

٥٢ ـ Weizmann, pp. 62 - 63.

٥٣ ـ عن لقاءات هرتزل والسلطان انظر :

The Complete Diaries of Theodore Herzel, Translated by H. Zohn, New York, 1960.

٥٤ ـ مقال زانغويل عن الصهيونية سنة ١٨٩٩ في

Simon, M., (ed.), **Speeches Articles & Letters of I. Zangwill,** London 1937, pp. 158 - 159.

الكبير ، وشخصيته القوية ، وتنقله بين اوروبه واميركه وآسيه ، وحثه اليهود الاغنياء للحصول على المساعدة المالية ، وتوسطه بين الدول للضغط على تركيه ، وترؤسه لسلسلة مؤتمرات صهيونية في بال وغيرها .

لقد كانت تقف امام هذا المخطط للحصول على فلسطين عقبات ... « ... فلسطين ارض معركة لتعصب متنازع ... لانها الارض المقدسة للديانات الثلاث » (٥٥) . وفوق هذا كله كانت الحكومة التركية تتمسك بقوة للحفاظ على تماسك الامبراطورية ، ولا يمكنها ان تقبل اي اقتراحات من شأنها ان تضعف من اشرافها على فلسطين او تؤدي الى فصلها عن الامبراطورية . وكان السلطان يكره اضافة مسألة يهودية الى التنافسات العرقية والدينية المتعددة ، او زيادة عدد القوميات الاجنبية التي كانت مستثناة من القانون التركي بفضل الامتيازات . كان على استعداد لان يستوطن اليهود هنا او هناك ، ولكن دون حقوق يهودية خاصة ، ولم يكن هذا هو الحل الصهيوني للمسألة اليهودية كما يتصوره هرتزل . وهكذا رفض السلطان « ان يمنح اليهودية المتشوقة ميثاقا حتى مقابل الملايين » (٥٦) وعلى لسان السفير العثماني في واشنطن اعلن بوضوح انه لن يبيع فلسطين (٥٧) واوقف الباب العالي اي هجرة تالية لليهود الروس نحو فلسطين .

٦ ـ الموقف العثماني من النشاط الصهيوني في فلسطين :

والواقع ان الشكوك التركية في الهجرة والاستيطان اليهودي قديمة ، كما شرح ذلك القنصل البريطاني في القدس بلش (Blech) في رسالته الى السفير اوكونر (O'Coner) في الاستانة ، في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧ ، وهو يوضح تطور الموقف العثماني من التدفق اليهودي (٥٨) ، واضاف : « ... انه حين اضطهد اليهود في روسيه سنة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ لم يكن للسكان اليهود في فلسطين اية اهمية ... ولكن منذ ١٨٨٢ بدأ تيار الهجرة يتدفق ... ومرت خمس سنوات قبل ان تتحقق الحكومة التركية من ان هناك خطرا ينجم عن استيطان اليهود الاجانب بأعداد كبيرة داخل اقليمها ، وفي عام ١٨٨٧ فقط صدرت الاوامر الاولى من اجل الهجرة ... وظلت هذه الاوامر تتكرر دوما بتعديل طفيف » . وكانت الاوامر الاولى التي وجهت الى حكام القدس ويافا تسمح لليهود بالدخول الى البلاد فقط كحجاج او زوار ، وكل يهودي يصل الى يافا عليه ان يدفع ٥٠ ليرة تركية كتعهد بان يغادر فلسطين خلال ٣١ يوما (٥٩) . وقد بررت الدولة العثمانية هذا المنع بما يلحق البلاد من ضرر على الاحوال الصحية

---

٥٥ ـ يقول زانغويل (**المصدر السابق** ص ١٦١) : « ... انه لو فرض وحصل اليهود على فلسطين ، فان القدس تستثنى منها ، وفلسطين بدون القدس ... هملت بدون امير الدانمرك » .

٥٦ ـ **Ibid,** p. 80.

٥٧ ـ **Ibid,** p. 166.

٥٨ ـ Hyamson, A., **The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews in Palestine,** London, 1939 - 1941, p. 571.

٥٩ ـ من ديسكون (القدس) الى اوكونر (الاستانة) **Ibid,** p. 558.

وعلى احوال الامن العام (٦٠) . ويرى السفير البريطاني اوكونر في رسالته الى الخارجية البريطانية في ١٣ آب (اغسطس) سنة ١٩٠٠ (٦١) ان السلطات التركية لها بعض العذر في ذلك « ... فغالبية اليهود الذين يصلون فلسطين هم من الطبقة المهاجرة والمعدمة والمؤسسات الخيرية المتعددة لايواء واعاشة مثل هؤلاء اليهود هي برهان واضح على ذلك ، ونظام « التسول الديني » الذي يشجعه الحاخامية لجمع التبرعات في كل انحاء العالم بهدف اعاشة اليهود الفقراء ، هو تأكيد ابعد عن الحالة العامة للمجتمع اليهودي في فلسطين ، هذا النظام المعروف باسم حالوكا هو اكثر المؤسسات ضررا لكونها تشجع على النهب والكسل ... » . وربما كان تزايد القلق حول الاستيطان اليهودي ، كما يرى (هوغارت) احد البريطانيين المتخصصين في امور الشرق الاوسط خلال الحرب الاولى ، هو الذي « دفع السلطان عبد الحميد عام ١٨٨٧ الى جعل القدس سنجقا مستقلا عن ولاية دمشق ، ومتصرفية لها اتصال مباشر بالباب العالي » (٦٢) .

اضيف الى كل ذلك « المظهر السياسي الذي اتخذته المسألة نتيجة الحركة الصهيونية » (٦٣) وكان ان صدرت عام ١٨٩٩ قوانين جديدة وضعت بهدف منع استيطان اليهود في فلسطين ، وارسلت الى القدس ويافا لتنفيذها ، كما وزعت نسخ منها على الهيئات القنصلية في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٠ بعنوان « القوانين المتعلقة بالزوار العبرانيين للاراضي المقدسة » . هذه القوانين الغت تأمين الـ ٥٠ ليرة تركية وتحديد الاقامة بـ ٣١ يوما ، وسمح لكل يهودي اجنبي يزور فلسطين بالاقامة فيها مدة ٣ اشهر ، وعند نزوله الى اي ميناء في ولاية بيروت او في متصرفية القدس يسلم جواز سفره ويتسلم بدلا منه تذكرة خاصة (تتميز بلون (٦٤) وشكل خاص لكي يسهل تمييزها عن التذاكر العادية ، مقابل قرش واحد) ، تذكر فيها المهنة والجنسية وسبب الرحلة . وعند انتهاء الاشهر الثلاثة تقوم السلطات المحلية بترحيل اليهودي عن البلاد (اذا رفض مغادرتها) عن طريق القنصلية ذات العلاقة ، نظرا لما لها من حق السلطة القضائية عليه . ونصت القوانين على وجوب حفظ سجل شهري لتواريخ وتفاصيل مثل هذه التذاكر المؤقتة ، توزع على السلطات المحلية والبوليس من اجل ابعاد الذين تجاوزوا فترة الاقامة . وكان القنصل البريطاني في القدس ديكسون (Dickson) قد علم من المتصرف في القدس ان الاسباب الحقيقية لهذه الاجراءات الصارمة ليست صحية ـ كما كانت حين وضعت في الاصل ـ ولكنها سياسية ، وتأكد

---

٦٠ ـ اشارت جريدة **المؤيد** في ١٨٩١/١١/٥ بان « الدولة العلية كانت قد رحبت بالمهاجرين من يهود روسيا فكانت بذلك اعرف الدول بحقوق الانسانية ولكنها رأت بعد ذلك انهم يفدون الى البلاد التي يقصدونها زمرا وجماعات بحيث يضيق عنهم فضاء تلك البلدان ، وسينشأ عن ذلك حدوث امراض معدية وحميات مضرة ، فلما تدبر الباب العالي في المضار التي تلحق الرعايا العثمانيين من وفودهم بهذه الصفة اضطرت ان تمنع دخولهم الاراضي العثمانية » .

٦١ ـ Hyamson, p. 557.

٦٢ ـ Arab Bureau Papers, **Syria, Political Situation Since 1880 - F.O. 882/17.**

٦٣ ـ **Hyamson, p. 558.**

٦٤ ـ اصطلح على اتخاذ اللون الاحمر تمييزا له .

ان سعي الحركة الصهيونية لتوطين اليهود في فلسطين شكل قلقا خطيرا في الاستانة (٦٥) . وقد اتبع الباب العالي هذا الاجراء بقانون يمنع اليهود الاجانب من التملك (٦٦) .

وقد وجد اليهود منذ البداية حماية في الهيئات القنصلية الاجنبية عن طريق نظام الامتيازات . وكانت الحكومة البريطانية اكثر الدول اهتماما بأوضاع اليهود في فلسطين ، فقد بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر تمد الحماية على اليهود من رعايا الدول الاجنبية الذين فقدوا حماية هذه الدول ، وكانت هذه خاصة بالرعايا الروس اولا ، ثم امتدت الى رعايا الدول الاخرى (٦٧) . وكانت القيود التي وضعت على هجرة اليهود الاجانب الى فلسطين موضع مراسلات عديدة بين السفارة البريطانية في الاستانة والباب العالي (١٨٩١ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩) عبّرت فيه الاولى عن وجهة نظر الخارجية حول الموضوع ، اذ انها لا تقبل اجراء عاما يحرم الرعايا البريطانيين ـ على اساس ديانتهم ـ من التمتع بحقوق الامتيازات في الاقامة والسفر الى فلسطين وغيرها ... واذا كان ثمة قيد تقبله فهو ما تفرضه الاسس الصحية او الازدحام او الاضرار بالامن العام » (٦٨) وقد اثارت هذه التعليمات صعوبات بالغة في وجه الهيئات القنصلية البريطانية في فلسطين ، شعر بها القنصل ديكسون في علاقاته مع السلطات التركية بسبب اولئك اليهود ، من رومانيه وروسيه وغيرها ، الذين يتوجهون الى احدى المستعمرات البريطانية لكسب الجنسية والتمكن من دخول فلسطين بجوازات بريطانية ، ويحصلون بالتالي على الحماية التي تقدم الى الرعايا البريطانيين . حتى لقد اقترح في رسالته الى السفير (اوكونر) في ١٣ آب (اغسطس) ١٩٠٠ انه : « لا يجب تقديم اي اعتراض على ابعاد مثل هؤلاء عند نهاية الشهور الثلاثة » (٦٩) ، ومع ان (اوكونر) قد ابلغ الباب العالي مرارا بوجهة نظر حكومته ، واعترض مع سائر الهيئات القنصلية على القوانين الجديدة ، الا انه كان يوافق ديكسون على رأيه بان « هناك اعتراضات خطيرة لكوننا نصبنا انفسنا طوعا حماة للمهاجرين اليهود من روسيه » (٧٠) . وفي الحقيقة ، لم يكن للسلطات التركية منذ البداية صلاحية طرد الرعايا الاجانب اليهود ،

---

٦٥ ـ من رسالة رفعها اوكونر الى سولسبري (Salisbury) في ١٨٩٩/٢/٢٤ . Hyamson, p. 546

٦٦ ـ في الماضي كان يباح للاجنبي الاتجار مع البلاد العثمانية والمكوث فيها دون ان يملك اقل قطعة من الارض ، لان الشرع الاسلامي لا يبيح له دخول البلاد الاسلامية الا اذا قبل احد امرين الجزية او الاسلام ، واذا دخلها فلا يقيم بها الا لاجل معين ، الى ان تغير ذلك في ٧ صفر ١٢٨٤ (١٨٥٦) بصدور الخط الهمايوني الذي يساوي بين حق الاجنبي وحق العثماني في الامتلاك العقاري بالبلاد العثمانية . ولكن الاوامر الجديدة كانت تستثني اليهود الاجانب من التملك في فلسطين .

٦٧ ـ Hyamson, p. 361.
قسمت الحكومة هؤلاء اليهود الى فئتين : الاولى وافرادها من هم فوق ٥٠ سنة قد منحوا الحماية شخصيا مدى الحياة ، والثانية افرادها من هم دون ٥٠ سنة ، وقد منحوا الحماية حتى عام ١٨٩٠ حيث سقطت عنهم واصبحوا آليا عثمانيين ، الا الذين سافروا الى بريطانيه او احدى المستعمرات للحصول على الجنسية .

٦٨ ـ رسالة اوكونر الى سالسبري ، ١٨٩٩/٢/٢٤ . **Ibid**, p. 546.

٦٩ ـ رسالة ديكسون الى اوكونر ١٩٠٠/٨/١٣ **المصدر نفسه** ، ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ .

٧٠ ـ رسالة اوكونر الى لانسداون (Lansdowne) ١٩٠١/١/٢٧ ، **المصدر نفسه** ، ص ٥٦٠ .

فقد كانت ، في ظل نظام الامتيازات ، مضطرة للرجوع الى القناصل ذوي العلاقة لطلب مساعدتهم ، ولكن هؤلاء رفضوا التعاون عمليا (٧١) . امر آخر كان يجعل هذه القيود التركية غير فعالة ، هو محاولة اليهود التخلص منها في المرافىء التركية ، وتأمين الدخول بتغاضي السلطات المحلية عن طريق الرشوة (٧٢) .

ورغم ذلك ، فان القيود العثمانية كانت تعوق الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية. ويبدو ان هرتزل قد يئس من تغيير وجهة نظر السلطان في فترة معقولة وتبين المصاعب التي تقف في طريق برنامج بال . وفكر في انه لو ... « استطاع اليهود الحصول على حقوق يهودية في اي مكان في العالم ، فان هذا الاعتراف بالقومية اليهودية يحملهم ايضا الى منتصف الطريق الى فلسطين ، وينقلهم من حشد خليط الى شعب » (٧٣) ومن اجل مخطط بديل ، كي يؤسس خارج فلسطين مستوطنة يهودية مستقلة ، دخل في مفاوضات مع الحكومة البريطانية ، التي كان قد حوّل انظاره اليها بعد يأسه من تركيه ، والتي كان يعتبرها الدولة الاكثر ميلا نحو القضية الصهيونية ، للحصول على اقليم مناسب في سيناء اولا ، ثم في افريقيه الشرقية البريطانية (اوغنده) . ولكن ، نتيجة للصراع القوي الذي برز في المعسكر الصهيوني حول اقتراح اوغنده بين صهيونيي الغرب وصهيونيي روسيه ، الذين كانوا يهود (الجيتو) الوحيدين الباقين (٧٤) ، رفض البديل الثاني لفلسطين كما رفض البديل الاول (سيناء) ، وتوصل المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ (وكان هرتزل قد مات) الى قرار بان فلسطين وحدها يمكن أن تعتبر من قبل الصهيونيين ارضا للدولة اليهودية المقبلة (٧٥) .

٧ ـ العمل الصهيوني بعد هرتزل :

لاقت الحركة الصهيونية تراجعا نتيجة لرفض مشروع اوغنده ولوفاة هرتزل ،

---

٧١ ـ من قنصل بيروت الى دي بونسن (de Bunsen) (القائم بالاعمال البريطاني في الاستانة) في رسالة ١٩٠١/١/١٣ ، **المصدر نفسه** ، ص ٥٦٢ .

٧٢ ـ جاء في وثيقة تركية عن سجل موظفي الداخلية في الحكومة العثمانية (داخلية مأمور لرينك سجلي) الكتاب الاول ٣٩٩/٣٩٨ عن عبد السلام بن عمر الحسيني قائمقام يافا (حزيران ، يونيو ١٨٩٨) انه كان قد اتهم من قبل السلطات العثمانية بأخذ رشوة من اليهود المنوعين من الاقامة في البلاد وذلك للسماح لهم بدخول الميناء دون تسجيل او تقديم اوراق تحقيق الشخصية وعزل من اجل ذلك مع جملة اتهامات اخرى ...) .
وقد اوضح وايزمان في مذكراته (ص ٤١) :
« ... كنا نعرف ان ابواب فلسطين كانت مغلقة ، وان اليهودي كان يمكن ان يطرد حالا من قبل السلطات ... وان القانون التركي يمنع الحصول على الاراضي... ولو اننا حاولنا ان نكون نظاميين لفزعنا ، ولكننا عبرنا عن طريق ملتو ، فاليهود قد استقروا في فلسطين ولم يطردوا ... واشتروا ارضا ... احيانا عن طريق رجال صورة ... او بالرشوة ... لان الجهاز التركي كان فاسدا ... وفي ظل هذا النظام منيت المستعمرات الصهيونية الاولى ... » .

٧٣ ـ من مقال لزانغويل في : Simon, M., (ed.) p. 81 .

٧٤ ـ Weizmann, pp. 72 - 74.

٧٥ ـ انظر الفصل السادس .

وانشقت فئة من الجهاز الصهيوني بزعامة زانغويل ، الذي كان متلهفا على ايجاد وطن لفقراء اليهود والمضطهدين منهم ، حتى لو لم يكن فلسطين ، لان ذلك افضل من عدم ايجاد وطن . وتكونت منظمة منفصلة عرفت باسم Jewish Territorial Organization وعرفت اختصارا باسم ITO ، بدأت عملية تطواف في العالم لانشاء مستوطنات يهودية خارج فلسطين . ومع انها لاقت دعما من بعض الاثرياء ، وحتى من بعض الحكومات ، الا ان مساعيها لم تثمر (٧٦) . واتخذ هذا النزاع بين معارضي مشروع اوغنده والصهيونيين الكلاسيكيين داخل المنظمة الصهيونية صفة معارضة بين العمليين والسياسيين . فبينما اعتقد الاولون ان الجهد الرئيسي للحركة الصهيونية يجب ان يكرس للاستيطان والعمل الثقافي في فلسطين ، كانت الجماعة الاخرى تتبع خط هرتزل المتمسك بان المنظمة يجب ان لا تبدأ النشاط العملي في فلسطين قبل الحصول على ضمانات سياسية كافية (٧٧) . وفي الحقيقة ان المدرسة العملية ـ كما يقول وايزمان ـ لم تكن ضد النشاط السياسي كما كان التصور دوما ، بل رأت ان النشاط السياسي وحده ليس كافيا ، بل يجب ان يصاحبه الاحتلال الحقيقي للارض (فلسطين) (٧٨) .

وهكذا فان مركز الثقل في المنظمة قد بدأ يتغير بوفاة هرتزل ، من محاولة الحصول على ميثاق ، الى عملية تغلغل الى فلسطين (٧٩) . وكانت عملية الاستيطان ـ التي كانت قد انقطعت خلال عمل هرتزل السياسي ـ قد استؤنفت بموجة جديدة من المهاجرين قدمت من روسيه لاحياء فكرة البيلو ، واعتبرت هذه الموجة الجديدة (او العالية الثانية) ان النشاط العملي في فلسطين يجب ان يلعب الدور الرئيسي في الحركة الصهيونية ، وانه من اجل اعداد فلسطين لاستيطان يهودي جماعي ، يجب استخدام « العمل اليهودي » في كل نواحي الاقتصاد وخاصة في الزراعة ، عبّروا عن ذلك بشعار (قهر الارض عن طريق العمل) (٨٠) .

الا ان صورة العمل الاستيطاني في ذلك الوقت لم تكن تبشر بالتفاؤل . وقدم بلش (القنصل البريطاني في القدس) في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٧ الى السفير اوكونر (٨١) صورة واقعية عن اوضاع اليهود في فلسطين في ذلك الحين ، اذ رغم المعلومات التي جمعها من مصادر متعددة حول ضخامة التدفق اليهودي الى فلسطين في السنوات الاخيرة . فان هذا لا يعني ان اوضاعهم كانت مزدهرة « ... فنسبة كبيرة من هذه الاعداد تعتمد في اعالتها على هبات من الخارج ... ولكن كثيرا من المؤسسات

---

٧٦ ـ انظر الفصل السادس عن منظمة ITO .

٧٧ ـ **ESCO, p. 49.**

٧٨ ـ اطلق وايزمان على هذا الاتجاه اسم « الصهيونية التركيبية » **Weizmann, p. 156**

٧٩ ـ كانت قد شكلت لجنة تنفيذية مثل بها بعض الصهيونيين العمليين جاكوبسون (Jocobson) واوسشكين (Ussishkin) وتشيلنو (Tschlenow) وانتخب واربورغ Warburg رئيسا للجنة وهو مهندس زراعي من المانيه ، اما المنظمة الصهيونية فقد تولتها بعد وفاة هرتزل لجنة مركزية برئاسة ولفسون (Wolffsohn) صديق هرتزل .

٨٠ ـ Ben Gurion, **The Jews in Their Land**, p. 280.

٨١ ـ Hyamson, pp. 569 - 571.

الخيرية المحلية تدفع مبالغ كبيرة لمساعدة اليهود على مغادرة البلاد ، فكثيرون يذهبون الى مصر والسودان ، حيث تبدو توقعات النجاح اكثر بريقا ... » . لقد كان بلش واثقا عام ١٩٠٧ « انه ليس هناك سوى تلك الفئة المتحمسة ، التي لديها ايمان كبير بانشاء الدولة اليهودية خلال المستقبل القريب ، وان ذوي التفكير المعتدل قد تحولوا عن هذه التنبؤات الخيالية الى وقائع عملية لهجرة واسعة ، يوجه فيها اليهود – بنجاح – الى الارجنتين وكنده والولايات المتحدة ... » لقد توصل بلش الى نتيجة تفيد ان فلسطين ، بتربتها ومناخها ومواردها ، ليست بقادرة على ان تستوعب – في الظروف الحالية – عددا يزيد على ضعف عدد سكانها الحالي ، ولذلك فهو لا يرى ان هناك اساسا للمخاوف التي ابداها موظف تركي كبير حين ذكر امامه مؤخرا ان هناك حوالي ١٢ مليون يهودي في العالم ، فتساءل مستغربا « ... يالله ليسوا جميعا قادمين الى فلسطين ؟... هل هم ؟ » . وقد كتب رحالة انجليزي اسمه دانينج (H.W. Dunning) كان قد زار المنطقة في ذلك الوقت (٨٢) عما شاهده من احوال اليهود ، ووصفهم بقوله « ... هم اكثر انواع الكائنات البشرية عقما وانحطاطا ، ... وفضيلتهم الوحيدة هي انتمائهم الى العرق المقدس ... وهم يتوزعون في كل المدن ، تماما كما يفعل اقرانهم في كل العالم ، يعيشون لانفسهم ، معادين للمسلمين وللمسيحيين ، مرابين لو وجدوا الامكانيات ، قذرين في عاداتهم ، كثيري التشكك والدقة في الحفاظ على شعائرهم . المستعمرات اليهودية لم يمض على تأسيسها زمن كاف كي يحكم عليها بعدل ... الا انه من المأمون القول انها فشلت كثيرا عن التوقعات المنتظرة ، وبعضها كان فشله مطلقا ، واخرى تكافح ، وربما تصل في النهاية الى قدر من النجاح والازدهار ، اليهودي الحديث ليس مزارعا ، اولئك الذين يرغبون ، وبنفس الوقت هم يرغبون في المجيء كمعدمين يستحقون المساعدة ، ليسوا مادة صالحة للتجربة الاحسانية » (٨٣) .

ورغم ذلك ، فقد اقر المؤتمر الصهيوني الثامن استئناف النشاط العملي في فلسطين ، وقامت عدة شخصيات صهيونية بزيارات استطلاعية الى فلسطين لدراسة امكانياتها ، بدأها وايزمان بحجة تحري امكانيات انشاء مشاريع صناعية في فلسطين . وفي رحلته (التي استغرقت ثلاثة اسابيع) (٨٤) اعترف بان المحاولات الاولى كانت فاشلة وافراد الطلائع الاولى قد فقدوا حيويتهم ، ويعتمدون على مساعدات خارجية ، بينما ابناؤهم يتركون المستوطنات ويذهبون الى المدن او الى « المنفى الذي جاءوا منه املا في بناء وطن » ، كما انه تقزز من منظر القدس القائمة على التسول (٨٥) ، ولم تمنعه خيبة امله بما شاهده ، ووجود صعوبات مادية ومعنوية « تبدو مخيفة بالنسبة

٨٢ – الف كتابا اسمه Today in Palestine نشر سنة ١٩٠٨ (لندن) .

٨٣ – Ibid, p. 253.

٨٤ – Weizmann, pp. 159 - 169.

٨٥ – يذكر وايزمان ان انظاره قد وقعت في القدس على مكان لا تشغله كنيسة او دير على جبل سكوبس ، تشغله فيلا صغيرة تملكها جراي هيل (Lady Gray Hill) من اجل تخطيط مقبل (هو المكان الذي اختير لبناء الجامعة العبرية فيما بعد) .

للطبيب والكيميائي » من ان يعتقد انه يمكن عمل الكثير . واوصى بدعوة « دماء طلائعية جديدة » والتشديد على البرنامج العملي . وكان قد التقى في فلسطين بآرثر روبن (الالماني الروسي) الذي كان قد قدم منذ ربيع ١٩٠٧ مكلفا من المؤتمر الصهيوني بالقيام برحلة استطلاعية في فلسطين . ومع ان روبن قدر غرابة المشكلة وصعوبة اعادة رجل المدينة اليهودي الى الحياة الزراعية ، وتغيير كل البناء الاجتماعي لليهود خارج فلسطين ، الى جانب ما يقتضيه ذلك من تكيف اليهود القادمين من اوروبه مع بلد واقليم جديدين ، كما عرف ان الاستيطان اليهودي حتى الآن لم يحقق الهدف ، وان نتيجته فقر وهرب من المستوطنات ، وافراد الطلائع الاولى كانوا مثقلين ومجهدين بالعمل وظروف الحياة الصعبة ، بينما الجيل الثاني يتطلع الى عمل في الخارج ومع ذلك ، فقد اصر على ان في فلسطين امكانيات كبيرة ، ويمكنها ان تستوعب اعدادا ضخمة رغم صغرها (٨٦) . وعاد الى فيينه ليقدم تقريره امام جمعية الاستيطان اليهودي في ٢٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٨ ، عن الاوضاع التي لاحظها خلال اقامة ستة الشهور في فلسطين ، كما قدم برنامجا مفصلا للعمل ، اوصى فيه بان تنشىء المنظمة الصهيونية شركة استيطان ، مهمتها الحصول على اراضي في المدينة والريف ، لتوزيعها وتخصيصها على الافراد (٨٧) ، وكلف روبن من قبل اللجنة التنفيذية بتولي منصب ممثل المنظمة الصهيونية في فلسطين كمدير للدائرة التي عرفت باسم « مكتب فلسطين » مهمته تقديم معلومات عن فلسطين ، والاشراف على النشاط العملي فيها ، تساعده شركة تطوير اراضي فلسطين Palestine Land Development Co. (٨٨) .

وهكذا ، مع نشوب ثورة تركيه الفتاة في سنة ١٩٠٨ ، كانت الحركة الصهيونية قد بدأت – دون ان تتخلى عن النشاط السياسي – في اتخاذ اهتمام جدي بالعمل الاستيطاني في فلسطين وتعزيز الهجرة اليها ، وتقوية المصالح الاقتصادية والثقافية ، وهو ما اسمته « التغلغل السلمي » في فلسطين . ذكر بيل في تقريره سنة 1918 (٨٩) « ... ان المنظمة الصهيونية قد تحققت انه عندما تصبح غالبية السكان في فلسطين يهودا ، والجزء الاكبر من العمل التجاري والصناعي والزراعي في يد اليهود ... وعندما تصبح الثقافة السائدة يهودية ، فان مشكلة الصهيونية سوف تحل لان فلسطين ستصبح ارضا يهودية ... » .

٨ – رد الفعل العربي للصهيونية حتى عام ١٩٠٨ :

غير انه كانت تنتظر اليهود المهاجرين الى فلسطين ظاهرة هامة ، هي كونها آهلة بسكانها المحليين من العرب ، بعضهم يسكن المدن وبيدهم معظم اعمالها وخاصة

٨٦ – Ruppin, A., The Agricultural Colonization of the Zionist Organization in Palestine, Translated from German, (London, 1926), pp. 1 - 6.
يذكر وايزمان (ص ١٦٥) « ... ان روبن منذ ذلك الوقت قد فكر ببناء تل ابيب على الرمال الساحلية قرب يافا كمدينة يهودية خالصة ومركز للمستوطنات اليهودية حولها » .

٨٧ – Ruppin, A., Three Decades of Palestine, Jerusalem 1936.

٨٨ – Ruppin, A., The Agricultural Colonization, p. 8.

٨٩ – Yale Report, No. 24.22.4, 1918.

التجارة ، وغالبيتهم تعمل بالزراعة . وهم « وان كانت اساليبهم الزراعية بدائية ومستوى معيشتهم منخفضا ، ينتشرون في كل انحاء البلاد ، وبيدهم معظم الاراضي » (٩٠) . وفي نفس الوقت كان هذا الاستيطان الحديث قد حمل الى العرب المحليين نموذجا جديدا من اليهود ، فكان الطائفة القديمة في فلسطين التي تسكن المدن وتعيش داخل مناطقها ، منصرفة الى امورها الدينية وتعيش على الاحسان او على بعض الحرف البسيطة ، وبدأ في الظهور يهود جدد خرقوا مناطق الاستيطان القديم والطريقة التقليدية في الحياة (٩١) . وخلق الاستيطان الحديث فرصا واسعة للنزاع بين المستوطنين الجدد والفلاحين العرب ، وكانت ردود الفعل لهذا التغلغل الصهيوني مبكرة ، رغم انها كانت متقطعة ، ولم تتخذ شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني او تتخذ طابعا سياسيا . وقد علل الكتّاب اليهود اسباب هذه المنازعات بأمر طبيعي يحدث في اي بلد يفد عليها مهاجرون جدد ، وتنشأ طبيعيا عن المواجهة بين عالمين مختلفين . ويرجع آرثر روبن (٩٢) جذور كل المصاعب الى ان اليهود يرغبون في الحفاظ في فلسطين على مستوى اوروبي من الحضارة ، عليها ان تتنافس مع غالبية غير معتادة على هذا المستوى . واستنتج اهارون كوهين (٩٣) من كتابات بعض المستوطنين الاول ان كثيرا من الاصطدامات بين الفئتين ، وخاصة خلال السنوات الاول لانشاء المستعمرات ، قد جرت بسبب جهل اللغة وعادات وطبائع العرب. والقى كالفارسكي، احد المستوطنين القدامى ، والذي كان يبحث عن ايجاد تقارب مع العرب ، اللوم على الطوائف الاشكنازية التي لا تتكلم لغة البلاد ، ولم تكن تألف حياتها وكانت بعيدة عن عادات وطبائع الشرق ، لا شيء يدفعها الى اقامة صلات مشتركة مع السكان ، بل ترى ان « العرب هم ابناء اسماعيل الذين يجلبون الخضار والفواكه والسمك وسائر المنتجات الى السوق » .

وكتب مستوطن آخر من الاوائل هو موسى سميلانسكي ، في مقال له « ...انه منذ اليوم الاول ، اتخذ المواطنون موقفا متشككا تجاه المستوطنين الجدد ، كما يحدث عادة في كل بلد وفي كل زمن ، يشك فيه السكان القدامى بالمستوطنين الجدد ، وخاصة اذا كان السكان الوطنيون لهم طريقة حياة بدائية نسبيا ويشعرون بالضعف والعجز عن مقاومة المهاجرين الجدد الذين يخشون ان يحرموهم من حقوقهم الطبيعية » (٩٤) . ويرى اهارون كوهين « ... ان كل موجة هجرة كانت تصل تدريجيا الى تفهم طريقة العيش العربية كما تتعلم اللغة العربية ، الا انه بوصول موجة جديدة من الهجرة تحمل مستوطنين لا يألفون العادات والسلوك العربيين ، كان عليهم ان يكسبوا هذه

٩٠ – Cohen, Aharon, p. 46.

٩١ – Porath, Y., p. 24.

٩٢ – Ruppin, A., **The Agricultural Colonization**, pp. 2 - 4

٩٣ – Cohen, Aharon, p. 41.

٩٤ – موسى سمالنسكي احد مستوطني رحبوت كتب قصة (**الشيخ عبد القادر**) وكانت اول محاولة في الادب العبري – كما يقول كوهين – لوصف رد الفعل العاطفي للعرب تجاه الاستيطان اليهودي . Cohen, A., p. 46.

التجربة مرة اخرى » . ويرى كوهين ان الهجرة اليهودية اتت في الوقت الذي كانت فيه اوضاع الملكية الزراعية في الامبراطورية العثمانية تتردى الى وضع خطير ، ادى الى افقار الفلاح واغراقه بالديون ووضعه تحت رحمة الملاك الكبار الذين يستغلونه مقابل اجر ثابت او مشاركة بالمحصول (٩٥) ، لكنه لا يعفي المستوطنين من الاخطاء التي ارتكبوها ضد الفلاحين العرب ، واساليب الخداع والرشوة التي اتبعوها في شراء الاراضي ، والتي كان يصحبها غالبا طرد الفلاحين المستأجرين من اراضيهم دون تعويض . ورأى السكان العرب في ذلك تهديدا لمعيشتهم ، مما دفعهم الى شن الهجوم المتواصل على المستعمرات ، حتى ان بعض اليهود قد حذروا من نتائج ذلك على العلاقات مع العرب المأجورين « الذين لن ينسوا اننا اخذنا اراضيهم » .

ونتيجة لهذا الهجوم ، والمنازعات المتكررة ، لجأ المستوطنون اليهود منذ البداية الى انشاء نظام للحراسة والدفاع الذاتي . وادرك مؤسسو هذا النظام – كما يقول احدهم (٩٦) – « ان طريقهم ليس مفروشا بالورود » كما اكد آخر « ان عليهم ان يفعلوا كما فعل اسلافهم في اميركه واستراليه ... انهم يريدون ان يعطوا جيرانهم العرب انطباعا في بلد قانونه السائد هو قانون الصحراء » (٩٧) « لكي يثبتوا ذاتهم ويرهبوا العرب ويكسبوا احترامهم ، وكي يزيحوا من نفوسهم اي فكرة عن امكانية طردهم من البلاد » (٩٨) . وكان على المستوطنات الاولى ان تتولى مسألة الدفاع عن ممتلكاتها وعن وجودها ، واول مستوطنة مرت بهذه التجربة كانت بتاح تكفا ، وكان على سائر المستوطنات ، التي تأسست بعد موجة Bilu الاولى « وسط العزلة في قلب القرى العربية » ، ان تمر بنفس التجربة (٩٩) وبدأ انشاء قوة يهودية منظمة للدفاع « من اجل فتح فلسطين بالقوة » وعلى الرغم من ان هذه المنظمة لم تستمر طويلا ، الا ان محاولة انشائها كانت دليلا على ان المدافعين عن المستوطنات كانوا يشعرون بالمصاعب التي تواجه عملية الاستيطان . وعدم نجاحها الكافي امام تكرار الهجوم دفع موظفي روتشيلد الى البحث عن اساليب جديدة في الحماية « فبدلا من مظاهر القوة ضد جيرانهم وما تحدثه من خسائر وترد للعلاقات اشتروا الحماية من القوى وانشأوا

٩٥ – خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت اجراءات الملكية قد مرت بتطورات كبيرة وادت الى تمركز الملكيات بيد الطبقة الغنية اذ انه نتيجة لعجز الدولة المالي زادت الضرائب على الاراضي وقد نص قانون ١٨٦٠ على مصادرة الاراضي الميري (التي هي للدولة ولمالكها حق الاستثمار فقط) بالمصادرة لو تركت ثلاث سنوات متعاقبة ، وقد سبب هذا ان فقد كثير من المزارعين ارضهم التي بيعت للحكومة وتقدم عدد من الاغنياء لشراء مساحات كبيرة باسعار منخفضة . كما ان قانون الاراضي ١٨٥٨ نص على تسجيل اراضي الفلاحين مقابل (طابو) وحتى لا يسبب ذلك ضرائب جديدة على الفلاحين قاموا بعملية بيع صوري الى (حماة) دفعوا ٥ ٪ من ثمنها كستار فقط ، ولكنهم ما لبثوا ان استغلوا الفلاحين المدينيين .

٩٦ – Golomb, E., **The History of Jewish Self-Defence in Palestine 1878 - 1921,** Tel Aviv, p. 7.

٩٧ – Waters, M., **Haganah, The Story of Jewish Self-Defence in Palestine,** London, 1947, p. 13.

٩٨ – Golomb, p. 15.

٩٩ – **Ibid**, p. 20.

علاقات مع جيرانهم العرب وعهدوا بهذه الحراسة اليهم » . ولم يفلح اسلوب الملاينة هذا في تخفيف الهجوم على المستوطنات التي عجزت عن حماية نفسها ، وهذا ما دفع المستوطنين في فلسطين – حين طرح مشروع اوغنده – ان يكونوا جميعا اوغنديين في موقفهم ، لفقدانهم الامل في الصهيونية وامكانية الاستمرار في عملهم (١٠٠) .

قد تكون هذه هي الخلفية للصدامات المتكررة خلال السنوات الاولى للاستيطان اليهودي ، ولكن نظرة اعمق الى المقاومة العربية للاستيطان ، تدل على ان هناك بداية معارضة سياسية متعمدة للاستيطان اليهودي . فقد كان هناك تخوف كامن من ان يحل القادمون الجدد محل اهل البلاد بعد ان يجردوهم من املاكهم . عبرت عن ذلك اشارات مبكرة ، جاءت اولاها من القدس ، في رسالة نشرت في مجلة الجوائب اللبنانية عام ١٨٦٨ (١٠١) وبعد ان يذكر الكاتب قدوم احد اعضاء الجمعية الاسرائيلية في باريس (اليانس) الى القدس الذي قال « ان مراد الجمعية ان تشتري حقولا ومزارع في الارض المقدسة ليتعلم اولاد اليهود الزراعة والحراثة » يلفت الكاتب نظر الدولة العلية ان تنظر في امرنا وتتدارك احوالنا ، والا فان اليهود لا يلبثون ان يجلونا من هذه الارض كما اجليناهم من جزيرة العرب». ويذكر الياهو Golomb (١٠٢) انه منذ تأسيس بتاح تكفا سنة ١٨٧٨ اعترض رؤوف باشا حاكم القدس التركي الى القنصلين الالماني والروسي ليس على اساس انهم رعايا روسيه او المانيه ، ولكن لانه قد انتشرت بين اليهود احلام العودة الى فلسطين بأعداد كبيرة ، وان ما يفعله ضد هذه المستوطنات انما هو لازاحة هذا « الحلم » . ويضيف Golomb انه سمع نفس هذه الملاحظات في بتاح تكفا حين شكلت لجنة قانونية من افندية وشيوخ المنطقة لدراسة نزاع الاراضي، وعبّر المحتلون العرب عن اسلوب يماثل اقوال رؤوف باشا . وكان هذا الموقف يشجع العامة وبالتالي يؤدي الى زيادة الهجوم ، وتكررت هذه الظاهرة مع موجات الهجرة المتدفقة عام ١٨٩١ التي اثارت تخوفا عاما نتيجة كثرة عدد المهاجرين وازدياد عمليات شراء الاراضي (١٠٣) مما دفع بعض وجهاء القدس الى رفع عريضة الى السلطات التركية وقعها ٥٠٠ من الاهالي يطلبون فيها منع الهجرة وشراء الاراضي من قبل اليهود ، ويذكرون فيها ان اليهود قد سلبوا الاراضي من المسلمين وبدأوا تدريجيا بالسيطرة على كل التجارة المحلية واحضار السلاح الى فلسطين (١٠٤)

---

١٠٠ – Ibid, p. 29.

١٠١ – **الجوائب** عدد ٨/٣٥٦ (صاحبها بطرس البستاني) .

١٠٢ – Golomb, pp. 11 - 13.

١٠٣ – اشارت جريدة **الحقيقة** (الناطقة بلسان يهود الاسكندرية) في ١٨٩١/١٠/١٦ الى عمليات الشراء التي تقوم بها الجمعية الاسرائيلية في يافا وابتياع جمعية اطيان في نقط مختلفة من فلسطين وذلك لحساب الاسرائيليين من مهاجري روسيه في جهة وادي يزرعيل وجهة الجيدرا الواقعة بين عكا وحيفا وفي الشدرة على بعد ٨ ساعات من يافا ومن جهة اللد ، والمخابرة على ابتياع اراضي واقعة في ضواحي غزة . وتشير الجريدة الى التحسن في اسعار الاطيان والى ازدهار احوال الاهالي في هذه الاراضي .

١٠٤ – نقلا عن جريدة Porath, p. 31. Ha Or 27th Nisan, 1891

وتعتبر هذه العريضة اول عمل عربي منظم ضد الهجرة والاستيطان اليهوديين . وكانت على ما يبدو احد الاسباب التي شددت فيها الاستانة قيودها على الهجرة وشراء الاراضي من قبل اليهود . وينقل اهارون كوهين من مذكرات كالفارسكي عن المنازعات التي جرت في منطقة طبريه في اواخر القرن التاسع عشر ، ان قائمقام طبرية امين ارسلان قد اخبره اننا حاربنا ليس ضد مساوىء طرد المستأجرين العرب دون تعويض بل ضد التغير في الصفة القومية للمنطقة (١٠٥) .

ولم ينظر اليهود من جانبهم الى العرب – في محاولاتهم الاولى للاستيطان – كعامل سياسي هام يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار ، بل كانت جهودهم تدور حول تركيه ومن له كلمة فيها من اجل ازاحة القيود المفروضة على عملية الهجرة والاستيطان . الا ان هناك استثناءات قليلة ومتباعدة . وكان احاد هاعام (احد كبار المفكرين في حركة احباء صهيون) من الاوائل الذين تبينوا الخطر الذي قد تضعه المسألة العربية امام تقدم المشروع اليهودي ، فكتب في مقاله « الحقيقة من ارض اسرائيل» (١٠٦) عام ١٨٩١ « ... نحن في خارج فلسطين قد ألفنا الاعتقاد بان العرب جميعا هم وحوش كاسرة من الصحراء ، شعب شبيه بالمغفلين الذين لا يفهمون ما يدور حولهم ، ولكن هذا خطأ كبير ، اذ ان العرب ، مثل كل الساميين ، لديهم ذهن حاد مليء بالفطنة ... العرب، سكان المدن خاصة ، يرون ويفهمون اعمالنا ورغبتنا في البلد ، ولكنهم يتظاهرون بانهم لا يلاحظون ذلك ، انهم يعتقدون ان اعمالنا الحالية ستكون تهديدا لمستقبلهم ، ومن ثم فهم يحاولون ان يستثمرونا وكذلك ان يأخذوا بعض المنفعة من القادمين الجدد ، حيث يكون ذلك ممكنا . وفي نفس الوقت فانهم في داخل نفوسهم يضحكون علينا ... ولكن لو حان الوقت الذي يتطور فيه وجود اخواننا اليهود في فلسطين الى حد كاف لتهديد السكان المواطنين بالابعاد بقدر كبير او صغير ... عندها لن يسلم الاخيرون مراكزهم بسهولة » (١٠٧) . كلمات احاد هاعام لم يكن هدفها عدم تشجيع اي تطور صهيوني في فلسطين ، بل كانت تريد ان تؤكد للزعامة الصهيونية خطورة المشكلة ، وضرورة التخطيط الحريص لتجاوز المصاعب وليس الاستخفاف بها (١٠٨) .

ولقد مرت سنوات عدة قبل ان يعود العرب الى اظهار تخوفهم من الصهيونية، ويعود زعماء الصهيونية الى اعطاء المسألة العربية جانبا من الاهتمام . وقد يعزى ذلك الى ان النشاط الاستيطاني في فلسطين كان ضعيفا جدا بحيث لم يثر اي معارضة ،

---

١٠٥ – Cohen, A., p. 59.

١٠٦ – انتقد آحاد هاعام في المقال نفسه تصرف المستوطنين اليهود تجاه العرب فقال : « ... ماذا يفعل اخواننا في فلسطين ؟.. كانوا عبيدا في ارض منفاهم ، وفجأة وجدوا انفسهم وسط حرية لا حدود لها ... هذا التغير الفجائي قد سبب لهم ميلا للطغيان ، الذي يحدث دائما عندما (يصبح العبد ملكا) ... العربي يمكن ان يبقى ساكنا ويمارس كبحا لمدة طويلة ، ولكنه يحمل في قلبه عداء ويكمن ثأرا ... » . Cohen, A., p. 60.

١٠٧ – Perlmann, M., «Chapters of Arab Jewish Diplomacy,» 1918-1922. **Jewish Social Studies, April 1944, p. 123.**

نقلا عن **Al Parashath Derachim**, Berlin 1921, Vol. I, pp. 27.

١٠٨ – ESCO, p. 22.

والى ان الصهيونيين قد اولوا اهتمامهم الى العمل الدبلوماسي في الخارج اثر عقد المؤتمر الاول (١٨٩٧) ، ولم يثر هذا الحدث اهتماما كبيرا لدى الرأي العام العربي، سوى اشارات عابرة في بعض الصحف والمجلات العربية في مصر (واصحابها سوريون) وقد وردت اول اشارة في المقطم في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٧ في مقال بعنوان « مملكة صهيون » كتبه من باريس امين ارسلان يشير فيه الى مؤتمر بال الذي عقده في سويسره الاسرائيليون واجتماع ما يزيد على مائتي مندوب « للمفاوضة في مشترى اراض فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار اورشليم في الدولة العلية ، وجعلها مملكة اسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية ، عاصمتها القدس الشريف ... » . والكاتب يذكّر القراء ان هذه الفكرة ليست حديثة ، بل لقد فكر اليهود منذ عهد (روتشيلد وهيرش) بشراء قرى كثيرة في نواحي فلسطين وبناء المدن للمهاجرين الاسرائيليين والاهتمام بالزراعة والفلاحة ، وبيّن الكاتب ان مؤتمر سويسره « قد ختم اعماله بما مفاده ان الحزب الصهيوني يدأب في انشاء وطن للاسرائيليين في فلسطين تضمنه شرائع وثيقة ولبلوغ هذه الغاية قرر مساعدة الفلاحين والصناع اليهود على المهاجرة الى فلسطين وعلى التكافؤ والاتحاد ، وقد عين لجنة دائمة في فيينه وفروعا لها في عواصم اوروبه ، وفي نيته الآن ان ينشىء بنكا عظيما لمساعدة اليهود على المهاجرة الى فلسطين وسوريه » . والكاتب ، رغم هذا ، يستبعد امكانية تحقيق تلك المملكة ، وليس ذلك الا « لان المسيحيين لا يرضون ان يبيت بيت المقدس في يد اليهود ... وان للدول حق الاعتراض على الباب العالي اذا اجاز ذلك البيع » ، وكان يرى ان اقصى ما يمكن ان يحققوه هو انهم « ربما اكتفوا بتوسيع نطاق مستعمراتهم هناك واقلعوا عما يسهل فكرا وقولا ويصعب او يستحيل فعلا » .

ونشرت « المقتطف » في اول نيسان (ابريل) ١٨٩٨ (١٠٩) في باب المسائل تحت عنوان « عودة اليهود الى فلسطين » ردا على سؤال ورد اليها من قارىء في فرانكفورت يستفهم عن تلك الحركة التي حدثت فجأة منذ ستة اشهر بين اليهود في بلاد النمسه والمانيه وانجلتره واميركه ، وهي المعروفة باسم الصهيونية ونقل عن الجرائد الاوروبية قولها « ان غاية الصهيونيين انشاء مساكن في فلسطين لليهود المضطهدين في روسيه وبلجاريه ورومانيه وبلاد الفرس والمغرب ، وذلك باذن الدولة العلية وكفالة الدول الاوروبية وتحت حمايتها ، ومرادهم تعمير اراضي فلسطين بالفلاحة والصناعة ...» كما اشار القارىء الى ان هذه الصحف قد استحسنت الرأي وقالت انه قريب المنال لان الدولة العثمانية ترغب في عمار البلاد ، والدول الاوروبية لا تمنع فقراء اليهود من ترك بلادهم ، والانتقال الى البلدان الشرقية ، لكي ينشروا فيها المعارف ويوسعوا التجارة والصناعة » . ويتساءل هذا القارىء فيما اذا اعتنت الجرائد العربية في مصر وسوريه بهذا الامر ، كما يطلب رأي اصحاب المقتطف في « امكان اجرائه » . واوضحت المقتطف في ردها على القارىء ان الجرائد العربية على ما يظهر لم تعتن بهذا الامر اعتناء خاصا وانما « ذكره بعضها مع سائر الاخبار التي يذكرها » ، وهي توافق القارىء على ان

---

١٠٩ ـ **المقتطف** ، مجلد ٢٢ ، ج ٤ ص ٣١٠ ـ ٣١١ .

اليهود الذين اتوا فلسطين حتى الآن اهل صناعة وتجارة ، واذا زاد عددهم قبضوا على كل موارد التجارة واساليب الصناعة ، ولكنها تستبعد ان ينجحوا في الزراعة لانهم ليسوا اهل فلاحة في اي بلد من البلدان التي هم ينتشرون فيها « ... ربما ملكوا الارض وابقوا سكانها حراثين فيها » . انها ترى انه يمكن لاغنياء اليهود في اوروبه ـ لو صمموا ـ ان يبتاعوا الجانب الاكبر من اراضي فلسطين، وينقلوا اخوانهم الفقراء اليها . ويمكن لهؤلاء الفقراء ان يعيشوا هناك بالراحة والرخاء لان « الارض وسيعة وخيراتها كثيرة ، وكانت تمون اضعاف سكانها الحاليين » ، الا انها تستبعد نجاح الصهيونيين وذلك لسبب منطقي واضح بنظرها ، هو ان هناك فرقا شاسعا بين « ما يمكن للانسان وما يقدم عليه » وان «الناس اذا عملوا اعمالهم عن اختيار لا عن اضطرار، جروا في الطريق التي يلاقون فيها اقل المقاومات » . وليس هناك ما يضطر اغنياء اليهود لنقل اخوتهم الى فلسطين « ولا هذا النقل من الهنات الهينات » ، وكذلك ابتياع الاراضي من الحكومة ومن اصحابها ، « ثم ان طلب كفالة الدول الاوروبية وحمايتها لليهود الذين يراد نقلهم الى فلسطين عقبة كبيرة في سبيل هذا الغرض ، لان الدولة العثمانية لا ترضى بذلك عن طيب نفس ... » والاقرب للتحقيق السعي لدى حكومات روسيه ورومانيه والبلجار في اصلاح شأن اليهود .

هذا الرد غير الصريح وغير الشافي لم يقنع رشيد رضا، الذي اهتم ـ بعد ان نشر الخبر كاملا ـ ان يذيله « بالتنبيهات الموجبة لليقظة والاعتبار » (١١٠) ، فقد رأى ان ينتهز فرصة ما تتداوله الجرائد والساسة « بشأن تعمير فقراء اليهود لبلاد فلسطين وبث المعارف وتوسع التجارة والصناعة في ربوعها » لاثارة دعوة جديدة : ان يوقظ في النفوس روح الغيرة وحب الاقتباس في ميدان العلم والعمل لمصلحة الوطن (١١١) ، وهو يوجه دعوته الى « ايقاظ قوم قد رزئوا بالخمول وكاد يعميهم الذهول ، واستلفاتهم الى الروابط المحكمة بين اليهود مع تفرقهم في الممالك وتشتتهم في الاقطار وكيف يمدون سواعدهم لمساعدة اخوانهم ومعاضدة قومهم » ويخاطب القابعين بالخمول بقوله « اترضون ان يسجل في جرائد جميع الدول ان فقراء اضعف الشعوب ، الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقتدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل اربابها اجراء واغنيائها فقراء ». ورأى رشيد رضا ان المسألة جديرة بان تكون باعثا للتفكر والتساؤل ، فدعا الى جعلها « موضوع محاورتكم لتتبينوا هل هي حقة ام باطلة ، صادقة ام كاذبة . ثم اذا تبين لكم انكم مقصرون في حقوق اوطانكم وخدمة امتكم وملتكم ، فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتناظروا في مثل هذا الامر فهو اخلق بالنظر من اختلاق المعائب وانتحال المثالب والصاقها بالبراء ... » .

ربما كانت دعوة رشيد رضا سابقة لأوانها ، فلم تشغل اعمدة الصحافة العربية،

---

١١٠ ـ **المنار** ، مجلد ١ ، عدد ٧٦ ، نيسان (ابريل) ١٨٩٨ ، ص ٤٤ .

١١١ ـ ظل رشيد رضا مع فئة من المفكرين العرب متمسكين بهذه الدعوة خلال الفترة التي سبقت الحرب في موقفهم من الخطر الصهيوني .

ولم تثر الاهتمام الذي طلبه الا نادرا . وقد اشار الاب هنري لامنس اليسوعي ، في مجلة المشرق ١٨٩٩ (١١٢) ، في بحث مطول عن « اليهود في فلسطين ومستعمراتهم » الى ان الداعي له الى هذا البحث هو ما ذكرته الاعداد الاخيرة من جرائد الاستانة وفيها كلام مسهب عن اليهود وانتشارهم في فلسطين « ... وربما استلفت اصحاب هذه المقالات انظار ذوي الامر الى استدراك ما يعدونه مخالفا لنظام الدولة ، ويؤيدون قولهم بذكر الاوامر الشريفة التي كررتها مرارا الحضرة السلطانية في هذا الشأن » ، واكتفى الاب لامنس باستعراض لما اوجده اليهود من مستعمرات دون تعليق . الا ان احد اصحاب المقتطف (شاهين مكاريوس) اشاد باعمال الجمعية الصهيونية ، وما جلبه الاستيطان اليهودي على فلسطين من عمران ، في كتاب نشرته مطبعة المقتطف عام ١٩٠٤ باسم (تاريخ الاسرائيليين) اهداه الى فيلكس سوارس ، رئيس الطائفةاليهودية في مصر ، وهو يعرض فيه بشكل مفصل تاريخ الامة الاسرائيلية وخاصة في مصر ، ويشير الى نشأة الجمعية الصهيونية واعمال هرتزل ، ثم ينتهي الى القول « ... ان من آثار هذه الجمعيات وخيراتها شراء قرية المطلة في قضاء مرجعيون بولاية بيروت واستيطان الاسرائيليين لها وشراء اراضي في جهات الحولة وطبريه ويافا وحيفا وغيرها حيثاستوطنها اليهود وابدلوا حالتها منعسر الى يسر ، ومن جدب الىخصب...».

وفي الوقت الذي كان فيه الصهيونيون يسعون لتحقيق هدفهم السياسي بعد المؤتمر الاول ، لم تعر الزعامة الصهيونية في الخارج ـ وحتى اليهود في فلسطين ـ اهتماما خطيرا للمسألة العربية . كانت وجهة نظر الصهيونية العامة بالنسبة الى العرب ترى ان المنافع الاقتصادية وامكانيات التقدم الفني والثقافي التي تحملها الهجرة اليهودية ، كفيلة بجعل عرب فلسطين يرون في الهجرة فائدة لهم ، فلا يضعون عراقيل في طريقها . هذا الرأي كان ايضا في جذور تفكير هرتزل حول الموضوع ، وظل سائدا لمدة طويلة (١١٣) . ولكن ، هل كان هرتزل يجهل ان العرب الذين يعيشون في فلسطين قد يسببون مشكلة امام اليهود ؟ يرد اهارون كوهين على هذا التساؤل بان هرتزل كان يعرف بوجود هذه المشكلة ، حتى لو لم يكن قد قرأ مقال احاد هاعام الذي نشر سنة ١٨٩١ (الحقيقة من ارض اسرائيل) ، ويدلل علىذلك بان احد يهود القدس واسمه

---

١١٢ ـ مجلة **المشرق** (بيروت) السنة الثانية عدد ١٥٢٢ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٩ ، ص ١٠٨٨ـ ١٠٩٤ وكان بحثه الاول من نوعه الذي ينشر باللغة العربية عن نشأة المستعمرات وتطورها باللغتين العربية والعبرية . وقد قسم المستعمرات الى مناطق : مستعمرة يافا وضواحيها ثم القدس ثم صفد وبلاد بشارة (بين صفد والحولة) ثم حيفا وتوابعها واخيرا مستعمرة حوران وعبر الاردن .

١١٣ ـ كان هرتزل قد كتب الى يوسف ضيا الخالدي ، نائب القدس السابق في المبعوثان ، انه فيما يتعلق بالسكان العرب في فلسطين ، فليس للصهيونيين اي هدف لتجريدهم من ملكيتهم ، بل على العكس ، ان غير اليهود سوف يغتنون بادخال الثروة اليهودية الى فلسطين . وكان يوسف ضيا الخالدي قد بعث برسالة الى حاخام فرنسه زادوك كان (Zadok Kann) ذكر فيها امكانية قيام حركة شعبية توجه ضد تحقيق اهداف الصهيونية ، ونقل زادوك الرسالة الى هرتزل الذي رد على الخالدي مباشرة في ١٨٩٩/٣/٩ .

Roi, Y., The Zionist Attitude to the Arabs 1908 - 1914, **Middle Eastern Studies**, April, 1968, p. 199.

نقلا عن **Herzel's Letters**, Jerusalem 1957, pp. 309 - 310 (Hebrew)

يهودا (A.S. Yahuda) ، وكان طالبا في فرانكفورت (واصبح مستشرقا مشهورا فيما بعد) ، قد حضر الى المؤتمر الصهيوني الاول ، وقال ، كما تثبت ذلك الوقائع العبرية للمؤتمر : « هدفي الرئيسي لحضور المؤتمر ان اواصل حديثي مع هرتزل عن عرب فلسطين . حاولت ان اثبت لهرتزل ان عرب فلسطين يجب ان يكسبوا لقضيتنا ويعرّفوا بالفوائد التي يجنونها من فكرة العودة الى صهيون ، حثثته كي يقيم علاقات ودية مع الاعيان العرب ، وان ينشىء علاقات من التفاهم المتبادل . ولكن مستشاري هرتزل المقربين سخروا من آرائي ، واثبت الزمن اني على حق. لقد اهملنا مهمةابلاغ جيراننا اهدافنا ، تاركين المجال مفتوحا لبذور الكراهية التي يبذرها صانعو المشاكل ... » ولكن لا يبدو ان هذه الافكار كان لها تأثير كبير على هرتزل ، الذي ركّز جهده الدبلوماسي في اوساط الدولة العثمانية ، لانها هي التي تملك مقدرات فلسطين في نظره ، الا ان هذه الفكرة التي دعا اليها يهودا ، بوضع اسس للتفاهم ، هي التي ألحت عليها فئة من الصهيونيين قبل الحرب ، في اثناء مفاوضاتها مع بعض الاعيان والمثقفين العرب لتقبل وجودهم في المنطقة .

ومنذ بداية القرن العشرين حدث تغير جوهري في العلاقات العربية الصهيونية فقد كانت يقظة القومية العربية قد بدأت تتطور من حركة احياء ثقافي ، الى نوع من الوعي السياسي والمطالبة بالحقوق القومية ، في ظل الحكم العثماني . وكان لها بالتالي تأثير على حالة العرب في فلسطين . وكانت اولى الاشارات المبكرة عن الحركة العربية التي عرفتها اوروبه هي كتابات نجيب عزوري ، حيث تجلت فيها اول ظاهرة سياسية لمعارضة الحكم العثماني (١١٤) . وفي كتابه الذي نشر في باريس عام ١٩٠٥ عبّر في مقدمته ـ ولاول مرة ـ عن تلك المظاهر السياسية لمطامع القوميين اليهود حين تنبأ ببعد نظر فريد ، سواء بين العرب او بين اليهود في تلك الفترة ، عن امكانية الصراع بين اليقظة العربية القومية والحركة الصهيونية « ... تبرز في هذا الوقت ، وبشكل لم يثر الاهتمام سابقا ، ظاهرتان خطيرتان متعارضتان، رغم تماثل طبيعتهما، هما يقظة الامة العربية ، وجهود اليهود لاعادة تأسيس مملكة اسرائيل القديمة علىنطاق واسع للغاية . انه مقدر لهاتين الحركتين ان تتصارعا باستمرار حتى تتغلب احداهما على الاخرى . ومصير العالم كله يعتمد على نتائج هذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متناقضين » (١١٥) . وفي مكان آخر من الكتاب (١١٦) يدرك عزوري مخطط العمل الصهيوني الذي يرسم لاعادة تأسيس ما يسمونه وطنهم القديم ،

---

١١٤ ـ كان نجيب عزوري يعمل في الادارة التركية في القدس قبل ان يلجأ الى باريس ويؤسس عصبة الوطن العربي **Le Ligue de la Patrie Arabe** وينص برنامجها على تكوين امبراطورية عربية تمتد من دجلة والفرات الى قناة السويس ومن المتوسط الى البحر العربي ، ويكون اسلوبالحكم فيها دستوريا مبنيا على المساواة لكل المواطنين امام القانون ... وقد هربت بضعة منشورات من منظمته الى فلسطين . وفي عام ١٩٠٧ نشر في باريس مع عدد من الكتاب والصحفيين الفرنسيين دورية شهرية L'Independence Arabe (لم تعمر طويلا) بها معلومات كثيرة عنالبلاد العربية، كما ركزت اهمية على تحريرها من الحكم التركي . Porath, p. 25 .

١١٥ ـ Azouri, **Le Reveil De Nation Arabe dans l'Asie Turque**, p. 5 of the preface

١١٦ ـ **Ibid**, p. 7.

باحتلال الحدود الطبيعية لهذا الوطن ، « ... هـذه الحدود الطبيعية هي بالنسبة اليهم جبل الشيخ الذي يضم منابع نهر الاردن ووادي بردى من الشمال ، مع الاراضي المحصورة بين راشيا وصيدا كمقدمـة ، وقنـاة السويس وشبه جزيرة سيناء من الجنوب ، والجزيرة العربية في الشرق ، والبحر المتوسط في الغرب . وبتكوينها هذا ، تصبح فلسطين بين يدي شعب يعرف كيف يدافع عنها ... بلدا صعب المنال» . ومع ان كتابات عزوري قد شدت انظار بعض الصهيونيين ، ودفعت احدهم الى كتابة مقال عن هذه الحركة التي بدأت تبرز الى الضوء ، وقد تهدد الصهيونية بالخطر (١١٧)، الا ان الراي الغالب لم يعـر هـذه الكتابات اهتماما كبيرا ، ولم تكن في نظرهم سوى « عداء جديدا للسامية » عزوها الى العرب المسيحيين (١١٨) .

وفي الوقت الذي كانت فيه الاتجاهات القومية العربية قد بدأت تتضح في المشرق العربي ، كانت قد بدأت موجة جديدة من الهجرة اليهودية ـ العالية الثانية ـ في الوصول من اوروبه الشرقية ، يحمل افرادها معهم مطامح اكثر بعدا وخطورة لاعادة الاستيطان الى موقعه (١١٩) وينتمي اغلبهم الى حركتي «هابوعيل هتسعير» و « بوعيلي تسيون » (١٢٠) فبدأوا حملة شعارها « قهر العمل » و « العمل اليهودي البحـت » بدلا من العمل العربي المأجور . ونظموا اضرابات وقاموا بأعمال ارهاب لانتزاع العمل في المزارع اليهودية ، ولصيانة العمل اليهودي بدأوا حملة لتنظيم الحراسة اليهودية المسلحة للمستعمرات اليهودية (١٢١) . وبدأت التجربة في زخرون يعقوب ، ثم انتقلت الى الجليل ، حيث اسس رجال العالية الثانية مستعمرة الشجرة (Sedjera) . ومـن هذه التجربة تطور نظام الهاشومير ـ الحراس اليهود ـ او بدايات حركة الدفاع الذاتي اليهودي ، وانتشر هذا الجهاز الى سائر المستعمرات اليهودية التي نشأت في اماكن متفرقة وسط قرى عربية (١٢٢) . وقد اوكل الى الهاشومير فيما بعد بناء مستعمرات

---

١١٧ ـ Roi, pp. 198 - 199

نقلا عن مقال بالعبرية بعنوان الحركة العربية واغراضها ، كتبه ونشره في الدورية Hermoni, A., **Hshiloah XV**, pp. 371 - 390.

١١٨ ـ Perlmann, «Chapters of Arab Jewish Diplomacy,» **Jewish Social Studies, Vol. VI, No. 2, April 1944.**

يذكر المؤلف ان عزوري كان يعد كتابا عن الخطر الصهيوني له نفس اتجاهات بروتوكولات حكماء صهيون .

١١٩ ـ Ben Gurion, **Rebirth and Destiny**, London 1956, pp. 46 - 61.

(وكان هو احد افرادها) ويشرح في خطاب القاه في ١٩٣٢/٣/٢ عن (العمل اليهودي ، جـذور الاستيطان) الافكار التي حملتها العالية الثانية معها .

١٢٠ ـ حزب هابوعيل هتسعير (العامل الشاب) اسمه الاصلي رابطة العمال اليهود الشباب في فلسطين تأسس سنة ١٩٠٥ وبوعيلي تسيون تأسس سنة ١٩٠٦ كفرع من الاتحاد العالمي بوعيلي تسيون (اسمه الكامل حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي اليهودي) .

١٢١ ـ Ben Gurion, **Rebirth and Destiny**, pp. 9 - 19.

في رسالة له (سنة ١٩١٧) يصف الاساليب التي اتبعها افراد العالية الثانية من اجل تنظيم الحراسة المرافقة للعمل اليهودي .

١٢٢ ـ Golomb, I. pp. 31 - 32.

زراعية على الحدود كي يتولوا مهمة الدفاع ويعملوا في الوقت نفسه كطلائع للاستيطان . وكما يقول احد مؤسسي هذا التنظيم «انهم منذ الايام الاولى قد شقوا طريق الصهيونية الصعب بيد على المحراث واخرى على السيف » (١٢٣) .

وكان من الطبيعي ، مع هذه النظرة المتطرفة التي حملتها (العالية الثانية) ان تزداد العلاقات سوءا بين المستوطنات اليهودية والعرب المجاورين . وفي وسط هـذا العداء حاول لغوي يهودي هو ايبشتين (١٢٤) ان يوجه الاهتمام الى العرب كقوة سياسية من المهم كسب تعاطفها وموافقتها ، بدلا من توجيه الاهتمام الى الباب العالي والحكام الاتراك والدول الاوروبية ، ويلوم الصهيونيين لانهم تجاهلوا المسألة العربية ويوجه نظرهم الى « ان الشعب الذي يعيش في هذه الارض له ايضا قلب وروح ، وانه مرتبط بوطنه الام بروابط قوية ... من الصعب على افراد هذا الشعب التخلي عـن قـراه ومزارعه ... » . ويبدو ان ايبشتين قد فهم اهم ظواهر المسألة : « ... هذا الشعب (عرب فلسطين) يشكل جزءا من امـة كبيرة ... تملـك كل المنطقة التـي تحيـط ببلدنا ... سوريه والعراق ، والجزيرة العربية ومصر ... يجب الا نثق بالرماد الذي يكسو الجمرة ... شرارة واحدة قـد تعيد اشعال النـار وتسبب حريقا يصعب اخماده ... » . ثم ينتقل ايبشتين الى النقطة الاساسية في دعوتـه ليحث اليهـود « ... على تجنب قومية ضيقة محددة لا ترى ابعد مـن نفسها ... الى تحالف مـع العرب وميثاق معهم يفيد كلا الطرفين وكل البشرية ... » . وهو يصف تصوره لهذا التحالف العربي اليهودي بانه « ... مهمة ضخمة لا يوازيها شيء في تاريـخ التقـدم البشري ، لانها سوف تؤدي الى احياء شعبين قديمين يتمتعان بمواهب وامكانيـات كبيرة ، يكمل احدهما الآخر » . ولكن دعـوة ايبشتين ـ التي لم تكن تعبر عن آراء رسمية ـ لم تلق استجابة في ذلك الحين من المنظمة الصهيونية ، ولكنهـا ستعود فتحييها بعد سنوات قليلة . ونشر احد زعماء العالية الثانية ، ممن يمثلون الاستيطان الجديد زئيف سميلانسكي سلسلة مقـالات في « هاعولام » الناطقـة باسم المنظمـة الصهيونية تحت اسم مستعار فوفسي (Vofsi) (١٢٥) اتهم فيها آراء ايبشتين بانها لم تكن مبنية على واقع ، بل هي نتاج خيالاته الخاصة . ويصور محاولة ايجاد تفاهم بين اليهود والعرب على « انها طريقة ارضاء الذئب ، بينمـا تبقى الشاة سليمة » وفـي اعتراضه على انتقادات ايبشتين بسبب اخراج المزارعين العرب من الاراضي التي تم شراؤها وخاصة في الجليل الاعلى يقول « ... أليس لنا شيء نقلق بشأنه سوى مصير العرب والفلسطينيين ؟ ... الشيء الرئيسي الذي يجب ان نحسب حسابه هـو مـا يكون جيدا وفعالا لنا » . وردا على ما دعا اليه ايبشتين من « ان هدفنا ليس تهويـد العرب بل تهيئتهم لحياة اكمل ، وتطويرهم وتغيير ضيق افقهم ، بحيث يغدون مـع

---

١٢٣ ـ Waters, p. 15.

١٢٤ ـ لخص ايبشتين (Epstein) افكاره لاول مـرة خـلال المؤتمر الصهيوني السابـع ١٩٠٥ ثم نشرت آراؤه فيما بعد في مقال بعنوان « مسألة خفية » في الدورية العبرية هاشيلواح (Hashiloah) التي كانت تصدر في اوديسه عام ١٩٠٧ .

١٢٥ ـ Cohen, Aharon, p. 68.

الزمن حلفاء مخلصين لنا ، اصدقاء حقيقيين واخوة » ، يقول « ... كيف يمكن ان نكون قادرين على منافسة العرب اذا كان لديهم احسن الاراضي الجيدة التي ستنتج لهم محصولات ارخص ، نظرا لان الفلاحين يكتفون بالقليل ويوجهون بمرشدينا الزراعيين ؟ كل شخص يحسبنا من المجانين لو تولينا مهمة تقديم الاموال من اجل تعزيز منافس لن يفوت فرصة طردنا من العمل ... » .

لم يكن ايبشتين آخر من اتبع هذا الخط في العلاقات مع الحركة العربية بحجة انها والحركة الصهيونية تسيران في خطين متوازيين يمكن ان يلتقيا لمصلحة الطرفين ، وسيجد الدعوة كثيرون كانوا يخشون على المشروع الصهيوني من الفشل ، فراوا انقاذه بهذا الاسلوب ، وكذلك لم يكن فوفسي آخر من يمثل الاسلوب الصريح في العمل الصهيوني دون ان يكسوه بستار التفاهم والتقارب والاخوة والمصلحة المشتركة .
لقد نشر مقال ايبشتين سنة ١٩٠٧ كما نشرت الردود عليه في ربيع ١٩٠٨ قبل ان تتفجر ثورة تركيه الفتاة في تموز (يوليو) من ذلك العام ، التي رافقتها تغيرات بعيدة المدى كان من بينها منح الحرية للصحافة العربية داخل اطار الدولة العثمانية ، فأصبحت قادرة على التعبير عن موقف الراي العام من الصهيونية ، بعد ان كانت البذور قد غرست قبل ذلك بسنوات .

الفصل الثاني

نظام الحكم الجديد في تركيه ١٩٠٨ ــ ١٩١١
تجدد النشاط الصهيوني ورد الفعل العربي

١ ــ دور اليهود في الانقلاب العثماني ونفوذهم في اوساط الاتحاديين :

واجه نظام حكم السلطان عبد الحميد (١٨٧٦ ــ ١٩٠٩) معارضة فئات متعددة كان منها جمعية تركيه الفتاة (١) ، التي ساءها الخلل في الادارة ، والاستبداد وكثرة الفتن في البلاد ، والاخطار التي تهدد الامبراطورية ، فقامت تسعى من اجل طلب الحرية والعدل لجميع العثمانيين (٢) ، ولايجاد حكومة قادرة على الحفاظ والدفاع عن الامبراطورية وهدفت الى عودة الحياة البرلمانية باحياء الدستور وادخال النظم الحديثة في الادارة والجيش . وكان اهم فروع الجمعية فرع باريس ، الذي كان يضم كثيرا من الطلاب والدارسين فيها ، وفرع سالونيك وكان اكثر فعالية لموقع البلد الجغرافي ولمجموعة الضباط من الفرقة الثالثة التي انضمت له ، وشكلت تنظيما سريا (جمعية الاتحاد والترقي) . وبدأت الثورة هناك بشكل بسيط في ٢٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ بظهور اعلانات مختومة بختم الجمعية تدعو للاجتماع لاعلان القانون الاساسي (الدستور) والحرية ، وخبر في صحف الاستانة عن دعوة المبعوثان . وجرت الانتخابات في انحاء الامبراطورية وانعقدت الدورة الاولى للمبعوثان ، واصبح شعار الناس حرية ــ عدالة ــ مساواة .

ولم يستلم الاتحاديون الحكم مباشرة رغم اكثريتهم البرلمانية ، بل ظلوا يديرون الامور في الخفاء بواسطة لجنتهم المركزية في سالونيك . ولما حاول السلطان اعلان الثورة ضدهم قاموا بمداهمة الاستانة وخلعه في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٩ والمناداة بمحمد رشاد سلطانا ، مع اضطلاعهم بأعباء الحكم . وبوصولهم الى السلطة تثار تساؤلات عديدة ــ من وجهة نظر هذا البحث ــ اذ لم تكن هذه الجماعة هي الفئة

---

١ ــ تفاصيل وافية عن الاحداث التي ادت الى تولي جماعة تركيه الفتاة السلطة ثم تطور الاحداث الداخلية والخارجية ابان حكمها .. انظر
Ahmed, F., **The Young Turks**, Oxford 1969.
Lewis, B., **The Emergence of Modern Turkey**, London.

٢ ــ محمد روحي الخالدي ، **اسباب الانقلاب العثماني وتركيه الفتاة** ، طبع المنار ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ص ١٢٢ .

الوحيدة التي استاءت من نظام عبد الحميد . فقد كان امرا معروفا رفض السلطان مبدأ الهجرة اليهودية غير المقيدة الى تركيه منذ الثمانينات . وعلى الرغم مما حمله ممثلو البارون روتشيلد الذين زاروا الاستانة من عروض سخية ، لم يتغير موقف السلطان عبد الحميد . ويعزو لوثر السفير البريطاني في الاستانة (٣) الى الصدر الاعظم كامل باشا (١٨٨٦ – ١٨٩١) سبب هذا التشدد ، لانه شرح للسلطان النتائج الخطيرة لمثل هذه السياسة على الدولة العثمانية ، ولاقت محاولة تالية فشلا مشابها. ولم يستطع هرتزل كممثل لجريدة Neue Freie Presse الذي قابل السلطان مرتين بواسطة الاستاذ Armenius Vambery ان يقنع السلطان عبد الحميد بالتخلي عن معارضته (٤) ، بل انه –كما يقول مارلنغ (Marling) القائم باعمال السفارة البريطانية في الاستانة (٥) « رفض كل مشاريع الهجرة غير المحددة لليهود الى تركيه ، ووضع كل عقبة في طريق ادخال جماعي لليهود الاجانب » .

فالى اي مدى التقت مصلحة اليهود مع مصلحة تركيه الفتاة ، سواء عن قصد – او غير قصد – للاطاحة بنظام حكم عبد الحميد ؟.. رسائل السفارة البريطانية في الاستانة الى الخارجية بعد تغير نظام الحكم تؤكد حقائق كثيرة : تؤكد الدور الذي لعبه اليهود وجماعة الدونمة (٦) في مجالس تركيه الفتاة في سالونيك (٧) . ويقول لوثر في رسالته الى غراي في ٢٩ ايار (مايو) ١٩١٠ (٨) : « ان عمانويل قره صو ، المحامي الماسوني اليهودي من سالونيك ، كان قد اسس محفلا فيها له صلة بالماسونية الايطالية، ويبدو انه قد اقنع جماعة تركيه الفتاة من الضباط والمدنيين بتبني الماسونية على امل ممارسة نفوذ يهودي غير محسوس على الحكم الجديد في تركيه ، رغم انه ادعى ظاهريا

---

٣ – من رسالة لوثر (G. Lowther) الى غراي (E. Grey) وزير الخارجية ١٩١٠/٨/٣١ FO 424/224.
وكان لوثر قد وصل الاستانة بعد تغير نظام الحكم .

٤ – الرسالة نفسها – **المرجع السابق** .

٥ – من رسالة مارلنغ الى غراي في ١٩٠٩/١٢/٢٧ FO 424/222 .

٦ – يسميهم لوثر Crypto Jewish Sect (اليهود المتسترون) . وتشير جريدة التايمز في عدد ١٩١٠/٥/١٢ ، ص ٥ ، في مقال عن الدونمة (Dönmeh) الى ان هذه الجماعة هي من اتباع شبتاي زيفي (Sebatai Zevy) وهو يهودي من ازمير كان قد ادعى في سنة ١٦٦٦ انه المسيح المنتظر وكسب كثيرا من الانصار ... وخيره السلطان بين امرين : اما القتل او اعتناق الاسلام فاختار الثاني وتبعه آلاف من اتباعه ، بعضهم اعلن انه ليس شبتاي الحقيقي بل الروح الحارسة هي التي اقدمت على هذه الخطوة . وآخرون تمسكوا بانه كان يمثل فقط دورا من اجل ان يحقق هدفه العظيم ، ارتداد كل المسلمين . وبعد ان اكتشف الترك انه لا يزال يرتل المزامير مع بعض اليهود ، ابعد الى البانيه حيث توفى بها سنة ١٦٧٦ . وظلت عقيدة (الشاباتية) موجودة لدى فرقة في سالونيك اتبعوا طريقه في اعتناق الاسلام ظاهريا ويظن انهم يمارسون شعائر يهودية معينة سرا . وتصف (النشرة العربية) الجيل الحالي من الدونمة « انهم طائفة ماكرة متعصبة مجردة من المبادىء الخلقية ، مزعجة ، متكتمة للغاية ، مع مقدرة تجارية ومالية ... »
Arab Bulletin, 26/9/1916. .

٧ – كان عدد اليهود في سالونيك ٨٠٫٠٠٠ والدونمة ٢٠٫٠٠٠ من اصل ١٤٠٫٠٠٠ هم عدد سكان سالونيك

٨ – وفي هذه الرسالة بحث مفصل عن الحركة الماسونية وعلاقتها بحركة تركيه الفتاة .
F.O. 371/1010/20761 F

انه يهدف الى خديعة جواسيس عبد الحميد فقط ، فقدم لهم محفله ملجأ ، وبالتقائهم في بيت اجنبي تمتعوا بالحصانة الفائقة ضد اساليب التحقيق ... وهكذا اتاحت سرية المحافل لجماعة تركيه الفتاة امكانية تشكيل تنظيمهم للقضاء على نظام حكم السلطان عبد الحميد » . ويضيف لوثر ان « جواسيس عبد الحميد قد تمكنوا من معرفة الحركة ، وقد يكون مقتل اسماعيل ماهر باشا بشكل غامض بعد انقلاب تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ لانه علم بعض اسرارهم وكتب بها الى يلدز ... » . والحقائق الاخرى التي يشرحها لوثر ، وكان مارلنغ قد اشار اليها في رسالته السابقة في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٩ ، تبدو غريبة « ... ان وحي الحركة في سالونيك يبدو يهوديا بصفة رئيسية ... فكلمات : حرية – مساواة – اخاء (شعار الاتراك الاتحاديين) هي ابتكار الماسون الطليان ، واللونان الاحمر والابيض متماثلان » (٩) . ومع ان لوثر يقول « ان احداث الحركة التي قامت في الاستانة ضد الجمعية ، وتوجت بتمرد حامية الاستانة في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ لم تتوضح بعد الى حد كاف ، الا انها لم تغب عن الملاحظة ، وهي تبدو موجهة جزئيا ضد الاعضاء اليهود والماسون في الجمعية (١٠) . وينقل لوثر ما شاع بان قره صو ، النائب اليهودي في سالونيك ، ورئيس احد المحافل الرئيسية هناك ، قد اظهر حماسا عنيفا في تأييد التقدم نحو العاصمة لخلع السلطان ، وان الفرق الاربع المتجهة الى العاصمة من سالونيك ، التي بدأ فيها التمرد ، او ما يسمى (حركة رد الفعل) كان يقودها احد الدونمة الماسونيين من سالونيك ، هو الكولونيل رمزي بيه الذي عين رئيسا لمعاوني السلطان محمد الخامس ، وان قره صو احد اعضاء الوفد الذي ابلغ عبد الحميد بقرار خلعه في ٢٤ نيسان ١٩٠٩ (١١) . وبعد ان نقل السلطان السابق الى سالونيك ، سجن في فيلا

---

٩ – جاء في Arab Bulletin, F.O. 882/25, 26/9/1916 مقال « ملاحظات عن الماسونية في تركيه في ظل النظام الحديث ١٩٠٨ – ١٩١٤ » ان بعض الاتراك في الاستانة الذين يعرفون سالونيك لاحظوا تشابها غريبا بين شعارات اللجنة وشعارات محفل Macedonia Ristora وشعارات جمعية Beni Brith اليهودية .

١٠ – في كتاب رفعت اتيلخان ، **الخطر المحيط بالاسلام–الصهيونية وبروتوكولاتها** ، ترجمة وهبي عز الدين ١٩٦٥ – بغداد (غير معروف سنة التأليف) ص ١٣٧ ، اتهامات خطيرة نقلها عن كتاب (الاتراك واليهود) لمؤلفه (آورام غلانتي) ، لتعاون جمعية الاتحاد والترقي مع اليهود ومنها الاشارة الى حادث التمرد هذا والى ان اليهود هم الذين خلقوا الحادث حتى يصلوا الى خلع السلطان ، ويؤكد المؤلف ان معظم وثائق الحادث ومضابط المحاكم العسكرية الخاصة بذلك الحادث محفوظة لدى مدحت شكري ، احد رؤساء الاتحاد والترقي . ومن المعروف ان المؤلف كان يعمل في دائرة الامن العام العثماني وتولى ادارتها اثناء الحرب العالمية الاولى .

١١ – في كتاب **Mc Cullagh,E., The Fall of Abdul Hamid, London 1910, p. 266.** تفاصيل عن هذا الحادث ، استقى بعضها من قره صو نفسه . فبعد صدور فتوى من شيخ الاسلام بخلع عبد الحميد ، ذهب وفد برلماني لنقل الخبر الى يلدز (اسعد باشا وغالب باشا وقره صو)، وكان قد سبق للاخير دخول يلدز حين اعتقل في الاستانة على ابواب ثورة ١٩٠٨ وكان قد دخلها بقصد التجسس . وينقل مؤلف الكتاب صورة عن مشاعر الاسى والتأثر التي تغلبت على السلطان وقت سماعه النبأ واستسلامه بعد ان منح الامان .

(التتمة على الصفحة التالية)

تخص احد اصحاب البنوك اليهود الاغنياء في الجمعية ، ووضع شقيق رمزي بيه حارسا عليه وانه بعد الخلع هللت الصحف اليهودية في سالونيك للتخلص من « مضطهد اسرائيل » ، وكما يقول مارلنغ « عدو اسرائيل » ، الذي أصم اذنيه مرتين عن نداءات هرتزل ، الزعيم الصهيوني ، والذي بفرضه (الجواز الاحمر) قد عاق تحقيق اهداف الصهيونية في فلسطين . وكانت هذه الملاحظة نفسها قد ورد في فقرة من افتتاحية صحيفة أورور L'Aurore اليهودية الرئيسية في الاستانة ، ارفقها مارلنغ برسالته في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩ ، حول موضوع المؤتمر الصهيوني التاسع الذي يعقد في همبرغ « ... ان المؤتمرات السابقة كان عليها ان تواجه سلطة مستبدة لشخص واحد وعين طاغية مرتابة » (١٢) .

هذه الملاحظات التي توصل اليها لوثر ، والتي هي في نظره « اكثر المظاهر اثارة في الثورة التركية » ، قد اكدتها جريدة التايمز فيما بعد بقولها (١٣) « من المعروف ان لجنة سالونيك قد تشكلت تحت رعاية ماسونية بمساعدة اليهود والدونمة في تركيه ومركزهم في سالونيك ، وان يهودا مثل عمانويل قره صو وسالم وساسون وفارجي (Fardji) ومزلياح (Meslah) ، ومن الدونمة مثل جاويد وعائلة بالجي (Baldji) قد لعبوا دورا بارزا في تنظيم اللجنة ، وفي مداولات جهازها المركزي في سالونيك » . يضاف الى ذلك تلك التفاصيل المسهبة عن انتشار المحافل الماسونية في العاصمة ، وانضمام الكثير من ضباط الجيش وكبار الموظفين اليها ، والتي تبدو في نظر لوثر انها « موجهة وموحى بها من قبل اليهود » (١٤) . ونقل عن تركي وصفه لعملية انتشار الماسونية انها « تخدير للشعب بالحشيش اليهودي » . وكذلك ما اكدته النشرةالعربية فيما بعد (١٥) عن اهمية الدور الذي لعبه اليهود والدونمة في الماسونية التركية ، حتى

وفي كتاب رفعت اتيلخان المذكور سابقا ص ١٤٣ تفاصيل اخرى .. فبعد رضوخ عبد الحميد للقرار اشار الى قره صو وقال بغضب « ... ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة ... بأي قصد جئتم بهذا الرجل امامي ... » . وساد الارتباك الجميع وخاصة قره صو الذي استولى عليه الخوف ، والمؤلف يقول « ... ان قره صو روى قصته الى مخبري الصحف الاجنبية عكس ما جرى ... » .

١٢ – لا يعرف مدى صحة تلك الوثيقة التركية التي عثرت عليها لدى اسرة « ابي الشامات » في دمشق ، وكان الشيخ « محمود ابو الشامات » – كما تروي اسرته – استاذ السلطان عبد الحميد في الطريقة الشاذلية ، وقد بعث اليه السلطان من منفاه في سالونيك (سرا) برسالة الى دمشق بخط يده – بين فيها انه لم يخلع عن الخلافة الا لان الاتحاديين قد ألحوا عليه بان يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة (فلسطين) ورفض على الرغم من وعودهم بتقديم ١٥٠ مليون ليرة انجليزية ذهبا .

١٣ – Times, 11/7/1911.

١٤ – رسالة لوثر الى غراي ١٩١٠/٥/٢٩ F.O. 371/1010/20761 F واشهر هذه المحافل هو محفل الشرق الاعظم الذي يرأسه وزير الداخلية طلعت بيه وقد اسس في حزيران (يونيو) ١٩٠٩ .

١٥ – F.O. 882/25, 26/9/1916 في مقال عنوانه « ملاحظات عن الماسونية في تركيه في ظل النظام الحديث ١٩٠٨ – ١٩١٤ » اسماء اعضاء اول مجلس اعلى لمحفل الشرق في تركيه : طلعت بيه ، فايق بيه، الامير عزيز حسان، فتحي بيه (مسلمون)– قره صو افندي ، فرجي افندي (Faraggi) كوهن افندي (يهود) – جاويد بيه ، ساريم كيبار (Kibar) (ابن عم جاويد) محمد طلعت (دونمة) ، سكاكيني افندي سكرتيرا (ربما يهودي) .

ان قره صو قد اختير لمرافقة مندوبي المبعوثان الى لندن عام ١٩٠٩ لانه « كان رأس الهيكل الماسوني في سالونيك ولذلك قال طلعت انه يجب ان يذهب الى لندن لان كل الماسون الانجليز من ذوي الاهمية سوف يرحبون به » .

هذه الاشارات المتعلقة بالماسونية السياسية والتي تشكل جزءا من جهاز جمعية الاتحاد والترقي ، قد تكون سلاحا استخدمته المعارضة لمهاجمة الاتحاديين (١٦) ، وقد تكون ايضا سلاحا قويا بيد الحكومة البريطانية في وجه اية دعاية محتملة للجامعة الاسلامية تكون معادية لبريطانيه يتولاها الاتراك المتطرفون . وكان لوثر قد اقترح في حاشية رسالته الى وزير الخارجية في ١٩١٠/٥/٢٩ التي اورد بها معلومات عن الماسونية السياسية ونفوذ اليهود في دوائر تركيه الفتاة ، ان ترسل نسخة منها الى مصر وطهران والهند ، بقصد ان يفهم المسلمون في هذه البلاد ان « حركة تركيه الفتاة تؤثر عليها بشكل خطير الماسونية السياسية اليهودية والملحدة » . وقد تكون العلاقة بين تركيه الفتاة واليهود والصهيونية – والتي تبنتها الدوائر البريطانية مبالغا فيها ومدفوعة بالتخوف من ازدياد النفوذ الالماني في الدولة العثمانية . اذ من المعروف ان الحكومة البريطانية كانت اكثر الدول احتمالا لتسهيل تحقيق الاهداف الصهيونيةلعدة اعتبارات ، منها حرصها على ابعاد اي قوة مهددة بجانب قناة السويس ، وهو الذي دفعها الى زيادة نفوذها في السابق في المنطقة عن طريق حماية الاقليات (ومنهم اليهود) والى العطف على مشروع هرتزل في سيناء ، وهذه الاعتبارات نفسها هي التي جعلتها تنظر بقلق الى التطور السريع للنفوذ الالماني في تركيه ، والذي ازداد مع وصول جمعية الاتحاد والترقي الى السلطة ونفوذ بعض اليهود فيها ، وعلاقاتهم باليهود الالمان الصهيونيين . وكانت السفارة البريطانية في الاستانة قد لاحظت تودد السفارة الالمانية بشكل خاص لليهود وارجعت ذلكالى عاملين: «الاول تقوية مركزهم بالاستفادة من النفوذ العظيم لليهود في دوائر تركيه الفتاة ، والثاني الحصول على الدعم اليهودي في امور الامتيازات وطلبات العمل ... في وزارتي الحرب والبحرية في تركيه ، حيث شكل اليهود حلقة لا تخترق عمليا » (١٧) .

ولكن هذا لا يعني نفي العلاقة بين تركيه الفتاة واليهود من اساسها كما تميل بعض الدراسات التي تتناول هذا الموضوع (١٨) . فالعلاقة قد استمرت « ونتيجة

١٦ – في النشرة العربية (المذكورة سابقا) اشارة الى مقالات كانت تنشرها جريدة يني غازيت (Yeni Gazette) (١٩١٣) جريدة حزب الائتلاف عن الماسونية تحذر فيها الشعب التركي من نفوذ اليهود ودونمة سالونيك . وفي رسالة مارلنغ الى جراي في ١٩١٠/١٢/١٤ F.O 371/1010/25663 F مقتطفات من جريدة موحدي (Muahede) (١٩١٠/١٢/١٢) يشرح فيها الكاتب مخاوفه من الافكار الماسونية ذات الطبيعة الثورية الغامضة المضطربة .

١٧ – رسالة مارلنغ الى الخارية ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 242/222

١٨ – Lewis, B., **The Emergence of Modern Turkey**, London 1961. حاشية ص ٢١١ – ٢١٢ . ينفي المؤلف هذه العلاقة على اساس انه لا يبدو اي دليل في الادب التركي المتعلق بجماعة تركيه الفتاة ان اليهود قد لعبوا على الاطلاق دورا ذا اهمية في مجالسهم سواء قبل او بعد الثورة او ان المحافل الماسونية كانت اكثر من ستار عرضي لاجتماعاتهم السرية .

لدور اليهود الفعال في الاعداد لحركة سالونيك ، كان تأثيرهم كبيرا في دوائر تركيهالفتاة رغم انه لم يظهر على السطح» (١٩) . واصبح ملاحظا ان اليهود من كل الالوان، مواطنين واجانب ، كما يقول لوثر ، كانــوا مساندين متحمسين للحكم الجديد ، وقد عبّر عن ذلك احد الاتراك بقوله : كان كل يهودي يبدو جاسوسا ممكنا للجمعية السرية ، وبدأ الناس يعلقون بقولهم ان الحركة كانت ثورة يهودية اكثر منها ثورة تركية . لاحظ ذلك كل من زار الاستانة في تلك الفترة ، فكتب رفيق العظم لدى زيارته الاستانة في صيف ١٩٠٩ (٢٠) عن « العنصر الاسرائيلي » الذي لا بد مـــن ان يكــون له شأن في النهضـــة الدستورية ، وعن ان يهود الاستانة قد فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور ، وانه لما زحف جيش الحرية على الاستانة للدفاع عن الدستور ، كان بين المتطوعين ، عدد غير قليل من الاسرائيليين ، وانه كان من بين المندوبين الذين ذهبــوا لابلاغ عبد الحميد خبر خلعه اسرائيلي من اعضاء مجلس المبعوثان ، « ... ويقال ان للاسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي بسالونيك ... وان جماعة اسرائيلية الاصل يسمون بالدونمة بيدهم معظم تجارة سالونيك ، وانه قام من هؤلاء اشهر الماليين العثمانيين في عهد الدستور » . ويخلص رفيق العظم الى ان « الظاهر ان رجال الدولـــة الحاليـــة يثقون بصـــدق واخلاص وولاء الاسرائيليين العثمانيين للدستور ، وانـــه سيكــون للاسرائيليين شأن في عهد الدستور غير الشأن الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد». وهو يتوقع نتائج ابعد : « ان تكثر مهاجـرة اخوانهم الغربـاء الى البـلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كقفار العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان » . كما ان رشيد رضا الذي اقام في الاستانة بعد اعلان الدستور ، ووقف فيها على غوامض سياستها خرج بعدة مسائل (كتبها بعد عودته الى القاهرة) (٢١) منها « ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في ايديهم (وان) كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من اعضائها ، كما ينشرونها في ضباط الجيش (وان) من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود بينهم وفي الدولة ، وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الـــذي يراد به اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهـــود للكثير من خيرات البلاد » . ويقول رشيد رضا انه : « قد رأى اهل الرأي والغيرة من

١٩ – في تقرير لوثر عن تركيه ١٩٠٩ F.O. 424/250 ، ورسالة لوثر الى الخارجيـــة في ١٩١٠/٥/٢٩ F.O. 311/1010/20761 F تفاصيل كثيرة عن استمرار نفوذ يهود الدونمة في دوائر تركيهالفتاة: عمانوييل قره صو الذي يعتبره الدماغ المفكر لفرع سالونيك للجنة الاتحاد والترقي ، وجاويد بيه احد دونمة سالونيك الذي اوكل اليه منصب وزارة المالية سنة ١٩٠٩ وكان اكثر اعضاء اللجنـــة نفوذا في الحكومة التركية ، وكان سكرتيره يهوديا . كما ان منصب رئيس مكتب الصحافة اوكل الى يهودي وهو منصب مهم نظرا لان الصحافة قد خضعت للقانون العرفي ، وقد جرت محاولات لتعيين يهودي رئيسا للبلدية كما ان وكالة تلجراف بدأت تحت توجيه يهودي من بغداد ، ودوائر الشرطة وضعت تحت مسؤولية ماسوني من سالونيك ومحاولة ناجحة جرت لتعيين محام يهودي ماسوني من سالونيك مستشارا لوزارة العدل .

٢٠ – **المقطم** ، ١٩٠٩/٨/١٣ .

٢١ – **المنار** ، ج ٤ م ١٤ – سنة ١٩١١ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٢ .

سكان هذه العاصمة يتوقعون الفتن ويخافون العواقب ، وانه سعى الـى الاصـــلاح والنصح دون جدوى . ولما عاد الى مصر اشار بلطف الى ما يخشى من خطـــر اليهود والماسونية » . والمعروف ان الكاتبين كانا مـــن المناهضين للحكم السابق ورحبـــا بزوال عهد الاستبداد ، وكانا يناديان بالاتحاد الدائم بين العرب والترك و « المحافظة على كيان الدولة العلية » (٢٢) .

ان الجانب الخطير في هذه العلاقة هو المتعلق بالمسألة الصهيونية ، فقد تبع خلع السلطان عبد الحميد ، الذي وقف في وجه هجرة يهودية غير مقيـــدة ذات اهـــداف صهيونية ، واستلام تركيه الفتاة السلطة ، انتعاش الاماني الصهيونية بحيوية غريبة، على امل ان بعض الاعضاء اليهود والدونمة ذوي النفوذ في جمعية الاتحاد والترقي ، يمكن ان يستخدموا نفوذهم لصالح الاهداف الصهيونية ، وبدا كأن الخلاف الموجـــود بين الصهيونيين وجمعيات الاستيطان اليهودي الاخرى فيما يتعلق بتوجيه الاستيطان اليهودي الى فلسطين فقط او الى بلاد اخرى نظرا لقيود الحكم الحميدي، قد زال (٢٣)، او على الاقل بدأت وجهات النظر بالاقتراب ، بعد ان اصبـــح الشرق العثماني يعتبر اكثر الاقاليم المناسبة من اجل تحويل موجة الهجرة المتدفقة مـــن شرق اوروبه نحـــو الغرب ، واصبحت الفعاليات تتركز حول التأثير على الاتحاديين على « امـــل تغلغـــل سلمي في فلسطين ، وان كانوا قد اضافوا اليها – كنوع من البقشيش – تطوير العراق يمنح لهم كاقطاعية » ، والتقى الصهيونيون في ذلك مع سائر المنظمات اليهودية الاخرى التي كانت قد حولت عينها نحو العراق ، كأحسن ارض ملائمة للاستيطان اليهـــودي الجماعي (٢٤) . ولكن هذا لم يمنع صحيفة يهودية ذات اتجاه صهيوني في الاستانـــة (اورور) من ان تذكر قراءها باستمرار « ان السيادة على مصر – ارض الفراعنة – الذين ارغموا اليهود على بناء الاهرام ، هي جزء من ارث اسرائيل في المستقبـــل » . وان كانت هذه النظرية – كما يقول لوثر – (٢٥) تبدو بعيدة الاحتمال، ولكن من الواضح ان بعض المثاليين يتمسك بها ويدعو لها .

وكان احد هؤلاء المثاليين واسمه Nossig صهيونيا المانيا ، انشق على المنظمـــة الصهيونية الرئيسية ليرأس منظمة استيطان خاصة هي: Jewish Colonization Association وحضر الى الاستانة في اواخر سنة ١٩٠٩ ليوزع منشورا خاصا بين الاتراك الاتحاديين المتعاطفين مع مشاريع الهجرة اليهودية (٢٦) . وكانت اجزاء تركيه ، التي تذكر النشرة انها مقصودة للاستيطان اليهودي ، تشمل الشرق العثماني تقريبا من شط العـــرب (يعني العراق) الى اناتوليا (آسيه الصغرى) فسوريه ، وفلسطين ، وقبـــرص ،

٢٢ – في **المنار** ، ج ١ م ١٢ (١٩٠٩) يذكر رشيد رضا جانبا من مساعي المشتغلين بالسياسة من العرب للتخلص من المظالم الحميدية بتنظيم جمعية الشورى العثمانية في القاهرة .

٢٣ – تقرير لوثر الى غراي عام ١٩٠٩ (ارسل ١٩١٠/١/٣١) . F.O. 424/250
F.O. 424/224

٢٤ – حول تفاصيل مشروع الاستيطان اليهودي في العراق انظر الفصل السادس

٢٥ – رسالة لوثر الى غراي في ١٩١٠/٥/٢٩ F.O. 371/1010/20761

٢٦ – ترجمة المنشور عن التركية مرفق برسالة لوثر الى غراي في ١٩١٠/٨/٣١ F.O. 424/224 تفاصيل مشروع نوسيغ – الفصل السادس .

ومصر . ومع ان مشروع نوسيغ كان مغرقا في الخيال ، ان الا طريقة عرضه كانت مغرية ، اذ تعهد بوضع الرأسمال والنفوذ اليهوديين تحت تصرف الدولة العثمانية . ولم يكن نوسيغ فريدا في هذا الاتجاه، فقد سعى اليهود (صهيونيين او غير صهيونيين) « من اجل تحقيق اهدافهم سواء في فلسطين او غيرها ، الى السيطرة الاقتصادية على تركيه واحتكار كل المشاريع الجديدة في تلك البلاد ، خاصة وان برنامج تركيه الفتاة الاقتصادي قد ضمن لليهود مكانا خاصا فيمشاريعهم . ولاحظ لوثر (٢٧) «ان الدستور كان يتضمن التطوير الاقتصادي ، ولكن الجهاز التركي الاقتصادي كان ضعيفا ، وكان لا يمكن ان يقف وحده بدون دعم ... ويبدو ان التركي الاتحادي قد تحالف فقط مع اليهودي العثماني والاجنبي ، وانه قد ابعد سائر العناصر ، كما يبدو ان اليهودي قد اوقع في شراكه التركي المتخلف اقتصاديا وعقليا » . ومن هنا كان التلميح المستمر الذي تقدم به رأسماليون يهود ، لتزويد تركيه بالمبالغ الضرورية لموازنة العجز المتكرر في ميزانيتها ، كبدل عن هجرة يهودية غير مقيدة . وفي كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٠٩ كتب جلال نوري، صاحب (جون ترك) ، مقالة تدل على انها موحى اليه بها من مموليه الصهيونيين ، يعرض على الحكومة التركية ـ لدعم دفاعه عن استيطان يهودي في العراق ـ الاغراء التالي : « لو كان لليهود اهتمام بهذا الجزء من الامبراطورية فان رأسمالييهم سوف يجهزون تركيه بالمبالغ الضرورية لموازنة العجز المتكرر في الميزانية (٢٨) وينقل لوثر في رسالته السابقة ١٩١٠/٥/٢٩ ما شرحه زانغويل في مقال له في عدد نيسان (ابريل) ١٩١٠ من Fortnightly Review بانه سيضرب عصفورين بحجر واحد ، اذ لو استطاع ان يكسب من تركيه هجرة غير محددة لليهود اليها ـ وهو هدف كان يسعى اليه منذ سنوات ـ ، وان ينقل الى العراق بضعة ملايين من اخوانه في الدين من روسيه ورومانيه ، فبامكانه ان يتولى امر القرض التركي الوطني .

لقد رأى لوثر ان اليهود « مصممون على السيطرة الاقتصادية في تركيه الفتاة » (٢٩) ، ورغم ان وزارة الاشغال العامة، التي يمكن ان تؤثر على منح الامتيازات، لا تزال تحت سيطرة ارمني هو هالاجيان Halajian ، الا ان المحاولات تجري لاسقاطه، وتدور شائعات ان خلفه سيكون يهوديا او تركيا وراءه يهودي (٣٠) . ولمثل هذه الغاية الاقتصادية عين اوسكار ستراوس ـ وهو يهودي من مناصري مشروع الهجرة اليهودية الى العراق ـ سفيرا للولايات المتحدة ، وكان يعتقد ـ كما جاء في تقرير لوثر عن تركيه سنة ١٩١٠ (٣١) « ان صلاته مع الحكومة التي يدعمها بقوة يهود سالونيك ستضمن له مركزا فريدا » . وكان المشروع الذي يسعى اليه ، وتساعده الفئات ذات النفوذ من اليهود الاميركان ، هو مشروع تشستر Chester لبناء حوالي ٢٠٠٠ كم من الخطوط الحديدية عبر آسيه الصغرى ، والذي اثار ـ كما يقول لوثر ـ شكوك المصالح الالمانية،

---

٢٧ ـ رسالة لوثر ، ١٩١٠/٥/٢٩ F.O. 371/1010/20761

٢٨ ـ المقال مرفق برسالة مارلنغ الى غراي ، ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 371/992/177 F

٢٩ ـ رسالة لوثر ، ١٩١٠/٨/٢٢ F.O. 424/224

٣٠ ـ رسالة لوثر ، ١٩١٠/٥/٢٩ F.O. 371/1010/20761

٣١ ـ ارسل التقرير في ١٩١١/٢/١٤ F.O. 424/250

لانه قد ينافس خط بغداد . وربما كانت استقالة ستراوس لفشله في الحصول على الوعود التي حصل عليها من المسؤولين الترك . وجاء الى الاستانة يهودي بريطاني هو السير ارنست كاسل ، من اجل انشاء بنك اهلي ، وكانت له اهتماماته بمد الخطوط الحديدية في آسيه الصغرى والعراق ، وقد يكون ذلك كله بدافع الاهتمام بالاستيطان اليهودي في تلك المناطق (٣٢) .

ومع ان كثيرا من المشاريع اليهودية لم تتحقق ، الا ان حاجة تركيه الى اصلاح الادارة ثم الى نفقات عسكرية ثقيلة للحفاظ على جيش لا يتناسب مع وضعها الحقيقي من التطور الاقتصادي ، قد جعل تركيه في حاجة الى القروض ، وهذا ما اتاح للممولين اليهود فرصة اوسع للتقدم . وشبّه لوثر الصورة الداخلية (٣٣) للحكم بانها « تحالف يهودي تركي ثنائي ، الاتراك يغذون بخامة عسكرية فاخرة ، واليهود بالادمغة والمغامرة والمال ... ونفوذ صحفي قوي في أوروبه » . ويضرب مثلا على ذلك (في رسالة اخرى في ١٩١٠/٨/٣١) (٣٤) بالقرض الذي عقده جاويد بيه وزير المالية (وهو دونمة من سالونيك) مع بيوتات مالية يهودية في باريس (٣٥) ، كما ان بعضهم يشتبه في ان مشاريع الهجرة اليهودية لها صلة ما بهذه الصفقة ، خاصة وان جاويد بيه ـ كما يقول لوثر ـ « من اصل يهودي كان منذ سنوات عدة قد وظف فعلا في عمل صهيوني» .

٢ ـ نشاط صهيوني في دوائر الحكومة المركزية ، وخط جديد من الدعاية الصهيونية:

لقد كان الهدف البعيد من وراء هذه الجهود التي تسعى الى السيطرة الاقتصادية على تركيه ، هو ان يستخدم هذا المركز في دعم اهداف الصهيونية في فلسطين ، وهي جزء من تركيه ، ومحط انظار الحركة الصهيونية ، قبل اي رقعة اخرى من العالم. وكان الامل ان يتيح نظام الحكم الجديد ظروفا مؤاتية للعمل الصهيوني فيها ، حتى ان احاد هاعام الذي كان حذرا قد اصبح متحمسا وقال « ... لو ان كل الدلائل كانت صحيحة ، فان ابواب فلسطين مقدر لها بسرعة ان تفتح امامنا بدون صعوبة ... ان ظروف الاستيطان والعمل اليهوديين تتاح لنا الآن دون عائق ... فالعقبات الخارجية التي وضعت حتى الآن على الاستيطان على مستوى واسع في فلسطين سرعان ما ستزول ـ ان عاجلا او آجلا ـ بالاضافة الى ان الزعماء الجدد في تركيه ، كما يشاع، يسرهم الاستيطان اليهودي وهم على استعداد لاستقبال القادمين الجدد بحرارة» (٣٦) .

---

٣٢ ـ انظر الفصل السادس .

٣٣ ـ رسالة لوثر الى غراي ، ١٩١٠/٨/٢٢ F.O. 424/224

٣٤ ـ رسالة لوثر ، ١٩١٠/٨/٣١ F.O. 424/224

٣٥ ـ حاول جاويد عقد قرض جديد لسد عجز الميزانية مع بيوتات مالية متعددة في اوروبه ونجح في عقد قرض قدره ٦ ملايين ليرة عثمانية في باريس مع بيوتات مالية يهودية هي كريدي موبيليه وبرنارد ودريفوس وجاريسلوسكي ، وكذلك لجأ الى بنك سلانيك لعقد سلفة بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ ليرة ، وربما كانت الشروط القاسية التي وضعت مقابل القرض ولا سيما شرط الامتيازات ، هي التي سببت فشل العقد ، ولجأت الحكومة الى عقد قرض مع بيوتات المانية ونمسوية . **المقطم** ، ٨/١٨ و ١٩١٠/١٠/١٤ .

٣٦ ـ Cohen, Aharon, p. 73.

وهكذا نشط وكلاء المنظمة الصهيونية على المسرح السياسي التركي ، وبعد اعلان الدستور وصل دكتور فيكتور جاكوبسون الى الاستانة (وهو صهيوني روسي، وعضو اللجنة التنفيذية الصهيونية) كي يعمل ممثلا سياسيا لرئيس المنظمة الصهيونية في العاصمة ، ويتولى الاشراف على الدعاية في الاستانة او ما سموه حملة « تنوير سياسية منظمة » (٣٧) ، (واخفيت هذه المهمة بعمل ظاهري هو مدير بنك انجلو ليفانتين (Anglo Levantine) ، وكذلك كي يعمل على (صهينة) اليهود الترك الذين لم تمسهم الاتجاهات الصهيونية بعد ، ولا سيما ذوي النفوذ الموالين للاتحاديين .

ووجد الى جانب جاكوبسون مجموعة من الشخصيات الهامة كان على رأسها جابوتنسكي ، وقد حضر الى الاستانة ممثلا للصحيفة الروسية الصهيونية Ruskyeh Viyedonostic ، واوكلت اليه مسؤولية الاشراف على شبكة من الصحافة تديرها الصهيونية بعد موجة حرية الصحافة التي اجتاحت الدولة العثمانية بعد اعلان الدستور (٣٨) . واحدى هذه الصحف جريدة يومية فرنسية تعرف باسم Courier d'Orient ، غيرت اسمها فيما بعد الى Le Jeune Turc ومحررها وناشرها الاسمي هو جلال نوري (٣٩) من اعيان الاتراك وابن وزير ، بينما مديرها الفعلي هو هوخبرغ Samuel Hochberg اليهودي الالماني الذي كان استاذا سابقا في مدارس الاليانس الاسرائيلية في الشرق ، وعرف جيدا الاوضاع فيه لمدة ٢٠ عاما ، وقد غيّر اسمه الى صيغة اسلامية (سامي) . وتشير تقارير لوثر (٤٠) الى ان هذه الصحيفة تمولها مؤسسة صهيونية تسمى: .Anglo Palestine Trading Corp وتضم في هيئة تحريرها يهودا واتراكا وارمن وكريتيين وقفقازا وعربا . وكانت الى جانب المقالات التي خصصتها لشرح الفوائد المتوقعة من الهجرة اليهودية الى تركيه والرد على الصحف المهاجمة ، تدعو الى الجامعة الاسلامية وتعادي روسيه وانجلتره في امور السياسة

---

٣٧ – Shechtman, J., Rebel & Statesman, **The Vladimir Jabotinsky Story,** (New York, 1956), p. 150.

٣٨ – Emin, Ahmed, **The Development of Modern Turkey as Measured by its Press,** (Columbia University 1914), p. 86.

خلال النصف الاول من ١٩٠٩ تمتعت الصحافة التركية بكل مميزات الحرية الجديدة وكانت مقسمة الى معسكرين ، احدهما يدعم الجمعية والثاني ضدها . ولما رأت الحكومة الاذى المسبب من الحرية الصحفية قررت الغاءها ووضعت قانون الصحافة . وكانت اكثر الصحف بروزا هي طنين ورئيس تحريرها حسين جاهد وهو عضو بارز في الجمعية . وكذلك جرائد لا لون لها: اقدام ، يني غازيت، صباح، تصوير افكار. والجرائد المعارضة هي سداي ملت (Sedai Millet) وموحدي (Muahedé) وسربستي (قتل او لوحق محرروها) ، ومع ازدياد المعارضة في المبعوثان وتنظيم حزب الحرية والائتلاف زادت موجة المعارضة في الصحف وتزعمتها يني غازيت واقدام .

٣٩ – في رسالة مارلنغ الى غراي ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 424/222 ان جلال نوري – الكريتي الاصل – كان يزامل في العمل الصحفي ابو ضيا توفيق Ebbuzia Teofik وفي اثناء زيارة الاخير لندن مع الوفد العثماني ، بدأ ينشر في صحيفته (تصوير افكار) مقالات محذرا من الاخطار المتوقعة من استغلال رجال المال اليهود لتركيه ، مما سبب الخلاف مع جلال نوري فتولى صحيفة خاصة بدعم مالي يهودي .

٤٠ – رسالة لوثر ، ١٩١٠/٥/٢٩ ، ١٩١٠/٨/٢٢ . F.O. 371/1010/20761 F

الاجنبية . والى جانبها دورية اسبوعية بالفرنسية اسمها لورور (٤١) (الشفق) يحررها لوسيان سيوتو Lucien Soiutto وكان هو نفسه الذي يشرف على اسلوب تحرير جون ترك ، وهي تسير على نفس خطوطها تقريبا . وكذلك دورية اسبوعية (بالاسبانية والعبرية) اسمها El Judoe . واسبوعية بالعبرية هي Ha Mevasser (المراسل) والى جانب هذه الصحف مارس الصهيونيون تأثيرا غير مباشر على صحف اخرى منها جريدة (عثماينشر لويد) Osmanischer Lloyd ، لسان حال السفارة الالمانية ، وكان يحررها يهودي دونمة ، وكذلك جريدة تدعو للجامعة الاسلامية تصدر بالفرنسية والتركية باسم La Tribune de Peuples (Kursi-i-Millel) ، وكذلك جورنال دو سالونيك (Journal de Salonic) وكانت تصدر بالفرنسية (منذ ١٥ سنة) ويحررها صموئيل ليفي . والى جانب الصحف التي اشرف الصهيونيون عليها مباشرة، فان مدير مكتب الصحافة ، الذي اوجد في ظل القانون العرفي ، يديره يهودي من سالونيك . وهذا المركز (كما يقول لوثر في رسالته الى الخارجية في ١٩١٠/٥/٢٩) له اهمية بالغة ، لان حامله يمكنه ان يقمع اي صحيفة تقوم بنقد نظام الحكم الجديد ، وان يقدم صاحبها او رئيس تحريرها للمحاكمة .

يضاف الى ذلك جهود بالغة كانت تبذل من اجل اليهود الترك لجعلهم اقرب الى الحركة الصهيونية . وكان لليهود العثمانيين اربعة نواب في المبعوثان وواحد في مجلس الشيوخ ، كما كان كثير من زعماء اليهود العثمانيين ينتمون الى دوائر تركيه الفتاة ، وقد عبّروا عن رغبتهم في تحقيق افكار الصهيونية على اساس ان « ... اليهود الذين سوف يهاجرون الى تركيه عموما ، وفلسطين بوجه خاص ، سوف يلعبون دورا قيما برأسمالهم وتعليمهم وفعاليتهم ، وسوف يطورون هذا البلد ويغنونه ويقوونه » (٤٢) . وبدأ العنصر اليهودي يبرز الى العمل بمخطط صهيوني ، على الرغم من ان بعض اليهود العثمانيين لا يزال يخشى العمل بشكل مفتوح ، خوفا من ان يوقظ – كما يقول لوثر في تقريره السنوي ١٩٠٩ – شكلا عنيفا من (المعاداة للسامية) (٤٣) . وهذا لم يمنع من ان يعلنوا في اجتماعاتهم السرية عن موافقتهم على البرنامج الصهيوني (٤٤) .

وكانت حملة الاعلام الواسعة التي تولتها البعثة الصهيونية في الاستانة ، بالاتفاق مع الزعماء الصهيونيين المحليين ، تتلخص في « ... ان الصهيونية لا تهدف الى فصل فلسطين عن الامبراطورية العثمانية ، وان الصهيونيين عرفوا جيدا ان وجود مركز يهودي لا يمكن ان يضمن ، ما لم يوضع داخل حدود ، وتحت حماية امبراطورية عثمانية قوية وكبيرة ... وانهم خلال طغيان السلطان طلبوا وضعا خاصا وضمانات،

---

٤١ – Shechtmann, p. 156.

٤٢ – Cohen, A., p. 74.

٤٣ – تقرير لوثر عن تركيه ١٩٠٩ (ارسل ١٩١٠/١/٣١) F.O. 424/250

٤٤ – Shechtmann, p. 158.

وقد عبر جابوتنسكي عن نجاح جهوده في نشر الصهيونية بين يهود تركيه بقوله امام لجنة الصحافة الصهيونية في الاستانة ايار (مايو) ١٩١٠ « ان موقف هؤلاء قد تغير بالنسبة للصهيونية، والخوف من ان تعتبر خيانة عظمى قد اختفى تدريجيا » .

او ما يسمى « بالميثاق » حتى لا يقوم السلطان بتخريب كل ما بنوه . اما الآن حيث يسود الدستور والحرية ، فلم تعد هناك حاجة لتأكيدات ووضع خاص » (٤٥) . هذا الخط الجديد من الدعاية الصهيونية عبّر عنه في المؤتمر التاسع الصهيوني في همبرج (١٩٠٩/١٢/٢٦) ، وهو اول مؤتمر يعقد بعد التغييرات الجديدة في نظام الحكم العثماني ، ويرسم مرحلة اخرى في عملية التطور التي تمر بها الحركة الصهيونية منذ ان وضع خطوطها هرتزل .

وكتب مدير (اورور) مقالا بعنوان (٤٦) « الاسبوع الكبير من بال الى همبرج ، نحن باحيائنا اليهودية نحيي تركيه » يعبر فيه عن تفاؤله « بان هذا المؤتمر بعد بال يفتح عصرا جديدا للصهيونية ... ويفتح طريقا جديدا لانجاز الهدف ... » . واهمية المؤتمر الخطيرة – كما يقول – تعود الى « انه اول مؤتمر يعقد في ظل الحكم التركي الجديد ، فقد كان امام المؤتمرات الثمانية الاولى سلطة مستبدة لشخص واحد ، وعين طاغية حذرة اما المؤتمر التاسع فيعقد بوجود سلطة شعب حر عظيم » . لقد امل الكاتب ان يعرض امام المؤتمر « افكارا وآمالا ومشاريع صهيونية سيضعها في مجال التطبيق العملي » ، واكد ان المؤتمر سيثبت بشكل صريح ومقنع ان ليس من ضرر في الصهيونية على تركيه ، ولذلك ، وبعد توقف سنتين في الحركة الصهيونية ، كما يقول – سيحدد المؤتمر التاسع « ... ماذا يجب على تركيه ان تفعله من اجل الصهيونية ، وماذا يتوقع منها ان تفعل ، وامام هذه التظاهرة فقد زالت جميع الشكوك والافتراءات ... » . ان صاحب (اورور) يتوقع ان ما سيعلنه المؤتمر التاسع هو تأكيد لما اعلنه هرتزل في برنامج بال « عودة اليهود الى بلدهم فلسطين ... ولا يمكن ذلك الا بطريق قانوني ... ومن اجل ذلك سيجتمع الصهيونيون ، وسندعم العمل العظيم لتركيه والصهيونيين » .

وفي جلسات المؤتمر (٤٧) ، وبعد ان اعلن Wolffsohn رئيس اللجنة المركزية « ان تركيه التي اصبحت دولة دستورية هي محط امل جديد ... يتوقع منها ان تطور الهجرة اليهودية الى فلسطين من اجل مصالحها » . عبّر نوردو عن خطة الصهيونية الجديدة بالنسبة للاوضاع المتغيرة « كنا في ظل الحكم الاوتوقراطي التركي السابق مرغمين على ان نطلب حرية معينة ، احتجنا الى ضمانات رسمية على شكل ميثاق ، اما في دولة دستورية فلا نحتاج الى حقوق معينة ، القانون العام كاف » . كل ما يتطلع اليه الصهيونيون – في رأي نوردو – هو الاعتراف بقوميتهم كسائر قوميات الامبراطورية التركية ولكن دون التفكير طبعا بفصل فلسطين عن تركيه . وجاء في الاهرام تعقيبا على قول نوردو « ... الصهيونيون يرغبون في مساعدة تركيه في نهضتها الجديدة ولكن بصفتهم شركاء احرارا وجدوا جنسيتهم بعد ان فقدوها منذ الفي عام ، لا بصفة مستعمرين او اجانب يباح لهم النزول في الممالك العثمانية » .

٤٥ – Cohen, A., p. 74.

٤٦ – نسخة عن جريدة **اورور** (الفرنسية) مرفقة برسالة مارلنغ الى غراي ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 311/992/32231/177 F

٤٧ – في اعداد **التايمز** ٢٨ ، ١٩٠٩/١٢/٣١ وفي **الاهرام** ٦ ، ١٩١٠/١/٧ تفاصيل اخبار المؤتمر الصهيوني .

وكان مندوب سالونيك في المؤتمر قد اكد على المصالح المتبادلة بين تركيه واليهود ، « تركيه تجد في اليهود ما تطلبه من مهاجرين جديين اذكياء مسالمين . واليهود يجدون في تركيه ما ينقصهم من ارض كريمة ومساحات واسعة ... تعطيهم فرصة لتطوير امكانياتهم » (٤٨) .

وكان على المؤتمر التاسع ان يبحث – الى جانب الخط السياسي الجديد – الناحية العملية (٤٩) وبذلك اتفق الاتجاهان العملي والسياسي على اساس الثقة الكاملة بان نظام الحكم الحالي سيضمن مثل هذه الاعمال ويضمن مجيء عدد متزايد من السكان . وبدا كأن اساليب احباء صهيون في العمل تسترد العطف من الصهيونيين ، ولكن بشرط ان لا ينفصل الاسلوب السياسي في الحركة عن النشاط العملي في فلسطين ، وتقرر التخلي نهائيا – كما يقول جابوتنسكي (٥٠) – عن شعار « السكوت والعمل » الذي كان قاعدة للعمل الصهيوني .

وكان مما يزيد آمال الصهيونيين ، الموقف المتعاطف الذي اتخذه زعماء جمعية الاتحاد والترقي لصالح الهجرة اليهودية الى الممتلكات التركية ، وكانت تصدر بين حين وآخر تصريحات غير رسمية لدعوة اليهود للاستيطان في تركيه ، التي تحتاج اليهم والى مهاراتهم . ونشرت جريدة الاورور (٥١) في ايلول (سبتمبر) ١٩٠٩ مقابلة اجرتها صحيفة سالونيك مع الزعيم التركي الاتحادي (دكتور ناظم) ، احد قادة الاتحاد والترقي ، والذي لعب دورا كبيرا في ثورة تموز (يوليو) ١٩٠٨ ، ويعتبر نفسه صديقا للشعب اليهودي ومعجبا بالاليانس ، ابدى فيها نية الحكومة لانفاق مبلغ ٥ ملايين ليرة تركية لتوطين مهاجرين اجانب في الولايات المقدونية بما فيهم ٢٠,٠٠٠ يهودي روماني ، وكان قد زار في باريس مكتب (أيكا) ، وابدى مديروها استعدادهم لمساعدته في هذه العملية وكذلك ابدوا استعدادهم لاقامة طرق المواصلات وتجفيف المستنقعات وتنظيم الري ... الخ ، ولم يطلبوا منه اكثر من تسليف الدولة المال . ويضيف الدكتور ناظم « انه بالنسبة للاراضي ، فلدينا منها الكثير للبيع ، فتركيه الاوروبية قليلة الكثافة السكانية ، ويمكن زيادة العدد دون ضرر » ووعد بان يبذل قصارى جهده لنجاح المشروع « لانه موضوع حياة او موت بالنسبة لتركيه » . وكان ناظم بيه قد ابد ادخال بضعة ملايين من المهاجرين اليهود الى العراق .

ولكن الاتراك ابدوا رغبتهم في ان يوزع المستوطنون اليهود في كل انحاء الامبراطورية ، وان يدمجوا فيها وخاصة تلك المناطق القليلة السكان من جهة ، وتلك

٤٨ – Jewish Chronicle, 7/1/1910

٤٩ – شغلت جلسات المؤتمر بمناقشة سير العمل في فلسطين فتحدث واربورغ عن ضرورة التوسع بايجاد طبقة من الفلاحين اليهود ، واوبنهايمر عن مشروع انشاء مستوطنات تعاونية ، وتقرر ان توجه المؤسسات المالية الصهيونية كل اهتمامها الى المشاريع في فلسطين وكذلك العمل على التوسع في النواحي التعليمية . Jewish Chronicle, 7/1/1910 Times, 3/1/1909.

٥٠ – Shechtmann, p. 151.

٥١ – مرفقة برسالة مارلنغ الى غراي ١٩٠٩/١٢/٢٧ F.O. 371/992/322 37

التي يرغب الحكام الترك اضعاف المطالب القومية المتزايدة فيها ، ولم يتحدثوا عن فلسطين علنا في دعوتهم للهجرة . وعلى الرغم من كل ما ابداه المسؤولون الترك من عطف على الصهيونيين ، وتشجيع نشاطاتهم في فلسطين ، وتدخل الحاخام المستمر لدى وزارة الداخلية لصالح اليهود في فلسطين (٥٢) ، لم يقدموا على الخطوة الحاسمة بفتح ابواب فلسطين رسميا لليهود وازالة القيود السابقة لاعتبارات كثيرة ، منها انهم لم يكونوا يرغبون في ان تكون فلسطين هي الهدف الوحيد للاستيطان اليهودي ، لما وراء هذا التمركز من اهداف سياسية كانت معروفة في تركيه ، رغم خط الدعاية الجديد الذي اتبعه الصهيونيون في هذه الفترة .

ويبدو ان مطمح الصهيونيين في فلسطين لم يتبدل كذلك ، منذ ان وضعه هرتزل . والادلة على ذلك كثيرة ... يعلّق جابوتنسكي على خطاب نوردو « بانه قد وضع حدا للاشاعات بان الصهيونيين على استعداد لعمل كل التنازلات الممكنة ... اذ اصبح من الواضح اننا لم نتخل عن قاعدة التركيز في فلسطين والقومية اليهودية ... ان نوردو قد اكد على الحد الادنى الذي لا يمكن انقاصه من المطالب اليهودية » (٥٣) . وفي اثناء مداولات المؤتمر ، شنت حملة عنيفة على منظمة زانغويل وعلى مشروع نوسيغ لان الاول لا يعتبر فلسطين الحل السياسي العملي للمسألة اليهودية ، والثاني هو الذي قام بطرح مشروع ينفي فيه كل هدف سياسي ويطالب بتوزيع الهجرة على الشرق كله (٥٤) .

ودليل آخر هو تلك الضجة التي اثيرت حول كتيب نشر بالالمانية عام ١٩٠٩ من تأليف (كان) J. H. Kann (احد الاعضاء الثلاثة في اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ، ومن كبار رجال المال اليهود في لاهاي) بعنوان « ارض اسرائيل » Eretz Israel اثر زيارة قام بها عام ١٩٠٧ الى فلسطين (٥٥) . والمؤلف يطالب بحكومة يهودية مستقلة ذاتيا في فلسطين تحت سيادة السلطان ، وحدودها الطبيعية هي لبنان شمالا ، ثم خط دمشق ــ العقبة شرقا ، وشبه جزيرة سيناء جنوبا ، والمتوسط غربا . ويضيف الكتاب « اذا كنا نريد سلما ، علينا ان نستعد للحرب ... اذا اردنا نظاما وهدوءا يسودان البلد فعلينا ان نكون مستعدين لقمع الشغب والقلاقل ... » . هذه المطالب ، وان كانت تتطابق مع الراي الهرتزلي في الصهيونية ، فقد كانت مناقضة تماما للسياسة التي اعلنت رسميا واتبعتها المنظمة الصهيونية في « حملة التنوير » في الاوساط العثمانية ، بحجة ان الصهيونية لا تهدف لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، بل تسعى فقط الى الهجرة اليهودية الحرة والاستقلال الذاتي الثقافي . وكان الكتاب بنسخته الالمانية قد اثار نقدا في الاوساط الصهيونية ، واصبح اكثر تهديدا لما نشر (كان) بعد مؤتمر

---

٥٢ ــ في اعداد **جويش كرونيكل** ٢٥ شباط (فبراير) ، اول آذار (مارس) ، ١٨ آذار ، ٦ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٠ امثلة عن مشاعر العطف التي كان يبديها المسؤولون نحو اليهود .

٥٣ ــ **Shechtmann, p. 160.**

٥٤ ــ **Jewish Chronicle, 7/1/1910.**
كانت ترافق قراءة مشروع نوسيغ امام المؤتمر صيحات المندوبين « يا للعار » .

٥٥ ــ حول تفاصيل ازمة كتاب (كان) انظر : **Shechtmann, pp. 161 - 168**

همبرج ترجمة فرنسية له ، وبدأ بارساله الى الساسة الاتراك البارزين والى الصحافة . وشعر القائمون على امور الدعاية الصهيونية في الاستانة ان هذا يهدد بالخطر المنجزات السياسية التي حققوها ، او انه سيحرج موقف اليهود العثمانيين الذين يشاركون في حملة الدعاية (٥٦) . وكادت تحدث ازمة بين البعثة الصهيونية (وخاصة جابوتنسكي) في الاستانة واللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ، لاصرار الاولى على حذف فصل الاماني الصهيونية من النسخة الفرنسية ، وعلى ان تصدر اللجنة تصريحا ، بان آراء (كان) لا تعبّر عن الموقف الصهيوني الرسمي للمنظمة الصهيونية . على كل حال لم يتخذ اي اجراء نتيجة لهذه المخاوف والاحتجاجات ، وظلت هذه الازمة امرا داخليا في الزعامة الصهيونية دون ان تحدث تعقيدات سياسية تالية داخل الاوساط الحكومية العثمانية .

٣ ــ تزايد النشاط الصهيوني العمل في فلسطين :

في اثناء ذلك كانت التطورات في فلسطين حيال المسألة الصهيونية قد اتخذت مجرى آخر . فقبل تغير نظام الحكم في الدولة العثمانية بفترة قصيرة لم تكن ظروف العمل الصهيوني تبدو مؤاتية سواء من جهة السلطات الحكومية او من قبل السكان العرب انفسهم . وتعطي تقارير القنصل البريطاني في القدس بلش Blech في اواخر عهد السلطان عبد الحميد صورة عن المصاعب التي كانت تضعها السلطات المحلية لعملية انتقال ملكية الاراضي الى الرعايا الاجانب ، والتي تعزى الى الرغبة في منع الاستيطان اليهودي في فلسطين (٥٧) . وكانت رسائل مشابهة قد وردت الى السفارة في الاستانة من والى بيروت (٥٨) . وواجهت البعثات الدبلوماسية الاجنبية ــ واليهود المهاجرون في حمايتها ــ صعوبات بالغة في تذليل هذه العقبات مع السلطات المحلية ، التي كانت تنفذ تعليمات الحكومة المركزية المشددة . وبما ان معظم القادمين الجدد كانوا يحملون الجنسية البريطانية ، فقد كانت علاقات القناصل البريطانيين مع السلطات المحلية بالغة التعقيد (٥٩) .

كذلك لم تكن علاقات هؤلاء المهاجرين مع السكان المحليين جيدة . فالى جانب حوادث العنف التي كانت ترافق انشاء المستعمرات اليهودية ، وخاصة في الشمال ، كان يسود مدينة يافا ــ حيث يتجمع عدد كبير من المهاجرين الجدد ومعظمهم من اليهود الروس ــ وضع قلق شرحته رسالة وكيل القنصل البريطاني في يافا في ١٨ آذار

---

٥٦ ــ ذكر Sciutto رئيس تحرير اورور في اجتماع لجنة الصحافة « ... انكم في اي وقت تحزمون حقائبكم وترحلون ، اما انا فسأبقى في تركيه ولا اريد ان اصبح متهما في نظر حكومتي ... » .
Ibid, p. 168

٥٧ ــ رسالة بلش اوكونر (الاستانة ١٩٠٨/١/١١) **F.O. 195/2287**

٥٨ ــ تقرير من حيفا ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٧ **F.O. 195/2276**

٥٩ ــ رسالة بلش الى اوكونر ١٩٠٨/١/٢٠ وفيها يشكو من زيادة عدد هذه الفئة في فلسطين التي لا تستحق العطف . **F.O. 195/2287**

(مارس) سنة ١٩٠٨ (٦٠) . وسببت الحوادث في يافا « ذعرا عاما بين اليهود فيها » ، كمابدى اليهود من الرعايا البريطانيين تخوفهم الى القنصل ، فحاول تهدئتهم مع تأكده التام — كما جاء في رسالته الى لوثر — « ... ان هؤلاء اليهود من المهاجرين الروس مشاغبون ومعتدون ... وبسلوكهم واعدادهم المتزايدة يمكن ان يثيروا استياء اهالي البلاد المسلمين والمسيحيين على السواء ... » وعزا هذه الحوادث الى : «وجود شعور متزايد ضد تدفق اليهود » ومع ذلك فقد كان اليهود يجدون في الدول الاجنبية حماية لهم في علاقاتهم مع السلطات المحلية ومع السكان العرب . بل ان القنصل البريطاني قد وافق على رأي السفير الروسي ، بضرورة عزل قائمقام يافا (عساف بيه) « لانه ما لم يتلق اليهود هذا الارضاء فانهم سوف يعتبرون انفسهم وكأن حكوماتهم قد تخلت عنهم ، وربما لجأوا — بسبب استيائهم — الى العنف » .

كان هذا جانبا من الاوضاع السائدة في فلسطين على ابواب ثورة سنة ١٩٠٨ ولكن الاماني الصهيونية التي تحركت مع بدايات الحكم الجديد ، قد اعطت دافعا جديدا للعمل الصهيوني في فلسطين . وكان اتجاه المنظمة الصهيونية قد بدأ ينحو — حتى قبل الثورة — الى الاهتمام بالناحية العملية ، بعد ان كانت تتولاها سابقا جمعيات يهودية اخرى مثل احباء صهيون ، وحولت المنظمة جهودها نحو دعم وتعزيز الهجرة الى فلسطين وتطوير المستوطنات اليهودية . وبناء على تكليف من المؤتمر الصهيوني الثامن ، وضع آرثر روبين على رأس جهاز جديد يمثل المنظمة ، هو (مكتب فلسطين) في يافا ، لتولي مهمة الاشراف المباشر على عملية الاستيطان اليهودي وادارة النشاط العملي للحركة الصهيونية . وكانت المؤسسات التي انشأتها المنظمة من اجل تحقيق اهداف الصهيونية هي :

(أ) The Jewish Colonial Trust (البنك الاستيطاني اليهودي) بمؤسساته المتفرعة ، وهو شركة مسجلة في لندن سنة ١٨٩٩ كجهاز مالي للمنظمة الصهيونية ، برأسمال قدره مليوني جنيه استرليني ، من اجل تطوير فلسطين والبلاد المجاورة صناعيا وتجاريا . وكان يعمل في فلسطين عن طريق :

(ب) بنك انجلو فلسطين فروعه في يافا والقدس وحيفا وصفد وبيروت والخليل وطبريه وغزة ، وهو شركة مسجلة في لندن برأسمال قدره ١٠٠٫٠٠٠ جنيه (عام ١٩٠٣) كشركة متفرعة من Trust لمنح قروض للاغراض الصناعية والتجارية .

(ج) الصندوق القومي اليهودي او ما يطلق عليه بالعبرية « كيرين كايمت » المسجل كشركة انجليزية سنة ١٩٠٢ ، اكتتب له ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه استرليني ، وهدفه الرئيسي جمع الاموال بشتى السبل للحصول على ارض في فلسطين للشعب اليهودي

٦٠ — F.O. 371/591/12052
وقد رفعت الرسالة في اليوم الثاني من القدس الى الاستانة وكان الحادث قد بدأ في حي المنشية في يافا حيث جرى اعتداء يهودي على بعض اصحاب الحوانيت العرب ، اشتبك على اثره اليهود والعرب في قتال عنيف تدخلت الشرطة لتهدئته .

لا تنتقل ملكيتها ، وانما تؤجر لفترة لا تزيد على ٤٩ سنة بعقود ايجار يدفع المستوطن بموجبها ايجارا سنويا من ٢ الى ٣ ٪ حسب قيمة الارض. وحسب نظام هذا الصندوق فان ثلثي امواله تخصص للشراء والثلث الباقي احتياطي . ومع اهتمامه بشراء الارض، فقد شارك الى حد ما في عملية تحسين الاراضي وتشجيرها (عن طريق Olive Tree Fund)) ، وبناء بيوت للعمال واحياء جديدة في تل ابيب .

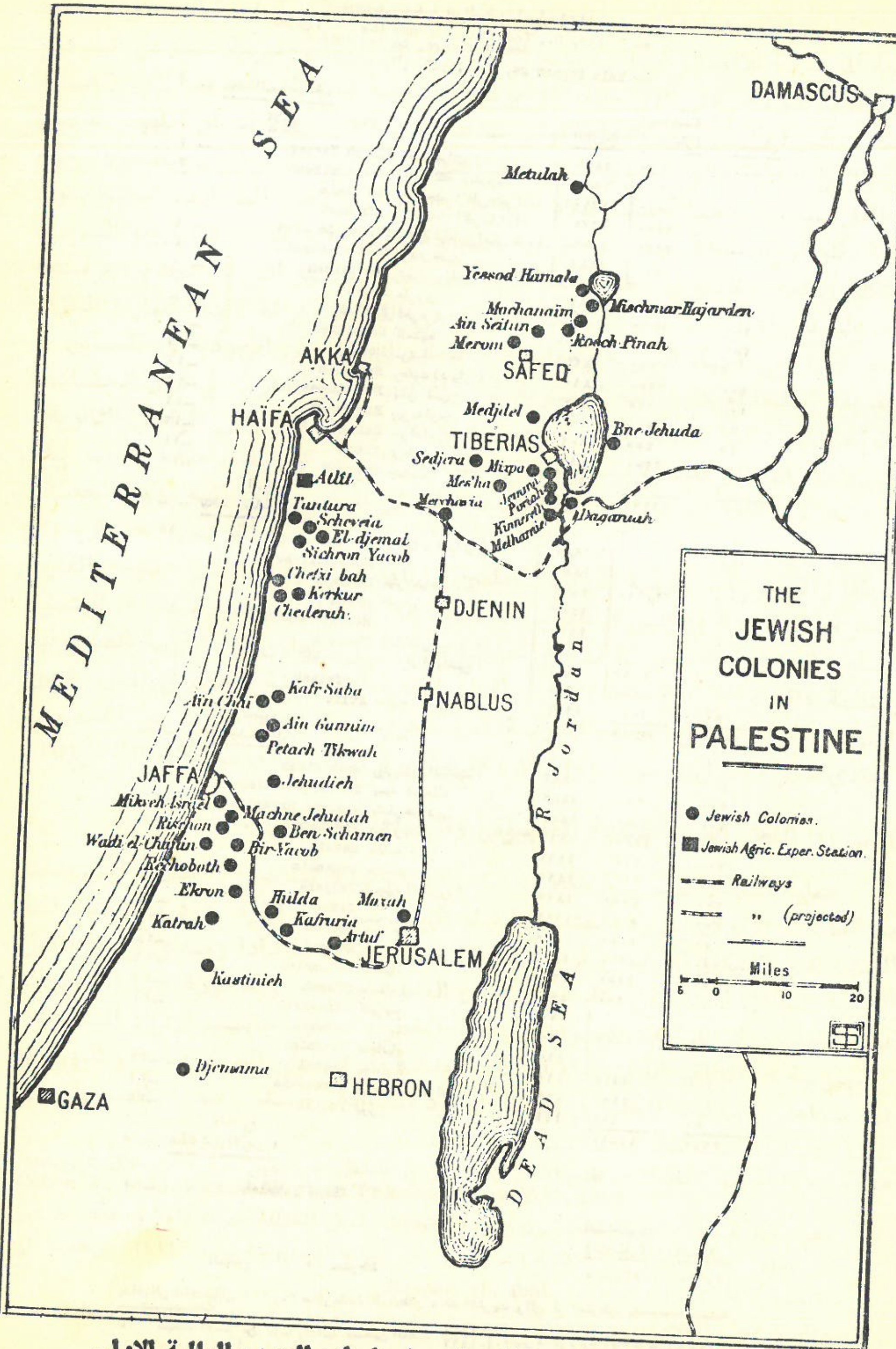
(د) Palestine Land Development (شركة تطوير الاراضي) التي اقترح روبين تأسيسها عام ١٩٠٧ وسجلت في انجلتره سنة ١٩٠٩ برأسمال قدره ١٧٫٥٠٠ استرليني ، وخطتها تركيز الحصول على الاراضي للصندوق القومي اليهودي وشركات الاستيطان الخاصة والافراد ، من اجل اعادة بيعها للمستوطنين في المستقبل .

(هـ) The «Eretz Israel» Colonization Association Cooperative Settlement.
وتأسست عام ١٩١٠ من اجل تشجيع ومساعدة تأسيس جمعيات زراعية تعاونية في فلسطين .

وكان معظم القادمين الجدد من المهاجرين لا يملكون اموالا لشراء ارض او بناء مساكن خاصة ، وهذا دفع المؤتمر الصهيوني التاسع الى البدء في تجربة الاستيطان التعاوني في مرحافيا (الفولة في مرج ابن عامر) . وقد تبع خط آخر في الاستيطان الجماعي ، هو نظام العقد بحيث تتعهد جماعة ان تدير مزرعة على اساس تعاوني ، ومن اقدم هذه التجارب تجربة الشجرة Sedjera في الجليل الادنى (في مزارع ICA) ثم في دجانيا (ام الجون العربية) ، وهي اول تجربة لنظام كفوتز Kvutzah (جماعة) حيث تكون فيه الملكية والارباح جماعية ، اما نظام الموشاف (مستعمرة) فيشبه الكفوتز في المظاهر التعاونية في الادارة ، وبيع المحصول ، وشراء المؤن والادوات ، الا انه يترك مجالا اوسع للمبادهة والتملك الفردي (٦١) . وعلى كل حال فان هذا الاستيطان التعاوني لم يتوسع وينظم الا بعد الحرب الاولى ، وظل الشكل السائد للاستيطان في الفترة السابقة للحرب المستوطنات المقامة على ارض الصندوق القومي اليهودي التي تستخدم العمل اليهودي المأجور مع وجود مدربين وخبراء زراعيين ، الى جانب بعض المزارع الخاصة او التي تملكها شركات مستقلة .

وكانت المنظمة الصهيونية تسعى عن طريق مؤسساتها العاملة في فلسطين الى تجاوز المصاعب التي يضعها القانون التركي بالنسبة لملكية الارض . وحسب هذا القانون ، كان لا يمكن للاجانب والمؤسسات والهيئات الدينية غير الاسلامية او الخيرية ان تسجل ملكيتها للارض الا باسم احد الرعايا العثمانيين . والملكية غير المنقولة لها درجات ، فالى جانب الملكية الخاصة توجد اراضي (الميري) وهي ملك للدولة ، ولكن الاشخاص يتمتعون بحقوق الانتفاع او الاشغال ، ولو لم يكن هناك وارث تعود للدولة،

٦١ — صدرت حول هذا الموضوع دراستان عن مركز الابحاث (منظمة التحرير الفلسطينية) :
أ — عبد الوهاب الكيالي ، **الكيبوتز** — بيروت ١٩٦٦ .
ب — ابراهيم العابد ، **الموشاف** — بيروت ١٩٦٨ .



المستعمرات اليهودية في فلسطين على ابواب الحرب العالمية الاولى

نقلا عن كتاب : Sacher, H., (ed.), **Zionism & The Jewish Future,** (London 1916).

ولا يمكن تحويل ملكية الميري الا بموافقة الدولة ، اي ان يكون الحاكم ممثلا الى جانب موظفي دائرة التسجيل ، والميري تختلف عن الملكية الخاصة فيما يتعلق بالضرائب وحقوق مالك الارض المجاور ، والجزء الاكبر من اراضي فلسطين – كغيرها من الولايات التركية – هي اراضي ميري . وقسم من القرى تكون ملكية الميري مشتركة، الا انها تسجل باسم عدد قليل من الاشخاص هم عموما من الاعيان المحليين . ونظام (المشاع) هذا يتضمن اعادة توزيع الارض بين الملاك المشتركين حسب فترات تطول او تقصر ، وهذا النظام ، الى جانب مساوئه ، كان سببا في المنازعات واهمال الاراضي . ثم هناك اراضي الوقف وهي التي يخصصها مالك سابق لبعض الاغراض الدينية او الخيرية ، ويديرها مجلس تشريعي اعلى له السلطة على كل المؤسسات الاسلامية والمحاكم الشرعية . واخيرا هناك الاراضي المتروكة والموات ، الاولى هي اراضي مشاع تعطى الى سكان منطقة معينة ولا يمكن ان تباع او تورث او تستعمل لاي غرض اكثر من الذي حددت له ، بينما الثانية هي اراض مهملة ليس لها شاغل ، ولا يمكن اشغالها دون اذن الحكومة . ويضاف الى ذلك اراضي تخص عائلة السلطان قبل ثورة ١٩٠٨ تدعى جفتلك (مزرعة) .

ورغم التعقيدات المختلفة التي واجهت المنظمة الصهيونية في صفقات الاراضي ، فقد وجد ممثلوها اساليب عدة للوصول الى اهدافهم في الحصول على الاراضي وانشاء المستوطنات حتى انه حين انتهت الحرب الاولى كان هناك اكثر من ٤٠ مستوطنة زراعية ، تتوزع بين الجليل ومرج ابن عامر وسهل سارونة ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٢ر٠٠٠ وتملك ما يقدر ب ٤٠٠ر٠٠٠ دونم (الدونم ١/٤ هكتار) ، او حسب تقدير النشرة العربية (Arab Bulletin) (١٩١٧/١/١٩) (٦٢) ١٣٠ر٠٠٠ هكتار منها ٩٠ر٠٠٠ قد استوطنت فعلا . كما تضيف النشرة ان هذه المساحة تشمل احسن الاراضي في فلسطين . وقد بذلت جهود لتدريب اليهود الذين قدموا من المدن على الاساليب الزراعية وتأمين المساكن لهم (٦٣) ، كما انشىء مركز للتجارب الزراعية في (عتليت) . وتعزو النشرة العربية هذا التقدم الملحوظ في هذه المستعمرات الى الامتياز الذي يتمتع به المستوطن اليهودي على الفلاح المواطن ، بكونه قادرا على مقاومة مطالب جامع الضرائب التركي الباهظة .

---

٦٢ – تبلغ مساحة فلسطين ٢٦ر١٥٨ر٠٠٠ دونم او ١٠ر١٥٠ ميلا مربعا او ٢٦ر٣٠٥ كم٢ .

٦٣ – كان روبن قد اقترح منذ ١٩٠٩/٩/٢٤ على المنظمة الصهيونية مسألة نقل اليهود من اليمن الى فلسطين لانهم يعرفون اللغات والعادات العربية وبامكانهم التأثير على السكان العرب اكثر من الاوروبيين . وقد ارسل مندوب من مكتب فلسطين الى اليمن لتنظيم شأن المهاجرة وتدفق بعدها افواج اليهود اليمنيين .

رسالة روبن (بالالمانية) من يافا الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في كولون . ملحق لمقال Alsberg, P.A., (بالعبرية) ، « المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى » في : Shivat Zion, Vol. 4. 1956 - 1957, pp. 161 - 209.

المستوطنات اليهودية في فلسطين (عام ١٩١٦)

نقلا من :

a- Sacher, H., (ed.) Zionism and the Jewish future, London 1916

b- Yale Report 24, 22.4.1918 (٦٤)

أ – منطقة اليهودية :

	الاسم		التاريخ	المساحة (هكتار)	السكان
١ –	Mikveh Israel	مكفه يسرائل	١٨٧٠	٦٢٥	٢٠٠
٢ –	Petach Tikvah	بتاح تكفه (ملبس)	١٨٧٨	٥ر٢٠٠	
	Ain Ganim	عين جنيم (كارجنيم)	١٩١٠	٥٩٠	٣٠٠٠
	Kafr Saba	كفارسابا (كفر سابا)	١٩٠٤	١٧٥٠	
٣ –	Rishon Le Zion	رشون لتسيون (عيون قاره)	١٨٨٢	٣١٨٠	١٢٠٠
٤ –	Wadi-el-Chanin	وادي حنين	١٨٨٢	٧٦٠	٢٠٠
٥ –	Nes Zionah	نس تسيوناه	١٨٩٧		
٦ –	Ekron	عقرون	١٨٨٤	٣٥٧٠	٣٢٠
٧ –	Katrah	قطره	١٨٨٤	١٣٦٠	١٥٠
٨ –	Castinieh	كاستينه	١٨٩٥	١٢٨٠	٢٠٠
٩ –	Mozah	موتسا	١٨٩١	٢٥٠	؟
١٠ –	Rehoboth	رحفوت (ديران)	١٨٩٠	٣٢٥٠	٩٠٠
١١ –	Ben Shamen	بن شمن	١٩١٠	٥٢٥	١٠٠
١٢ –	Bir Jacob	بير يعقوب	١٩٠٧	٥٠٠	٧٠
١٣ –	Hulda	حولداه	١٩٠٩	٤٥٥	٤٥
١٤ –	Artuf	عرطوف	١٨٩٦	١٢٠٠	٩٥
١٥ –	Djemama	جماسه	١٩١١	١٢٧٠	؟
		المجموع		٢٦٢٦٥	٦٤٧٥

ب – منطقة السامرة :

	الاسم		التاريخ	المساحة (هكتار)	السكان
١٦	Zichron Jacob	زخرون يعقف (زمارين)	١٨٨٢		
	Bath Shelomo		١٨٨٩		
	Sheveya	ميئر شفياه	١٨٩١	٥ر١٠٠	٢٠٠٠
	Marah	المراح	١٩٠٧		
	Herbet Menschié		١٩١١		
	Tantura	الطنطوره	؟		
١٧ –	Chederah	جدراه (الخضيرة)	١٨٩١	٧٢١٥	٥٠٠
	Chefzibah		١٩٠٥	١٣٥٠	
١٨ –	Atlit	عتليت	١٩٠٧	١٥٧٠	٥٠
		المجموع		١٥٩٢٥	٢٥٠٠

ج – منطقة الجليل :

	الاسم		التاريخ	المساحة (هكتار)	السكان
١٩ –	Rosh Pinah	روشبيناه (الجاعونة)	١٨٨٢	٩٥٠٠	٨٠٠
٢٠ –	Yessod Hamaaleh	يسود همعلاه	١٨٨٧	٢٩٠٠	٣٠٠
٢١ –	Mishmar Hayarden	مشمار هيردن	١٨٨٤	١٧٥٠	١٠٠
٢٢ –	Ain Zeitun	عين زيتيم	١٨٩١	١٥٠٠٠	٥٠
٢٣ –	Metula	مطله	١٨٩٦	٤٢٥٠	٣٠٠
٢٤ –	Mehanaim	محنيم	١٨٩٩	٢٠٠٠	١٠٠
٢٥ –	Sedjera	سجيره (الشجرة)	١٨٩٩	٤٠٥٠	٢٠٠
٢٦ –	Jemma		١٩٠٢	٥٣٩٩	٢٥٠
٢٧ –	Bedjen	بيت جن	١٩٠٥	١٣٥٠	٥٠
٢٨ –	Mesha		١٩٠٢	٢٣٠٠	٢٥٠
٢٩ –	Melhamieh	منحمياه	١٩٠٢	١٩٥٠	١٠٠
٣٠ –	Mizpah	متسفاه (مصبه)	١٩٠٨	٩٠٠	٤٠
٣١ –	Kinnereth	كنيريت	١٩٠٨		
	Daleika		١٩٠٩	٢٨٠٩	١٢
	Daganiah	دجانياه	١٩٠٩		
٣٢ –	Migdal	مجدل	١٩١٠	١١٢٥	١٠٠
٣٣ –	Merchavia	مرحفياه (الفوله)	١٩١١	٢٢٥٠	١٠٠
٣٤ –	Poriah	پوريه	١٩١١	٩٠٠	٥٠
		المجموع		٤٤٨٢٥	٢٩١٠

د – منطقة شرق الأردن :

٣٥ – Bené Yehudah

		المساحة (هكتار)	السكان
المجموع	٣٥ مستوطنة	٨٧ر٨٢٥	١٢ر٩٢٥

يضاف الى ذلك حوالي ٠٠٠ر٣٤ هكتار ملائمة للاستيطان ، قد اشتريت ولكن لم تستوطن بعد

٦٤ ضبطت الأسماء من كتاب بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ / ١٩٦٧ أنيس صايغ ، مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٨ .

وقد رافقت عملية الاستيطان الزراعي مساع اخرى لاحياء اللغة العبرية، وجعلها اللغة المشتركة للاتصال بين المهاجرين ، وادخالها تدريجيا في شبكة المدارس اليهودية التي كانت تتولاها حتى الآن منظمات يهودية اجنبية . وكان الدافع لاحياء هذه اللغة – بصرف النظر عن الادعاء القومي – هو باعث الضرورة . اذ ان اليهود الذين جمعوا من انحاء العالم يتكلمون العديد من اللغات . فاليهود الشرقيون يتكلمون العربية او الفارسية او غيرهما حسب البلاد التي جاءوا منها ، واليهود السفارديم يستخدمون لغة لادينو او Espanol وهي مزيج من الاسبانية والعبرية ، اما يهود اوروبه الشرقية فيتكلمون لغة اليديش . وهناك مدارس الجمعيات الاجنبية التي تستخدم الفرنسية والانجليزية والالمانية . ولذلك كانت العبرية هي اللغة المشتركة ، وقد عمل (اليازار بن يهودا) على احياء العبرية وجعلها لغة التعليم في المدارس اليهودية في فلسطين . وقد بدأ استخدام هذه اللغة العبرية كوسيلة تعليم في المدارس في دور الحضانة والمراحل الابتدائية للمستوطنات الصهيونية ثم انتشر الى المدن والى المراحل الثانوية. في سنة ١٩١٣ كان عدد المؤسسات التي تستخدم العبرية كوسيلة وحيدة للتعليم يبلغ ٦٠ تضم ٢٦٠٠ طالب. ويشمل هذا العدد عمليا كل المدارس الابتدائية ودور الحضانة في المستعمرات وكذلك ٣ مدارس ابتدائية في المدن ومدرستين ثانويتين (جمنازيوم) في يافا والقدس ، ومدرسة تدريب للمعلمين في يافا ، ومدرسة لتعليم العلوم والفنون والحرف الصناعية بيزاليل في القدس تأسست عام ١٩٠٥ . وقد وضعت في الفترة السابقة للحرب نواة مدرسة فنية في حيفا (تخنيون) بالتعاون بين المنظمة الصهيونية ومنظمة هلفسفيرين (Hilfsverein) . الا ان الخلاف حول لغة التعليم في المدرسة بين العبرية والالمانية عطّل افتتاح المدرسة قبل الحرب ، كذلك وافق المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (ايلول ، سبتمبر ١٩١٣) على مشروع انشاء جامعة عبرية في القدس(٦٥) .

٤ – رد الفعل العربي للتقدم الصهيوني والتساهل العثماني :

عملية التقدم الصهيوني هذه ، رغم بطئها وكونها لا تتناسب والمساعي التي بذلت من اجلها او الاموال التي خصصت لها ، لم تكن لتسير دون اثارة ردود فعل متفاوتة الشدة لدى السكان العرب في فلسطين وخارجها ، كانت امتدادا وصدى لردود الفعل العربية للتغلغل الصهيوني منذ نهاية القرن التاسع عشر . ومع ثورة ١٩٠٨ دخلت عوامل جديدة لتزيد حدة الاصوات المنذرة بالخطر . فالى جانب ازدياد النشاطات الصهيونية ، والعطف الذي ابداه الحكام الجدد في تركيه على الصهيونية ، والذي نتج عنه تساهل السلطات المحلية في تطبيق القيود السابقة ضد العمل الصهيوني في

٦٥ – يمكن اخذ صورة مفصلة عن تقدم العمل الصهيوني في فلسطين من جميع جوانبه من خلال كتابين هما:
Cohen, I., (ed.), **Zionist Work in Palestine, New York 1912.**
وهو مجموعة مقالات نشرها اخصائيون يهود في مجالات العمل المختلفة ظهرت اولا في عدد خاص من مجلة Die Welt (بالالمانية) – لسان حال المنظمة الصهيونية – عام ١٩١١ وترجمت الى الانجليزية عام ١٩١٢ ، ثم كتاب **Sacher, H., Ibid.**
وقد نشر هذا الكتاب باسم مجموعة صهيوني مانشستر لتعريف قراء الانجليزية بما انجزه الصهيونيون في فلسطين ، وقد ساهم بمقالاته عدد من الاختصاصيين الصهيونيين .

فلسطين ، كانت اليقظة العربية الحديثة ، وكانت دعامتها تلك النخبة العربية من المثقفين التي اخذت تسعى جاهدة ، بعد فترة احياء فكري ، للحصول على حقوق العرب القومية واعادة العرب الى موقعهم الصحيح داخل اطار الامبراطورية العثمانية. وفي صراع العرب من اجل حقوقهم القومية بدت الصهيونية عدوا سوف يغتصب منهم في المستقبل ارضا عربية ، ويشكل تهديدا خطيرا للفكرة العربية الناشئة . واستفادت الصحافة العربية المحلية من الحرية التي منحت بعد عام ١٩٠٨ ، ليس فقط للتنبيه الى الخطر الصهيوني وطرق مواجهته ، بل لنقل القضية الى خارج حدود فلسطين . كما ان ادخال الحياة البرلمانية في الامبراطورية العثمانية ساعد المندوبين العرب داخل المبعوثان على ايجاد روابط بين امانيهم السياسية القومية تتجاوز المصالح الاقليمية (٦٦) . وكان الخطر الصهيوني احد العوامل التي زادت في توثيق هذه الروابط ، واتيحت فرصة التعبير لشرح ابعاده وضرورة مواجهته حين طرح الموضوع للمناقشة رسميا (٦٧) . وحرص العرب في صراعهم مع الحركة الصهيونية على ان يؤكدوا دوما على هذا التمييز بين المواطنين اليهود القدامى ، الذين عاشوا معهم في علاقات طيبة خلال كل العصور، واليهود الصهيونيين الذين ادخلوا الفكر السياسي للوطن القومي .

ومع ان وجهة النظر العربية كانت متفقة على ان ادخال الصهيونية الى فلسطين خطر كبير ، الا انها اختلفت في تقديرها لمدى هذا الخطر تبعا للفئات الاجتماعية والمناطق . فالمثقفون من ابناء فلسطين من سكان المدن الذين اطلعوا على الثقافة الغربية وتابعوا نمو الحركة الصهيونية ومؤتمراتها واقوال زعمائها ، وعرفوا اهدافها البعيدة ومخططاتها ، الى جانب ما لمسوه من اعمالها مباشرة ، قد باتوا يخشون على الوجود العربي نفسه في فلسطين ، وادركوا ان غرض الصهيونيين الحالي هو الحصول على اكبر قدر ممكن من الاراضي واستيطانها ، والوصول بذلك الى الغرض السياسي البعيد . وعبّروا عن ذلك في الصحافة المحلية التي لعب فيها المسيحيون دورا هاما بسبب الفرص التعليمية المتوفرة لديهم ، ولكن دور المسلمين لم يكن اقل من ذلك ، بل ان الشعور بالخطر الصهيوني كان من جملة العوامل التي قربت بين الفئتين (٦٨) . وقد تكون معارضة كبار الملاك ناجمة عن تهديد عملية شراء الاراضي لمصالحهم ، ولا شك ان كثيرا منهم كان يدرك ما تحمله هذه العملية من اخطار بعيدة ، تبغي اقتلاعهم من

٦٦ – لدراسة تطور اليقظة العربية الحديثة انظر :
Antonius, G., **The Arab Awakening**, London 1939,
Zeine, Z., **Arab Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism**, (Beirut 1958).

٦٧ – كانت الكتلة العربية في المبعوثان لها وزنها (بين ٢٤٥ في المبعوثان « الدورة الاولى » كان هناك ٦٠ عربيا) .Antonius, G., p. 104

٦٨ – .ESCO, p. 449
وقد استمرت هذه الظاهرة في فلسطين ، وفي مقال :
Kedourie, E., Religion and Politics : The Diaries of Khalil Sakakini, St. Antony's Papers, No. 4, **Middle Eastern Affairs, No. 1**, Oxford 1958, pp. 77 - 93.
يلاحظ المؤلف : « ظاهرة معروفة جدا في امور السياسة الفلسطينية خلال الانتداب ان المسيحيين ... « وحدوا قضيتهم مع المسلمين في صراعهم ضد الصهيونية ... » .

الارض ، ولكن هذا لم يكن مانعا من ان يتم بيع اراض على ايديهم ، خاصة وان معظمهم يقيم في المدن وفي خارج فلسطين غالبا . وعلى الرغم من ان الفلاحين في القرى لم يصلوا الى درجة الوعي الكافية لادراك ابعاد الخطر ، فقد لمسوا بشكل محسوس المساوىء الاقتصادية التي رافقت عملية الاستيطان نفسها . فعملية شراء الاراضي غالبا ما كان يتم على اثرها طرد الفلاحين العاملين على تلك الاراضي ، فهي ملك كبار الملاك ، او ملك الدولة . ومن هنا كانت ردود فعل الفلاحين عنيفة ، ولم يكن في الامكان ان تخفف مشاعر العداء تلك المنافع التي يدعي الصهيونيون انهم حملوها معهم . ومهما حاول الصهيونيون ان يقللوا من اهمية هذه العلاقات العدائية ، فقد كان هناك اعتراف بان الحياة الريفية في فلسطين لم تكن آمنة (٦٩) .

ولا شك ان قادة الرأي العام العربي خارج فلسطين قد اطلعوا على الخطر من الصحافة الفلسطينية نفسها وعن طريق كثير من الموظفين العرب الذين عملوا في المنطقة ، الا انهم لم يكونوا على صلة مباشرة بما كان يجري ، وهذا ما دفع كثيرا منهم الى ان يقللوا من اهمية الخطر السياسي ، ويروا ان النشاط الصهيوني يحمل فقط خطرا اقتصاديا او اجتماعيا ، حتى انهم اشترطوا اخذ الضمانات الكافية ضد هذه الاخطار وتنازل اليهود الاجانب عن جنسياتهم ليتساووا بالمواطنين ، كخطوة تمهيدية لقبولهم الى الحد الذي يمكن من الاستفادة بهم ، وتطورت هذه الفكرة في اذهان بعض الزعماء العرب خارج فلسطين الى امكانية عقد التعاون والاتفاق معهم .

ولم يكن في استطاعة الصهيونيين ان يظلوا طويلا في موقف اللامبالاة لاهمية رد الفعل العربي . ومنذ وقت مبكر كان هناك احساس بمشكلة عربية ، فالبلاد التي يحاول اليهود ان يخلقوا بها استيطانا ، يسكنها شعب آخر ظل ينظر اليه حتى وقت متأخر على انه كمية مهملة ، ويقلل من اهمية مقاومته التي شبهوها « كقوة الصحراء تقف كالحارس ضد اي محاولات لاستيطان جديد » (٧٠) . ومع تغير الاوضاع السياسية في تركيه عام ١٩٠٨ ، اخذ العرب يلعبون دورا اكثر اهمية ، مما دفع اليهود الى الاهتمام بالمعارضة العربية وعدم التقليل من شأنها، على الرغم من ظروف الدولة العثمانية المؤاتية . وقد نبه اورباخ عام ١٩١١ الى « ان الدول الاوروبية لم تعد هي التي تعرقل جهودنا لاحتلال فلسطين ، بل اصبح العنصر العربي الذي يقوى باستمرار هو العائق الاهم . اذا لم نسرع الخطى ، فان فلسطين سيأخذها الآخرون ، لا احد سوف يأخذها بل السكان العرب » (٧١) . وكان لا بد من البحث عن طريقة لمواجهة هذا الموقف ، ويرى اورباخ « ... انه لجعل فلسطين ارضا يهودية ، يجب ان يصبح اليهود العنصر السائد بين السكان عن طريق هجرة يهودية كثيفة وعملية شراء اراضي واسعة ... ولكن نظرا لانه ليست لنا الرغبة او القوة لسحق او اخضاع اي جزء من

٦٩ – Sereni, E., & Ashery, R.E., **Jews & Arabs in Palestine** (New York, 1936) p. 59.

٧٠ – **Loc. cit.**

٧١ – مقال لـ Auerbach, E., «The Jewish Outlook in Palestine», في كتاب Cohen, I., **Zionist Work in Palestine** (New York 1912) p. 172.

السكان ، فعلينا ان نجاهد للوصول الى المكان الاول عن طريق التنافس السلمي...» بل ذهب الى ابعد من ذلك ممثلا في حل كان قد اشار اليه نوردو عام ١٩٠٥ (٧٢) بان يساهم الصهيونيون في الوقوف في وجه الروح القومية النشطة « فان من مصلحة تركيه في المستقبل ان تميل الى تدعيم – وليس اعاقة – ايجاد ثقافة يهودية يمكن ان تكون ترياقا مضادا للقومية العربية » (٧٣) .

ولكن حتى لو اعتبرت الحكومة الاستيطان اليهودي سدا في وجه الخطر العربي، فانها لم تكن لتستطيع المجاهرة بذلك مع تزايد الحركة القومية العربية ، لذا كان على الصهيونيين ان يلتفتوا الى تلك القوى التي تعترض طريقهم ، فعزوا المعارضة الى عوامل اجتماعية واقتصادية ، والى وجود حضارتين متصارعتين وادخال اليهود لافكار وعادات جديدة جاءوا بها معهم في مجتمع ذي عادات وافكار محافظة (٧٤) ، وزعموا ان تولي المسيحيين زمام تلك المعارضة يعود الى التنافس الاقتصادي والثقافي والى تأثرهم بالافكار المعادية للسامية التي حملوها من الثقافة الغربية ، وادعوا ان طبقة الملاك والاعيان – حرصا منهم على مراكزهم ومصالحهم – كانوا يثيرون اتباعهم ، وانه لولا ذلك لتقبل الفلاحون الوجود الصهيوني لما حمله اليهم من فوائد ، كما صوروا مقاومة البدو للاستيطان اليهودي بانه عداء تقليدي بين البدو واي عنصر تحديث يفرض عليهم حتى ولو كان عربيا . وقد حاولوا الدفاع عن التهم التي وجهت الى عملية النشاط الصهيوني ، فعملية طرد الفلاحين كان يمارسها الملاك السابقون قبل ان يشتروها هم ، نظرا لان القانون التركي يمنح حق الملكية بوضع اليد لاي اشغال للارض يستمر ١٠ سنوات متصلة. وبرروا سياسة العزلة التي طبقوها في مستعمراتهم بوجهة نظر فنية صحية ، غايتها ابعاد الفلاح المتخلف عن الطلائع اليهودية ، واما عن استبدال العمل اليهودي العربي ، فبرروه بدعوى تأمين عمل للقادمين الجدد المعدمين ودعوى حماية العرب الفقراء من الاستغلال (٧٥) .

ولكن مهما كان اغفالهم لاهمية الحركة العربية ، فقد اضطروا الى زيادة الاهتمام بها ، مع تزايد نشاط هذه الحركة . واوقع الصهيونيون اللوم على انفسهم لانهم فشلوا في اقامة علاقات مع العرب ، او الدخول في مفاوضات مع المثقفين منهم – كما قال كالفرسكي فيما بعد – وانهم تركوا هؤلاء نهبا للدعاية المعادية ، وكان لا بد لهم من مواجهة الموقف ، فحولوا انظارهم خارج فلسطين حيث كان بعض العرب لا يرون الخطر الصهيوني بنفس الدرجة التي يراها من هم في الداخل ، ولان بعضهم كان ينظر باعجاب الى ما انجزه اليهود الصهيونيون ، فحاولوا الدخول في علاقات سياسية مع هؤلاء من اجل ايجاد التفاهم والانسجام . ولكن ، هل كان ذلك ممكنا ؟... ذلك ما ستوضحه الاحداث التي تلت ثورة ١٩٠٨ .

٧٢ – في المؤتمر الصهيوني التاسع سنة ١٩٠٥ قال نوردو : ان حركة تضم جزءا كبيرا من السكان العرب تستطيع بسهولة ان تتخذ اتجاها قد يضر بفلسطين ... تركيه قد تتحقق انه من المهم لها ان يسكن فلسطين وسوريه شعب قوي منظم . Cohen, A., p. 76.

٧٣ – مقال اورباخ السابق في كتاب : Cohen, I., (ed.), **Zionist Work in Palestine**, p. 180.

٧٤ – Simon, L., & Stein, L., **Awakening Palestine**, (eds.), pp. 22 - 34.

٧٥ – جاءت هذه الردود الصهيونية في : **Arab Bulletin**, 27/9/1917 - F.O. 882/26

كان لاعلان الدستور العثماني ، وما يحمله من معاني الحرية والمساواة – والدعوة لانتخابات المبعوثان ، وقع حسن في انحاء الدولة العثمانية . وفي فلسطين ، كانت مظاهر الحماسة والابتهاج فائقة ، رغم وقوع بعض الحوادث نتيجة « لتغير الحكم وتراخي السلطة القانونية وضعف السلطة المحلية » (٧٦) . ولم يخف الصهيونيون آراءهم القومية وسط هذه الفوضى (٧٧) وكانت مشاعر الود التي ابدوها تجاه الحكم الجديد على امل ان يحقق لهم ما عجزوا عن تحقيقه في العهد السابق ، واوله الغاء الاجراءات القانونية السابقة المقيدة للهجرة والتملك ، اذ ان نسبة كبيرة من اليهود القاطنين في فلسطين كانت تحتفظ بالجنسية الاجنبية وما يتبعها من امتيازات (٧٨) ، ومع ذلك فقد دخل صهيونيون في فرع حزب الاتحاد والترقي في القدس بصفتهم عثمانيين . وعرفوا الاهمية السياسية للانتخابات النيابية فسعوا لضمان مقعد واحد في المبعوثان يمثل الحركة الصهيونية ، وكان مركز الثقل بالنسبة اليهم في القدس حيث عملوا على ترشيح ليفي (مدير بنك انجلو فلسطين في القدس) في متصرفية القدس ، ولكنه فشل اذ كان معظم اليهود من الاجانب فلم يكن من بين ٥٠٫٠٠٠ يهودي في القدس سوى ٦٢٧٧ لهم حق التصويت (٧٩) . وقد اسفرت عملية الانتخاب للمبعوثان التي جرت في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ عن فوز ثلاثة مرشحين عن القدس يمثلون الأسر الاسلامية البارزة فيها هم : روحي الخالدي، حافظ السعيد ، سعيد الحسيني (٨٠) . اما في ولاية بيروت فقد فاز عن لواء نابلس الشيخ احمد الخماش، وعن لواء عكا الشيخ اسعد شقير .

وتركزت المساعي الصهيونية لدى الحكومة الجديدة على ازالة العقبات التي كانت تقف في طريق الاستيطان اليهودي او تيار الهجرة ، وتتمثل في « الجواز الاحمر» وقوانين الاراضي ، التي تحظر التملك على اليهود الاجانب ، رغم انها لم تستطع في الماضي ان تحول تماما دون تسرب بطيء ومستمر لليهود داخل فلسطين ، او انشاء المستوطنات (٨١) ، بل كانت في بعض الاحيان وسيلة اتخذها بعض المسؤولين للحصول على الرشوة . ومع ان السلطات المحلية ظلت تلتزم بالقيود السابقة ، الا ان هذا لم يمنع من ظهور بوادر من التساهل الحكومي تجاه هذه القيود . فقد لفت نظر بلش (القنصل البريطاني) قرار اصدرته الحكومة العثمانية مؤخرا له تأثير كبير على عملية تملك وانتقال الاراضي ، فقد كانت نسبة كبيرة من الاراضي الفلسطينية ذات ملكية

٧٦ – البرغوتي وطوطح ، ص ٢٧ .

٧٧ – Mandel, N., **Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine, 1882-1914,** (Unpublished Thesis), Oxord, 1965, p. 163.

٧٨ – من تقرير بلش القنصل البريطاني في القدس الى لوثر : ١٩٠٨/١٠/٢٩ F.O. 195/2287

٧٩ – من مقال « المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب » (بالعبرية) Alsberg, P.A., **Shivat Zion,** Vol. 4, 1956 - 57, pp. 161 - 209.

٨٠ – البرغوتي وطوطح ، ص ٢٧ ، وكان الاول من العلماء البارزين وتقلد مناصب عديدة كان آخرها قنصل في بوردو ، والاخير كان رئيس بلدية سابق .

٨١ – رسالة قنصل بيروت كمبربتش (Cumberbach) ١٩٠٩/٧/٢ الى لوثر F.O. 195/23/2

مشتركة ، حسب النظام المعروف بالمشاع بحيث يستحيل على الملاك الحصول على صكوك ملكية خاصة بحصصهم ، وبالتالي بيع هذه الحصص (٨٢) . الا ان القرار الاخير الذي اصدرته الحكومة بتحديد حصص الملاك المشتركين بناء على طلبهم وتسليم كل منهم صك ملكية مستقل « قد استقبل بارتياح كبير من قبل مؤسسات الاستيطان اليهودي المختلفة، لانها اعتبرت انها تسهل كثيرا حصول المهاجرين على الاراضي...». كما لاحظ مراسل « ديلي ميل » (٨٣) في القدس ان اعلان الدستور قد فتح ابواب فلسطين لليهود القادمين من كل انحاء العالم وتوزع وكلاء المؤسسات الصهيونية من اجل شراء الممتلكات الكبيرة ، كما زادت سيطرتهم على اعمال البنوك والتجارة ، وتدفقت التبرعات من الخارج .

ولكن مهما كان العطف الذي ابدته الحكومة المركزية ازاء العمل اليهودي في فلسطين ، ومدى الضغط الذي مارسه الصهيونيون في الاوساط الحاكمة ، فان الحكومة كانت حذرة فيما يتعلق بدعم النشاط الصهيوني بشكل مفتوح ، فالى جانب اعتبارات سياسية داخلية كان لا يمكنها ان تتجاهل الراي العام العربي الذي اصبح له وزنه في اعقاب التغييرات السياسية . ولم يكن خافيا امر المعارضة العربية للاستيطان اليهودي في فلسطين ، ولم تتوقف حوادث الاشتباكات في منطقة طبريه ، حيث اقيمت آخر المستوطنات اليهودية ، وكذلك القلاقل في يافا حيث يتجمع عدد كبير من المهاجرين ، مع تغير نظام الحكم . بل ان وكيل القنصل البريطاني في يافا (٨٤) قد لاحظ انها قد ازدادت ، وزاد معها الشعور بالاستياء والهياج بين اليهود والعرب . وقد لفت مراسل (جويش كرونيكل) في يافا الانظار الى الاخطار التي يتعرض لها اليهود بعد ان كانوا « يأملون – في ظل نظام الدستور – ان تكون حياتهم اكثر أمنا » ، واتهم القناصل الاجانب بانهم لم يعودوا يبالون بالاخطار التي يتعرض لها رعاياهم (٨٥) . ويعترف قنصل القدس في ١٩١٠/٣/٢٠ « ان حالة مدينة يافا من وجهة نظر الامن العام لا شك غير مرضية » . وكانت منطقة الجليل مسرحا لاشتباكات متعددة ، واتهمت جريدة « جويش كرونيكل » السلطاتالمحلية بعجزها عن اعادة الامن الى المنطقة (٨٦) . هذا الشعور بعدم الامن هو الذي دفع روبن الى الالحاح على المنظمة الصهيونية لتزويد المستوطنات بقدر كاف من الاسلحة يمكنها من الدفاع عن نفسها ،

---

٨٢ – رسالة بلش الى لوثر ، ١٩٠٩/٧/٣٠ F.O. 195/2321
وكان قرار مجلس الدولة (٢ ذي الحجة سنة ١٣١٩ هـ) قد اوصى بعدم ادخال اي تعديل علىهذا النظام ، رغم ما في ذلك من ضرر على مصالح الدولة والملاك ، ويرى (بلش) ان الهدف من ورائه وضع المصاعب لبيع ونقل الاراضي حتى يمنع الاجانب من الحصول عليها ، مع ان هذا الهدف لم يحقق عمليا ، اذ كان يسهل احيانا اقناع الملاك المشتركين بالموافقة على عملية البيع ...

٨٣ – نقلته **جويش كرونيكل** في ١٩١٠/١/٢١ .

٨٤ – من رسالة فالانج (Falange) الى ساتو (Satow) (القنصل البريطاني في القدس) ١٩١٠/٢/٩ F.O. 195/235

٨٥ – **جويش كرونيكل** ١٩١٠/٢/٢٥ .

٨٦ – **جويش كرونيكل** ، ١٩١٠/٩/٢ . وكان كل حادث يتبعه تدخل الحاخام لدى وزارة الداخلية ، وتعليمات جديدة الى السلطات باعادة الهدوء .

بحجة ان العرب لديهم وسائلهم الخاصة للحصول على السلاح (٨٧) . وقد لاحظ نائب القنصل البريطاني في حيفا نمو الوعي العربي بتشكيل جمعية من الاعيان تمثل اهالي عدة قرى في قضاء حيفا ، غرضها الدفاع عن حقوق سكان هذه القرى ، وحماية اراضيهم من اي تدخل او اعتداء ، واتخاذ اجراءات ضد الحكومة اذا ما تدخلت في شؤونهم (٨٨) .

ولعبت الصحافة العربية التي واكبت ثورة ١٩٠٨ دورا هاما في زيادة الوعي ، اذ بعد فترة قصيرة من الثورة واعلان الدستور ، بدات الصحف اليومية والاسبوعية في الظهور داخل فلسطين كما في خارجها (٨٩) ، ومن اولى الجرائد التي صدرت في فلسطين اواخر عام ١٩٠٨ (الاصمعي) في يافا لصاحبها حنا عبد الله عيسى – و (القدس) لصاحبها جرجي حنانيا ، وتبعتهما جريدة (الكرمل) في حيفا لصاحبها ورئيس تحريرها نجيب نصار (٩٠) . ويبدو ان الاعداد الاولى من الاخيرة قد تولى ادارتها

---

٨٧ – رسالة من آرثر روبين (بالالمانية) الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في ١٩٠٩/٥/٢٣ (ملحق مقال السبرج المذكور سابقا بالعبرية) .

٨٨ – رسالة نائب القنصل في حيفا ابيلا الى بيروت ١٩٠٩/٣/١٧ F.O. 195/2311

٨٩ – في رسالة ماندل المذكورة سابقا ص ٢٩٠ – ٢٩١ ، نقلا عن مذكرة اعدها مكتب فلسطين الصهيوني سنة ١٩١٢ عن الصحافة العربية في مصر وبيروت ودمشق في السنوات الثلاث الماضية ، يظهر ان اتجاهات الصحافة في مصر (باستثناء المقطم والاهرام واصحابهما سوريون ولهما انتشار واسع في الولايات العربية داخل الامبراطورية) كانت محلية ولم تهتم بالقضية الصهيونية مطلقا . وارفقت المذكرة بقائمة تشير الى انه في بيروت توجد ١١ جريدة (النصير ، لسان الحال ، الرأي العام ، المفيد ، الحقيقة ، الاحوال ، ابابيل ، الثبات ، الاتحاد العثماني ، الحارس ، الحمارة) وفي دمشق ١٣ جريدة (٨ منها هزلية) وهي : المقتبس ، العصر الجديد ، المشكاة ، المنتخبات ، المهاجر ، النديم ، الراوي ، البريق ، جحا ، الضمير ، الرأي العام ، الاشتراكية ، حط بالخرج) الا ان الصهيونية لم تكن تشغل سوى عدد ضئيل من هذه الصحف (المقتبس ، المفيد ، الحقيقة ، الرأي العام) بينما كانت النصير ولسان الحال تكتبان في صالح الصهيونية ، فيحين كانت المسألة الصهيونية الشاغل الاول للصحافة الفلسطينية .

٩٠ – نجيب نصار (١٨٦٢ – ١٩٤٨) كما روت لي ارملته في مقابلة شخصية ، هو من اصل لبناني – عين عنوب قرب الشويفات – وقد درس في سوق الغرب ثم ذهب الى صفد للتدرب في صيدلية اخيه ، ثم عمل في المستشفى الانجليزي في طبريه كمساعد صيدلي ، وبعد ذلك عمل بالزراعة هناك واشترى عدة افدنة ، وقد خبر احوال الاستيطان الصهيوني في المنطقة ، كما تلقى في عام ١٩٠٥ من صديق انجليزي نسخة من مقال عن الصهيونية في الانسيكلوبيديا اليهودية وعرف حقيقة الصهيونية وانهمك في دراستها ، وبدأ يرسل مقالاته الى المقطم ولسان الحال ، حتى كان اعلان الدستور . وتضيف ارملته انه بعث بأخيه للقاهرة للاتصال بخليل ثابت ، احد محرري المقطم ، ليطلب منه متابعة نشر مقالاته حول الصهيونية ، وكان رده « ... اننا منعنا عشرات السنين من زيارة لبنان ، والآن بعد ان سمح لنا ، هل تريدنا ان نمنع ثانية ؟ » ولذلك قام نصار ببيع كل ما يملك في غور بيسان وشراء مطبعة من بيروت وبدأ يصدر (الكرمل) في حيفا . ولكن ماندل ينقل في رسالته المذكورة سابقا (ص ٢٠٤ – ٢٠٥) عن المصادر اليهودية ان نجيب نصار كان يعمل مع ICA كوكيل للاراضي وانه بعد خلافه مع ICA (حول الدفع او شروط التوظف) هدد بانه سيكتبضد المستوطنين اليهود حتى يتوقف العرب عن البيع لهم . ويعلق ماندل انه حتى لو كان هذا صحيحا فانه ، نظرا لخبرته الطويلة كوكيل للاراضي لدى ICA فقد توصل الى ان البيع المستمر للاراضي سوف يقوض مركز العرب في فلسطين وستقع البلاد يوما في يد اليهود .

ايليا زكا ، ولكن ابتداء من العدد الخامس عشر (١٩٠٩/٣/٢٧) اصبح نجيب نصار هو المسؤول الاول فيها ، وتغيرت خطتها ـ كما يقول نجيب نصار في افتتاحية العدد ـ لتكرس « لخدمة الشعب الذي ذللته الحكومة الظالمة ... ستجتهد بتعريف نسبته الى حكومته ومركزه في الهيئة الاجتماعية ، وستنقل شكاويه من اعوان الاستبداد الى مراجعها الرئيسية وستنتصر للشعب في كل المطالب العادلة» (٩١) . ومن الغريب ان هذه الجريدة التي تولت قيادة الحملة الصحفية ضد الصهيونية في الفترة السابقة للحرب ، لم تشر في افتتاحيتها الى هذا الموضوع ، ولكن يبدو انها بدات تخوض في هذا البحث منذ اعدادها الاولى ، فقد نشرت في صفحاتها (٩٢) تكذيبا ورد من السلطة المحلية في طبريه لشكوى كان قد تقدم بها « وكيل الاستعمار الاسرائيلي» في حيفا الى السلطات العليا بحجة اختلال الامن في منطقة طبريه واتهام السلطات المحلية فيها بتحريك الاهالي ضد الدستور ، وذلك على اثر الاحداث التي وقعت في المنطقة بين مزارعي مستوطنة الشجرة واهالي قرية كفركنا والرينة والتكذيب الموقع من قبل لجنة الاتحاد والترقي في طبريه يؤكد مسالمة اهالي القضاء وتعلقهم بالدستور وان « الاشاعات انما يقصد بها المحرضون تخديش اذهان اولياء الامور لان لهم في ذلك مآرب اخرى » ومع ان الخبر ليس فيه تعريض صريح بالصهيونية ، الا انهم وجدوا فيه اشارة خطر ، فسعوا لدى المتصرفية لتعطيل الجريدة شهرين ، ولم يصدر الامر بالافراج الا بعد مراجعة مركز المتصرفية (٩٣) .

الا ان موضوع الصهيونية اخذ يشغل اهتمام صحف اخرى فبدات تشير الى خطر امتلاك الصهيونية للاراضي وما يتبع ذلك من قيام حكومة يهودية ، وحاولت تنبيه الراي العام الى تشكيل جمعيات لشراء الارض والا فانه « ... لا بد ان يأتي يوم يكون لهم في الارض القول الفاصل » . اشارت الى هذا النشاط الصحفي جريدة هزلية بدأت تصدر في (حيفا) باسم « جراب الكردي » (٩٤) ، ويبدو ان هذه الجريدة قداستخدمت للرد على هذه الصحف ، ففي مقال لها على شكل حوار تدافع فيه عن التهم التي توجه للصهيونية بحجة انهم ما جاءوا « لرفع راية حكومة يهودية » بل للسعي لايجاد ملجأ للرزق ، وان قدومهم وشراءهم للارض فيه فائدة للبلاد « خير لنا ان يأتي اصحاب الاموال من اي بلاد كانت واي جنس كان ليستخرجوا كنوز ارضنا ، فيستفيدون منه وهو خير لنا وابقى في ان تبقى هذه الجواهر ضائعة ونحن نتبجح بكلمة الوطن والوطنية وجيوبنا افلس من طنبورة او رباب » . مع كل هذه الاشارات، فان موضوع الصهيونية لم يكن قد احتل بعد المكان الاول من اهتمام الصحف

---

٩١ ـ من رسالة بعث بها نصار بخط يده في ١٩١٠/٦/١٣ الى فيليب دي طرازي ، وقد ارفقها بالعدد الخامس عشر من **الكرمل** الذي يصفه نصار بانه « اول عدد اصدرناه نحن من هذه الجريدة (وان) ايليا زكا لم يبق له علاقة معنا ، ولذلك ضربنا عن اسمه كما ترون ... » والمعروف ان ايليا زكا هو صاحب جريدة النفير العثماني التي تولت بعد ذلك حملة الرد على (الكرمل) في حيفا.

٩٢ ـ **الكرمل** ، ١٩٠٩/٦/٦ .

٩٣ ـ **المرجع السابق** ، ١٩٠٩/٦/٢٥ .

٩٤ ـ **جراب الكردي** ، الاعداد ٣٠ ، ٣١ ، حزيران (يونيو) ١٩٠٩ .

الفلسطينية ، وقد يعود هذا الى ان الصحافة كانت لا تزال تتفاءل بالحكم الجديد ، الذي لم يكن موقفه قد توضح بعد حيال هذا الموضوع ، واثارة المسألة بشكل مفتوح قد يحمل على غير معناه ويسيء الى العلاقات العربية التركية .

وربما يعود هذا الموقف الحذر الى ان الحرية التي منحت للصحافة كانت صورية ، ويؤكد ذلك الاجراء الذي اتخذ ضد (الكرمل) بعد الشهور الاولى لصدورها. ولكن مناقشة مسألة الصهيونية في هذا الوقت المبكر قد تركت للصحافة في مصر ، وكان ذلك لتوفر عاملين : نشاط اليهود في مصر ، وحرية الصحافة . فقد ابدت الطائفة اليهودية في مصر نشاطا ملحوظا بعد التطور الجديد في نظام الحكم العثماني ، فنظرا لوجود مصر خارج نطاق الدولة العثمانية ، نشط دعاة الصهيونية فيها الى اثارة الموضوع بحرية كبيرة وعقد الاجتماعات المتواصلة (٩٥) لدعم المنظمة الصهيونية وتشكيل فروع لها والدعاية للهجرة الى فلسطين والدعوة الى التبرع . كما دعي الكتّاب الاسرائيليون الى خوض الموضوع حسب المخطط الجديد الذي اتبعته المنظمة الصهيونية مع تغير ظروف تركيه الحاضرة (٩٦) . وكان يرافق ذلك كله دعوة مفتوحة من اجل نهضة اليهود في مصر ، او كما يسميهم احد الكتّاب اليهود (ي. دي بطون) «النزلاء الاسرائيليين في هذه الديار » (٩٧) ، بدأت بالمطالبة بانشاء جريدة تكون لسان حالهم تمكنهم كما يقول من الدفاع عن حقوق الاسرائيليين ورد التهم التي تلصق بهم وكذلك انشاء ناد وجمعية ، وكلها امور « لازمة لاحياء الامة الاسرائيلية في هذه الديار ... يبدأ بها الارتقاء الحقيقي ... » ـ وستزداد حدة هذه المطالب مع تزايد النشاط الصهيوني في فلسطين .

٥ ـ طرح المسألة الصهيونية في صحافة مصر :

كان هذا سببا لان يثار موضوع الصهيونية في الصحافة في مصر ، في وقت لم تكن المسألة قد طرحت فيه بعد بهذه الصراحة في الصحافة داخل الممتلكات العثمانية . والملاحظ ان الصحف المصرية التي شغلت بهذه المسألة هي التي كان يملكها سوريون(٩٨) . وكانت الاهرام اول من فتح باب البحث بمناسبة القاء احد دعاة الصهيونية خطابا في مركز الجمعية الصهيونية في درب البرابرة « يتوقع خيرا من وراء الدستور في تركيه » ويأمل ان يرحل مليونان من اليهود الى فلسطين لاستيطانها كما يلوم اغنياء اليهود لانهم لا يجودون بالمال (٩٩) . وبينت الاهرام في تعليقها على الخبر ان مسألة الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين ليست خافية ، لا قبل الدستور او بعده ، ولكنها حذرت من

---

٩٥ ـ كانت معظم هذه الاجتماعات تعقد في مركز الجمعية الصهيونية في درب البرابرة وفي قاعة السنديكا في التوفيقية .

٩٦ ـ اعداد متفرقة من **الاهرام** (١٩٠٨/١٢/٤ ، ١٩٠٩/٦/١٧) ومن **المقطم** (١٩٠٩/٦/٢٧ ، ١٩٠٩/٦/٣٠)

٩٧ ـ **المقطم** ـ ١٩٠٩/٧/٢١ .

٩٨ ـ هذا البحث لن يتناول بالتحليل اسباب ابتعاد الصحف المصرية الاخرى عن الخوض في هذا الموضوع في هذا الوقت مع ان هناك بعض الاستثناءات في صحيفة المؤيد التي اشارت الى الموضوع احيانا من وجهة نظر اسلامية .

٩٩ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٨/١٢/٤ .

انه « لا يرضى عثماني بان تؤلف مملكة وحكومة في وسط حكومة فاذا قام دعاة الصهيونية منذ الآن الى الطمع بامتلاك فلسطين فانهم يخطئون لان الدستور الذي يبسط الحرية لا يعرض البلاد للمشاكل والمتاعب ، فليدخل الاسرائيليون ان شاءوا، ولكن نأمل من عقلائهم ان لا يخلقوا مشاكل بمحاولة تحقيق الحلم القديم ـ حلم انشاء السلطنة الاسرائيلية » . وقد اثار تعليق الاهرام بعض القلق في الدوائر الصهيونية ، ووفقا للخط الذي رسمته المنظمة الصهيونية في دعايتها بعد تغير الظروف في تركيه ، شرح احد كتّابهم (ج. هرنشتين) في الاهرام (١٠٠) ان قصد الخطيب في الاجتماع السابق هو ان الحكومة الجديدة ازالت العقبات التي تحول دون استعمار فلسطين ، وما يرجوه هو تسهيل مهاجرة ضحايا الاضطهاد في رومانيه وروسيه وانه لم يعد هناك ما يدعو الى متابعة خطة الصهيونيين السياسية في ظروف تركيه الحاضرة . وعبرت الاهرام في ردها عن الموقف الذي كان يسود اوساط الحكومة العثمانية ، عدم معارضة الهجرة الى البلاد اذا لم تخلق مشاكل سياسية للحكومة والطوائف ، وبشرط ان يترك المهاجرون جنسياتهم ويتجنسوا بالعثمانية ، ويتحملوا ما يتحمله العثمانيون ، ولا يحصروا انفسهم في بقعة واحدة . وتوقف بحث الموضوع فترة ليتجدد في مقال في « الاهرام » في ١٩٠٩/٦/٩ بعنوان « الاسرائيليون يبحثون عن وطن لهم ...» بمناسبة قرب انعقاد المؤتمر الصهيوني «لتقرير الارض التي يختارونها لانشاء المملكة الاسرائيلية». ويشير الكاتب الى وجود خلاف بين زعماء الحركة الصهيونية التي يمثلها حزبان : القائل بوجوب اتخاذ فلسطين ـ دون سواها ـ وطنا لبني اسرائيل ، والقائل بالتعويل على اية بقعة كانت من الارض لان مصاعب شتى تقف دون الوصول الى امتلاك فلسطين، « فيجب نزع ملكية الارض من ابناء العرب وعددهم ٦٠ الفا يملكون ٨٨ ٪ من الاراضي الفلسطينية ، ناهيك بما هناك من الحوائل السياسية ... » . ويشير الى ان من بين المشاريع المطروحة بلاد ما بين النهرين ، وكان تعليق الاهرام قصيرا ولكن محذرا من اعمال الصهيونيين : « ... وسواء مالوا الى فلسطين او الى ما بين النهرين ، فان ابصارهم متجهة الى شطر من البلاد العثمانية ... وعلى اولياء الامر ان يتيقظوا وينتبهوا الى هذه الحركة ... » .

وجد الصهيونيون في تحذير الاهرام شارة خطر ، فتطوع العديد للرد ، وفتحت لهم المقطم خاصة صفحاتها . وكان بعضهم صريحا في كشف الاطماع ، وبعضهم حاول مداراتها ، وكانت حججهم المتكررة التي استندوا اليها في الدفاع هي نفي التهمة بان لليهود هدفا سياسيا سواء استوطنوا العراق او فلسطين ، بل هم يسعون لايجاد ملجأ للملايين المضطهدين ، وان زعماء الصهيونية لم يفكروا في اخذ فلسطين او في شرائها ليستقلوا بها ، بل هم يريدون السكنى فيها تحت رعاية الدولة العثمانية (١٠١) . واستشهدوا بمواقف المسؤولين العثمانيين من الترحيب بالهجرة اليهودية لتعمير اراضي الدولة العثمانية (١٠٢) كما اكدوا ان الاستيطان اليهودي في فلسطين لا يتعدى الاستيطان السلمي ، فهم لا يريدون نزع ملكية الاراضي من اصحابها قسرا وعنوة...

١٠٠ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٨/١٢/١١ .
١٠١ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/٢٩ (توقيع اسرائيلي) ، **الاهرام** ١٩٠٩/٦/١٤ ، مقال (جاك هرنشتين) .
١٠٢ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٨/٦/١٤ .

« فذلك اصبح من المستحيل في دور الحرية والعدالة ، ولان الامة الاسرائيلية التي ذاقت انواع العذاب لا ترضى ابدا ان يكون استعمارها لفلسطين بالطرق هذه » (١٠٣). يضاف الى ذلك الحجة التقليدية : ما يحمله هذا الاستيطان من فائدة ومنفعة لاهل البلاد وللدولة وخاصة ان بلاد فلسطين كما يرونها ـ « ... ان لم تكن خالية تماما فهي ليست خاصة بالسكان ، ولو اضيف الى ذلك موقعها الجغرافي ، وما للامة الاسرائيلية من المزايا من توسيع التجارة وترقية الزراعة والصنائع وتعمير البلاد ، حكمنا بلا تردد باحتياج فلسطين للامة الاسرائيلية ، اكثر من احتياجهم اليها ، لان الاسرائيليين فقط يمكنهم تعمير فلسطين واعادة مجدها لما بينها وبينهم من الروابط التاريخية » (١٠٤) . وهذه المبررات دعت « جاك ليفي طنطاوي » الى ان يطلب « من كل الصحف والكتّاب واولهم الاسرائيليون اظهار آرائهم على صفحات الجرائد السيارة باي لغة كانت » (١٠٥) بل لقد طلب من « كل عثماني محب لوطنه راغب في ترقيته مد يد المساعدة الى الجمعية الصهيونية » (١٠٦) . ودعا ايلي فارحي الى « ان تفتتح الاهرام اكتتابا لمساعدة الجمعية الصهيونية الخيرية لاتمام مشروعها الخيري النافع» (١٠٧)، وطلب (دي بطون) من اعداء الحركة « ... ساعدونا ، بل ساعدوا الانسانية اذا شئتم ، والا فلا تعرقلوا مسعانا » (١٠٨) .

وقد انطلقت اثر حملة الدفاع الصهيونية هذه بعض الاصوات من فلسطين ترد على الدعوى الصهيونية وتبدي التخوف والحذر ، وتدعو الى وجوب اليقظة والانتباه. ولم تخف على كاتب من القدس (١٠٩) الاهداف الحقيقية للحركة الصهيونية ، رغم نشرها متسترة وراء فكرة الهجرة والملجأ ، فعاد بالقارىء الى بدايات الحركة الاولى ، مبينا ان قصد اليهود من الهجرة « ليس رغبة في الزراعة او بجوارنا ... بل تمهيدا لعمل عظيم يفكرون به وسيشترك به يهود المعمورة قاطبة » . والدليل على ذلك هو رفضهم كل بقعة تقدم لهم ، واتجاههم نحو فلسطين ، لانه « ليس الا مملكة يهوذا ـ كما يقول رؤساء احزابهم ـ تصح ان تكون وطنا يليق بها ان تضم تحت سمائها شعب اسرائيل التائه » . وكمثل على نياتهم ، يستشهد الكاتب بأقوال زعمائهم وبتوسع اعمالهم وكلها « تبغي الرسوخ في فلسطين » . والكاتب لا يطالب أولياء الامور بالتيقظ فقط ، كما دعت الاهرام ، بل « جعل حد لاطماعهم هذه التي لا يجنى منها الا الدمار ... » . ووجد كاتب فلسطيني آخر (١١٠) ان الموضوع الذي تطرحه الصحافة غير صحيح من اساسه ، حتى لو وضع جانبا الخطر السياسي ، فما معنى

١٠٣ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٨/٥ .
١٠٤ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/٢٧ .
١٠٥ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٩/٧/١٧ .
١٠٦ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٨/٥ .
١٠٧ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/١٣ .
١٠٨ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/٢٧ .
١٠٩ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٩/٧/٦ ـ عنوان المقال « الاسرائيليون وفلسطين » الكاتب يوسف جريس فروجي .
١١٠ ـ **الاهرام** ، ١٩٠٩/٧/١٢ والكاتب حبيب جرجس حوا .

ان ترحب الاهرام بالاستيطان في فلسطين ؟ فهل فلسطين خالية ؟ ما هو مصير الاهالي ؟ باي طريقة سيتم الاستيطان في فلسطين ؟ ماذا يحل بالفلاح العثماني ؟ هل ستتبع طرق الرشوة لنزع الملكية كما حصل سابقا (١١١) ؟ هل سيضطر الفلاح لبيع املاكه تخلصا من الضرائب والرسوم ؟ انه يحذر ويدعو اولياء الامور ومجلس الاعيان والمبعوثان (بلسان العثمانيين عموما ، والفلسطينيين خاصة) لصيانة مصلحة الفلاح ودرء الطمع والا وقعت البلاد بقبضة الصهيونيين . وقد ايد كاتب آخر الاقوال السابقة (١١٢) من واقع تجربته حين كان كاتبا لمحكمة طبريه الشرعية ، اطلع على الاساليب المتعددة التي كان يتبعها وكلاء الجمعية الصهيونية في طبريه وصفد وحيفا ، للحصول على الاراضي ، من اختلاس ورشوة ودعاوى زور وتسجيل باسم اليهود المتعثمنين (كراوس اليهودي الفرنسي) .

وفي خلال المناقشة التي اثيرت حول المسألة ، تمسكت جريدة الاهرام بوجهة نظرها التي عرضتها منذ بداية الحوار وهي عدم الموافقة على اسكان اليهود في بقعة واحدة هي فلسطين التي يعتبرونها ملك اجدادهم ، ويرون ان يبنوا على انقاضها اسس دولتهم ، والترحيب بهجرة اليهود الى اي مكان في تركيه كلها كملجأ ، واستيطان الاراضي المهملة فيها ، وكانت خشيتها على وحدة الدولة العثمانية هي الدافع الذي يجعلها تعارض تركيز الهجرة الى فلسطين (١١٣) . ولم تصرح المقطم عن موقفها ازاء القضية في النقاش الذي كان يدور على صفحاتها ، مع انها خصصت حيزا كبيرا للمدافعين عن الصهيونية ، ووضع الكتّاب اليهود ثقتهم فيها ، حتى ان (روفائيل لينادوي) وجد فيها بديلا عن انشاء جريدة خاصة باليهود تدافع عن حقوقهم فقال « ... نرى في المقطم الحر مجالا واسعا لاقلامنا وبث افكارنا ، فعلينا ان نثق بها كما نثق بالصحف الخاصة بنا » (١١٤) . وقدمت لمقال (حبيب جرجس حوا) السابق الذي نشر في المقطم والاهرام معا (١١٥) بان غرضها الاول من البحث في المسألة هو كشف كل الحقائق والغوامض المتعلقة بها حتى يحيط الباحثون علما بهما . كان هدفها ، كما تقول « ان يزول الاختلاف ويتم الاتفاق ... ويتضح للجميع ان القصد هو نفع فريق من الناس وعدم الضرر بغيرهم » . وكان مراسلوها يزودونها من فلسطين بأخبار كلها اعجاب بما انجزه الصهيونيون من اعمال ، وجاء في تعليق احدهم على بناء ضاحية

---

١١١ – يعدد الكاتب امثلة كثيرة ارتكبها الصهيونيون في قضائي صفد وطبريه حيث كانوا ينزعون ملكية الارض من اصحابها قسرا وعنوة ، وذلك برشوة الحكام السابقين الذين كانوا يزجون الفلاح في السجن ليجبروه على ختم صك التخلي ، او بواسطة اغراء الفلاح بالمال حتى يتخلص من الضرائب الباهظة .

١١٢ – **الاهرام** ، ١٩٠٩/٨/٤ والكاتب هو محمد فاضل من الازهر .

١١٣ – في **الاهرام** ، ١٩٠٩/١٠/٧ في مقال « اوراق مسافر » لاحد محرري الاهرام (الجميل) تأكيد لهذا الموقف اثر زيارته فلسطين وتقديره مدى التخوف الذي يشعر به الفلسطينيون حيال تدفق الهجرة « ... حتى كادت تقع البلاد بأيديهم » .

١١٤ – **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/٢٦ .

١١٥ – **المقطم** ، ١٩٠٩/٧/١٣ .

(تل ابيب) (١١٦) في منشية يافا في فترة لم تتجاوز نصف عام « ... هذه معجزة من معجزات هذا الشعب الراقي ، بجده واتحاده ، يعجز عن ان يأتي بمثلها شعب من الشعوب الشرقية » . ثم يقول « خرجنا ونحن نفكر في الفرق البعيد بيننا وبين هذا الشعب ، مع اننا كلنا من طينة واحدة وتربة واحدة ، فما الذي ميزهم عنا وجعلهم يتقدموننا في مضمار الحياة ويسبقوننا في ميادين العمل ؟ » (١١٧) .

وقد تخوف كاتب باسم (اسرائيلي) (١١٨) من كثرة المناقشة في المسألة الصهيونية والاهمية التي اتخذتها في الصحافة المصرية ، في الوقت الذي « لم توضع المسألة على بساط البحث في مجلس المبعوثان ، ولا اتى ذكرها في جرائد الاستانة وغيرها من المقاطعات العثمانية حتى اثارت من كان يشك في قولنا ومباحثنا » ، ودعا الى التقليل من الكتابة والاجتماعات حول الموضوع ، ليس لانه لا يؤمن به ، بل لانه يعتبره سابقا لأوانه ، بالاضافة الى انه « يحرك عواطف اخواننا الشرقيين » ، وينصح بالصبر والتروي وترك المسألة لتطور طبيعي ، وهو يقدر صعوبة الحصول على فلسطين ، « كأنها من كبير المشاكل السياسية والاثار التاريخية ، لانها محط رجال الاولياء والانبياء ، ونحن – كما تعلمون – لا حول لنا ولا طول في المدافعة الا لساننا ودرهمنا وشغلنا ، وهذا بخلاف ما يلزم اخذ فلسطين » . ومن الملاحظ ان مناقشة المسألة الصهيونية واستيطان فلسطين لم تشغل سوى صفحات المقطم والاهرام ، الا انها لفتت انظار جريدة « المؤيد » وتساءل احد الكتّاب فيها (١١٩) عن ماهية هذه الحركة ، فهل هي « عصابة دينية ام شركة سياسية » وما معنى استعمار فلسطين باسرائيليين فقط ؟ واذا كانوا يريدون الاستقلال في فلسطين استقلالا ماليا وتجاريا ، فما معنى حصر هذا الاستقلال في تابعي دين معين دون سواه ؟ وما مدخل الدين في هذا الامر الدنيوي اذا كان خالصا ؟ » . الكاتب لا يرى في القضية الا انها جزء من المسألة الشرقية : تهافت اوروبي على اجزاء الدولة العثمانية ، ومن جملته طلب الاسرائيليين شراء فلسطين .

واغلق باب المناقشة في المسألة الصهيونية فجأة ، ربما بسبب ما اشار اليه (الاسرائيلي) حول تحريك « عواطف اخواننا الشرقيين » او لان المسألة كلها كانت

---

١١٦ – تولى انشاء هذه الضاحية جمعية تعاونية لبناء المنازل تتمتع بدعم المنظمة الصهيونية Achuzath Baith واطلق عليها اسم Tel Aviv او تل الربيع ، ورأسمال الجمعية ١٠٠,٠٠٠ فرنك ومساحة الارض الرملية التي اشترتها شمال شرقي يافا تبلغ ١٥٠,٠٠٠ ذراع . كما ان الصندوق القومي اليهودي .J. N. F قد منح الجمعية قرضا بكفالة بنك انجلو فلسطين قدره ٢٥٠,٠٠٠ فرنك لمدة ١٨ سنة بفائدة ٤ ٪ . وقد بنيت الضاحية بسرعة ببيوت حديثة وشوارع عريضة مشجرة ونظام تمديد للمياه وتنوير الخ ... وتوسعت بسرعة واصبحت مركز الحياة اليهودية الجديدة في فلسطين ومؤسساتها تشمل (مكتب فلسطين) بنك انجلو فلسطين ، جمنازيوم هرتزل (مدرسة عليا) Böhm, p. 47

١١٧ – **المقطم** ، ١٩٠٩/١١/٢٥ .

١١٨ – **الاهرام** ، ١٩٠٩/٧/١٤ .

١١٩ – **المؤيد** ، ١٩٠٩/٧/٢٠ والكاتب هو (قره دكزلي) .

منوطة بزعماء الجمعية الصهيونية ومدى نفوذهم في اوساط الحكومة المركزية ، ولم تجد دعوة احد الكتاب اليهود (١٢٠) للعودة من جديد للكتابة حول « مسألة استعمار فلسطين والتفكير في اقرب الطرق الموصلة الى ضالتهم المنشودة » . واكتفت صحيفتا المقطم والاهرام – خلال عام ١٩١٠ – بنشر اخبار متفرقة عن النشاط الصهيوني في فلسطين والخارج . وذكرت « الاهرام » قراءها ، وهي تنقل اخبار المؤتمر الصهيوني التاسع في همبرج (١٢١) « بان غاية هذه الجمعية اعادة مملكة بني اسرائيل الى ما كانت عليه في سالف الزمان » وبررت ما اتت به من تفاصيل عن اخبار المؤتمر « لان وجهة هذه الحركة بقعة عثمانية من بلادنا » . ولكنها اكتفت بنقل تعليق (الطان) حول الموضوع « ... ان المساعي التي تبذل في فلسطين ، والعمل على ايجاد نهضة اسرائيلية وطنية ، لما يستحق ان يتابع بمزيد الانتباه ، اذ ان هناك حركة تسعى بالثبات والتشبث الى الوصول الى غاية معينة » . ولكن ذلك لم يمنع من متابعة اخبار الدعوة التي ظهرت بين يهود مصر منذ العام الماضي للنهوض بأحوالهم التعليمية ، والى تعميم التعليم الديني في المدارس الحكومية ، وانشاء جريدة يهودية ناطقة باسمهم . ويبرز بين دعاة هذه الحملة (نسيم ملول) بصفته رئيس تحرير جريدةالسلام (١٢٢) وصاحب مجلة النسر العلمية ، ثم يتخذ لنفسه صفة رئيس لجنة الاصلاح التنفيذية للنهضة الاسرائيلية (١٢٣) فيكتب مقالات مطولة بنهضة الاسرائيليين في مصر ثقافيا واجتماعيا ، واستعادة مكانتهم السابقة ، ويرثي لحال اليهود الحالي من التخلف والانحطاط بعد ان كانوا ظاهرين في ميدان الادب والحكمة . وكان يرافق ذلك دعوة مستترة لحث اليهود على التبرع لجمع المال حتى يتم جمع شتاتهم ، وعقد الجلسات والمناقشات للنظر باحوال المساكين الذين لا يجدون مأوى ولا ملجأ (١٢٤) .

٦ – تزايد حملة الصحافة الفلسطينية وعودة الحكومة الى تشديد القيود :

في الوقت الذي كانت الصحافة المصرية قد اغلقت باب البحث في المسألة الصهيونية ، كانت الجرائد في فلسطين ، (وعلى رأسها الكرمل) وفي سوريه (وخاصة

١٢٠ – **المقطم** ، ١٩٠٩/٨/٢٨ (الكاتب هارون عتر) .

١٣١ – **الاهرام** ، ١٩١٠/١/٧ .

١٢٢ – يبدو ان مشروع الجريدة قد ظهر الى حيز التنفيذ فترة قصيرة . وقد اشار الى ذلك ملول في افتتاحيته لجريدة اسمها (السلام) انشأها في يافا ١٩٢٠/٥/٣١ ، فقال انه في نيسان (ابريل) ١٩١٠ حين كان يعزم على اصدار هذه الجريدة نفسها في مصر قد استطلع افكار كبار الكتاب في هذا المشروع في اجتماع عقده في حديقة الازبكية حضره جمهور من الصحفيين والادباء والكتاب ، وقد أبان شبلي شميل ما للصحافة من اليد الطولى في « تقدم الامم ورقي الشعوب ... » . (منمجموعة فيليب دي طرازي الصحفية في دار الكتب الوطنية–بيروت) ونسيمملول هو يهوديمن اصل تونسي عاش والده (حاييم ملول) في مصر عشرين عاما (مقدمة كتاب نسيم ملول: **« اسرار اليهود »** ، طبع جمعية النهضة الاسرائيلية ، القاهرة ١٩١١) .

١٢٣ – كان ذلك قبل ان ينتقل ملول الى يافا ليصبح مراسل المقطم فيها ، ويوكل اليه مهمة رسمية من قبل مكتب فلسطين الصهيوني ، (انظر ص ١١٩ في الفصل الثالث من هذا الكتاب) .

١٢٤ – **الاهرام** ٥ ، ٩ ، ١٩١٠/٧/١٥ .

المقتبس) (١٢٥) ، قد اخذت في تنشيط حملة عنيفة للتنبيه الى النتائج الخطيرة التي تعقب الاستيطان الصهيوني في فلسطين وسائر انحاء الشام ، وتوجه اللوم الى الامة والحكومة لوقوفها موقف المتفرج تجاه هذا التيار . ونشر صاحب الكرمل في شباط (فبراير) ١٩١٠ مقالا عنيفا تضمن هذه الافكار بعنوان «استعمار ام استدرار» (١٢٦)، واثار موجة انتقاد عنيفة من صحيفة النفير العثماني التي كان يمولها بنك انجلو فلسطين (١٢٧) ، فاتهمته بتفرقة العناصر وتهييج الافكار وانه ينقل آراءه عن الصحف (الانتيسميتيك) الانجليزية والفرنسية (١٢٨) . واستجابت السلطات الى هذه التهم فأمرت وزارة العدلية بمحاكمة نجيب نصار بتهمة التفرقة بين العناصر ، ودافع نصار عن نفسه على صفحات المقتبس (١٩١٠/٤/٢٦) بان كلامه الذي اتهم بسببه بالتفرقة بين العناصر لا شك « قد حرف على النظارة وكتب بصورة مشوشة » وأملت المقتبس من المحكمة ان تنصف نجيب نصار ، اذ « ان اصحاب الجرائد لا يقصدون فيما يكتبون سوى مصلحة البلاد ... » . واشار مراسل « جويش كرونيكل » – ١٩١٠/٦/١٠ – في الاستانة الى هذا الحادث متهما مقالات الكرمل بانها تثير العرب ضد اليهود ، وانها سبب ما يحدث فيها من الاضطرابات التي كانت تقمع بسرعة ، وان صاحب الجريدة لم يرتدع بالعقاب الاول حين عطلت جريدته شهرين ، بل استمر في هجومه (البغيض) مما اضطر الطائفة اليهودية الى رفع دعوى ضد محررها. ويضيف المراسل ان « محاكمة نصار حضرها جمهور غفير من العرب ، حملوه بعد تبرئته منتصرين في تظاهرات عدائية ضد اليهود ... وخشية من الهجوم ، ابرق اليهود الى الحاخام الذي قابل وزير الداخلية فأرسل تعليماته في الحال الى حاكم حيفا لمنع الاضطراب » . وهذا الخبر الذي اورده مراسل « جويش كرونيكل » – رغم ما به من مبالغات وتشويه – يعطي فكرة عن طبيعة العلاقات العربية اليهودية (١٢٩) وكذلك عن

١٢٥ – في مذكرات محمد كرد علي (صاحب المقتبس) جزء ٣ دمشق ١٩٤٩ ص ٩١٣ انه قد كتب كثيرا عن خطر الصهيونية في جريدته وعاونه اربعة من اصدقائه : اثنان من فلسطين ، عبد الله مخلص وعمر الصالح البرغوثي ، وواحد من لبنان نجيب نصار صاحب (الكرمل) ودمشقي هو شكري العسلي قائمقام الناصرة ونائب دمشق .

١٢٦ – اشارت **المقتبس** الى المقال في ١٩١٠/٤/٢٦ حين ذكرت محاكمة نجيب نصار .

١٢٧ – Mandel, (Unpublished Thesis), p. 294.
وكانت جريدة **النفير** تصدر في القدس بين سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٨ بادارة ابراهيم زكا ثم انتقلت الى حيفا لتعود بعد سنة الى القدس ، وعهد بادارتها الى سلمون فينغولد S. Feingold اليهودي ، وهو رئيس تحرير مجلة « ذي تروث » اليهودية الناطقة بالانجليزية والجريدة العبرية « **هائيميت** » وعادت النفير الى حيفا في تموز (يوليو) ١٩١٠ لتتزعم الدفاع عن الصهيونيين وترد على حملة الكرمل .

١٢٨ – **النفير العثماني** ، ١٩١٠/٢/٢ (وكانت لا تزال في القدس) وكان من جملة التهم التي وجهتها الى نصار انه اخذ خيرات كثيرة من الاسرائيليين وانه باعهم اراضي وهو في طبريه .

١٢٩ – تورد **جويش كرونيكل** في اعداد مختلفة (١٩١١/١/١٧ و ١٩١١/٣/١٠) اخبار الاشتباكات التي كانت لا تزال تجري في منطقة الجليل وطبريه وتصور ان المستوطنين اليهود يقعون دوما « تحت وطأة العرب المتعصبين » .

مدى التأثير الذي لعبته تلك الصحيفة (١٣٠) ، وقد حرص نصار بعد هذه المحاكمةعلى ان يضيف الى كلمة الاستعمار الاسرائيلي كلمة (الاجنبي) حتى يفرق بين اليهود المواطنين والموجة الجديدة من الهجرة (١٣١) .

وعلى صفحات جريدة المقتبس في دمشق (١٣٢) وجه كاتب فلسطيني هو (عبد الله مخلص) كتابا مفتوحا الى مجلس المبعوثان حول استعمار الصهيونيين فلسطين، فبين خطر هجمة الاسرائيليين من هجرة وشراء على فلسطين بعد اعلان الدستور وانشائهم ما يسمى بالمستعمرات، «كأنهم استعمروا مجاهل افريقيه او اكتشفوا قطبي اميركه»، ويوقع اللوم على الحكومة الحاضرة التي لم تتمسك بالقيود السابقة على الاستملاك والدخول ، مع انها يجب ان تكون ابعد نظرا ، ولذلك رأى واجبا عليه ان ينبه اعضاء مجلس الامة الى « ... ان البلاد الفلسطينية اصبحت على شفا جرف من الخطر وقد لا يمضي عليها عشرات من السنين الا ويعمل بها ناموس تنازع البقاء عمله الطبيعي ... وتصبح البلاد كليا للاجنبي ... » . لقد كان ما يخشاه الكاتب في المستقبل ، حتى لو استبعد قيام الدولة الاسرائيلية في ذلك الحين « ... ان ينبذ الدخيل الاصيل ونخرج من بلادنا افواجا افواجا ، زرافات ووحدانا ، ثم نميل بوجوهنا الى بقعتنا النضرة نبكيها ونرثيها ويصيبنا ما اصاب الاندلسيين في اواخر ايام ادبارهم » .

وكان محمد كرد علي ، صاحب « المقتبس » في تعليقه على الكتاب المفتوح عنيفا في لومه اهل البلاد ، اذ مع موافقته على ما قاله (مخلص) عن اخطار الصهيونيين ، الا ان مقاومة الخطر لا تكون بالاتكال على الحكومة او قرارات مجلس النواب ، بل يشير الى خط آخر لرد هجمات الصهيونيين لم يكن جديدا ، اشار اليه رشيد رضا سنة ١٨٩٨ ، وهو عدم الاكتفاء بالشكوى والاحتجاج ، بل نفض الكسل والعمل والاجتهاد والتعليم ، وان يصبح الصهيونيون مثلا للاقتداء في تنظيم الزراعة وتأليف الشركات... «فالارض لله... يرثها عباده الصالحون، اي الصالحون لعمارتها...». وعاتبت الكرمل محمد كرد علي بشكل رقيق ، اذ مع موافقتها على رأيه بلوم « الامة المتقاعدة اللاهية عن المصالح العمومية » الا ان « الظلم والجهل اوصلاها الى ما هي عليه فهي بحاجة الى وصاية الحكومة حتى ينهض بها رجال الاصلاح مثل كرد علي ، ومن يحذو حذوه ... » . لقد كانت دعوة الكرمل منذ البداية بناءة ، فلم تكتف بالوقوف ضد اطماع المستعمرين اليهود الاجانب ، بل كانت تشجع كل من يحيي الارض ويعمرها ، فثارت يوم هاجمت بعض عشائر البدو من حوران قرية العدسية في اراضي بيسان ، التي اتخذها الياس سرسق مدرسة لزراعة القطن ، وحثت حكومة طبريه على صون المشاريع الحيوية التي تتوقف عليها حياة البلاد (١٣٣) . وسيشدد نصار دعوته هذه مع تزايد الخطر .

---

١٣٠ – اشارت **جويش كرونيكل** (١٩١٠/١١/٢٥) الى وجود منظمة في حيفا هدفها وضع حد للاستيطان اليهودي وتدعمها جريدة الكرمل والمقتبس في دمشق ويرأسها عربي مصري جاء خصيصا الى فلسطين ووضع ٢٠,٠٠٠ ليرة تحت تصرف الجمعية .

١٣١ – **الكرمل** ، ١٩١٠/٣/٢٦ .

١٣٢ – **المقتبس** ، ١٩١٠/٣/١٥ .

١٣٣ – نقلت **المقتبس** الخبر في ١٩١٠/٣/١٥ .

ويبدو ان حملة المعارضة قد اثمرت ، اذ مع كل ما كانت تبديه الاوساط الحاكمة من عطف على العمل الصهيوني ، نتيجة لتزايد النفوذ اليهودي الصهيوني في الدوائر المركزية ، ظهر ميل من السلطات المحلية الى التشدد في تطبيق القيود السابقة على اليهود . لمس ذلك القنصل البريطاني في القدس (ساتو) في رسالة له الى لوثر في ١٩١٠/٥/٢١ (١٣٤) حين امتنع عزمي بيه في اول عهده كمتصرف في القدس ان يصادق على اتمام عملية بيع باسم احد اليهود من التبعية البريطانية اسمه بينين (Benin) وكان يسكن القدس منذ ٨ سنوات ويقوم بعمليات الشراء في السابق دون صعوبة . وكانت حجة المتصرف ان الشخص ينتمي الى تلك الفئة من اليهود ، التي يمنع دخولها حسب الاوامر المجددة التي صدرت سنة ١٣٠٩ هـ من الداخلية والصدر الاعظم ، وبالتالي لا يسمح لهم بشراء الاراضي . وينقل ساتو هذا الخبر الى لوثر ليس لان القضية تمس مصالح الرعايا البريطانيين ، بل لانه « على ما يبدو ان السلطات في الاستانة ، التي يفترض ان عزمي بك يعمل بناء على تعليماتها ، تنوي ان تقوم باجراءات اكثر حزما في المستقبل لمنع حصول اليهود الاجانب على الاراضي والذين بسبب الاهمال السابق او رضا السلطات المحلية ، قد نجحوا – حتى الآن – الى حد كبير بالتهرب من المنع الموجه ضدهم » . وكان ذلك مدعاة لقلق كل الهيئات القنصلية التي يتمتع اليهود الاجانب بحمايتها ، وتوالت احتجاجاتها الى الاستانة (١٣٥) . وقد علم لوثر ان الحكومة قد وضعت قيد البحث مسألة تعديل تلك القوانين القديمة التي تقيد حقوق اليهود الاجانب فيما يتعلق بتملك الاراضي ، وان المصاعب التي اشار اليها (ساتو) انما هي نتيجة لهذه القوانين (١٣٦) . وقد لاحظ (ساتو) كذلك ان خطة عزمي بيه تستهدف عموما التقليل من نفوذ القنصليات الاجنبية ، التي تبدو اكثر وضوحا في القدس بسبب مكانتها المتميزة ، بوضعه تعقيدات امام معاملاتها الرسمية. الا انه وجد ان تلك التعقيدات تبدو اكثر صعوبة في المعاملات الرسمية المتعلقة ببيع الاراضي للاجانب وما ذلك الا « لتجدد الاجراءات ضد المهاجرين اليهود » (١٣٧) ، وفي رسالة تالية اوضح ساتو ان هناك اتجاها لتقييد اعمال المؤسسات الصهيونية ، مما اضطر بنك انجلو فلسطين الى رفع شكواه الى القنصلية البريطانية ، نظرا لانه شركة بريطانية تتمتع بحق الحماية (١٣٨) .

هذا التشدد الذي ابدته السلطات المحلية قد لا يعود فقط الى المعارضة في فلسطين ، بل الى الاتهامات التي بدأ يوجهها خصوم الاتحاديين الى الحكومة المركزية،

---

١٣٤ – F. O. 195/2351

١٣٥ – **جويش كرونيكل** ١٩١٠/٦/١٧ .

١٣٦ – برقية من الاستانة الى القدس في ١٩١٠/٦/١٣ . F.O. 195/2351

١٣٧ – من ساتو الى لوثر في ١٩١٠/٦/٢٣ . F.O. 195/2351

١٣٨ – من ساتو الى مارلنغ (القائم بالاعمال في الاستانة) ١٩١٠/١٢/٢٣ F.O. 195/2351
ينقل رسالة تلقاها من مدير اعمال بنك انجلو فلسطين في يافا يطلب فيها نسخة من الوثيقة الرسمية التي كان الباب العالي قد منحها للسفير البريطاني في الاستانة سنة ١٩٠٣ بالسماح للشركة المذكورة بممارسة العمل في يافا عند افتتاح اول فرع للبنك هناك .

لموقفها المتساهل بالنسبة للهجرة والاستيطان اليهوديين في الدولة العثمانية ككل ، حتى ان لوثر قد لاحظ ان العناصر المناصرة لهذه المشاريع قد اصبحت اقل بروزا في الاوساط الحاكمة. وقد هاجمت احدى صحف المعارضة Sodai Melet جمعية الاتحاد والترقي لما لمحت به من تشجيع لتوطين عدة ملايين يهودي بمكدونيا ، واستدلت جريدة (جويش كرونيكل) (١٣٩) التي نشرت الخبر « ان دوائر المعارضة تعارض الاستيطان المشار اليه ، وهي بتعليقها على هذا المشروع تثير العاصمة ضد الجمعية، مما اضطر السلطات ان تنفي فكرة المشروع من اساسها » . وموقف المعارضة هذا يفسر كذلك اسباب تردد الحكومة في ابداء اي تراجع عن القيود السابقة المفروضة على الهجرة والاستيطان اليهوديين في فلسطين ، رغم الضغط والتدخل ، فقضية الغاء الجواز الاحمر طرحت مرارا على الوزارة نتيجة لتدخل الحاخام باشي ، الا انها لم تجرؤ على الاقدام على هذه الخطوة لان المسألة تتوقف على تصويت مجلس المبعوثان . وكان الحاخام باشي قد لاحظ عند زيارته الاراضي المقدسة العراقيل التي توضع امام اليهود الاجانب ، وتقدم الى وزير الداخلية ورئيس مجلس المبعوثان (احمد رضا باشا) بالشكوى ، ورفض الاخير ان يثير المسألة اليهودية في المبعوثان ، كما اقترح الحاخام باشي ، لان المناقشة ستكون خطرة جدا من جميع الوجوه ، نظرا « لوجود معارضة عربية داخل اوساط المجلس وخاصة من قبل اولئك المندوبين من فلسطين » (١٤٠) .

وقد ربطت قضية الهجرة الى فلسطين بقضية الهجرة عموما الى الدولة العثمانية، وكان وزير الداخلية قد تقدم في جلسة ١٩١٠/١١/٢٨ للمبعوثان (١٤١) بتقرير حول تكاليف توطين مهاجرين في الروملي ، وكانت المناقشة عنيفة لان بعض النواب قد حث الحكومة على الاهتمام بتحسين الوضع الاقتصادي اكثر من الاهتمام بالهجرة ، وكان (رضا توفيق) ، الذي يعد من انصار الصهيونية ، عنيفا ضد اليهود اذ قال « انه في الوقت الذي تضع انجلترا فيه قوانين ضد الهجرة ، تقوم حكومتنا بالسماح لليهود الاجانب بالدخول الى البلاد . يجب الا ننسى ان الذين يأتون هنا لن يكونوا روتشيلد بل اشخاصا في حالة سيئة جدا . لا نريد بؤسا آخر ... » . وقد رد الوزير بان الحكومة قد اعدت مشروع قانون يبحث في هجرة الاجانب الى تركيه يرضي رغبات المجلس وهو الآن في مجلس الدولة ، واشترط النواب ان تتعهد الحكومة بتقديم هذا المشروع الى المناقشة قبل التصويت على الميزانية .

ومع كل هذا التشديد ، فالظواهر تشير الى ان الاجراءات لم تكن فعالة . ويرى لوثر في تقريره السنوي عن تركيه (١٩١٠) (١٤٢) « ان سياسة تركيه الفتاة بخلق اكبر قدر ممكن من المصاعب للاجانب في قضايا تملك الاراضي اتبعت باخلاص ... الا

---

١٣٩ ـ **جويش كرونيكل** ، ١٩١٠/٢/١٨ .

١٤٠ ـ **جويش كرونيكل** ، ١٩١٠/٨/١٢ .

١٤١ ـ **جويش كرونيكل** ، ١٩١٠/١٢/٩ .

١٤٢ ـ F.O. 424/250

ان هجرة اليهود نحو فلسطين لا تزال مستمرة ... » . وكانت التقارير ربع السنوية ، التي يبعثها القنصل البريطاني في بيروت (كمبربتش) Cumberbach خلال عام ١٩١٠ نقلا عن نائب القنصل في حيفا (ابيلا) Abela (١٤٣) ، تؤكد ان هجرة اليهود من روسيه تتزايد باستمرار رغم وجود الصعوبات الكبرى في شراء الاراضي من قبل موظفي الحكومة ، ومن السكان المواطنين . واشارت الصحف التركية الى ان الباب العالي قد علم انه رغم المنع الرسمي ، فان عددا من اليهود الاجانب قد استوطن ، واشتريت مساحات من الارض وامرت السلطات بفرض رقابة مشددة (١٤٤) .

في اثناء ذلك ، كانت معارضة الصهيونية التي بدأتها الكرمل قد اتسع نطاقها ، وتردد صداها خارج فلسطين . فنبه رشيد رضا في « المنار » الى خطر الصهيونية السياسي والاقتصادي فقال : « ... وانما يريدون ان يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقيموا فيه ملك اسرائيل ... فان تم لهم ما يسعون اليه فانهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الارض المقدسة ولا يعطونهم منها نقيرا من نواة او موضع زرع نخلة في ارض او جبل ، وهم يحاولون الآن ـ وحاولوا قبل الآن ـ ذلك بقطع اسباب الرزق من غيرهم ... » ومع انه يرى ان مقومات انشاء الملك لا تتوفر لهم الآن ، الا ان على العثمانيين « ان لا يمكنوا لهم في فلسطين ، ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك ارضها وكثرة المهاجرين اليها ، فان في ذلك خطرا كبيرا » . وبعث (فلسطيني) من يافا مقالا الى جريدة المؤيد ينبه فيه الى اطماع الاسرائيليين « حتى اصبح لهم من النفوذ والسلطان ما جعلهم يؤسسون حكومة صهيونية مستقلة ضمن الحكومة العثمانية » ويكذب دعوى الصهيونيين بانهم افادوا البلاد باحياء الارض وادخال الاصلاحات والوسائل الحديثة ، فالفائدة مقتصرة عليهم ، وهو يلوم اهل البلاد لجهلهم وتهاونهم وينبه الى الحيل التي يلجأ اليها اليهود للحصول على الاراضي وتهريب المهاجرين حتى لقد تقرب عينتابي من المتصرف واستماله رغم امر الاخير بمنع البيع (١٤٥) . ونشرت المقتبس سلسلة مقالات عن خطر الاستعمار الصهيوني لكاتب اسمه (ي.ك.ش) (١٤٦) فشرح دوافع الحركة وكيفية تغلغل الصهيونيين الى البلاد (١٤٧) ، وهو لا ينكر اعجابه بأساليبهم المتطورة في الزراعة ، ويكبر فيهم اتحادهم وتعاونهم واسلوبهم في التربية شبه العسكرية . والكاتب يشم رائحة صهيونية وراء كل مشروع جديد (١٤٨) . وللبحث عن الدواء يشير الكاتب الى انه لا بد من وقوف الحكومة ضد القادمين ، والعمل على ترقية الوطنيين، حتى يحصل « التوازي بين كفاءة الوطنيين والمستعمرين»،

---

١٤٣ ـ F.O. 424/224, 222 195/2342

١٤٤ ـ **جويش كرونيكل** ، ١٩١٠/١٢/٢ .

١٤٥ ـ **المؤيد** ، ١٩١٠/٨/١١ ونشرت المقتبس المقال نفسه ١٩١٠/٨/١٤ .

١٤٦ ـ **المقتبس** ٤ ، ٦ ، ١٩١٠/٩/٨ .

١٤٧ ـ الكاتب يذكر ان لهم في فلسطين اراضي واسعة جدا تمتد الى وراء بلاد القنيطرة حيث قربت من قرى دمشق الشام ، تربتها خصبة وزراعتها متقنة .

١٤٨ ـ هذه المشاريع هي تبليط ساحل يافا وكانت البلدية قد عرضته للمزاد ومشروع نجيب الاصفر بطلب امتياز لادارة اراضي السلطان عبد الحميد لمدة ٩٩ سنة ثم فتح مصرفين في دمشق ، « اذ يخشى ان يسطو المستعمرون على فلاحي سوريه كما سطوا على فلاحي فلسطين » .

ويدعو السوريين والفلسطينيين الى الاتفاق وتوحيد الكلمة ، كما فعل المستعمرون . ونقلت المقتبس عن الكرمل (١٤٩) مظاهر احتفالات قومية اقامها اليهود في القدس في النادي الصهيوني ، حيث حملوا الاعلام الصهيونية ، وانشدوا النشيد الصهيوني ، وباعوا اوراق البريد الصهيونية ، وعلقت الكرمل « ... ذلك كان وسيكون امثاله ، والفلسطينيون لاهون لاعبون » .

٧ ـ قضية الاراضي المدورة في الصحافة العربية :

وفي اواخر عام ١٩١٠ شغلت الصحافة في فلسطين وسوريه (١٥٠) بقضية الاملاك الاميرية الخاصة بالسلطان عبد الحميد ، المسماة « الجفالك السلطانية » او الاراضي المدورة والتي نقلت (دوّرت) بعد خلعه الى الخزانة العامة . وكان الفلاحون المقيمون فيها هم مالكوها الحقيقيون ، وكانوا ـ لعدة اسباب منها فقدان الامن ، وغزوات القبائل وكثرة الضرائب ـ قد تنازلوا عن ملكيتها فسجلت باسم السلطان كي تعفى من الضرائب (العشر) وتنال الحماية . وتتوزع هذه الاراضي في ولايات سوريه والعراق والجزيرة . وكان نجيب ابراهيم الاصفر ـ احد اعضاء مجلس ادارة بيروت سابقا ـ قد طلب امتيازا من وزارة المالية بان تؤجره هذه الاراضي لمدة ٩٩ سنة يقرضها مقابل هذا مائة مليون فرنك ، بشرط ان يتكفل باصلاح الارض والري وانشاء الاقنية وحفر الآبار ... الخ ، على ان تقسم الارض بعد زمن اقساما يبيعها للزراع بواسطة لجنة تعينها الدولة . وبينما كان المشروع لا يزال معروضا امام مجلس شورى الدولة للنظر في شروط الامتياز ، ابدت بعض الصحف العربية قلقها من ان تكون الصهيونية والاموال اليهودية وراء هذا المشروع الواسع ، وخاصة تلك الاملاك الاميرية الواقعة في فلسطين (غور بيسان واريحا) والتي كانت مطمحا صهيونيا . وكانت حملة الصحف ضد المشروع اول عمل موحد واسع ضد تزايد النشاط الصهيوني بعد سنة ١٩٠٨ فاحتجت الكرمل (١٥١) على منح الامتياز ، وبينت ان الدافع لطلب الاصفر هو شركة بلجيكية تعضدها الجمعية الصهيونية (وهي نفسها التي استثمرت الكونجو البلجيكي)، واقترحت تقسيم الاراضي الى مناطق اربع ، واعطاء اراضي كل منطقة لشركة من اهلها . وتحكي الكرمل (١٥٢) قصة آل الاصفر ، اذ ان سليم اخا نجيب كان قد طلب امتياز تجفيف الحولة ، ووراءه الجمعية الصهيونية وفشل ، ونوهت الى ان نجيب الاصفر او الشركة المحتجبة وراءه قصدت من تكبير المشروع ابعاد الشكوك عن الجمعية الصهيونية ومقاصدها في فلسطين . واستبعد كاتب في المقتبس ان يقوم نجيب الاصفر بهذا الامتياز ، فهو سمسار لغيره الذين نفذوا الامتيازات ، وابدى التخوف من ان يتجمع ابناء اسرائيل في الاراضي المدورة ووراءهم حماية الدول الاجنبية (١٥٣) .

١٤٩ ـ **المقتبس** في ١٩١٠/١١/١٤ .

١٥٠ ـ سكتت جريدتا الاهرام والمقطم مؤقتا (بعد الجدل الذي اثير سنة ١٩٠٩) عن تناول المسألة الصهيونية ، واكتفت بنقل اخبار متفرقة من فلسطين .

١٥١ ـ نقلته **المقتبس** ، ١٩١٠/١٠/١٩ .

١٥٢ ـ نقلته **المقتبس** ، ١٩١٠/١٢/١٠ .

١٥٣ ـ **المقتبس** ، ١٩١٠/١٠/٣١ .

وراى صلاح الدين القاسمي انه «خير للامة التي ترغب ان تتفيأ ظلال الحرية والاستقلال ان تكمل عمران تلك البقاع مهما انهكها المحل والجدب الى الطبيعة بحيث لا تعمل بها يد انسان ، من ان يعمرها الاجانب » (١٥٤) . ووجه عبد القادر المبارك من دمشق قصيدة مدح الى سامي الفاروقي (الذي اخمد الثورة في حوران) يبدي فيها مخاوفه على فلسطين التي يطمع بها الاجانب ، وينبه الحكام وكذلك النواب الى ان يؤدوا الامانة التي اعطاهم اياها ناخبوهم ، ويشير خاصة الى اخطار مشروع الاصفر (١٥٥). وأحيا المشروع في المولين العرب شعورا بالغيرة، فتقدمت شركات وطنية لدحض مطالب الاصفر واخذ الامتياز بدلا منه (١٥٦) . ومع ان « المقتبس » لم يكن لديها ثقة كبيرة بهمة هؤلاء الاغنياء « لانه مشروع كبير قد لا يستطيعون تولي اعبائه » الا انها وجدتها فرصة مناسبة كي توجه الدعوة وتستحث الاغنياء للتقدم لاخذ امتياز مشروع آخر اصغر شأنا تعزم على اخذه شركة فرنسية ، وهو امتياز (حمامات الحمة) . ويبدو ان المقالات الطويلة التي حررها الكتّاب والصحفيون لشرح الاضرار الناجمة عن مشروع الاصفر قد دفنته الى حين ، وجاءت الاخبار بان مجلس شورى الدولة رفض الموافقة على هذا المشروع (١٥٧) .

٨ ـ مسألة الفولة واهتمام عربي عام بالمسألة الصهيونية :

رافق تلك الضجة التي اثيرت حول بيع الاراضي الاميرية ، وانتهت باخمادها مؤقتا ، ازمة اخرى اثيرت في قائمقامية الناصرة كانت عاملا آخر في توسيع الاهتمام العربي بقضية الخطر الصهيوني ، وشغلت الصحافة العربية بها حتى بعد عدة اشهر من انقضائها . وكان شكري العسلي (١٥٨) ـ وهو من الموظفين العرب القلائل الذين عينوا في مناصب ادارية كبيرة ـ قد عين قائمقاما على الناصرة في خريف سنة ١٩١٠ ، حيث كانت تقع اخصب الاراضي الزراعية (سهل مرج ابن عامر ـ يزراعيل) الذي كان اليهود يتطلعون اليه منذ زمن طويل (١٥٩) . وكانت هذه الاراضي الخصبة ، بقراها الثماني عشرة ، قد وقعت منذ ٤٠ عاما كصفقة واحدة بيد بعض الاسر الغنية

١٥٤ ـ ورد ذلك في كتاب عن **حياة الدكتور صلاح الدين القاسمي ١٣٠٥ ـ ١٣٣٤** (تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٩٥٩) ص ٩٣ .

١٥٥ ـ **المقتبس** ، ١٩١١/١/٢ ، عنوان القصيدة « الفلاح والدولة » .

١٥٦ ـ **المقتبس** ، ١٩١١/١/٧ .

١٥٧ ـ **الاهرام** ، ١٩١١/١/٢٤ وتدعي مجلة **ذي نير ايست** في عدد ١٩١١/٨/١٩ ص ٣١٧ ان فشل هذا المشروع لتطوير ممتلكات السلطان السابق وتوزيعها وبيعها نتيجة لحملة الصحافة العربية قد ألحق ضررا بالخزينة العثمانية والشعب العثماني .

١٥٨ ـ جاء في رسالة القنصل البريطاني في دمشق (ديفي) Devey في ١٩١١/١/٢٥ الى مارلنغ في الاستانة ، حين انتخب العسلي نائبا عن دمشق انه الاخير من عائلة وجيهة في دمشق ، من خريجي المدرسة الملكية العليا في الاستانة وتقلد وظائف ادارية كثيرة ، كان آخرها حاكما على اللاذقية ، وهو متفوق الذكاء له معرفة بالقانون ، كفء في الوظائف التي تولاها ، يتمتع بسعة افق وآراء تقدمية ومع تطرفه كان يحظى بتقدير عام وتعاطف . F.O. 195/2370

١٥٩ ـ يقع هذا السهل بين جبال الجليل وجبال السامرة ، طوله من الشرق الى الغرب ٢٤ ميلا وعرضه من ميلين الى ١٢ ميلا . وكان وايزمان قد اشار الى ان محاولة قد جرت لشراء اجزاء منه قبل رحلته الاستطلاعية سنة ١٩٠٧ .

التي تقيم في المدن خارج فلسطين وهي (سرسق وتويني وبسترس) ، وتشير مجلة المقتبس (١٦٠) الى ان بعض ابناء اولئك الاغنياء قد باعوا ما ورثوه عن آبائهم فانتقلت معظم الاراضي الى ايدي الجمعية الصهيونية « ... ويوشك ان يباع ما بقي ولكن بمئات الالوف من الليرات لارتقاء الاسعار ، ولان الصهيونيين آلوا على انفسهم ان يملكوا فلسطين وارض الميعاد ويبذلوا فيها مهما كلفتهم » . وكان آخر الصفقات هي التي تمت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٠ بين الياس سرسق ووكيل عن الجمعية الصهيونية (١٦١) لبيع اراضي قرية الفولة التي تقع بالقرب من الخط الحجازي بين حيفا ودمشق ، وبها قلعة تاريخية من ايام فتوحات صلاح الدين . وحاول شكري العسلي وقف اتمام عملية البيع ، فحث اعيان القضاء على ارسال برقيات الاحتجاج الى والي بيروت ليمتنع عن فراغ « قلعة الفولة » ، التي هي من فتوحات صلاح الدين ، الى (افرائيم) الذي هو اسم مستعار للاسرائيليين الاجانب ، وابرقوا كذلك الى الصدارة والداخلية ورئاسة مجلس النواب (١٦٢) . وكي يحمل شكري العسلي والي بيروت على رفض قبول فراغ الفولة ، قدم حججه القانونية (١٦٣) : فالبيع هو للاستعمار الاجنبي الذي منعته ـ ولا زالت تمنعه ـ الحكومة في فلسطين ، ثم ان بيع الاراضي الواقعة على جانبي الخط الحجازي لمسافة ١٠ كم للاجانب قد اقرت الحكومة على منعه ، والخط الحجازي يشطر اراضي الفولة شطرين ، والفولة قلعة تاريخية من فتوحات صلاح الدين تقع على ملتقى الطرق . وكانت حجة الوالي في اتمام عملية الفراغ (١٦٤) هي ان مجلس شورى الدولة قد رفض بان تستملك الحكومة اراضي القرية باسم المنافع العمومية ، او بيعها ببدل المثل الى اهاليها الاصليين ، واقر المجلس « بانه اذا لم يكن لهذه الاراضي الموجودة تحت تصرف الياس سرسق اسباب قانونية مانعة من بيعها فلا يجوز منعه من استعمال حقوقه التصرفية » . وتمسك

١٦٠ ـ مقال « في ارض الجليل » م ٦ ج ٢ سنة ١٩١١ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ، وفيه تفصيل لكيفية انتقال هذه الاراضي الى اصحابها الاغنياء بالحيلة والرشوة من ايدي اصحابها الفلاحين . اذ كانت الحكومة منذ اربعين سنة قد ارادت ان تسجل قراهم لتتقاضى ضرائب عنها ، وخاف الفلاحون ان يسجلوا تلك القرى بأسمائهم تفاديا للظلم ، وعندما عزم والي سوريه على بيع تلك القرى باعتبارها من الاراضي الاميرية المحلولة ، احتال اولئك الاغنياء لتباع كلها صفقة واحدة حتى لا يتيسر لاحد من الاهالي ان يشتريها « فرشوا الوالي بـ ٣٠٠٠ ليرة وابتاعوها بأقل من ١٥٫٠٠٠ ليرة وجلسوا يلعبون بالميسر مع الوالي في دارهم فخرج الوالي صفر اليدين ، وتشتت اصحاب هذه القرى الحقيقيون وبعضهم استخدم اجراء في قرى الاغنياء » .

١٦١ ـ يذكر ماندل في رسالته السابقة ص ٢٢٢ ان تجهيز العقد قد تم بين الياس سرسق ووكيل الاراضي اليهودية Joshua Hankin (في الصحف العربية خانكي) على ان يتم الفراغ باسم يهودي عثماني Ephraim Leib Krause .

١٦٢ ـ (في الصحف العربية افرائيم او كراوس) .

١٦٣ ـ **المقتبس** ٧ ، ١٩١١/١/٨ (وكانت تنقل معظم اخبارها عن الكرمل) . كانت تفاصيل القضية قد اذيعت في الصحف بعد انتهاء البيع بأشهر حيث كشف العسلي (بعد ان اصبح نائبا في المبعوثان) خفايا المسألة في الصحافة العربية وفي المبعوثان ، وقرية الفولة هي التي اقام فيها الصهيونيون مستعمرة (مرحافيا) اول تجربة للاستيطان اليهودي التعاوني الذي خطط له اوبنهايمر .

١٦٤ ـ **المقتبس** ١٩١١/٣/٢ .

الوالي بهذا القرار ليوافق على فراغ الفولة ما دام (لا يوجد مانع قانوني) فالمشتري والبائع كلاهما عثماني ، وسرسق تعهد ان يثبت عثمانية المزارعين الذين اراد ادخالهم للقرية ليحلوا محل المطرودين . ورفض العسلي العمل بمقتضى هذا القرار كما اصر على عدم تنفيذ الانذار الذي بعثت به الولاية لحضه على التنفيذ ، متمسكا بمستنداته السابقة ، ولذلك عزم الوالي على كف يد العسلي عن العمل « محافظة على حقوق ارباب الحقوق » ، متهما الخطة التي اتبعها العسلي في هذه المسألة بانها مخالفة لقرار شورى الدولة ، ولما صرحت به القوانين ، وانذره بواسطة متصرفية عكا ، ثم كتب بالامر الى وزارة الداخلية على ان يطلب بعد ذلك عزله ، وقبل ان يبلغ العسلي قرار العزل بلغه خبر انتخابه مبعوثا لدمشق بدلا من محمد العجلاني (المتوفي كانون الثاني ، يناير ١٩١١) (١٦٥) . ولا شك ان موقفه في قائمقامية الناصرة كان عاملا حاسما رجح نجاحه في الانتخابات ، وتفوقه على منافسيه الاقوياء (١٦٦) . وعلقت المقتبس (١٦٧) على ادعاء الوالي انه عمل على تنحية القائمقام لمخالفته الدستور وهتكه الحرية الشخصية ، بقولها « ... راينا القائمقام في قضاء ضمن الولاية وقد رقي من الصنف الثاني الى الاول ... كافأه وطنه على حسن جهاده وانابه عن ٥٠٫٠٠٠ يتبعهم ٣٠ مليون من العثمانيين » .

انتقال العسلي الى الاستانة هيأ له مجالا اوسع لشرح واقع تجربته في فلسطين ، وكذلك اتاح له فرصة الالتقاء بالمثقفين العرب فيها (من طلاب ومبعوثين) ، كانوا يمارسون نشاطهم في لقاءات ذات صفة ادبية فكرية (نادي الاخاء العربي العثماني ، ثم المنتدى الادبي) ، واتخذ هذا النشاط شكل تنظيمات سرية (الجمعية القحطانية وجمعية العهد) بازدياد الخلاف مع الاتحاديين ، لضمان قدر من الحكم الذاتي للولايات العربية داخل اطار الدولة العثمانية (١٦٨) . وكان من الطبيعي ان يشكل الخطر الصهيوني مادة للبحث في اوساط هذه الفئة المثقفة ، عن طريق الاخبار التي كانت تردهم من الصحف والمبعوثين ، والنداءات التي كانت توجه لهم مرارا على اعمدة الصحف للوقوف في وجه الخطر ، ولما لمسوه بانفسهم عن مدى النفوذ اليهودي في اوساط الاتحاديين . وقد لاحظ رفيق العظم هذا منذ وقت مبكر لدى زيارته الاستانة (١٦٩) ، كما ان رشيد رضا في اقامته في الاستانة لمدة سنة بعد تغير نظام الحكم قد تنبه الى خطر التغلغل اليهودي في اوساط الحكم ونتائجه البعيدة في تحقيق اطماع الصهيونية ، وكتب عن ذلك مطولا بعد عودته للقاهرة . ولا شك ان هذه الافكار كان قد كشفها رشيد رضا لمن حوله في الاستانة (١٧٠) . وعلى صفحات جريدة

١٦٥ ـ رسالة القنصل البريطاني في دمشق ، ١٩١١/١/٢٥ الى الاستانة . F.O. 695/2310

١٦٦ ـ كان منافسو العسلي في الانتخابات عطا البكري ، حقي العظم ، هاشم ناظم .

١٦٧ ـ ١٩١١/٣/٢ .

١٦٨ ـ حول التنظيمات العربية بعد عام ١٩٠٨ . انظر : Antonius, pp. 101 - 125 .

١٦٩ ـ **المقطم** ، ١٩٠٩/٨/١٣ .

١٧٠ ـ **المنار** ، ج ٤ ، مجلد ١٤ ، ١٩١١ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .

الحضارة (١٧١) التي كان يصدرها المثقفون العرب في الاستانة ، كتب رفيق العظم مقالا عن الاستعمار الصهيوني (١٧٢) ينظر الى الموضوع من زاوية جديدة ، حاول فيها ان يحدد ابعاد الخطر وكيفية مواجهته . وكان لهذا المقال اهمية قصوى نظرا لمكانة رفيق العظم كأديب كبير وداعية للنهضة العربية . وقد شرح رفيق العظم فيما بعد دوافعه لخوض هذا الموضوع بقوله (١٧٣) : « ... انه لما اكثرت الجرائد السورية البحث حول آمال الجمعية الصهيونية ، وغالى اكثرها في ذكر الخطر الذي يتهدد البلاد باقبال الصهيونيين على استعمار فلسطين لاعتقاد انهم يريدون اعادة ملك اسرائيل في اورشليم ... » رأى ان يكتب كلمة في حقيقة هذه المسألة مبينا اوجه الخطر الحقيقي. ويستبعد رفيق العظم في مقاله تحقيق الفكرة الصهيونية « اي قيام ملك اسرائيل في اورشليم » لعدة اسباب : فالمعارضون للفكرة هم من اليهود انفسهم الذين يفضلون البقاء في اوطانهم والحفاظ على منافعهم فيها ، « وكذلك فان الدولة النصرانية لا تقبل بوجود مملكة اسرائيلية في فلسطين وان يصير بيت المقدس الى اليهود ... لما لهذا البيت من المكانة المقدسة عند الشعوب المسيحية ... » ، ثم ان الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة ، دولة قوية . وخلص الى القول « ... الاسرائيليون لا يخشى من مهاجرتهم الى فلسطين الا من وجهين : الوجه الاول ، بقاء اكثرهم على التابعية الاجنبية ، وهذا ما يجر مشاكل على الدولة ، والوجه الثاني ـ وهو الذي يهدد الشعب الفلسطيني نفسه من الناحية المادية ... ان هؤلاء اليهود شعب مقتصد ، عامل ، نشيط ، والجمعية الصهيونية تتذرع بكل الوسائل المؤدية لراحته وترقيته وتبسطه في مناحي بلاد فلسطين ، فحيثما حل فيها انشئت له المدارس واسست جمعيات التعاون ، وامدته البنوك اليهودية بالاموال ، ومن شاهد القرى التي استعمروها ، رأى الفرق العظيم بينهم وبين جيرانهم من سكان البلاد المسيحيين والمسلمين ، لا سيما هؤلاء، وتحقق له ان خطر تنازع البقاء محيط بسكان البلاد...»، وانتقل الكاتب بعد ذلك الى وجوب نهضة اهل البلاد لمجاراة اليهود بنشر العلم والاخذ بوسائل الترقي الحديث « ... والا كانوا طعمة لجيرانهم ، وكان الخطر محيقا بهم من هذه الجهة لا محالة ... » .

واثار مقال العظم حوارا آخر على صفحات الجرائد حول المسألة الصهيونية كان الثاني بعد حوار عام ١٩٠٩ ، وفتحت بعضها اعمدتها للدفاع عن وجهة النظر الصهيونية . فكتب سليمان يلين (محامي جمعية الايكافي فلسطين) في جريدة (لسان الحال) البيروتية (١٧٤) يوافق (العظم) ، بان اليهود بعيدون عن فكرة الاستقلال السياسي من جهة « لان الامر متعلق بارادة الله ... ونظرا للاحوال السياسية التي

١٧١ ـ يذكر ماندل في رسالته المذكورة سابقا ص ٢١٦ نقلا عن **هاعيروت** ١٩١٠/١٢/٢٣ (جريدة عبرية تصدر في القدس) ان شكري العسلي كان يكتب مقالات ضد الصهيونية في جريدة الحضارة باسم مستعار هو صلاح الدين الايوبي ، حين كان لا يزال قائمقام الناصرة .

١٧٢ ـ نشر المقال في **الحضارة** ، ١٩١٠/١٢/٢٩ ، بعنوان « اليهود في فلسطين والجمعية الصهيونية » ونقلته **المقتبس** ١٩١١/١/١١ .

١٧٣ ـ **المقطم** ، ١٩١١/٣/١٧ .

١٧٤ ـ نقلته **الاهرام** في ١٩١١/٣/٨ ، وكذلك نقلته **جون ترك** في عدد ١٩١١/٣/١٨ .

لا تساعد ابدا . وان المقصد هو ... ايجاد مزارع في فلسطين والبلاد المجاورة لها لاجل ايواء بعض اليهود المساكين المظلومين ... » فالبرنامج اقتصادي بحت ليس له وجهة سياسية . ولكنه ينفي ما يقوله العظم من ان هجرة اليهود الى فلسطين خطر على الدولة ، فهم لا يودون التشبث بالتابعية الاجنبية ، بل هم « يحبون الدولة العلية محبة صحيحة ، ويتمنون نجاح الامة العثمانية وتقدمها ... » . وينفي الخطر الآخر الذي يتناول الشعب الفلسطيني نفسه من حيث عدم امكانهم مجاراة الاسرائيليين نظرا لاقتدارهم المالي والعلمي « ... اليهود لا يزاحمون جيرانهم المسلمين والمسيحيين مزاحمة اقتصادية او سياسية ولا يقصدون استعبادهم ابدا ... » ويردد ما يقوله الصهيونيون دوما « بان الفلاحين قد استفادوا من المهاجرة بما تعلموه من اصول الزراعة الحديثة والاموال التي جمعوها من العمل في المزارع اليهودية الى جانب ارتفاع اسعار الاراضي وازدياد واردات الحكومة » (١٧٥) .

وجاء اول رد من الجانب العربي من نجيب نصار في الكرمل (١٧٦) ، دون ان يشير الى مقال العظم ـ وربما عن تجاهل مقصود ـ فندّ نصار اقوال سليمان يلين بنفي فكرة الاستقلال ، فهي لا تزال تراود احلامهم ودليلها ما قاله نوردو « انهم يسعون في فلسطين لا لامتلاك بضعة آلاف فدان يسكنون فيها المزارعين الاسرائيليين ، وانما يسعون لاتمام مقررات التاريخ لهم فيها » . ولم يجد على ولاء الصهيونيين للعثمانية اي دليل ، فمعظمهم معهم هويات اجنبية « ... ولم يحبوا من الدولة العثمانية الا موظفيها الذين يخدمون مقاصدهم ... » ، اما دعوى فائدتهم للوطنيين فيأتي نصار بالادلة لما اوقعوه من ضرر بالاهالي ، ومزاحمتهم المواطنين في موارد الرزق واسباب المعيشة ، ومقاطعتهم في المعاملات « ... وان كانت جمعياتكم تقوم بعمل انساني بايجاد ملاجىء لليهود المظلومين في بلاد اخرى ، فلا يقضي ان تكون سببا باشقاء اهل البلاد ... » (١٧٧) .

وتعجب جاك ليفي طنطاوي في المقطم (١٧٨) من ان شخصا مثل رفيق العظم له شهرته بين الادباء ، يرى عيوبا في « حركتنا السلمية البريئة من كل وصمة وعيب ... » ، وعاد ليؤكد ما كان قد ذكره قبل عامين من ان لا خطر من الجمعية الصهيونية ، التي تهدف فقط هدفا انسانيا اقتصاديا لايواء المضطهدين في ظل الدولة العلية . وكانت دهشة العظم لهذه الحملة التي شنت على مقاله (١٧٩) « ... اذ

١٧٥ ـ وقد نقلت جريدة **جون ترك** في عدد ١٩١١/٣/١٨ (السابق) مقالا عن جريدة بيروتية تدعى « كلمة الحق » تصدر بالعربية والفرنسية بعنوان « الاسرائيليون في فلسطين » عن « الخيرات التي عمت البلاد نتيجة نزول اليهود ... وان ما يسمع من صراخ انما بسبب الغيرة من القادمين الجدد الذين يتسمون بالنشاط والوعي ... » .

١٧٦ ـ نقلته **المقتبس** في ١٩١١/٢/٤ .

١٧٧ ـ يعدد الشقاء الذي عاناه عرب عشيرتي دلايكة العبس والسهو، والتي يعانيها اهالي قريتي السجرة والعبادية ، ودعاوي افترائية اقاموها على الاهالي ليجبروهم على التخلي عن اراضيهم ومغادرة اوطانهم .

١٧٨ ـ ١٩١١/٣/١٠ ، و ١٩١١/٣/٢١ .

١٧٩ ـ **المقطم** ، ١٩١١/٣/١٧ .

هو لم يذهب فيه مذهب المغالين في التحامل على اليهود ... » وهو انما نبه فقط فيما كتب الى ان الخطر الذي يتوقعه الناس من مهاجرة اليهود الى فلسطين انما هو محصور في الوجهة الطبيعية وليس هو من الوجهة السياسية وهو « ناموس طبيعي »، ولذا فمن الضروري مجاراة اهل البلاد اليهود في اتخاذ وسائل الترقي الطبيعية ، والا كانوا « طعمة لبني اسرائيل » وان الحكومة لا تؤخذ بمنع المهاجرة الى فلسطين ما دام سكانها « في هذه المكانة من الجهل والانحطاط » .

وكان نسيم ملول هو ابرز من تصدى للدفاع عن الحركة الصهيونية في الصحافة العربية حتى الآن ، بصفته رئيس « جمعية النهضة الاسرائيلية » في مصر ، وكان يغلف هذا الدفاع بدعوى التفاهم والمصالح المشتركة (١٨٠) ، وبرايه ان الصهيونية قد اخطأت منذ البداية في امر هام هو « انه كان من الواجب عليها حين شروعها في هذا العمل استمرار نشر آراء الصداقة والالفة بينها وبين الوطنيين من غير اليهود بواسطة جريدة عربية تتفاهم معهم ويتفاهمون معها فيها » (١٨١) ، وكان ملول قد اعد في ذلك الحين القسم الاول من كتابه (اسرار اليهود) في الدفاع عن اليهود وديانتهم ، ووعد بان يعمل بحثا وافيا في القسم الثاني من كتابه للدفاع عن اعمالهم في فلسطين ورد تهمة « انهم يقصدون اعادة ملكهم الى فلسطين بسبب مهاجرتهم اليها » (١٨٢) ولكن حين راى ما كتبه العظم ، اضطر – كما يقول – الى الرد (١٨٣) « ... رد سوري مطلع على احوال البلاد السورية سابقا وحاليا » ، وهو يوافق العظم في نفي ان يكون مقصد الصهيونية اعادة الملك ، اذ ان هذا لن يكون « الا بمشيئة الله » ، كما ورد في الكتاب

١٨٠ – بعد انتقال ملول الى فلسطين كمراسل للمقطم ، لعب دورا كبيرا من قبل المنظمة الصهيونية للدعوة الى هذه الفكرة .

١٨١ – لم تكن حتى الآن قد اسست جريدة يهودية باللغة العربية في مصر بعد المحاولة التي قام بها ملول باصدار بضعة اعداد من جريدة « السلام » . وتشير **جويش كرونيكل** في ١٩١١/١/٢٠ الى صدور جريدة شهرية صهيونية بالفرنسية .

١٨٢ – نشرت الكتاب جمعية النهضة الاسرائيلية عام ١٩١١ ، والكاتب يشكر باسم الجمعية الصحافة العربية في مصر وسوريه وتونس لمساعدتها بواسطة نشر مقالاتها واخبارها ، وهو يهدي الكتاب الى والده (موسى حاييم ملول) الذي يعرفه « بسعة الاطلاع في العلم والادب والدين والفلسفة » وان ذلك قد شهد له كل من يعرفونه « في سوريه وفلسطين وتركيه وتونس والجزائر والمانيه ولا سيما في مصر حيث قضى بين ربوعها نيفا وعشرين سنة ... » ويثني الكاتب على الشيخ ابي نظارة (يعقوب صنو شاعر الملك) الذي هو في « طليعة المؤيدين لنا في هذا المشروع الخطير بما اظهره من دلائل الاعجاب » وكان قد بعث له رسالة من باريس في اول آذار (مارس) ١٩١١ يدعوه (ولدي العزيز) ويقدر له هدفه في الدفاع عن الامة الاسرائيلية المسكينة المفرقة في مشارق الارض ومغاربها ... » وهدف الكتاب ، كما يقول مؤلفه ، الرد على التهم الموجهة لليهود ، ويبحث في القسم الاول التهم التقليدية الموجهة لليهود في العالم ، وما تبعها من اضطهاد . اما القسم الثاني (وهو الذي لم ينشر) فقال انه سيخصصه للرد على الصحف المهاجمة للصهيونية ، ولكن يلاحظ انه حتى في القسم الاول حاول ان يربط بين اضطهاد اليهود التقليدي في العالم – الذي يعزوه الى الحسد والتسابق – وبين المعارضة العربية لاعمال اليهود في فلسطين ويجدها مناسبة لمهاجمة الكتاب الذين يتولون حملة المعارضة ويصورهم بانهم « جهلة يرمون «الامة الاسرائيلية» بمفتريات انتشلت الى الشرق من اوروبه بسبب ما رأوه من نجاح اعمال اليهود في فلسطين !! » .

١٨٣ – **المقطم** ، ١٩١١/٣/١٨ .

المقدس » . اما الامر الآخر الذي تخوف منه العظم فلا اساس له، فليست الصهيونية هي التي « تركت الوطني يلتحف السماء ويفترش الاديم » وان « العالم معترك جهاد، فمن جدّ فيه وجد ، ومن اهمله اهمل » . وبرايه ان ما يفيد الوطني العثماني هو ان يحث امثال رفيق العظم اخوانه على « الجري في ميدان التسابق مع الاسرائيليين » بالاضافة الى ... ان بقاء الاستعمار الاسرائيلي واستمراره لأعظم درس يتلقاه العثماني وتتخذه الدولة ايضا مثالا ... ولكن يبدو ان مقال رفيق العظم لم يثر استياء الصهيونيين الى حد كبير ، بل انهم شكروه على افكاره لانها « مهدئة للخواطر ومؤلفة للعناصر » ، حيث نفى عنهم الخطر على الدولة وقصره على السكان ، بمعنى ان الخطر مادي وليس سياسيا ، ووجدوا في قوله مناسبة لترديد حججهم بمنافع الصهيونيين بل لقد طلب احدهم من العظم ان يقنع المتهجمين على الجمعية الصهيونية بالاقلاع عن مهاجمتهم في الجرائد العربية «او اشغال الدولة بأمور تافهة كالمسألة الصهيونية» (١٨٤).

★★★

ظلت القضية الصهيونية حتى الآن شاغل الصحافة العربية فقط ، ولم تطرح بعد على المناقشة الرسمية كقضية عامة . ورغم ما كان يمارسه الجانب الصهيوني من ضغوط على الحكام الجدد ، من اجل تنازلات في صالح الاطماع الصهيونية ، بعد ان اتاحت ثورة ١٩٠٩ لهذه الاطماع املا جديدا ، فان الحكم الجديد تردد في اتخاذ خطوة حاسمة لاعتبارات كثيرة . وكان الراي الرسمي لا يعترض على الهجرة اليهودية عموما ولكن يخشى التمركز في فلسطين ، فرفض ان تكون فلسطين هي الهدف الوحيد والاخير لليهود المستوطنين في تركيه . ومع ان الجانب الصهيوني كان لا يزال يعتبر الحكومة التركية هي الهدف الاول للعمل السياسي ، كان لا يمكنه ان يتجاهل اهمية المعارضة العربية ، والدليل على ذلك عدد الكتاب اليهود الذين جندهم للدفاع في الصحافة العربية منذ وقت مبكر . ومع ان الراي العام العربي كان متفقا على خطورة المسألة الصهيونية في فلسطين ، الا ان قادة هذا الراي اختلفوا في تحديد مدى هذا الخطر ... فبينما وجد من في الداخل انه خطر سياسي مادي معا ، هدفه اولا استيطان الارض من اجل غاية بعيدة ، هي انشاء الدولة ، فقد استبعد الذين في الخارج تحقيق الهدف السياسي ، ووجدوا ان الخطر المادي فقط هو الذي يهدد معيشة السكان . وبحث الجميع عن الحل . بعضهم وجد ان مهمة وقف الخطر تقع على عاتق الحكومة ، وآخرون وجدوا انه مهمة الاهالي وحدهم ، ولكنهم اتفقوا على انه لا بد من مجاراة اليهود للوقوف تجاههم ، وكان تخوفهم ممزوجا بالاعجاب ، لذلك لم يمانعوا في ان يكون اليهود الصهيونيون مثلا للاقتباس ... هكذا كانت تقف القضية على ابواب مجلس المبعوثان ...

١٨٤ – **المقطم** ، ١٩١١/٤/٧ (الكاتب جوزيف د. بوطون) .

الفصل الثالث

تغير في العلاقات (١٩١١ ـ ١٩١٢)

بين مناقشة المبعوثان والحرب البلقانية

١ ـ مناقشة المسألة الصهيونية في المبعوثان ـ آذار (مارس) ١٩١١ ـ وصداها :

كل ما كان يتردد في الصحف العربية حول المسألة الصهيونية ، وما كانت تشير له احيانا بعض الاوساط الرسمية حول الهجرة اليهودية غير المحددة لليهود نحو تركيه ، كل هذا لم يدفع الحكومة ـ حتى الآن ـ الى اثارة الموضوع على مستوى رسمي ، مع ان جماهير الاتراك عموما قد بدأوا منذ عام ١٩٠٩ ـ كما يقول لوثر في رسالة الى غراي في ١٩١١/٣/٧ (١) ـ « يلاحظون مدى النفوذ الذي يتمتع به اليهود المتسترون (الدونمة) في سالونيك في السيطرة على المال والتجارة وعلى اجهزة الدولة، وخلال السنة الماضية ـ اي ١٩١٠ ـ تطور الاعتقاد الى ان هذا النفوذ يستخدم لتعزيز اهداف الصهيونية ، وان تلك الماسونية السياسية التي كانت تنشر شباكها فوق العاصمة والامبراطورية ، تتصل بشكل غير مباشر بنفس الهدف ، نظرا لان وحي المحافل يهودي على الاغلب » . لقد اصبحت الصهيونية ـ كما يراها لوثر ـ « احد الاتجاهات الخفية للوضع السياسي ... وقد تثير هذه الحركة اهتمام الاجانب من وجهة نظر تاريخية ، ولكن اهتمام المواطنين ، وخاصة العرب ، بها انما هو من وجهة نظر مصالحهم المباشرة ... » .

وكان « جاويد » وزير المالية قد فقد كثيرا من شعبيته بسبب الصفقات المالية المشبوهة التي تولتها مجموعة اليهود الذين كانوا على صلة مباشرة به ، واثارت بالتالي الشكوك بانه هو ايضا ـ كما يضيف لوثر ـ (٢) « يعزز اهداف الصهيونية ...» وكان ذلك بمثابة انذار بالخطر لدى بعض الاوساط في الاستانة ، اذ اعتقدت ان المقاصد الاساسية للجمعية الصهيونية هو ايجاد دولة داخل الامبراطورية التركية .

---

١ ـ F.O. 311/1245/9103 F.

٢ ـ يشير لوثر الى ان مدير مكتب وزير المالية ، وهو يهودي يدعى نسيم روسو قد اثار الشبهة حوله حين ارسل برقية تهنئة الى المؤتمر الصهيوني الذي عقد في همبرج عام ١٩٠٩ . Ibid.

وكان ذلك بابا لحملة هجوم شنتها المعارضة على الحكومة (٣) ، وفي خلال مناقشات المبعوثان حول الميزانية (اول آذار ١٩١١) (٤) تولى احد نواب المعارضة – ولم يكن عربيا – هو اسماعيل حقي مبعوث (كوملجينه) Gumuljina ورئيس حزب الاهالي ، نقد سياسة جاويد المالية ، مشيرا الى ان الوزير قد اظهر في مفاوضاته لعقد القرض مع فرنسه تفضيله لرؤوس الاموال ووكلائها التي يحابي بعضها الصهيونية ، واشار الى صلاته مع (جاك منشه) Jaques Menasche و (سالم) Salem (المحامي ومدير بنك سالونيك) ، وهما اللذان توليا السير بعمليات القرض ، توصلا للوقوع بأيدي الماليين اليهود « ... اذ ان البنوك التي كانت قد اتفقت على عقد القرض هي بنوك يهودية اودعت بها اموال الجمعية الصهيونية ، وان الصهيونيين يتظاهرون بانهم يريدون نفع العثمانيين ، واول سعي قام به سير ارنست كاسل ، الذي انشأ البنك الاهلي باموال الصهيونيين ، للسعي وراء غرض خفي » (٥) ولفت اسماعيل حقي نظر المجلس الى نمو الدعاية الصهيونية في تركيه ، بجهود الوكلاء اليهود الاجانب لصالح القضية . واستنتج ان الحكومة انما تنفذ سياسة الصهيونيين وتسمح لهم بشراء الاراضي في فلسطين حتى يتوصلوا الى تأليف مملكة يهودية هناك ، كما اشار الى انه عقد منذ حين مؤتمر في برلين ، تم الاتفاق فيه على ان يشتري اليهود كل فلسطين ، وان يتكلوا على مساعدة كبار اليهود الموظفين في الحكومة العثمانية، واضاف بان الصهيونيين كانوا قبل الدستور يعملون على استيطان القدس ودمشق وحيفا وابتاعوا اراضي واسعة هناك لاسكان اليهود المهاجرين من اوروبه ، ولكن الحكومة السابقة كانت قد احتاطت ضد هذه المساعي فوضعت (الجواز الاحمر) لمنع اليهود من المهاجرة .

وتصدى قره صو (مبعوث سلانيك) للدفاع (٦) ، بحجة ولاء اليهود لعثمانيتهم مؤكدا ان المسألة الصهيونية – كما فهمها هو – لا اهمية لها ، وعارضه في ذلك نائب القدس روحي الخالدي بان مشكلة الصهيونية هي في غاية الاهمية بالنسبة للدولة ، وقد حاول طلعت بيه – وكان قد ترك وزارة الداخلية – ان يشرح ملابسات مهمة دكتور (نوسيغ) في الاستانة ، الذي جاء يفاوض الحكومة في مهاجرة اليهود الى فلسطين وسوريه ، الا انها رفضت اقتراحه . وفي دفاع حقي باشا الصدر عن موقف الحكومة تحدث حول نقاط ثلاث : ماهية الصهيونية ، وخطة الحكومة تجاهها ، وعلاقة الصهيونية بالقرض . بالنسبة للمسألة الاولى فان الحركة موجودة ، اذ خطر لبعض اليهود ان يزيدوا عدد اليهود في فلسطين وان يؤلفوا منها مملكة اسرائيلية ،

٣ – كان انقساما داخليا في اوساط الاتحاديين قد ادى الى تغيير الوزارة في شباط (فبراير) ١٩١١ .

٤ – اشارت الاهرام في ١٩١١/٣/١١ الى المناقشة بالتفصيل ، وكذلك المقتبس في ٣/٢٠ ، وبينهما بعض الاختلافات في الترجمة عن الصحف التركية ، وكذلك اشارت التايمز في عدد ١٩١١/٣/٣ الى مقتطفات منها .

٥ – كان جاويد بيه وجاهد بيه (صاحب طنين) عضوي ادارة في هذا البنك .

٦ – Le Jeune Turc, 8/3/1911.
وكان قره صو قد شرح للجريدة بعض ما جاء في المحضر الرسمي للمبعوثان عن دفاعه .

ولكن الامر يبدو انه حكاية « ... ان تأليف حكومة اسرائيلية في سوريه وفلسطين لا يتم بقوة بعض الدجالين الذين يجتمعون كل سنة ... واذا كان في العالم طائفة عاقلة لا تنقاد للاحلام فتلك الطائفة هي طائفة الاسرائيليين ... » (٧) . اما عن الامر الثاني ، فقد تعرض فيه الى مهاجرة اليهود من الاماكن التي اضطهدوا فيها الى مقاطعة اخرى واسعة كان من بينها الامبراطورية ، وقد استوطن بعضهم فلسطين مستفيدين من التساهل في عهد السلطان عبد العزيز ، ولكن استيطان هؤلاء المهاجرين الاجانب قد نجمت عنه بعض المشاكل مع الاهالي ، الى جانب تمسكهم بجنسيتهم ، ولذلك منعت تلك المهاجرة بعد حربها مع روسيه سنة ١٨٧٧ وتساهلت مع الذين هاجروا قبلا ، وربما ابتاع بعضهم الاراضي ، ولكن الحال توقفت عند هذا الحد ووضع (الجواز الاحمر) . وبما انه لم يوضع حتى الآن قانون للمهاجرة ، فان الجوازات لا تزال معمولا بها (٨) . ثم اسهب الصدر الاعظم في حكاية القرض ونفى علاقة الصهيونيين به ، ودافع عن سير ارنست كاسل بانه صديق لتركيه كما كان صديقا للملك انجلتره ، وهو من اكبر ممولي انجلتره ، ولا يعرف ان كان اسرائيليا . وقد جمع ثروته في مصر ، وخدمها بانشاء البنك الاهلي ، ولم يوطن اسرائيليا هناك . واضاف الصدر الاعظم انه بعد اعلان الدستور طلب كاسل انشاء بنك انجليزي في الاستانة ليس له اي علاقة بالصهيونية ، كما لم يكن له ضلع مباشر بالقرض بل تدخل بالوساطة . اما عن البنوك الفرنسية التي كان قد اتفق معها سابقا على عقد القرض ، فواحد منها يهودي والآخر من بنوك الارياف ، واصحابها فرنسيون ، ولا يدري الصدر الاعظم ان كانوا يهودا ولكنهم صيارفة . وبعد فشل تلك المفاوضات ، تقدمت بنوك المانية بالاشتراك مع اخرى نمسوية ، وقد يكون فيها بعض اليهود ولكن – في رأيه – « لم يحمل هذه البنوك على ذلك امر صهيوني » ، اما المحامي سالم فهو لم يتدخل بأمر القرض وكان يشتغل وكيل اعمال بنك سلانيك ، فأقرض الحكومة ٥٠٠ الف ليرة .

وقد علقت مطالعات الخارجية البريطانية على رسالة لوثر التي حملت خلاصة المناقشة (١٩١١/٣/٧) (٩) « ... يبدو ان الصدر الاعظم واعضاء آخرين في الوزارة قد انذرهم العداء المتزايد في الصحافة تجاه الحركة الصهيونية ، لذلك هم يحاولون تقليل اهميتها وحتى السخرية منها في المجلس ... » . ومما يثير الاستغراب في حملة المعارضة هذه انها لم تتعرض للعرب اصحاب العلاقة المباشرة بالموضوع ، ومن جهة اخرى يبدو ان النواب العرب لم يأخذوا المبادهة في هذه المناقشة ، واكتفى روحي الخالدي بابداء اعتراضه على دفاع قره صو . ومع ان مبعوثا عربيا آخر قد تحدث في الجلسة ، الا ان كلمته ضربت صحف الاستانة عنها صفحا (١٠) . وكان رضا الصلح ، مبعوث بيروت ، قد ايد اقوال اسماعيل حقي عن مهاجرة اليهود الى فلسطين وشرائهم

٧ – الاهرام ، ١٩١١/٣/١١ .

٨ – اكد طلعت بيه – خلال المناقشة – انه قد جرت محاولات لما كان وزيرا للداخلية لالغاء الجواز الاحمر ، ولكنه رفض .

٩ – F.O. 311/1245/9103 F

١٠ – المقطم ، ١٩١١/٣/١٨ كذلك المقتبس ١٩١١/٣/٢٦ .

الاراضي وانشاء المستعمرات وعن رغبتهم في انشاء حكومة فيها . واستند على بعض الادلة منها اتخاذهم علما خاصا بهم وورق بريد (تمغة) ونقودا ووجد ان هذا كله ليس رواية خيالية ، لذا فهو يلفت انظار الحكومة الى ان تولي الامر اهتماما لانه مسألة حيوية للبلاد العثمانية .

الا ان نفي المخطط الصهيوني رسميا ، كما قدمه الصدر الاعظم باسم الوزارة ، وطلعت باسم الجمعية ، لم يكن كافيا لاخماد الموضوع ، اذ ان طرح المسألة على بساط المناقشة في المبعوثان اثار ردود فعل مختلفة في عدة اوساط ، ضجة عنيفة في الصحف العثمانية المعارضة تصدت لها الصحف التي تمولها الصهيونية . تزايد حملة الصحافة العربية جندت لها الصهيونية عددا من الكتاب اليهود للرد عليها . وادى كشف الامر بهذه الصراحة الى دفع الحكومة العثمانية الى اعادة النظر في موقفها من المسألة ككل :

فلأول مرة منذ اعلان الدستور ، تبدأ الصحافة العثمانية بالاشارة الى الحركة بصراحة ، اذ في اليوم التالي للمناقشة ، نشرت صحيفة (يني غازيت) Yeni Gazett (احدى صحف المعارضة) تحت عنوان « عاصفة الصهيونية ـ المهاجرون اليهود وسياسة الحكومة » (١١) بان موضوع الصهيونية يشكل خطرا على حياة تركيه الاقتصادية والاجتماعية ويجب ان يكشف عنه ولا يظل خافيا يشار له بين حين وآخر في الصحف (١٢) بعد ان كشف بصراحة امام المبعوثان . والصحيفة واثقة بان اسماعيل حقي لم يكشف كل المعلومات التي لديه ، وشكرت للصدر الاعظم انه اتاح له على الاقل ان يقول قدرا مما يعرفه . ومع ان الصدر الاعظم نفى صلة الحكومة باي مشروع صهيوني وتمسك بموانع الهجرة السارية المفعول حتى الآن ، الا ان جريدة (يني غازيت) وجهت له اللوم لانه يقلل من اهمية الحركة ، ويصفها بانها ذات طبيعة خيالية ، من نتاج قلة من الدجالين ، تثير سخرية كل العالم ، وحتى اليهود انفسهم . وترى الجريدة انه مهما كان حرص الصدر الاعظم على تقديم جواب حاذق لسؤال طرحه نائب ، ومهما كانت دوافع حماسه الوطني ، فان ذلك لا يبرر له ان يصف الصهيونيين بثلة من الدجالين او المغفلين « ... فالصهيونية منتشرة الى حد مريع ، قوتها كبيرة ، ولا يمكن ان يغض النظر عنها بهذا الاسلوب البسيط ، تأثيرها بدأ يظهر ويشعر به في هذا البلد ، وهدفها ليس تمزيق البلد واقامة حكومة فورية ، بل ان توسّع اهدافها بكل الوسائل التي تستطيعها ، وتطورها شيئا فشيئا ، فتشكل بذلك شرا وخطرا على البلد ... » . وتضيف الجريدة بان الصدر الاعظم في وصفه لها

---

١١ ـ ترجمة المقال الى الانجليزية مرفقة برسالة لوثر ١٩١١/٣/٤ . F.O. 371/1245/9103/9103 F

١٢ ـ ذكرت **يني غازيت** انه « سبق لاحدى الصحف في العاصمة (ربما تقصد تصوير افكار) الجهاد الطويل في هذا السبيل الحيوي ، ولم تجد من يشد ازرها سوى جريدة روم ايلي». وتعلق **المقتبس** (١٩١١/٣/٣٠) التي نقلت ترجمة كاملة لمقال (يكي غزته) على هذه العبارة « ... من غريب امرنا مع جرائد العاصمة انها لا تحسبنا في العير ولا في النفير ، بل لا تعرف ان الجرائد العربية ملأت الدنيا صراخا من خطر الاستعمار » وقد ذكرت « المقتبس » في ١٩١١/٤/١٦ ان صاحب (يكي غزته) قد ذكر في آخر مقاله ان سيتبع هذه المقدمة بسلسلة مقالات يبين فيها للرأي العام ما يبذله الصهيونيون من مساع منذ اعلان الدستور ، الا ان المقالات الاخرى لم تظهر .

يشير الى ان المسألة لم تدرس بشكل صحيح ، وقد يكون ذلك دليلا عن الوطنية ولكنه لا يتفق مع الحقيقة التي هي على العكس تماما « ... فمعرفة قوة العدو وسلطته ، والاعتراف بمعرفته وقدرته ليس فقط ضرورة بل فضيلة ... » . وتتعرض الجريدة الى ان « ... خطب هرتزل في بال وغيرها لم تثر اهتمام اليهود فقط ، بل كل المهتمين بالتطور ، ونتاج مقدرة هرتزل وعزيمته لا يمكن ان يوصف بانه فكرة بضعة دجالين ، وماكس نوردو يعتبر احد اعظم الفلاسفة في هذا القرن ، ويقرأ مؤلفاته باعجاب كثير من الشباب الاتراك ... » الجريدة تدعو الى ان لا ينظر الى هذا التقدم الذي حققته الصهيونية ، منذ بال حتى مظاهرها الاخيرة التي توضحت في همبرج ، بمثل هذه اللامبالاة .

ورد حسين جاهد صاحب « طنين » في ٤ آذار (مارس) (١٣) على من يهول شأن الصهيونية بقوله « ... هل يوجد فعلا اناس يحلمون بانشاء مملكة اسرائيل في فلسطين؟ ولو فرض ان هناك فعلا من يفكر في ذلك ، فلا يجب ان يشغلنا هذا الامر ، اذ هل هناك من يخشى ان تبيع الحكومة مقدونيا للبلغار او للعرب ولليونانيين ؟ لا ... وعلى هذا فاننا نرى ان الضجة المفتعلة حول الصهيونية ليست سوى حملة تشهير من جهة، ومن جهة اخرى لاثارة النفوس الجاهلة والحمقاء ضد الحكومة » . وايدت جريدة جون ترك اقوال حسين جاهد ، وكتب احمد اغالف مقالا بعنوان « شبح الصهيونية » (١٤) بان « الحملة ضد الصهيونية ليست الا مضيعة للوقت في مناقشات تافهة وغير مجدية ، في الوقت الذي تتعرض فيه البلاد الى كثير من المشاكل ... » . ويردد الكاتب ما ألف الصهيونيون قوله عن طبيعة حركتهم « ... هناك شعب من اصل شرقي ، شتتت احداث التاريخ شمله في العالم ... وتكون حزب لصالح هذا الشعب ينادي بان الاسرائيليين الذين يأتون الى هنا يصبحون عثمانيين ويخضعون لكل قوانين البلاد ... يخدمونه كما لو كان وطنهم الوحيد ... فهل تريدون ان تقبلوهم ؟ ان تركيه تستطيع ان تناقش او ترفض مناقشة ذلك ... فهؤلاء الناس لا يملكون اسلحة ولا جيوشا ولا اساطيل يفرضون بها ارادتهم » . ويهاجم كاتب المقال اولئك الذين حركوا فجأة شبح الصهيونية واثاروا من حولها ضجة كبرى، في حين لم يرفعوا صوت احتجاج واحد على تهديدات الدول الكبرى ، وصوروا الصهيونية بانها خطر مباشر يهدد البلاد « ... وليس ذلك الا حملة تشهير واثارة » . ويصفهم الكاتب بانهم « لا يلقون اي تأييد ، وخلافهم مع الاتحاد والترقي كان لاحقاد شخصية ، يهدفون من وراء الحملة ان يخلقوا لانفسهم اهمية مع اقتراب الانتخابات » ، بل انه يلوم حزب الاغلبية على موقف الصمت الذي اتخذه فان « ترك البلاد خلال ايام وايام تحت تأثير ونفوذ هذه الموجة الطاغية من الافتراءات والتلميحات والتحقير المنظم لا يعتبر في حد ذاته خطة سليمة ... ان صمتهم وسلبيتهم يخدمان جيدا نوايا الاعداء ، ويفسران على انهما من اعراض العجز وعدم القدرة وليس دليلا على التسامح » .

---

١٣ ـ نقلت مقتطفات من المقال Le Jeune Turc, 5/3/1911

١٤ ـ العدد السابق من جريدة **جون ترك** ، وقد قدم الكاتب الى مقاله بمقدمة طويلة عن ان شبح الجدل العقيم الذي كان يخيم على بيزنطة والاهتمامات الحمقاء والمناقشات التافهة حول موضوعات عديمة القيمة والتي انهكت الامبراطورية البيزنطية ، لا تزال روحها سائدة في الاستانة .

من هنا

وقد تابعت (جون ترك) خطتها في الدفاع عن الحركة الصهيونية والرد على من يهاجمها والتأكيد على اهدافها السلمية وسعيها لمصلحة الامبراطورية العثمانية ، واوردت الادلة على التقدم المالي والاقتصادي والتعليمي في فلسطين ، الذي لم تقتصر الفائدة منه على الدوائر اليهودية وحدها ، بل افاد سكان فلسطين ورخاء تركيه الحديثة ، وتتساءل في احدى مقالاتها « هل يمكن لهذا النشاط ان يكون ضارا بمصالح الامبراطورية العثمانية ؟ هو سؤال لا يمكن ان يخطر الا على بال الذين يسعون لخدمة مزاعمهم اكثر من تفكيرهم في خدمة مصالح الامبراطورية ... » وحاولت ان تنفي سعي الصهيونية لايجاد دولة يهودية مستقلة . بل ان هدفها ، كما اعلن ممثلوها ، وكما جاء في قراراتها « ... ان توطن اولئك المضطهدين في ارض اليهود على اساس استقلال ثقافي محض ، وهذه الاماني تتفق مع مبادىء الدستور » (١٥) .

دفاع (جون ترك) لم يوقف حملة الصحافة العثمانية . وتولت مهمة توضيح الامور صحيفة اخرى لم تكن من المعارضة ، هي جريدة « الروميلي » Roumélie وهي من جرائد جمعية الاتحاد والترقي في سالونيك . وفي ١٩١١/٤/١٦ نشر مقال «لتسقط الصهيونية دائما وللابد» لاحد معاوني دكتور ناظم اسمه (يوسف نادي) (١٦) ويشرح الكاتب مطولا تخوفه من الصهيونية ، « اذ انه منذ عودة الدستور يسمع باستمرار نغمة الصهيونية ومقدار الخطر الكامن وراء هذه الكلمة كبير جدا ، بحيث يثير التخوف في قلوب اولئك الذين يعرفون خبايا الموضوع ويجعلهم يمقتونها بقوة ... » . ولكن ، بما ان الاغلبية تجهل حقيقة الصهيونية ، فالى هؤلاء يوجه قوله بان « ... الصهيونية هي خطر حقيقي ، والخطر الثاني هو الطبيعة الزاحفة لانتشارها وعدواها » . ويرى ان بعض القراء لديهم فكرة غامضة بانها تعني تأسيس دولة اسرائيلية في فلسطين مؤلفة من اليهود الذين هاجروا من كل انحاء العالم ، وان الاغلبية تعتقد ان هذا العمل مستحيل ، كما ان الحكومة قد اعتبرت الفكرة محض خيال ، ويؤكد الكاتب « ... ان الصهيونية ليست وهما ، بل حقيقة خطرة مفزعة ، واقدس واجباتنا الوطنية ان نبذل كل قوانا لوضع العوائق بوجه هذا الخطر ... » ، وما يثبت كون الصهيونية حقيقة هو تلك المساحات الشاسعة من الاراضي التي

١٥ ـ مادة المقال مستقاة معظمها من جريدتي **لسان الحال** و**صوت الحق** البيروتيتين
Le Jeune Turc, 17/3/1911.

وورد خلاصة المقال في : **Jewish Review, 7/5/1911, pp. 34 - 35.**

١٦ ـ ترجمة المقال مرفقة برسالة لوثر الى غراي ، ١٩١١/٤/٢٤ **F.O. 371/1245/16048/9103 F**
ويرى لوثر ان المقال يمثل آراء بعض الاعضاء البارزين بالجمعية ، وقد شرح الكاتب السبب المباشر الذي دفعه الى اتخاذ موقفه : وهو ان مهندسا يهوديا اسمه سنتو سيمو Santo Semo جاء سالونيك لالقاء محاضرة عن بلاد الرافدين بواسطة الفانوس السحري بحجة ان المحاضرة للفائدة ، وحضرها كثيرون من جمعية الاتحاد والترقي كان الكاتب من بينهم . وكانت الفكرة الصهيونية تكمن وراء كلماته ، واثار ذلك الكاتب ولما ابدى زملاؤه استحسانهم هب صارخا « فلتسقط الصهيونية ... » ومنذ ذلك الوقت عاهد نفسه ان يكون هذا موقفه حيال الصهيونية طوال حياته . وقد اشارت **التايمز** في ١٩١١/٤/١٤ الى هذا الحادث .

اشتريت لهذا الهدف في مناطق القدس ويافا وحيفا ، وهي كافية لتلفت انتباه الجميع ـ والحكومة بشكل خاص ـ والقرارات التي اصدرتها الحكومة مرارا لمنع انتقال الاراضي كان لا يمكن تنفيذها تماما بسبب كثرة المناورات . ويعد الكاتب ان ينشر في الجريدة طابع بريد صهيوني يحمل صورة منظر في فلسطين وعليه عبارة « فلسطين لليهود » وقد يسمى هذا وهما ، ولكن ما يعتقده « ان الصهيونية هي حقيقة ونشطة دوما وتشكل خطرا كبيرا » . وهو واثق ان هذا الخطر سيرغم الحكومة على وضع قوانين خاصة لمنع انتقال الاراضي في القدس والمناطق المجاورة الى اليهود. ولا يقتصر الخطر الذي تحدثه الصهيونية على المطالبة بدولة يهودية في القدس لها حقوق عامة « ... بل ان حلم الصهيونية واسع يمتد الى بلاد الرافدين » ، ومع ان هذا الامر لم يذكر مطلقا ، الا ان لدى الكاتب فكرة وثيقة عن المحاولات التي عملها الصهيونيون لارسال مهاجرين يهود الى بلاد الرافدين « ... وراء ذلك المشروع يكمن حلم انشاء مملكة اسرائيلية تشمل الدول القديمة بابل ونينوى مع القدس كمركز لها ... » . قد يكون هذا وهما او جنون عظمة ، ولكنه واثق انه على حق في « التخوف من حلم يسعى له يهود اجانب ، لان وراءهم اقوى قوة في العالم ... الا وهو نفوذ المال ... » وقد لاحظ مراسل التايمز في الاستانة (١٧) تطور العداء التركي السريع للحركة الصهيونية ، حيث اصبحت الصحافة التركية تناقش موضوع الصهيونية علنا ، وان كان هذا المراسل يأمل الا يتطور هذا الشعور المعادي للصهيونية الى «عداء للسامية» .

وقد بعثت اثارة المسألة بهذا الشكل المفتوح التخوف في نفوس اليهود العثمانيين (من السفارديم) ، الذين كانوا يحملون دوما صفة مواطنين مسالمين ، ملتزمين بقانون الامبراطورية ، التي اعطتهم حمايتها منذ قدموا اليها من اسبانيه ، ولكن الدعاية الصهيونية كانت قد بدأت تنتشر في اوساطهم وتحمس لها الكثيرون ، الا ان بعض زعمائهم وجدوا ان نجاح هذه الدعاية قد تضر بمصالحهم وتثير الشكوك من حولهم (١٨) . حتى ان قره صو نفسه قد ابدى تخوفه الى جريدة جون ترك (١٩) بان ما قيل قد القى الشك في نفوس العثمانيين حول ولاء اليهود العثمانيين ووطنيتهم ، ولذلك فقد اقترح ـ لاقصاء الشك ـ ان يعطي المشروع شكلا اقل شبهة ، وذلك بعدم تحديد فلسطين على انها المكان الوحيد الملائم لاقامة المستعمرات ، وان لا توضع هذه الحركة تحت اسم يمكن ان يؤدي الى اعتراضات مؤسفة . وهذا التخوف هو الذي دعا يهود ازمير لارسال برقية الى صحف الاستانة يشكرون فيها الصدر الاعظم على حسن ظنه باليهود العثمانيين ، ويتبرأون الى الله من الصهيونية ، ويعلنون ولاءهم للدولة العثمانية (٢٠) واشار لوثر في رسالته (١٩١١/٣/٧) (٢١) الى ان احدى الجرائد اليهودية

١٧ ـ مقال « تركيه الفتاة والصهيونية » .Times, 14 April 1911

١٨ ـ **Ibid.**

١٩ ـ **Le Jeune Turc, 8/3/1911.**

٢٠ ـ **المقتبس** ، ١٩١١/٣/٢٩ .

٢١ ـ من لوثر الى غراي F.O. 371/1245/9163/9103 F
وقد اشارت **جويش كرونيكل** في ١٩١١/٥/١٩ الى تشكيل جمعية معادية للنشاط الصهيوني في **سالونيك** يرأسها يهودي من التبعية الايطالية .

El Tempo قد بدأت حملة لمعارضة الصهيونية . ورغم جهود هذه الصحيفة وجهود زعماء السفارديم ، فان مراسل التايمز (٢٢) يلاحظ ان الافكار الصهيونية لا تزال تحرز تقدما سريعا بين طبقات المجتمع اليهودي الفقيرة ، عن طريق انشاء جمعيات مكابية لتطوير التعليم والتربية البدنية . ويضيف المراسل ان « هذه الافكار تطورت الى حد كبير تحت سلطة الدعاة الذين يرأسهم يهودي الماني من الاشكنازيم هو جاكوبسون » ويستنتج انه « كلما كان على اليهودي السفارديم ان يفقد اكثر ، كان عليه ان يرفض الخطط الصهيونية ... » .

اما عن اسباب الاعتراض التركي للحركة الصهيونية ، الذي تفجر بعد فترة صمت طويلة ، فان مراسل التايمز في مقاله السابق (٢٣) يحاول ان يحلل الموقف العثماني (وهنا يجمل العرب ايضا) تجاه هذه الحركة ، فيرى ان الترك لهم كل العذر لو نظروا اليها شذرا اذ هي تحمل « خطر اغراق السكان الحاليين بالمهاجرين الجدد ، الذين يتميزون بالفطنة وتعدد البراعات ، في حين لا يزال اهل تلك المناطق في حالة تخلف اقتصادي وتعليمي ، مما يجعلهم غير اهل ، في وضعهم الحالي ، ليجاروا مستوى القادمين الجدد ... » . ويرى المراسل كذلك ان لدى الاتراك من القوميات ما يكفي لمعالجتها ، ولا داعي لاضافة قومية جديدة الى مشاكلهم ، ثم ان لديهم علما بازدياد الموجة الاجرامية التي نجمت عن تدفق اليهود الروس الى لندن والمدن الاوروبية الاخرى وهذا يؤكد ما ستكون عليه مشاعرهم تجاه القدوم المحتم « لعنصر فوضوي مجرم » . امر آخر يشير اليه المراسل له علاقة بالسياسة الدولية وهو « ... ان الصهيونية التي تنتشر بصورة رئيسية بين اليهود الالمان ، هي نوع من حارس متقدم للنفوذ الالماني في الشرق » (٢٤) . وتتساءل « التايمز » « ... ماذا سيكون المعنى السياسي لاستيطان اجزاء من العراق وسوريه من قبل يهود من اوروبه الشرقية والوسطى لغتهم المانية يهودية ... وخط الاتصال المالي سيؤدي بطريق بودابست فينه الى فرانكفورت وبرلين ... » لذلك ليس من المدهش ـ على حد رأي المراسل ـ « ان الاتراك المحافظين والمعتدلين يرقبون الدعاية الصهيونية بعدم ثقة ، والنواب والصحفيون الذين واجهتهم ظاهرة سياسية جديدة يميلون الى ان يروا الصهيونية في كل مشروع يقترحه الرأسماليون الاجانب » ، وتنتهي التايمز بقولها « ... ولو سأل المرء عن اساس الاعتراضات على المشاريع الصهيونية والمتحالفة معها ، لوجد الجواب

٢٢ ـ مقال « تركيه الفتاة والصهيونية » .Times, 14/4/1911

٢٣ ـ .Ibid

٢٤ ـ استند المراسل على المقال الذي كتبه يوسف نادي في (الروميلي) وارفقه لوثر في رسالته في ١٩١١/٤/٢٤ F.O. 371/1245/16048/9103 F
حيث يقول الكاتب بان الصهيونيين في فلسطين يعتمدون على الدعم الالماني المعنوي الذي يسانده العمل ، وسيكون الامر كذلك لو فرض ان الصهيونية امتدت الى بلاد الرافدين . وكان لهذا الرأي اهمية خاصة كذلك بنظر لوثر ، لانه يلفت النظر ـ كما يقول ـ الى مظهر من الصهيونية قد شك به كثيرون وهو « ... كون اليهود الالمان هم اكثر العاملين نشاطا في القضية ، وان النفوذ الالماني في دوائر الجمعية (اي الاتحاد والترقي) سيفتح الباب للهجرة اليهودية التي سيتبعها المستوطنون الالمان ... » .

في هذا الانتقاد الموجز لنائب Amazia الذي رد به على قره صو « لو جئتم في جماعات ، فسوف لن يكون هناك متسع لنا » .

الواقع ان الادلة العديدة التي اوردتها التايمز ورددتها صحيفة الروميلي وكان لوثر يلمسها في الاستانة ، عن كون الصهيونية حارسا متقدما للنفوذ الالماني ، قد يكون فيها بعض الصحة ، ولكنها ليست الحقيقة كاملة . اذ انه في حين كان الصهيونيون ـ نظرا لانتشارهم بين دول مختلفة ونفوذهم فيها ـ يحاولون تحقيق اهدافهم عن طريق ضغط هذه الدول لصالحهم في الدولة العثمانية ، كانت تلك الدول عن طريق رعاياها من اليهود تحاول ان تجد طريقا للتدخل كجزء من الاهتمام الذي كانت تبديه هذه الدول بالشرق عموما ، والارض المقدسة خصوصا . وربما كان اهتمام الحكومة البريطانية بالمشروع الصهيوني اسبق من غيره ، فكل المؤسسات الصهيونية العاملة في فلسطين كانت مسجلة في بريطانيه ، واي اعتراض من السلطات العثمانية على نشاط هذه المؤسسات كان يثير احتجاج الهيئات الدبلوماسية البريطانية . وكانت الحكومة البريطانية ، بالاضافة الى ذلك ، قد مدت حمايتها على اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر كما ان كثيرا غيرهم قد حصل على الجنسية البريطانية بعد اقامة فترة قصيرة في المستعمرات البريطانية ، هاجر بعدها الى فلسطين .

كذلك فان الحكومة الروسية ، التي كانت تتبع حتى الآن سياسة التنصل من المسؤولية ازاء رعاياها اليهود ، قد بدأت بعد عام ١٩٠٨ تبدي اهتمامها بهم . وقد لاحظ القنصل البريطاني في بيروت كمبربتش Gumberbach في رسالة سرية بعثها الى لوثر والى غراي في ١٩١١/٣/٢ (٢٥) اقامة وكالة قنصلية روسية نظامية في حيفا بدلا من السابقة (غير المأجورة) . وقد تلقى وكيل القنصل الروسي الجديد تعليمات باستخدام نفوذه للحفاظ على احسن العلاقات مع اليهود الروس المستوطنين في حيفا وطبريه وصفد والجليل . ويعزو القنصل البريطاني في بيروت ذلك الى الاهمية التي توليها الحكومة الروسية لضرورة التمسك بنفوذها على المستوطنين من اليهود الروس . ومن اجل تشجيع هذه العلاقات ، يتوقع ان تمد القنصليات الروسية حمايتها على اليهود الروس ، بالغاء القيود الصارمة التي كانت مطبقة حتى الآن على الاعتراف بحقوق الجنسية الروسية ، وذلك بمنحهم وثائق تسجيل تخولهم الحماية . ويلاحظ ان الدافع القوي لقبولهم الحماية الروسية هو تجنب الخدمة في الجيش العثماني ، التي يخضعون لها الآن . ويرى القنصل ان هذا الاتجاه الروسي لا ينظر اليه بعطف كبير من الموالين للحركة الصهيونية ، وخاصة الصهيونيين البريطانيين ، نظرا لانهم « يخفون املا خاصا ، بانه ـ في يوم ما ـ قد تدفع الظروف السياسية حكومة جلالته انى ان تبدي اهتماما عمليا اكثر لتعزيز مصالح اليهود في فلسطين ، وان تتساهل في الشروط التي تمكن فئة معينة من اليهود المهاجرين من التمتع بحماية القنصليات البريطانية في فلسطين وسوريه » ، هذه الحماية ـ كما يضيف القنصل ـ « المبنية

٢٥ ـ ١٩١١/٣/٢٠ F.O. 195/2370

على مبادىء انسانية هي اكثر قبولا من ذلك الموقف المتعاطف المتأخر عن ميعاده ، الذي ابدته الحكومة الروسية » (٢٦) .

ما هو واقع في هذه الفترة ان البعثات الاجنبية جميعها كانت تبدي اهتمامها بأوضاع اليهود في فلسطين ، وذلك ـ كما اشار لوثر في رسالته الى الخارجية في ١٩١١/٣/٧ (٢٧) يعود الى « ان قضية الجوازات الحمراء ، التي يجبر اليهود الاجانب على اخذها عند وصولهم الى الموانىء السورية ، والتي تخولهم الاقامة في فلسطين مدة ٣ اشهر فقط ، كانت دوما سببا في اثارة المتاعب امام البعثات الاجنبية فيما مضى ، ولكن ما يعتبر اشد خطورة هي قضية الحصول على الملكية » ، فقد خول الاجانب الحصول على ممتلكات في تركيه (حسب قانون صفر ١٢٨٤ هـ) (٢٨) ، الا أن اوامر الباب العالي كانت تستثني اليهود الاجانب من التملك في فلسطين ، مع ان التحايل على هذه القيود كان ساريا منذ وضعت . واثارت الحملة ضد الصهيونية البعثات الاجنبية للتحرك لصالح الصهيونيين ، فقدمت مذكرة الى الباب العالي تطلب الغاء القيود المفروضة على اليهود الاجانب وخاصة قضية الحصول على الاراضي ، نظرا لانها تخالف التزامات الحكومة العثمانية الدولية . كان للامر اهمية خاصة، وقد يتطور الى حالة خطيرة ، بنظر لوثر ، « ... اذ لم يسبق لا للسلطات التركية ولا للبعثات الاجنبية ان ضغطت على هذا الامر بمثل هذه الشدة » . ويكشف لوثر في رسالة تالية (١٩١١/٤/٢٤) (٢٩) ان المذكرة المشتركة (٣٠) التي وجهتها البعثات الاجنبية الى الباب العالي كانت بناء على اقتراح السفارة الفرنسية ، التي يبدو انها قد تحركت بتأثير آل روتشيلد في باريس . وابدت دوائر وزارة الخارجيةالبريطانية في تعليقاتها على المذكرة شكها في ان يتقدم الباب العالي بجواب على هذا الانذار ، ما لم يضغط على الموضوع بشكل اكثر فعالية مما هو الآن من جانب احدى الدول ، او منها جميعا . ولكن يبدو ان الضغط الاجنبي لم يكن كافيا ، فقد كان رد الباب العالي على

---

٢٦ ـ ويدعم تقرير قنصل بيروت السابق رسالة وردت الى غراي في ١٩١١/٤/٢٤ ، وجهها احد اليهود في نيويورك E. Eliath يحث الخارجية على « انه لو اعيدت فلسطين الى اليهود تحت حماية ورعاية بريطانية فستربط انجلتره لها ١٢ مليونا من البشر بأحسن رباط الامتنان . ولو اصبح هذا البلد ، شرقي قناة السويس في حوزة شعب ممتن ، لكان حامية عسكرية لانجلتره » .
F.O. 371/1248/15381

٢٧ ـ F.O. 371/1245/9103 F

٢٨ ـ انظر الفصل الاول ، ص ٢٢ .

٢٩ ـ في ١٩١١/٤/٢٤ F.O. 271/1245/16048/9103 F

٣٠ ـ مذكرة السفارة البريطانية كانت على النحو التالي : « لاحظت سفارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان الدوائر العقارية السلطانية وخاصة في فلسطين وسوريه تعارض بشدة اتمام معاملات نقل الممتلكات في القرى والمدن التي يرغب افراد الطائفة اليهودية امتلاكها في تركيه طبقا لاحكام القانون المؤرخ ٧ صفر سنة ١٢٨٤ وتتذرع الدوائر المذكورة لتبرير هذا الرفض بالاوامر والتعليمات الواردة اليها من الباب العالي . ولكن القانون السابق الذكر ، وكذلك البروتوكول الملحق به لا يضع اي استثناء يمنع الرعايا الاجانب بصورة عامة وبدون تمييز في الدين من الحصول على املاك في تركيه حسب الشروط المنصوص عنها . وتأمل سفارة حكومة جلالته ان تكتفي بلفت نظر الباب العالي الى ما سبق ، بان مثل هذه التعليمات ـ اذا صح وسبق اعطاؤها ـ تلغى في القريب العاجل ... وارسال الجواب حول هذا الموضوع في اقرب وقت » .

المذكرة المشتركة « ... بان هذه المسألة هي من امور الادارة الداخلية ، التي يجب ان تحتفظ الحكومة العثمانية بحرية العمل فيها » (٣١) . كانت هذه ادلة على ان الحكومة العثمانية قد بدأت تعيد النظر في موقفها من القضية ، حتى ان خليل بيه ، وزير الداخلية ، قد اصدر بيانا الى الصحف المحلية مفاده « ان الحكومة العثمانية لا يمكن ان تنظر للصهيونية باي شكل من اشكال المحاباة ، وانها تستهجن اي دعاية من هذا النوع ، وان الصهيونية مناقضة للعثمانية ... » (٣٢) . كما ان جريدة (جويش كرونيكل) قد بدأت تلاحظ ان الهجوم الذي كان محصورا في دوائر المعارضة قد امتد الآن الى اعضاء الاكثرية ، وانه في اجتماع الحزب البرلماني (الاتحاد والترقي) في ١٩ نيسان (ابريل) وجهت الى جاويد نفس التهم التي كانت قد وجهت اليه في مناقشة المبعوثان ، مما اضطره الى الاستقالة مع السكرتير الاول نسيم روسو (٣٣) .

وعلى الرغم من ان موضوع الصهيونية ، حين طرح على المناقشة العلنية ، لم يتعرض الى اهل البلاد والى الخطر المباشر اللاحق بهم ، فان الصحافة العربية في سوريه وفلسطين ، التي كانت قد سبق وعالجت الموضوع ، لم تنتهز فرصة مناقشة المبعوثان لتوجه النقد للحكومة ، بل لجأت الى اسلوب النصح والارشاد واخذت توضح امورا كثيرة كانت السلطات التركية تجهلها . ورحبت جريدة « المقتبس » (٣٤) بتنبه الاتراك للدور الذي يلعبه اليهود « واصبحوا في خوف من هجومهم ، وخصوصا كثرتهم في نظارة المالية واحالة الامتيازات والمبايعات والقروض كلها لليهود ... او بواسطة منهم » . ونشرت سلسلة مقالات بتوقيع (الفلسطيني) (٣٥) استقاها من مذكرات مجلس المبعوثان وتعليقات الجرائد الكبرى ، والكاتب يرى ان الصدر الاعظم له بعض العذر اذ ينظر الى آمال الصهيونيين كسراب او خيال ، « لانه لم ير كيف اكتسح الاستعمار الصهيوني بعض القبائل والقرى ، وكيف زاحم افراده الوطنيين في مناكب العيش ... وهيمنوا على المجالس والمحاكم والاندية ... ولم يكن قد نبههاليه عمال عمالتي بيروت والقدس ... » . واثيرت مجددا قضية الفولة ـ بعد ان كان قد مضى عليها عدة اشهر ـ وكشف مبعوث دمشق شكري العسلي خفايا هذه المسألة في الصحافة في بيروت ودمشق ، وحاول والي بيروت نور الدين تبرير موقفه (٣٦) ، ويمكن تقدير مدى نجاح هذه الحملة في مغادرة الوالي مدينة بيروت بحجة ما يعانيه من مرض في عينيه (٣٧) .

---

٣١ ـ ارسلت البعثات الاجنبية فيما بعد مذكرة مشتركة ثانية تتمسك بالاحتجاج لان المسألة تتعلق بنظام الامتيازات لا بمسألة الادارة الداخلية .

٣٢ ـ نقل لوثر ذلك في رسالته في ١٩١١/٤/٢٤ .

٣٣ ـ **Jewish Chronicle, 13/5/1911.**

والملاحظ ان الجريدة تحاول ان تعطي المعارضة صفة (العداء للسامية) وهي لا تشير الى كلمة الصهيونية اطلاقا ، وترى ان التهم التي وجهت الى جاويد هي ان لديه شعورا يهوديا ويربط نفسه بعصبة من اليهود ، وانه يعين يهودا فقط لمناصب الدولة ويبيع ارض الاجداد لليهود .

٣٤ ـ **المقتبس** ، ١٩١١/٣/٢٥ .

٣٥ ـ بدأت في ١٩١١/٣/٢١ .

٣٦ ـ **المقتبس** ، ١٩١١/٣/٢ و**الاقبال** ١٩١١/٢/٢٠ .

٣٧ ـ رسالة من قنصل بيروت الى لوثر ، ١٩١١/٣/٢٧ F.O. 195/2370

وعلى اثر مناقشة المبعوثان ، نشر صاحب (الكرمل) سلسلة مقالات في جريدته عن الحركة واخطارها (٣٨) وخاصة انه كان يتوقع ان تعين الحكومة لجنة خاصة لدراسة المسألة بعد ان بينت مناقشات المبعوثان الجهل التام بخلايا الحركة . وقد عمد نصار – كي يشرح هذا الخطر – الى ترجمة اجزاء من الانسيكلوبيديا اليهودية (٣٩) ولكنه كان يشير ، بين حين وآخر ، في تعليقات جانبية الى ما يجري من اعمال في ذلك الوقت . وهو يستعرض البدايات الاولى لنشأة الحركة الصهيونية حتى يصل الى ظهور الصهيونية الحديثة التي تسعى الى « تأسيس وطن » ، حيث تسلطت الحركة على التاريخ اليهودي منذ ذلك الحين ، ويعلق بقوله « ... ان الحركة التي تتسلط على تاريخ امة او تشغله لا يمكن اعتبارها وهمية ، ولا يصح وصف القائمين بها بالمتهوسين » . ويؤكد نصار ان غاية الصهيونية سياسية قومية ، وليس ايجاد ملجأ ، وان العداء للاستعمار الاسرائيلي انما لانه يحمل غرضا سياسيا ، ويرد بذلك على المدافعين عن الصهيونية في صحف مصر وسوريه ، لان هذا القول ليس الا تضليلا . ويلوم نصار الذين يقولون بمنافع اليهود ويقرون بعجزنا ، « اذ ان لدينا الاستعداد الكافي ، وكل ما نحتاجه هو الامن والمساواة ونشر التعليم ، فنصبح من الشعوب الراقية ، وقد جاء اليهود بهذا السلاح الاقتصادي الاجنبي الذي يغري الجميع ، جاءوا وهم يعرفون ان لدينا عقدة حب الاجنبي ، والخضوع له . ولكن هذا لا يجب ان يدفعنا الى التقاعس او الشعور بالنقص ، حتى ولو كانوا اجانب وعلى رؤوسهم قبعات ... » ويشير الكاتب الى المظاهر القومية للصهيونيين في فلسطين من (طوابع بريد وعلم خاص) (٤٠) غير ان الحكومة – على ما يظهر – لم تهتم للامر ، كما انها لا تهتم لمنع مهاجرة اليهود الى البلاد وتحميهم فيها ، رغم تصريحات الصدر الاعظم بان الورقة الحمراء ما زال معمولا بها . ويحاول نصار ان يستخلص من مباحث الانسيكلوبيديا اليهودية عبرا تبغي تنبيه الحكومة الى خطر الصهيونية ، فالصهيونيون يستغلون كل الظروف السياسية لتحقيق اغراضهم ، (سواء انجلتره او المانيه) وولاؤهم للعثمانية ليس الا ادعاء ، ولا يخفي نصار اعجابه ببرنامج الحركة الصهيونية واساليبها ووسائلها ، ولا بأس من اخذ دروس مفيدة نتعلمها من خط سير الحركة الصهيونية . وتحت عنوان « ماذا نحتاج » كتب نصار « ... مشروع صغير يتطور الى عمل عظيم ... جامعة ... قيادة ... ثبات ... الاعتماد على النفس وليس على الحكومة ... قيادة مخلصة كهرتزل ... جمعيات وشركات وجمع اموال ... والقيام بمشاريع

---

٣٨ – نشر نصار المقالات في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١١ في كتيب عنوانه **الصهيونية: تاريخها – غرضها – اهميتها** – ملخصا عن الانسيكلوبيديا اليهودية .

٣٩ – مقال Gottheil, R., «Zionism,» **Jewish Encyclopedia, 1906, Vol. XII, pp. 666 - 86.**

٤٠ – يشير نصار الى ان الصهيونيين يرفعون العلم في احتفالاتهم وقد رفعوه في القدس من مدة بضعة اشهر على النادي الصهيوني لما احتفلوا بعيد بن يهودا ، وباعوا الطوابع اليهودية علنا ، وقد ابرق بذلك اسعاف النشاشيبي ونشرت الكرمل البرقية ونقلتها الصحف .

اقتصادية ... » ، ولكنه بنفس الوقت كان يخفي تخوفا كامنا « ... ونحن اذا كنا قضينا اجيالا نعاني البؤس والشقاء ... لماذا لا نصير رجالا ونمشي في طريق الحرية ونعيش لوطننا ولانفسنا ، فلا نستمطر لعنات اجدادنا وابنائنا علينا باضاعة بلاد اشتراها الاجداد بدمائهم ... » .

٢ – مناقشة المبعوثان الثانية للمسألة الصهيونية ، ايار (مايو) ١٩١١ :

هذا الموقف الذي اتخذته الصحافة العثمانية والعربية ، وبعض التراجع الحكومي عن دعم النشاط الصهيوني ، قد شجعا النواب العرب في المبعوثان على اثارة الموضوع ثانية في جلسة ايار (مايو) خلال مناقشة الميزانية الخارجية (٤١) . وقد بدأ روحي الخالدي (مندوب القدس) بشن حملة عنيفة على الصهيونية ، لانها ضارة بمصالح العثمانيين في فلسطين . وقد حرص الخالدي على ان يفرق بين اليهود العثمانيين الذين ليس لهم اي صلة بالصهيونية والصهيونيين ، فقال « كما انني ضد الصهيونية ، ولكني لست ضد السامية ، والدليل هو الرسائل التي بعثها الى هنا حاخام باشا ازمير وغيره من الحاخامين الذين يناهضون الصهيونية ... » . وقد سرد روحي الخالدي قصة الهجرة اليهودية الى تركيه ، مبينا ان الشعب التركي لم يظهر ابدا العداء لليهود ، كما عرض نظرية الصهيونية (٤٢) وتطورها على يد هرتزل ، وسعيه لانشاء دولة ، وتشكيل لجان في اوروبه ، وتأسيس مصرف في انجلتره لاستلام اعانات شهرية ، وتناول مسألة مستعمرات اليهود وجمعياتهم وتدريباتهم العسكرية ، ووجود مكاتب بريد وطوابع تحمل رسوم هرتزل ونوردو ، ومحاكم وادارة ذاتية . وفي النهاية ، طلب روحي الخالدي ان تبين الحكومة الاجراءات التي اتخذتها ضد هذا الخطر الصهيوني الذي يهدد فلسطين بشكل خاص .

وايّد حافظ السعيد – نائب القدس – اقوال الخالدي ، وبيّن ان حركة الاستعمار اليهودي في فلسطين مستمرة منذ ثلاثين عاما عندما كان عددهم في ذلك الحين ١٠ر٠٠٠ يهودي ، وبلغ اليوم ١٠٠ر٠٠٠ يملكون ١٠٠ر٠٠٠ دونم من الاراضي ، اشتروها بمساعدة اغنياء اليهود رغم الحظر المفروض . واوضح النائب ان المهاجرين قد يقبلون الجنسية العثمانية ولكنهم يحتفظون بجوازات سفرهم ، وفي حالة حدوث خلافات مع السلطات يعتبرون انفسهم عناصر اجنبية . وهو يقر بالتقدم الذي احرزه اليهود في فلسطين ونشاطهم في مجال الزراعة والفنون والتجارة ، ويعلن انه ليس ضد هجرة اليهود الى تركيه ، ولكن فقط لا يريدهم ان يكونوا في فلسطين ويطالب بتوطينهم في المناطق الاخرى ، بشرط ان يقبلوا الجنسية التركية .

وجاء الرد على النواب العرب من نسيم مزلياح نائب ازمير اليهودي ، ومن نائب الارمن الطاشناق فارتكس (Vartkess) وحاولا ان يصورا معاداة الصهيونية معاداة

---

٤١ – تفاصيل المناقشة وردت في جريدة **اورور** اليهودية التي تصدر بالفرنسية في الاستانة ، وقد ارفقها لوثر في رسالته الى غراي في ١٧/٥/١٩١١ . F.O. 371/1245/19395/9103 F.

٤٢ – لما احتج بعض النواب على هذه التفاصيل لانها معروفة من قبل ، رد روحي الخالدي انه يعرف ذلك ، لولا ان قره صو اعلن عند مناقشة هذا الموضوع للمرة الاولى انه لا يعرف ماهية الصهيونية .

لليهود ، فطالب مزلياح ان يدرس موضوع الصهيونية من قبل لجنة خاصة ، لان اليهود الاتراك يدخلون طرفا في الموضوع ، مع انهم يشكلون العنصر الاكثر وفاء للدولة وللبلد ، واحتج بألا تجعل الصهيونية سببا لمحاربة اليهود . وادعى فارتكس ان هناك من يريد خلق حركة مضادة للسامية بحجة ان الشعب (الجاهل) سوف يفعل ما فعله بالارمن من قبل . ومع ان روحي الخالدي قد اكد انه لا دخل في الموضوع لليهود الاتراك ، الا ان فارتكس افندي اصر على انه ليس بامكان الشعب التمييز وسيحارب كل يهودي (٤٣) .

وحرص النواب العرب على ان يعيدوا المناقشة الى خطها الاول ، وتولى ذلك نائب دمشق شكري العسلي في بحث مستفيض عن الصهيونية من واقع تجربته (٤٤) حين كان قائمقاما في الناصرة : وبدأ يشرح المبدأ الصهيوني كما ورد في دائرة المعارف اليهودية ، واستعرض ما جرى في المؤتمرات الصهيونية ، وانكباب الصهيونيين على عمليات شراء الاراضي ، تمهيدا لاخراج الافكار السياسية الى حيز الفعل « ... وقد استولوا حتى الآن على ثلاثة ارباع قضاء طبريه ، ونصف قضاء صفد ، ونصف قضاء حيفا ، عدا ما جاور يافا والقدس » ، وهم يحتفظون بجنسياتهم الاجنبية ، حتى لو اكتسبوا الجنسية العثمانية ، وذلك من اجل مصالحهم الخاصة ، كما اوضح النظام الذاتي الذي يسود المستعمرات اليهودية من بريد وطوابع (٤٥) وحراسة وسلاح ، ونشيد ، وعلم ، ومحاكم . وذكر ان الحكومة تقف موقف المتفرج ، وانه كان قد كتب تقريرا الى وزارتي الداخلية والخارجية لم يلتفت اليه . وشرح العسلي مجددا قضية الفولة وملابساتها ، واسباب تمنعه عن اجراء معاملة البيع رغم اصرار الوالي ، وظل متمسكا بموقفه الى آخر يوم حيث انتخب نائبا عن دمشق ، فترك مركز مأموريته . واما الوالي فقد اجرى الفراغ في مركز الولاية . وما يخشاه العسلي هو المصارف اليهودية ، وكذا التسهيلات التي تعطيها لليهود من اجل عمليات الشراء ، ورسوخ اليهود في الشؤون الاقتصادية « ... فلا يقدر الفلاح الفلسطيني على مجاراة اليهود ، وبذلك يخرج من يده ما يمتلكه ، وينقرض سكان بلادنا بالتدريج » . ويرى العسلي انه لهذه الاسباب كلها كان منع الحكومتين (السابقة واللاحقة) اسكان اليهود في فلسطين ، فاذا دام هذا المنع وطبق ... يزول كل خطر ولا يبقى هناك محذور نخافه ... » .

لم يكن للمناقشة الثانية نفس الوقع الذي كان للاولى ، وخاصة انه لم يشترك بها احد من النواب العثمانيين ، وقد يعود ذلك الى ان القضية كانت امرا تستغله المعارضة لمهاجمة الحكومة ، فلما استقال جاويد وغيره من المتطرفين لم تعد لها اهمية (٤٦) ، ولذلك اكتفى احد النواب (حافظ ابراهيم افندي) في هذه الجلسة

٤٣ ـ انتقل فارتكس من مناقشة المسألة الصهيونية الى بحث اوضاع الارمن في الاناضول .

٤٤ ـ لم تشر جريدة **اورور** الى خطاب العسلي الا بعبارة موجزة ، وتفاصيل الخطاب اوردته جريدة **المقتبس** في ١٩١١/٥/٣١ بعنوان « الاستعمار الصهيوني في مجلس الامة » ولخصت الخطاب مجلة **ذي نير ايست** في ١٩١١/٧/١٩ ص ٣١٧ ، من مراسلها في بيروت .

٤٥ ـ كان العسلي قد وزع على النواب بعض هذه الطوابع البريدية التي عليها رسوم زعماء صهيونيين .

٤٦ ـ رسالة لوثر الى غراي ١٩١١/٥/١٧ .F.O. 371/1245/19395/9103 F

بقوله « ... ان الامبراطورية التي تعتبر قادرة على اعداد جيش من مليون ونصف مليون محارب ، ومستعدة لمحاربة اربع دول في وقت واحد ، لا تعبأ بمائة الف يهودي ، وبالتالي فانها تعتبر كل مناقشة حول الصهيونية غير مجدية » .

٣ ـ التشديد في اسلوب الدعاية الصهيونية ونتائجه :

على كل حال ، فان اثارة الموضوع بهذا الشكل الصريح ، وعلى اعلى مستوى ، قد اثار قلق الدوائر الصهيونية الرسمية ، فحتى الآن كانت المعارضة العربية لا تقتضي منها سوى تجنيد عدد من الكتاب اليهود في الصحافة العربية ، اما ان تصور الصهيونية علنا بانها خطر على الدولة ، ويوجه بعض اعضاء المعارضة اتهامهم للحكومة بانها ضحت بمصالح الامبراطورية لمصلحة الصهيونية ، فان الامر يستدعي تحركا جديدا . لقد كان الصهيونيون ـ عن طريق العنصر اليهودي في جمعية الاتحاد والترقي ، منذ الايام الاولى لسيطرة الجمعية ـ يأملون في الحصول على تشجيع رسمي ، او على الاقل ، اعتراف بالصهيونية (٤٧) ولكن مناقشات المبعوثان ، وتعليقات الصحف كانت تعبيرا عن عدم الثقة الكافية بالصهيونية . وبدا ان « تركيه الفتاة » ـ رغم عمل البعثة الصهيونية في الاستانة ، وبيانات المؤتمر الصهيوني التاسع ـ لا يمكنها ان تغير من نظرة الشك الى الحركة الصهيونية ، وان الراي العام التركي لا يقبل تشجيع العمل الصهيوني لانه جزء من حركة سياسية ، يهدد سلامة الامبراطورية . واظهر ذلك كله ـ كما يقول تريتش (Trietsch) ، احد كبار الاقتصاديين الالمان الصهيونيين ـ « المدى الذي لا يزال من المحتم عمله في حملة التوضيح في تركيه» (٤٨) . وعقدت اللجنة الدولية للمنظمة الصهيونية مؤتمرا طارئا واتخذت قرارا (٤٩) جاء فيه: « ان اللجنة بعد ان تفحصت وضع الصهيونية في تركيه ، والتقارير التي تلقتها من هناك ، تعلن ان التهم الموجهة مؤخرا ضد الصهيونية مبنية على معرفة ناقصة لطبيعة الحركة الحقيقية ، ورأي خاطىء بأهدافها ووجودها ، واقتنعت اللجنة ان آمال الصهيونية هي في توافق تام مع مصالح الامبراطورية العثمانية ، وتعتبر ان من واجبها ان تستمر في جهودها في تركيه لشرح اهداف ومعنى الحركة الصهيونية بشكل صحيح » .

وكان لا بد من اتباع خط اكثر تشددا في الدعاية ، ينفي الاغراض السياسية للحركة ويؤكد على المصلحة المشتركة بين الطرفين ، واشارت الجويش ريفيو (٥٠) الى ان « على تركيه ان تتطلع الى اليهود وحدهم من اجل تطوير موارد فلسطين ، بل والامبراطورية العثمانية كلها ... » . ووجدت من الضروري افهام الاتراك « ... ان المبادهة والعمل اليهوديين هما الشرطان الضروريان للتطور الاقتصادي ... وان يهود الامبراطورية سوف يلعبون دورا هاما في العصر الجديد الذي سيفتح في الشرق

٤٧ ـ من تقرير القنصل في بيروت الى لوثر عن العناصر الدينية في سوريه في ١٩١١/١١/١٨ .
F.O. 424/229.

٤٨ ـ مقال عن الثورة في تركيه والنشاط اليهودي .Jewish Review, 9 May 1911, pp. 21 - 34

٤٩ ـ نقلا عن مراسل **التايمز** في كولون ، ١٩١١/٥/٩ .

٥٠ ـ مقال « الحكومة التركية والصهيونية » .Jewish Review, May 1911, pp. 3 - 5

الادنى » ، وشرح هذه الافكار مطولا مقال تريتش السابق في الجويش ريفيو (٥١) . فتناول قصة الترحيب التركي باليهود منذ ان فتحت تركيه ابوابها لمهاجري اسبانيه والبرتغال ، واستمرار هذا الترحيب حتى في عهد السلطان عبد الحميد ، وبرأيه فان وضع القيود على الهجرة كان بسبب العداء لروسيه ، وخوفا من تدخل الدول الكبرى ، ولتشابك عدد من المصالح الدينية والسياسية في فلسطين وليس عداء لليهود ، « ... ورغم المصاعب والعقبات خلال ٣٠ سنة الماضية ، فقد ثبت اليهود اقدامهم في فلسطين » . ويؤكد الكاتب على الولاء التقليدي لليهود نحو تركيه ، وانه ليس لهم اطماع سياسية بعكس جميع العناصر الاخرى داخل الامبراطورية ، التي لديها نزعات انفصالية بعد الثورة ، وخاصة تلك الثورات المتكررة في اليمن والفرات الادنى . ومع ان الكاتب لا يتبين في هذه الثورات عملا موحدا ، بل انه لا يؤمن بان « السكان العرب يشكلون كتلة متماثلة او شعبا قوميا موحدا » ، الا ان هناك بوادر لقيام ثورة عربية قد تهدد الترك . ولذلك « لا بد من اتخاذ احتياطات حذرة ضد اي تجمعات قد تهدد مستقبل تركيه » . ويشير تريتش هنا الى انه « لمصلحة تركيه ادخال عنصر موال بدلا من القوميات المستاءة ... » ويقصد به العنصر اليهودي الذي « كله خير لتركيه » .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى فلسطين (٥٢) التي يتطلع اليهود الى التوطن فيها ، رغم كل العقبات ، اذ تحيط بها ظروف معقدة ومصالح عديدة متنازعة ، ومع ذلك لها اهمية خاصة بالنسبة للامبراطورية العثمانية ، لوقوعها على احدى الطرق العظمى الرئيسية للتجارة العالمية ، كما انها اكثر اجزاء الامبراطورية انفتاحا على التطور الاوروبي لمجاورتها مصر « التي اصبحت موقعا اوروبيا متقدما في كل النواحي » . وان قرب فلسطين من مصر وقناة السويس ، بتجارتها الدولية المتزايدة ، يجعل فلسطين ـ كما يقول تريتش ـ « ... اعظم الممتلكات اهمية في الامبراطورية ... » ، ويتساءل الكاتب بعد ذلك عمن سيطور هذا البلد الصغير ؟ هو لا يتوقع ذلك من « الترك البعيدين ، ولا من السكان المحليين الذين لا يزالون في حالة بدائية جدا ، ولا من فرنسه وانجلتره لانهما تجمعان الى الفوائد الاقتصادية نفوذا سياسيا » . وهنا يركز على اهمية اليهود في تولي مهمة تطوير فلسطين الاقتصادي ، انه يريد ان يثبت لتركيه ان مصلحتها تقتضي ان يتولى اليهود ـ الذين وصلوا الآن الى المركز الثاني بين عناصر السكان ـ القيادة بين هذه العناصر ، فهم « العنصر الاوروبي الوحيد الذي يمكن للاتراك ان يستمدوا الفوائد الاقتصادية منه بدون احتمال قيام مساوىء سياسية » . ويلح هنا على ضرورة تشجيع الهجرة اليهودية ، اذ ـ برأيه ـ ان كل ما ظهر من معارضة للهجرة حتى الآن ، انما لان اليهود منافسون نشطون ، ولتخفيف هذه المعارضة ، الى جانب اسلوب هجرة السكان المحليين الى الخارج ، يجب الا توجه

٥١ ـ **Ibid, pp. 21 - 34.**

٥٢ ـ مفهوم فلسطين بنظر تريتش هي تلك المنطقة التي تقع غرب نهر الاردن والبحر الميت ، مع انها عمليا ـ كما يقول ـ تمتد الى الجانب الثاني من الاردن الذي يشكل جزءا من ولاية سوريه والذي لم يعد يعتبر حدودا صحراوية بعد انشاء الخط الحجازي .

الهجرة اليهودية الى المناطق الزراعية فقط ، نظرا لان غالبية السكان المحليين تعمل بالزراعة ، فينجم عن ذلك متاعب حول ملكية الارض ، بل الى المدن من اجل التطوير الصناعي ، لمصلحة تركيه من جهة ، ولفائدة السكان المحليين ، وهذه الهجرة الصناعية يمكن ان لا تنحصر في فلسطين ، بل تمتد الى اجزاء اخرى من تركيه التي هي بوجه خاص دولة زراعية تواجه تطورا اقتصاديا جديدا .

وشرح نورمان بنتويتش رئيس تحرير « الجويش ريفيو » الى مراسل الستاندارد (٥٣) المشروعات التي انجزها الصهيونيون في فلسطين ، من زراعية وتعليمية ثم اعلن عن ثقته بان « احرار الاتراك لن يقفوا في سبيلهم ، بل انهم على العكس يشجعون الاستيطان اليهودي » . لقد كان بنتويتش واثقا ـ كما كان تريتش قبله ـ « ان تركيه تقوي من كل قلبها مستعمرة يهودية كهذه في الشرق الادنى ، لكي تقاوم ميل الاعراب ... للانفصال عن المملكة ... » .

وساهمت « المقطم » في خطة التوضيح الصهيونية ، بفتح صفحاتها لعدد من الكتاب اليهود ، اثار قلقهم هذا التطور الجديد الذي دخلته المسألة ، وتساءل « نسيم بن سهل » (٥٤) عن الدوافع لتسرب الشك الى نفوس العثمانيين ، ووجد ان لا داعي لهذا الموقف « اذ لا خطر يحدق بسلامة الوطن من مهاجرة اليهود ، كتائب وجيوشا، حاملين معدات الجهاد من مال ودهاء وادوات زرع وحرث ، تلمع في الفضاء » ، وهو يلوم الجرائد المعادية للاسرائيليين التي لاقت صداها لدى (جمهور الامة) وليس (طبقاتها المتنورة) ، وابدى تخوفه من ان يستغل (العوام) القضية لاثارة حوادث دامية، واوقع اللوم على النواب اليهود في المبعوثان لعدم الرد. وتابع كتّاب آخرون (٥٥) تهدئة شكوك العثمانيين ، بنفي اي خطر سياسي من مجيء اليهود الى فلسطين او نشر ثقافتهم العبرية فيها ، واستبعاد قيام دولة يهودية لانه لا بد لتكوين الممالك السياسية من عصبيات وعناصر واسباب وقوى كثيرة لا تتوافر بنظرهم لليهود ، كما ان قيامها منوط بارادة الهية ، وان كل تلهف اليهود على الدولة العثمانية انما هو فقط للرابطة التاريخية وللتقليد القديم من العطف العثماني ، اما « ما عدا ذلك ، فالهجرة لمصلحة الدولة التي ينقصها المال والرجال، والايدي النشطة بانشاء الشركات وزراعة الاراضي وتأسيس المعامل، الى جانب فتح ابواب الارتزاق ووجوه العمل... » . واما قضية الجنسية العثمانية التي يعتبرها البعض العقبة الوحيدة امام السماح للمهاجرين باستيطان فلسطين ، فهم يعدون بالتخلي عنها متى تأكدوا من حالة البلاد واطمأنوا الى اوضاعهم .

وكان المؤتمر الصهيوني العاشر في بال (١٩١١/٨/٨) (٥٦) برئاسة (نوردو) ،

٥٣ ـ نقلت **الاهرام** في ١٩١١/٨/١٢ خلاصة الحديث .

٥٤ ـ **المقطم** ، ١٩١١/٥/٢٣ وعنوان المقال « الصهيونية ام وطنية » .

٥٥ ـ سلسلة مقالات في **المقطم** في ١٩١٠/٥/٢٧ و ١٩١١/٧/٢٨ .

٥٦ ـ اخبار المؤتمر الصهيوني وردت في **الجويش كرونيكل** ١٩١١/٨/١٨ ، كما ان **الاهرام** نقلت بالتفصيل في عدد ١٩١١/٨/٢٦ وقائع ما دار في المؤتمر في مقال لـ « نسيم بن سهل » تحت عنوان « القول المبين في مؤتمر الصهيونيين » وقد اشارت **المؤيد** في عدد ١٩١١/٨/١٩ الى افتتاح المؤتمر والى خطب ولفسون ونوردو دون تعليق .

مناسبة علنية للتصريح رسميا بكل هذه الآراء ، وبوجوب العمل النشط لدى الساسة الترك ولدى الرأي العام لتوضيح اهداف الحركة ، وعلق ولفسون (رئيس المنظمة الصهيونية) امله بتركيه لتحسين حالة اليهود المضطهدين ، وهاجم التيار المعادي للصهيونية في تركيه وارجعه الى الجهل باهداف الصهيونية . كما تعرض الى فائدة اليهود للدولة العثمانية ، وان لا مطمح سياسي لهم باستقلال او انفصال ، وان الفكرة الصهيونية هدفها ايجاد ملجأ وليس مملكة « في ارض كانت لآبائنا ... يمكن ان نعيش فيها كيهود بدون ان نذل او ان نعرّض للارهاب في سلطنة عثمانية منيعة الجانب » . وتناول خطاب نوردو (رئيس المؤتمر) المشكلة اليهودية ، ورأى ان الحل الوحيد لها هو الهجرة ، بعد ان اغلقت امامها كل البلاد ولم يبق الا اراض واحدة « ... انها لظاهرة غريبة ان كل طرق اليهود التائهين تؤدي الى تركيه ... والى فلسطين ـ التي هي ولاية عثمانية ـ من اجل الهجرة » . لقد حاول نوردو باختصار كما عبّرت عن ذلك صحيفة « جويش كرونيكل (٥٧) ان « يرد التهم التي توجه الى الصهيونية ، والتي غرست في اذهان الساسة الاتراك بان لها مطامع سياسية ثورية لفصل فلسطين عن الامبراطورية ... مما يحول دون فتح ابواب فلسطين للهجرة ... » . وقد اثنت الصحافة العثمانية الموالية للصهيونية على السياسة الصهيونية الرسمية ، وكتب جلال نوري في « جون ترك » (٥٨) « ... ما اعظم الفوائد التي نستفيدها من اولئك المهاجرين الاسرائيليين لو تأملنا . ما تلك الخرافات التي يختلقونها عنهم ، ومن يصدقها من العقلاء ؟ أليس من الجنون القول بان قوما يأتون الى احضان دولتنا من تلك الاميال يخرجون عليها ويكيدون لها ... » .

وجاء اعلان الحرب الايطالية الطرابلسية (٥٩) مناسبة جديدة كي تعلن الصهيونية ولاءها للدولة العثمانية ، ووجه احد الكتاب اليهود في الاهرام (٦٠) نداء الى اليهود لمساعدة الدولة العثمانية في الظروف الحاضرة ، لان ذلك امر مقدس وواجب ديني ، ويذكرهم بما فعلته سابقا من فتح ابوابها لليهود وحسن رعايتها لهم ، ونقلت جويش كرونيكل (٦١) تعاطف اليهود العالمي مع تركيه داخل الدوائر الصهيونية وخارجها ، والخدمات التي عرضوها للتطوع وارسال التبرعات ومظاهر الولاء المتعددة في فلسطين . وانتهز نسيم ملول الفرصة كي يدافع عن ولاء اليهود في فلسطين ويرد على من يتهمهم بنوايا سياسية ، فكتب من يافا على صفحات المقطم (٦٢) يبين موقف اليهود الموالي اثناء الحرب الطرابلسية ، ويسهب في اخبار حماس اليهود ، وعقدهم الاجتماعات ، واقامة الصلوات في جميع الكنس لنصرة الدولة العلية والدعاء « بحفظ

٥٧ – Jewish Chronicle, 18/8/1911.

٥٨ – نقلا عن **الاهرام** في ١٩١١/٩/٤ .

٥٩ – في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩١١ ارسلت ايطاليه اساطيلها وجيوشها الى طرابلس لاحتلالها بعد انذار ١٩١١/٩/٢٧ ، وكان قد مهد للاحتلال بعملية تغلغل اقتصادي .

٦٠ – **الاهرام** ، ١٩١١/١٠/١١ .

٦١ – Jewish Chronicle, 13, 16 and 27 October, 1911.

٦٢ – **المقطم** ، ١٠/٢٦ و ١٩١١/١١/١٤ .

الدولة من ايدي الاجانب الطامحين الى اقتسام بلادنا ولا سيما من العدو الايطالي ... » ويضيف « ... ظهرت الآن عواطف الاسرائيليين ولا سيما الاجانب الصهيونيين منهم للدولة العلية ... الا فليسكت الناقمون ويصرفوا قواهم الى الاتحاد الذي نحن بأشد الحاجة اليه الآن ... » .

وتصدى شكيب ارسلان في المقطم (٦٣) الى ما يدعيه اليهود والصهيونية من مواقف الولاء للدولة العثمانية في الحرب الايطالية ، وطالب ان تقدم الصهيونية افعالا لا اقوالا ، ومددا ماديا بدلا من المساعدات الادبية . وقد فتح هذا المقال حوارا جديدا على صفحات المقطم عمد فيه الكتاب الصهيونيون ، من جديد ، الى متابعة اعلامهم في الصحافة المصرية ، في حملة تركيز وتشديد على منافع الهجرة اليهودية على الدولة العثمانية ككل ، واهل البلاد بشكل خاص . وقد انطلقوا من النقاط التي اثارها « شكيب ارسلان » في مقاله حين تعرض لدحض المزاعم التي اعتادت الصهيونية ان ترددها حول الفوائد التي حملتها الى البلاد . ومع ان شكيب ارسلان ـ في مقدمة مقاله ـ قد تحفظ بقوله « انه ليس ضد اليهود ولا من مضطهدي الصهيونية ... بل هو لا يرى مانعا من استيطانهم البلاد على شرطين : دخولهم في التابعية العثمانية تماما ، ووضع نظام لقضية شرائهم الارض » . فان الكتاب الصهيونيين (٦٤) تولوا الدفاع عن الصهيونية وخاصة قضية شراء اليهود للاراضي « ... فالسلطنة العثمانية لا تزال في احتياج كبير الى الايدي العاملة والاموال الضرورية . وليس في الاموال اليهودية والايدي الاسرائيلية والذكاء الاسرائيلي اقل خطر عليها ... ثم ان الاسرائيليين لا يطلبون من الدولة العلية ان تهبهم الارض المعطلة البور مجانا وانما هم يشترونها بالمال ويصلحونها بالكد والتعب وانفاق المال عليها ، فلها من اجتهادهم نفع كبير من كل وجه » . اما عن المخاوف التي يبديها شكيب ارسلان وغيره من المستقبل ، فيرد احد الكتاب « ... ان اليوم الذي يذهب فيه الاهلون مضطرين الى جنبات الارض من ثقل ظل الطارئين اخوانهم ، او من سد مسالك الفضاء على الاكارين الاقدمين بتهافت المهاجرين الجدد على الصحراء القاحلة ... لهو اليوم البعيد جدا الذي لن تراه فلسطين . فالبلاد اوسع من ان تضيق ذرعا ومنفذا بهذا العنصر الممتاز بكل الصفات العصرية ... » .

وقد حاول نسيم ملول ان يدعو الى هذه الافكار بأسلوب دعاية مقنعة ، وذلك بنشر « مجموعة مقالات اجتماعية وسياسية ومالية وتاريخية » ، كما يسميها ، في جريدة النصير البيروتية (٦٥) ، يحاول فيها ان يقارن بين احوال مصر المتقدمة واحوال سوريه وفلسطين المتخلفة ، فيؤكد ان بلادنا غنية ولا تحتاج الا الى الاعمال الفنية فقط « ... ان التقدم والعمران لا يحصل الا بالاقتداء والاقتباس ... » وهو لا ينكر مهارة الوطنيين ، ولكنهم ـ برأيه ـ يجهلون التنسيق والتنظيم ، ولا بد من

٦٣ – **المقطم** ، ١٩١٢/١/١٥ .

٦٤ – **المقطم** ، ١/١٨ و ١٩١٢/٢/١٠ .

٦٥ – طبعت المقالات (عام ١٩١٢) في كتاب تحت عنوان « سوريه ومصر » .

وجود من يقتبسون عنه (٦٦) . ولذلك فان سبب زيادة الثروة في مصر هو « ترخيصها للاجانب الاوروبيين باستثمار الاراضي واستغلالها ... وتوليد الجد والاقتباس بين الوطنيين نتيجة الاحتكاك الذي يسبب تنازع البقاء وبقاء الافضل » . انه يوجه دعوة لفتح ابواب العمل في الزراعة والصناعة الى اي كان « ... دون النظر الى الجنسية والمذهب من الاوروبيين الذين سبقونا في ميدان العمل للاقتداء بهم والاخذ عنهم ...» ، ويستشهد بما حدث في مدينة يافا حيث حصل التطور نتيجة الاوروبيين النازحين (الصهيونيين) ، وهو يهاجم المعترضين على النشاط الصهيوني بانهم لا يعرفون قوانين العمران ، ويراهم اما « جهلة يقطعون خط الرجعة على التقدم ، او عارفين يبغون الشهرة والغرض الذاتي والضرر بأوطانهم » !.

وكان نورمان بنتويتش نظير ملول في الغرب في الدعوة لمثل هذه الافكار ، وكان قد زار فلسطين في اواخر ١٩١١ ، وبعد عودته عبّر عن تفاؤله بالمستقبل وان على اليهود ان يغتنموا الفرصة قبل فوات الاوان ، ليجعلوا فلسطين بلادا يهودية بالدرجة الاولى « ... الحاجة الى العمل الآن اشد من قبل بكثير ، لان عيون الامم مفتوحة على البلاد وشعوبا اخرى تسعى الى تحسين موارد رزقها » (٦٧) . وفي مقال طويل في مجلة ذي نير ايست (٦٨) كتب بنتويتش عن « الاستيطان اليهودي لمصلحة الامبراطورية العثمانية » مجملا فيه كل اساليب الدفاع والتبرير للعمل الصهيوني ، وبعد ان يعدد الخدمات التي اداها اليهود للترك في الماضي ، يبين اهمية اليهود الاقتصادية في العالم ، ليثبت ان الهجرة اليهودية الى تركيه انما هو لفائدتها « ...لان اليهود اكثر الشعوب ملاءمة لتطوير الموارد الكامنة ... والمساحات الواسعة المهملة ... »، ولو ان الحكومة التركية تمكن اليهود من الحصول على ارض بشروط معقولة وضمانات مقبولة للملكية... « ... فسوف يندفعون افواجا نحو البلد ... وتكسب تركيه بذلك ود اصحاب البنوك والمولين اليهود ، الذين كانوا منذ سنوات يتطلعون الى منفذ للهجرة اليهودية» . ويأخذ بنتويتش التقدم الاقتصادي في فلسطين مثالا لما يمكن ان ينجز للدولة العثمانية ككل ، بل انه يرى في تشجيع الاستيطان اليهودي حماية للدولة من استغلال المؤسسات الاوروبية التي تساندها الدول وما يتبعها من تدخل واحتلال ، وكي تحفظ تركيه بقية الامبراطورية من مصير يشبه مصير تونس ومصر وطرابلس ، لا تحتاج الى قوة عسكرية فقط ، بل ايضا الى تقدم اقتصادي داخلي . ويكرر بنتويتش نفس الحجج السابقة في نفي الغرض السياسي والتأكيد على الولاء اليهودي ، ويرى بان الشبهة بكون اليهود يضمرون اماني قومية هي التي دفعت الحكومة التركية مؤخرا الى ان تنظر بارتياب للهجرة اليهودية ، وان تضع عقبات في وجه حصولهم على الارض،

---

٦٦ – يحاول الكاتب بذلك الرد على جريدة الكرمل التي كانت تهاجم منح استثمار حمامات طبريه لغير المواطنين .

٦٧ – كان بنتويتش قد القى خطابا في لندن امام جمعية الاتحاد الصهيوني لخصته جريدة **جويش كرونيكل** في ١٩١١/١١/٢٤ ونقلته **الكرمل** و**المقتبس** بتاريخ ١٩١٢/١/٢٣ ، وقد علقت الكرمل «... وأسفاه، هم يتزاحمون على بلادنا ونحن نيام ، والمستيقظ من يخدمهم ... » .

٦٨ – **The Near East**, Feb. 16, 1912, pp. 466 and Feb. 23, 1912, p. 511.

مع ان الزعماء الصهيونيين قد اعلنوا منذ بداية العهد الدستوري تخليهم عن الحصول على ميثاق او على استقلال ذاتي سياسي ، وكل ما يطلبونه هو ازالة القيود ضد الاستيطان ، وشروط مساوية للمستوطنين اليهود مع سائر الرعايا العثمانيين . وينتهي مقال بنتويتش بقوله : « ... ان الاتراك يمكنهم ان يضمنوا في الهجرة اليهودية وحدها القوة الانتاجية التي يحتاجونها ، بينما يمكن لليهود ان يجدوا في تركيه هذا البلد المفتوح والحر الذي يظهرون فيه مواهبهم ويحفظون ديانتهم وثقافتهم القومية ... ابناء اسحق ويعقوب يجب ان يتحدوا من اجل خيرهم المشترك ... » (٦٩) .

هذه هي الخطوط العامة للدعاية الصهيونية التي اتبعت لكسب السلطات التركية الحاكمة ، بعد الاستقبال المعادي للفكرة الصهيونية ... فالى اي حد كان هذا الموقف الصهيوني صادقا ؟ صحيح ، كما يقول لوثر في رسالة من الاستانة الى غراي في ١٩١١/١١/١٨ (٧٠) « ان صانعي الفكرة الصهيونية حاولوا انكار كل نية لهم بالصهيونية السياسية ... حتى انه لم يعد يسمع عنها كثيرا هنا ... » الا ان هناك ادلة تشير الى انه لم يحدث تغير جوهري في المفهوم الصهيوني السياسي . وكان زانغويل اكثر صراحة من الصهيونية الرسمية ، ففي نصيحته الى اليهود العثمانيين في سالونيك ، على صفحات الجويش ريفيو (٧١) يلوم الصهيونية لانها انحرفت عن برنامجها السياسي وادعت مثلا اعلى ثقافيا كي لا تثير مخاوف الترك ، كما يلوم اليهود العثمانيين لانهم يدعون الى الوطنية العثمانية ، ويحذرهم من دعوى المساواة العثمانية ويدعوهم الى الحفاظ على العنصر اليهودي المتميز .

ومما يبعث على الاستغراب انه ، في حين سعى الصهيونيون الى نفي الفكرة السياسية ، نشر كوهن في لندن كتابا بالانجليزية (٧٢) وهو عبارة عن مزيج غريب من المقالات مترجم عن الالمانية عن عدد خاص من مجلة دي فيلت (Die Welt) (الصحيفة المركزية الرئيسية للمنظمة الصهيونية) كتبها صهيونيون متخصصون ، كل يعالج موضوعه من زاويته الخاصة . ومع حرص الناشر على وصف الحركة الصهيونية بانها « حركة مثالية سلمية ، غايتها العمل على بعث حياة الشعب القومية والثقافية في بلد الاجداد ، وان كل ما قيل حول خطط الصهيونية لاقامة دولة مستقلة في فلسطين وتوطين كل يهود العالم هناك انما هو اساطير خيالية » . فان لوثر في رسالته الى غراي (١٩١١/١١/١٨) (٧٣) يعتقد ان هذا الكتاب « لو كان يمثل تمثيلا صحيحا اهداف الحركة ، فمن الواضح ان الهدف الاصلي لهرتزل في ايجاد دولة يهودية لا يزال محفوظا في الذهن ، رغم انه من المعترف به ان الظروف الحالية في تركيه غير مؤاتية للمجاهرة العلنية بها ... » . وقد وصل الى مثل هذا الاستنتاج مراسل لمجلة ذي نير ايست

---

٦٩ – هذه الفكرة سيرددها بنتويتش اثناء الحرب في محاولة للتأثير على الحكومة البريطانية لكسب عطفها.

٧٠ – F.O. 424/229

٧١ – **Jewish Review**, Vol. I., No. 5, June 1911, pp. 39 ff.

٧٢ – Cohen, Israel, (ed.), **Zionist Work in Palestine**, New York, 1912.

٧٣ – تعليق لوثر على تقرير قنصل بيروت حول العناصر الدينية في سوريه . F.O. 424/229

في فلسطين (٧٤) فقال : « ... ان انشاء دولة يهودية مستقلة ذاتيا كما اعلن عنه زعماء الحركة الصهيونية الاوائل ، كان ذلك هو الذي دفع كثيرا من اليهود الاوروبيين لتبني الحركة بحماس ، ولا تزال فكرة الدولة المستقلة بلا ريب في خلفية اذهان غالبية الصهيونيين اليوم ، مع انها تتوارى مؤقتا الى الوراء الى حين تزال قيود الهجرة وشراء الاراضي المفروضة على اليهود ... » . والمراسل يؤكد ـ جازما ـ « ان آخر شيء يرغب فيه اليهودي الاجنبي حين يسكن في فلسطين هو ان يصبح من الرعايا العثمانيين ... » . وبعكس (بنتويتش) ، وجد ان العدد الاكبر من اليهود الغربيين يرحبون باي حكومة مسيحية ، وفقدان حمايتهم الاجنبية غالبا هو التضحية الكبرى التي يعملونها للصهيونية . ورغم محاولة الصهيونيين تصوير قدومهم الى الشرق على انه منفعة للامبراطورية العثمانية ، فقد استدل بان الرأي الآخر الذي تدعمه كتابات صهيونية كثيرة هو القائل بالمطامع القومية في فلسطين ، حيث « يجهلون معهم ثقافتهم ولغتهم من اجل ان يستأصلوا ـ او على الاقل يكتسحوا ـ في النفوذ ، ان لم يكن في العدد ، السكان الحاليين ، وان يقيموا دولة مستقلة ذاتيا ... » .

واما بالنسبة للموقف العثماني ، فلا يبدو ان هذا الخط الجديد في الدعاية الصهيونية قد ازال الشكوك التي بدات تتبدى في اوساط الحكومة والرأي العام العثمانيين . وكانت جريدة جويش كرونيكل (٧٥) قد اجرت مقابلة صحفية مع رضا توفيق (٧٦) لمعرفة موقف تركيه من الصهيونية ومشاريع الاستيطان على ابواب المؤتمر الصهيوني العاشر . وقد صرح بان ما تخشاه تركيه هو التدخل الاجنبي : « الانجليز يتهمون الصهيونيين بانهم طلائع الاستيطان الالماني ، والالمان يشيرون اليهم بانهم حملة الراية البريطانية الى فلسطين ... » وبنظره فان الصهيونية تمثل مفتاح ذلك ، انه يرفض الشعار الصهيوني « سنعطيكم المال والادمغة » ، لان التركي يحس ان وراءه تدخل اوروبي .

واشار القنصل البريطاني في بيروت كمبربتش في تقرير له في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١١ (٧٧) الى ان هناك معارضة عنيفة للصهيونية من جانب الحكومة العثمانية ، بينما كانت المراجع الصهيونية تأمل من الدولة العثمانية ان تفتح ابوابها امام المهاجرين اليهود وتزيل القيود التي كانت لا تزال سارية المفعول (مع انها غير مطبقة فعلا) . وتواردت اخبار عن عودة الى التشديد ، وقد نشرت جريدة المفيد البيروتية نقلا عن جريدة صباح التركية بان شورى الدولة باشر البحث في القانون الذي سن لمنع اليهود الاجانب الموسويين الذين يهجرون اوطانهم من السكنى في اراضي سوريه وبيروت وفلسطين . (والمفيد) تأمل ان يوافق مجلس الدولة على هذا القانون سريعا « ... فان البلاد يكاد ينهار عليها التيار اليهودي الاجنبي » . وكان لورد

---

٧٤ ـ The Near East, May 17, 1912, p. 47.

٧٥ ـ Jewish Chronicle, August 4, 1911.

٧٦ ـ رضا توفيق ، الفيلسوف التركي ، كان نائب ادرنة ، ومندوب تركيه في المؤتمر العالمي للاجناس في لندن (اواخر ١٩١١) وكان يعتبر صديقا لليهود بصفته اسرائيلي الثقافة (الاليانس) .

٧٧ ـ رفع لوثر التقرير الى غراي في ١٩١١/١١/١٨ . F.O. 424/229

سوائلينج (Swathling) (احد كبار الصهيونيين البريطانيين) قد رفع باسم يهود بريطانيه الى لورد غراي في ١٩١٢/١/١٧ (٧٨) الاخبار التي ترددت في بعض الصحف عن تشريع مقترح من قبل الحكومة التركية لمنع الهجرة الى فلسطين والبلاد المجاورة ، ومع ان التفاصيل لا تزال غير معروفة ، الا انه واثق ان القانون قد اعدت مسودته ، ولو نفذ ـ كما يقول ـ « فسيعيد تعزيز القيود (الموجودة على الورق فقط) بالاضافة الى توسيع مدى هذه القيود ... » . وهو يطلب في رسالته ان يعمد الممثلون البريطانيون في الاستانة الى الاستفسار من الحكومة التركية عما اذا كان هذا القانون قد اقترح ، لانه يبدو انه يتعدى على امتيازات الدول الاوروبية ، « ... فالشعب الذي يقترح اغلاق فلسطين والبلاد المجاورة امامه هو من رعايا دولة اجنبية » . ورفع غراي الرسالة الى لوثر الذي قام باستفسارات شخصية لدى الباب العالي . وقد تأكد انه لا توجد اي اشارة من الحكومة العثمانية لاعداد قانون لمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ولكن لو ان هذا الاجراء قد فكر به حقيقة ، فانه لن يصبح قانونا دون ان يلفت قدرا كبيرا من الاهتمام ، وتوجد فرصة مناسبة للاحتجاج خلال المراحل الاولية ، وربما ، لهذا الغرض ، قام جاكوبسون بزيارة السفارة البريطانية في الاستانة (٧٩) .

٤ ـ الاوضاع في فلسطين وازدياد المعارضة :

والواقع ان قضية القوانين العثمانية المفروضة على الهجرة والتملك كانت مطاطة ، ومسألة لم تجرؤ الحكومة ، منذ اسقاط الحكم السابق الذي وضعها ، على اتخاذ موقف حازم منها ، وتنفيذها لم يكن يتبع بالضرورة تعليمات الحكومة المركزية ، بل موقف السلطات المحلية ومدى تساهلها او تشددها ، كما يتبع قوة المعارضة واستجابة المسؤولين للضغط من احد الاطراف ، واحيانا كانت تتبع مزاج الحكام . وكان امر هذه القيود على الهجرة والتملك والتقدم المستمر للعمل الصهيوني هو الذي له علاقة مباشرة بالموقف العربي في المنطقة تجاه الخطر الصهيوني ، اكثر من تأكيدات الدعاية الصهيونية .

وفي ٢٠ نيسان (ابريل) يرسل كمبربتش من بيروت تقريرا الى لوثر يشرح فيه (٨٠) : « ان تدفق اليهود الى مناطق حيفا ونابلس مستمر بشكل ثابت رغم المصاعب التي خلقتها الحكومة في الحصول على الارض » ، وهو يرى لو ان الحكومة قد غيرت سياستها المتشددة بأخرى مشجعة ، « فان المستعمرات اليهودية التي تساعدها الاموال الضرورية سوف تحل محل السكان المهاجرين » . ويلفت تقرير ديفي (Devey) من دمشق في ١٩١١/٨/١٢ (٨١) نظر لوثر الى مشروع نجيب الاصفر الذي كان وكيلا

---

٧٨ ـ F.O. 371/1490/3613.

٧٩ ـ رسالة لوثر الى غراي ١٩١٢/٣/١٢ F.O. 195/2416

٨٠ ـ F.O. 195/2370.

٨١ ـ F.O. 424/228.

لجمعية فلسطين اليهودية (٨٢) كشراء الاراضي المدورة بالجملة في ولاية دمشق وفلسطين ، ويذكره بان هذا المشروع قد لاقى قبل اشهر حملة عنيفة من الصحافة المحلية ، وتجلى صداه في اعمال عنف ضد المستعمرات اليهودية في منطقة طبريه ، فتوارى المشروع . ولا يعرف مدى صحة ما اورده (ديفي) من ان « الجمعية الصهيونية قد عادت لاحياء المشروع بعد ان اقترحت دعم فكرتها بالحصول على سكوت ، او تأييد الصحافة المحلية ، وذلك بان تعرض على رؤساء تحرير الصحف في دمشق اسهما في المشروع الذي سيقام » (٨٣) . ولكن ما عرفه ان النائب شكري العسلي قد تنبه الى هذه الخطة ، ويتوقع (ديفي) ان العسلي سيثير الموضوع كي يحبطه . وبالفعل ، كانت قد بثت دعاية نشطة لانجاح مشروع الاصفر في صيف ١٩١١ بعد ان عرضه صاحبه في قالب جديد ، وادخل التعديلات التي كانت مطلوبة في السابق بتقسيم الاراضي الى اقسام وانشاء شركات فرعية والتعهد بألا يكون تمويل المشروع صهيونيا . ولاقى المشروع بقالبه الجديد بعض التأييد حتى من الصحف التي كانت تهاجمه سابقا ، بعد ان وثقت بالضمانات التي قدمها الاصفر ، وكان يهمها الا تبقى الارض مواتا ، ولكن العسلي ظل على موقفه من الرفض رغم محاولة جريدة المفيد ازالة شكوكه (٨٤) . وحدث ما توقعه ديفي فأحبط المشروع ونام من جديد .

ولكن احياء هذا المشروع قد اثار الحديث حول الصهيونية ، ولاحظ ديفي في تقريره (١٩١١/١٠/١٤) « ان الحركة الصهيونية لا تزال تجذب اهتماما كبيرا ونقاشا في دمشق منذ عدة اسابيع ... » ، وكان ما يلفت نظره هو « ان فكرة تزايد المستعمرات اليهودية في الارض المقدسة هي على الاطلاق غير مرغوب فيها » . وهذا ما اكده تقرير كمبربتش في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١١ (٨٥) ، الذي كان يلاحظ الاستمرار البطيء في عملية شراء الاراضي واشادة المستعمرات التي يقوم بها العنصر اليهودي الحديث ، يدعمه مشروع روتشيلد الاستيطاني والحركة الصهيونية ، والتي يهدف من ورائها الى الاستيلاء على الاراضي الواقعة داخل حدود فلسطين ، وكان هذا التدفق المستمر لليهود الاجانب - كما يقول كمبربتش - يلاقي معارضة عنيفة من جانب الفلاحين ، اذ يرونه « تهديدا لحقوقهم الخاصة وامتيازاتهم ... » . وكانت اكثر الحوادث عنفا - بنظر جريدة جويش كرونيكل - (٨٦) الهجوم على مستعمرة

٨٢ - Jewish Palestine Society

٨٣ - يشير ديفي الى شخص اسمه الدكتور حيدر من بعلبك حضر الى دمشق ليقدم مثل هذه الاقتراحات وان شخصا آخر اسمه (حقي بيه) مراسل صحيفة (يقال انه عربي) له نفوذ على صحافة الاستانة يرحب بالاقتراح .

٨٤ - تشرح **المفيد** (في ١٧ و ٨/١٩ ، و ١٢ و ١٩١١/٩/١٤) شروط المشروع الجديد والضمانات التي تعهد بها الاصفر . وكان قد عقد اجتماع بين اصحاب صحف « الرأي العام والمفيد والاتحاد وابابيل والحقيقة والاقبال » اشترطوا « الغاء المادة القانونية المتعلقة بنظام التملك العثماني التي تصرح بتملك الاجنبي رعاية للامتيازات الاجنبية وجعلوا قبول المشروع منوطا بالسعي لادخال مادة على قانون الاستملاك تخص العثماني دون غيره بشراء الاراضي المدورة وغير المدورة وتحظر على العثمانيين الذين يشترونها تفريغها للاجنبي » .

٨٥ - رفع لوثر التقرير الى غراي في ١٩١١/١١/١٨ . F.O. 424/229

٨٦ - **Jewish Chronicle**, June 16, 1911.

مرحافيا (المعروفة باسم الفولة) التي تم شراؤها منذ اشهر وبدأ فيها تطبيق تجارب مشروع اوبنهايمر التعاوني ، واشارت الجريدة كذلك الى حالة الهياج التي تسود العرب في حيفا وتعزو الى محرر « الكرمل » تهمة اثارة الجماهير ، وان تدخل الشرطة هو الذي منع تفجير العنف (٨٧) . وتعطي مجلة ذي نير ايست (٨٨) مثلا عن المعارضة القوية التي توضع في وجه تقدم العمل الصهيوني في فلسطين ، تلك الصعوبات التي يضعها الاهالي في حيفا لعملية بناء جامعة فنية كبرى على سفح جبل الكرمل (٨٩) . وتشير المجلة الى ان بعض السكان المحليين يذهبون بين حين وآخر للعمل لغرض مقصود هو اثارة القلاقل ، مما عطل العمل مرارا ، واضطر الوالي الى زيارة المدينة ووعد بان يبذل جهده لتحسين الامور .

وقد سعت المعارضة في فلسطين ان تتخذ شكلا اكثر تنظيما : ففي رسالة طويلة بعث بها سليمان تاجي الفاروقي الى جريدة المفيد في ١٩١١/٨/١٩ يشرح الخطر الصهيوني الذي يهدد وجود الشعب الفلسطيني نفسه وليس الدولة ككل ، وخاصة ان المهاجرين مسلحون بالعلم والمال بحيث اصبح الوطنيون على وشك الاندحار بعد ازدياد موجة الهجرة ، وهو يأسف لقلة اكتراث الحكومة واهمالها ، وتعاون اناس ارتشوا بأموال الصهيونيين . ونتيجة لهذه الاخطار يذكر الفاروقي ان نخبة من الشبيبة قد شكلت حزبا وطنيا لمناهضة الحركة الصهيونية « بسطوة القانون واشعار الامة الغافلة حرج الموقف وتذكير الحكومة ما يجب عليها ... » . اما عن خطة هذا الحزب فتنحصر في « حث الامة على مطالبة الحكومة جملة مطاليب : سد باب الهجرة ، تطبيق قانون (الجواز الاحمر) ، منع بيع الاراضي ، تحرير نفوس الاسرائيليين تحريرا مدققا واعطاء العثمانيين منهم تذاكر واضحة يتحرى فيها حقيقة اسمائهم ، واقامة مختارين صادقين على المستعمرات يقدمون دفاتر منظمة باسماء المواليد والوفيات والمتغيبين ، اشراف الحكومة على مدارسهم وتطبيق نظامها عليهم ، عدم جواز عقدهم مجتمعات خصوصية الا بعد اعلام الحكومة وتوفيق حركتها على محور قانون الاجتماعات ،

٨٧ - **Ibid**, July 14, 1911.

وتذكر الجريدة ان الهياج قد اثير بعد اجتماع شعبي تحدث فيه نجيب نصار حول المسألة الكريتية ، وقام شاب يهودي يطلب انزال نصار من على منصة الخطابة لانه يبذر الشقاق بين الشعب ، مما الهب جو الاجتماع ، وانطلقت صرخات بالقاء القبض على اليهودي واتهامه بانه مندوب من قبل الصهيونيين لاحداث الشغب ، وقد تدخل البوليس لاعتقال اليهودي وافرج عنه بتوسط القنصل البريطاني ، لانه من التبعية البريطانية ، وكانت رسالة لوثر الى غراي في ١٩١١/١٠/١٨ قد اشارت الى هذا الحادث . F.O. 424/229

٨٨ - **The Near East**, March 15, 1912 and May 24, 1912.

٨٩ - كان الصهيونيون قد حصلوا على الاذن من الاستانة (١٩١١) ببدء العمل ببناء الكلية الفنية (تكنيكوم بالالمانية وتخنيون بالعبرية) على قطعة صغيرة من الارض (١٢ هكتارا) في السفح الجنوبي من جبل الكرمل وذلك بالتعاون بين المنظمة الصهيونية ومؤسسة Deutsche Hilfsverein الالمانية وانتهى البناء في ربيع ١٩١٣ الا انه لم يجر افتتاح الكلية بسبب الخلاف على لغة التعليم داخل مجلس الادارة بين انصار اللغة العبرية وانصار اللغة الالمانية .

Ben Gurion, **The Jews in Their Land**, pp. 291 - 292.

تحرير رقيم الاملاك واراضي المستعمرات تحريرا صحيحا واستيفاء الاموال الاميرية الضائعة من ويركو واعشار وصيانة حقوق الخزينة من الضياع ... » . اما عن نشاطات هذا الحزب فانه قد رأى « ان ينشأ له جريدة تكون لسان حاله ، الا انه ارجأ هذا العمل واعتاض عنه باحياء ليلة خطابية في كل اسبوع يقوم خطباؤه بتنبيه الامة وتذكيرها ... وانذارهم بسوء المغبة ان داموا على ما هم عليه من الجهل ، وضعفهم تجاه ذلك العنصر القوي ومباراته في سبيل الحياة وباحات العمل، ثم الالتجاء الى الحكومة بالطرق المشروعة في تحقيق تلك الرغبات السابقة » . ويذكر الكاتب ما واجه نشاط الحزب من مصاعب اذ « دس له الواشون عند المتصرف الجديد بان غاية الحزب التفريق بين العناصر وسلاح التعصب واثارة المشاغب والقاء بذور الشقاق بين الطوائف لتنفير الناس عن الحزب ... » .

٥ ـ موقف الصحافة العربية بعد تزايد النشاط الائتلافي :

موقف الصحافة العربية من المسألة الصهيونية في تلك الفترة ـ اي بعد ان اثيرت المسألة في اوساط المبعوثان ـ كان متفاوتا : في مصر ، سكتت صحيفة الاهرام عن تناول الموضوع ، وشغلتها الخلافات الحزبية داخل الحكومة العثمانية والاحداث الخارجية ، بينما فتحت المقطم بين حين وآخر صفحاتها للكتاب الصهيونيين للرد على الصحف المهاجمة والاشارة الى اخبار النشاط الصهيوني في مصر الذي كان يتقدم بخطوات سريعة . وحاول صاحب (المنار) بعد عودته من الاستانة ان يكشف بعض الجوانب التي لمسها من نفوذ اليهود في اوساط الاتحاديين ، وما يتبع ذلك من اطماع صهيونية في فلسطين . بنفس الوقت ظلت المسألة الصهيونية شاغل الصحافة العربية في فلسطين وما جاورها . وغالبا ما كانت صحف دمشق وبيروت تنقل عن صحف فلسطين اخبار النشاط الصهيوني فيها او تنشر رسائل تأتيها من فلسطين مباشرة . ولكن يلاحظ ، مع ازدياد نشاط حزب المعارضة (الحرية والائتلاف) ، ومع ازدياد النفور من الاتحاديين، الحزب الحاكم (٩٠) ، ان صحف دمشق اتخذت ـ حيث كان يتركز نشاط ائتلافي كبير ـ خطا صريحا في الربط بين هجومها على الاتحاديين وحملتها ضد الصهيونية . وبمناسبة زيارة وفد اتحادي لسوريه وفلسطين برئاسة جعفر باشا ، قريب شريف مكة ، في رحلة انتخابية لصالح الجمعية للدعاية لمرشحيها (٩١) ، اتهم حقي العظم في جريدة المقتبس (٩٢) علانية رجال الاتحاديين بانهم «احباب الصهيونية»، وطالب الشريف جعفر « ان لا يكون آلة بايدي فراعنة سلانيك » بل اتهمه بانه «اصبح سلاحا ماضيا يوجهه معضدو الصهيونية » . وكانت جريدة دمشقية اخرى هي

---

٩٠ ـ انظر Lewis, B., p. 216 حول الاتجاهات السياسية في تركيه الفتاة وكان الحزب الاول ينادي بقدر من اللامركزية وبعض حقوق الاستقلال الذاتي للاقليات الدينية والقومية (ويضم بين اعضائه عددا من العرب) بينما كان يبدي الحزب الثاني ميولا نحو السلطة المركزية والسيادة التركية .

٩١ ـ بعد ازدياد حدة المعارضة للاتحاديين في المبعوثان اثر هزيمة طرابلس لجأ الاتحاديون الى حل المبعوثان للتخلص من المعارضة والسعي لاجراء انتخابات سريعة قبل ان يجمع الائتلافيون صفوفهم.

٩٢ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٢/٢٩ .

(المجد) (٩٣) عنيفة في اتهاماتها الموجهة الى الاتحاديين وموالاتهم للصهيونية فسهلوا لها شراء الاراضي في فلسطين ، وهم يسعون لبيعها اراض في العراق ، وان « الصهيونيين ساعون في خراب الدولة ... حتى يحققوا امنيتهم في صهيون » .

هذا الاتجاه لم يكن ملاحظا في الصحف الفلسطينية ، اذ حرصت في تصديها للخطر الصهيوني ان لا توجه هجوما مباشرا للاتحاديين ، وان كانت توجه لومها الى السلطات المحلية لتهاونها وتسهيل سبل العمل الصهيوني . فجريدة فلسطين مثلا ، التي صدر عددها الاول في ١٩١١/١/١٤ (٩٤) ، ولم تكن قد اتخذت بعد خطا عنيفا في مواجهة الصهيونية (٩٥) ، وجهت نقدها الى شكري العسلي الذي نشر في المقتبس خبر مجيء بعثة من سلانيك الى فلسطين ، متهما البنك الصهيوني (انجلو ليفانتين)، ومديره جاكوبسون بانه يمد هذه البعثة ببعض النفقات . وكان تعليق (فلسطين) (٩٦) « ... ما احلى كتابة العسلي ، لو كان يفصل فيها الاتحادية عن الصهيونية ، فانك بينما تراه مخلصا في كلامه عن موضوع يعتقد فيه الضرر لوطنه ، اعني به موضوع الصهيونيين ، يغلب عليه حقده الشخصي ويتصور نفسه على مبنى المبعوثان فيتحكك بالاتحاديين ... » . وحرصت الكرمل في كل حملتها على عدم التعرض للاتحاديين ، وان لم يمنع ذلك انتقادها للسلطات المحلية ، وكان ذلك بدافع حرصها على كسب جانب الحكومة المركزية في صراعها مع الصهيونية اكثر من كسب عدائها ، ولا يمكن تعليل موقفها هذا بمعارضتها الاتجاه الائتلافي . وهذا الحرص لم يمنع نصار من ان يوجه على صفحات المقتبس (٩٧) نداء الى اهالي دمشق يحثهم على انتخاب شكري العسلي (من كبار الائتلافيين) ويعرفهم فيه بدور العسلي في الوقوف امام الصهيونية في الناصرة ومجلس المبعوثان (٩٨) ، مما اكسبه مقت زعماء الاتحاديين الذين سيستعملون نفوذ الجمعية لمقاومته في الانتخابات .

---

٩٣ ـ صحيفة **المجد** لصاحبها علي الشهابي ، ١٩١٢/٣/٢٤ .

٩٤ ـ صاحب الجريدة ومديرها المسؤول عيسى داود العيسى ، ورئيس تحريرها يوسف العيسى ، واعلنت الجريدة في افتتاحيتها ترحيبها بالدستور لان الجرائد احسن حسناته و «انها جريدة دستورية حرة ، غايتها الاصلاح، ستكون في طليعة كل نهضة قومية صالحة تنتقد لا للتشهير بل بلهجة معتدلة». (من مجموعة فيليب دي طرازي الصحفية في دار الكتب الوطنية في بيروت) .

٩٥ ـ ظلت جريدة فلسطين حتى صيف ١٩١٢ في مباحثها في الصهيونية شبه معتدلة حتى ان التقارير الصهيونية لم تحكم عليها بعد « هل هي معنا او ضدنا » .
Mandel, N., (Unpublished Thesis), p. 294.

٩٦ ـ **فلسطين** ، ١٩١١/٨/١٩ .

٩٧ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٣/١٨ .

٩٨ ـ عن قصة الفولة يقول نصار « عرفت شكري العسلي قائمقاما في الناصرة ، وزرته فيها بعدما ايقنت ان نور الدين والي بيروت كان عازما على اجراء الفراغ للصهيونيين وسألت شكري عن موقفه تجاه تلك الحركة المضرة فقال ما خلاصته انا شاب ونفسي تطلب العلى ولكن ثق باني افضل العزل وخسران مستقبلي على التصديق على بيع وطني من اعداء امتي ودولتي . كاد شكري يخسر وظيفته من اجل مقاومته في بيع الفولة ووصل امر عزله الى متصرفية عكا بعد ما كان بلغها خبر انتخابه نائبا عن دمشق » .

٦ ـ الانتخابات وفوز الاتحاديين واثر ذلك على الموقف العربي والعثماني تجاه الصهيونية:

وكانت فلسطين ـ كسائر البلاد العثمانية ـ قد واجهت نشاطا كبيرا بسبب الحملة الانتخابية للمبعوثان . وناقشت الموضوع الصحف اليهودية واجمعت كلها على التصريح بان اليهود يجب ان يلتفوا حول حزب الاتحاديين « الذي انقذ البلاد من الاستبداد » ، برأي جويش كرونيكل (٩٩) ، لان التعاون مع المعارضة المعروفة باسم « الحرية والائتلاف » هو « القاؤنا بأيدي اشخاص يعرف عنهم بانهم اعداء العنصر اليهودي » . وعلمت المقتبس من الصحف الفلسطينية المحلية بعض المساعي التي يبذلها الصهيونيون للوصول الى المبعوثان اذ « ان الجمعية الصهيونية ستبذل الجهد وتنفق الوفا من الليرات في سبيل ترشيح المسيو (لوي) مدير (بنك انجلو فلسطين) ولو كان صاحبنا عثمانيا لهان علينا ما نلاقي ، ولكن من بنك انجلو فلسطين الى كرسي المبعوثان مما لو صح وقوعه لا شك في انه يدل على موت الشعور الوطني في بيت المقدس » (١٠٠) . ولكن ما كان يقلل احتمال وصول احد اليهود الصهيونيين الى المبعوثان هو كون معظم اليهود من التبعية الاجنبية فليس لهم وزن في الانتخابات (١٠١) .

من جهة اخرى ، كانت الحملة الانتخابية في فلسطين وفي متصرفية القدس بالذات مناسبة لاظهار المعارضة العربية للصهيونية ، ولكنها لم تتلون باي طابع حزبي ـ بعكس ما كان يجري خارج فلسطين ـ فقد وجهت الدعوة لانتخاب مرشحين يقفون بوجه خطر المهاجرة اليهودية ورفع المظالم التي يعانيها المزارع العربي والاخذ بيده بصرف النظر عن كونهم اتحاديين او غير اتحاديين . وذكر احد المواطنين من يافا من يرشحون انفسهم للانتخابات بعدة امور شرحها في رسالة بعثها الى المقتبس (١٠٢) فقال: « ان التفاوت بين سكان البلاد والمهاجرين عظيم ، ... وخاصة الظروف المحيطة بالاخيرين تمكنهم ـ بل تساعدهم ـ على تذليل المصاعب التي تحول في طريق نجاحهم ومنها المصارف والمدربين والاساتذة والادارة الذاتية والمحاكم الخاصة والاعفاء من الجندية ، في وقت لا تتوفر للمزارع العربي حيث يسود الجهل وقلة الموارد مما يجبره على الرهن والوقوع تحت عبء الفوائد وسلطة المتمولين ومظالم الاعشار » . ويستنتج الكاتب من هذا اسباب تقدم المزارعين الاجانب وتأخر المزارع العربي حتى اذا ضاق ذرعا باع املاكه بأبخس الاثمان . وهو يذكر المنتخبين كي ينتخبوا رجالا يبحثون في هذا الامر الحيوي بسن قانون لهذه المهاجرة الصهيونية قبل ان يتسع الخرق ، اذ « ... ان حياتنا تتوقف على حالة مزارعنا ، فهي النبع العظيم لثروتنا ... » . وذكر احد المرشحين في متصرفية القدس في اول لائحته الانتخابية « ... ان وطنك فلسطين هي جزء من بلاد كبيرة تدعى المملكة العثمانية ، فحفظ كيان هذه المملكة والمحافظة على املاكها سيكون اول امر اهتم به ... » ومن اول

٩٩ ـ Jewish Chronicle, February 9, 1912.

١٠٠ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٣/٩ .

١٠١ ـ مقال السبرج بالعبرية حول فشل مساعي الصهيونية لترشيح (ليفي) .

١٠٢ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٤/٣ الرسالة من فؤاد عبد اللطيف الباقي من يافا تحت عنوان « تذكرة لمن يرشحون للانتخابات » .

الاصلاحات التي يعد بالعمل لها هو افراز الاراضي المشاعة ، لانه بذلك يصعب استيلاء المستعمرين عليها (١٠٣) .

وقد اسفرت نتائج الانتخابات في ولاية دمشق وبيروت ومتصرفية القدس عن فوز مرشحي حزب الاتحاد والترقي ، وانتخب عن القدس روحي الخالدي (١٠٤) وعثمان النشاشيبي واحمد عارف الحسيني ، وفي ولاية بيروت فاز عن لواء عكا اسعد شقير وعن لواء نابلس احمد خماش . وكان قد رافق نجاح الاتحاديين في الانتخابات ملاحقة صحف الائتلافيين واغلاق نواديهم في دمشق وجرت محاولة لاعتقال محمد كرد علي ، فاضطر الى اللجوء الى مصر ، وجاء في تقرير ديفي الى لوثر في اول تموز (يوليو) (١٠٥) « ... ان الصحف المحلية السياسية قد فقدت اي اهمية لها منذ هرب محرر المقتبس وتوقفت صحيفته » . وقد لاقت المفيد بعد فترة مصير المقتبس (١٠٦) .

الا ان اتجاه المعارضة للصهيونية في فلسطين لم يتغير مع فوز الاتحاديين ووجهت الكرمل انتقادا للسلطات المحلية بسبب المساعدة التي تقدمها لليهود في الحصول على الاراضي ، في مقال بعنوان « كلنا بياعون » ، وقد لفت هذا المقال انظار متصرف عكا فأقام الدعوى على صاحب الكرمل . وكان من المتوقع ـ كما يذكر مراسل مجلة ذي نير ايست (١٠٧) في حيفا ـ ان تنتهي القضية لصالح الموظف الكبير ، ولكن الحكم اعطي لصالح الصحفي على اساس انه كتب «كعثماني مخلص نزيه» . وقد صدرت في القدس في ١٩١٢/٢/٨ جريدة اخرى هي المنادى صرح محررها بانها قد اتبعت منذ تأسيسها « مكافحة السياسة الصهيونية » (١٠٨) . وكانت الصهيونية قد شعرت منذ وقت مبكر بقيمة المعارضة الصحفية فقررت منذ ايلول (سبتمبر) ١٩١١ انشاء مكتب صحفي يتبع « مكتب فلسطين » لمتابعة الصحافة العربية وتهيئة الردود المناسبة وتمويل الصحف الناصرة للصهيونية واوكلت مهمته منذ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ الى نسيم ملول وظلت مهمته الرسمية مجهولة لدى الصحف العربية رغم كثرة الشكوك (١٠٩) .

١٠٣ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٣/٢١ يوضح المرشح سعيد ابو خضرة مساوىء نظام المشاع الذي ادى الى بيع الاراضي للمستعمرين .

١٠٤ ـ تقول جريدة **ذي تروث** اليهودية (١٩١٢/٨/٢٣) تعليقا على نتائج الانتخابات « انه رغم جهود اليهود المركزة ، فان مرشحا « معاديا للسامية » قد انتخب (تقصد به روحي الخالدي) .

١٠٥ ـ F.O. 195/2411

١٠٦ ـ The Near East, June 28, 1912, p. 235.

١٠٧ ـ The Near East, May 24, 1912, p. 75.

١٠٨ ـ من رسالة شخصية بعثها محرر جريدة المنادى محمد موسى المغربي الى الفيكونت دي طرازي في ١٩٠٣/٣/١٧ وكان صاحب المنادي سعيد جار الله .

١٠٩ ـ Roi, Yacov, pp. 200 - 201.
كانت « فلسطين » قد وجهت الى ملول التهم مرارا بانه يراسل عدة جرائد (المحروسة والمقطم والنصير) وينقل لها اخبارا عن الصهيونية للدفاع عنها ولكنها كانت تستخف بشأنه . وذكرت عنه في عدد (١٩١٢/٨/٢٢) « ... انه جاء من مصر سعيا وراء قوته وطلب مرارا ان تستخدمه الصهيونية بصفة معلم في مدارسهم فلم يجدوا فيه شيئا من المعارف ... » واضافت «فلسطين»

(التتمة على الصفحة التالية)

ورغم ان صحفا عربية عديدة مثل المقطم والنصير ولسان الحال وكلمة الحق والنفير العثماني قد فتحت اعمدتها للدفاع عن اعمال الصهيونيين ، الا ان التفكير قد بدأ جديا بانشاء صحيفة عربية ناطقة باسمهم تكون قادرة على الرد على اتهامات الصحافة العربية وتوضيح منافع الهجرة اليهودية الى فلسطين . وقد جرت عدة محاولات فاشلة لاصدارها : منها جريدة الاخبار (١٩١١/٢/١٦) في يافا ومحررها الدكتور شمعون مويال ، ويصف نفسه انه (مدير ثان للاتحاد والترقي ، واستاذ اعظم ريفي) (١١٠) . وقد اقام مويال كذلك « شركة الطباعة العربية » التي تتعاطى طبع الجرائد والكتب وجلب الآلات واللوازم المطبعية ، وقد قامت هذه الشركة ـ فيما بعد ـ بالتصدي لجريدة فلسطين . وكان الصهيونيون يحاولون دوما رد كل المعارضة للصهيونية الى مصادر مسيحية ، وان « مسيحيي سوريه وفلسطين قد استفادوا من الحرية الممنوحة للصحافة لنشر التشويه ضد اليهود بدوافع كرههم المتأصل لليهود ودوافع الحسد الاقتصادي ، وان هذه المشاعر قد انتقلت منهم الى الترك والعرب المسلمين » (١١١) . وكان هذا الادعاء قديما منذ ان وجهت التهمة لاول مرة الى نجيب عزوري .

٧ ـ نتائج استلام الائتلافيين السلطة في ١٩١٢ عربيا وعثمانية وصهيونيا :

وقد تفجرت في فلسطين حملة معارضة وانتقاد وجهت الى السلطات المحلية بل والى الحكومة المركزية ، وفقد الفلسطينيون ثقتهم باي حكومة مهما كان لونها ، وذلك مع قدوم المتصرف الجديد الى القدس (مهدي بيه) ، الذي كان قد ارسل الى القدس من قبل الاتحاديين ، الا ان وصوله قد اتفق مصادفة مع استيلاء الائتلافيين على السلطة في صيف ١٩١٢ (١١٢) ، وتوقعت جريدة فلسطين الخير من المتصرف الجديد (١١٣) ، ولكن بعد وصوله باسبوعين قام بزيارة معرئيس بلدية القدس وعينتابي رئيس مدرسة الاليانس (ووكيل جمعية ايكا) الى المستعمرات الاسرائيلية ، وقد ترجمت الصحف العربية في متصرفية القدس (المنادى وفلسطين) (١١٤) تفاصيل تجوال المتصرف عن جريدة « احيروت » العبرانية ، التي تصدر في القدس . وجاء

انه كاتب الجرائد بعد ذلك باخبار تافهة وبدأ يتحكك بفلسطين « ليظهر للصهيونيين انه ماهر على مصالحهم مدافع عن حقوقهم والصهيونيون من جهتهم يعلمون ان ملول كالمحامي الجاهل الذي يخسر دعوى موكله لجهله بالقانون ... » .

١١٠ ـ من رسالة شخصية بعث بها صاحب الجريدة الى الفيكونت دي طرازي وارفق بها نسخة من احد اعداد الجريدة الاولى ، وكان صاحب امتياز الجريدة بندلي غرابي .

١١١ ـ مقال « المعاداة للسامية في تركيه » .Jewish Review, Jan. 1912, pp. 383 - 385

١١٢ ـ بعد فوز الاتحاديين بالاغلبية في المبعوثان ، قام عدد من الضباط في ١٩١٢/٦/١١ بشبه انقلاب طالبوا فيه بتشكيل حكومة من غير الاتحاديين وحل مجلس المبعوثان الجديد واجراء انتخابات جديدة حرة فاستقالت الوزارة في ١٩١٢/٧/٩ وشكل الوزارة الجديدة احمد مختار باشا .

١١٣ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/٧/٢٤ . حيث وجهت الجريدة اقتراحا الى كل فرد من اهالي لواء القدس بان يتلو دعاء دستوريا صباح كل يوم وعلى مدة اسبوعين « اللهم احرسه من تقارير قناصل الدول الاجنبية . اللهم ابعد عنه وكلاء الجمعيات الصهيونية » .

١١٤ ـ نقلت ذلك جريدة **فلسطين** في ١٩١٢/٨/١٧ .

فيها ان مستوطني ريشون لتسيون (عيون قارة) ، نظرا لانها المستعمرة الرئيسية ، قد رتبوا استقبالا عاما للمتصرف ، كما قدم ممثلون من مستعمرات اخرى لتكريمه وشكروه للاهتمام الذي ابداه نحوهم ، والقوا خطبا مناسبة خلاصتها ولاء اليهود للحكومة الدستورية العثمانية . ثم القى المتصرف خطابا بالفرنسية ترجمه عينتابي الى العبرية تعرض فيه اولا الى حسن نية الحكومة تجاه الصهيونية بقوله : « لقد سمعتم بانه يوجد اناس يشيعون ان الحكومة ضد الصهيونية ... هذا ليس بصحيح لاننا ـ نحن الاتراك ـ اكثر الناس معرفة بمقاصد اليهود في هذه البلاد وهي ليست سياسية ، بل انها دينية ، لانها اراضي آبائهم واجدادهم ، والحكومة تسعى جهدها للتقرب من الشعب اليهودي في كل آن وزمان ، ولم تنفك عن الترحيب في كل وقت اضطهدوا فيه » ، ثم ابدى اعجابه بما حققه الصهيونيون قائلا « اننا نسر جدا من رؤية تقدمكم هذا الذي وصلتم اليه بعد الجد والاجتهاد ، ولذلك فانتم الآن مثال لبقية القرى العربية واساتذة وكتب حية لاهاليها الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، والذين يقدرون لكم كل الخير الذي نالته البلاد على ايديكم » . ولكي يضمن للمستوطنين الامن والراحة ، وجه نصيحته اليهم « ... ان تنشئوا لكم دائرة بلدية منظمة بمعرفة الحكومة يكون اعضاؤها منكم ، فتدبر اموركم ، وتختاروا لكم حراسا منكم ايضا ممن تثقون بهم يكونون بضعة جندرمة بعد ان تقيدوا اسماءهم في دفاتر الحكومة ، والحكومة تعطي لهم التعليمات والملابس والاسلحة اللازمة ، ثم يجب عليكم ان تربطوا مستعمراتكم وقراكم بالتليفون وبمركز الحكومة اما في يافا او في القدس ، حتى اذا حدث حادث تخبرون الحكومة المركزية عنه فتخف لمساعدتكم ، وهذه احسن طريقة لحفظ الامن » . وزاد المتصرف على هذه الوعود سعيه في اعطائهم جميع التلال الرملية حتى شاطىء البحر وقيدها في سجلات الحكومة على اسمائهم ، حتى يمكنهم ذلك من غرسها على حساب البلدية الجديدة ، ووجه في نهاية خطابه رجاءه ... « ما عليكم الا ان تساعدوا الحكومة فتساعدكم من جهتها ، فتتقدمون وتعيشون برخاء ... » .

اثار الخطاب موجة انتقاد في صحف فلسطين : فتناولت صحيفة فلسطين فكرة تأسيس دائرة بلدية في مستعمرة (عيون قارة) وذكّرت المتصرف انه من الصعب وجود اعضاء عثمانيين من المستعمرات لتلك الدائرة ، واذا فرض ووجد الاعضاء « فان المستعمرين بعد ان يكونوا مستقلين في شؤونهم الداخلية ، يدير امورهم مجلس مستقل لا مراقبة خارجية عليه ، لا نظنهم يعملون بنصيحة عطوفته فيقبلون هذه المراقبة وهم في غنى عنها ... » . اما بالنسبة لامر المتصرف لاهالي المستعمرات القريبة من شاطىء البحر بغرسها باشجار (الاوكالبتوس) ، فان (فلسطين) (١١٥) مع اقرارها بما لزرع الاراضي الرملية من فوائد ، الا ان الامر بزرعها بهذه الطريقة يخلق للحكومة مشاكل كثيرة في المستقبل ، وهي تذكّر القراء ان اهالي مستعمرة (عيون قارة) كانوا قد طلبوا ان يغرسوا الاراضي الرملية التي تحد مستعمراتهم من جهة الغرب ، كما عرضوا ان يشتروها في عهد المتصرف السابق فلم يفلحوا « فبناء عليه ، تكون عيون قارة قد استفادت الآن من هذا الامر في مدة اسبوع ما لم تقدر ان تستفيده

١١٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/٨/١٧ .

مراجعاتها وطلباتها من الاستانة مـدة ١٥ سنة ... » و (فلسطين) تشرح المـواد الخاصة في قانون الاستملاك التي تتعلق بالاراضي الموات ، وترى ان المتصرف لم يراع هذه القواعد . وعن القسم الاول من خطاب المتصرف تساءلت جريدة الكرمل (١١٦) « ... لا نعلم اي حكومة يعنيها بقوله « انها ليست ضد الصهيونية ... » وهل هـو يتكلم بصفته الشخصية ام بلسان تلك الحكومة ؟.. » وتأسف لان المتصرف يجهل ـ او يتجاهل ـ مقاصد الصهيونية وينسب للحكومة انها ترحب بجمعية لها اغراض سياسية في بلادها ، وان يتكلم بلسان الترك كلهم ، « ... وصدى مقالات تصويـر افكار ، وشهراه تأمينات ، وحق ، وجرائد الروملي ضد الصهيونية ، لا تزال ترن في الآذان ، فضلا عن ان الحكومة اصدرت اوامر متعددة بمنع ادخال الصهيونيين الى فلسطين وتمليكهم الاراضي فيها ، حذرا من نزعاتهم السياسية ... » وردا على قول المتصرف « ... انتم كتب واساتذة لجيرانكم الفلاحين الذيـن لا يعرفـون القـراءة والكتابة ... » قالت الكرمل « ... يعز علينا ان يصدر هذا من ممثل لحكومة تقتضي ان تكون هي استاذ وكتب الفلاحين وان تنتظر من اعداء الوطن ان يكونوا اساتـذة الاهالي وكتبهم ... » . واخيرا ، رجا صاحب الكرمل ان تدقق الحكومة في الامـر وتهتم باسناد الوظائف الى موظفين يكونون كتبا واساتذة لا « مروجي آمال جمعيات سياسية اجنبية » .

وبعكس ذلك ، كانت صفحات الصحف الصهيونية والموالية لها من عربية واجنبية تمتلىء ثناء على تصريحات المتصرف ، وتفاؤلا بالنسبة للعمل في المستقبل ، وتجدها مناسبة لتعداد المنافع التي جلبتها الصهيونية . فعلقت جريدة ذي تروث (١١٧) على الخبر بان « ... الصحافة العبرية قد ايدت الامر وهي متحمسة جدا للتصريحـات التي تؤمن انها ليست مجرد اقتراح مرتجل ، بل اوحت به سلطـات عليا ... » . وعلقت الجريدة نفسها على مقابلة صحفية اجراها الصحفي (اليعازر بن يهودا) مـع المتصرف وصفه فيها بانه « ... رجل ذو افكار متنورة ، ومشبع بمبادىء الحضـارة الغربية ... » بقولها « ... حتى الآن هذا امر حسن ... دعونا نأمـل بان رغبتـه المتحمسة في الحكم دون تمييز بين العقيدة والقومية تدفعه الى ازالة بعض القيـود غير القانونية التي تنتقص من حق اليهود ، كنظام التذكرة الحمراء مثـلا ... » . وتولت جريدة (النصير) ، التي تمولها الصهيونية في بيروت ، الرد على المعارضة التي اثارتها الصحف الوطنية في فلسطين وبررت الاجراءات التي امر المتصرف بتطبيقها في المستعمرات الاسرائيلية من الوجهة القانونية واستدلت من ذلك على « ان المتصرف قام بما يقوم به كل حاكم عادل محب لاصلاح بلاده ... فليس ثمة ما يوجب قيـام كل هذه الضجة من بعض المتعصبين » او من تسميهم « اعداء الاسرائيليين » ، وترى ان « هؤلاء الاعداء امـا انهم يجهلون الفوائـد ... او يقاومونهـا لدواع خصوصية ذاتية » ، وتنهي بقولها « ... ان البلاد بحاجة كبرى للعاملين النشطين ، مهما اختلفت مذاهبهم وتنوعت جنسياتهم ... وتبع الخطاب نتائـج اخرى لصالح الصهيونيـة

١١٦ ـ نقلته **المقتبس** ١٩١٢/٨/٢٤ .

١١٧ ـ **The Truth**, August 8, 1912.

فذكرت ذي تروث (١١٨) اخبارا عن قدوم وفود من يهود شرق اوروبه لدراسة الاراضي الصالحة ، واظهرت ارتياحها لان « السلطات المحلية ليست متحمسة لممارسة اي قيود ضد اليهود كما كان في السابق ... » كما وصل الى علم الجريدة انتقال اراض هامة الى يهود اجانب .

هذا الموقف قد دفع الرأي العام في فلسطين نحو اليأس من اي حكومة عثمانية مهما كان لونها . فاستلام الائتلافيين لم يكن يعني وقف النشاط الصهيوني كما كان متوقعا . وفي الوقت الذي كان الرأي العام العربي في الخارج يقابل وصول الائتلافيين الى السلطة بارتياح كبير ، على امل تحقيق الاصلاحات اللامركزية (١١٩) كانت الكرمل تتساءل (١٢٠) عن سبب بقاء مهدي بك متصرفا بعد ان كانت تعتقـد انه قال خطابـه بلسان حكومة الاتحاديين ، اما بقاؤه « فيدل على رضا الحكومة الحالية عن اعمـال الجمعية الصهيونية ، التي تسعى الى تأليف قومية صهيونية في البلاد السورية » . ربما كان هذا اليأس من السلطة هو الذي جعل لهجة (الكرمل) يسودها شعور المرارة حتى من ابناء البلاد وخاصة زعمائها واعيانها ، وشعرت ان دعوتها لم تلق الاستجابة الكاملة بعد كل ما كشفته من اسرار الصهيونية واخطارها واضرارها ، وبعد النصح والانذار والتحذير ، يقول صاحبها (١٢١) : « لو ان جريدة اخرى فعلت ذلك صارت من اوسع الصحف انتشارا ، وصاحبها اعلى قدرا واعتبارا ... اما انا ، ما كسبت غير عداوة كثيرين من الزعماء والموظفين ، وافتراءات ، وتزوير ، ووعيد وتهديـد ، اصبحت غير امين على نفسي وفي وطني وصلت الى حد الاستجداء ... » . وكانت (المقتبس) (١٢٢) قد وجهت لصاحب الكرمل انتقادا عنيفا ، لانه لا يتبع خطة واحدة في الهجوم على من يبيع الاراضي ، اذ بينما ثار على (آل التويني) لرهـن قريتـي « جيدا » و « تل الشمام » (في مرج ابن عامر) ـ سكت على معاملات مثلها يقوم بهـا زعيمان من لوائي عكا ونابلس (مصطفى الخليل ، وعبد الهادي عبد الهادي) ، لبيـع قرية لهما (كركور وبيدوس ـ قضاء حيفا) . واثار نصار في رده نقطة حساسة كان يشير اليها لاول مرة في صحيفته ، ولم يشر اليها ثانية ، وربما حنقه ويأسه قـد دفعاه الى قول ذلك « ... هل يريد منتقـد الكرمل ان تكـون الكرمـل وصاحبها (النصراني) احرص منهما (يقصد الخليل وعبد الهادي) على الوطن واحق بالمحافظة عليه ؟ » فالكرمل « ... ترى ـ وهي (نصرانية) ـ انه كثير عليها وحطة بشـأن المسلمين ان تحمل على اعيانهم وامرائهم حملاتها على من يبيعون البلاد من المسيحيين ، وترغب ترك هذه المهمة للمقتبس والمفيد والرأي والائتلاف والحقيقة والعلماء والمفتين

١١٨ ـ **The Truth**, August 23, 1912.

١١٩ ـ مع استلام الائتلافيين السلطة ، عادت الصحف العربية التي عطلت الى الصدور كما اعيد افتتاح نادي الائتلافيين في دمشق ، وبدأت الاستعدادات لانتخابات جديدة .
(تقرير ديفي عن دمشق في ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ F.O. 195/2411)

١٢٠ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٠/١٨ .

١٢١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/٩/٧ .

١٢٢ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٨/٢٨ .

... اذ ما خطر لك انه ربما بسبب زعم المسلمين بضعف وطنية المسيحيين تهتم الكرمل بان لا يتحمل ابناء دينها تبعة بيع الوطن مع المسلمين حتى لا يسجل لهم التاريخ هذه السيئة » . وقد حرص الوطنيون على ان يهدئوا من ثورة صاحب الكرمل، لانهم كانوا يعلقون على دعوته آمالا كبيرة وارادوا منه ان يستمر في رسالته ، رغم كل ما يوجه له من انتقاد ، فكتب له عزة دروزه من نابلس: « ... ما نصرانيتك بضائرتنا، ولا كرملك بهيّن علينا ، وتالله انك بنصرانيتك عند عارفيك من المسلمين لاعظم من كثير ينتحلون الاسلامية ولا يرقبون فيها الا ولا ذمة ويتبجحون بالوطنية ولا يرعون لها عدلا ولا حقا ... » . وينكر دروزه على منتقدي الكرمل تعريضهم به « ... وانت الرجل الذي اثبت في مواقفك الكثيرة وحملاتك الشديدة انك لن تصبو عن معتقدك في الوطنية ... ان لو كان لهذا الرجل ان يغش في مبدئه ويخدع الناس في وطنيته لكان له مرتع اخصب ونفع اغزر ... والكل يعرف ما يدره اولئك من احلاف الاموال على مروجي مقاصدهم وعلى كم افواه المغرضين وقطع السنة الصاخبين ... » ولكنه يلوم صاحب « الكرمل » لما لمسه في ثنايا رده من مواقع الضعف ، ويدعوه الى مواصلة رسالته « ... فاصدع بما يوجهك اليه ضميرك ، ودع قلمك يجري في ميدان المبدأ الشريف بكل حرية وعزم ، لاننا نريد منك ان تكون ـ كما نعرفك ـ قوي العزمات ، شديد الحملات ، ولاننا نعرف ان ارباب المبادىء الذين يعرفون ما هي المبادىء لا يحيدون عنها الا ان يظفروا او يقضوا » .

هذه الوقفة القصيرة لم تمنع الكرمل من مثابرة عملها ، وانكبت من جديد على الدعوة للوقوف في وجه الخطر السياسي والاقتصادي للصهيونية ، ولكن من زاوية اخرى ، هي تحميل ابناء البلاد انفسهم هذه المهمة ، مع وضع الحلول البناءة لانقاذ احوال البلاد من التدهور . ومن هنا كان لوم صاحب الكرمل العنيف والصريح لأعيان البلاد وزعمائها لتساهلهم في قضايا البيع وتغاضيهم عن اعمال الصهيونيين . وكانت خطته ان يلاحق الشائعات التي يشتم منها رائحة الخطر ، وكل الامور التي تجري في الخفاء ، لينشرها على صفحات الجريدة باحثا عن الحقيقة ، لم يمتنع عن سؤال قائمقام الناصرة « امين عبد الهادي » عن اسباب تغاضيه عن اعمال البناء التي يقوم بها الصهيونيون في (الفولة) التي تحتاج الى ارادة سنية ، « وهو الوطني والمرشح للمبعوثان ومشهود له بالقانونية » . وحاول قائمقام الناصرة في رده (١٢٣) ان يبين ان عمليات البناء ليست سوى مزاود للماشية (اواخير) كما دلت هيئة الكشف . الا ان الكرمل تشككت بصحة ما يقول وانه انما يريد « تهوين المصيبة » وتذكّر القائمقام بان كل المستعمرات التي بناها الصهيونيون بنوها تحت اسم « اواخير » ، وانه « اذا كان لا يأنف من ان يقال مستعمرة الفولة شادها الصهيونيون الى جانب الخط الحجازي بالحيلة ، وخلافا لنظام الطابو ، وبدون ارادة سنية في عهد قائمقامية امين بك ، احد امراء فلسطين ، والنائب ـ ان شاء الله ـ عن فلسطين في مجلس الامة ، فليكتف بالكشوفات الرسمية السطحية » . ويسخر في تعليقه « ... فنحن لسنا اولى منه بالمحافظة على شرف القوانين وبمقاومة الصهيونيين بسلاح

١٢٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٠/٤ .

الوطنية والقانون ، ولا نحن واهلنا نستفيد اكثر منه ومن اهله من بقاء الوطن عثمانيا ، لاننا لا نخاف من استيلاء الصهيونيين لا على زعامتنا ولا على وظائفنا ومعاشنا ، بل اننا نغار على مصلحة الشعب وزعامته على الاخص ... » (١٢٤) . وتساءلت الكرمل عما يشاع من بيع انجال علي باشا الجزائري جانبا من قرى قرب طبريه (كانت الحكومة وهبتها ملجأ للمهاجرين الجزائريين) الى الصهيونيين بطريق الرهن (١٢٥) . وكان رد الامير سعيد الجزائري للكرمل : « ... اننا لا نبيع الوطن العثماني للاغيار ، ولو كان بامكاننا لاشترينا كل ما يباع للصهيونيين ، حتى لا يدخل في يدهم شيء ... » . وظلت الكرمل تنتظر تكذيبا من مصطفى الخليل وعبد الهادي عبد الهادي حول اشاعة بيع كركور بيدروس دون جدوى ، مع ان الاخبار قد وصلت بان مهندسي الصهيونيين قد نظموا خريطة للقرية وان معاملة البيع على وشك الانتهاء .

دعوة الكرمل الى توعية اهل البلاد ، واعتمادهم على انفسهم في دفع الخطر وصلت الى سوريي المهجر ، وايدت مرآة الغرب (في نيويورك) تخوفها من المستقبل المظلم الذي يحيط بفلسطين لو استمر تقدم الصهيونيين (١٢٦) . ومع نشر اخبار امتداد الاستعمار الصهيوني الى اراضي في منطقة غزة ورفح ، كتبت (١٢٧) « هذه عاقبة ارض ، نام اهلها والذئاب من حولهم ... » . لذلك فقد رافق دعوة التيقظ والتوعية من اجل الوقوف بوجه التقدم الصهيوني ، دعوة بناءة لانهاض احوال البلاد، فدعت الكرمل (١٢٨) الفلاح العربي الى تحسين اساليبه والاهتمام بتسميد الارض والحض على غرس الاشجار ، وقدمت جريدة فلسطين احصاءاتها عن اهمال احوال السكان التعليمية بالمقارنة مع اليهود (١٢٩) ، ونقلت رسائل فلاح (١٣٠) الى المتصرف يشكو سوء الاوضاع في نفس الوقت الذي كان المتصرف يزور عيون قارة « ... ان تعاستنا كلها مصدرها الجهل ، فلا مدارس ولا معلمين في القرى » . ومن اجل اتاحة فرصة التزود بالتعليم الزراعي للعرب ، دخلت جريدة فلسطين في جدل عنيف مع نسيم ملول ، ومدار الجدل كان مدرسة نيتر الزراعية (التابعة لجمعية الاليانس) ، حيث اشارت (فلسطين) الى ان المدرسة لا تقبل غير الاسرائيليين ، مع ان في فرمان هذه المدرسة الممنوح الى شارل نيتر سنة ١٨٦٨ نصا صريحا يشترط قبول عدد من

١٢٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٠/٢٦ ، تأكدت الكرمل ان الصهيونيين في الفولة يواصلون البناء وان ابنيتهم ضخمة ومتقنة وليست (اواخير) كما جاء في هيئة كشف مجلس ادارة الناصرة .

١٢٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٠/٨ .

١٢٦ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٢/١٠/٩ .

١٢٧ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٢/١٠/١٦ .

١٢٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/٩/٢٤ ، ١٠/١٢ و ١٩١٢/١٢/٢٧ .

١٢٩ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/٨/٣ ، في متصرفية القدس ٣٤٠ الف نسمة منها ٢٢٦ الف مسلم ، ٧٠ الف اسرائيلي ، ٤٤ الف مسيحي، للفئة الاولى ٢٤٢ مدرسة فيها ١٠,٠٠٠ تلميذ والثانية ٤٠ مدرسة فيها ١٠,٠٠٠ تلميذ والثالثة ١٠٠ مدرسة فيها ٥٢٠٠ تلميذ .

١٣٠ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/٨/٢٤ .

التلاميذ الوطنيين غير الاسرائيليين (١٣١) . ومع ان ملول (١٣٢) حاول ان يثبت قبول غير اليهود في عداد تلاميذ مدرسة نيتر وان المدرسة ليست مسؤولة عن قلة عددهم، فقد فندت (فلسطين) اقواله بان مجموع من دخل المدرسة خلال ٤٣ سنة هم ١١ طالبا لم يكملوا دراستهم ، وقبولهم كان لاسباب عديدة منها كون آبائهم من ذوي النفوذ ، او لهم علاقة باشغال المدرسة . ونشرت عدة رسائل من بعض التلاميذ السابقين والمطلعين على احوال المدرسة حول العراقيل التي كانت تضعها المدرسة امام دخول اي طالب عربي لها ، ومعاملة البغض والاحتقار التي عوملوا بها (١٣٣) .

وفي محاولة لايجاد حلول تنقذ البلاد من التأخر ، وتمكنها من الوقوف امام خطر القادمين الجدد ، لم تخف جريدة (فلسطين) اعجابها بما حققه هؤلاء (١٣٤) ... « لا اقل من ثلاثين مستعمرة او قرية في حوزة هؤلاء المهاجرين النشطين الذين لهم الوسائط الكثيرة ان كانت ادبية او مادية او فنية ... فاذا عرفت ذلك ... فهبّ من نومك ... وقف سدا منيعا ، قبل ان يبلغ السيل الزبى ... » ، ودعت جريدة الكرمل (١٣٥) المواطنين ان يروا في تدابير الصهيونيين الذين قاموا « لاحياء قوميتهم وجمع جامعتهم في بلادكم وعلى حسابكم ، وفي تنظيم مدارسهم وادارتهم الزراعية، وفي مصارفهم وجامعتهم خير مثال تقتدون » ، ورأت ان تضع خطة للعمل بانشاء جامعة وطنية يقوم بها الشباب المتفانون والشيوخ العقلاء لاصلاح الاحوال الاجتماعية ورفع شأن الزراع والعامل والصانع ومراقبة التعليم وانشاء جمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية . وفي ردها على رئيس بلدية طبريه حول امتياز تعمير حمامات طبريه (١٣٦) قالت « ... لا نكتفي بتعطيلكم مشروع الصهيونيين بالحمامات ولكن نريد ان نراكم قائمين به ... اننا مللنا الوعود وصرنا نشتاق للاعمال ... » .

في الوقت الذي تخلى فيه الفلسطينيون عن الامل بان تحدث السلطات المحلية او الحكومة المركزية اي تغيير ملموس تجاه تقدم العمل الصهيوني ، وبدأوا في تلمس حلول محلية لم تنضج بعد ، وخاصة انه كان يقابلها صمت شبه مطلق من الصحف العربية في الخارج ، كانت الامور في الاستانة تأخذ اتجاها آخر ، اذ كان الرأي العام العثماني قد انتهز فرصة ازاحة الاتحاديين ، ليوجه اللوم لهم علنا عن مدى تعاونهم

١٣١ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/١٠/٢ ، اوردت نص الفرمان السلطاني الذي صدر في ٣ محرم سنة ١٢٨٧ الى شارل نيتر في عهد السلطان عبد العزيز « بفتح المكتب المذكور لتعليم فن الزراعة والفلاحة المرغوبة ترقيته في بلاد دولتي العلية ... ويكون تابعا لقوانين الدولة العلية تحت نظارة المعارف وتحت حمايتي السنية ... على ان هذا المكتب وان يكن قد انشىء على اسم اطفال الملة الموسوية الا انه يقبل فيه تلامذة من سائر الملل والمذاهب بشرط ان يكونوا جميعهم من التبعة العثمانية ... » .

١٣٢ ـ دفاع ملول كان في جريدة النصير البيروتية ٩/١٧ ، وفي المقطم ١٩١٢/٩/٣ .

١٣٣ ـ **فلسطين** ، ٨/٢٩ و ١٩١٢/٩/١٨ .

١٣٤ ـ **فلسطين** ، ١٩١٢/٨/٣١ .

١٣٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/٩/٢٠ .

١٣٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٠/١٨ . كان في نية الحكومة اعطاء الامتياز للصهيونيين باسم هرون ايزنبرج ، ولكن بسبب الاحتجاجات التي رفعت من المنطقة اوقف المشروع وطالب الاهالي بتعمير الحمامات على حساب البلدية .

وارتباطهم بالصهيونيين ، وذكرت جويش كرونيكل (١٣٧) « ان اليهود لا يشعرون بالرضى للتغير في الوزارة التركية ، لان الفئة الجديدة معادية بصورة مكشوفة لمصالحنا » ، واوردت اخبارا عديدة من الاستانة توكيدا لهذه الفكرة ، عن خطب في الجوامع لشن حرب على الاتحاديين والصهيونيين . ولم تكترث الحكومة بادىء الامر ، الا ان الاحتجاج اليهودي على هذه الخطب ، اضطرها الى اصدار تعليماتها ـ خوفا من اي نتائج خطيرة ـ الى مدراء الشرطة لتحذير الخطباء من الخطب المتعصبة سياسيا في الاماكن العامة (١٣٨) . ولم تقتصر حملة الهجوم (على اليهود والصهيونية والماسونية والاتحاديين) على الجوامع ، كما تقول (جويش كرونيكل) ، بل امتدت الى الاماكن العامة وفي الصحافة ودوائر الحكومة (١٣٩) ، حتى وكما تقول الجريدة فان هذا الموقف قد دفع الى احتجاج يهودي كبير في الاستانة (١٤٠) وان الوزارة قد قامت ببحث الاحتجاج اليهودي ونظرت الى ما يكون له من نتائج سيئة على مقدرات الامبراطورية ووافقت على مطالب المجلس اليهودي ، واصدرت تعليماتها باتخاذ اجراءات ضد الصحفيين ، والذين يساهمون بتوجيه الهجوم . ورغم تأكيد وزير العدل والاديان للمجلس اليهودي في الاستانة بوضع حد لهجوم صحف معينة ضد اليهود ، الا ان جريدة جويش كرونيكل (١٤١) رأت ان « الحكومة نفسها ليست مفعمة بمشاعر ودية نحو اليهود » ، وان هناك عدم ثقة من جانب الحكومة نحوهم ، وقد استبعدتهم من المراكز الحكومية والمراكز الحساسة نظرا لانهم يوالون جمعية « الاتحاد والترقي » .

ردود الفعل العنيفة التي تبدت في الرأي العام العثماني (والتي تحاول جويش كرونيكل ان تسميها عداء لليهود) ، نتيجة لاستلام الائتلافيين الحكم ، كان لا بد ان تحدث تغيرا في الخطة الصهيونية الرسمية ، مع ان بعض الزعماء لم يفقد الامل بعد في قيمة العمل السياسي لدى الحكومة العثمانية . وفي جلسات اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مؤتمرها السنوي في برلين ، في الاسبوع الاول من ايلول (سبتمبر) (١٤٢) اعلن واربورغ رئيس اللجنة المركزية في تقريره عن اوجه النشاط المتعددة للمنظمة الصهيونية خلال ١٢ شهرا الماضية « ... انه قد اتخذت خطوات منظمة لافهام السلطات في الاستانة اهداف ومبادىء حركتنا » . وفي تقرير مفصل عن مدى تأثير الوضع السياسي على الحركة الصهيونية بيّن جاكوبسون اعتقاده الجازم « ان الازمة الحاضرة ستعقبها فترة من التطور الدستوري الحقيقي ، يؤازر

١٣٧ ـ **Jewish Chronicle, 30/8/1912.**

١٣٨ ـ **Ibid, 13/9/1912.**

١٣٩ ـ **Ibid, 20/9/1912.**

١٤٠ ـ اكدت الخبر جريدة **فلسطين** في ١٩١٢/٩/٢٨ بان اليهود قد قاموا بمظاهرة في الاستانة في دار مجلسهم الجسماني (الكنسي) احتجاجا على ما تكتبه ضدهم جريدتا اقدام وعلمدار ، وبلغوا المجلس قرارهم ، والمجلس ابلغ الحكومة ذلك الاحتجاج .

١٤١ ـ **Jewish Chronicle, 11/10/1912.**

١٤٢ ـ **Times, Sept. 10, 1912.** وقد اوردت **المقطم** خلاصة لهذه الوقائع في ١٩١٢/٩/١٨ .

تقدم جهودنا ، وان الساسة الاتراك سيدركون في النهاية ان تحقيق الاهداف الصهيونية سوف يعزز مصالح الامبراطورية العثمانية ... » . واكد « ... ان الصهيونيين لا يشتركون باي مؤامرات سياسية ، وان عملهم لا يخدم حزبا من الاحزاب التركية او جريدة او مصلحة دول اجنبية ، وانهم يتجنبون الدخول في كل خلاف سياسي بين الاحزاب التركية ، مع انهم ـ بشكل طبيعي ـ يرغبون في ان ترسخ قدم الحرية الدستورية في البلاد ... » . وقد يتناقض هذا التصريح مع ما تقوله صحيفة (جويش كرونيكل) (١٤٣) « ... انه رغم محاولة حزب الوزارة الحالي استمالة اليهود كي ينضموا اليهم في الانتخابات العامة ... الا انها علمت من الدوائر اليهودية في الاستانة ان اليهود قرروا دعم مرشحي حزب الاتحاد والترقي... » . وكانت المقتبس قد اشارت (١٤٤) ـ نقلا عن الجريدة التركية (تقويملي غزته) ـ بان « جريدتين اوروبيتين تعهدتا بالمدافعة عن جمعية الاتحاد والترقي بدراهم الصهيونيين ، حتى اذا احرز الاتحاديون النجاح ، ساعدوا الصهيونية بترويج آمالها » . ولكن الصهيونيين كانوا على ثقة تامة انه مهما كان لون الحزب الحاكم ، ومهما كانت الموانع التي توضع امامهم ، فعملهم مستمر « ... ورغم الباسبورتات الحمراء التي يجب على كل مهاجر اسرائيلي اجنبي ان يحصل عليها قبل دخوله فلسطين ، وتعيين مدة اقامته فيها الى ثلاثة اشهر فقط ... فان تيار الهجرة الى ارض الميعاد لا يزال يتدفق السيل ولا يزال هؤلاء المهاجرون يشترون الاراضي البور والاراضي التي تزرع حالا ، ويبذلون فيها اثمانا عالية ... » (١٤٥) .

ويبدو ان بعض الزعامات الصهيونية كانت تتحسب لكل طارىء ، وتخشى ان تفشل سياسة كسب ود الدولة العثمانية ، التي اتبعت منذ ١٩٠٨ ، فيما لو زاد عنف ردود فعل الرأي العثماني ضد الصهيونية ، فبدأت تبحث عن ضمانات دولية كانت اساس مخطط هرتزل الاول ، ويصعب القول ان البحث عنها قد اختفى مع قيام الحكم الدستوري سنة ١٩٠٨ . وهذا السبب هو الذي دفع سوكولوف في مناقشات مؤتمر اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ـ المذكور سابقا ـ الى التأكيد على اهمية تأمين العطف البريطاني الذي ، كما يقول ، قد لمس ادلة له خلال زيارته الاخيرة الى لندن . وما دعا له سوكولوف لم يكن امرا جديدا ، فللحكومة البريطانية تقليد طويل من العطف على حركة الاستيطان اليهودي ، دليله ما قدمته هيئاتها القنصلية في فلسطين من خدمات ، في تسجيل معظم المؤسسات والشركات الصهيونية العاملة في فلسطين كشركات بريطانية حتى تشملها الحماية البريطانية ، وكان الالحاح على هذه الحماية لمؤسسات اخرى مستمرا (١٤٦) .

١٤٣ ـ **Jewish Chronicle, Oct. 11, 1912.**

١٤٤ ـ **المقتبس** ، ١٩١٢/٩/٢٦ .

١٤٥ ـ **المقطم** ، ١٩١٢/١٠/٨ نقلا عن جريدة عثمانيشر لويد (الالمانية الصهيونية في الاستانة) .

١٤٦ ـ من ذلك طلب تقدم به يهودي بريطاني هو جاكوب موسر (Jacob Moser) رئيس بلدية برادفورد (Bradford) الى الخارجية من اجل طلب الحماية البريطانية لمدرسة الجمنازيوم العبرية في يافا التي اسست سنة ١٩٠٥ وكان قد تقدم هو وهربرت بنتويتش بالمال اللازم لبناء واسع للمدرسة سنة ١٩١٠ . F.O. 195/2453.

وقد رات التايمز (١٤٧) ان تضع امام انظار الحكومة البريطانية عدة امور لا بد من اخذها بعين الاعتبار امام هذا « النداء الذي يرفعه بعض الآخذين بناصر الجمعية الصهيونية في انجلتره لاستمالة الرأي الانجليزي اليها » . من هذه الاعتبارات التي « على الانجليز ان يعيروها انتباههم ، اذا ارادوا ان يعززوا نفوذهم في فلسطين او ان يحافظوا على البقية الباقية لهم هناك » هو قلقها من جهة لامتداد النفوذ الالماني في الشرق عن طريق الحركة الصهيونية (وهو امر اشارت له التايمز مرارا) ، ثم قضية اخرى لم تكن تؤخذ سابقا بعين الاعتبار وهي ان العرب في فلسطين كما تقول التايمز « سواء كانوا مسلمين او مسيحيين ، لا يرضون ان تؤخذ املاكهم منهم ويصبحوا عالة من الوجهة الاقتصادية على الاسرائيليين ، الا بعد جهاد عنيف . وكلما زاد عدد الاسرائيليين في فلسطين ، زاد هذا الجهاد شدة وعنفا . فاذا عطف فريق عظيم من الامة الانجليزية على اعمال الصهيونيين في فلسطين ، وتظاهر بذلك جهارا ، خفنا ان نضيع ثقة احسن الشعوب العربية فينا من المحمرة الى مبسا . نعم ان هذه الثقة ليست امرا ضروريا لكيان السلطة الانجليزية ، ولكن قيمتها عظيمة جدا ، ونخطىء جدا اذا اضعناها في خدمة ملك بروسيه (امبراطور المانيه) توهما منا اننا نخدم الملك سليمان» . على كل حال لم يكن هذا الاعتبار هو الذي أخّر التصريح البريطاني العلني بدعم الحركة الصهيونية سنوات اخرى .

الا ان تحفظ التايمز قد دعا واربورغ رئيس اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ان يتناول في رده نقاطا ثلاثا (١٤٨) : فقد اكد اولا ان لا صلة بين الصهيونية وتطور النفوذ الالماني في فلسطين ، بل « هي حركة يهودية قومية صرفة ، بريئة من اي صلة باي حكومة اوروبية ، والعطف الذي تستحقه من كل اصدقاء الانسانية يجب الا ينفر بتعليقات مبنية على معرفة غير صحيحة ، او غير كافية عن اهدافها ومثلها » . النقطة الثانية التي اكد عليها واربورغ : « انه لفائدة انجلتره ولمصالحها السياسية الاقليمية الهامة في الشرق الادنى ، ان شعبا مسالما ، ذكيا ، يحترم القانون ، سوف ينمو في الارض التي تجاور مجال نفوذها ... » . اما عن المسألة العربية التي اشار اليها مراسل التايمز ، فان « واربورغ » يرى عكس الاستنتاج باحتمال نشوب صراع اقتصادي بين اليهود والعرب في فلسطين او ضياع الهيبة البريطانية في العالم العربي ، لو ان الرأي البريطاني اظهر عطفا على الصهيونية ، بل برأيه ان انجلتره لو ابدت اهتماما وديا بالصهيونية ، فان العرب سوف يتبنون موقفا اكثر ودية نحو الحركة القومية اليهودية وبادعائه « ... ان تلك الفئة الاكثر ذكاء من السكان العرب في فلسطين قد عبّرت في الصحافة المحلية عن استحسانها للتحسينات التي ادخلها المال والعمل اليهوديين الى البلاد من اجل المنفعة العامة ... » .

ويكفي للاستدلال على عدم صحة الحقائق التي اوردها واربورغ عن المسألة

١٤٧ ـ **Times, 28/9/1912.** ونقلته **المقطم** في ١٩١٢/١٠/٨ .

١٤٨ ـ **Jewish Chronicle, 18/10/1912.**

العربية ما كتبه صهيوني كبير يقيم في حيفا هو اورباخ كان يبحث في مقال له (١٤٩) عن اساليب اضفاء الصفة اليهودية على البلاد . فالبلاد ليست خالية ـ كما يقول ـ وسكانها العرب (٦٠٠٫٠٠٠ نسمة) هم العقبة الاولى التي تقف في طريق المشاريع الصهيونية ، وخاصة انهم قد بدأوا يلعبون دورا اكثر فعالية عن طريق الثورة التي جرت في اوضاع تركيه السياسية لتركيه ، والذي بدأ يتطور بشكل مستمر ، ويضيف « ... واذا لم نحث الخطى ، فان فلسطين سوف تؤخذ من قبل الآخرين .. لا احد سوف يأخذها ، بل السكان العرب ... » ، وبما ان فلسطين عربية ، لان الارض تأخذ صفتها من العنصر السائد من سكانها ، فلا بد برأيه من ان يصبح اليهود العنصر السائد في السكان ، وان يملكوا الجزء الاكبر من ارضها ، حتى تصبح فلسطين يهودية . ولا يمكن تحقيق ذلك الا عن طريق هجرة يهودية كثيفة وعن طريق شراء اراض واسعة . واورباخ يعتبر نوعية السكان عاملا هاما اكثر من العدد ، ولو وجد ١٠٠٫٠٠٠ يهودي من العنصر الموجود في المستوطنات فان بامكانهم ان يتولوا زمام الزعامة الاقتصادية في فلسطين ، لان القسم الاكبر من السكان العرب ـ برأيه ـ « هم في مستوى منخفض جدا من التطور الاقتصادي ، يكتفون بحد ادنى من المعيشة دون التطلع لاشياء اعلى » ، ولذلك يجب على اليهود « ان يحثوا السير مستغلين هذا الوضع قبل ان يتقدم السكان المواطنون في تنظيمهم الاقتصادي » . وفي حين كان واربورغ يدعي ان الطبقة المثقفة قد تقبلت التحسينات التي ادخلها اليهود الى فلسطين ، ويتوسط لدى بريطانيه كي يتخذ العرب موقفا وديا ، كان اورباخ يرى ان اكثر ما يخشاه اليهود ليس « العثمنة » (لانه لا يوجد اتراك في فلسطين) بل التمثل العربي . ولكنه واثق ان الحكومة التركية ستأخذ حذرها لتجنب اي شيء يمكن ان يساهم في مد النفوذ العربي ، لذا يقترح « ... انه بسبب تلك الروح القومية التي تستيقظ الآن بين العرب ... من مصلحة تركيه في المستقبل ان تميل الى دعم ـ وليس عرقلة ـ خلق ثقافة يهودية يمكن ان تستخدم كترياق معاكس للقومية العربية ... » .

صورة اخرى لعدم صحة دعاوي واربورغ عن المسألة العربية يمكن رؤيتها من خلال ما كتبه اسكي شيهير (Eski Shehir) من الاستانة الى مجلة ذي نير ايست (١٥٠) بعد ان قابل عددا من المثلين العرب الذين « ... يعتبرون تدفق اليهود كغزو الجراد » ويؤكد الكاتب ان هذا الشعور لا يمكن ان ينجم عن اي عداء عرقي او ديني بل انه ناجم عن « تخوف العرب من ان يقوم اليهود ببلعهم اولا . ثم طردهم اخيرا » . ولن ينظر العربي ـ كما يقول الكاتب ـ باي شعور ودي تجاه الدولة الاوروبية التي تعزز الهجرة اليهودية الى داخل بلاده ويعتبر التركي الذي يوافق على مثل هذه المشاريع خائنا للاسلام « ... سيكون المهاجرون اليهود قوة مفتتة تقسم التركي والعربي » .

---

١٤٩ ـ نشر المقال في الكتاب التالي Cohen, I., (Ed.), **Zionist Work in Palestine**
وهو الكتاب الذي اشير اليه سابقا والمقال بعنوان :
«The Jewish Outlook In Palestine», pp. 172 - 180.

١٥٠ ـ **The Near East, 5/4/1912, pp. 718 ff.**

وعن احتمالات المنفعة المتوقعة لهؤلاء القادمين الجدد التي يرددها واربورغ وغيره ، فان مراسلا خاصا لمجلة ذي نير ايست (١٥١) ، قام بدراسة موضوعية في فلسطين ، فوجد مصاعب عملية لا يمكن التغلب عليها في مشروع توطين اعداد كبيرة من اليهود الاوروبيين في فلسطين ، فهم غير اهل لزراعة الارض او اي عمل يدوي ، وكذلك يصعب تكيفهم مع اقليم الشرق ، والدليل هو حياة الصراع التي تعيشها المستوطنات اليهودية الحالية . الى جانب المصاعب التي تثار ضد المستوطنين نتيجة دعاية الصهيونية السياسية ، والامل الوحيد يبدو في هجرة الشباب الى بيئة اخرى حيث تبدو الظروف اكثر املا . ووسط كل ما يقال عن الصهيونية فقد ترك اليهود الاغنياء في اوروبه الجالية اليهودية في القدس فريسة للفقر ، وكتلة من البؤس ، حتى انه لا يبدو امل للاصلاح . هذا المراسل لم يجد اي مبرر يدعو الى التمسك بفلسطين مركزا قوميا لاعداد كبيرة من اليهود لانها كانت يوما ما موطن العرق العبري . ويرجع ذلك لعدة اسباب : فالعرق قد تغير ولم يعد ملائما لسكنى الشرق لاكتسابه صفات طبيعية تلائم بيئته التي يعيش فيها لقرون طويلة ، حتى لو ظل شرقيا في روحه كما يدعون ، ثم ان الارض ليست مهجورة على الاطلاق ، رغم هجرة المسلمين والمسيحيين من فلسطين وسوريه ، اذ ان اجزاء الارض الملائمة للزراعة مأهولة مسبقا ولا توجد في فلسطين اراض ليس لها مالك ، وامر ثالث ان الاجزاء غير المتطورة للبلاد تحتاج الى نفقات كبيرة من الاموال ، والسكان الوطنيون هم اكثر ملاءمة للعمل في هذه المناطق من مهاجرين غير مدربين للعمل اليدوي ، وغير متكيفين مع الاقليم .

والرسائل العديدة التي كان يبعثها القنصل البريطاني في القدس ماكجريجور حول المصاعب التي كان يخلقها تدفق اليهود ذوي الجنسية البريطانية الى فلسطين (١٥٢) تعطي صورة واقعية لاوضاع اليهود في القدس (وفيها يتركز اغلبية المهاجرين) ، حيث يستحيل ان يجلب قدومهم البلاد اي فائدة ، لقد كان يرى ان تسرب اشخاص من العنصر اليهودي في الوقت الحاضر « فقراء مشاكسين مخزين ، بكل ما في الكلمة من معنى ... لا يقدمون اي مساهمة مادية او معنوية الى منفعة الامبراطورية التي تحميهم ، بل يقدمون مصدرا للاحتكاك مع السلطات المحلية وكذلك مع قنصليات اجنبية محددة » . ولما طلب لوثر من القنصل (١٥٣) تقديم بيان مفصل حول اقواله اجاب بانه « لا يحفظ تقارير عن حالات السلوك المخزي وعن الفقر والمشاكسة التي وصلت الى علم هذه القنصلية » ولكن هذه الصفات الملاحظة بين اليهود في القدس كما يقول امر معروف يؤكده اشخاص حياديون ، ولكن على العموم فان السلطات الطبية في القدس ترى ان حالة القدس الصحية ستزداد سوءا بسبب تدفق السكان اليهود « المتفسخين ، غير الاصحاء ، الذين هم بحد ذاتهم اداة فعالة لانتشار المرض » ،

---

١٥١ ـ **The Near East, 17/5/1912, pp. 47 ff.**
١٥٢ ـ رسالة من ماكجريجور الى مارلنغ في آب (اغسطس) ١٩١٢ F.O. 371/1509/34856 F
١٥٣ ـ F.O. 371/1509/39310

لذلك يوصي « بان زيادة لا مسوغ لها لمثل هذه الطائفة في بلد ـ حيث وضع الفرد يؤثر كثيرا على هيبة العلم الذي يحميه ـ هو الى حد كبير مستنكر ... » (١٥٤) .

خلال هذه الفترة التي مضت بين اثارة المسألة الصهيونية في المبعوثان ونشوب الحرب البلقانية ، مرت قضية النشاط الصهيوني وردود فعله ـ سواء العثمانية والعربية ـ بمراحل جديدة . فمن جهة ، وجهت الانظار علنا للقضية ، وتبين انه رغم كل الجهود التي بذلت لكسب الدولة العثمانية ، كان هناك رفض تام لتقبل الفكرة الصهيونية لدى الراي العام العثماني ، وكان على الصهيونية ان تتابع حملة دعايتها بتركيز اكبر للتأكيد على ولاء الصهيونيين ومنافع الهجرة . وقد استغل الصهيونيون، لادراكهم خطر المعارضة العربية واهميتها ، عاملا آخر هو غرس عدم الثقة التركية بالعنصر العربي ، وتصوير الاستيطان اليهودي كجدار واق ضد الميول العربية القومية . اما شعب فلسطين ، فقد كان يتمثل الخطر المباشر ويعيشه لذلك استمرت حملة المعارضة ، وبعد ان شعر ان كل الحكومات عاجزة عن وقف عملية التسرب المستمرة ، وان الرأي العربي في الخارج قد بدأت تشغله التطورات الحزبية داخل الحكومة ، بدأ يفكر بايجاد حلول ذاتية لمواجهة الخطر ، ولكن هل كان بالامكان الوقوف امام قوة اقتصادية وسياسية هائلة ؟...

١٥٤ ـ من رسالة ماكجريجور الى لوثر ، ١٩١٢/١١/٢٣ . F.O. 371/1509/53483

الفصل الرابع

امل صهيوني جديد ... الحرب البلقانية ومحاولات تفاهم عربي صهيوني ١٩١٣

١ ـ الحرب البلقانية وآثارها على العمل الصهيوني في فلسطين وصداه العربي :

كان لنشوب الحرب البلقانية ـ اواخر سنة ١٩١٢ (١) ـ نتائج هامة ، وان تكن غير مباشرة ، على تطور المسألة الصهيونية في الشرق ، سواء في استغلال الحركة الصهيونية لظروف الدولة العثمانية الحرجة للحصول على مكاسب جديدة ، او في تقدم العمل الصهيوني في فلسطين ، الذي كان يلمسه عن قرب سكان المنطقة ، ويتخوفون من ان يصيب فلسطين ما اصاب غيرها من الولايات التي انسلخت عن جسم الدولة . وربما بسبب هذه الآمال التي يعقدها الصهيونيون ، كانت مظاهر الولاء التي ابداها اليهود العثمانيون تجاه الدولة العثمانية منذ الايام الاولى لنشوب الحرب البلقانية .

فقد بدأت الاخبار تذاع (٢) بان آلاف اليهود العثمانيين قدموا خدماتهم كمتطوعين، وان فرقا كثيرة قد شكلت في تركيه ـ وبوجه خاص في فلسطين . ورددت جريدة (النصير) البيروتية (٣) انتشار روح التطوع بين اليهود في الشرق العربي عموما ، وسوريه وفلسطين خصوصا ، وذكرت خبر تطوع الدكتور شمعون مويال ، الطبيب

١ ـ كانت دول البلقان الاربع : بلغاريه واليونان والصرب والجبل الاسود قد عقدت تحالفا سريا فيما بينها ضد الدولة العثمانية في ايلول (سبتمبر) ١٩١٢ ولم يستطع الجيش العثماني الصمود امام البلقانيين فتراجع حتى ابواب ادرنة وطلبت حكومة كامل باشا (الائتلافية) الهدنة ، وتوسطت الدول العظمى ووقعت شروط الهدنة في ١٩١٢/١٢/٣ . ثم عقد مؤتمر الصلح في قصر (سان جيمس) بلندن واختلف المجتمعون حول ادرنة التي طالب البلغار بالتنازل عنها لهم ، واصر العثمانيون على الاحتفاظ بها ووقفت الدول العظمى الى جانب البلغار ، وكانت وزارة كامل باشا على وشك الاذعان حين هيأ الاتحاديون انقلابا في ١٩١٣/١/٢٣ للعودة الى السلطة بحجة استئناف الحرب . وقد تمكن الجيش العثماني من استرجاع ادرنة فقط وانتهت الحرب البلقانية بسلخ الولايات الاوروبية عن الامبراطورية العثمانية .

٢ ـ Jewish Chronicle, 25/10/1912.

٣ ـ **النصير** ، ١٠/٢٦ ، ١٩١٢/١١/٢ (وهي معروفة بموالاتها للصهيونية) .

والاديب « تطوعا فخريا بلا مقابل ، واشترط على نفسه البقاء في ساحة الحرب الى ان تنطفىء جذوتها » . وجريدة (فلسطين) نفسها (٤) ذكرت اخبارا عن اشتراك اليهود في لجان لجمع الاعانات للبوسات المجاهدين ، وتأسيس جمعية السيدات الاسرائيليات لنفس الغرض . ووجه نسيم ملول ، في مقال طويل في المقطم (٥) دعوة حارة الى الاسرائيليين ليتقدموا لنجدة العثمانيين بالمال ، ان لم يكن بالسلاح ، فقال : « هذا الصديق الودود لكم ، وهو الدولة العثمانية اليوم ، والامة العربية بالامس ، والشعب الاسلامي اول امس ، قد وقع في فخ نصبه له ذوو الاطماع النفسانية والشره السياسي ، فيجب عليكم نصرته ايفاء لدين عليكم وجميل دائم له ... فاذا لم تكن نصرتكم له بالسيف والقنابل وازهاق نفوس الاعداء ... عليكم ان تنصروه بسيف الذهب وقنابل الفضة وديناميت المعدن ... واحتياجها الى المال في مثل هذه الحال الحرجة معلوم لكم ، وهذا وقتكم ايها الاسرائيليون ... » .

هذا الحماس اشار له ــ بادىء الامر ــ وكيل القنصل في يافا (٦) « بان الموقف الرسمي لليهود الصهيونيين هو ، على كل حال ولاسباب خاصة بهم ، موال لتركيه بشكل قوي » . ثم عاد واكد ذلك القنصل البريطاني في القدس في رسالته الى لوثر (٧)، حيث لاحظ « ان الفئة الوحيدة من السكان التي جاهرت حتى الآن ــ لاسباب خاصة بها ــ بمشاعر موالية متحمسة لتركيه ، هي السكان اليهود ، وبشكل خاص تلك الفئة التي تقع تحت التأثير الصهيوني ... » . الا ان القنصل يشك فيما « اذا كان ولاء الزعماء الصهيونيين المعلن عنه مخلصا ، لانه رغم جهودهم للحث على تأييد المشاعر التركية ، فان ابقاء القيود على الهجرة اليهودية وعلى الحصول على الملكية الحقيقية ... وعبء الخدمة الاجبارية ، تثبت انها كبح خطير لمطامحهم » . ويلاحظ ماكجريجور بنفس الوقت ان الحرب لم تثر اي اهتمام شعبي صحيح في فلسطين ، كالذي كان ظاهرا خلال حملة طرابلس ، ويفسر ذلك بان « ... بعد مسرح العمليات الجديدة ، وزوال السلطة التركية في اوروبه ، كانا يعمقان الشعور المستتر بالكره والاحتقار لكل شيء تركي ... وان الناس اصبحوا مقتنعين بالعجز الاساسي لحكامهم الاجانب ، واستغرقوا في التفكير بمستقبل هذا الجزء من الامبراطورية ... » ويحاول القنصل ان يتوصل بذلك الى ان الفكرة التي بدأت تنتشر بين سائر الطبقات في فلسطين هي « ان الالحاق بمصر تحت حماية بريطانيه امر محتم ، وان هذا الامتداد لحدود مصر نحو عكا (حدها السابق) يوجد الامل بضمان الازدهار والحكومة المنظمة ... » .

وعلى الرغم من ان هذه الاعتبارات التي اشار اليها ماكجريجور صحيحة ،

٤ ــ **فلسطين** ، ١٠/٢٦ ، ١٩١٢/١١/٦ .

٥ ــ **المقطم** ، ١٩١٢/١٠/٢٩ .

٦ ــ ١٩١٢/١١/٨ .F.O. 195/2466

٧ ــ رسالة ماكجريجور في ١٩١٣/١/٢٢ ردا على نشرة دورية بعثها لوثر في ١٩١٢/١١/١٣ حول تأثير الحرب على الحياة الوطنية في متصرفية القدس . F.O. 195/2457

فهو قد تجاهل قضية هامة ، هي ان التقدم الصهيوني (مستغلا ظروف الحرب) كان يزيد هذا الشعور باليأس واللامبالاة من الحكم التركي ، وان كل ما يهمهم من الحرب الدائرة في البلقان هو اثرها على صراعهم مع الصهيونية . وانتاب الرأي العام في فلسطين « تخوف من ان يصبح هؤلاء الاجانب اكثرية ... ويصيب هذه ما اصاب غيرها من الولايات التي انسلخت عن جسم الدولة ... » (٨) وانه اذا لم تنتبه الحكومة ويتعاون الشعب لوقف التيار « ... فالصهيونية مالكة البلاد ولا محالة ، والعثمانيون خارجون منها كما خرجوا من طرابلس ومكدونيا » (٩) . لقد كانت النتيجة المباشرة لنشوب الحرب تزايد هجمة الصهيونيين على عمليات شراء الاراضي، مستغلين تغاضي السلطات المحلية ، وكذلك اوضاع الفلاحين السيئة ، الذين عرضوا اراضيهم للبيع بأسعار مخفضة منذ اشتعال الحرب ، « رغبة بتخليص انفسهم واقربائهم من الخدمة الاجبارية » حسب رأي جريدة ذي تروث (١٠) . واشتريت بذلك مناطق قيّمة من الاراضي ، حتى لقد اعلنت الجريدة السابقة عن افتتاح مكتب لشراء الاراضي في القدس بحجة ان ذلك لغاية دينية تاريخية (١١) .

وفي اواسط تشرين الثاني (نوفمبر) ، وفي الوقت الذي اشتدت فيه عمليات الشراء ، غيّر متصرف القدس « مهدي بيه » (صاحب خطاب عيون قارة) موقفه فجأة ، وانقلب على الصهيونيين ، على حد قول (فلسطين) (١٢) « لعلة او لغيرعلة »، فقام يراجع « مجموعة الاوامر القديمة الصادرة بحق المهاجرين الموسويين، واستخلص منها امرا ارسله الى الاقضية » . وعلمت (فلسطين) ان فحوى هذا الامر الجديد يتضمن ما يأتي : « لما كان اليهود في فلسطين قسمين : وطني وعثماني وغريب اجنبي ... لهذا يحق للوطني العثماني ما يحق لكل وطني عثماني غيره من الاستملاك ولكن بشرط ان يكون داخل القصبات وفي غير الاراضي الزراعية ، اما الغريب الاجنبي فلا يحق له ان يمتلك شيئا من الاموال غير المنقولة لا في القصبات ولا في خارجها ، اي لا عقارا او ارضا ... » . الامر ليس جديدا في بابه ، كما ترى (فلسطين) ، ولكن « المهم ... هل تضعة الحكومة موضع الاجراء او تضمه الى ما تقدمه من الارادات والاوامر التي بنى عليها العنكبوت خيوطه ... » . فالجريدة شبه يائسة « ... حبر على ورق ، تلك الاوامر العديدة التي صدرت بعدم السماح للصهيونيين بالاقامة اكثر من ثلاثة شهور في فلسطين ... حبر على ورق ، تلك الورقة الحمراء التي صدرت الاوامر باعطائها للمهاجرين الاسرائيليين من غير التبعية

٨ ــ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .

٩ ــ **الكرمل** ، اول شباط (فبراير) ١٩١٣ .

١٠ ــ .The Truth, 15/11/1912

١١ ــ الاعلان ظهر على النحو التالي : « على الاشخاص الراغبين بالحصول على اراضي زراعية في فلسطين او ملكية حقيقية اما في المدينة المقدسة او بجوار الاماكن التاريخية المشهورة ان يرسلوا الى الشخص المذكور عنوانه ، وهو سيقوم ، بعمولة صغيرة جدا ، بالاستفسارات الضرورية ويذلل كل العقبات لعملية نقل الملكية القانوني ، ويتولى بنفسه كل الاشياء الرسمية المطلوبة ، فيجنب المشترين اي تعب » . العنوان : H. F. Bureau Restant بواسطة البريد الفرنسي .

١٢ ــ **فلسطين** ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ .

العثمانية (١٣) ... وتلك الاوامر التي صدرت بمنع اقامة المهاجرين واستملاكهم في فلسطين ... ما علينا الا ان نرى المستعمرات العديدة والاحياء الجديدة الذين لا نظن انهم هبطوا علينا من السماء او من باطن الارض ... » (١٤) .

وقد اسفت جريدة ذي تروث (١٥) لتلك الاجراءات الجديدة التي قام باصدارها مهدي بيه ، الذي كان ، كما وصفته « حاكما متنورا ... لم يكن معارضا شخصيا للاستيطان اليهودي في فلسطين ، بل كان مقتنعا بنعمة اليهود ، التي لا تقدر ، على جيرانهم وعلى الحكومة ، بولائهم ونشاطهم . وهو بمبادهته قد اقترح منحهم امتيازات من اجل توسيع مدى نفوذهم في كل اتجاه ... » ولكنها عزت هذا التصرف الى الشكوى التي تقدم بها كثير من الافندية الى الحكومة التركية في الاستانة بحجة ان اليهود يشترون الارض لتعزيز القضية الصهيونية في الشرق الادنى ، وانهم فعلوا ذلك لانهم وجدوا انفسهم وقد تفوق اليهود عليهم في عمليات المضاربة على الاراضي واضافت الى ذلك « ... ان المتصرف حاول تهدئة شكوك المتطرفين الوطنيين لما كان يبديه من عطف تجاه اليهود ، فأعطى اوامره لاحياء وتعزيز القيود الاستثنائية الصادرة من قبل الارادة السنية منذ ثمانينات القرن الماضي ضد اليهود ، مع انه لم يشك احد ان الامر باحياء هذه القيود قد صدر عن السلطة المركزية ... » . ومع علم الصهيونيين الجازم بان هذه الاوامر غير فعالة ، وانه رغم كل القيود التي فرضت في السابق ، فان تيار الهجرة ، على حد قول مراسل التايمز في الاستانة (١٦) ، « لا يزال يتدفق تدفق السيل ، ولا يزال هؤلاء المهاجرون يشترون الاراضي البور ... والاراضي الصالحة للزراعة ويبذلون فيها اثمانا غالية ... » فان جريدة ذي تروث (١٧) قد اشارت الى التعليقات الشديدة التي اثيرت في الصحافة اليهودية ضد هذا القانون . وقد ساهم نسيم ملول في هذه الحملة فأجرى مقابلتين صحفيتين مع المتصرف (١٨) ، ليعلم تفاصيل الامر الجديد . وكما يقول ملول فان المتصرف قد شرح له ، في المقابلة الاولى ، ان المنع لا يتناول كل اليهود العثمانيين ، بل يقتصر على بضعة افراد منهم يشترون ليبيعوا للمهاجرين ، ولكن الوالي عاد ومنع يهوديا عثمانيا هو (يوسف البشار) من مشترى ثلاثة دونمات بحجة انه ينوي بيعها للمهاجرين ، ولما راجعه ملول لان ذلك يخالف ما صرح به سابقا ، تشبث المتصرف

---

١٣ – في رسالة بعثها ماكجريجور (القنصل البريطاني في القدس) الى لوثر في ١٩١٢/١١/٢٣ F.O. 195/1509

« ... تأكيد لوسائل المراوغة والرشوة التي اتبعها غالبية اليهود الذين تدفقوا الى فلسطين خلال السنوات القليلة الماضية » .

١٤ – تتساءل « فلسطين » عن الاسباب التي دعت المتصرف الى هذا الاهتمام وترى ان ذلك كان عن شعور بالخطر الصهيوني فهو « يستحق ان يقام له تمثال عظيم » ولكنها تخشى ان يكون لشيء آخر عملا بالقاعدة التي سرى عليها المتصرفون السابقون « يزيد تدللا وازيد حبا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل » .

١٥ – The Truth, 13/12/1912.

١٦ – Times, September 28, 1912.

١٧ – The Truth, 13/12/1912.

١٨ – **المقطم** ، ١١/٢١ و ١٩١٢/١١/٢٥ ونقلتهما « النصير » البيروتية .

برأيه وانه انما يعمل حسب ما توحيه الاستانة ، ووصف الاسرائيليين بانهم « تجار اقتصاديون وليسوا فلاحين مزارعين » . لقد كان قصد هذه الضجة الصهيونية ذر الرماد في العيون ، وهذا ما كشفه (سمسار متقاعد) على صفحات جريدة (فلسطين) (١٩) اذ هو يدهش من هذا الخبر حول رفض المتصرف اجازة بيع ثلاثة دونمات ، في حين تغاضى مراسل المقطم عن « ان يخبرنا ان ٦٠٠٠ دونم استلمها الاسرائيليون باجازة عطوفته الاسبوع الماضي ... في قرية كفر ورية ولم يجر ذلك وراء الستار ، بل ان المسألة قام في وجهها لوائح وعرائض وتشكيات من يافا والقدس ، ولم يمنع ذلك المتصرف عن تسليمها للمستعمرين ... » .

ومع ذلك ، كان يهم الصهيونيين ابعاد المتصرف ، وانتقل الضغط الى الاستانة، ورفعت عرائض الى الحاخام باشي تطلب منه التدخل لالغاء هذه الاجراءات ، وقام هذا بمقابلات نشطة للصدر الاعظم ولوزير الداخلية . وعلى حد تعبير جريدة جويش كرونيكل (٢٠) ان لهجة الحاخام الحازمة كان لها تأثير عميق على الوزير ، الذي انكر صدور الامر من الحكومة المركزية ، وعزاه الى عمل موظف متحمس ضد الصهيونية في دائرة الاراضي والمالية في القدس ، واصر الحاخام – كما تضيف الجريدة – على شجب الامر الذي ينص على المنع ، والابراق الى السلطات في القدس واجراء تحقيق مع الموظف المسؤول . وفي عدد تال (٢١) ، اشارت الجريدة نفسها الى ان رئيس مكتب الاراضي في القدس قد عزل من منصبه ، لانه هو الذي افشى سر وجود الامر ، واثنت على الحاخام لانه « يولي مشكلة الاراضي اهمية كبرى ، ويستحق كل الامتنان ، لموقفه الفعال في الدفاع عن مصالح اليهود في فلسطين ... » . وبعد انتهاء الوقت الذي حدد للتحقيق الرسمي ، استدعت سلطات الاستانة المتصرف .

ونفت جريدة (فلسطين) ، التي كانت اول من اشار الى برقية عزل المتصرف مهدي بيه (٢٢) الشائعة التي رددها بعضهم ان للصهيونية يدا في هذا العزل ، لانهم ناقمون على مهدي بيه بسبب الامر الذي اصدره مؤخرا بمنع بيع الاراضي لهم ، اذ ان الامر المذكور لم يعمل به وكان من قبيل « ذر الرماد في العيون»، ولكنها استنتجت ان تعيين طاهر خير الدين متصرفا على القدس ، بعد الذي اتاه مهدي بك (المتصرف المعزول) من مساعدة الصهيونيين ، دليل على تنبه الحكومة المركزية لهذا الامر (٢٣). ولم يكن في لهجة (الكرمل) تفاؤل (فلسطين) ، اذ كانت تعرف «... ان بروغرامات الاحزاب لم يكن لها اقل تأثير على النفوس في هذا الموضوع . فالذي نستنتجه مهما

---

١٩ – **فلسطين** ، ١٩١٢/١١/٣٠ .

٢٠ – Jewish Chronicle, 6/12/1912.

٢١ – Ibid, 13/12/1912.

٢٢ – **فلسطين** في ١٩١٢/١٢/١١ .

٢٣ – قابلت **جويش كرونيكل** (١٩١٢/١٢/٢٠) خبر التعيين بهجوم عنيف لان المتصرف برأيها « معروف بعدائه للعرق اليهودي وكمحرر لجريدة شهراه (علمدار الآن) وهي جريدة حزب الحرية والائتلاف الذي تتألف منه الوزارة الحالية وهو الذي اعطى الاشارة الاولى للحملة ضد اليهود » والجريدة تشك في امكانية استمراره في مركزه الجديد .

اختلفت احزابنا وتغير شكل حكوماتنا، اننا تجاه الصهيونية سواسية، واأسفاه» (٢٤). وتنتقد الصحيفة الحزب الائتلافي الذي كان يعيّر حكومة الاتحاد الصهيونية ولكنه الآن لا يبالي بأمرها، بعد ان بلغ امانيه السياسية، حتى ان مساعيها (اي الصهيونية) في هذا العهد صارت اكثر نجاحا من قبل (٢٥) ، وهذا الموقف هو الذي دفع صاحب الكرمل الى توجيه انتقاده العنيف الى العرب من حزب الائتلاف ـ طلاب الاصلاح ـ لسكوتهم عن الخطر الصهيوني ، في حين ان دفع هذا الخطر جزء من مطلب الاصلاح (٢٦) يقول: « ... المضحك المبكي انه ما دامت حركة الاستعمار الصهيوني في فلسطين على هذا النجاح المستمر ... والصحافة المصلحة صامتة عنها ، فعبثا يطلبون الاصلاح . ولا اغالي اذا قلت انه ان دام الحال على هذا المنوال فسيكون لنا بعد قليل من فلسطين طرابلس اخرى ومقدونيا ثانية ، فعلى القائمين بالاصلاح ـ ان كانوا ممن يرغبون بالاصلاح حقيقة ـ ان يتدبروا الامر ، لان فلسطين ، وجزء كبير منها تابع لولاية بيروت ، جديرة لصيانته » . وانتقاد (الكرمل) لم يكن معناه انها ضد الاصلاح ، بل ان الاصلاح هو مطلب اساسي في فلسطين لانه يحول دون آمال الصهيونيين التي لا تتحقق الا اذا كان الشعب جاهلا ومضغوطا عليه (٢٧) . لقد كانت (الكرمل) متفائلة بالحركة الاصلاحية العربية الجديدة التي لا تهدف الا لتقوية الدولة ، ولم يقم بها العرب الا بعد ان رأوا ما حل بالبلاد من خطر . ورأت ان تهدىء مخاوف الترك من هذه المسألة ، فالاجدر « بالحكومة ان تنشطها ، لانها ترى ان لا سبيل للمحافظة على بقية الملك بغير الاصلاح » (٢٨) . ولكن ما ادهش جريدة (فلسطين) فعلا ان يدعو ولاة حلب وبيروت والشام حسب تعليمات الوزارة اعضاء المجلس العمومي للاجتماع في ١٩١٣/١/١ للتفكير بأمر الاصلاح في الولايات الثلاث ، ولا يحدث مثل هذا الاجتماع في متصرفية القدس . فهي تتساءل عن السبب بمقال ساخر تحت عنوان « عريضة وداد اخوية الى جمعية ايكا الاسرائيلية الاستعمارية » (٢٩) ... موقعة من «صديقتك اليوم وعبدتك غدا ... فلسطين » تخاطب (السيدة ايكا) « ايتها المحبة لي الغيورة على مستقبلي ... فهل مستقبلي ـ انا فلسطين ـ يختلف يا ترى عن مستقبل تلك الولايات ؟ او هناك سر لا افهمه انا ، ولا يصعب ادراكه عليك انت ، لما لك من علائق الوداد مع ارباب الاحكام في الاستانة وبيت المقدس ؟ » .

٢٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٢/١٠ .
٢٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .
٢٦ ـ كانت حكومة الائتلافيين قد ادركت ان احسن الوسائل للوقوف امام الاطماع الاجنبية هي الاسراع في تطبيق برنامج الحزب في الاصلاح اللامركزي . وخاصة بعد ان ارتفعت اصوات كثيرة في الاجزاء العربية من الدولة بطلب الاصلاح ، وقد ارسل الصدر الاعظم بلاغا الى الولايات لجمع مجلس الولاية العمومي في كل منها للمذاكرة في الاصلاحات المطلوبة وتنظيم اللوائح بمطالب السكان ، وتشكلت جمعيات اصلاحية كان اهمها الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت . وكان جوهر الحركة الاصلاحية هو ادخال قدر كبير من الحكم اللامركزي ، ونقل السلطة الى السكان المحليين ، وضمان مركز اللغة العربية في الادارة المحلية والتعليم .
٢٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٢١ .
٢٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/١٠ .
٢٩ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١/١٥ .

الا ان اهم المواضيع التي شغلت الصحافة الفلسطينية في تلك الفترة ، والتي طغت على غيرها من المواضيع ، هي ملاحقة البيوع للصهيونيين ، ومع وجود القيود على شراء الاراضي لليهود الاجانب ، فقد اتخذوا لهم سماسرة من اليهود العثمانيين لابتياع الاملاك باسمائهم . وكانت معظم البيوع في منطقة حيفا تتم باسم هرون ايزنبرغ اليهودي من يافا . فقد اشترى خلال سنتين ما قيمته (٤٢٫٠٠٠ ليرة) في قضاء حيفا (٣٠) . وكذلك كان دكتور مويال يسعى بواسطة احد وجهاء الرملة لمشترى ربع قرية الكنيّسة من اصحابها الفلاحين « ... وماليته لا تعد بالآلاف » (٣١) وكشفت « مرآة الغرب » (٣٢) الاساليب التي يلجأ اليها المستوطنون اليهود لامتلاك البلاد بأموالهم « ... من استعطاف متصرف ، الى التماس وال ، والى اغراء ذي ملك الى رشوة ذي نفوذ ، الى اطماع فقير ، الى خدع فلاح ، الى نصرة سياسي ... وغير ذلك من الفنون وضروب السياسة التي امتلكوا بها اراضي واسعة في نواحي طبريه ومرج بن عامر ولواء عكا وحيفا وساحل يافا وجوار القدس حتى توصلوا الى نواحي غزة » . وقد استغرب صاحب (الكرمل) كثرة هذه البيوع في مقال له جعل عنوانه « هجوم من كل الجهات ياهو واحدة واحدة » (٣٣) فقد سمع عن خبر مفاوضات بين الصهيونيين وصاحب اراضي الناصرة (جرجي لطف الله سرسق) ، وبينهم وبين اصحاب قرية سارونة ، وبينهم وبين بعض اصحاب الاراضي في حيفا ، وكذلك اخبار رهن جيدا وتل الشمام وبيوع تجري في يافا ومتصرفية القدس ، وتساءل « ... فما هذا الهجوم من كل الجهات ؟ أيريد الصهيونيون ان يستولوا على فلسطين دفعة واحدة ، او يريد اهلها ان يبيعوها ؟ ام هي فرصة يريد الصهيونيون اغتنامها في عهد الحكومة الحاضرة ؟ اين الاوامر بمنع البيع لهم وباسمائهم المستعارة ؟ اين حزب الائتلاف الذي كان يشكو من ترخيص الاتحاديين للصهيونيين بالتملك والتوطن في فلسطين ؟ لماذا لا نسمع له صوتا ؟ » .

لقد كان يرافق هذا التقدم الصهيوني احساس بخطر يهدد الوجود العربي كله في المنطقة ، وقالت الكرمل (٣٤) : « يبدو لنا ان الحركة الصهيونية تتقدم بانتظام ونحن نتقهقر ونطبق حركة تقهقرنا على النظام ... » . ومع اخبار عمليات بيع قرية ابو شوشة (قضاء يافا) ذكرت (فلسطين) (٣٥) « ... انه ما دام الصهيونيون يستولون على البلد قرية قرية ... فغدا تباع القدس بأجمعها وفلسطين بكلها ، فاذا لم نتدارك الامر كان حظ الدولة فيها حظها في طرابلس الغرب او ربوع البلقان » . واشار كاتب في

٣٠ ـ **الكرمل** ١٩١٣/١/٧ ، تشير الجريدة ان المضبطة البرقية التي ارسلها مجلس ادارة يافا الى مجلس ادارة حيفا تؤيد بصراحة ان ثروة ايزنبرغ هي ١٤ الف ليرة فقط وتتساءل « فمن اين اتت بقية الثروة » .
٣١ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٢/٢٢ وتذكر ان مويال كوفىء على تطوعه في الجيش بتعيينه طبيبا لبلدتي الرملة واللد .
٣٢ ـ **مرآة الغرب** ، اول كانون الثاني (يناير) ١٩١٣ .
٣٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٢٠ .
٣٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .
٣٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١/٢٥ .

(المقتبس) (٣٦) الى ان « مستقبل فلسطين زاهر بعكس مستقبل الفلسطينيين ، فانه مظلم جدا لان خمس الاراضي الزراعية بيد الصهيونيين الذين زادوا عن سبع السكان الاصليين ، ويتوقع – لو استمر الحال هكذا ، من مساعدة الموظفين ورجال الحكومة على تخليص البلاد من ايدي اهلها الى ايدي المستعمرين – ان تصبح فلسطين يهودية ، يضطر الى هجرها بحكم تنازع البقاء المسلم والمسيحي». وتذكر الكرمل (٣٧) دوما بمطامع الجمعيات الصهيونية التي تبغي الاستيلاء على اخصب بقاع بلادنا وعلى موارد رزقنا « وبالنتيجة لتستأصلنا من قسم كبير منها وتحل فيه محلنا وتوجد لها قومية وتقيم حكومة على حسابنا ... » .

وخوفا من هذا المصير المظلم ، كانت تلك الانتقادات العنيفة التي وجهت الى الزعماء والاعيان الذين تهاونوا في بيع الاراضي ، او تواطئوا مع السلطات المحلية لاتمام عمليات البيع ، كما حدث في قرية « كركور وبيدوس » بعد ان ثبتت صحة شائعة البيع ووافق اعضاء مجلس ادارة حيفا على ان تنتقل القرية باسم (هرون ايزنبرغ) (٣٨)، وخاطب نصار الاعيان قائلا « اليوم تقررون وتبيعون وتنقصون عديدكم وثروتكم بأيديكم وبأختامكم وتزيدون عديد الغير وثروته وملكه ، فاذا قوى عليكم وعاملكم كما يعامل القوي الضعيف ، فالى من تشتكون وعلام تعتمدون ؟ » . واسترجع كاتب في المقتبس (٣٩) ذكرى مزارعي قرية الفولة التي كانت من اقوى قرى مرج ابن عامر (يزراعيل) ، وما آل اليه امرهم من التشتت ، ليذكر الاعيان بالقتيل العربي الذي قتله احد الصهيونيين بدء ايام احتلالهم قرية الفولة ، معتبرا استيلاء الصهيونيين على البلاد « كاحتلال ولكن بقوة الذهب لا بأس الحديد ... » . وتولت جريدة فلسطين (٤٠) حملة مشابهة في ولاية القدس ضد عملية بيع سيقوم بها مجلس ادارة القدس لبيع طواحين نهر جريشة (العوجة) الى المستعمرين الصهيونيين بواسطة احد الاعيان (الحاج يوسف وفا) ، ولكن احتجاج الاهالي لدى القائمقام على بيع الطواحين ، لانها ضرورية لبلدهم ، دفع القائمقام الى رفض البيع وقرر ضرورة مشتراها للمنفعة العامة . وكان انتقاد صاحب الكرمل للزعماء شديدا في افتتاحية العام الخامس للجريدة (٤١) ، اذ بعد ان بين لهم الاخطار التي تهدد حياتهم الاقتصادية والقومية ، يتساءل « ... ماذا يكون شعورنا واعتقادنا بالشعب الذي ما زال زعماؤه وكثيرون منهم من طلبة الاصلاح ، والمتظاهرين بالغيرة على سلامة الوطن يبيعون للصهيونيين ويشتغلون لهم كسماسرة ... وبعد ان رأينا الذين اقسموا لنا من الزعماء بان لا يبيعوا للصهيونية ويقاوموها انفسهم يبيعون ولا نسمع احتجاجا ولا نرى اهتماما ودلائل خوف من خطر داهم على حياة واستقلال وطن ... » .

---

٣٦ – **المقتبس** ، ١٩١٢/١٢/١٩ .
٣٧ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٣/٢٧ .
٣٨ – **الكرمل** ، ١٩٢٠/١٢/١٠ .
٣٩ – **المقتبس** ، ١٩١٣/١٢/١٩ وكانت تنقل معظم اخبارها عن الكرمل .
٤٠ – **فلسطين** ، ١٩١٣/٢/٢٢ .
٤١ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .

ووجهت الصحافة المحلية جانبا كبيرا من الانتقاد الى الموظفين المحليين لتهاونهم وتسهيلهم عمليات البيع ونقلت (المفيد) (٤٢) عن (الكرمل) اخبار تواطؤ متصرف عكا وقائمقام حيفا لاتمام بيع كركور وبيدروس لهرون ايزنبرغ ... واسفت لانه حتى في مثل هذه الاوقات الحرجة لا يزال بعض المتصرفين والقائمقامين جاهلين او متجاهلين لغايات الصهيونية . واحتجت الكرمل (٤٣) على قائمقام صفد الذي اصبح آلة بيد الصهيونيين ويعمل على خدمة وكلاء الاستعمار الصهيوني ، وبمناسبة قدوم متصرف جديد الى عكا نبهت الكرمل (٤٤) الى اهمال شؤون اللواء خلال السنين الاربع الاخيرة « ولم يرج فيه الا البيع للصهيونية ودخول مهاجري الصهيونية ومهاجرة اهله منه الى البلاد الغربية ... » . وهذا الهجوم العنيف الذي شنه نصار عرّضه للمحاكمة من جديد ، فقد تقدم اعضاء محكمة عكا بدعوى الذم والقدح عليه ، وبعد اجراء المحاكمة واستماع مرافعات نصار ، قررت المحكمة في حيفا في ١٩١٣/١/٤ بالاتفاق تبرئته من الدعوى (٤٥) . الا ان الصحف لم تكف عن تذكير الموظفين المحليين بالقيود التي وضعت لحكمة وهي « بقاء هذه الاراضي تحت تصرف الامة وعدم انتقالها لايدي اجنبية » (٤٦) . ومع ان جريدة فلسطين كانت واثقة من ان كل تلك القيود لا جدوى منها (٤٧) الا انها كانت تحاول هي بدورها ان تدعو المسؤولين الى مراعاتها .

ولم تقتصر حملة الصحافة في فلسطين على التنبيه للخطر او مقاومة البيع ، بل سعت ان تنبه الى محاربة الصهيونية بنفس السلاح الذي تحاربنا هي به وهي دعوة لم تكن جديدة ، وقد توسعت فيما بعد – وذلك باصلاح حال المعارف ونشر التعليم ، وتنشيط الاهالي على تأليف الجمعيات والشركات الزراعية والاقتصادية التي تنهض بأحوال الزراعة وتحسن اساليب الفلاح ، وتستثمر امكانيات البلد، وتحفظ الصناعات التقليدية (٤٨) ، وهي لا تطلب من الحكومة ان تتولى كل شيء ، بل ترى ان على الناشئة المتعلمة ان تقوم بتأليف الجمعيات لتسعى بجمع الكلمة ، ونشر المبادىء الوطنية وتعليم الشعب الاعتماد على النفس والتضامن . كل هذه الامور التي تعمل

---

٤٢ – **المفيد** ، ١٩١٢/١٢/٢٦ .
٤٣ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .
٤٤ – **المرجع السابق نفسه** .
٤٥ – **المفيد** ، ١٩١٣/١/٦ كانت المرة الاولى التي قدم فيها نصار للمحاكمة يوم اقام الحاخام باشي لدى وزارة العدلية في الاستانة الدعوى عليه بداعي انه يطعن في اليهود ومعتقداتهم فحوكم وبرىء ، كذلك اقام عليه متصرف عكا دعوى بسبب مقالة كتبها بعنوان « كلنا بياعون » فحوكم وبرىء .
٤٦ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٢١ هذه الملاحظات وجهتها الكرمل بمناسبة قدوم الوالي الجديد (ادهم بك) بيروت .
٤٧ – جاء في **فلسطين** ١٩١٣/٢/٢٥ « ... ان كل ما فعلته الحكومة ضد هذا التيار ان قالت انني لا اسمح للصهيونيين بالاقامة في البلاد الفلسطينية ولكني اسمح لهم بالزيارة فقط على شرط الا تتجاوز مدتها ثلاثة اشهر ، فيا للعجب ، كيف يمكن للحكومة وهي عاجزة عن معرفة عدد الطلاب الموجودين في مدارسها في الوقت الحاضر ان تعرف عدد هؤلاء الزائرين وتخرجهم ؟ » .
٤٨ – **الكرمل** ، ١/٧ ، ٢/١٨ وفي عدد ١٩١٣/٢/٢١ نشرت الكرمل مقالا عن « مقومات نهضتنا الزراعية في سوريا » .

لخير الوطن الاقتصادي والسياسي هي بنظر الكرمل احسن بالنسبة للناشئة المتعلمة من «وضع افكارهم في مقالات يودعونها الصحف السيارة، وهذه قلما تأتي بنتيجة» (٤٩).

الى اي حد كانت استجابة الرأي العام في فلسطين لدعوة الصحافة الفلسطينية في هذه المرحلة ؟... لا شك ان عدد قراء الصحف كان محدودا ، وبين المثقفين من اهل المدن بوجه الخصوص ، واليهم كانت الصحف توجه دعوتها ، ولكن لو عرفنا ان قيادة الرأي العام في ذلك الوقت كانت من بين المثقفين من اهل المدن ، عرفنا مدى التأثير الذي مارسته الصحافة . ولكن هذا لم يمنع تمتع سكان القرى انفسهم بقدر كاف من الوعي يتيح لهم متابعة ما يدور حولهم ، واقرت بذلك مجلة ذي نير ايست (٥٠) . ولكن يلاحظ ان نصار كان يكرر شكواه من عدم الاستجابة الكافية من قبل الزعماء والحكومة ، وظل دائما يعيّر الشعب بعدم الوعي ، وعلق على ما قالته عنه مرآة الغرب (٥١) « لقد بح صوت صاحب الكرمل وهو ينبه القوم الى هذا الغريب الذي لا يلبث ان يصير صاحب البلاد ... » بقوله : « ... عجيب كيف ان صوتنا يسمع من وراء الاوقيانوسات الواسعة وتردد صداه صحف مواطنينا الكثيرة في المهجر ... وبعض الموظفين والمواطنين هنا يصمون آذانهم ويدعون الجمعيات الاجنبية تنفذ مقاصدها السياسية والاقتصادية فيهم وفي وطنهم كأنهم لا يشعرون ولا يبصرون ... » (٥٢) . وكانت تنتاب نصار احيانا موجة من اليأس تخيل له ان جهاده في السنين الاربع الاخيرة ذهب عبثا (٥٣) . حتى لقد ندم مرة على الوقت الذي صرفه ، والاجتهاد الذي اضاعه « صرنا نميل الى ترجيح فكرة ضرورة توسع الصهيونيين في سوريا وفلسطين حتى يضيقوا ولو بعض الضيق على الاهالي في الاراضي والموارد الاقتصادية ، فيشعر حينئذ هؤلاء بحرج مركزهم ويهبوا من نومهم ويلتفتوا الى اصلاح شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية» (٥٤) . وقد ساد لهجة (فلسطين) لفترة شعور التشاؤم ، وعدم اهلية المواطنين للعمل ، ودفعها ذلك الى عدم الخوض في الموضوع عدة اشهر (٥٥) . مع كل هذا ، فصاحب الكرمل نفسه لا ينكر ان عددا من المتنورين وارباب الصحف والموظفين قدّر له هذه الخدمة وادرك الخطر وصار يتعاون معه (٥٦) . وكانت الصحف الوطنية في خارج فلسطين ، التي وجه لها نصار انتقاده ، قد عادت لتشارك صحف فلسطين دعوتها ، والزعماء الذين اشتبه بأمرهم

٤٩ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣١ .

٥٠ – لفت نظر مراسل المجلة ، وهو يتابع صدى الحرب الايطالية على الرأي العام في فلسطين ، مطالعة الفلاحين الصحف باهتمام بالغ كظاهرة على شغف السوريين بأمور السياسة .
The Near East, 16/2/1912.

٥١ – **مرآة الغرب** ، ١٩١٣/١/١٥ .

٥٢ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٣/٧ .

٥٣ – بعث احدهم (م خ) من مصر رسالة الى نصار يلومه فيها لاضاعته الجهد والمال في اقناع الفلسطينيين وتنبيههم دون فائدة وخاصة انه لا حيلة امام الصهيونيين ومالهم وخطرهم ، حتى لقد ألمح ان هناك اتهامات توجه الى صاحب الكرمل بانه يبالغ في الهجوم كي ينال مالا من الصهيونيين . (**الكرمل** – ١٩١٣/١/٣١) .

٥٤ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣١ .

٥٥ – **فلسطين** ، ١٩١٣/٧/١٢ .

٥٦ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١/٣ .

اضطروا ان يبرروا مواقفهم على صفحات الصحف نفسها ، ويكفي مثلا على مدى الاستجابة العامة الضجة التي اثيرت في منطقة يافا (وتولتها جريدة فلسطين) حول بيع طواحين نهر جريشة (العوجة) وتركيب مستعمري ملبس آلة على النهر لري بساتينهم ، اذ كان احتجاج الاهالي بالعرائض هو الذي اوقف العمليتين (٥٧) . وحملة الكرمل (فيما بعد) ضد بيع الاراضي المدورة حركت الرأي العام للاحتجاج ، ودفعت الحكومة الى تغيير موقفها (٥٨) .

امر آخر يدل على مدى تأثير الصحافة الفلسطينية وقيمة الدعوة التي تبثها هو ان الصهيونيين انفسهم لم يستهينوا بها ، ومن هنا كانت الحملة الصهيونية المضادة لابطال مفعول هذه الصحف ، وذلك العدد الكبير من الكتاب اليهود الذي جند للرد في صحف عربية موالية تحت اسماء مستعارة في غالب الاحيان (٥٩) . وكانت الحملة المضادة تسير حسب خطوط تقليدية تصور ان مقاومة الصهيونية انما هي موجهة ضد الامة الاسرائيلية ، وانها تهدف الى تفرقة العناصر (٦٠) (وبهذه التهمة اوقفت الصحف الفلسطينية مرارا ، وحوكم اصحابها) ، او ان تصور هذه المقاومة مقتصرة على المسيحيين كنوع من اثارة بذور الشقاق والتفرقة الدينية (٦١) . وتجاوز هذا التقليد الى دعوة اليهود وغيرهم لمقاطعة (فلسطين) على صفحات جريدة (احيروت) العبرية في القدس ، وحملة من السباب والشتائم في (شركة الطباعة العربية) في يافا لصاحبها شمعون مويال ، بل ان احد الكتاب اليهود (وقع باسم محمد امين مدحت) دعا في (النفير) الى الهجوم على ادارة (فلسطين) وتحطيم المطبعة وزج صاحبها بالسجن (٦٢) . وشدت (الكرمل) أزر (فلسطين) في دعوتها ، ونبهت الحكومة الى تلك الضجة التي تثيرها (أحيروت) ، « وهي جريدة تعيش تحت سماء العثمانية وتخدم المبدأ الصهيوني » (٦٣) .

وعن طريق المقطم ، وجدت حملة الصهيونية المضادة بابا آخر ، رغم ان الصحافة السورية في مصر قد سكتت لبعض الوقت عن تناول المسألة الصهيونية ،

٥٧ – **فلسطين** ، ١٩١٣/٢/٢٢ .

٥٨ – انظر ص ١٧٩ وما بعدها من هذا الفصل .

٥٩ – كشفت (**فلسطين**) ان كاتبا يهوديا ، اطلقت عليه اسم الولد المشؤوم او القط الكثير الاسماء ، يراسل عدة صحف مسلمة تحت اسماء وهمية : سمع الطيب ، مصطفى الجماعة ونصحي مصطفى ... الخ (وربما كانت تقصد به نسيم ملول ...) وذلك للرد على اي خبر مهما كان بسيطا بمجرد ان يرى فيه كلمة اسرائيلي او اسرائيليين .

٦٠ – **فلسطين** ١٩١٢/١٢/٧ جاء في مقال افتتاحي « ... اننا لا نضمر في قلبنا بغضا لامة من الامم ، ولا ينوء ضميرنا بحمل حقد على طائفة من الطوائف . اننا نسعى لاسكان الاديان في مكانين شريفين ... الا وهما القلوب والمعابد » .

٦١ – **فلسطين** ١٩١٢/١٢/١٨ يقول العيسى ان مقالات فلسطين الوطنية كانت تلقي تأييدا « بجرأتها التي ابدتها والحق الذي جاهرت به حتى على انفسهم كمسيحيين » وكانت تشير بذلك الى الحملة التي تولتها ضد سيطرة رجال الدين اليونان على الكنيسة الارثوذكسية الوطنية .

٦٢ – **فلسطين** ، ١٩١٣/١٢/٧ .

٦٣ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١٢/٢٤ .

الا ان ذلك لم يمنع المقطم ان تفتح للكتاب الصهيونيين اعمدتها ، لمتابعة دعوتهم حول المنافع والخبرات التي ادخلها الصهيونيون في فلسطين « فاستفادوا وافادوا» وشبّه بعضهم هذا الدور بما فعله السوريون في مصر (٦٤) . ثم كتابة المقالات المطولة للدعوة الى بعث الحياة القومية لليهود في مصر واحياء اللغة العبرية (٦٥) . واشارت المقطم الى انشاء جامعة اسرائيلية لاحياء اللغة والتاريخ العبريين وجهت الدعوة لها جمعية (بلدة صهيون) (٦٦) ، ونشرت اخبارا مفصلة عن نشاط الجمعيات الصهيونية المتعددة التي انتشرت في مصر ، والتي وجد فيها احد الكتاب « بارقة نهوض اومضت هذه الايام ... بانشاء جمعيات لجمع الكلمة واحتذاء مبادىء الصهيونية » منها جمعية (بلدة صهيون) واخوة صهيون والنادي الاسرائيلي الاهلي والنجم الاسرائيلي ولجنة الدفاع عن شرف الاسرائيليين في وادي النيل (٦٧) . ونوه احد الكتاب بالاحتفالات الكبرى التي اقيمت احياء لذكرى هرتزل «امام الصهيونية العظيم» (٦٨) ، واستعرض كاتب آخر تاريخ الحركة الصهيونية التي هي « السبيل الوحيد لصيانة الحياة الاسرائيلية من هاوية الدمار » (٦٩) ، ولمح آخر الى ثلاثة كتب عن المسألة الصهيونية تم طبعها فيما بعد وفيها « يجد المكابرون والناقمون الردود التي يشتهونها عساهم ان يتحفونا بسكوتهم ... » (٧٠) .

واثير بين المقطم وصحف فلسطين (الكرمل وفلسطين) جدل جديد ، بمناسبة قضية تسكين مهاجري البلقان من المسلمين في سوريه . وكانت الكرمل (٧١) قد دعت الحكومة والصحف والمواطنين الى ضرورة اسكان هؤلاء المهاجرين في فلسطين وان تشتري لهم الحكومة القرى التي يبيعها اصحابها « ... فهذا اضمن لمستقبل العثمانية من الافساح للجمعيات الصهيونية بالاستعمار ونقل المهاجرين الصهيونيين بالالوف الى البلاد » . وهاجمت المقطم (في رسالة بعثها مراسلها من بيروت) فكرة زرع المهاجرين الاتراك في سوريه ، ووجدت فيها خطة خفية رتبتها الحكومة اضعافا للجنسية العربية بادخال العناصر الاجنبية . ولم تتعرض من قريب او بعيد الى خطر آخر يبدو اكثر جسامة هو الخطر الصهيوني ، فعجبت الكرمل (٧٢) « لاهتزاز احد مكاتبي

---

٦٤ _ **المقطم** ، ٤/١٤ كان جانب من هذه المقالات ردا على ما كتبه شكيب ارسلان حول دحض دعوى فائدة الصهيونيين .
٦٥ _ **المقطم** ، ٧/٣١ ، ٩/٦ ، ١٩١٢/١٠/١٧ .
٦٦ _ **المقطم** ، ١٩١٢/١٢/٩ : القيت الخطب والمحاضرات داخل صالة سينما بالاس بالظاهر على ان تكون الدروس الاخرى داخل المدرسة الاسرائيلية الجديدة للاليانس ، وقد عين للجامعة المسيو ليفي الصحافي رئيسا كما وكان رئيسها الفخري هو يوسف قطاوي .
٦٧ _ **المقطم** ، ١٩١٢/٧/٩ وفي المقطم ١٩١٢/٩/٢٨ يقول (مصرايم آدج) « ... واتخذ (النجم الاسرائيلي) مكانا فسيحا لجمعية بجهة غمرة كما تأسس في جهة الظاهر ناد جديد يعرف بنادي هرتزل » .
٦٨ _ **المقطم** ، ١٩١٢/٧/٩ .
٦٩ _ **المقطم** ، ١٩١٢/١٠/٩ .
٧٠ _ **المقطم** ، ١٩١٢/١٠/٢٨ .
٧١ _ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٢/١٣ .
٧٢ _ **الكرمل** ، ١٩١٢/١٢/٢٠ .

المقطم لدخول مائة تركي بل مائة عثماني الى سوريا هربا من ويلات الحرب ... وعهدنا بالمقطم مفتوح الصدر لمقالات الكتبة الصهيونيين الذين جاهروا في مئات منها على صفحاته بكون البلاد السورية قليلة السكان وان الصهيونيين آتون لاستعمارها واستثمارها » . وتساءلت ان « ... مثل المقطم لا يجهل مقاصد الصهيونية القومية ومراميها الاستقلالية ... ليس من المعقول ان يكون امثال (الدكاترة) (٧٣) غير مطلعين على الانسيكلوبيديا اليهودية والحركة الصهيونية وتصريحات زعمائها ... فكيف لم يخف المقطم على العرب وعنصرهم من الصهيونية التي تخيف حركتها اعظم الممالك واكثرهم الماما بفنون الاقتصاد ولم يكتب كلمة تحذير فيها » . واكتفت جريدة **فلسطين** (٧٤) التي اشتمت وراء هجوم المقطم دسا صهيونيا بهذا التعليق الساخر : « لسان حال الصهيونيين ... في رسالتهم الى المقطم يقول ما هذا الظلم ، ما هذا التعدي ، نحن نسعى لحمل اهالي سوريه وفلسطين على المهاجرة وترك مسقط رؤوسهم وانتم تأتونا بقوم جديد من الاغيار اهالي مكدونيا ؟... » .

وكان لا بد للمقطم ان ترد ، ولكنها تناولت الموضوع من زاوية واحدة : هل تشكل هجرة الاتراك الى سوريه خطرا حقيقيا على العنصر العربي او لا ؟ فكتب مراسلها من دمشق (٧٥) بانه حتى لو كانت خطة الحكومة اضعاف الجنسية العربية بادخال العناصر الاجنبية ، فهذا غير ممكن ، لان كل العناصر التي قدمت لها سابقا سرعان ما اندمجت في سكان البلاد ، ولا خوف على العرب ولا على الجنسية العربية من مهاجرة الاتراك ولكن الاقرب الى العقل ان تغلب عليهم العربية . وكي يهدىء من حملة منتقدي المقطم اشار المراسل الى هجرة الاتراك الى سوريه وانها لا تشبه في اي حال هجرة الصهيونيين ، اذ ان الاخيرين الذين ساد نفوذهم ، واستأثروا بمرافق البلاد الاقتصادية ، لهم ميزات على اهل البلاد لا تتوافر لمهاجري (الروملي) ، وهذه الميزات هي الامتيازات الاجنبية وتفوقهم على الوطني في المعارف والصناعة وزراعة الارض ، ثم وجود جمعيات تمدهم بالمال اللازم لكل مشروع واخيرا تضامنهم الشديد حتى لا يستخدم احدهم اجنبيا . وبهذه الاسباب _ وغيرها _ توفر للمهاجر الصهيوني ان يبز الوطنيين ويسبقهم في اعمال الاقتصاد والعمران ، وهي لا تتوفر لمهاجري الروملي الذين لا يفوقون اهل البلاد بل لا يساوونهم . واشترك نسيم ملول، مراسل المقطم في يافا ، في هذا الحوار (٧٦) متظاهرا بانه يدافع عن الهجرة بوجه عام الى سوريه ، ولكن كان غرضه فلسطين بالذات ، والهجرة اليهودية اليها . محتجا بان سوريه مترامية الاطراف ، بحاجة الى مهاجرين من كل الانواع ، وبحاجة الى المال والعمل والمعارف ، وضرب الامثلة بما قام به المهاجرون الصهيونيون ، وقال « ... ليأتنا الطرابلسيون والاتراك ايضا ... وليأت الينا الاسرائيليون فيستفيدوا ويعمروا ، فاننا في احتياج عظيم الى الرجال العاملين النشطين ، ليحيوا موات الارض ويحيوا قلوبنا المائتة ايضا ، فان العمران اساس الاصلاح والترقي ... » .

---

٧٣ _ يقصد بالدكاترة فارس نمر يعقوب صروف من اصحاب المقطم .
٧٤ _ **فلسطين** ، ١٩١٢/١٢/٢٥ .
٧٥ _ **المقطم** ، ١٩١٢/١٢/٣١ .
٧٦ _ **المقطم** ، ٣ و ١٩١٣/١/١٥ .

هدأ هذا الجدل الصحفي ، مع تطور جديد كان يحدث في الاستانة ، اذ ان هزيمة القوات العثمانية امام جيوش حلف البلقان ووقوفها امام ابواب ادرنة ، وبدء مفاوضات السلم ، قد اعطى الاتحاديين فرصة اسقاط الوزارة الائتلافية برئاسة كامل باشا (١٩١٣/١/٢٣) بحجة هياج الرأي العام في الاستانة وطلبه استئناف الحرب ، وعهد الى محمود شوكت امر تأليف الوزارة . والتغير الوزاري الجديد لم يكن له اثر كبير لدى الرأي العربي في سوريه وفلسطين ، اذ كما قالت رسالة القنصل البريطاني في القدس (٧٧) « ان اخبار انقلاب الاستانة لم تستقبل بحماس ، لان كل السكان الذين انهكتهم المساوىء الاقتصادية قد تطلعوا الى السلم باي ثمن ، بصرف النظر عن نتائجه السياسية » . ويضاف الى القلق الذي بدأ يساور العاملين بحركة الاصلاح التي بدأت في عهد الوزارة السابقة ، فانه فيما يتعلق بالمسألة الصهيونية ، لم يكن للاتحاديين سند كبير لدى الرأي المحلي لما بدا من ميل الحكومات الاتحادية وموظفيها في السابق لمناصرة الصهيونية . ولكن الصحف في فلسطين كانت حذرة ولا تزال تنتظر ، بل ان (الكرمل) اوضحت في كتاب مفتوح (٧٨) الى اعضاء الوزارة الجديدة انه لم يبق للترك عنصر كبير غير العرب ليعتمدوا عليه في المحافظة على ما بقي من الملك وتقويته. واتخاذ هذا الموقف لم يكن يعني ـ كما بين صاحب الكرمل ـ (٧٩) انه من انصار الوزارة او يدافع عنها ، اذ لن يكون ذلك قبلما تبين ابتعادها عن الصهيونية وعدولها عن سياسة تتريك العرب . امر آخر دفعه الى التحفظ في انتقاد الوزارة الاتحادية من زاوية المسألة الصهيونية : اذ مع كون الوزارة الائتلافية كانت اقل ميلا للصهيونية من الوزارات الاتحادية التي تقدمتها ، الا ان موظفيها لم يظهروا اقل عناية في مقاومة البيوع الصهيونية ودفع خطرها عن البلاد ، « فقد جرت في مدة والى بيروت (ادهم بك) ، وهو من لب الائتلافيين الذين كانوا يناوئون على المنابر الرسمية الصهيونية ، ويتهمون الاتحاديين بالميل اليها ، بيوع للصهيونيين بظرف شهرين او ثلاثة في فلسطين اكثر من البيوع التي تسامح لهم فيها الموظفون الاتحاديون في ثلاث سنين ، وهذه وقائع ثابتة بالفعل لا يمكن انكارها » . ومن جهة اخرى كان لا يزال يأمل « ان الاتحاديين ، بعد ان عرفوا اغلاطهم السابقة وقاموا بعمل الانقلاب الاخير ، بحجة انقاذ الوطن ، ان لا يدعوا فلسطين تسقط عفوا في ايدي الاجانب الطامعين فيها » . وينتهز هذه الفرصة لينبه موظفي الحكومة الاتحاديين وانصار الاتحاديين في هذه البلاد ، « بان اقل تساهل مع الصهيونية يضعف الايمان بوطنهم ، ويفتح مجالا لخصومهم عليهم ، ويبعد اصدقاءهم عنهم ، ويرجو منهم ان لا يقتصروا على مقاومة البيوع الصهيونية ، بل ينتبهوا الى محاربتها بنفس السلاح الذي تحاربنا هي به ، باصلاح حال المعارف ، ونشر التعليم على المبادىء الوطنية ، وتنشيط الاهالي على تأليف الجمعيات والشركات الزراعية والاقتصادية ... » .

ولكن التوقعات المتفائلة لم تدم طويلا ، فكثير من معاملات البيع الكبرى التي

---

٧٧ ـ رسالة القنصل في القدس ماكجريجور ١٩١٣/١/٢٩ الى لوثر F.O. 424/242

٧٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/١٨ (مقال افتتاحي بعنوان « الوزارتان ») .

٧٩ ـ **العدد نفسه** .

بدات في عهد الوزارة السابقة قد استمرت (قرية ابو شوشة مثلا قرب الرملة) . وحاول (عارف العارف) في رسالة بعثها من الاستانة الى (فلسطين) (٨٠) ان يثير غيرة المتصرف الجديد (خير الدين) حتى يمنع اتمام عملية البيع ، مذكرا اياه بماضيه كصحفي في جريدة (علمدار) (٨١) ، الا ان عملية البيع قد تمت في القدس مع ان القرية تخص يافا (٨٢) ، واكدت استمرار عمليات البيع جريدة جويش كرونيكل (٨٣) فأشارت الى « ان الحكومة التركية قد صادقت على عمليات الشراء في السامرة والجليل التي تولتها شركة « تطوير الاراضي » وبلغ مجموع المبلغ الذي دفعته ٧٥٠ر٠٠٠ فرنك » (٨٤) .

وهكذا ، فقد وجد عرب فلسطين ، كما اشارت الكرمل (٨٥) ان الحكومات ـ على اختلاف نزعاتها ـ تتساهل مع الصهيونيين وتجاريهم في استعمارهم ... « فعبثا يحاول الوطنيون المخلصون الوقوف في وجه التيار الصهيوني ... » . وجهت الكرمل هذا اللوم بسبب محاولات الصهيونيين منع شراء دير الروم الارثوذكس في القدس لاراضي قرية قيسارية (جنوب حيفا) لابقائها اثرا دينيا ، ونجحت حملة الدس الصهيونية في دفع السلطات المحلية الى ارسال لجان كشف متعددة لاراضي قيسارية (٨٦) . ووجدت الكرمل في ذلك دليلا على ان « الحكومة تتحرك بعوامل الصهيونيين وتنطبق آمالهم على آمال الحكومة ... في حين ان القرى والامصار تباع الى الصهيونيين وتقوم حولها جلبة وضوضاء ... فلا تكلف هيئة من الهيئات خاطرها بالبحث » ووجدت (فلسطين) ان هذه الاشاعات تبرير لعمليات بيع جديدة

---

٨٠ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١/٢٥ .

٨١ ـ اشار عارف العارف في مقاله الى ما كانت تنشره « علمدار » من المقالات المطولة عن الصهيونيين في فلسطين ومنها المقال الذي نشر في ١٣٢٧/١/٢ هـ اثر محاولة حقي باشا الصدر الاعظم رد التهم عنه في المبعوثان .

٨٢ ـ كانت هذه ظاهرة قد لاحظتها جريدة فلسطين في بيع القرى الى الصهيونيين مثل (كفر ورية وابو شوشة) اذ تنقل المبايعة من يافا الى القدس لابقائها في طي الكتمان « لان مأمور طابو يافا ليس لديه من الجسارة ما لمأمورية القدس » . وقد كتبت **فلسطين** ، ١٩١٣/١/٢٩ ان عينتابي كان وكيل المستعمرين في لجنة المبايعات وبتأثيره صادقت اللجنة على بيع (ابو شوشة) واعطت امرا لمأمور طابو يافا لاخراج (القواشين) النظامية .

٨٣ ـ Jewish Chronicle, 31/1/1913.

٨٤ ـ في رسالة ماندل المذكورة سابقا (ص ٣٢٣) قائمة عن مساحة الاراضي الريفية (بالدونمات) التي اشتراها الصهيونيون خلال ١٩١١ ـ ١٩١٢ (من رسالة من ثون (Thon) مدير شركة تطوير الاراضي الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، موجودة في الارشيف الصهيوني في القدس) وهي : الفولة ٥٠٠ر٩ ، جمامة (قرب بئر السبع) ٦٠٠ر٥ ، بئر عداس (قرب كفر سابا) ٢٠٠ر٤ ، زيتة (قرب الخضيرة) ٢٠٠ر١ ، كفر ورية ٨٠٠ر٤ ، كركور (بين الخضيرة وزخرون يعقوب) ٤٠٠ر١١ ، ابو شوشة (قرب الرملة) ٧٠٠ر٦ ، دلب وقلندية (قرب القدس) ٠٠٠ر٣ ، المجموع ٤٠٠ر٤٦ . وهذا باستثناء الاراضي في المدن (القدس ، يافا ، حيفا) .

٨٥ ـ نقلت **المقتبس** في ١٩١٣/٢/١٨ عن الكرمل هذا المقال (الصهيونيون لا يفترون) .

٨٦ ـ من جملة الدس الذي لجأ له الصهيونيون لدى السلطات لمنع البيع ان البطريركية تنوي انشاء حصون وتهريب الاسلحة والعاديات .

لقرى اخرى ، وتعلق ساخرة « ... الا فليكفونا وليكفوا انفسهم ايضا مؤونة هذه الاشاعات ... فان لديهم من الاموال والسماسرة والشعب المائت والمأمورين المتساهلين ما سيوصلهم يوما ما الى غايتهم بدون هذا الطريق الطويل العريض ... » (٨٧) .

٢ ـ الحرب البلقانية وآثارها على المساعي الصهيونية الدبلوماسية في الخارج :

ومما كان يزيد الشكوك في الوزارة الجديدة ، ترحيب الدوائر الصهيونية بها ، وعللت الجويش كرونيكل (٨٨) ذلك بكون الوزارة التي سقطت تمثل زعماء حزب ، سياستهم ـ كما تسميها ـ المعاداة للسامية . كما اشارت (٨٩) الى عزل متصرف القدس « خير الدين » واتهمته بانه زعيم الحزب المناوىء لليهود واستبدلته بماجد بيه وهو ـ على حد قولها ـ « ذكي ومتنور وصديق لليهود ... » . ولكن يبدو ان الاسباب كانت اعمق من ذلك ، فقد استغلت الصهيونية ظروف الحرب البلقانية ، لدفع المشاريع الصهيونية خطوات واسعة الى الامام . ولتحقيق ذلك اتبعت عدة سبل : النفوذ المالي الذي يتمتع به المولون اليهود في العالم ، اثارة اهتمام عالمي باوضاع اليهود في البلقان الذين خرجوا من سلطة الدولة العثمانية ، واخيرا توسط الدبلوماسية الدولية لممارسة ضغطها على تركيه لمنح اليهود تسهيلات الهجرة والاستيطان وازالة القيود المفروضة ضدهم . فقد كان معروفا للدولة العثمانية الدور الذي يقوم به المولون اليهود في البنوك العالمية منذ مفاوضات « جاويد » لعقد القرض الاول . واستغل الصهيونيون حاجة الحكومة الملحة الى المال ـ وخاصة بعد مآسي الحرب البلقانية والايطالية ـ الى ممارسة الضغط للحصول على امتيازات جديدة في فلسطين ، او على الاقل ، ازالة القيود التي تقف في طريق تقدم المشاريع الصهيونية . وكانت قد بدات منذ عهد الحكومة الائتلافية مفاوضات بين الصهيونيين (جاكوبسون وهوخبرغ) واعضاء في الحكومة للحصول على سند مالي ودعم في الصحافة الاوروبية ، مقابل الاعتراف بالاهداف الصهيونية (٩٠) . ولم تتوقف هذه المفاوضات بوصول الاتحاديين ثانية الى السلطة في ١٩١٣/١/٢٣ . ومع ان الدول الكبرى الثلاث (انجلتره والمانيه وفرنسه) قد اتفقت على تبادل الآراء فيما بينها ، بحيث لا تسمح باتمام قرض كبير من الهيئات المالية الالمانية والفرنسية والبريطانية ، ما لم يتم الاتفاق على ترتيبات اشراف دولي على المالية العثمانية وزيادة الحصول على الامتيازات (٩١) ، ولكن لا يشك بان الدولة العثمانية كانت لا تزال تعتبر يهود اوروبه مصدر دعم للمالية العثمانية . وربما لهذا السبب قام « جاويد » برحلته الى اوروبه (آذار ، مارس ١٩١٣) لاتمام عملية قرض جديد ، ولعب الدور الكبير في هذه

---

٨٧ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٢/٥ .

٨٩ ـ **Jewish Chronicle, 7/2/1913.**

٨٨ ـ **Ibid, 14/2/1913.**

٩٠ ـ Mandel, N., (Unpublished Thesis), p. 325.

٩١ ـ رسائل متبادلة بين الخارجية البريطانية وسفارتها في برلين ، كانون الثاني (يناير) ١٩١٣ . F.O. 371/1783.

المفاوضات الى جانب Deutsche Bank سير ارنست كاسل وسالم مدير بنك سالونيك (٩٢) .

ومن اجل اثارة اهتمام دولي باليهود في الدولة العثمانية ، شنت حملة أعلامية نشطة حول اوضاع اليهود في المناطق التي تحررت من الحكم العثماني ، وخاصة حوادث الاضطهاد التي وقعت على اليهود في سالونيك (٩٣) . وقد هدفت الحملة الى اظهار موالاة اليهود للدولة العثمانية ، ثم التمهيد لمشروع جديد كان يفكر به زانغويل لاقامة دولة يهودية في سالونيك مستقلة ذاتيا تحت حماية دولية ، مقابل قرض يتقدم به ممولو اليهود الى الدولة البلقانية (٩٤) .

ولكن الهدف الاصلي لهذه الحملة هو توجيه الاهتمام الدولي لصالح الاهداف الصهيونية في هذه المرحلة الحاسمة ، حيث تدور مشاورات السلم في لندن . وطرحت المسألة الصهيونية ككل امام الدبلوماسية الاوروبية كي تمارس الضغط على تركيه للحصول على تنازلات ، وذلك بالتلميح الى القوى التي تقف وراء الصهيونية في الدوائر المالية والصحفية والسياسية في اوروبه واميركه .

وقد شرح ذلك مطولا نوردو ، رئيس المؤتمر الصهيوني العاشر ، في رسالته الى التايمز (١٩١٢/١٢/٣٠) (٩٥) ، وهو كيهودي يهمه في قضية الصراع في البلقان مشكلة الشعب اليهودي ، التي يخشى ان يتجاهلها مؤتمر السلم المجتمع في لندن ، لانه ليس لهذا الشعب ، برأيه ، صوت في مجالس الامم ، مع ان المسألة تتناول وضع ١٦٠,٠٠٠ يهودي في شبه جزيرة البلقان عليهم ان يغيروا وضعهم السياسي وعلى حد قوله : انه « قدر شعب مشتت في انحاء الارض ، يجبر ان يكيف نفسه في كل مكان » . ولكن نوردو كصهيوني يقول : « يجب ان لا تكون لنا غاية سياسية خارج فلسطين » مع انه يسره ـ على كل حال ـ ان يثبت يهود سالونيك وجودهم ، وان يكونوا قادرين على تحمل مسؤولية حكم ذاتي محلي امام اعين اوروبه الناقدة ... الا ان القضية الهامة ـ بنظر نوردو ـ والتي تتعلق بأمن الشرق الادنى الدائم ، هي قضية قوة واستقرار ما تبقى من الامبراطورية التركية بعد توزيع الولايات الاوروبية السابقة .

---

٩٢ ـ **المقطم** ، ١٩١٢/١١/٢٨ .

٩٣ ـ اثارت جويش كرونيكل ضجة حول ما وقع من اضطهاد القوات اليونانية ليهود سالونيك وبعد التحقيقات التي قامت باجرائها الهيئات القنصلية البريطانية في المنطقة، وكذلك ما اوردته التايمز من مراسلها ، تبين عدم صحة هذه الضجة . F.O. 424/235, 236.

٩٤ ـ **The Near East, 15/11/1912.**

وقد حاول دونمة سالونيك دفع هذا المشروع خطوات الى الامام فرفعوا مذكرة الى مؤتمر لندن يطلبون استقلال منطقة سالونيك على اساس عرقي . واشار لوثر في رسالته ١٩١٣/١١/١٨ . **F.O. 371/1794.**

« ان هذا يثير مشكلة فيما اذا كان اليهودي يمثل عقيدة او عرقا » ، واضاف « ان المذكرة تبدو محاولة خادعة لحث الدول على بدء مناقشة مشكلة غير قابلة للحل عمليا » .

٩٥ ـ ارفق لوثر هذا العدد من التايمز في رسالته الى غراي ١٩١٣/١/١٧ . F.O. 424/240

بعد هذه المقدمة الطويلة، يعرض نوردو النقطةالاساسية التي تهمه (كصهيوني) : انه لاعتبارات عديدة ، يطالب المجتمعين دعم الجهود الصهيونية في فلسطين « ... من المؤكد انه عندما تنتهي الحرب ، يجب ان تنمى موارد تركيه الى اقصى حد من اجل المصلحة العامة . تركيه الضعيفة التي يسهل مهاجمتها سوف تكون اغراء مستمرا لهدم السلام ... في هذا البعث التركي ، فان رعايا الامبراطورية من اليهود الذين سيبقى منهم حوالي ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة سيتحملون بولاء حصتهم كاملة من العمل والجهد الوطنيين ... هذه التجربة اليهودية التي تكررت في بلاد اخرى ليست غائبة كلها في الامبراطورية العثمانية ...» . فنوردو يعتبر ان التطلع العاطفي نحو فلسطين، التي يتركز فيها النشاط الصهيوني، والتي يرغب يهود العالم كله لا يهود الامبراطورية العثمانية فقط في ممارسة فعاليتهم فيها ، « ... لا يجب ان تطرح جانبا حيث يمكن ان تستخدم بشكل مثمر لتطوير الموارد التركية من اجل تقوية الامبراطورية ، وبالتالي من اجل ضمان السلم ... » . ولذلك وجد نوردو مناسبا ، بسبب الاحداث الجارية ، ان يعرض امام الدولة العثمانية ، وامام الدول المطلب الصهيوني ، ويعيد التأكيدات التي دأب الصهيونيون على ترديدها منذ تغيير نظام الحكم في تركيه سنة ١٩٠٨ : بانهم لا يهدفون سلخ فلسطين عن الامبراطورية العثمانية لايجاد جمهورية او مملكة يهودية ، بل « ان نبقى موالين للامبراطورية التي تشكل فلسطين جزءا منها ، وان نحوّل هذا الاقليم المهمل الى جزء كثير القيمة للامبراطورية » . وحاول نوردو ان يرد على سوء الفهم الدولي لاهداف الحركة ، والتهم التي شاعت في لندن وباريس بان الصهيونيين وكلاء سريين لألمانيه يعملون لصالح السيادة التوتونية في الشرق الادنى « ... فالصهيونيون لا يعملون ضد اي امة ، جهودهم هي للشعب اليهودي ... املهم ان يكون نفعهم للانسانية عموما ... » . ثم يتناول بالشرح المسهب نشاط الحركة الصهيونية العملي في فلسطين ، بتحويل الاراضي المهملة الى حقول خصبة ، بانشاء المواصلات والتجارة ، والصناعة ، وشراء الاراضي ، والعمل التعليمي والثقافي، والفنون والحرف وزيادة السكان ... » ويتفاخر نوردو بان « ... العاطفة المتأججة لانهاض فلسطين من التراب ، ووضعها جوهرة بين امم العالم هو الذي يشجع الجماهير اليهودية ... » .

ما يطلبه « نوردو » ان يعطى الصهيونيون فرصة كي يقدموا للدبلوماسية الاوروبية معلومات دقيقة عن اهدافهم ، وان توضع امام تلك الشخصيات الكبرى التي تدعى لتقرير الامور السياسية العالمية الشائكة حقائق الصهيونية ، وبعد ذلك « ... هل باستطاعة اوروبه في هذه الناحية ان تساعدنا في جهدنا — على الاقل معنويا — وبنفس الوقت تؤدي عملا سيبرهن انه ذو قيمة بعيدة المدى لمستقبل السلم والازدهار العالميين ؟ » . يطلب نوردو ازالة التمييز الذي يقع على اليهود الاجانب دون غيرهم كالجوازات الحمراء والحصول على اراض في فلسطين ، بينما سائر الاجانب لا يمنعون من عمل ذلك ، حتى ان المنع — كما علم نوردو — قد توسع مؤخرا ليشمل اليهود العثمانيين ، وهو امر بنظره يخالف بنود القانون التركي . الامتيازات والتسهيلات التي يطلبها نوردو تتلخص في ازالة هذه القيود « غير العادلة » وهي التي

اعاقت الهجرة اليهودية الى فلسطين في الوقت الحالي ، « ... ولو ان التسهيلات قد اعطيت الى تدفقنا فسرعان ما سيكثر عددنا ... يوجد متسع كاف لنا في الاراضي القليلة السكان ، ليس لنا هدف في تجريد احد او طرد احد ، نحن مستعدون ان نشتري بامانة كل بوصةمن الارض يمكن ان نحصل عليها ، وان نقدم سعرا اغلى من اي مشتر آخر ... » . هذه الحقائق التي اوردها نوردو هي التي يتوق الصهيونيون الى عرضها على الدبلوماسيين الاوروبيين اذ « ان فهمهم لحركتنا ومعتقداتها، وميلهم العطوف نحوها ، سيكون كسبا قيما للصهيونية واليهود » بل انه يرى ابعد من ذلك اذ « ... ان تأمين وطن لاولئك الذين نشأ من صلبهم انبياء وضعوا اسمى المثل الانسانية وعلموها كديانة للجنس البشري ، سوف يكون مساهمة اكيدة لمستقبل السلم الاوروبي ... » .

رسالة « نوردو » (٩٦) — رغم اهميتها — لم تحدث نتائج مباشرة على الدبلوماسية الاوروبية في مؤتمر لندن ، ولكن آثارها بدأت تتبدى شيئا فشيئا . وقد لاحظ لوثر ذلك (٩٧) في العرض الذي تقدم به رأسماليون من يهود اميركه ، عن طريق السفير التركي في واشنطن ، لتقديم قرض الى تركيه بمبلغ ١٠٠ مليون دولار بفوائد ضئيلة، على ان يزاد المبلغ في لندن ، بشرط ان يسمح بهجرة غير مقيدة لليهود الاجانب الى فلسطين . ومع ان هذا العرض رفضته الوزارة التركية ، الا ان لوثر يربط العرض بتلك الخطط الصهيونية التي اعلنها نوردو في التايمز . ويبدو انه لمثل هذا الغرض شرح غرنبرغ (رئيس تحرير جويش كرونيكل) الى صديقه ماكسويل في وزارة الخارجية البريطانية (٩٨) في ١٩١٣/٢/٢٦ بعض النقاط حول « تلهف شركة انجلو فلسطين (التي هي اداة الحركة الصهيونية بمكتبها الرئيسي في لندن وفروعها في يافا، والقدس ، وبيروت وحيفا) لاستغلال الفرصة المتاحة بتقديم المساعدة للحكومة التركية ، من اجل الحصول على امتيازات للشعب اليهودي في فلسطين . وكانت الفرصة سانحة في نظر مديري الشركة ، للحصول على تلك الامتيازات — اي والحرب لا تزال دائرة — « ... لانه عندما يعود السلم وتتوفر لتركيه مساعدات مالية وافرة ... فلن تكون حينئذ سهلة الانقياد لمثل هذا العرض الذي تستطيع ان تقدمه الحركة الصهيونية ، او على كل حال لن تميل الى النظر بعين الاعتبار الى الشروط المؤاتية جدا للحركة ... » . ولكن يبدو ان ماكسويل قد نقل الى غرنبرغ رأي الحكومة البريطانية ، بان يمتنع مديرو البنك عن الدخول في اي مفاوضات فعالة تهدف الى تقديم مساعدات مالية ضخمة الى الحكومة التركية ، على الاقل حتى تصل الحرب الحاضرة الى نهاية (٩٩) .

---

٩٦ — الصحافة العربية لم تعلق على الرسالة واكتفت **الكرمل** (١٩١٣/٢/١) بالقول « انه اذا لم تنتبه الحكومة ويتعاون الشعب معها لوقف التيار ، فالصهيونية مالكة البلاد ولا محالة والعثمانيون خارجون منها كما خرجوا من طرابلس ومكدونيا » .

٩٧ — رسالة لوثر الى غراي (١٩١٣/١/١٧) .F.O. 424/240

٩٨ — F.O. 371/1798/10065 F

٩٩ — كانت وجهة نظر الدول الثلاث (المانيه وفرنسه وانجلتره) قد اتفقت على ان تتم القروض مقابل اشراف دولي على الميزانية ، وهذا ربما كان السبب الذي دفع الخارجية الى وقف مديري انجلو فلسطين عن تقديم اي قرض .

وقد اراد (غرنبرغ) ان ينتهز هذه الفرصة كي يستحث الحكومة البريطانية على ابداء مزيد من الاهتمام بالحركة الصهيونية ، واستخدامها للتدخل في صالحها (في حين كان نوردو يطلب من الدبلوماسية الاوروبية مجتمعة) . وقد اكد لماكسويل ان الحركة الصهيونية لا ترتبط بدولة معينة ، كي يزيل الشكوك حول ارتباط الصهيونية بالمصالح الالمانية . ولكن الامر الذي كان يريد ان يؤكده هو التلهف الذي يشعر به الصهيونيون الى ازالة القيود التي تعرقل اليوم الهجرة اليهودية للبلد ، والتي تحول دون تقدم العمل اليهودي وان يضمن « ... عندما تنتهي الحرب وتثار مسألة اعادة استقرار تركيه ، ان تبذل الحكومة البريطانية كل ما في استطاعتها حتى تتاح الفرصة لشركة انجلو فلسطين ، وغيرها من المنظمات اليهودية ، كي تبرهن عن حسن نيتها تجاه الحكومة التركية ، وهذا يمكن ان يتم اما بواسطة قرض خاص او مشاركتهم (اي مديرو البنك) في بعض العمليات المالية الاخرى ، وبذلك يمكنهم الحصول على مثل تلك الامتيازات التي املوا ان يكونوا قادرين على ضمانها من الحكومة التركية في اللحظة الحاضرة ... » ، ولكن طالما ان الامر في الوقت الحاضر غير متاح للعمل لان الوضع لا يزال غامضا لم يحدد بعد، ومن المستحيل القول، باية طريقة، باستطاعة اليهود ان يساعدوا في الاتجاه الذي يرغبونه ، فكل ما يأمله غرنبرغ « انه عندما يحين الوقت المناسب ، لا يتجاهل الطلب الذي عرضه اليهود فيما يتعلق بفلسطين ، وان توضع مثل هذه المطامح في شكل وصيغة محددين » .

ومن اجل هذا الغرض نفسه ــ اي شرح القضية الصهيونية للاوساط الدبلوماسية الاوروبية ، ومحاولة التوسط لصالح هذه القضية لدى الدولة العثمانية ــ قام سوكولوف ، ممثل المنظمة الصهيونية ، برحلة الى لندن. وكان الاتجاه لاثارة الرأي البريطاني والحكومة البريطانية للعطف على الحركة ، قد بدأ يتزايد بين اوساط الزعامة الصهيونية في تلك الفترة ، التي اصبح فيها مستقبل الامبراطورية العثمانية مهددا ، وضرورات المصلحة البريطانية قد بدأت تلح على « ... انه في حالة انتهاء الحكم التركي في هذا الجزء من الامبراطورية ، فان الدولة التي تسيطر على مصر والقناة سوف تجبر بقوة الظروف على مد نفوذها الى فلسطين » (١٠٠) . وقد حمل سوكولوف معه رسالة توصية من السفير البريطاني في (بطرسبرغ) الى صديقه ماليت في الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩١٢/١٢/١٤ ، حتى يستقبله اي عضو في دائرة الشرق الادنى ، ليعرض اهداف المنظمة الصهيونية ومركزها في فلسطين (١٠١) . وابدى امله في « ... اننا نحن الصهيونيين قد ننجح في الحصول على العطف اللطيف ، والدعم المعنوي لاهدافنا ، من اجل رفاه اليهود في كل انحاء العالم ، لانه لم يكن احد

١٠٠ ــ رسالة القنصل البريطاني بالقدس ١٩١٣/١/٢٩ F.O. 424/242

١٠١ ــ ظل سوكولوف بعد ان بعث رسالة التقديم (التي حصل عليها بواسطة عضو بارز في المنظمة الصهيونية زار السفارة البريطانية في بطرسبرغ) ينتظر في فندق اسموند (Esmond) عدة اسابيع وارسل مجددا الى ماليت (Mallet) رسالة اخرى (١٩ شباط ، فبراير) يطلب فيها نفس الطلب ، ويبدو من مطالعات الخارجية (بتوقيع هاردنج) ان هناك تحفظا على استقباله (كلما كانت علاقتنا بالصهيونيين اقل كلما كان افضل) . F.O. 371/1794/10066/6584 F.

كالامة البريطانية اكثر عطفا على شعبنا » . وجرت محادثات شفهية بينه وبين هاردنج ، احد كبار موظفي الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية (٣ آذار ، مارس ١٩١٣) ، وبعد ان اوضح سوكولوف بعض نواحي الاستيطان اليهودي في فلسطين ، انتقل الى الهدف الاساسي لزيارته « ... ان الحكومة العثمانية بين حين وآخر تضع عقبات بطريق اليهود ، وخاصة قضية الحصول على الاراضي، والصهيونيون يتطلعون الى مساعدة حكومة جلالته في الحصول على ازالة هذه العقبات ... » . ثم اثار نقطة هامة ــ وان لم تكن جديدة ــ « ... انه لصالح بريطانيه العظمى ان يتزايد العنصر اليهودي في بلد يجاور مصر ... » . كما اشار الى ان قدرا كبيرا من الاموال البريطانية مستثمرة في فلسطين ، ولذلك هي مصالح بريطانية ، وكان رد موظف الخارجية مقتضبا : « ... لا شك ان حكومة جلالته ستنظر بعين العطف الى تطوير الزراعة في فلسطين ، ولكن يصعب عليها ان تتدخل لصالح اليهود الذين ليسوا من التبعية البريطانية ... » وافهم سوكولوف ان التدخل سوف يثير مشاكل مع الحكومة التركية . وقد تعهد سوكولوف بناء على طلب الخارجية بان لا يقرض الصهيونيون اموالا الى تركيه حتى يعقد السلم ، وقد يفعلون ذلك حينئذ. وغادر سوكولوف لندن الى اميركه في رحلة اعلامية مماثلة . ويبدو من مطالعات موظفي الدائرة الشرقية (١٠٢) ان الخارجية البريطانية كانت ترى انه من الافضل عدم التدخل لدعم الحركة الصهيونية ، وحجة بعض الاوساط فيها : ان اليهود ليسوا على الاطلاق مزارعين صالحين ، ومن جهة اخرى فان قضية ادخال اليهود هي مسألة تهم الادارة الداخلية التركية ، وينقسم الرأي العام في تركيه حيالها انقساما كبيرا . واعتبار آخر اشار له آرثر نيكلسون : « ... هو ان العرب والاتراك القدامى (اي المناصرين لنظام الحكم العثماني القديم) يمقتون الحركة » .

وفي الوقت الذي كان الزعماء الصهيونيون يسعون الى دعم دبلوماسي خارجي ، كان الحاخام باشي اسرع في الحركة ، معتمدا على ما ابداه الصهيونيون من نشاط في الاستانة بعد استلام الاتحاديين الوزارة (١٠٣) . فقد وجه حاييم ناحوم الى وزير العدل والاديان (١٠ شباط ١٣٢٨ هـ) مذكرتين، يطلب في الاولى الغاء الجواز الاحمر، وفي الثانية يطلب رفع الحظر المفروض على شراء واستملاك اراضي في فلسطين . وذكرت جريدة (اورور) ، وهي الجريدة الصهيونية المحلية في الاستانة والناطقة باللغة الفرنسية ، والتي نشرت ترجمة كاملة للمذكرتين عن اللغة التركية (١٠٤) ، بان وزارة العدل والاديان قد احالت المذكرتين الى الصدارة العظمى ، كي تحيلها الى مجلس الدولة ، كما تذكر ان الحاخام قد قابل رئيس مجلس الدولة ، وعبّر الاخير عن تقديره لليهود عموما ، الذين ابدوا في الظروف الحاضرة تعلقهم البالغ بتركيه ، كما قام بمقابلة شخصيات كبيرة اخرى في دوائر الدولة ، وتضيف (اورور) « ان ما

١٠٢ ــ **Ibid.**

١٠٣ ــ رسالة لوثر الى غراي ١٩١٣/٣/١٧ .F.O. 424/238

١٠٤ ــ ارفق لوثر برسالته السابقة نسخة **اورور** (الفرنسية) وتتضمن نص المذكرتين وتعليق رئيس التحرير لوسيان سيوتو **L. Sciuto**

تمخضت عنه هذه المقابلات كان مشجعا ودافعا للامل في الوصول الى حل مرض » .
وفي المذكرة الاولى يذكّر الحاخام وزير العدل والاديان بقرار سابق كانت قد اعدته الحكومة منذ بضع سنوات ، وكان يقصد به نظام الجواز الاحمر الذي ـ كما يصفه الحاخام ـ « اجراء مفيد يتعارض مع المنطق والقانون ، كما انه يضر بمصلحة اليهود والاجانب ويجرح كرامة وشرف وقيمة اخوانهم في الدين العثماني الذين لم يتوانوا ابدا في اية مناسبة او اي زمان عن التعبير عن محبتهم واخلاصهم للبلد والحكومة ... ويتعارض مع تقاليد التسامح النبيلة المعروفة بها الامة العثمانية ، ومع قوانين العدل والحق للامبراطورية ومع مصالح الوطن العليا والمقدسة ... وله صفة الاضرار بمصلحة عنصر ما او عقيدة ما ... اليهود الذين وجدوا دائما ملجأهم الامين لدى الامبراطورية العثمانية للراحة والسلام ، والذين اقاموا مع المسلمين علاقات اخوة متينة قائمة على تشابه الاصل واللغة والدين ، متأثرون جدا من هذا القانون الجائر » .
ويطلب في خاتمة المذكرة الغاء هذا القانون « الجائر » . والمذكرة الثانية تتعلق بالغاء القيود على استملاك اليهود العثمانيين مساحات كبيرة من الاراضي خارج المدن والقرى في فلسطين ، وكذلك اليهود الاجانب حتى في المدن نفسها ، ويشير الحاخام في مذكرته ان هذه الاستثناءات والقيود الموجهة ضد العثمانيين والاجانب من الديانة اليهودية (التي تخالف قانون ١٨ صفر ١٢٨٤ الذي يجيز لكل العثمانيين وغير العثمانيين حق استملاك الاراضي والابنية في اي مكان من الامبراطورية عدا الحجاز) تخلق الاعتقاد بانها ذات هدف ديني وقومي ، ويردد قوله السابق حوله تأثر اليهود العثمانيين « الذين لا يتوانون عن القيام بواجباتهم الوطنية تجاه الامبراطورية ، التي برهنوا لها دائما عن تعلقهم وانكارهم للذات ، كذلك على اليهود الاجانب الذين لا يدعون مناسبة الا وابدوا للامة العثمانية وللشعب الاسلامي محبتهم وودهم ... » ولكن الحاخام يقول ... « انه رغم الاجراءات الاستثنائية فان اراضي قد اشتريت بمختلف الطرق دون الحاق اي ضرر وان هذا لم يعمل الا على اغناء الامة والعودة بالفائدة على الخزينة ... » .

يتفاءل سيوتو ، رئيس تحرير (اورور) في تعليقه ، بزوال امرين من آثار النظام القديم ، ويعتبر العمل بهما « تزويرا للتاريخ في ظل النظام الدستوري ، وبقاءهما يوحي كأنه ليس لتركيه اعداء سوى اليهود » . ويحاول (سيوتو) بالعكس ان يثبت انه ليس لتركيه اصدقاء افضل من اليهود ، في حين تقف كل اوروبه المسيحية متحالفة ضدها « ... تركيه الممزقة بلا رأفة ، التي تخلى عنها الجميع في وقت الالم الفظيع ، قد احست بالقرب من قلبها اللاهث بقلب آخر ينبض بنبضات متوافقة مع ضربات قلبها ... القلب اليهودي ، قلب اليهودية بأجمعها » . وهنا يلمح (سيوتو) الى تلك القوى الهائلة التي تقف وراء اليهودية ، وما يمكن ان تحققه من فوائد في حالة الاستجابة لمطالبها « ... فاليهودية ـ وهي مبعثرة في ارجاء المعمورة ليست قوة يؤازرها اسطول بحري او جيش ـ اذ ان فيها افضل من ذلك بالمدافعين عن حقوقها وبمفكريها وبرجالها السياسيين ، بأصحاب رؤوس اموال فيها ... » . وقدم (سيوتو) بعد ذلك اقتراحه بانشاء تحالف يهودي عثماني لمصلحة

الطرفين « ... اغلى حلم لدينا ـ حلم اليهودية بأكملها ـ ان نرى تركيه كبيرة وقوية ، تمشي نحو مستقبلها في نفس الخطى مع اليهودية القادرة السائرة ايضا بحرية الى مصيرها . يا له من حلم جميل في ان نرى الشعبين الشقيقين في الالم وفي الكراهية التي لاقاها كل منهما من العالم المسيحي ، ان نرى اتحاد المجموعتين في المصالح تسيران يدا بيد ، متعاضدتين ، مضاعفتين خيرات الامبراطورية الطبيعية الغنية ، بتقديم موارد اليهودية الضخمة المادية والفكرية » . لقد كان الشرط الاساسي لاي تفاهم او تبادل في الخدمات ـ كما يقول (سيوتو) ـ هو « تقوية العلاقات الودية بين الشعبين باعطاء كل منهما للآخر استحقاقاته المشروعة » . والدليل الاكبر ـ في نظره ـ على الثقة التي يمكن ان تعطيها تركيه لليهودية ، الغاؤها الاجراءين المانعين ، فهما « من عمل الحكم المطلق ويعتبران وصمة في جبين اليهودية كما هما وصمة عار في جبين النظام الدستوري لهذا البلد » .

تعليق لوثر على ما اوردته (اورور) كان محاولة لتحليل جذور هذه الضجة التي اثيرت حول القيود المفروضة على اليهود ، فوصف الحاخام باشي لنظام الجواز الاحمر وسائر القيود الاخرى على انه « جرح عميق لكرامة اليهودية الدينية والقومية » غير صحيح ، لان هذا لم يكن مقصودا من قبل الحكومة العثمانية ، التي تمسكت بقيود متشابهة بالنسبة للمسيحيين في ولاية الحجاز . فاليهود هم احرار بالسفر والاقامة والحصول على المتلكات في اجزاء اخرى من الامبراطورية العثمانية ، وانه حين ظهور الحركة الصهيونية فقط والتي تهدف ـ كما يبدو من لغة المدافعين عنها ـ الى اقامة (نظام حكم) في فلسطين ، بدات الحكومة اجراءات القيود التي يجري البحث الآن عن ازالتها ... » . ويستنتج لوثر من كل ما كتب حول هذه القيود القانونية ، سواء رسالة نوردو او غيرها ان « المشكلة اليهودية من وجهة النظر الصهيونية ليست مشكلة ديانة بل مسألة قومية ، وانها ربما كانت من اكثر المسائل العرقية التي على تركيه ان تعالجها بالاضافة الى المشكلة العربية والارمنية والكردية » . والى جانب العوامل السياسية ، يرجع لوثر الاسباب التي دفعت الحكومة العثمانية الى معارضة الصهيونية بشكل (هجرة غير مقيدة) لليهود الاجانب الى فلسطين « ... هو شعورها بمعارضة العرب (المسلمين) المحليين الذين اعترضوا لاسباب اقتصادية على تدفق اليهود الاجانب الضخم . فالاعانات المالية التي تساندهم من منظمات يهودية غنية ، تجعل من المستحيل على العرب ان يجاروا القادمين الجدد ... » . ويضيف الى ذلك كون الحكومة العثمانية ذات حساسية خاصة ازاء كل المسائل المتعلقة بالقدس بلد الاماكن المقدسة التي يتعلق بها المسيحيون وخاصة من الفرع الشرقي ، لقد كان هناك حذر مستمر ، كما يقول لوثر ، من المشاريع الصهيونية كالتي بيّنها هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) . ما يهم وجهة النظر البريطانية ـ برأي لوثر ـ هو طلب نوردو الاهتمام الودي للدبلوماسية الاوروبية ، « ... اذ يبدو من الصعب دعم مشاريع من هذا النوع دون ان يثير ذلك ريبة العرب ... » . ونظرا لمركز بريطانيه في مصر ، فهو يرى بان وكلاء حكومة جلالته في مصر هم افضل في الحكم على الموقف الذي يجب ان يتبناه ممثلو حكومة جلالته في

سوريه وفلسطين حول هذا الموضوع . لقد كانت رسالة لوثر سندا قويا بأيدي بعض اوساط الدائرة الشرقية في الخارجية البريطانية ، التي كانت لا تزال حذرة في دعم الصهيونية . وكما علق هاردنج « ان هذه الرسالة تعطي – كما اعتقد – سببا جيدا للتحفظ في التعامل مع سوكولوف ، الذي حضر مؤخرا من بطرسبرغ ، وكان متلهفا الى طلب عطفنا على القضية الصهيونية ... » .

وكان نجاح المساعي الصهيونية المتواصلة للحصول على تنازلات وتسهيلات من جانب الحكومة العثمانية ، مستغلة الظروف التي نجمت عن اشتعال الحرب البلقانية، محدودا ولم تظهر لها نتائج ملموسة . وقد يرجع ذلك الى تلك العوامل التي شرحها لوثر في رسالته السابقة ، مما جعل الحكومة تتردد في اتخاذ موقف حازم ، رغم التفاؤل الذي كانت تبديه الدوائر الصهيونية واحتمال تغير الموقف العثماني لو تابعوا الجهود . وقد عبرت عن هذا التفاؤل جويش كرونيكل مرارا (١٠٥) ، فأشارت الى ان الحاخام قد حصل من الوزارة على تعهد رسمي بان التذكرة الحمراء والقيود على شراء الارض في فلسطين لن تقرر في الخطة الجديدة للادارة في الولايات في سوريه ، ثم ذكرت خبر مقابلة الحاخام للصدر الاعظم (محمود شوكت) حيث راجعه حول موضوع المذكرتين ، فوعده انه حين يطرح الموضوع للمناقشة امام الوزارة سيؤدي واجبه المقبول للدفاع عن وجهة نظر الحاخام ، واكد له « ان الحاخام يمكنه دوما ان يعتمد على تعاونه الودي في اي امر له علاقة برفاه الشعب اليهودي في الامبراطورية» . وقد رأت الصحيفة نفسها في مقتل (شوكت بيه) الصدر الاعظم مؤامرة ضد اليهود ، بل « ضربة قاسية لهم » اذ كان – على حد قولها – « صديقا لهم وقد ساعدوه باغناء الميزانية وكان قد وعد الحاخام بحل مشكلة القيود على اليهود بعد انتهاء الحرب» (١٠٦) .

٣ – حوار صحفي في (الاهرام) حول التفاهم العربي الصهيوني :

معظم هذه الجهود والمساعي الصهيونية كانت سرية لم تشر اليها الصحافة العثمانية او العربية ، اذ شغل معظمها باخبار الحرب البلقانية . الا ان النفوذ المتزايد للصهيونيين في الاوساط العثمانية لم يخف على بعض الصحفيين العرب في الاستانة ومنهم ابراهيم سليم نجار (الذي عمل فترة كمراسل للاهرام في الاستانة)، وتذكر المصادر اليهودية انه كان على صلة ببعض الصحفيين اليهود فيها (١٠٧) . ولا شك ان اجتماعاته المتكررة معهم قد اتاحت له فرصة الاطلاع على بعض ما كان يدور في الخفاء . ويبدو ان ابراهيم سليم النجار قد فاجأته احداث الانقلاب الذي قام به الاتحاديون واحتجب في فندق كونتننتال في الاستانة ومن هناك بعث رسالة شخصية

١٠٥ – Jewish Chronicle, 16/5/1913.
١٠٦ – Ibid, 2/6/1913 وتشير الجريدة الى ان القتلة قد اعترفوا ان قصدهم هو اغتيال المبعوثين اليهود نسيم مزلياح وعمانويل قره صو .
١٠٧ – انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل .

الى حقي العظم في القاهرة (١٩١٣/١/٢٥) (١٠٨) يقول فيها « ... الوزارة الحاضرة عصابة لصوص ، يؤيدها اليهود الصهيونيون « ويعده بانه سيكتب له تقريرا مطولا على ان لا يخبر احدا به وان ينشره في المكان الذي يريده « في المؤيد ، في الوطن ، في الجريدة التي يريدها ، يجب ان يعلم المسلمون الحقيقة كما هي ... » . وربما كان ابراهيم سليم نجار نفسه هو الذي بعث الى الاهرام بتوقيع عابر سبيل (١٠٩) مقالا بعنوان « حكاية الهجوم على الباب العالي والسراي السلطانية » ينشر فيه حقائق غريبة عن التواطؤ الصهيوني الاتحادي « ... والذي يراجع تاريخ الحكومات الاتحادية منذ اول نشأة الحكومة الدستورية الى الآن يجد انها استندت الى الاسرائيليين والماسونيين لتتغلب بهم وتستعين بأموالهم ... فجريدة الجون تورك الاتحادية جريدة صهيونية المانية نمسوية ، وشركة (الاجانس اوتومان) الاتحادية شركة اسرائيلية صهيونية (صاحبها يدعى كرجي افندي ، اسرائيلي بغدادي) وهما لسان حال الوزارة اليوم ... » ويضيف « ... ولما كان الاسرائيليون ذوي اقتدار غريب اعتقد جيدا انهم لم يعضدوا الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم في اوروبه ، وصحفهم التي لهم فيها ، الا وقد تبادلوا المنفعة معهم وحددوا منافعهم في فلسطين ... خاصة ان الجمعية الصهيونية هي نقابة دولية منتشرة في الكرة الارضية لتسعى وراء تحقيق فكرة ترمي لها » . والغريب في امر كاتب المقال انه ينتهي الى القول « ... انا لا الوم الصهيونيين ، فهم ارادوا منفعة يطلبونها ، بل اثني على اجتهادهم ونشاطهم ، غير اني اراهم يزرعون خطرا على الصهيونية العثمانية في البلاد السورية . نحن قبل كل شيء لا نكره الصهيونيين ، ولكننا لا نحب ان نكون آلة ، وليس في صالحهم ان تقول الامة ان بينهم وبين الاتحاديين تواطؤا » .

لا شك ان العداء للاتحاديين كان قويا بين الفئات السورية المثقفة في مصر ، لميل الاتحاديين نحو المركزية الشديدة وتشجيعهم الاتجاهات القومية التركية ، وكانت تهمة موالاة الاتحاديين للصهيونية هي من جملة التهم التي بدأت توجه الى الاتحاديين علنا . وقد عبّر رشيد رضا (١١٠) عن نقمته على جمعية الاتحاديين ، التي يسميها « جمعية الاحمرين : الدم والذهب » ، باتهامهم بانهم اتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها اراضي السلطان عبد الحميد الواسعة ، وعلى تمهيد السبيل لامتلاكها البلاد المقدسة لاقامة ملك اسرائيل فيها ... ، وان الوزارة الجديدة قد عينت نسيم مزلياح اليهودي ، وكيل الجمعية الصهيونية، ناظرا للتجارة والزراعة، وجاويد وزيرا للمالية ، وبساريا افندي ناظرا للنافعة وهو فلاخي (١١١) من الاعيان وكان

١٠٨ – هذه الرسالة من مجموعة اوراق المرحوم محب الدين الخطيب ، وقد شرح نجار في الرسالة ايضا سوء احواله المادية وطلب المساعدة من « جماعتنا في مصر » وهو ينتظر تكشف الحوادث ، فاما « ان اهرب الى مصر ، واما ان ابقى في سجني الاختياري الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا » .
١٠٩ – **الاهرام** ، ١٩١٣/٢/٧ .
١١٠ – **المنار** ، ج ٢ م ١٦ ص ١٤٥ ، شباط (فبراير) ١٩١٣ .
١١١ – فلاخي نسبة الى الافلاخ ، ويعلق رشيد رضا ساخرا « وقد ذهب كل الفلاخ من يد الدولة مع الروملي ، وانما بقي لنا منهم بحمد الله هذا الناظر ... » .

رئيسا لتحرير (الجون ترك) ، ومراقبا على ما يكتب فيها من قبل الجمعية . ففي الوزارة ثلاثة وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية بيدهم ينابيع الثروة في البلاد ، اما العرب ، فيقول رشيد رضا بانه لا يوجد لهم فيها رجل واحد « ... وهذا معقول مفهوم لانه لا يوجد عرب في البلاد العثمانية ... » ويضيف « ... ان اعتقادنا هو انهم لم يفعلوا فعلتهم الا لاجل الذهب وكنت اتوقع ذلك ، واقول انهم اذن عادوا يبيعون بلادنا ويسلبوننا هذه البقية التي في ايدينا بتدبير اليهود الصهيونيين الذين يديرون جمعيتهم كما يريدون » (١١٢) .

وحوّل كاتب عربي آخر رمز الى اسمه بحرفي (ع.ج) الحوار في الاهرام الى اتجاه جديد مفاجىء (١١٣) : بدأ بهجوم عنيف اكد فيه تواطؤ الصهيونيين معالاتحاديين ماديا وادبيا ، وقدم ادلته على هذا التواطؤ التي لم تختلف في تفاصيلها عما اورده رشيد رضا . وبعد حملة الهجوم يطرح مسألة جديدة على بساط البحث « انه اذا كان التواطؤ بين الاتحاديين والصهيونيين على ان ينال الاخيرون شيئا في سوريه وفلسطين ، فان كل شيء يعطى من هذا القبيل للصهيونيين سيكون ملغى بالمرة ، وليعلم الصهيونيون ايضا ان سلطة اصدقائهم الاتحاديين وغيرهم في العاصمة وفي غيرها وانهم اذا ارادوا ان ينالوا شيئا في جهات سوريه فيجب عليهم ان ينالوه برضا السوريين خاصة ، والعرب عامة ، والا فان العداوة بين السوريين ، بل بين العرب اجمع ، وبين الصهيونيين ستنشأ من الآن وستظهر بمظهر يقضي على كل مصالح الصهيونيين وآمالهم القضاء المبرم » (١١٤) . والكاتب (ع.ج) ينتقل بعد هذا الى تذكير الصهيونيين انهم « يقيمون في سوريه في بقعة ليس فيها اتحادي واحد ... غير انهم يجاورون العرب ويحيط بهم العرب » ، ثم هو يدعو كتاب العرب « الذين هم على رأينا ، والذين هم يمثلون القسم المتنور من العرب ، ان يكتبوا في هذا الموضوع الخطير ، وينصحوا معنا الصهيونية بان ولاء الجار القريب اولى من ولاء البعيد الغريب ... » . وكان تعليق الاهرام على هذا العرض موجزا : انها تحبذ « التفاهم معاخواننا الاسرائيليين» وهيتؤمن ان السوريين لا يكرهونذلك «... وانما الذي يؤلم بعضهم ان يتفق على ارضهم دون علمهم او رأيهم والتنابذ بالالفاظ لا ينفع بل يضر ، والتفاهم لازم ضروري لخير الجميع وبالاموال التي يأتي بها الاسرائيليون وبالفنون والعلوم التي يحملونها الى سوريه نفع عظيم لسوريه وتعمير كبير فلا يبقى الا ان يتفاهموا ليتحابوا او يتفقوا ... » .

لم يكن واضحا في ذلك الحين الدوافع التي جعلت هذا الكاتب ، الذي لا شك ان له وزنه بين الفئات القومية السورية المتجمعة في القاهرة نواة لجمعية عربيةجديدة،

---

١١٢ ـ **المنار** ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٧ .

١١٣ ـ **الاهرام** ، ١٩١٣/٢/١٨ .

١١٤ ـ كان مثل هذا التحذير قد وجهه رشيد رضا فيمقاله السابق بانه لو استمر هذا التواطؤ الاتحادي الصهيوني « ... سيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب وربما ادى الى سفك الدماء وتخريب كل ما يملك اليهود بهذه الوسائل الاتحادية غير الشرعية » .

تطالب بالاصلاح على اساس اللامركزية (١١٥) ، ليتقدم بعرض التفاهم هذا على شكل نصيحة محذرة للصهيونيين ، في وقت كانت فيه الصحافة العربية ـ وخاصة في فلسطين ـ قد اشبعت موضوع الصهيونية من كل جوانبه ، وبينت الاخطار الناجمة عن نشاط الصهيونيين واهدافهم البعيدة . قد يكون الدافع هو عداء تلك الفئات للاتحاديين ، فكانت تريد ان تنتزع من الاتحاديين سلاحا قويا له وزنه العالمي ، يحاول الاخيرون استخدامه لمصلحتهم ، او قد يكون الدافع هو الرغبة في استغلال الصهيونيين لانهاض احوال البلاد بعد ان كان بعض العرب قد ابدوا اعجابهم بما حققه هؤلاء من اعمال في فلسطين ودعوا الى ان تتخذ هذه الاعمال مادة للاقتباس ، بل لقد كان رشيد رضا لا يرى مانعا من استخدام اموال اليهود العثمانيين واموال الاجانب من اليهود وغيرهم في مشاريع اعمار البلاد بشرط اخذ الحذر من استيلائهم على الاراضي المقدسة (١١٦) . وعلى كل حال ، لم يفصح احد عن دوافعه في ذلك الحين ، بل عاد كاتب آخر (أ.ص) على صفحات الاهرام (١١٧) يكرر النصح المشوب بالانذار للصهيونيين بان « الخطة التي وضعوها لاستعمار فلسطين ستكون عاقبتها من أشأم العواقب عليهم ، واذ ذاك لا تنفعهم مراكزهم المالية الادبية التي لهم في اوروبه ... ولا يزالون في اول طريقهم ، وعسى ان تجد نصيحة الاهرام منهم قلوبا واعية ، وليتذكروا انصاف العرب لعلمائهم ، وفضلائهم ... والاسرائيليون قوم اذكياء ، يقدّرون لرجلهم قبل الخطوة موضعها ... » .

وجاء الرد الصهيوني على عرض التفاهم الذي طرحته الاهرام على صفحاتها بتوقيع (صهيوني) (١١٨) ، وكان ردا حذرا على تلك النصيحة التيوجهت للصهيونيين « ... بانيخاصموا الاتحاديين ويقطعوا صلاتهم الاقتصاديةوالمادية والادبية، ويتفاهموا مع اخوانهم العرب ، لانهم اصحاب البلاد وجيرانهم » . فالكاتب (الصهيوني) ، مع تفهمه رغبات (ع.ج) وغرضها ، يريد ان يتأكد قبل كل شيء ، ان كان هذا الرأي يعبر عن آراء العرب السوريين نحو اليهود والصهيونيين او كان « ... لهم استعداد للاشتراك مع اليهود الصهيونيين في العمل واياهم لنهضة سوريه وفلسطين ...

---

١١٥ ـ كان البيان الرسمي بتشكيل حزب اللامركزية الادارية العثماني وبرنامجه قد صدر في آذار (مارس) ١٩١٣ وجاء في مقدمته « بان الدولة العثمانية دستورية نيابية وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءا من السلطة ... وانما تبني ادارة هذه الولايات على اساس اللامركزية . ويكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس اداري ومجلس معارف ومجلس اوقاف ... » وجاء فيالمقدمة ايضا « ... ان الحزب مؤلف من اولى البصيرة والرأي وحملة الاقلام من العثمانيين المقيمين في مصر ... » ـ **المنار** ، ج ٣ م ١٦ ، آذار ١٩١٣ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ .

١١٦ ـ **المنار** ، ج ٩ م ١٤ (١٩١١) ، ص ٧١٥ ـ ٧٦ . وكان ذلك بمناسبة الحديث عن خلاف الجرائد السورية حول مشروع الاصفر . ومع ان رشيد رضا لم يشأ الخوض في الموضوع الا انه قدم بعض الحجج في صالحه « ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الاموال الاوروبية فيها وزمام هذه الاموال في ايدي اليهود ولاجل هذا يصانع الاتحاديون اليهود الصهيونيين وغير الصهيونيين، فاذا كان اخواننا السوريون لا يقبلون مشروعا فيه اموال اليهود فليعلموا ان معنى هذا انهم لا يقبلون مشروعا عمرانيا كبيرا في بلادهم مطلقا وبعبارة اخرى لا يقبلون ان تعمر بلادهم » .

١١٧ ـ **الاهرام** ، ١٩١٣/٢/٢٠ .

١١٨ ـ **العدد نفسه** .

وانهم يميلون الى موالاة الصهيونيين الآن وقابلين نزول مضطهدي الصهيونيين اراضيهم » . فلو « كان الامر كذلك ، وان العرب والسوريين يرضون بهذا المشروع المفيد للجانبين فهذا دليل على انه ظهر رجل غريب عنهم (اي الصهيونيين) ، يرشدهم على سبيل التفاهم والاتفاق مع اصحاب البلاد التي تأوي بعض المهاجرين ، وتمهد للصهيونيين والعرب ان يرتبطوا بالمنفعة معا ، وحينئذ يتبع الصهيونيون العرب » .

ولكن ، لو كان الامر مجرد اقتراح ، فان (الصهيوني) يطلب « ان يناقشه كبار المفكرين العرب مثل شبلي شميل ورفيق العظم وغيرهم ممن لهم كلمة مسموعة قبل ان يعطي ممثلو الصهيونية رأيهم » . وقد اراد ان يستغل مناسبة هذا العرض كي يستخف بشأن ما يسميه « الاعتراضات المستمرة والمناقشات الصحافية... وغيرها من الدسائس المعتادة ... » ويبين انها « لا تشغل بال الصهيونيين كما يظن بعض (اذناب) اخواننا السوريين ان اهل سوريه واصحابها الكبار قوم لا يحبون جيرة الاسرائيليين ، ويقولون نحن اصحاب البلاد والمالكون سياستها وقفارها ، نفعل بها ما نرغبه ، ولا نرغب في هبوط الصهيونيين بيننا ... » . واخيرا يقول « ... لو كان (ع.ج) يرى تهديد الصهيونيين بذلك الاقتراح ، فان الصهيونيين اعرف بمصلحتهم من كل غريب » . وتولى جاك ليفي طنطاوي الرد على التهم التي وجهها (ع.ج) الى اليهود في القسم الاول من مقاله السابق (١١٩) ولكن ما وجده « من اغرب المتناقضات انه في وقت واحد يهدد اليهود ويطلب منهم ان يتفقوا مع العرب حتى يعيشوا بسلام ، يتوعد اليهود بان العداوة ستظهر بمظهر يقضي على آمالهم » ، ولكنه — على العموم — يرحب بدعوة الكتاب العرب للمساجلة في هذا الموضوع « لانا نود ان تظهر حقيقة المسألة » . ويشكر هيئة تحرير الاهرام لحسن ظنها باليهود وشهادتها فيهم « التي هي الحقيقة التي لا مراء فيها ، فان اليهود بسواعدهم القوية واموالهم ومواهبهم افادوا البلاد » (١٢٠) .

وقد عاد (ع.ج) ليوضح في الاهرام (١٢١) ما رمى له في مقاله السابق « بان تواطؤ الجمعيتين على امور معلومة تتعلق في بقعة من البقاع العربية ، لم ترق لكثيرين من اخوانه السوريين والعرب » ، وان ما قاله انما لاجل التوصل الى غرض مقصود وهو « وضع قواعد اساسية يبني عليها اتفاق بين الصهيونيين وجيرانهم العرب على تعمير سوريا وفلسطين » ، واما عن تساؤلات (الصهيوني) فيرد عليها « ... اني واثق كل الوثوق بمشاعر اساطين العرب والسوريين ، بانهم راغبون في الاتفاق مع الصهيونيين على عمار سوريا وفلسطين » ، وانه لم يدع الى الاتفاق عن عبث ، بل بعد بحث وتأكد وترو وتدقيق وتمحيص وان (الصهيوني) « اذا رأى شذوذا من بعض من لا اخلاق لهم واعتراضا وانتقادا ، فليضرب به عرض الحائط ... » ، وان « ... قبول العرب بنزول مضطهدي اليهود اراضي فلسطين او غيرها من سوريا

---

١١٩ — **الاهرام** ، ١٩١٣/٢/٢١ .

١٢٠ — ردد كاتب يهودي آخر (جبر فارحي) في **الاهرام** **١٩١٣/٣/٨** **الافكار** التي عرضها (الصهيوني) وطنطاوي .

١٢١ — **الاهرام** ، ١٩١٣/٢/٢٢ .

والعراق يتوقف على وضع مقدمات الاتفاق واتمامه بصورة تضمن مصالح ومنافع الطرفين ... » . ويقدم ادلته على موافقة (اساطين العرب) على فكرة الاتفاق ، بالتعليق الذي اوردته الاهرام والتي يصفها بانها لسان حال الفريق الاكبر من اساطين السوريين والعرب ، وما قالته « المؤيد » (١٢٢) — ٢٠ شباط (فبراير) — وما نشره (أ.ص) في الاهرام ، وما سيكتبه غيره من كتاب العرب الذين « هم على رأينا في هذا الموضوع الخطير ، الذي يتوقف مستقبل العرب واليهود ونجاحهم وتقدمهم عليه » . اما السبب الذي دفعه للدعوة الى ان يكون العرب في سوريه وفلسطين وبقية البلاد العربية على اتفاق تام مع الصهيونيين ، فهي — برايه — كي « ... ينتفع الجميع نفعا كبيرا ويذللوا — اي العرب والصهيونيين — بسهولة كل العقبات التي تقف امامهم وامام رقيهم وتقدمهم المادي والادبي ... » . والاتفاق الذي يدعو له (ع.ج) هو بين الزعماء « ...ومتى اتفق زعماء الفريقين ، فان العرب والصهيونيين يتفقون بالحال ، لان كل فريق يتبع زعماءه !! » .

كان اول الكتاب العرب الذين خاضوا هذا الموضوع الذي طرحه (ع.ج) هو حقي العظم ، حين كتب في الاهرام عن « الهجرة واسباب مقاومتها » ، فصرح انه من راي (ع.ج) في بعض الوجوه ، ويخالفه في غيرها . وكان — على العموم — اقل تحمسا وحاول ان يضع شروطا اكثر تحديدا لموضوع التفاهم تضمن حقوق العرب (وخاصة الفلسطينيين) في المستقبل . وهو لم يشأ — كما يقول — ان يخوض موضوع اطماع الصهيونيين السياسية في فلسطين « التي يظهر انهم يريدون الحصول عليها على يد الاتحاديين ، دون ان يبالوا بأهل البلاد ، وكأن الفلسطيني والسوري لا وجود لهما ... » ، ولكنه اراد ان يوضح نقاطا اوردها (الصهيوني) في رسالته حول مقاصد الفلسطينيين والسوريين بالنسبة لاستيطان اليهود النازحين من الظلم في اراضي فلسطين ، فهم يهمهم رقي بلادهم ويعلمون انها ينقصها المال والايدي العاملة النشطة « ... وانما يريدون الحصول على ذلك دون ان يمس مركز بلادهم السياسي واللغوي والجنسي ، وان تسود المساواة بينهم وبين المهاجرين وغيرهم » . ويشرح حقي العظم هنا اسباب مقاومة العرب ، وخاصة السوريين والفلسطينيين ، الماضية للمهاجرة ، وهي بقاء اغلب المهاجرين على تابعيتهم الاجنبية ، فأضر ذلك كثيرا بالوطنيين ، وكذلك ميل المهاجرين الى الاتحاديين الذين يميلون للتحكم ، ودمج العناصر العثمانية بالعنصر التركي ، وايثار الحكومات الاتحادية للاسرائيليين على العرب في المناصب ، ومع ان الاخيرين هم الاكثرية ، ثم رغبة الاتحاديين في اعطاء الاراضي الواسعة (املاك عبد الحميد السابقة) ، وثلاثة ارباعها في البلاد العربية ،

---

١٢٢ — لخصت المؤيد رسائل وردت لها من بعض اساطين العرب في سوريه ، وفيها : « ... وقد صرنا نخشى ان يتسع الخرق على الصهيونيين اذا ظلوا غير مبالين بأهمية حسن التآلف مع الاهالي لانخداعهم بمؤازرة الظروف الحاضرة لهم ... وخير للاسرائيليين ان يهملوا فكرة الاغترار بقوة غير قوة جيرانهم اهل البلاد الذين يعيشون معهم جنبا لجنب ، وان حالة سوريا لا تشبه حالة البلاد الاخرى لمجاورتها للصحراء حيث تنزل القبائل العربية ، واذا اتسع الخرق ، نال الصهيونيون من الاهالي ما لم ينالوا جزءا منه في روسيا ... » .

الى شركات استعمارية صهيونية اجنبية بثمن بخس مقابل قرض . اما عدا ذلك « فالعرب ـ وخاصة السوريين والفلسطينيين ـ لا يبغضون الاسرائيليين ، وهم على استعداد للتفاهم » . ولذلك وضع حقي العظم الشروط التي يراها اساسية من اجل ذلك ، واولها : اخذ الرعوية المحلية ظاهرا وباطنا ، ليتم التساوي امام القانون ، ثم « ان تبقى بلادنا وجنسيتنا ولغتنا العربية بمعزل عن كل مساس سياسي كان او اداري » . ويضيف العظم انه من الظلم ان يرمينا الكاتب (يقصد الصهيوني) « بالعداء لبني اسرائيل لمجرد اننا دافعنا عن حقوقنا ، واي منصف يقول بان نموت ليحيا الغريب عنا » . وحرص العظم اخيرا على ان يحذره ، هو وجمعيته ، كي يحسبوا حساب الشعب العربي « هذا الشعب الذي دبت فيه روح الانتباه للمحافظة على حياته السياسية والاجتماعية ... وقد يلجأ الى الزئير غدا اذا دام تسرب الشكوك والريب ... » .

الموضوع بحد ذاته لم يثر اي تعليق في الصحف العربية الاخرى في سوريه وفلسطين ، بل انها تجاهلته كلية ، سوى جريدة (الاتحاد العثماني) البيروتية ، التي نقلت الجزء الاول من مقال (ع.ج) ، المتعلق باتهام الصهيونيين بالتواطؤ مع الاتحاديين (١٢٣) . ولكن عرض التفاهم الذي طرح في القاهرة كان مفاجأة للمنظمة الصهيونية بما يحمل في طياته من الاشارة الى حركة جديدة بين العرب ، ودعوات أصلاح ورغبة في النهضة ، وبعد ان كان اتجاه العمل الصهيوني يتركز على الحكومة العثمانية ، بدأ يشد انظاره الآن الى تلك الحركة الجديدة الناشئة ، وما يمكن ان تقيمه من عقبات في طريق الاهداف الصهيونية . ومن هنا مال الرأي الرسمي الصهيوني الى الاستجابة لعرض التفاهم ، لكسب الحركة العربية بدلا من معاداتها ، والتأكيد على مصلحة الشعبين المتبادلة ، والدعوة لنهضتهما معا ، على ان يساهم اليهود ـ كنقلة للحضارة الغربية ـ في احياء الشرق ، وعبر عن هذا الاتجاه الجديد اوسشكين Ussishkin بتقريره عن الحركة الصهيونية في فلسطين ، امام اللجنة التنفيذية الصهيونية التي عقدت جلسة فوق العادة في برلين (١٢٤) ، حيث طرح لاول مرة امام هيئة رسمية صهيونية موضوع التفاهم العربي الصهيوني . يرى اوسشكين ان على الصهيونيين السعي بكل جهد لتنوير الرأي العام العربي ، وخاصة الزعماء ، عن مقاصدهم ونياتهم بأقلامهم وحججهم حتى يفهم « ان مصالح اليهود والعرب متفقة ، لان مهمتنا ان نحيي الزراعة القديمة في تلك الاراضي ، وان ننهض بتلك البلاد ، وان نبلغ بها اقصى درجات التقدم » . والقصد من وراء هذا العمل ـ كما يقول اوسشكين ـ « ان نوفّق بين مدنية الشرق والغرب ... ونلقح المدنية الشرقية بلقاح جديد ، حتى يستطيع الشرق ان يدافع عن نفسه ضد هجمات الغرب » ، ويذكّر العرب « ... انه لا يوجد شعب قادر على ذلك كالشعب الاسرائيلي ، لانه من اصل

١٢٣ ـ **الاتحاد العثماني** ، ١٩١٣/٢/٢٤ (صاحبها : احمد حسن طبارة، من اقطاب الجمعيةالاصلاحية) .

١٢٤ ـ وقائع ما جرى في الجلسة اوردتها **الاهرام** في ١٩١٣/٤/٢٢ نقلا عن مجلة النهضة الاسرائيلية (القاهرة) وكذلك في المقطم ٢٣ نيسان (ابريل) « نقلا عن جريدة (دي فيالت) لسان حال الجمعية الصهيونية بقلم قارىء اسرائيلي .

شرقي ، وله في مدنية الغرب اليد الطولى ... وكي ينهض الشرق ... لا مندوحة لليهود والعرب من ان يتصافحوا ويتعاونوا » .

وتسكت المصادر العربية بعد ذلك عن الاشارة الى فكرة التفاهم ، بينما كانت تدور امور في الخفاء ، مصادرها الرئيسية صهيونية ، وان كانت هناك اشارات متفرقة اليها في بعض المراسلات العربية الشخصية ، وتلميحات متفرقة في بعض الصحف العربية خارج فلسطين . وربما كان سعي الصهيونيين الى دفع فكرة التفاهم الى الامام ، ورغبتهم في رصد الحركة العربية عن قرب ، سببا في ان اصبح نسيم ملول من العاملين النشيطين في حزب اللامركزية . ولا تكشف مراسلات ملول الشخصية مع قيادات اللامركزية (رفيق العظم رئيس اللجنة العليا لحزب اللامركزية ، وحقي العظم سكرتير الحزب) (١٢٥) الطريقة التي تقرب بها من الحزب ، وكل ما يظهر منها انه كان موضع ثقة . وقد ارسلت له نسخ من قانون الحزب الداخلي وبرنامجه وبيانه ، وعمل على نشر فكرة الحزب في فلسطين ، فقابل عددا من وجهاء البلاد ، واظهر لهم نيته بفتح لجنة فرعية للحزب في فلسطين ، مركزها يافا ، كما انه ارتأى تأليف لجان في انحاء فلسطين الاخرى ، وعهد الى ايليا زكا ، صاحب جريدة النفير العثماني في حيفا ، مهمة تأليف لجان في حيفا والناصرة وطبريه وصفد على ان تتولى (النفير) نشر اخبار الحزب واعماله في حيفا وتوابعها ، كما تعهد بايجاد جريدة اخرى في القدس للقيام بنفس المهمة وابدى استعداده بان تتولى جريدة (هاحيروت) العبرانية (١٢٦) التي تصدر في القدس نشر كل ما يتعلق بالحزب ، وكذلك جريدة (الاخبار) لصاحبها (شمعون مويال) . ويظهر ان جهود ملول في سبيل نشر مبادىء الحزب قد دفعت باللجنة العليا لحزب اللامركزية في جلسة ١٦/٣/ ١٩١٣ الى ارسال كتاب تشكره فيه على ما يبذله من الهمة لتأسيس فرع الحزب في فلسطين (١٢٧) .

وجاءت بعد ذلك زيارة سامي هوخبرغ S. Hochburg رئيس تحرير جريدة Le Jeune Turc الى بيروت والقاهرة . اما دوافع الزيارة وتفاصيلها ، فمصدرها الوحيد هو التقرير الذي رفعه هوخبرغ بالفرنسية بعد عودته الى جاكوبسون عن مهمته في ١٩١٣/٥/١٧ (١٢٨) . واشير الى هذه الزيارة التي قام بها هوخبرغ بثلاث

١٢٥ ـ مراسلات ملول (بخط يده) بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب (امين سر الحزب) ٣/١٠ ، ١٩١٣/٣/٢٤ ويظهر من مراسلات ملول انه كان على علاقة طيبة باعضاء آخرين من الحزب منهم داود بركات .

١٢٦ ـ تشير احدى رسائل ملول الشخصية ان صاحبها (بنعطار) قد سافر الى القاهرة لمقابلة داود بركات في ادارة الاهرام .

١٢٧ ـ من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

١٢٨ ـ نشر هذا التقرير كملحق لمقال بالعبرية :
Alsberg, P.A., «The Arab Question in the Policy of The Zionist Executive Bebore the First World War.» **Shivat Zion**, Vol. IV; 1956-57, pp. 161 - 209.

مقالات عربية فقط في جريدة الاصلاح البيروتية (١٢٩) بعد عودة هوخبرغ الى الاستانة، ويقول احمد حسن طبارة ، (رئيس تحرير الجريدة) ، عن غرض الزيارة : « ان هوخبرغ مدير جريدة (الجون ترك) التي تصدر في الاستانة باللغة الفرنسية ، قد جاء مندوبا من قبل جريدته لدرس الحركة الاصلاحية في مصر وسوريه ، وانه قد قابل كثيرا من رجال النهضة الاصلاحية في مصر وسوريه وجرت بينه وبينهم مناقشات خطيرة في هذه المسائل الحيوية ، ونشر في الاستانة ما جرى له من الحديث مع هؤلاء الزعماء حرصا على المصلحة العثمانية » . ويضيف طبارة « نحن يسرنا ان تكون الجون ترك اسبق جرائد الاستانة الى الوقوف على الحركة الاصلاحية من منبعها لتعلم على اليقين اخلاص القائمين بها وشدة غيرتهم على دولتهم ووطنهم » (١٣٠) . والمصدر العبري السابق يشير الى ان زيارة هوخبرغ كانت اثر تلقيه رسالة بالفرنسية من صديق له في القاهرة هو إبراهيم سليم نجار في اوائل نيسان (ابريل) ١٩١٣ يعرض عليه ما يلي : « ... انت يا سيد هوخبرغ صديق لنا ، وتتمتع بالذكاء ، ومصلحتك تحتم عليك ان تسير معنا يدا في يد في السياسة اللامركزية ، والا فانك ستؤلب المسيحيين والمسلمين في سوريه ضد اخوانك في الدين . اني اقول لك ذلك كصديق ، وصديق مخلص ايضا ، وكرر قول هذا للدكتور جاكوبسون ، ان فترة وجود الجمعية في السلطة قصيرة ، وستكون مضطرا في النهاية الى ان تعمل معنا . الا يجب اذن ان نبدأ من الآن ... ادرس الموقف ، وحدد الطريق الذي تسلكه ، فهذا وقت تلافي العواقب . اذا قررت مخلصا ان تتفق معنا ، فحدد لي هنا في القاهرة ممثل الصهيونيين المسؤول كي اتصل به » (١٣١) .

الرسالة ــ ان صحت فحواها ــ ليس بها جديد غير ما طرحته الاهرام سابقا ، عن امكانية التفاهم مع الصهيونيين والمشوبة بقالب التحذير من العواقب . ولكن الجديد فيها انها رأت طرح الفكرة مباشرة على شخصيات صهيونية مسؤولة . وكان هوخبرغ من بين الاشخاص المكلفين بالعمل الصهيوني السياسي في الاستانة ، وعرف (نجار) لما كان مراسلا للاهرام في الاستانة . وقد يكون هذا السبب هو الذي دفع نجار الى الاتصال به مباشرة ، الى جانب ان العرب يعتبرون الجريدة ــ كما يقول هوخبرغ في تقريره ــ « جهازا ذا نفوذقوي » كما انه هو (اي هوخبرغ) يعرف اللغة العربية والعقلية العربية .

---

١٢٩ ــ **الاصلاح** ، ٥/١٠ ، ٦/٦ ، ١٩١٣/٦/١٢ (والمقالات مترجمة عن جون ترك) وصاحب جريدة الاصلاح هو الشيخ احمد حسن طبارة ، وبدأ باصدار الجريدة في ١٩١٤/٥/١٠ بدلا من (الاتحاد العثماني) .

١٣٠ ــ كان رفيق العظم قد شرح لهوخبرغ (كما نقلت جريدة الاصلاح) ان غاية اللامركزية ان ترى الدولة العثمانية مملكة قوية ... والوسيلة الوحيدة لاكتساب القوة هي الرقي في كل فروع حياتنا الادارية والاقتصادية والعلمية ، كما ان حسن طبارة قد بين لهوخبرغ ان الغاية من النهضة الاصلاحية في بيروت هو التمكن من ابقاء هذه البلاد عثمانية وقطع طمع الاجانب مخافة ان يصيبها ما اصاب غيرها من البلاد العثمانية وان هذا لا يقوم الا بالاصلاحات التي تطبق على مبدأ اللامركزية « الادارية » وانهم وضعوا لائحة بطلباتهم وقدموها الى الحكومة .

١٣١ ــ لمح نجار الى هذه الدعوة في مقال له في **الاهرام** فيما بعد (١٩١٤/٤/٢٣) يكشف فيه بعض خفايا الموضوع .

الرسالة ليست بالتأكيد هي التي قادت هوخبرغ الى مهمته ، بل ان وراء تلك المهمة دوافع اعمق لمسها هوخبرغ نفسه اثناء الزيارة واشار اليها في تقريره السابق... « ان الحركة العربية هي اكثر جدية مما يتخيلها المرء في الاستانة ، وان هذه الحركة سوف تصبح بعد الانتهاء من تنظيمها قوة مدهشة بحيث لا نستطيع ، ولا يجب علينا ، ان نسقطها من حسابنا . وان هناك طريقة لايجاد مجال للاتفاق بين هذه الحركة وبين الصهيونية ، ويجب استمالتها لصالحنا منذ البداية ، كي لا نتيح الفرصة لاعدائنا لاستمالتها ضدنا » . ولتحقيق هذا الغرض ، كما يتابع هوخبرغ في تقريره ، « يجب ان نكون على اتصال مستمر مع قادة الحركة ، وان نتتبع الحركة عن قرب في جميع مراحل نموها ، وان نضع تحت تصرفها كل الصحف العربية الرئيسية في سوريه وفلسطين » . على كل حال ، فان هوخبرغ قام بما طلبه نجار ، فقدم محتويات رسالته الى الدكتور جاكوبسون ، الذي رفعها ، بدوره ، الى اللجنة التنفيذية في برلين (١٩١٣/٤/١٠) ، مع اقتراح بان يرسل هوخبرغ الى القاهرة ، وربما الى بيروت كذلك . وقد اوصى جاكوبسون بارسال هوخبرغ لعدة اسباب ، منها انه ليس له مركز رسمي في الحركة الصهيونية ، ولذلك فان اي اتصالات اولية يمكن ان يقوم بها لا يمكن ان تعتبر بانها « رسمية تماما » ، ولكونه رئيس تحرير جريدة يومية هامة في الاستانة ، كان على صلة حسنة بكثير من السياسيين العثمانيين من جميع الآراء والاتجاهات ، كذلك فهو قد عاش في فلسطين لفترة من الزمن ويعرف العرب ولغتهم جيدا . وهذا الاقتراح قد قبل بدون اي تأخير من قبل اللجنة التنفيذية . ونتيجة لذلك ، فقد وصل هوخبرغ الى القاهرة في نهاية شهر نيسان ١٩١٣ .

وكانت الامور التي رغب في معرفتها اثناء زيارته القاهرة ثم بيروت ، هي موقف الحركة العربية الناشئة ، التي يمثلها حزب اللامركزية في القاهرة وحركة الاصلاحيين في بيروت . وقد وجد « ان زعماء الحركة والمثقفين والبورجوازيين المنضمين الى الحركة يعملون اساسا لخير كل الشعوب التي تسكن المناطق العربية ، سواء كانت هذه الشعوب عربية او مسيحية او يهودية . ومن مبادىء الحركة ان كل الاقليات ــ مهما كانت صغيرة ــ يجب ان تتمتع بكل حقوق الاغلبية طالما انها تشاركها بالواجبات ، ومن باب اولي اذن ان يكون هذا الامر مطبقا على اليهود الذين يكونون الاقلية الاكثر اهمية بعد المسيحيين السوريين ، انهم ساميون ويتكلمون العربية.. وانطلاقا من هذه الحقيقة ، فان المسلمين والمسيحيين يعتبرونهم الضلع الثالث من الاسرة العربية الكبيرة ، التي تسعى لان تخلق لنفسها مكانا تحت الشمس . واذا عرف الاسرائيليون السوريون كيف ينظمون انفسهم ، فانهم سوف يستطيعون الاستفادة تماما من الاتفاق المبرم بين المسيحيين والمسلمين ، والذي بموجبه تمنح نصف مقاعد المجالس العمومية لغير المسلمين ، ومشاركتهم في الاعمال العامة يجب ان تكون لها نفس النسبة (نصف للمسلمين ونصف لغير المسلمين) . ولذلك فان هوخبرغ واثق بان « الحركة العربية اذا انتصرت فلا يجب ان نقلق على مصير الاسرائيليين سكان البلاد الاصليين او العثمانيين فان المسلمين والمسيحيين لا يستطيعون

حرمانهم من حقوقهم الطبيعية التي سوف يكتسبونها ككل السكان العرب ... ان كل التصريحات التي حصلت عليها حول هذا الموضوع تتفق مع ما ذكرته سابقا » (١٣٢).

وكان رفيق العظم قد تلا على هوخبرغ ما قررته اللجنة اللامركزية العليا في القاهرة ، بشأن حقوق الاقلية القاطنة في الولايات العربية ، ويستنتج منه ان الحزب « قد قرر المحافظة على حقوق العنصر اليهودي ، وهو لا يقبل اي قانون خاص او غير اعتيادي نحوه ... يجب ان يتمتع اليهود ، بصفتهم عنصرا عثمانيا ، بكل الحقوق التي ينالها العثمانيون ، واذا كانوا من الاجانب يجب ان يخصوا بحقوق الاجانب ايضا ، وكل نظام غير اعتيادي يوضع لهم بسبب عنصرهم يكون مخالفا للدستور ومنافيا لمبادىء حزبنا الحرة » . واكد الشيخ احمد حسن طبارة (١٣٣) لهوخبرغ لدى زيارة الاخير لبيروت ، الاتفاق الصحيح المتين الموجود بين المسلمين وغير المسلمين « اما الاسرائيليون ، فانه لم يحدث قط خلاف بينهم وبين المسلمين فيما مضى ، واحرى بهذا الحال ان يدوم في المستقبل . وقد جاء في بروغرامنا ان الاسرائيليين يجب ان يتمتعوا بكل حقوقهم ، والاجانب منهم يعاملون معاملة الاجانب في بلادنا » .

المهم ـ بنظر هوخبرغ ـ هو الموقف حيال الاستيطان اليهودي ، وبرأيه « ان الجمعيات العربية ليس لديها حتى الآن الوقت ، ولا الفرصة ، كي تحدد موقفها من الاستيطان اليهودي والصهيونية التي هي روحه » . وكان رفيق العظم في المقابلة السابقة قد بيّن لهوخبرغ انه يوم تطرح مسألة المهاجرة اليهودية فانها « ... تحل حلا موافقا لصالح الفريقين اللذين يهمهما هذا الامر ... اي اليهود والعرب » (١٣٤) . واستطاع هوخبرغ ان يجمع ـ كما يقول ـ عددا من الافكار العشوائية حول هذه المسألة : البعض يظهرون الحماس للاستيطان وللصهيونية ، والآخرون يبدون الموافقة بتحفظ ، ويعلن فريق آخر العداء ، ولكن ما فاجأه بصفة خاصة « هو ان المسيحيين السوريين هم الاكثر حماسا للصهيونيين ، على عكس الرأي الذي تقول به دوائرنا» ، فالاعضاء المسيحيون في جمعيات القاهرة وبيروت لم يوافقوا فقط على الهجرة اليهودية الى فلسطين وسوريه ، بل تمنوا ان تكون هجرة قوية وكبيرة وسريعة ، لانها تتصل بمصالحهم سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية . ويعطي هوخبرغ الحجج التي شرحها له هؤلاء : هم يريدون تكوين كتلة توازي التفوق العددي للمسلمين ، واقامة حكم ذاتي يهودي في فلسطين يفوق الكتل الاسلامية التي تقطن الاقطار الشاسعة المتجاورة . ومن الوجهة الاقتصادية فهم يستفيدون من المساعدة القيمة التي يقدمها الاستيطان اليهودي لانهاض هذه الاقاليم . « ... ان المسيحيين ـ وهم رجال اعمال قبل كل شيء ـ سوف يستفيدون منه بالتأكيد لانهم يعلمون تماما ان رؤوس الاموال والمشروعات الجديدة واساليب العمل الحديثة اذا دخلت بلدا من البلاد ، فان هذا البلد يعمه الرخاء ، ليس فقط بالنسبة لمن ادخلوا تلك الاشياء ،

---

١٣٢ ـ **الاصلاح** ، ١٩١٣/٦/٦ ، نقلا عن الجون ترك .
١٣٣ ـ **الاصلاح** ، ١٩١٣/٦/١٠ ، نقلا عن الجون ترك .
١٣٤ ـ **الاصلاح** ، ١٩١٣/٦/٦ .

ولكن ايضا بالنسبة لسكان البلاد الاصليين . كما يروي هوخبرغ ان الاعضاء المسلمين لجمعيات القاهرة وبيروت لا يهتمون الا بالجانب الاقتصادي وانه قد وجد « ان الاكثر تعليما وذكاء من بينهم هم الذين ايدوا الهجرة اليهودية لفلسطين ، بعضهم ايدها دون تحفظات والآخرون لهم بعض التحفظات ، بمعنى انهم يريدون ان يحددوا عدد المهاجرين ببضعة آلاف سنويا ، ومساحة الارض التي يمكن بيعها ، وان يوضع نظام للهجرة » . يؤيد هذا القول ما اشارت اليه (الاصلاح) (١٣٥) عن رأي رفيق العظم في الهجرة اليهودية : « لسنا نجهل المساعدة الثمينة التي يمكن لليهود ان يقدموها لنا بواسطة اموالهم وابدانهم وذكائهم ، وذلك لسرعة رقي ولاياتنا ، فلهذا السبب فلسنا نرتكب الخطأ الفادح برفض هذه المساعدة . ولا ريب بانه يجب وضع نظام خاص لهذه المهاجرة ، كما هو جار في البلاد المتمدينة ولكن الفرق يكون بوضع النظام ، اي بين ان يكون عادلا موافقا للعقل ، وبين ان تتخذ الوسائل الخارقة للعادة كما كان جاريا في الدور البائد والتي ايدها الدور الحاضر » .

يتابع هوخبرغ في تقريره انه « بين العشرين شخصا الذين قابلهم (١٣٦) لم يكن هناك سوى اثنين يعاديان الحركة ويعززان عداءهم بالحجج المعروفة : الغرض السري للصهيونيين ، وتجريد الفلاحين من ارضهم ... الخ ولكن حجتهم الاكثر قوة كانت هي تماما التي استند اليها المسيحيون في حماسهم للصهيونية ، الا وهي « ...دخول عنصر جديد ووحدة قومية جديدة بين هذه الكتل العربية المتراصة التي تستمد قوتها جميعها من وحدة اللغة والعادات ... ثم ان القادمين الجدد ، رغم اصلهم ولغتهم السامية ، اصبحت لهم ، بسبب عيشهم في اوروبه ، عادات وعقلية مختلفة كما انهم لا يريدون الاندماج بالعرب ، بل يبغون الحفاظ على قوميتهم ولغتهم ، ما يضعف من قوة الوحدة العربية » . ومع ان هوخبرغ يقول « بان بعض الذين يؤيدون الصهيونية يرون انه لا يجب التحدث عنها قبل ان يتحدد موقف الحركة منها خشية ان يتخذ اعداؤها ذلك ذريعة لمحاربتها بتهمة بيع البلد لليهود ... » الا انه كان متأكدا من « ان اغلب اعضاء جمعيات القاهرة وبيروت يؤيدون الصهيونية لدرجة انهم يريدون توقيع اتفاق مع الصهيونيين من اجل عمل مشترك » . وعبّر هوخبرغ عن وجهة نظره « ... بان الصهيونيين لن يكونوا غالبا اطرافا في اتفاق مماثل قبل ان تتبنى الحركة العربية مطالبهم » ، وبعبارة اخرى قبل ان تقبل البرنامج الصهيوني كجزء من برنامجها الخاص. ويضيف هوخبرغ «ان الصهيونيين لا يريدون، وهذا طبيعي منطقي ، ان يساهموا بانشاء قوة من المحتمل ان تتحول ضدهم في المستقبل » . وكان هوخبرغ يعرف ان كلا من جمعيتي القاهرة وبيروت لا تملكان الصلاحية لعمل ذلك ولاتمام هذا الامر ، لا بد برأيه من عقد مؤتمر يحضره مندوبون عن كل جمعيات سوريه وفلسطين ، ولكن الدعوة لمثل هذا المؤتمر لا يمكن ان تتم الا بعد الانتهاء من تنظيم الحركة ، الذي سيتم عقب مؤتمر باريس .

---

١٣٥ ـ **العدد السابق** .
١٣٦ ـ هوخبرغ لم يشر في تقريره الا الى اربعة اسماء صريحة : رفيق العظم ، ابراهيم سليم النجار ، رزق الله ارقش ، احمد مختار بيهم .

ويشير تقرير هوخبرغ الى انه بعد تبادل وجهات النظر حول هذا الموضوع مع جمعية القاهرة ، تم التوصل الى اتفاق شفهي : « بان تسعى الجمعية ، نظرا لتأييدها للاستيطان اليهودي في سوريه وفي فلسطين ، ولتأييدها الاتفاق مع الصهيونيين ، الى خلق تقارب بين العالم العربي والعالم الاسرائيلي ، وان تبدد – عن طريق الدعاية الخطابية والصحافة العربية – كل المزاعم التي تنتشر الآن داخل العالم العربي حول الاستيطان اليهودي ، والتي تمنع التقارب العربي الاسرائيلي ... ومقابل ذلك تتولى جريدة (جون ترك) مهمة تأييد قضية الحركة العربية ، طالما انها تتفق مع وحدة وسلامة اراضي الامبراطورية ... » . وهذه الاتفاقية الشفهية ليس ، من وجهة نظر الفريقين كما يقول هوخبرغ ، سوى تبادل منفعة يقصد به تهيئة الجو ، وبصفة خاصة تنوير الرأي العام العربي ، الذي لم يفهم جيدا ، حتى الآن ، مشروعات الصهيونية ، وذلك لحين توقيع اتفاقية كاملة في المستقبل . وكي يمكن تحقيق اكبر فائدة من الحملة الصحفية ، فقد كلف السيد نجار بكتابة سلسلة من المقالات في صحف مصر وسوريه وفلسطين بتواقيع مختلفة من اعضاء الجمعية .

ويضيف التقرير ان الاتصالات كذلك قد تمت مع جمعية بيروت الاصلاحية ، وكان احد اعضائها ، وهو احمد مختار بيهم ، قد اشترك في محادثات القاهرة ، ووافق على الاتفاق الشفهي ، ونقله الى الاعضاء ذوي النفوذ في بيروت ، كما قدم هوخبرغ الى اعضاء اللجنة في بيروت . وقد وافقت هذه ايضا على الاتفاق الشفهي ، واتبعها (رزق الله ارقش) احد اعضاء الجميعة البارزين بتصريحات جاء فيها الموافقة على الهجرة اليهودية لانها « من جهة مستوى تعليم المهاجرين ، ومن جهة رؤوس الاموال التي يدخلونها الى البلاد ، ومن ناحية الاساليب الحديثة التي يطبقونها في العمل ، تعتبر عاملا من اقوى العوامل التي تساعد على رقي هذه المناطق » . ويضيف ارقش بانه « ... جريمة في حق الوطن اذا عرقلنا مثل هذه الهجرة . ان هؤلاء الذين يعترضون على هذه الهجرة عندنا ليسوا سوى اناس من ذوي المصالح الذين يعتقدون انهم بهذه الطريقة يستطيعون ان يبتزوا اموال الجمعيات اليهودية التي تهتم بهذا الموضوع ، او اموال المرابين الذين تمنعهم الهجرة اليهودية من ان يمارسوا الربا كسابق عهدهم ... وانه يتحتم على الحكومة ان تأخذ مثل هذه المسألة في اعتبارها ، وان تلغي القيود التي اتخذت في عهد عبد الحميد ضد هجرة نافعة غير عدوانية !!» (١٣٧) .

لخص هوخبرغ النتائج العملية للمهمة التي قام بها في خمس نقاط : « دراسة كاملة عن خصائص رجالة الحركة العربية ، وكذلك موقفها تجاه الصهيونية . اول اتصال يجري مع أعضاء الحركة بغية الوصول الى اتفاق . توضيح نقط معينة تسهل الاتفاق . اول اتفاق يهدف الى تنوير الرأي العام . تصريحات بعض الزعماء المؤيدة للصهيونية » . ويشير هوخبرغ في نهاية تقريره الى انه انتهز فرصة وجوده في بيروت واجرى محادثات مع حازم بك – والي بيروت – حول الهجرة اليهودية ، ونقل له هوخبرغ نية الحكومة والجمعية الاصلاحية باتباع سياسة العطف تجاه اليهود ،

١٣٧ – المصادر العربية لا تشير الى هذا التصريح .

وبالتالي فقد اكد حازم بك انه « يؤيد تماما استيطانا يهوديا يكون نافعا وغير عدواني » « وان الرد الذي سيبلغه للباب العالي في غضون ايام سيكون في منتهى الصراحة حول الغاء القيود المفروضة » (١٣٨) . لقد كان هوخبرغ واثقا ان الغاء الحكومة لهذه القيود لن يثير في الوقت الحاضر اي احتجاج من جانب الدوائر العربية وهنا تكمن – برأيه – « احدى النتائج الهامة لرحلته » .

بناء على هذه المحادثات الاولية ، قام هوخبرغ بنشر المقالات الثلاث ، التي اشارت لها جريدة الاصلاح ، حول الحركة العربية . ويبدو ان نسيم ملول – الذي حضر جانبا من هذه المحادثات – قد كلف بعمل مشابه في الصحافة العبرية لترجمة كل ما يرده من اخبار عن الحركة العربية ، وحرص ملول على ان ينقل كذلك ما تقوله الصحافة العبرية الى حزب اللامركزية (١٣٩) . ولكن يظهر ان الجانب الثاني من الاتفاق – وهو كتابة المقالات في الصحف العربية الداعية الى تهيئة الاذهان لمسألة الاتفاق – لم ينفذ ، بل ان الاشارة الى الاستيطان اليهودي في فلسطين وفوائده ، التي كانت ترددها صحف مصر السورية قد توقفت . ولم تكن هناك الا مناسبتان : الاولى حين نقلت (الاهرام) (١٤٠) عن مجلة النهضة الاسرائيلية في القاهرة – التي تصدر شهريا باللغة الفرنسية – خطابا القاه (فريتز اوبنهايمر) في الجمعية الخديوية الجغرافية ، عن تجربة الاستيطان التعاوني في فلسطين الذي جرى في مستعمرة مرحافيا – والتي لم تكن سوى قرية الفولة – وعن مدى النجاح الذي حققته هذه التجربة . وروت عن لسان اوبنهايمر بكل بساطة « ... كل يوم نرى وصول شبان ممتلئين حماسة وصدق عزيمة ، قد يكونون مدفوعين بالرغبة الشريفة ان يستعيدوا سلميا وبالمحراث اوطان اجدادهم » ، وينهي اوبنهايمر خطابه « فالآن تلقى البذرة ... وغدا تصير شجرة ... وبعد غد تصير غابة » . والمناسبة الثانية حين كتب ملول في المقطم والمقتبس (١٤١) ردا على مهاجمي مشروع الاصفر وعلاقته بالصهيونية ، ولم يستغل ذلك لنفي هذه العلاقة فقط ، بل للدعوة الى فكرة التعاون والعمل « يدا واحدة مع اخواننا العرب نظرا للتشابه القوي بين الطرفين » وهو واثق ان العرب سوف يفسحون لهم مجال

١٣٨ – اشارت **المقطم** في ١٩١٣/٦/١١ نقلا عن « الجون ترك » الى هذا الحديث الذي دار بين مدير سياسة الجريدة وحازم بك .

١٣٩ – من مجموعة من اوراق محب الدين الخطيب ، رسالة من ملول الى حقي العظم في ١٩١٣/٥/١٨ يقول فيها « لقد رغبت ان ارسل اليكم الاعداد التي كتبت فيها باللغة العبرانية عن الحزب وافكاره والحركة السورية العربية . الا انها فقدت مني ، فاكتفيت بالاشارة ، ولكنني كتبت مقالا معربا عن مقالة (الحركة السورية واسبابها) ، من قلم سعادة الرئيس في المقطم تنشر في عدد الغد من جريدة (هاحيروت) العبرانية » التي يصفها « انها الجريدة اليومية الاكثر انتشارا ... » ويضيف ملول « ... ان هذا قد احدث وقعا حسنا جدا في نفوس الاسرائيليين واصبح فريق منهم يفتخر بمبادىء الحزب ويتمنى له النجاح » .

١٤٠ – **الاهرام** ، ١٩١٣/٤/٢٢ .

١٤١ – المقالان متشابهان (**المقطم** ٦/٥ ، **المقتبس** ١٩١٣/٦/٨) الا في امر واحد ، هو انه في مقال المقتبس استعاض عن كلمة العرب بالمسلمين والح على التشابه بين اليهودية والاسلام ، وما اصاب اليهود من اضطهاد نتيجة للتعصب المسيحي .

الاستيطان بينهم « ليعين الواحد الآخر في هذه الحياة ، كما كانوا قبلا » ، وان الاختلافات التي حدثت بين العرب واليهود حتى اليوم هي في نظر الاخيرين كالشمر الذي لا فائدة منه « ... فهم ينتظرون الاتحاد التاريخي الطبيعي ، والتعاون الغريزي الكائن منذ القدم بين هذين الشعبين ... » (١٤٢) . واستغربت المقتبس هذه النغمة الجديدة التي يطلب فيها ملول معاونة العرب للصهيونيين « ... الذين املهم شراء اراضي فلسطين واخراج اهلها العرب ... » ، وهي لا ترى مانعا من التفاهم مع اليهود العثمانيين ، اما الصهيونيون فلا يمكن خوض البحث معهم الا اذا عدلوا عن افكارهم .

٤ ـ المؤتمر العربي في باريس ومساع صهيونية متجددة للتقارب :

عدا هذه الاشارات المتفرقة ، فان المسألة الصهيونية قد احتجبت في الصحف العربية ـ خارج فلسطين ـ وراء الاستعدادات التي تجري لعقد المؤتمر العربي الاول في باريس لبحث ادخال الاصلاح الى سوريه . وكانت تعد للمؤتمر لجنة تحضيرية في باريس على اتصال بجمعيتي بيروت والقاهرة (١٤٣) . ومنذ ١٩١٣/٤/٢ اوضحت جريدة المفيد ، وهي من صحف الاصلاحيين ، المواضيع التي اقترحتها اللجنة لطرحها على المؤتمر وهي : « تمسك السوريين بحياتهم السياسية واجماعهم على دفع احتلال اية دولة . حقوق العرب في الدولة العثمانية والمهاجرة من سوريا والى سوريا . ضرورة الاصلاحات في البلاد العربية ومنحها نظاما يلتئم مع مصالح العرب » (١٤٤) . ومع انه لم يكن هناك بند خاص بين هذه المواضيع مخصص للمسألة الصهيونية ، الا انه كان يفهم ضمنا ان امرها سيبحث ضمن المواضيع المطروحة على بساط البحث في المؤتمر ، اذ ان ما يهدد الاجزاء العربية من المطامع الاجنبية ، نظرا لسوء الادارة وعدم الاصلاح ، وهو الدافع الرئيسي لعقد المؤتمر ، كان يبدو في فلسطين اكثر وضوحا . هذا ما عبرت عنه جريدة المفيد (١٤٥) وهي تعلق على برقيات التأييد التي جاءت من فلسطين تأييدا للجنة الاصلاحية في بيروت بقولها « ... ان الواقف على حالة فلسطين واطماع الصهيونيين فيها يشعر بان هذا الصقع من سوريا في حاجة كبرى الى الاصلاح الواسع ، وان تركه على حاله من سوء الادارة في حين ان تيار الصهيونية آخذ بالنمو يجعل البلاد الفلسطينية في خطر مستمر » .

وتحسبا لاي طارىء يكون في غير صالح الصهيونية ، اشار هوخبرغ في تقريره الى ضرورة تتبع عمل المؤتمر الذي سيعقد في باريس عن قرب « لانه من الاهمية

١٤٢ ـ استغربت المقتبس هذه النغمة الجديدة التي يطلب فيها ملول معاونة العرب للصهيونيين « الذين املهم شراء اراضي فلسطين واخراج اهلها العرب » . وهي لا ترى مانعا من التفاهم مع اليهود العثمانيين ، اما الصهيونيون فلا يمكن خوض البحث معهم الا اذا عدلوا عن افكارهم .

١٤٣ ـ اعضاء اللجنة التحضيرية في باريس هم : شكري غانم ، ندرة مطران ، عبد الغني العريسي ، عوض عبد الهادي ، جميل معلوف ، محمد المحمصاني ، شارل دباس ، جميل مردم .

١٤٤ ـ **المفيد** ، ١٩١٣/٤/٨ (وكان احد اصحاب المفيد عبد الغني العريسي) .

١٤٥ ـ **المفيد** ، ١٩١٣/٤/٨ .

بمكان ان نعرف القرارات الهامة التي سيتخذها المؤتمر » . لقد كان من بين المسائل التي ستطرح للمناقشة « مسألة الهجرة من والى سوريه » ، وهذه المسألة كما يشير هوخبرغ « ... تهمنا من نواحي متعددة ، ونستطيع ايضا ، اذا وجدنا الفرصة مؤاتية ، ان نجعل المؤتمر يتخذ قرارا في صالح الاستيطان اليهودي » . لقد كان امل هوخبرغ ان يتولى هو هذه المهمة لانها ستكون مكملة لتلك التي جرت في القاهرة وبيروت ، وكما يقول « ... ان الاشخاص الذين عقدت معهم الآن اواصر الصداقة سوف يشتركون في هذا المؤتمر كمندوبين ، وسيكون من اليسير ان اعرف جميع قرارات المؤتمر حتى ولو كانت سرية » . وربما من اجل هذا الغرض نفسه كان نسيم ملول يرغب في الذهاب الى المؤتمر ، فكتب من يافا الى حقي العظم (١٤٦) قائلا « ... واما ما يتعلق بمسألة المؤتمر فقد وددت ان اعرف متى ينعقد كي ابذل الجهد بالانضمام الى اعضائه ما دام الفلسطينيون نائمين لاهين عن كل ما من شأنه تقدم الوطن وخيرهم . ولقد اردت ان اكون واحدا من الفلسطينيين في المؤتمر ليزداد المؤتمر اعتبارا في اعين العالم العربي وحكومة الاستانة على الخصوص، وفي نظر الغرب الاوروبي عموما. وليعلموا انه لم يكن اهل سوريه وحدها هم الناهضون لطلب الاصلاح. وعليه، ارجو افادتي عن موعد انعقاده وعن موعد سفر اخواننا الافاضل المندوبين ليتسنى لي مقابلتهم في مصر اذا سمحت لي ظروف الاحوال بالتنحي عن شيء من الوقت والاستغناء عن جانب من المال لاتمام رغبتي » .

ولكن يبدو ان مهمة متابعة اخبار المؤتمر قد عهدت ـ بناء على توصية جاكوبسون ـ الى هوخبرغ ، تكملة لمهمته في القاهرة وبيروت . ويظل المصدر الوحيد لما قام به هوخبرغ وراء كواليس المؤتمر هو الرسائل التي كان يبعثها اولا بأول من باريس بالفرنسية الى جاكوبسون . وفي التقرير الاول الذي بعثه هوخبرغ (١٠ حزيران، يونيو) معلومات اولية عن موعد عقد المؤتمر والاعضاء المشتركين فيه وجدول اعماله ... وتوزيع لجانه ، الخ (١٤٧) . والنقطة الهامة ـ من وجهة النظر الصهيونية ـ هي مسألة الهجرة والاستيطان ، اذ بدا لهوخبرغ انها ستثير اختلافا في وجهات النظر ، ففي الحين الذي يقف فيه الجميع تقريبا ضد هجرة الاتراك واستيطانهم اجزاء معينة من سوريه ، تختلف الآراء فيما يتعلق بالاستيطان اليهودي ، وهو يستنتج مما يدور قبل عقد المؤتمر ما كان قد استنتجه في مصر وفي بيروت « المتعلمون، والمسيحيون منهم بصفة خاصة يؤيدون هذا الاستيطان تأييدا تاما ، اما الاقل تقدما

١٤٦ ـ رسالة شخصية من ملول الى حقي العظم ، ١٩١٣/٥/١٨ (اوراق محب الدين الخطيب) .

١٤٧ ـ عقد المؤتمر ٤ جلسات في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بباريس اولها يوم ١٩١٣/٦/١٧ وآخرها يوم ١٩١٣/٦/٢٣ ، ومثل اللجنة العليا لحزب اللامركزية عبد الحميد الزهراوي الذي ترأس المؤتمر واسكندر عمون الذي تولى نيابة الرئاسة ، ومثل الجمعية الاصلاحية في بيروت سليم سلام واحمد مختار بيهم وخليل زينية والشيخ احمد حسن طبارة والدكتور ايوب ثابت والبير سرسق ، وحضره آخرون عن مهاجري الولايات والمكسيك معظمهم من اصحاب الصحف العربية فيها ، وعن جالية باريس اعضاء اللجنة التحضيرية وغيرهم . ولمعرفة تفاصيل ما دار في المؤتمر انظر كتاب : المؤتمر العربي الاول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية ـ القاهرة ١٩١٣ (جمع محب الدين الخطيب) .

ـ والمسلمون خاصة ـ فيقبلونه ولكن مع كثير من التحفظات » . وشرح هوخبرغ لجاكوبسون ما يبذله من جهد مع الوفود السورية حول هذا الموضوع . وعلى حد قوله ان هذه الجهود قد اثمرت تماما اذ اكدوا له « ان قرار المؤتمر حول هذا الموضوع سيكون من حيث المبدأ في صالح استيطان يكون قادرا على رقي الاقاليم العربية ماديا ومعنويا ... » ، مع انه كان بوده ان يشمل القرار كذلك احتجاجا على القيود المفروضة. واشار هوخبرغ الى وسيلة الضغط التي اتخذها في هذه المحادثات الاولية ، اذ انه افهم الوفود بوضوح « انه اذا كان قرار المؤتمر في غير صالح الاستيطان اليهودي فانهم سيلغون بذلك كل مساعدات العالم اليهودي ، وستتحول القوة التي يمثلها هذا العالم ضدهم بدلا من ان تكون معهم » . لقد كان متفائلا من قرار المؤتمر بناء على المحادثات التي اجراها مع المندوبين ، الا ان ما يقلقه هو موقف «اعضاء اللجنة السورية في باريس وموقف مندوبي المهجر » ، وكان ينتظر اعداد الخطاب المتعلق بالاستيطان ليتمكن من التأثير على اللجنة المكلفة ببحث الخطاب ، حتى يجعلها تتخذ فيه قرارا يتفق ومصلحتهم . وظلت الامور تسير بنظره سيرا حسنا ، (رسالته الثانية ١٦ حزيران) فأصدقاؤه ـ كما يصفهم ـ الذين حضروا من القاهرة وبيروت وكذلك عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر « متفقون على ان يؤكدوا ان الهجرة اليهودية الى سوريه وفلسطين ليست فقط مرغوبة ولكنها ضرورية » ، حتى الشيخ احمد حسن طبارة ـ المكلف بالقاء الخطاب عن الهجرة والاستيطان والذي كان يبدو غير مؤيد تماما « ... قد غيّر الآن موقفه ... » ، على حد تعبيره ، لقد كان هوخبرغ واثقا بان « اللجنة ستحذف من الخطاب كل ما يمكن ان يعتبر في غير صالح الاستيطان » .

ارجع هوخبرغ اسباب ثقة الاعضاء به الى ان بامكانه ان يقوم بدور المصلح بين العرب والحكومة، واوضح هذه الخطة ، او كما يسميها (الضربة الكبرى) لجاكوبسون في عدة نقاط : « ان يدخل عن طريق بساريا وجاويد ، زهراوي ورفيق العظم في الوزارة ... وهو امر يوافق عليه العرب المعتدلون بشرط ان تعلن الوزارة ان الاصلاحات ستكون على اساس من اللامركزية » ، ولو نجح هذا التدبير فالقضية الصهيونية ستكسب كثيرا « ... اذ حتى الآن ، ورغم التحول الذي حدث في الاستانة لصالح الصهيونية ، فان الحكومة تتردد في احداث شيء خوفا من استياء العرب ، وكذلك اصدقاؤنا العرب يحجمون ايضا عن ان يمدوا لنا يد المساعدة ، تخوفا من ان يتخذ ذلك حجة ضدهم في الاستانة ، ويصبحوا غير اهل للثقة في نظر العرب » . خطة هوخبرغ اذن « انه لو اتفق العرب والاتراك ولو مرة واحدة ، فانهم يستطيعون مناقشة هذه المسألة بصراحة تامة وان ينالوا رضانا اكثر مما لو بحثت المسألة مبدئيا واتخذ فيها قرارا لصالحنا من هؤلاء مرة ومن اولئك مرة اخرى ، ولا يبقى بعد ذلك سوى دراسة ترتيب التفاصيل » . ويثق هوخبرغ من حسن تخطيطه وانه لا مجال لان يكون اتحاد العرب والترك مضرا بالمسألة الصهيونية ، اذ انه بعد الحوادث الاخيرة ، كما يرى ، ادرك الجميع ان البلاد في حاجة الى اجانب ، وانهم يفضلون اليهود على غيرهم ، وان قيام الاتحاد بواسطة احد الصهيونيين سوف يؤثر حتما على موقفهم ازاء اليهود والصهيونية . وبالاضافة الى ذلك ، فانهم يجب ان يساهموا

في اقامة هذا الاتحاد بدلا من ان يقوم بدونهم ، وخاصة انهم في الاستانة يميلون الى خطة مسالمة تجاه العرب (١٤٨) .

ولا يمكن تحديد مدى تأثير هوخبرغ على اعضاء مؤتمر باريس من وقائع المؤتمر نفسه ، ولكن ما هو معروف ان الخطباء في المؤتمر تجاهلوا تماما المسألة الصهيونية او بحث الهجرة اليهودية ، مع ان عدد الموقعين على برقيات التأييد التي وصلت المؤتمر بلغ ١٣٩ فلسطينيا من اصل ٣٨٧ (١٤٩) . ولم يكن لمثل ذلك النداء الذي بعث به الى المؤتمر مشايخ بيسان وكلاء عن عموم مزارعي الاراضي المدورة في تلك الناحية بالاحتجاج على بيع او استئجار « الجفالك الاميرية » اي تأثير (١٥٠) ، في الوقت الذي كانت هذه المسألة شاغل الصحافة في فلسطين . وكذلك لم يكن اي تأثير للرسالة التي بعثتها جمعية عربية في نيويورك جمعية التقدم الفينيقية * في ٦ حزيران الى رئيس واعضاء المؤتمر السوري (١٥١) تقول فيها : « الا تخافون سعي الاسرائيليين الظاهر وما يستطيعون عمله بواسطة المال المتوافر لديهم ، اذ يرسلون لكم ملايين من ابناء جنسهم ويفتحون البلاد فتحا سلميا ويبلغون ما طالما حلموا به من استرجاع الاراضي المقدسة الى حوزتهم ؟ ونحن ـ مع كل احترامنا لجميع الاديان ـ نأبى ذلك لا لعقيدة دينية ، بل لنصرة عصبية . فهم اعاجم اجانب ونحن عرب وسوريه بلاد عربية تأبى نفوسنا العالية ان تكون لغير العرب » .

ما يلفت النظر ان الشيخ احمد حسن طبارة المكلف بالقاء خطاب عن الهجرة من سوريه واليها ، اسهب في بحث هجرة السوريين من البلاد وارجعها الى سوء الادارة ، ثم الى ان سوريه بوسعها ان تستوعب اضعاف سكانها الحاليين لو طبق فيها الاصلاح . وفي خاتمة خطابه تعرض بايجاز الى مسألة الهجرة الى سوريه « ... فان الناس فيها فريقان : فريق يستنكر مهاجرة غير العرب اليها ويوجس خيفة من امتزاج المقيم بالوافد فيفسد اخلاقه ويبدل طبائعه ، وربما اعتقد ان هناك محظورات سياسية ايضا جديرة بالتدبر خليقة بالتفكر وفريق لا يرى من المهاجرة اليها مانعا او محظورا ، ولا يخاف ما خافه الفريق الاول بل يرى بالعكس ان المهاجرة اليها ربح لاعتقاده ان العرب يدمجون ولا يندمجون ، ويحيلون ولا يستحيلون ، ولهم في

١٤٨ ـ يطلب هوخبرغ في خاتمة رسالته ان يبعث اعتمادات مالية اكثر لمواجهة النفقات من اجل بساريا ولكن العرب كما يقول « وهم كثيرون قد كلفوني كثيرا » (وهو يقترح ان يقيم للمندوبين الرئيسيين حفل عشاء قبل موعد مناقشة مسألة الاستيطان بيوم كي يؤكد لهم بذلك الاخوة العربية اليهودية كما فعل في القاهرة .

١٤٩ ـ Dawn, E., «The Rise of Arabism in Syria», **Middle East Journal**, Vol. 16, No. 8, 1912, p. 149.

١٥٠ ـ من مجموعة اوراق محب الخطيب (تاريخ الرسالة ١٣٢٩/٣/٨ هـ) وتوقيع الشيخ مصطفى الخطيب. والنداء ينتهي على هذا النحو « ... واعلموا انما بيع تلك الاراضي او استأجارها لاحد الشركات ضربة على العرب ونكبة على الامة العربية ، فباسم العرب والعثمانيين نستحلفكم بان تبذلوا كل ما في طاقتكم لدفع هذا الخطر عنا وعن الوطن » .

* ـ The Phoenician Progressive Society

١٥١ ـ من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب ، والرسالة بتوقيع (اغناتين اسعد بدران) .

لطافة اللفة وكرم الضيافة اكبر شافع واعظم نصير ، وعلى اني وان كنت اريد ان تكون البلاد ذات صدر رحب وقلب واسع وحب للقريب والبعيد ، فاني لا ارى بأسا من المهاجرة اذا كان لها نظام خاص » . ولم يكن في الخطاب اشارة الى الهجرة اليهودية بالتحديد ، كما ان تعليق الزهراوي على الخطاب كان موجزا رغم شعوره بأهمية مسألة الهجرة « ... لان سوريه اصبحت في حاجة ماسة الى ابنائها المتغربين ، كما ان هؤلاء يحنون اليها !!! » .

وهذا ما دفع هوخبرغ ان يبعث الى جاكوبسون فور انتهاء الخطاب برقية فحواها « نتائج طيبة . الخطاب في الطريق ... » . واتبع ذلك برسالة موجزة لخص فيها النتائج التي تم الحصول عليها من وجهة نظر صهيونية ، وبعد ان شرح له خلاصة خطاب طبارة ، اشار الى انه كان لا بد ان يتبع ذلك قرار من المؤتمر لصالح هجرة قادرة على رفع شأن البلاد اقتصاديا . ولكن لسوء الحظ – كما يقول هوخبرغ – فان الخطباء الذين كانوا يؤيدون مثل هذه الهجرة عبروا صراحة عن رفضهم لهجرة الاتراك وطالبوا بان ينص القرار على ذلك بوضوح، وهذا ما كانت تحاول رئاسة المؤتمر تلافيه ، ومن ثم فضّل « اصدقاؤنا » الا يتخذوا اي قرار في هذا الموضوع (١٥٢) . لقد كان تفاؤل هوخبرغ بالنتيجة التي تم اكتسابها مضاعفا ، فمن جهة « كان الاشخاص الاكبر نفوذا في الحركة ، والذين يشكلون هيئة رئاسة المؤتمر ، يؤيدون الاستيطان اليهودي » ومن جهة اخرى « ... لم يتخذ اي قرار من جانب المؤتمر في غير صالح هذا الاستيطان ، بل اكثر من ذلك لم يصدر اي كلام غير ملائم بالنسبة للمهاجرين اليهود » . لكن هوخبرغ كان يدرك في نفس الوقت ان هذه النتيجة قد احرجت العرب ، ولذلك يعتبر هذا من ضمن الاسباب التي تحتم على الصهيونيين ان ينشطوا بصورة اكثر بين الاوساط العربية في باريس كما في مصر . ووضع هذه الخطة في نقاط ثلاث : « ان نكون على اتصال دائم بهم . ان نجعل الصحافة العربية تحت تصرفنا . ان نجعل كثيرا من اليهود يشتركون في الجمعيات السورية » .

ولكن هوخبرغ ظل يعلق آماله على النتائج التي سوف تسفر عن الاتفاق العربي التركي . وفي الوقت الذي كان يعد نفسه للرحيل عن باريس، وصل اليها عبد الكريم الخليل ، رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ، وهو يحمل معه نص الاتفاق بينه ، كممثل للعرب ، وبين طلعت بيه كممثل لجمعية الاتحاد والترقي ، والـذي بموجبه توافـق الحكومة على مواد الاصلاح (١٥٣) . وكان سيتبعه وصول مندوبي الاتحاديين انفسهم

١٥٢ – يقول هوخبرغ في رسالته انه اثناء المناقشة حول هذا الموضوع داخل المؤتمر قال خير الله خير الله (عضو لجنة باريس والمحرر بجريدة الطان) « ... ان هجرة الاغنياء فقط هـي التي يمكـن ان تكون نافعة للبلاد ... » وعندها صاح (بيهم) قائلا « استيطان يهودي نعم ، ولكن استيطان تركي لا » واثارت تلك الملاحظة بعض الضوضاء في صفوف الطلبة العرب الذين كانوا يحضرون المؤتمـر ولكن لم يتحدث منهم احد معترضا » .

١٥٣ – وكانت هذه المواد تقتصر على ادخال الاصلاح في الادارة ، وتعيين موظفين عرب في المراكز العليا ، والتخفيف من دعوى التتريك . ويلاحظ السبرج في مقاله المذكور سابقا ان المطالب المعارضـة للصهيونية ، كوضع القيود على الهجرة او منع بيع الاراضي لليهود التي اثيرت اكثر من مرة في

(التتمة على الصفحة التالية)

لبحث تفاصيل الاتفاق . وارسل هوخبرغ رسالة مستعجلة الـى جاكوبسون (٢٥ حزيران ، يونيو) بهذه التطورات الاخيرة ، مقترحا ان « على المنظمة الصهيونية ان تحذو حذو الاتحاد والترقي وان تعقد اتفاقا رسميا مع العـرب والاحداث تجـري بسرعة ويجب انتهازها ... » واكد لجاكوبسون انـه قـد مهد الجو بحديثه مـع عبد الحميد زهراوي وعبد الكريم الخليل ، « ... وانهما اتفقا معه على صواب هذا الرأي ... » ، وانه سيتحدث في ذلك الامر مع الاعضاء الآخرين وسيهيىء لهم فرصة الاجتماع ببعض الزعماء الصهيونيين في باريس لعقد اتفاق يرضى به الطرفان المعنيان، السكان العرب الوطنيون ، والمستوطنون اليهود . ويطلب من جاكوبسون تهيئة عدة امور اساسية لقضية الاتفاق : « ... تقرير عن الفوائد التي حصلت عليها البلاد نتيجة للاستيطان اليهودي ، وبرنامج يتضمن اقل ما يمكن من مطالبنا التي يمكن ان تتخذ كأساس للمناقشة » ، لان العرب – كما يقول – سيطالبون على الغالب بالحد من عدد المستوطنين سنويا ، والمدافعة عن حقوق الفلاحين حتى لا يجردوا من اراضيهـم ، ويرجو جاكوبسون في حالة اعداد هذه الامور ان يحضر الى باريس مع سوكولوف او اي عضو من اللجنة التنفيذية للاشتراك في المحادثات ، ويطلب منه تعليمات فـورية حول هذه النقطة : « هل يلح على العرب بضرورة عقد هذا الاتفاق مع الصهيونيين ام لا ؟ » فقد بلغ مسامعه ان العرب يقدرون قيمة التقرير الذي رفعه هوخبرغ الى طلعت بعد عودته من القاهرة ، لانه خدم كثيرا القضية العربية ، وان طلعت قد اخبر عبد الكريم الخليل بذلك .

وشرح هوخبرغ في رسالة تالية (٢٦ حزيران) تفاصيل حديث جرى مـع عبد الحميد الزهراوي حول الموضوع ، بيّن فيه الزهراوي « ان الجميع مقتنـع بـان الاستيطان اليهودي في سوريه وفلسطين ليس فقط مفيدا ، ولكنه ضروري لرقي هذه الاقاليم » . ولكن بشرطين : « ... ان يتجنس المستوطنون اليهود بالجنسية العثمانية وان لا يطرد الفلاحون من الارض التي يشتريها الاسرائيليون » . ولكن العقبة التي اشار الزهراوي اليها هي : وجود اعداء خاضوا حملة ضد الصهيونية ، ولا بد مـن كسب هؤلاء الاعداء عن طريق الاقناع ، او ان يفرضوا رأيهم عليهم في هذا الموضوع . كل ما يمكن ان ينجز الآن – كما يقول الزهراوي – فقط عن طريق الصحف ، امـا بالنسبة لفرض رأيهم فانهم لن يستطيعوا ذلك الا في اللحظة التي يملكون فيها السلطة الحقيقية ، وهذه السلطة سوف تمنح لهم في اليوم الـذي تظهـر الى حيز الوجـود الاصلاحات التي يطالبون بها ، وهذا الامر كما يعده لن يتأخر ، طالما ان اتفاقهم مع الاتحاديين سيصبح حقيقة واقعة . ولذلك – في رأي الزهراوي ومن حوله – فـان حضور باقي زعماء الصهيونيين الآن من برلين للمناقشة معهم حول موضوع الاتفـاق « سيكون امرا سابقا لأوانه ، لان المحادثات والاتفاق الذي سينتج عنها سوف ينتشر امرهما ويعرفان بسرعة ، مما سيؤدي بهم وبالقضية الصهيونية الى خسارة كبيرة»،

المبعوثان لم تتردد في هذه المفاوضات . ويعلل هذا السكوت اما لكون هذه الامور تافهـة بالنسبة للمشكلة الرئيسية ، وهي التعارض بين الاماني القومية العربية وموضوع التتريك ، او ربمـا يكون بتأثير توسط سامي هوخبرغ في المفاوضات الذي منع الخطر عن السياسة الصهيونية .

لذلك فهم يفضلون بالنسبة للوقت الحاضر ان يعقدوا معه ـ اي مع هوخبرغ ـ فقط اتفاقا سريا حول هذا الموضوع ، مما يمكن ان يكون اساسا للاتفاق النهائي بينهم وبين زعماء الصهيونية في الاستانة . ولقد طلبوا من هوخبرغ ـ كما يقول ـ ان يعد لهم مشروع الاتفاق وان يعرضه عليهم ، ولكن نظرا لان هوخبرغ ليس له علم بعد بنوايا المنظمة الصهيونية ، لذا لم يعد بشيء . ومع انه كان يفضل السفر الى برلين لاجراء مباحثات مباشرة مع جاكوبسون ، الا ان قدوم ممثلي الاتحاديين الى باريس حمله على البقاء هناك ، ليتابع المحادثات خطوة بخطوة ، ويبين للجميع الخدمات التي اداها للطرفين « كوسيط للصلح » .

وفي الوقت الذي كان لا يزال ينتظر فيه تعليمات اخرى ، تمكن هوخبرغ من الحصول من عبد الحميد الزهراوي على تصريحات لجريدة « الجون ترك » وللصحف العربية حول المؤتمر وحول الهجرة والاستيطان اليهوديين بوجه خاص (بعث بهما لجاكوبسون في ٢٧ حزيران) (١٥٤) . والتصريحات كانت على شكل مقابلة صحفية وجه فيها هوخبرغ عدة اسئلة منها : « في كل القرارات التي اصدرها المؤتمر لم يكن هناك اي اشارة الى المصالح الاسرائيلية ، الا تعتقد انه من المحتمل ان يفسر العالم الاسرائيلي هذا النسيان على انه سوء نية تجاهه من جانبكم ؟ » ، واجاب الزهراوي « ... من الخطأ ان نفعل ذلك ، فنحن جميعا مسلمين ومسيحيين مفعمون بالعواطف الطيبة تجاه الاسرائيليين . فعندما نتحدث في قراراتنا عن حقوق وواجبات السوريين ، فان ذلك يتضمن حقوق وواجبات الاسرائيليين ايضا لان اصلنا واحد ، ونحن نعتبرهم جميعا سوريين اضطروا في سابق العصر الى مغادرة بلادهم ، ولكن قلبهم يدق في ايقاع واحد مع قلبنا ، ونحن على ثقة ايضا من ان اخوتنا الاسرائيليين في العالم اجمع سوف يمدون لنا يد المساعدة لنصرة قضيتنا بنفس القدر الذي يساعدوننا به لرقي بلدنا المشترك ماديا ومعنويا . ان جريدتكم وكذلك الصحف العربية نشرت منذ وقت قصير تصريحات لرفيق العظم والشيخ احمد طبارة ورزق الله ارقش ، وكانت هذه التصريحات صائبة جدا ، وعلى هذا فاني استطيع ان اؤكد ان غالبية العرب ذوي التفكير يتضامنون تماما مع هذه التصريحات » . وفي تعليق هوخبرغ على هذه التصريحات يرجع الى نفسه فضل هذه الفكرة الجديدة التي طرحها في المؤتمر ولاقت نجاحا كبيرا وهي « ... ان يهود العالم اجمع ليسوا سوى مهاجرين سوريين على غرار المهاجرين السوريين المسيحيين الموجودين في اميركا وفي باريس واماكن اخرى ، وكما ان هؤلاء يشعرون بالحنين الى مسقط رأسهم ، فان اولئك يتملكهم نفس الحنين » (١٥٥) .

١٥٤ ـ نشرت المقابلة صحيفة **الاهرام** في ١٩١٦/٧/٢٦ وتناولت مقدمة المقابلة حديث الزهراوي عن اغراض المؤتمر .

١٥٥ ـ في تعليق جاك ليفي طنطاوي (**الاهرام** ، ١٩١٣/٧/٣٠) على هذه التصريحات ، اثنى على اعضاء المؤتمر لانهم شعروا بالحاجة الى « تضافر جميع العناصر المكون منها الوطن العزيز ، وانهم ازالوا سوء التفاهم الذي كان موجودا بين اهالي تلك البلاد وعلى الاخص العنصر الموسوي ... وان هذا التصريح الصادر من رجل يعد من كبار رجال العرب يثبت لنا ان البلاد تستفيد من وجود اليهود

(التتمة على الصفحة التالية)

ويبدو ان جاكوبسون ، عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية ، قد اعتبر انه من غير المناسب لشخص مثل هوخبرغ ، لا يتمتع بمركز رسمي في الحركة الصهيونية ، ان يعمل اي تحالف سري مع القوميين العرب ، او ربما خشي « ان تحل المشكلة العربية التركية على حساب الصهيونية » كما يقول (السبرج) (١٥٦) ، فسارع الى باريس بنفسه لاتمام المفاوضات مع العرب . ومع انه لم يكن لديه نية عقد اتفاق رسمي ، الا انه امل في الحصول على التصريحات من الزعماء العرب ذوي النفوذ الموجودين في باريس ، والتي يمكن ان يستخدمها المكتب الصهيوني في الاستانة للتأثير على الحكومة العثمانية من اجل ازالة القيود المفروضة على الاستيطان اليهودي وشراء الاراضي في فلسطين . ولكن لا يبدو واضحا ان جاكوبسون قد نجح في الحصول على التصريحات المرغوبة . وبرأي السبرج فان جاكوبسون ايقن ان العرب لا يبدون اية رغبة في التفاهم الشامل مع الصهيونيين ، وخاصة بعد ان قبلت مسودة الاتفاق بين الحكومة والعرب مبدئيا . وكذلك لم يكن لدى اللجنة التنفيذية الصهيونية اي اقتراحات معينة لتقديمها ، الا انها لم تكن لتوافق على اي تنازلات عن اهداف الصهيونية . ويستنتج السبرج انه رغم ان مفاوضات باريس لم تتوصل الى شيء سوى تصريحات الزهراوي الودية « الا ان المكسب الوحيد هو غياب اي لهجة مضادة للصهيونية في مناقشات المؤتمر ... مما مهد الطريق للمحادثات التي استؤنفت بعد اشهر حين فشل الاتفاق العربي التركي ... » (١٥٧) .

٥ ـ التطورات في فلسطين : معارضة النشاط الصهيوني :

وعلى كل حال ، اذا صحت كل اخبار المفاوضات التي كانت تجري في الخفاء ، فانه لم يكن لها اي نتيجة ملموسة ، ولم تستطع ان تخفف نشاط المعارضة في فلسطين ، فقد اتخذ الراي العام داخل فلسطين حيال المسألة الصهيونية اتجاها يخالف ذلك الذي في خارج فلسطين . وحرصت الصحافة الفلسطينية على عدم التعرض للحوار الذي دار بين الكتاب السوريين والصهيونيين حول مسألة التفاهم العربي الصهيوني ، ولم يكن ما دار وراء كواليس المؤتمر السوري معروفا . ولا يعرف تماما سبب هذا التجاهل : هل هو مجرد ترقب لما سيتكشف عنه من نتائج ؟ ام عدم تقدير لأهميته ؟ وقد يعود ذلك الى ان من يناقش الموضوع كان من تلك الفئة التي تتزعم الحركة العربية الحديثة ، المطالبة بحقوق العرب داخل اطار الدولة العثمانية . ولم يكن الوعي القومي في فلسطين ازاء تلك الحركة يقل عن سائر اجزاء

هناك ، لانهم باموالهم وسواعدهم وخبرتهم يفيدون ويستفيدون عملا بالمثل القائل : بارك الله من نفع وانتفع . وجاء التصريح ضربة قاضية على القوم الذين كانوا يتخوفون من نزوح الاسرائيليين الى تلك البطاح » .

١٥٦ ـ المقال المذكور سابقا عن « المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى » (بالعبرية) .

١٥٧ ـ بعد ان قبل الاتفاق المبدئي بين ممثلي الاتحاديين ورجال المؤتمر ، ظل بعض الاصلاحيين في باريس وسافر غيرهم الى الاستانة يواصل السعي لدى الاتحاديين للاسراع بوضع اتفاقية باريس موضع التنفيذ .

سوريه ، ووقوع فلسطين في مركز وسط بين تيار الحركة الاصلاحية في الشمال وحركة اللامركزية في الجنوب ، جعل اهل فلسطين يشاركون في الحركتين معا وبنفس القدر . ومنذ بدايات هذه الحركة (في عهد وزارة الائتلافيين) ابدى مثقفو وزعماء فلسطين اهتمامهم بها لانها كانت سبيلا للوقوف بوجه الاطماع الصهيونية ، وكان يقلقهم ، منذ وقت مبكر ، ان يتأخر احيانا تنفيذ بعض الاصلاحات الادارية في المنطقة ويحسبون لها الف حساب ، وان وراءها ايدي الصهيونية (١٥٨) . ولو غضضنا الطرف عن تلك الرسائل التي كان يبعث بها نسيم ملول الى المقطم (١٥٩) ، حول انتشار مسألة اللامركزية والاصلاح في فلسطين لان له وراءها دوافع خاصة ، او تلك الرسائل الشخصية التي كان يمطر بها اللجنة المركزية العليا لحزب اللامركزية في القاهرة ، حول نشاطاته في تشكيل فروع اللامركزية في فلسطين (١٦٠) ، نجد ان تقرير نائب القنصل البريطاني في يافا يشير الى « ان الحركة الموالية للاصلاح الاداري على اساس اللامركزية ، التي تقدمت بخطوات واسعة في سوريه بدأت تجذب انظار الرأي العام في متصرفية القدس » (١٦١) ، ومن هنا يفهم سبب الاحتجاج العنيف في فلسطين على اضطهاد الحركة الاصلاحية في بيروت (١٦٢) . وفي التقرير السابق تفاصيل وافية عن انتشار الحركة الاصلاحية ، والمطالبة بتطبيق اللائحةالاصلاحية على منطقة فلسطين . ولم يكن بين المجموعتين اي الاصلاحيين واللامركزيين اي خلاف ، بل وجد نفس الاشخاص في التنظيمين . ويشير نائب القنصل الى برقية بعث بها حافظ السعيد ـ مبعوث يافا سابقا ـ باسمه الى الصدارة والى نظارة الداخلية ، يطلب الاسراع بتطبيق لائحة بيروت الاصلاحية على فلسطين نظرا لاهميتها ، وخاصة بعد ما حل بالبلاد من مصائب ، لان ذلك « هو العلاج الوحيد الموافق لحفظ حياتها» (١٦٣) . واشار تقرير نائب القنصل كذلكالى ارسال بعض الاعيان من يافا (من الطوائف الثلاث) برقيةاخرى تدعم ما طلبه حافظ السعيد. كما ان جريدة المفيد (١٦٤)

١٥٨ ـ انظر ص ١٣٦ من هذا الفصل .

١٥٩ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/٣/٢٨ .

١٦٠ ـ بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب المتعلقة بحزب اللامركزية رسائل ملول عن انتشار فروع اللامركزية ، وفي هذه المجموعة كذلك رسائل من شخصيات كبيرة في فلسطين عن مساعيها لانشاء فروع للحزب .

١٦١ ـ التقرير مرفق برسالة لوثر الى غراي ١٩١٣/٤/٢٥ . F.O. 424/238.

١٦٢ ـ The Near East, 9/5/1913.

وكان والي بيروت (حازم بيه) قد لجأ ـ بعد تزايد نشاط الجمعية الاصلاحية ـ الى حلها بحجة ان وجودها غير قانوني واقفل ناديها ووزع بلاغا على الصحف نشر بتاريخ ١٩١٣/٤/٩ فصدرت الجرائد الاصلاحية في ذلك اليوم خالية الا من اسم الجريدة وتحته على الصفحة الاولى البلاغ الرسمي مطوقا بالسواد . (المفيد ـ الاتحاد العثماني) .

١٦٣ ـ اوردت **المفيد** في ١٩١٣/٤/٨ نص البرقية وجاء فيها : ان ضياع الاقسام الواسعة عن جسم مملكتنا قد آلم عموم ابنائها . وبما ان اهمية فلسطين معلومة اطلب سرعة تطبيق تلك الاصلاحات الواسعة فيها لضرورة خلاص وطننا المقدس ، لان مرض سوء الادارة مهدد لحياتها موجبللاسراع بلزوم امدادها باجراء لائحة بيروت الاصلاحية ، فانها العلاج الوحيد الموافق لحفظ حياتها .

١٦٤ ـ **المفيد** ، العدد السابق .

قد نقلت نص برقية اخرى من مفكري نابلس قرروا فيها الاشتراكمع اخوانهم السوريين في طلب الاصلاح المؤسس على اللامركزية الادارية ، وذكرت مرآة الغرب (١٦٥) تأليف جمعية للاصلاح في القدس ، انتخبت لجنة تنوب عنها للاجتماع والمفاوضة ، ستقرر الانضمام الى اهالي بيروت والشام وحلب وتقرير مطالبهم لينال اهالي فلسطين ايضا مما ينالون .

لا شك انه كان في فلسطين جناح يرى عدم ضرورة طلب الاصلاح او اللامركزية يمثله النائب السابق عثمان النشاشيبي (١٦٦) ، ولا يمكن فصل هذه الظاهرة عن حركة مناوئة للاصلاح في اوساط بعض الزعماء العرب ، ترى ان البلاد ليستفي حاجة الى الاصلاح ، فالدولة في اضطراب لتوالي الحروب وان اي تغيير قد يهدد وحدة الامبراطورية . ولكن ما يدعو للدهشة ـ كما يقول نائب القنصل البريطاني في يافا في رسالته السابقة ـ « ... ان اليهود هم جميعا بجانب الاصلاحيين ، مع انهم يحجمون عن اتخاذ دور مفتوح في الامور السياسية » (١٦٧) . ومما يزيد الشكوك في هذا الموقف ـ برأي ماكجريجور (القنصل البريطاني في القدس) ، تعليقا على تقرير نائب القنصل في يافا ، انه « بينما يعبّر اليهود عن رغبة ملحة بان يروا نهاية الحكم العثماني ، فان الحركة الاصلاحية تتضمن فقط الاستقلال الذاتي العربي ، ولم يكن الانفصال بين اهدافها ... » . ولكن هذا لم يمنع ان يكون اسم (اسحق ليفي) ـ مدير فرع شركة انجلو فلسطين ، وهو صهيوني كبير ـ بين اسماء الموقعين على برقية عثمان النشاشيبي الى الصدر الاعظم في ٢٦ حزيران (يونيو) (اثر مؤتمر باريس العربي) بادانة الحركة التي تطالب باللامركزية والاصلاح . حتى ان ماكجريجور نفسه ، الذي ارسل نص البرقية ، قد حيّره الموقف ولفت نظر لوثر اليه . قد تكون دوافع هذا الموقف هي نفس الدوافع التي جعلت نسيم ملول يتقرب من اللامركزية ، وسامي هوخبرغ يقوم بجولته السابقة ، اي رغبة الصهيونيين في ترصّد كل ما يجري في الاوساط العربية عن قرب .

ومهما يكن ، فقد ظل النشاط الصهيوني هو الشاغل الاساسي للرأي العام في فلسطين قبل اي مسألة اخرى ، لانه كان امرا يلحظه الجميع من سيطرة على زمام التجارة في المدن (حتى لقد حسب احد الزوار الى القدس ويافا انه في مدينتين يهوديتين) (١٦٨) ، ومحاولة الهجوم على كل مشروع جديد تنوي الدولة القيام به

١٦٥ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٣/٥/٧ .

١٦٦ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/٣/٢٨ .

١٦٧ ـ تقرير نائب القنصل في يافا وتعليق قنصل القدس عليه مرفقة برسالة لوثر الى غراي ، ١٩١٣/٤/٢٥ المشار اليها سابقا . F.O. 424/238 . كان بين التواقيع في برقية اعيان يافا نسيمملول والفرد روش A. Roch ودافيد بوطون D. De Boton وكان نسيم ملول قد ارسل الى المقطم حول انتشار اشاعة فيفلسطين بان الحكومة اصدرت امرا بالقاء القبض على حافظ السعيد وعلى (ملول) وتعلق **فلسطين** على الخبر في ١٩١٣/٥/٢١ « اما حافظ السعيد هو يهم الحكومة لانها قادمة على الانتخابات ، اما ملول هل تعرف الحكومة على الاقل بوجوده حتى يقال انها اهتمت له ... ألم يحن للمقطم ان يعنى بغربلة مراسليه يا ترى ؟ » .

١٦٨ ـ **المقتبس** ، ٣/١٩ ، ١٩١٣/٤/١٨ (مقالان لنعيم حسان) .

(كمشروع حمامات الحمة) (١٦٩) ، ونشاط المصرف الصهيوني (انجلو فلسطين) بفروعه في المدن المتعددة ، وتعدد الصحف العبرية (في القدس وحدها ست جرائد)، والمدارس المختلفة الابتدائية والعليا التيتنشر التعليم باللغةالعبرية (اشهرها جمنازيوم يافا) ، وبدء مشروع المدرسة الفنية في حيفا ، وشركات الاستيطان التي تتولى عملية شراء الاراضي وتوزيعها على المستوطنين وبناء البيوت وتقسيط الاموال واستخدام الاساليب الحديثة في الزراعة (١٧٠) والاستعانة بالعمل اليهودي وحده (وهذا ما دفع الى جلب يهود من اليمن لتعويض النقص في الايدي العاملة) ، واستقلال المستعمرات الذاتي اذ لكل منها محكمة صلحية ودائرة مالية وزراعية ومعارف وبريد ولها حراسها واسلحتها . . . وعملية الزحف على الاراضي ، التي تتم بمختلف الاساليب : استغلال جهل الفلاح وفقره ، وما يعانيه من مضايقة المعاملات ، ثم اغراء كبار الملاك بالمال وخاصة ان معظمهم يقيم في الخارج (١٧١) ، عملية الشراء تجاوزت شراء الاراضي الزراعية الى الاستيلاء على المواقع الاثرية بحجة انها « تربة الاجداد» ولا يريدون تركها « تحت رحمة البدو او تحت ايدي الغرباء » (١٧٢) . يضاف الى ذلك كله زيادة عدد المهاجرين الجدد بشكل ملحوظ (فيالقدس وحدها بلغ ما يقرب من ٦٠ر٠٠٠) (١٧٣). هذه الامور تجري تحت سمع الحكومة وبصرها رغم القيود الموضوعة .

وكان يرافق ذلك كله احساس بخطر الغزو الصهيوني ، لانه اشد خطرا من اي غزو ، اذ لو استمر الحال على هذا المنوال فقد ينقرض الوطنيون « بقاعدة تنازع البقاء او يهاجروا . . . » وانه لو ظلت الارض تباع للاستيطان « لا يمضي زمن قليل حتى تصير اكثر فلسطين مستعمرات اسرائيلية » (١٧٤) . وكان يزيد هذا الاحساس بالتخوف معرفة اغراض الصهيونيين السياسية وان هذه البلاد لا بد ان يتملكها اليهود ان عاجلا وان آجلا ، سواء في عهد الترك او غيرهم (١٧٥) ، وهذه الاطماع لا تقتصر على انشاء دولة في فلسطين ، بل تمتد الى منطقة الشرق العربي كله ، اذا لم يتدارك الخطر (١٧٦) . ومن اجل ذلك لم يعد مجديا كثرة الاحتجاج ، حتى لقد اعتبر البعض ان الحملة الصحفية كان لها نتائجمعكوسة اذ شجعت ارباب المطامح والسماسرة (١٧٧)، كما ان لوم الزعماء لم يفد شيئا فلم يعملوا على نهضة بلادهم « لئلا يضيع شيء من

١٦٩ ـ **المقتبس** ١٩١٣/٨/١٣ .
١٧٠ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٥/٢٣ ، **المقتبس** ١٩١٣/٧/١٠ .
١٧١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/٢١ .
١٧٢ ـ حصل البارون روتشيلد على اذن من الاستانة بعمليات حفر في ضواحي القدس للبحث عن الاثار الاسرائيلية وعرضها في متحف خاص يشاد في القدس . وعلقت « **مرآة الغرب** » (آذار ، مارس ١٩١٣) « . . . فاذا تم ذلك اضيف عامل آخر الىسائر العواملالتي تشتغل فيفلسطين لصيرورتها ميدانا للمستعمرين الصهيونيين . . . » .
١٧٣ ـ **المفيد** ، ١٩١٣/٢/١ .
١٧٤ ـ **المقتبس** ، ١٩١٣/٧/١٠ .
١٧٥ ـ **مرآة الغرب** ٥/٧ ، ١٩١٣/٧/٢٥ .
١٧٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/١١ .
١٧٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/١٤ .

نفوذهم » (١٧٨) . وكان تعريض الكرمل بالاعيان لعدم اهتمامهم بالخطر يزداد حدة فهي تعجب لاعضاء الاسر « الذين يدعون الامارة ولكنهم يريدونها على الحجارة » ، وكيف « لا يخشى اصحاب الالقاب الضخمة وطلاب الزعامة الموهومة سوء المصير ، ويخافون العواقب » (١٧٩) .

وكان لا بد من البحث عن الاساليب الممكنة للمواجهة فالهجوم على المستعمرات لم يعد كافيا بعد ان امدت المنظمة الصهيونية كل مستعمرة بكمية مناسبة من السلاح (١٨٠) . وتابعت الصحف حث المواطنين على انشاء الجمعيات التي تجمع كلمة اهل البلاد ، وترقية شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية (١٨١) ، كذلك على تأليف الشركات الوطنية واخذ الامتيازات التي تبقي الاموال في البلاد (١٨٢) ، وعلى تأسيس المعاهد العلمية كأول سبيل للاصلاح (١٨٣) ، وتطلب من المواطنين ان ينسجموا في ذلك على منوال الصهيونيين « . . . فانظروا يا ابناء المدارس فيما انتم فاعلون ، واعلموا ان مؤسس الجمعية الصهيونية هو هرتزل ، رجل فرد ككل واحد منكم . . . » (١٨٤) . وبقيت كذلك تتابع اخبار النشاط الصهيوني في الداخل والخارج مع مقارنة بين مساعي الصهيونيين واهل البلاد . وفي وصف (فلسطين) لاحتفالات مستعمرة ديران (رحبوت بالعبرية) رغم كل مظاهرها القومية ، اعجاببالمعروضات الزراعيةواسلوب ونظام الاستعراضات (١٨٥) ، وزيارة متصرف القدس الجديد (ماجد بيه) للمستعمرات اليهودية وما ابداه من اعجاب بأوجه نشاطها ، لم تدفع الى نقمة الصحف على المتصرف ، بل انتهزت الكرمل الفرصة لتشرح للمتصرف اسباب تأخر الفلاح العربي وتقدم المستوطن اليهودي ، وتطلب من الحكومة الاخذ بيد المواطنين والعمل من اجل الاصلاح (١٨٦) . هذه الامور كان يلمسها سكان البلد ، وكانوا اقدر على التحسس بها من الذين فتحوا الحوار السياسي مع الصهيونيين من اجل التفاهم .

٦ ـ التطورات في فلسطين : مسألة الاراضي المدورة والدعوة الى مؤتمر لاصهيوني :

وفي الوقت الذي كانت حركة الاصلاح واللامركزية تتقدم بخطوات واسعة ، وكانت الاستعدادات تجري لعقد المؤتمر العربي في باريس ، شغلت الصحافة فيسوريه وفي فلسطين ـ بوجه خاص ـ بقضية اخرى ، هي مشروع استثمار الاراضي

١٧٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٧/٨ .
١٧٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/١٥ .
١٨٠ ـ كان روبن قد طلب في رسالة الى اللجنة التنفيذية (١٩٠٩/٥/٨) من المنظمة الصهيونية مساعدة المستعمرات على خطة التسلح لحمايتها من الهجوم (ملحق مقال السبرج) .
١٨١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/١١ .
١٨٢ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/٩ .
١٨٣ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٤/٢ (من مقال راغب الخالدي) .
١٨٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٢/١١ .
١٨٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٥/٣ .
١٨٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٦/١٣ .

الاميرية (١٨٧) . اذ مع عودة الاتحاديين وحاجة الدولة الى الاموال بسبب الضائقة المالية، سرت شائعات عن ان بعض ماليي اليهود عرض على الحكومة ان يعقد لها سلفة مستعجلة بشرط ان تمنحهم امتيازا باستثمار الاراضي الاميرية في سوريه وفلسطين . ونقلت (المقتبس) (١٨٨) عن (الجون ترك) عزم الحكومة على اعطاء امتياز هذه الاراضي المدورة الى نجيب الاصفر بعد ان فشل سعيه غير مرة، وان الاوراق المختصة بمشروعه قد وضعت موضع النظر امام مجلس شورى الدولة ، ليرفع بعد ذلك الى الصدارة . وشنت (الكرمل) حملة كبيرة على هذا المشروع وحثت المزارعين على الاحتجاج للسلطة العليا (١٨٩) ، واسهبت في شرح اخطار هذا المشروع . فهو وان كان يتناول الاراضي الاميرية كلها ، الا ان اراضي فلسطين الاميرية في غور بيسان واريحا (٨٠٠ الف دونم) هي « بيت قصيد الاصفر والصهيونيين ، لان الاستيلاء عليها معناه الاستيلاء على موارد حياة ولايات سوريا وبيروت والحجاز ، لان الصهيونيين اذا امتلكوا وطن العرب في فلسطين لا يلبثون ان يقبضوا على خناق التجارة ويستنزفوا موارد الرزق والحياة ، فيقلصوا ظل الاهالي رويدا رويدا حتى ينالوا اربهم » (١٩٠) . وصاحب الكرمل يرى ان موارد فلسطين الزراعية المهمة تنحصر في ثلاث نقاط ، هي سهل شارون ، الذي استولى الصهيونيون على اكثره ، ومرج ابن عامر الذي وضعوا فيه قدمهم ، وغور الاردن القائمة الحركة عليه ، فمتى تم الاستيلاء على هذه اختنق الفلسطينيون ولم يبق لهم مورد اقتصادي . وقدمت الكرمل عدة اقتراحات اقتصادية لمنع انتقال هذه الاراضي : اما بالمطالبة بتوزيعها على المزارعين واستيفاء بدل عنها منهم اقساطا ، او تأليف شركة وطنية زراعية من بعض المولين من اهل البلاد لشراء الاراضي ، او اخذ الامتيازات لاستثمارها .

وساهمت المقتبس مع الكرمل في حملتها على مشروع الاصفر وكشف اخطاره (١٩١) (ولكن الملاحظ انها تناولت المشروع كله لا ما يتعلق باراضي فلسطين فقط) ، وردت على الذين يدافعون عنه بحجة المنافع الاقتصادية التي تعود على الحكومة من استثمار

١٨٧ – الاراضي الاميرية قسمان : الاراضي المدورة التي كانت تسمى بالجفالك السنية او السلطانية (مساحتها ٣٧ مليون دونم) ويضاف لهذه الاملاك الاراضي المحلولة ومساحتها تزيد على ١٤٠ مليون دونم وهي تتوزع في كل المملكة العثمانية في آسيه الصغرى والعراق وسوريه . وكانت قد جرت محاولات بعد الدستور لاستثمار هذه الاراضي وفشلت . منها مشروع ويلكوكس لري بلاد ما بين النهرين ، ومشروع الاصفر .

١٨٨ – **المقتبس** ، ١٩١٣/٣/١٢ .

١٨٩ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٣/٢١ . ويلاحظ ان الكرمل هي التي تولت الحملة في فلسطين ، بينما لم تدخل جريدة فلسطين الا متأخرة (١٩١٣/٧/١٢) ، وكانت على العموم قد سكتت فترة عن خوض المسألة الصهيونية وعللت ذلك فيما بعد بيأسها من احداث اي تغيير . انظر ص ١٨٤ من هذا الكتاب .

١٩٠ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٥/٢٣ .

١٩١ – **المقتبس** ، ٤/١٩ ، ٥/٣ ، ٥/١٠ ، ٨/١٤ – وكان اهتماما كبيرا من حملة المقتبس يوجه الى رد الفعل للمشروع في العراق ، وقد وقفت الكرمل الى جانب العراقيين (**الكرمل** ١٩١٣/٥/٦) . ولكن وجهة نظر جريدة **فلسطين** (١٩١٣/٨/١٠) كانت مختلفة بعض الشيء ، فلم تعتبر مهاجرة الاسرائيليين الى المملكة العثمانية آفة بل رأت ان ما يجب ان يخشى منه هو « القوى الهائلة التي تحضرها الصهيونية في فلسطين والغاية التي تسعى وراءها ... » .

الاراضي البائرة بقولها : « ان القائلين بهذا الرأي افزعهم ما رأوه من آثار النهضة العربية في بيروت ودمشق وبغداد والبصرة ، فأرادوا تمزيق هذا المجتمع والقضاء على هذه النهضة ... فلم يجدوا امامهم لمقاومتها غير اسكان الصهيونيين في هذه الاوطان لانهم – على زعمهم – يحولون دون ميول العرب الاستقلالية ، بل لانهم ماهرون في القاء بذور الشقاق بين الوطنيين ، وقادرون على مناهضة العرب » . كما اشارت (المقتبس) الى برقية طويلة مشبعة بالحجج عن ضرر المشروع على الدولة والوطن رفعها نافع الجابري مبعوث حلب السابق الى الحكومة ، وانتهت بقوله « كان من الواجب تشويق العشائر التي ليس لها مساكن الى التوطن ... ولكن عمدنا بهذا التصرف المر الى ادخال القاطنين من العربان في حوزة الصهيونيين بطريقة تشبه بيع الارقاء ، او ليس ذلك سببا في ارجاع العرب المتحضرة الى مرحلة البداوة ... » .

كانت حملة (الكرمل) على بيع الاراضي المدورة جانبا فقط ، وان كان خطيرا ، من دعوة عامة لمواجهة الخطر الصهيوني بكل الوسائل التي تحتاج تعاون الحكومة والحركة العربية الناشئة معا . وهذا ما دفعها الى ان تربط بين نوايا الحكومة للتقرب الى العرب ، واهتمامها بأحوالهم وترقيتهم ، وبين تركها مشروع الاصفر وتوزيع الاراضي الاميرية على المزارعين والوقوف بوجه امتداد الصهيونية (١٩٢) . وكانت الكرمل تلوم الحكومة التي تسكت عن اطماع الجمعية الصهيونية ، بينما هي في نفس الوقت « ... تناهض كل حركة عربية في سبيل الاصلاح ، فهل تخاف الحكومة من العرب وهم عثمانيون واحرص الناس على الوحدة العثمانية والخلافة الاسلامية ؟ ولا تخاف الحركة الصهيونية وغايتها السياسية والقومية والاقتصادية لم تعد تخفى على ذي عين ؟ ... أتريد الحكومة ان يبقى العرب في ضعفهم وخمولهم وتفرّق كلمتهم حتى يتمكن منهم مزاحموهم ، وهل في ذلك للعثمانية ربح ؟ » (١٩٣) . من اجل هذا الهدف تطلعت (الكرمل) الى مؤتمر باريس وما يتوقعه المتنورون في ان تنال البلاد من طريقه الحياة والنهضة (١٩٤) . وكانت تأمل من الهيئة الحاكمة ان تنظر الى المؤتمر بعين الرضا والعطف وان تعتبره دليلا على الحياة الوطنية . كل ذلك بهدف تأليف جبهة واحدة من العرب والحكومة للوقوف امام الخطر ، حتى لا يبقوا في خلافهم ومناقشاتهم ، ويفسحوا للاجانب مجالا للاستيلاء على اوطانهم وعلى موارد رزقهم . والمسألة بالنسبة (للكرمل) ليست قضية احتجاج او معارضة ، بل دعوة الى النهوض . لذلك وضعت امام رجال الحكومة وطلبة الاصلاح والصحافيين والمفكرين منهجا للعمل لحفظ كيان العرب ، وبقاء الاراضي في ايدي العثمانيين . وتقدم صاحبها باقتراح خاص الى اعضاء المؤتمر في باريس كي يعملوا ، بالاتفاق مع المنتدى الادبي ، من اجل تأليف جمعية اصلاحية اجتماعية ، تكون اهم واجباتها اصلاح المدارس وتأليف نقابات زراعية صناعية اجتماعية ، على ان يخرج المؤتمر بمادة حية وينسج فيه على منوال مؤتمر بال « ... بقي الشعب اليهودي مشتتا ٢٠٠٠ سنة

١٩٢ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٥/١٣ .

١٩٣ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٥/٣٠ .

١٩٤ – **المرجع نفسه** .

حتى قام هرتزل ودعا الى عقد مؤتمر ، وتولدت فكرة تأمين جمعية صهيونية بتفرعاتها ، وتمكنت في ١٥ سنة من نشر التعليم على قاعدة قومية في العالم كله ، وشراء خيرة اراضي فلسطين وجمع كلمة اليهود وفتح مصاريف لتسليف المزارعين ، وكل ذلك من شاقل يدفعه العضو الى صندوق الجمعية كل سنة ومن مداخيل بسيطة ... فان نسجنا على هذا المنوال نجحنا ، والا فلا خير فينا ولا في مؤتمراتنا » (١٩٥) .

وبدلا من تحقيق الآمال الكبيرة التي عقدت على ما سيجري في باريس ، كان هذا السكوت المطبق عن مسألة فلسطين والصهيونية وهي « اهم المسائل الحيوية للوطن العربي العثماني » (١٩٦) ، ثم تجاهل البرقيات التي رفعت الى المؤتمر من عشائر ومزارعي اراضي الغور مع ما فيها من مشاعر التخوف على حياتهم الاقتصادية (١٩٧)، واهمال المضبطة التي رفعها اهالي القدس وغزة ويافا الى السلطات والصدر الاعظم وناظر الداخلية احتجاجا على عزم الحكومة على اعطاء ٨٠٠ر٠٠٠ دونم لشركةالاصفر، وعن تغلغل الشركات الصهيونية داخل هذه البلاد ، والتي لا تقل نتيجتها في المستقبل عن حرب البلقان (١٩٨) . ولم ير الرأي العام في فلسطين « ان المؤتمر الباريسي قد استوفى ابحاثه وفكر في كل ما يلزم القيام به ، فوضع بروغرام للامة لتسعى لتحقيقه بذاتها ، وتأليف فروع في البلاد تسعى بتأسيسها » ، فأصيب بخيبة امل اضيف له تزعزع الثقة في الحكومة نفسها بعدما نشر في الجون ترك بتاريخ ١٩١٣/٦/٥ خبر مقابلة مديرها لحازم بك ـ والي بيروت ـ ورأيه في المهاجرة الاسرائيلية الى هذه البلاد وانها مفيدة لانهاض الولايات التي يحل بها المهاجرون .

ثم جاءت اخبار من الاستانة عن ان وزارة المالية قد قررت بيع الاراضي المدورة بالمزاد العلني (مع ما في ذلك من اخطار لعجز الاهالي عنمجاراة الجمعية الصهيونية)، ومع هذا الخبر جاء خبر غامض عن اتفاق عربي تركي . وهذا ما دفع نصار ان يوجه على صفحات الكرمل في مقاله « على ماذا اتفقنا » (١٩٩) عدة تساؤلات لها مساس بالخطر الصهيوني ، « ... هل اتفقوا على بقاء الادارة على حالها ؟ هذه الادارة التي تقضي بان يهاجر من البلاد الوف من ابنائها في كل اسبوع ويهاجر اليها الوف من الطامعين فيها ؟ ... هل جرى الاتفاق على ان تبقى جميع اموال معارفنا محبوسة عنا لنبقى في جهلنا ، في حين انه يوجد امة حية تنازعنا موارد رزقنا وتزاحمنا في اوطاننا وتسعى في تقليص ظلنا منها لتشيد لها مملكة ضمن مملكتنا ؟ هل جرى الاتفاقعلى الرضى بمناهضة كل حركة حياتية تظهر منا وترك ابناء الصهيونية يحيون لغتهم في بلادنا ويؤلفون جمعياتهم سواء علمية او زراعية او اجتماعية او سياسية ويحيون قوميتهم بموت قوميتنا ؟ ... هل جرى الاتفاق على ان نبيعهم وطننا قطعة قطعة

١٩٥ ـ **الكرمل** ، ٥/٣٠ ، ١٩١٣/٧/١ .
١٩٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٩/٢٦ .
١٩٧ ـ انظر ص ١٧١ من هذا الكتاب .
١٩٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٥/١٦ .
١٩٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٧/٨ .

ليرحلونا عنه فرادى وجماعات ... ؟ » ويتساءل عن معنى صدور قرار وزارة المالية « ببيع الجفالك الاميرية بعد ورود بشائر الاتفاق ؟ وهل عند الاهالي مال لتشتري هذه الاراضي بالمزاد العلني ، ومن يستطيع مباراة جمعية لها مقاصد سياسية ؟ » . لقد بات نصار يخشى من مشكلة مكدونيا ثانية في سوريه بل وفي فلسطين العربية في المستقبل ، لو ظلت مهاجرة الاهالي من البلاد ومهاجرة الصهيونيين اليها مستمرة ولذلك هو يدعو الحكومة الى وضع ثقتها بالحركة العربية ، فالعرب لا يريدونالانفصال من العثمانية « انما نريد ان نتقوى لتتقووا بنا » ، وان يكون الاتفاق صحيحا قائما ملى اساس من التفاهم لحفظ البقية الباقية من هذا الوطن .

ومن خلال نداء عام (٢٠٠) ناشد فيه كل من له اهتمام بمصير البلد ـ الحكومة وضباط الجيش ، وطلاب الاصلاح ، ومعارضي الاصلاح ، والصحافة ، والزعماء كي يعوا الخطر ـ تعرض بالنقد واللوم تجاهل المسألة الصهيونية في مؤتمر باريس « ... أيجوز يا طلاب الاصلاح ان يتمنى بعضكم في مؤتمر باريس ان يكون محط مهاجري الروملي في الاناضول لتخفيف الشقة عن السوريين ، ويعترف الآخر بان للمهاجرة اضرارا سياسية وان قوتنا في وحدة عنصرنا ... وان لا تقولوا كلمة لمندوبي الحكومة الذين جاءوا باريس للاتفاق معكم ان تمليك الاراضي لغير العرب في البلاد العربية ، لا سيما للجمعيات الصهيونية الساعية باسترداد فلسطين ... يضعف القومية العربية وبالتالي الجامعة العثمانية ... يا طلاب الاصلاح في بيروت ومصر ، كيف تطلبون للبيت سقفا وتغفلون عن وضع اساسه ، تطلبون الاصلاح لبلاد يسعى بتملكها الصهيونيون ويتغلغلون فيها ويقضون على بقاء اخوانكم وانتم تشاهدون هذا ولا تعارضون ، كأنكم لا صلة بينكم وبين اخوانكم في العربية والعثمانية والوطنية في فلسطين ، او كأنكم لا تعلمون ان ضياع فلسطين يقضي على آمالكم وحياتكم الاقتصادية ... فكيف توفّقون بين صيحاتكم الاصلاحية وسكوتكم عما يهدد كيان اخوانكم او بالحري ملككم ؟ » (٢٠١) .

ووجه لومه الى سكوت الصحافة العربية بعد ان كانت سابقا تكتب المقالات المطولة عن الاصفر والصهيونية ، في حين ان « مخالب الصهيونية اوشكت ان تنشب في رقبة فلسطين المسكينة » ، وخص بلومه جريدة المقتبس « ... وقد لاحظتعليكم انكم استسلمتم لليأس وتركتم البحث في هذا الموضوع لانكم اصبحتم كالنافخ في الرماد ... ولكن بالنظر لما للمقتبس من المكانة في العالم العربي ، وما تعلق عليهمحافل الاستانة من الاهتمام ، ارجو ان تكتبوا اكثر من مقالة ... اما اذا لم يجد الصراخ ،

٢٠٠ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٧/١٥ .
٢٠١ ـ وجه (مصطفى الخطيب) كلمة تقريع الى دعاة الاصلاح في بيروت والمؤتمر المنعقد في باريس باسم العرب والسوريين لانهم اهملوا مسألة الاراضي المدورة (وكان هو صاحب النداء الذي وجه باسم مزارعي جفالك بيسان الى المؤتمر) . وجاء في نهاية لومه « ... اذا انتم يا طلاب الاصلاح لم تفكروا في بقاء الارض عربية عثمانية ، ولم تشترطوا ذلك في لائحتكم الاصلاحية ، فانكم لم تعملوا عملا يذكر . نريد معرفة من يبيعنا عبيدا ... اخواننا ام هيئة حكومتنا ... » . (**الكرمل** ١٩١٣/٧/٢٢) .

فلا اقل من الاحتفاظ بمبدئكم امام التاريخ » (٢٠٢) . وقدرت المقتبس مشاعر نصار المتوجس خيفة على بلاده ، وهو خوف – كما تقول المقتبس – « يتحسس به اهل فلسطين جميعا ، نظرا لانهم اعرف الاقاليم العثمانية بما جرّت الصهيونية على سكان البلاد الاصليين من المضار ... اذ رأوا عيانا ما حل بكل قرية ابتاعها الصهيونيون الاجانب في ذلك الاقليم المقدس ، وكيف اضمحل السكان القدماء وتشتتوا ... » . وترى المقتبس ان اهل فلسطين لا يهدأ لهم بال « ... الا اذا شاهدوك تخدم افكارهم في دفع الخطر الصهيوني عن البقية الباقية من اراضي اجدادهم ... وتمتعوا بخيراتها واحبوا ان يتمتع بها ابناؤهم من بعدهم » ولكنها تذكر نصار بان المقتبس « ... قد نوّع الاساليب منذ سنين في بيان اخطار الصهيونيين على البلاد ... وسمعت صرخاته الا قليلا في الاستانة ، ولكن ما الحيلة اذا كانت الحكومة تلوّب على الحسابات القديمة لتسدد بها بعض عجزها المالي » .

اثمرت حملة الكرمل جزئيا (من زاوية الاراضي المدورة فقط) وبدأت الصحف العربية الاخرى تخوض هذا الموضوع ، فقد حثت جريدة المقتبس الحكومة على بيع الاراضي الى الوطنيين العثمانيين او الى المهاجرين السوريين ، وثروة هؤلاء في مصر لا تقل عن ٥٠ مليون جنيه (٢٠٣) . ودخلت جريدة (فلسطين) هذا الجدل متأخرة، وكانت على العموم قد سكتت عن خوض موضوع الصهيونية منذ عودة الاتحاديين الى السلطة ، وعللت ذلك بتشاؤمها من همة ابناء الوطن (٢٠٤). وكان احد الكتاب قد طلب من الجريدة ان تشبع الكلام في موضوع الاراضي المدورة لان « الجريدة عوّدته الاخلاص والجرأة » ، وقد اوكلت (فلسطين) لهذا الكاتب امر هذا الموضوع ، عسى ان « يوفق تفاؤله ليتغلب على تشاؤمنا » . ويقترح الكاتب ، نظرا لان الصراخ والمحاولة الفارغة لن تجديا شيئا ، ان يقوم فريق من الاغنياء في نابلس والقدس ويافا وحيفا وغزة بتشكيل شركة وطنية فلسطينية تعمل على جمع الاموال وتستدين كذلك من المصارف ما يكفي لشراء الاراضي حتى ترجع الحكومة عن قرار البيع . وهاجمت جريدة (الرأي العام) (٢٠٥) البيروتية فكرة البيع بالمزاد العلني واقترحت اما تقدم العثمانيين لشراء الاراضي ، او انشاء مصاريف عقارية تقرض الزراع مقابل رهن اراضي الملاك لعدة سنوات . وكان الامير سعيد الجزائري قد تقدم الى والي بيروت والشام بمثل هذا الاقتراح (٢٠٦) . واستعرضت جريدة الاصلاح (٢٠٧) البيروتية

٢٠٢ – **المقتبس** ، ١٩١٣/٧/١٩ . والمقتبس لا تشير الى اسم نصار صراحة بل تذكر انه صديق من فلسطين واقف على اسرار الصهيونية ، وكان في مقدمة من نبهوا الافكار الى مساوئها .

٢٠٣ – **المقتبس** ، ١٩١٣/٧/١٩ .

٢٠٤ – **فلسطين** ، ١٩١٣/٧/١٢ – وجدت فلسطين في المشروع كله دليلا على ان الحكومة والشعب لم يخلص احدهما النية للآخر ، وان كلا منهما يرى انه غريب عن الثاني ومصالحه لا تتفق مع مصالحه...» .

٢٠٥ – **الرأي العام** ، ١٤ و ١٩١٣/٧/٢٥ .

٢٠٦ – **الكرمل** ، ١٩١٣/٧/٢٥ . وعلقت الكرمل « ... ان الزعيم من يسعى كالامير لمحافظة حقوق الشعب ... وتأمين مستقبلهم ... ويدل حكومتهم على الطرق النافعة لها ولهم ... لا من يعرفنا بنفسه حين التزام الاعشار وتسليف الفلاح بفوائد فاحشة ، فنحن سنعرف الفلاح والشعب بعد الان بزعمائه الحقيقيين » .

٢٠٧ – **الاصلاح** ، ١ و ١٩١٣/٨/٢ .

المشروع الذي أسمته (مشروع جاويد بك) (٢٠٨) منذ بدايته في مقالين متتاليين وبينت الخطر المتعدد الوجوه لتزاحم الشركات الاجنبية على مشترى الاراضي وخاصة ان رأسمال البلاد الطبيعية هي الاراضي الزراعية ، وتقدم عدد من اعيان نابلس بطلب الى والي بيروت للاطلاع على شروط البيع الموضوعة للاراضي المدورة، لان في نيتهم مشترى ما هو واقع منها في غور بيسان (ولم يجبهم الوالي ، وربما لان الاستانة لم تجب من جهتها) (٢٠٩) . واشارت الكرمل الى خبر ورد من بيروت ان احد امراء مصر طلب تفضيله عن غيره من الشركات الاجنبية اذا كان لا بد من البيع ، قائلا « وطن يباع بالدلال فمن الواجب علينا ان نشتريه ... » (٢١٠) . ومع ان الكرمل كانت لا تزال تفضل توزيع الاراضي على المزارعين واستيفاء ثمنها بالتقسيط منهم « الا انه اذا لم يكن ذلك ، فهي ترجح بيعها لأمير كبير من امراء المسلمين لا يمكن ان يكون سمسارا للاجانب على ان يصلحها ويوزعها على المزارعين ويقسط اثمانها عليهم » .

ولكن على العموم لم يكن موقف رجال الاصلاح مشجعا فيما يتعلق بمسألة الاراضي ، التي هي جزء من خطر اعم . وكان دفاع جريدة الاصلاح (٢١١) غير مقنع، حيث قالت : « ... بان رجال الاصلاح لم يغفلوا ذكر الاملاك الاميرية في لائحتهم » (٢١٢) وانهم في بيروت قد كتبوا الى اخوانهم في باريس ليهتموا كل الاهتمام بهذا الامر ، لان وفدهم في باريس هو الذي يخاطب الحكومة المركزية رأسا . وعلى حد قولها « لو انهم توقعوا اقل فائدة من مراجعتهم للمراكز من بعيد او بواسطة الحكومة المحلية لما ترددوا فيها » . وتضيف الاصلاح « ولكننا بأسف نقدر ان نقول اننا شاعرون بالضيم الذي سيلحق بهم من جراء بيع الاراضي المدورة ، ولكن املنا ضعيف بامكان تلافي ذلك الضرر ، ومع ذلك فليكونوا على ثقة من عملنا (الهادىء المستمر) على محاولة دفع الخطر الاقتصادي عنهم ، واذا رأوا طريقة غير خطتنا للعمل فليسعوها ونحن معهم ساعون على تنفيذها ولا تكلف نفس فوق طاقتها » .

عدا هذه الاشارات المتفرقة الى قضية الاراضي ، فقد استمر التغاضي عن المسألة الصهيونية – ككل – لدى الاوساط ذات الاهتمام بالحركة العربية ، حتى لقد

٢٠٨ – تذكر الجريدة ان جاويد هو الذي استدعى سليم الاصفر منذ خمس سنوات من باريس حيث كلفه اولا بأخذ امتياز الحولة ... ثم تجسم المشروع بعد ان كان ٥٠ – ٦٠ الف دونم (هو مشروع الحولة) اضيف له طلب غور بيسان (نصف مليون دونم) حتى صار ١٨٠ مليون دونم . وتخاطب الجريدة جاويد « ... فليمهلنا ... ريثما ننتهي من دفع فائدة القروض التي عقدناها بواسطته وفي عهد نظارته ... » .

٢٠٩ – **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/٢ .

٢١٠ – **الكرمل** ، اول آب (اغسطس) ، وقد اشارت الكرمل في مقال آخر (١٩ ايلول ، سبتمبر) ان هذا الامير هو عم الخديوي (الامير ابراهيم باشا حلمي) .

٢١١ – نقلت **الكرمل** رد الاصلاح في اول آب ١٩١٣ .

٢١٢ – جاء في اللائحة « ان تسلم الاراضي المحلولة والاراضي الاميرية الداخلة ضمن الولاية الى المجلس العمومي وتكون برمتها للولاية » .

بات نصار في مقال « الى خيامك يا اسرائيل » (٢١٣) يخشى على سكان فلسطين ان يقولوا « ليس لنا نصيب في طلاب الاصلاح وحزب اللامركزية ومؤتمر باريس ... نحن املنا ان يدفعوا عنا خطر الصهيونية ويطلبوا من الحكومة المحافظة على القومية العربية فلم يفعلوا » . ويخص مؤتمر باريس بقوله « ... المصلحة العربية تقضي عليه المحافظة علينا لاننا فريق من العرب الذين يطلب لهم الاصلاح ، وهذا الفريق يؤلف قوة لا يستهان بها ، ووطننا جزء لا يتجزأ من الوطن العربي العثماني » . ويرى نصار انه اذا اهمل هؤلاء هذا الواجب فلأننا « نحن الفلسطينيين لم نبرهن عن اهليتنا لعنايتهم واهتمامهم بنا ... لذلك ، وحتى يكون لاهل فلسطين كلمة مسموعة ، عليهم ان تجتمع كلمتهم وتنظم احوالهم الاجتماعية بتأليف (جمعية وطنية لا صهيونية) تحفظ البلاد لاهلها بترقية شؤونهم الزراعية والاقتصادية والعلمية ، وايجاد الالفة الاجتماعية فيما بينهم » . ويقترح ان يكون مركز هذه الجمعية مدينة نابلس لانها « مركز متوسط في فلسطين ولانها عربية بحتة ولان المبادىء الوطنية اصبحت قوية وذات قيمة فيها بنسبة عدد المتعلمين من ابنائها » . وهو يرى انه بعدما تتألف هذه الجمعية وتوافق عليها الحكومة ، يبدأ بتأليف فروع لها في كل بلد وقرية من بلاد فلسطين ، حتى اذا قويت تمدد فروعها الى جميع الانحاء العربية ، وبنظره انه « اذا احسن تأليف هذه الجمعية وسلكت خطة معقولة معتدلة ، لا تلبث ان تصير مرعية الجانب ، عالية الصوت في المجتمع العربي ، تعير قوتها الادبية في كل مكان للحزب الذي يخدم مبادئها ، وحينئذ تضطر الاحزاب الى استمالتها وخدمة مبادئها للفوز بمساندتها الادبية » . ويضع نصار اقتراحه امام كبار البلاد ومفكريها « ليتداولوا فيما بينهم وليعلموا الحكومة برغبتهم في عقد مؤتمر لهذه الغاية في نابلس يعينون ميعاده ، ويدعون الناس اليه دعوة عامة » .

زاد الحاج نصار على الدعوة الى فكرة مؤتمر نابلس بعد رد جريدة الاصلاح عن ضعف الامل بتلافي بيع الاراضي المدورة ، فقال « ... نحن من قبل ان يجيء الاصلاح بهذا الجواب الدافع الى اليأس قلنا لاهل فلسطين ليس لنا نصيب في اللامركزيين المصلحين ، ونصحناهم بتأليف جمعية ، لانه اذا انتظمت قوتهم الاجتماعية لا يعود يستهان بها ... فضلا عن انها تبحث عن الطرق الكافلة سلامة وطنها والمؤمنة حياة اهله الاجتماعية والاقتصادية » . ويستخلص من ذلك « ... ان اهالي فلسطين لا يجب ان يكونوا عالة على غيرهم ، بل يجب ان يسعوا ليكونوا قوة محترمة تحدث في المجتمع العثماني تأثيرا (٢١٤) . ولاقت دعوة الكرمل ترحيب جريدة فلسطين فحبذت عقد مؤتمر وطني ، وفي نابلس بالذات ، لان « ما يجده المؤتمر في نابلس من الاخلاص في النية والغيرة في العمل لا يجدونه في بقية مدن فلسطين التي كثرت فيها سماسرة

٢١٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٧/٢٥ ، ويقول نصار « ... جاء في التوراة انه لما طلب بنو اسرائيل من رحبعام ابن سليمان ان لا يعاملهم بالشدة التي عاملهم بها ابوه اجابهم « ابي ادبكم بالسياط اما انا فأؤدبكم بالعقارب » فعندئذ قال بنو اسرائيل « ... ليس لنا نصيب ... فالى خيامك يا اسرائيل ... » ونصار يخشى ان يضطر اهل فلسطين ان يقولوا مثل هذا القول .

٢١٤ ـ **الكرمل** ، اول آب (اغسطس) ١٩١٣ .

الصهيونيين » (٢١٥) . وقدمت تفاصيل اكثر عن المشروع المقترح ، اذ هي ترى انه « متى اجتمع المؤتمر ، تؤسس له لجنة عاملة تقيم لها فروعا في بقية مدن فلسطين، وتتخذ سلاحها الخطب في الاجتماعات والنصائح في الصحف والاحتجاج بلسان البرق، واقناع المثرين ليخرجوا للنور الوف دنانيرهم التي أضر بها وبهم وبالوطن طول اختفائها في ظلمة الصناديق » . ويدعو كاتب آخر في الكرمل (٢١٦) عقلاء البلاد ومفكريها وزعماءها للسعي لتأليف جمعية لمقاومة الصهيونية ، يوضع لها قانون يكفل تحسين احوال البلاد الاقتصادية والزراعية والعلمية ، واحياء المبادىء الوطنية ، وتمنع الصهيونية بسائر الوسائل المشروعة عن أمتلاك الاراضي والعقارات في البلاد ، ومن الاستيلاء على موارد التجارة . ويقترح الكاتب ان يكون المركز الاعلى للجمعية التي تدعى « الجمعية اللاصهيونية » نابلس او بيروت او دمشق او القدس وفروعها في سائر مدن سوريه ، وان تنظم لها خطة عامة تسير عليها .

لكن المؤتمر لم ينعقد ، كل ما جرى سلسلة جديدة من الاجتماعات والبرقيات الى الجهات المسؤولة،اهمها اجتماع عام لاهالي نابلس احتجاجا على بيع الاراضي(٢١٧). ونظرا لان مساعي التفاهم التي كانت تبذل في الاستانة للتقريب بين الحكومة ورجال الاصلاح ، حسب الخطوط التي تم الاتفاق عليها في باريس ، كانت تصل فلسطين تباعا ، فان كل برقيات الاحتجاج والاجتماعات المتتالية في فلسطين كانت تدور حول فكرة واحدة : ان اساس الاصلاح والتفاهم مع الترك هو عدم التفريط بالاراضي للاجانب ، لا سيما الصهيونيين (٢١٨) . وبعد ان اعلنت الحكومة قبول مطالب الاصلاحيين ، ونجحت المساعي التي بذلها عبد الكريم الخليل (رئيس المنتدى الادبي ومعتمد هيئة الشبيبة العربية في الاستانة) في التقريب بين الطرفين ، كانت الكرمل تأمل (٢١٩) « ان ينال الفلسطينيون من هذا الاتفاق نصيبا ايضا وهو بقاؤهم آمنين في اوطانهم ببقاء اوطانهم عثمانية ، وهذا يكون برهانا حسيا على رغبة الحكومة في منح العرب مطالبهم الاصلاحية ... » .

ولا شك ان ثورة الرأي العام ـ وخاصة في فلسطين ـ على بيع الاراضي ، قد دفع بالحكومة ـ بعد تردد طويل ـ الى التراجع عن موقفها رغم حاجتها الملحة للمال. وقد يكون الموقف الذي اتخذه سليمان البستاني ، الذي كان يتولى نظارة الزراعة والتجارة حينذاك ، قد اقنع سائر الوزراء باجابة مطالب العرب (٢٢٠) . وتأكد نهائيا

٢١٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/٢ .

٢١٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/٨ (الكاتب احمد عبد المهدي) .

٢١٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/١٢ (مقال : الصوت الحي يتجاوب من جميع البلاد العربية) برقية اجتماع نابلس تطلب من الحكومة ان تصرف النظر قطعيا عن مشروع المزاد العلني ووجوب اعطاء الاراضي ببدل المثل وبصورة مقسطة للمزارعين .

٢١٨ ـ **المصدر نفسه** .

٢١٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/١٥ .

٢٢٠ ـ كشفت مجلة **المشرق** في عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ ص ٩١٥ ـ ٩١٧ بمناسبة وفاة سليمان

(التتمة على الصفحة التالية)

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٣ من نظارة المالية توقف اي معاملة بخصوص بيع اراضي بيسان وغيرها، وان المالية تفكر باتخاذ قرار عمومي بخصوص هذه «الجفالك»، وفيه المحافظة على حقوق الاهالي والمزارعين . وبنفس الوقت كانت وزارة الداخلية قد كلفت سليمان ناصيف ـ وهو من السوريين المقيمين في مصر ـ بتقديم تقرير زراعي ، خلاصته ان يعهد باصلاح جفالك بيسان الى شركة وطنية تتعهد باصلاح الاراضي بظرف ١٠ سنين وتقسمها الى مزارع صغيرة حديثة ، تبدأ ببيع المزارعين الاصليين ما يلزمهم من الاراضي وبالتقسيط على ١٥ سنة (٢٢١) . كما اشيع فيما بعد ان الحكومة العثمانية قد عزمت على رهن الاراضي في غور فلسطين مقابل قرض ٣٠٠ الف ليرة انجليزية لدى حبيب باشا لطف الله ، المليونير السوري ، وكان الاخير يبدي اهتماما بالمنطقة من اجل اجراء تجارب زراعة القطن فيها ، واوفد ويلكوكس لهذا الغرض (٢٢٢) .

وهدأت الحملة التي قادتها الكرمل حول قضية الاراضي المدورة ، الا ان هذا لم يخفف مطلقا من شدة دعوتها الى (مؤتمر نابلس اللاصهيوني) . وكان يرافق هذه الدعوة نقمة عارمة على ابناء الوطن ، زعمائه واعيانه بوجه خاص ، ودعتهم مرة « سكان القبور » (٢٢٣) ، لغفلتهم بعد ان مضت خمس سنين والكرمل تنبه الى خطر الصهيونيين « وهم لا يسمعون ولا يعون ، بل هم لاهون في اشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحدق بهم من الاخطار ... » . ولم يجد نصار لدعوته لتأليف جمعيات « الا اصداء قولية ضعيفة » ، حتى ان بعض ابناء الكبراء والزعماء والاغنياء ـ كما يقول ـ يشتغلون ... « سماسرة صهيونيين وخدمة على ضياع وطنهم وقوض كيانهم » . ويرى انهم لو سارعوا الى عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات التي تهتم باتقاء خطر الصهيونية عن البلاد لأقامت سوريه والعرب والحكومة الفلسطينيين وزنا كبيرا ، والا صاروا « حكاية تاريخية بعد حين » . لقد كان مريرا في هجومه ولومه بعد ان لمس الادلة بان افراد الامة متهاونون ، بل انه قرأ احكاما

البستاني عن الدور الذي لعبه حين كان وزيرا للتجارة والزراعة والغابات والمعادن عام ١٩١٣ في معارضة قرار الوزارة ببيع اراضي غور بيسان الى البارون ادموند دي روتشيلد وشركته المعروفة بشركة الاستعمار اليهودية ، ورغم اصرار انور باشا واغلبية الوزارة على البيع لحاجة الخزينة الى المال ، فقد اصر البستاني على الرفض وهدد بالاستقالة بعد ان شرح للوزراء اهمية الغور الزراعية والاقتصادية . وخشي انور باشا احداث قلق في الرأي العام وتناول القرار فمزقه ، وتضيف المشرق ان غور بيسان قد سلم من الصهيونيين حتى كانت اتفاقية غور بيسان في ١٩/١١/١٩٢١ حيث جرى تطويب الاراضي على اصحابها العرب القاطنين . تكشف المشرق كذلك ان الذي كان قد اشار على السلطان عبد الحميد بشراء الاراضي المعروفة بالجفالك السلطانية رجل يهودي في خدمته اسمه يعقوب عدس .

٢٢١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١٠/٢٨ وكانت مجلة **ذي نير ايست** (١٩١٣/٨/٢٢) ص ٤٤٨ **لا تثق** باي مشروع وطني وتحاول ان تثبت انه رغم الاحتجاجات الوطنية وحملات الصحافة فان حاجة الدولة للمال تجعل احسن الاجراءات لكل الاطراف المعنية هو بيع هذه الاراضي لرأسماليين اجانب !! حيث تتوفر المعرفة العلمية والدعم المالي لتطوير هذه الاراضي بمواردها الغنية .

٢٢٢ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١١/٧ **ومرآة الغرب** ١٩١٣/١/٣١ .

٢٢٣ ـ **الكرمل** ٨/٢٢ و ٢٦ و ٨/٢٩ ، ١٢ و ١٩١٣/٩/١٩ .

صادرة عليهم بانهم ليسوا اهلا للحياة « ... وان اليهود الصهيونيين الذين يبرهنون على كونهم امة ناهضة حية احق بالحياة وبالبلاد منهم » . ويذكّرهم انه في هذا العصر ، قد انقضى دور العواطف والشعور وحل محله دور تنازع البقاء : « ... اتنتظرون اذا في هذا الدور دور المصلحة والمنفعة ان ترحمكم الدول والحكومات والشعوب اذا بكيتم وتذللتم ، وترثي لحالكم اذا شكوتم اليها فقركم وتمسكنتم امامها ؟ ... فالدنيا ما خلقت لغير القوي ، فمن العبث (ان) تعللوا نفوسكم بتأمين عدل القوي في الضعيف عن طريق الاستعطاف والاسترحام ، فكلما ظهر دليل على ضعف الضعيف هتف هاتف في صدر القوي ان اسحقه وامحقه ، فهو غير صالح للبقاء ، يشغل قسما من الارض ويعطله ، والارض انما خلقت للاقوياء » .

يأس نصار من زعماء البلاد قد حمله احيانا الى اليأس وعدم الثقة باي زعامة خارج فلسطين ، طالما لا تضع حدا للخطر الصهيوني . ومع ان هدفه من دعوة الفلسطينيين الى تأليف جامعة عربية فلسطينية قوية هو كي « لا تكون فلسطين سهلا يمر به الغزاة فلا يجدون فيه عقبة فيكتسحون البلاد كلها » ، فقد دعا ان تكون هذه الجامعة قوية في نفسها « ولا تكون عالة على بيروت او الشام او حلب او العراق او الحكومة العثمانية ، فقوتها درع لها وحصن لجارتها وحكومتها » ، ويقول « على الفلسطينيين ان يعتمدوا على انفسهم ، وخاصة ان الخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددهم مباشرة والامل ضعيف بحركة بيروت الاصلاحية ، اذ هي تطلب الحياة من الغير ، مع ما فيها من شعور وارادة حرة وعقل وحكمة ... علينا ان نطلب الحياة من طريقها الصحيح لا ان نقول للغير ارحمونا وادفعوا عنا البلاء ، ولا للطامعين فينا اشفقوا علينا وكفوا عن الطمع فينا ، فهذه اقوال ليس لها وجود في قاموس تنازع البقاء » (٢٢٤) . ومع ان المؤتمر الفلسطيني لم يخرج الى الواقع ، الا انه لا يمكن ان نقول ان دعوة نصار قد فشلت ، فالجيل الجديد تجاوب معها ، ورحبت «الشبيبة الفلسطينية » في الاستانة بالمؤتمر الفلسطيني لمقاومة الصهيونية (٢٢٥) ، ومع ترحيبهم جاءت شكوى مرّة من مساعي الصهيونية ، وتذمر من عدم عناية الحكومة وانتباه الاهالي لأمرها. وتقدم طالب فلسطيني في القاهرة (٢٢٦) بمقترحات للمؤتمر الفلسطيني الذي يجب ان يضع حدا لهذا الخطر المخيف ، بعد ان بدأت الاراضي وجزء كبير من موارد الثروة والرزق تنتقل الى الصهيونيين ، وذلك بانشاء مصرف وطني يقرض الفلاح ويخلصه من السقوط بايدي المستعمرين والمرابين ، وان « تشكل لجنة لتطوف بالبلاد لتفهيم الناس حقيقة الحال وخاصة الذين يسلمون وطنهم لقاء مبالغ من المال » . ولم يجد نصار وكتاب آخرون اي مانع من ان يكون الصهيونيون مثلا للاقتداء في التنظيم ، وخاصة مع اقتراب عقد المؤتمر الصهيوني الحادي عشر » . فالصهيونيون

٢٢٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٩/٢٦ . وجهت المفيد لوما لصاحب الكرمل لدعوته الفلسطيني قائلا « ما حك جلدك سوى ظفرك ، فقم للمدافعة عن نفسك بنفسك » ... ورد صاحب الكرمل « ... معاذ الله ان نقصد بقولنا التفريق بين اهل بيروت وفلسطين ... ولكنا نريد ان يكون للفلسطينيين جامعة محترمة بذاتها ... » .

٢٢٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٩/٩ .

٢٢٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/٢٩ (الكاتب هو نقولا قبعين) .

يعقدون المؤتمرات من وقت الى آخر للبحث في درجة تقدمهم في استعمار بلادنا ... فهلا اعتبرنا وعقدنا نحن ايضا مؤتمرا لمقاومتهم ؟ » (٢٢٧) ولا بأس من تقليد اساليبهم التي دفعت بهم الى النجاح ، « ... لقد نجحوا باتحادهم وتضامنهم وعملهم الصحيح ومالهم الكثير ، فلماذا يا ترى لا نتشبه بهم ... لماذا لا نكون مثلهم ؟ ... بل لماذا نرضى ان تتحول اموالنا واراضينا اليهم ؟ » (٢٢٨) .

هكذا كانت تقف الامور على ابواب المؤتمر الصهيوني الحادي عشر . لقد كانت الحرب البلقانية ذات نتائج بعيدة على تطور المسألة الصهيونية في الشرق ، رغم ان مسرح احداثها كان بعيدا : استغل الصهيونيون ظروف الحرب وحاجة تركيا للمال للمساومة وللحصول على تنازلات ، وبدأ مفكرو وزعماء العرب بعد ضياع الاجزاء الاوروبية من الدولة بالتفكير بمستقبل الاجزاء العربية الباقية، وذلك بادخال الاصلاح على اساس اللامركزية الادارية في وجه تيار تركي مركزي . وبينما كان الخطر الصهيوني يهدد جزءا حيويا من الممتلكات العربية في الدولة ، كانت اهمية هذا الخطر تحتجب خارج فلسطين وراء الصراع لنيل الحقوق العربية في ظل الحكم العثماني ، كما انصرف قدر كبير من الاهتمام العربي عن متابعة المسألة الصهيونية الى ملاحقة الاحداث الخارجية ، اما في داخل فلسطين فقد ظل التخوف من الخطر الصهيوني وكيفية مواجهته هو الشاغل الاساسي قبل اي مشكلة اخرى . ومن هنا حدث الاختلاف في وجهة النظر العربية داخل فلسطين وخارجها ، بل ان بعض قادة الرأي العربي في الخارج قد فكر بحل آخر هو امكان التوصل الى اتفاق مع الصهيونية لعوامل عديدة ، قد يكون من بينها كسب الصهيونيين الى جانبهم بدلا من مساندتهم الحكومة العثمانية ضدهم ، بعد ان تبين لهم مدى النفوذ الذي يتمتع به هؤلاء داخل الدولة العثمانية وخارجها . وواجهت الحركة الصهيونية معضلة : هل تسعى الحركة الى اقناع الحكام الترك بان هجرة يهودية ضخمة ستوازن الفكرة العربية وتقف في وجهها او تبحث عن تحالف مع الحركة العربية . شرح هذا الموقف تقرير سابق بعثه روبن الى المكتب الرئيسي للمنظمة الصهيونية (٢٢٩) . فالحكومة العثمانية ، في رأيه ، تعتبر الاستيطان اليهودي الحاجز ضد الخطر العربي ، الا انها لا تجرؤ على معاداة العرب علانية ، ولذلك فهو ضد الاصوات التي تنادي بان « على اليهود ان يختاروا الوقوف مع العرب او مع الاتراك » ، وخاصة في مثل هذه الظروف المتقلبة من العلاقات الحزبية ، فمن الضروري « ان يساير اليهود الريح فيهدئون الحكومة التركية ويطمئنون العرب » . هذه الافكار هي التي حاول هوخبرغ ان يطبقها في محادثاته مع الزعماء العرب ، بل حاول استغلال الاتفاق بين العرب والترك لمصلحة الصهيونيين . امر واحد لم تحسب حسابه الاطراف النشطة سياسيا ، هو المعارضة العربية القوية في فلسطين للصهيونية ، التي لم يكن بالامكان ان تجد للتفاهم بابا مفتوحا في وقت لم تعد اهداف الصهيونية خافية على احد .

٢٢٧ ـ الكرمل ، **العدد نفسه** .

٢٢٨ ـ الكرمل ، **العدد نفسه** .

٢٢٩ ـ رسالة روبن الى ولفسون في كولون (١٩١١/٧/١٥) بالالمانية. « ملحق مقال السبرج (العبري) ».

الفصل الخامس

بين الحركة العربية والصهيونية ... لقاء ام صدام ؟ ١٩١٤

١ ـ المؤتمر الصهيوني الحادي عشر وصداه في فلسطين :

استعد الصهيونيون في صيف سنة ١٩١٣ لجولة عمل جديدة في المؤتمر الحادي عشر الذي كان يزمع عقده في ايلول (سبتمبر) في فيينه ، ولم تكن اخبار الاعداد لهذا المؤتمر خافية على الرأي العام في فلسطين ، اذ كانت الصحافة العربية تلاحق اخبار انتخاب الممثلين الصهيونيين عن فلسطين (١) ، ونقلت (فلسطين) عن جريدة (ذي تروث) الاقتراحات التي ستطرح على بساط البحث في المؤتمر (٢) ، كما استعرضت تاريخ المؤتمرات الصهيونية وقراراتها منذ ان عقدت لاول مرة في بال (٣) . ومع الترقب والتخوف كان اعجاب وتحسر ، ودعوة للاقتداء . فأشارت (الكرمل) (٤) الى هذا المؤتمر الذي ستقصده وفود جمعيات الصهيونيين « ... ليقفوا على الاعمال التي قامت بها الصهيونية ، والمال الذي جمعته ، والبلاد التي اشترتها في فلسطين ، والمدارس التي شيدتها ، والجمعيات التي تألفت ، وعدد الصهيونيين الذين توطنوا في هذه البلاد ... وليفكروا في تقرير جميع الوسائل التي تسهل اعمالهم ، وتضمن سرعة نجاحهم ، وتخدر اعصابنا نحن اهل البلاد التي يطمعون هم فيها ، حتى لا نفطن الى اعمالهم ونتنبه الى انفسنا » . وعلقت (فلسطين) (٥) قائلة « لا يسعنا الا الاعجاب بهذه الامة الحية الراقية في افرادها ، العجيبة في ثباتها ، المخيفة في تضامنها

١ ـ The Truth, 1900 & 1913 شهدت القدس وداع هؤلاء بالنشيد العبري هاتكفاه (الامل) .

٢ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/٩ ـ خلاصة الاقتراحات في سبعة بنود : سرعة انشاء المعامل والمصانع ، زراعة اراضي واسعة من قصب السكر ، انشاء مصرف عقاري زراعي ، تأسيس جامعة اسرائيلية ، اصدار جريدة عربية تحت ادارة اسرائيلية غايتها « ... ان تقرب من افهام الاهالي العرب نيات الاسرائيليين السلمية » ، السعي للحصول على امتيازات مهمة من الحكومة تساعد على استخراج الكنوز المدفونة في فلسطين .

٣ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٩/١٣ .

٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/١٥ .

٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/٩ .

... ونود لو نرى مثل هذا التضافر والتضامن عندنا » ، ولم ير صاحب الكرمل (٦) مانعا من ان يوفد السوريون من قبلهم وفدا ليحضر جلسات هذا المؤتمر ويقف ولو على بعض مقرراته العلنية ، ثم ليشهد تنظيم المؤتمر والامور التي يشتغل فيها ... وكيف اثمرت بتأليف الجمعيات ونبهتهم الى الاتحاد والعمل يدا واحدة (٧) ، ووجد في الاعداد لهذا المؤتمر مناسبة للدعوة الى ابراز اقتراحه بعقد المؤتمر اللاصهيوني الى الوجود ، وكان نداء حارا « ... الى المؤتمرات ، الى الجمعيات ، الى النهوض بالزراعة والمعارف ، الى ترقية حال الفلاح الاجتماعية ، الى التضامن الاقتصادي ، الى الحياة يا قوم ... الى الحياة ، والا فنحن بحكم التنازع منقرضون » .

وابدت صحيفتا المقطم والاهرام اهتماما مماثلا ولكن باسلوب آخر ، وفتحت اعمدتها لكتاب يهود لمتابعة حملة جديدة من الدعاية الصهيونية ، فكتب احدهم في الاهرام (٨) مقالا كال فيه المديح للشعب اليهودي وتطلعه نحو آمال جديدة « في مهد تاريخه ... يوم يرى فيه نهضة الشرق من جديد ... » . وابدى كاتب صهيوني آخر في المقطم (٩) توقعات متفائلة بما سيحمله المؤتمر ، وصوّر عمل الجمعيات الصهيونية عملا انسانيا يبغي تخليص اليهود بعد سلسلة طويلة من الاضطهاد .

وتركزت المناقشات التي دارت في قاعة المؤتمر (١٠) حول تقرير اللجنة التنفيذية المركزية عن عملها في مجالات التنظيم والدعاية والاستيطان الفلسطيني ، كما خصص المؤتمر جانبا كبيرا لبحث العلاقات الصهيونية العثمانية العربية . وقد لخص واربورغ رئيس اللجنة التنفيذية ، الخطة التي انتهجتها اللجنة منذ المؤتمر العاشر في ثلاث عبارات « ... ان الصهيونية سائرة في معارج التقدم والقوة ، ان سلامة الصهيونية مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية ، ان المسألة اليهودية والعربية متفقتان تمام الاتفاق لا تناقض احداهما الاخرى » . وفي التقرير المطول للجنة العليا شرح مفصل ، بالارقام والجداول ، للنشاط العملي الذي تم وعن مركز الحركة ازاء السلطة العثمانية . ومن هذه الزاوية كانت الاشارة الى العرب الذين يكونون اكثرية السكان في فلسطين « ... ان ما نجلبه ونأتي به من المنافع المادية ووسائل الارتقاء العلمي ، انما يخدم وينفع ايضا مصالح الاهالي العرب ، ولم يبق اقل ريب في ان جميع ذلك يصبح على توالي الايام عاملا قويا من عوامل المشاركة الودية التي لا تشوبها شائبة في العمل ما بين هذين العنصرين المتصلين الى هذا الحد بصلات قربى الجنس وقربى لغتيهما

---

٦ ـ نقلتها **المقتبس** ، ١٩١٣/٧/١٧ .

٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٨/١٥ .

٨ ـ **الاهرام** ، ١٩١٣/٨/٢١ (الكاتب ابو عمران موسى بن عبد الله) .

٩ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/٩/٩ (الكاتب مصرايم ٠ ح) .

١٠ ـ حضر المؤتمر (٢ ـ ١٣ ايلول ، سبتمبر) اكثر من ٥٠٠ مندوب و ٣٥٠٠ زائر ، وربع المندوبين جاءوا من روسيه التي تحوي نصف يهود العالم ، ولكن مجموعة كبيرة جاءت من اجزاء مختلفة (من فلسطين ٣٠ مندوبا) ـ بعض تفاصيل ما دار في المؤتمر وردت من مراسل خاص من فيينه .
The Near East, 12.9.1913
ونشرت **الاهرام** تفاصيل وقائع المؤتمر في اعداد ١٢ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٧ ايلول (سبتمبر) .

الشقيقتين » (١١) . واشار التقرير المفصل الى ان « منهج زعماء الحركات العربية قد ابتدأ ان يكون حبيا وداديا ... » . ومن هنا كان هذا الاهتمام الخاص بالعمل الصهيوني في مصر بالنظر لمجاورة البلاد المصريةلفلسطين . ونبه مندوبمصر الصهيوني (المسيو سرور) الى وجوب العناية بمصر لانها مهد الحركة العربية وميدانها (١٢) . وكان من جملة الخطط التي وضعت لتوسيع نطاق العمل الصهيوني في مصر نشر المقالات والمباحث في الصحف العربية الكبيرة لبيان ماهية الحركة ، لانه « ... يهمنا ان يكون لنا صوت يتكلم في الصحافة العربية فتفهمنا ... » ، ثم ان العمل الصهيوني ـ كما اضاف التقرير ـ يمكن ان يؤثر على رجالات العرب ، وعلى الصحافة العربية نفسها .

ووجه الى اللجنة التنفيذية انتقاد حاد للخطة العملية التي اتبعتها ، من قبل حزب المعارضة او ما يسمى (المدرسة السياسية) ، بحجة ان اللجنة متهورة وغير حذرة في مشاريعها المتعددة ، التي لم تدرس دراسة كافية ، ولم تأت بشيء من الكسب ، ولا يستخلص من هذه الانتقادات الا امر واحد : ان المعارضين يشكون من البطء (١٣) . وتولى الدفاع انصار المدرسة العملية ، الذين يوجهون اللجنة ، بحجة ان ما خسروه من الاموال وما ارتكبوه من الاخطاء ، كما يقول اوسشكين « ينسى حينما نرى اننا لم نمتلك الارض في فلسطين فقط بل صار لنا فيها عملة من بني جنسنا يسفكون دماءهم في سبيل اكتساب الاراضي الجديدة » .

وكان تقرير (روبن) ، مدير مكتب فلسطين الصهيوني ، دفاعا مسهبا عن مزايا السياسة العملية التي هو من انصارها (١٤) (وهي المرة الاولى التي يقدم تقرير رسمي عن عمل مكتب فلسطين منذ بدأ نشاطه في ربيع ١٩١٣ بعد ان كانت التقارير تقدم عن طريق اللجنة التنفيذية او عن طريق صندوق الامة اليهودي) . ورد على منتقدي النشاط العملي بدعوتهم « الى ان يمدوا الى دولاب العمل الفلسطيني ايديهم كي تتحسن الاشياء ... » . ودعا اليهودي غير القادر على الهجرة ، ان يقوم على الاقل بزيارة فلسطين ما استطاع كي يشارك في اي مهمة ولو ماديا . ثلاث نقاط اشار اليها روبن في تقريره لها مساس بالعلاقات مع العرب : الاولى هي فكرة استخدام العمل اليهودي والاستغناء عن العمل العربي ، دون ان يرجع ذلك الى شعور عدائي نحو العرب « ... بل تنبع من رغبتنا في تحويل انفسنا الى عمال ، والى اخصاب التربة بعرق اجسادنا ... » ، وحول خطة العمل اليهودي ، رأى روبن ان المهاجرين، الذين

---

١١ ـ يعلق مراسل **الاهرام** على هذه الفقرة بانه تبعها « تصفيق شديد متوال جدا » .

١٢ ـ اشارت **الكرمل** الى هذه النقطة (١٩١٣/٩/٩) .

١٣ ـ نقلت جريدة **فلسطين** (١٩١٣/١١/٨) عن مجلة اسمها « صدى الصهيونية » تفاصيل هذه الانتقادات منها دفاع ليفين ـ احد اعضاء اللجنة المركزية ـ « ... اننا في استعمارنا فلسطين **لا** يطلب منا ان نحكم العقل بل القلب في كل اعمالنا ، فكل الاغلاط التي ارتكبناها ونرتكبها **لا** تعد شيئا لان المهم عندنا هو ان تصبح فلسطين مركز نشاطنا وميدان اعمالنا » .

١٤ ـ Ruppin, A., **Three Decades of Palestine, Tel Aviv, 1963, pp. 35 - 65**
وردت خلاصة للمقال في **الاهرام** ١٩١٣/٩/٢٧ وكذلك في مجلة :
The Near East, 12.9.1913, p. 541.

اسسوا المستوطنات الاولى ، قد تقدموا في العمر ، واصبح من الواجب ترغيب الشبان المتلئين حماسة وغيرة في الهجرة ، وجلبهم الى فلسطين ليشتغلوا بأيديهم ، ونظرا لان هؤلاء المهاجرين لا يستطيعون المضاربة على العمال العرب الوطنيين « ... الذين هم اجلد منهم على العمل ويقتنعون بأجرة اقل ... » فلا بد من تأسيس مستوطنات للمهاجرين يستطيعون فيها ان يكسبوا قوتهم وان يتعودوا في الوقت نفسه على العمل ويتعلموا صنعتهم الجديدة . ومن اجل التسريع بعملية بناء القوة العاملة اليهودية كانت خطة نقل اليهود اليمنيين الى فلسطين التي بدأت بعد سنة ١٩٠٨ بتركيز ودعاية شديدتين .

والنقطة الثانية التي اثارها روبن من زاوية العلاقات العربية : هي كيف يمكن التوصل الى الاغلبية العددية وخلق محيط يهودي ؟ ... يقر روبن ان المشاريع الصهيونية لم ترافقها زيادة سريعة في السكان ، اذ ان يهود فلسطين الذين يبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ ، من اصل ٧٠٠٫٠٠٠ ، عليهم ان ينتظروا عشرات السنين قبل ان يصبحوا غالبية . ويشير هنا الى الفكرة الخاطئة التي كانت سائدة منذ بداية الحركة الصهيونية بكون فلسطين « بلدا فارغا » ، وصحيح ان فلسطين هي بلاد قليلة السكان ، وانها ــ بتطوير اقتصادي ــ تستطيع ان تستوعب اربعة اضعاف سكانها الحاليين ، الا انه في الوقت الحاضر يتفوق العرب بنسبة ٦ الى ١ في الاراضي المزروعة . ولمواجهة هذا العائق العددي ــ بنظره ــ يقترح ان « لا يتوزع اليهود كيفما اتفق في كل البلاد ... بل ان يتركزوا في مستوطنات في عدة نقاط قريبة او مجاورة للمدن ، تكون خلفية اقتصادية لليهود في تلك المدن ، وبهذا الاسلوب فقط يمكن تحقيق الهدف » ، ويعني به « خلق محيط يهودي واقتصاد يهودي مغلق ، يكون فيه المنتجون والمستهلكون والوسطاء كلهم يهودا ... » .

النقطة الثالثة التي اوضحها روبن هي خلق صلات سلمية ودية بين اليهود والعرب ، ويبدو عبثا بنظره « الاكتفاء بمجرد التأكيد للعرب اننا نحن قادمون للبلد اصدقاء لهم ، ولا بد ان نبرهن على ذلك بأفعالنا ... » ، انه واثق ان الاستيطان اليهودي قد جلب منفعة مادية كبرى للعرب ، ليس فقط باتاحة العمل للعرب بجوار المستوطنات ، بل برفع سعر الاراضي والمنتجات الزراعية ، وتعلّم قدر كبير من الاساليب الحديثة في حقل الزراعة ، وكذلك مساهمة الاطباء والصيادلة اليهود في حالات المرض . ولكنه يؤكد على وجوب العمل الكثير في هذا الاتجاه ، ويأمل بذلك ان يستطيع كسب صداقة العرب ، ويوصي هنا بان تتم عمليات شراء الارض «بأقصى تكتيك بارع ، وان لا ينجم عنها اي نتائج وخيمة ... » . ويدعي روبن ان معظم الاراضي التي اشتريت لا تصلح لزراعة الحبوب ، فهي عمليا « ... ليست بذات فائدة للعرب » . اما في الحالات القليلة التي تم فيها شراء اراضي صالحة ، فكان الحرص على تعويض المستأجرين الذين كانوا يشغلونها ... « حتى لا يحملوا اي حقد » . وهو متفائل بانه يمكن اجراء عدة عمليات شراء في المستقبل دون خلق مصاعب للعرب لو اخذ بعين الاعتبار « ... انه بتعلم العرب اساليب التحسين الزراعية يمكنهم ان يدبروا امرهم بمساحة ارض اقل بكثير مما كانوا يحتاجونها في ظل النظام البدائي» .

ولو بقي رغم هذا الحرص ظلال من سوء العلاقات العربية اليهودية، فان روبن يرجعها الى عدة عوامل : الاول ان اساليب وعادات القادمين الجدد تفصلها هوة كبيرة عن تلك التي للسكان العرب ، وهذا « ... وضع عام في اي مكان يتصادم به شعبان من ثقافتين ولغتين مختلفتين ... » ، والثاني ان الجماهير العربية تستمد وجهة نظرها من طبقة عليا من العائلات ، ذوات النفوذ . اما السبب الثالث بنظره فهو « الصحافة العربية ، التي يملكها في الغالب مسيحيون ، يحملون قدرا معينا من العداء لليهود وتسيطر عليها الطبقة العليا » . ولابطال مفعول هذه التأثيرات المعادية لليهود ، يشرح روبن الخطة وهي قائمة على : « الرد في الصحافة العربية على الاتهامات (الكاذبة) الموجهة ضد اليهود ، استخدام الصلات الشخصية مع العرب ذوي النفوذ لافهامهم اغراضنا ، واخيرا ادخال تدريس اللغة العربية الى المدارس العليا حتى يمكن تدريجيا خلق جيل اكثر قدرة من الجيل الحالي على التحدث مع العرب بلغتهم ... » .

وبعد استماع المؤتمر الى كافة المناقشات والردود وعرض الاقتراحات ، وكان اهمها شرح الاقتراح الذي طرحه وايزمان بانشاء الجامعة العبرية في القدس (١٥) ، اتخذ قرارا باجماع الآراء لصالح العمل الاستيطاني الذي تسير عليه الادارة الفلسطينية والصندوق القومي اليهودي ، محتما استمرار السير على اسس هذه المبادىء .

تابعت الصحف الفلسطينية باهتمام (١٦) ما كان يدور في المؤتمر ، اما عن طريق الصحف الاجنبية او الجرائد اليهودية او الصحف العربية الاخرى . ومع ان ما نشرته هذه الصحف لم يكن كاملا ، فقد كان كافيا لتصوير خطورة ما كان يدور في وجهة النظر العربية . واكتفت (فلسطين) بتعليق بسيط على ما نقلته عن مجلة (صدى الصهيونية) « ... ان فيما نقلناه اعلاه امورا كثيرة تحتاج الى التأمل » وذيلت الموضوع بقصيدة للشيخ سليمان التاجي يستنجد فيها بالحكام لوقف خطر البيع ونزع الاراضي (١٧) . ولكن الكرمل لم تكتف بمتابعة اخبار المؤتمر ، بل كانت تعلق

١٥ ــ مشروع تأسيس الجامعة العبرية نوقش مرارا في المؤتمرات السابقة ولكن في هذا المؤتمر اثار اهتماما بحجة القيود المفروضة على اليهود في دخول الجامعات في روسيه والمانيه ولكن الحجة الرئيسية هي الحاجة لتشكيل قلعة فكرية في الاراضي المقدسة وقد قرر المؤتمر احالة المشروع الى لجنة خاصة لتحريات اوسع واكتتب له ٣٥٠ الف فرنك (انظر الفصل الثامن عن وضع الحجر الاساسي للجامعة العبرية) .

١٦ ــ باستثناء ما نقلته **الاهرام** عن وقائع المؤتمر ، فان ما دار فيه لم يثر اي تعليق في الصحف العربية الاخرى خارج فلسطين سوى ما نقلته **المؤيد** (١٩١٣/١٠/٥) عن مقال بعثه احمد جودت صاحب (**اقدام**) التركية من سويسره تعليقا على ما نشرته **الطان** (٢٧ ايلول ، سبتمبر) حول المؤتمر الصهيوني وقراراته ، وبين ان هناك حوائل كثيرة تحول دون اقامة عصبية يهودية في فلسطين ، وان ذلك سيكون سببا لوجود اختلافات بين الصهيونيين وبين الامة العربية ... « وفي هذا ما فيه من وجع الرأس » .

١٧ ــ من ابيات هذه القصيدة :

بني الاصفر الرنان خلو خداعنا ... فلسنا عن الاوطان بالمال نخدع
احكامنا ، ما خطبكم ، ما اصابكم ... ألم يأن ان تصحوا ألم يأن ان تعوا
هو الخطر المشهود ، هل من مناهض ... ألم يبق للاوطان عين فتدمع
أيرضيك يا ذا التاج ان بلادنا ... على مشهد منا تباع وتنزع

عليه (١٨) لعل القوم « يعتبرون وينهضون لحفظ البلاد التي سيضيعها اهمالهم ويربحها سعي غيرهم » . ودعا صاحب الكرمل الغيورين من العرب ان يقرأوا كيف تعقد المؤتمرات « كي يتهيئوا ويحاذروا ويتشبهوا ... » . لقد رأى هذه الظاهرة « من علائم الحياة في الامم الحية » ، ويرى انه « لو بقيت الامة العربية على تهاونها فالامة اليهودية تنال عطف الدول والعالم والكل يحكمون علينا بالموت ولها بحق الحياة ... » . كان يتطلع الى « ... رجال كهرتزل ينفخون فينا روح قومية شريفة ويدعوننا لنهضة وطنية تحفظ بلادنا لنا ... » . وفي تعليقه على تقرير روبن يقول « ... كل هذا يجري والصهيونية تمتد في البلاد ويتسع نفوذها ، والحكومة لا تبدي اقل دليل على تيقظها واهتمامها بمقاومتها » . لذلك وجد ان على عقلاء الشعب ان يهتموا هم انفسهم بسلامة وطنهم وحفظ كيان مواطنيهم ... فيؤلفوا جمعية فلسطينية تهتم بجمع الكلمة والمعارف والزراعة وبسلامة الوطن ... » .

على كل حال ، لم يكن المؤتمر الصهيوني عامل تهدئة في فلسطين على الاطلاق ، كما كان روبن يأمل ، اذ ان نشر تفاصيل ما تم وما يؤمل اتمامه في المستقبل اثار تخوفا داخل فلسطين . ونقلت الجويش كرونيكل (١٩) خبر ابلاغ متصرف القدس حكومته بان المؤتمر الصهيوني قد اثار هياجا كبيرا بين عرب سوريه ، « فقد رأوا في الحركة تهديدا مخيفا لوجود الشعب العربي ... وصحافتهم مليئة باقتراحات لمواجهة الخطر ... ومن جملة هذه الاقتراحات عقد مؤتمر عربي كبير يواجه ذلك الذي يعقد في فينه » . وابدت الجريدة قلقها من نشر المقالات العنيفة « اذ من السهل تصور التأثير الخطر الذي تحدثه هذه الكتابات على الجماهير المتعصبة الجاهلة في البلاد ... » . وكانت جريدة ذي تروث (٢٠) قد ابدت تخوفا مسبقا اذ ذكرت ان « كل مؤتمر صهيوني له نتائجه المؤسفة ... » ، فقد بلغ مسامعها ان الشبان العرب يزمعون تشكيل جمعية وطنية لمقاومة الصهيونية في الصحافة والخطب ، وبذلك يبطلون مفعول مخططاتها التي سيعلن عنها في برنامج سنة ١٩١٤ . وكانت تتوقع بعد المؤتمر ان تتخذ اجراءات جديدة مفيدة لتيار الهجرة ، ووجهة نظرها ان « الصهيونيين — رغم التجارب المريرة — لم يتعلموا ان السكوت من ذهب ... » . لقد كانت تدعو الصهيونيين الى العمل بصمت حتى لا تثار الانظار ضدهم .

لم يكن في جو العلاقات العربية الصهيونية في الفترة التي سبقت واعقبت عقد المؤتمر الصهيوني اي دليل على التوقعات المتفائلة التي شرحها روبن . وتكشف رسالة بعثها الشيخ سليمان التاجي (مؤسس الحزب الوطني العثماني في يافا) الى متصرف القدس (٢١) حقيقة مشاعر اهل فلسطين ، ففيها تفاصيل قضية وقعت بينه وبين الصهيونيين حول تملك ارض تخص البلدية ، في المنطقة الواقعة بين يافا وضاحية

١٨ — الفقرات التالية هي مقالات متعددة من **الكرمل** (١٦ ، ١٩ ، ١٩١٣/٩/٢٦) .
١٩ — Jewish Chronicle, 3.10.1913
٢٠ — The Truth, 29.7.1913 & 26.8.1913
٢١ — **فلسطين** ، ١٩١٨/٨/٣٠ .

تل ابيب . وكان الصهيونيون قد بذلوا الرشاوي للدوائر المحلية لمنع التاجي من التملك ، وتوعد التاجي في رسالته ان يثير الرأي العام في البلاد « ... ويقيم قيامة الجرائد العربية والاجنبية اذا لم ينصف » . يرى التاجي ان « هذه القضية عبارة عن وقوف المصلحة الوطنية والمصلحة الاسرائيلية وجها لوجه ، عبارة عن تكافح المصلحتين ، كناية عن تسابق الشعبين ... اما انت ايتها الامة العربية ، اشهدي كيف يعاملون ابناءك ويحاولون ان يزحزحوهم عن ديارهم ويطاردوهم في بلادهم » . وقد حاولت مجلة ذي نير ايست (٢٢) ان تعلل اسباب التخوف العربي بقولها : « ... فاليهود يمتلكون باستمرار مساحات كبيرة من الاراضي ويحصلون على قرية وراء الاخرى ... واعدادهم تزداد بوصول كل قارب ... ثم هم تدريجيا يمتصون التجارة والمال ... » . ووجدت في الصراع الذي يدور حول بناء المدرسة الفنية في حيفا تجسيدا للموقف المتوتر ، « ... فالمواطنون يتنبهون ببطء الى الامكانيات الحيوية المرتبطة بانشاء مركز تعليمي ، يقتصر فقط على الطلبة اليهود ، لتحقيق هدف الاستيلاء على فلسطين واستيطانها ... » .

وتكررت حوادث الاشتباكات وتعدت منطقة طبريه والجليل الى المستوطنات القريبة في يافا . ورغم محاولة المصادر اليهودية تصوير هذه الحوادث بانها بفعل السرقة والاخذ بالثأر او الفوضى السائدة ، الا انها كانت اعترافا بان حياة المستوطنات لم تكن آمنة . وتعددت شكاوى الحاخام باشي لدى الباب العالي للتدخل لدى السلطات المحلية لحماية سكان المستوطنات (٢٣) . وكانت اشهر هذه الحوادث هي حادثة الاشتباكات بين اهالي قرية زرنوقة ومستعمرة ديران (رحبوت) ، في اواخر تموز (يوليو) ١٩١٣ ، والتي ابتدأت بحادث صغير بين بعض اهالي القرية وحراس المستوطنة اليهودية حول قطف بعض العنب من كروم المستوطنة ، واتسع الاشتباك ليشمل اهالي القريتين ، واستخدم السلاح ووقع بعض القتلى والجرحى من الطرفين . وبدأت القضية تأخذ دورا مهما ، فاستغل الصهيونيون الحادث لتصوير اهالي البلاد الوطنيين بمظهر المتوحشين المتعصبين ، وبالغت جريدة ذي تروث (٢٤) في اخبار الهياج بين المستوطنين وتأليف لجان الدفاع وزيادة عدد حراس الليل ، وعزت الحادث الى حسد الفلاحين للمستعمرين بسبب نجاح اراضيهم الزراعية . وارجع كاتب صهيوني آخر هذا الحادث الى الخطب التي القيت في حفلة مدرسية عربية في يافا (قد تكون دار العلوم) والتي القى فيها الكثيرون — كما يقول الكاتب — « خطبا ملؤها الضغينة والحسد لازدياد النفوذ اليهودي في البلاد » . وتعجب (فلسطين) في تعليقها على ما اورده الكاتب من « ... هؤلاء الصهيونيين الدخلاء الذين يأتوننا مطرودين مهانين ... فيصبحون بعد قليل بفضل تساهلنا اسيادا لنا اقوياء علينا ، ينظرون الينا نظر الاحتقار والاهانة ، ثم اذا نحن اردنا تعليم اولادنا وتنبيههم الى ما يحتاط

٢٢ — The Near East, 10.10. 1913 & 31.10.1913
٢٣ — نقلت ذلك **فلسطين** في ١٩١٣/٨/١٣ .
٢٤ — رسالة بعثها الكاتب الى جريدة اللويد أوتومان في الاستانة ونقلتها **فلسطين** في ١٩١٣/٨/٢٧ في مقال بعنوان « كيف يزيفون الاخبار » .

بنا من الاخطار قاموا يرموننا بالتعصب والتوحش والبغض ، وينادون في جرائدهم ، على مرأى من اوروبه ومسمع ، باننا ننفرّ الشعب منهم ونهيجه عليهم ونريد ذبحهم عن آخرهم ... أليس ذلك اشبه بحكاية الذئب مع الخروف ؟ » . ووجد كاتب عربي (٢٥) في حادث زرنوقة « سبيلا يسلكه الاسرائيليون سعيا وراء غاية معلومة ... مطاردة الوطنيين كما تطارد اوابد الوحش وتقتيلهم اينما وجدوا وحيثما اتفقوا وارهاق من يقعد به جمود الطبع وسكون النفس عن مقابلة العدوان بمثله الى الجلاء الذي ما بعده اياب ، والسفر الذي لا يعقبه عودة ولا التفات » ، ويتحسر لهذه الضجة التي افتعلها الصهيونيون « ... لان القوم لهم من يسهر عليهم ، وليس لنا من يسهر علينا ... لهم من يفحص مواطىء اقدامهم ويحميها من ان تشاك ، وليس لنا من ينظر الى مستوى رؤوسنا ويصونها من ان تقطع فتداس ... » ، ودعا الشعب الفلسطيني — ان كان نائما — ليتنبه ، والا فهو « لاحق عن قريب بذلك الفلاح المسكين اما قتلا او ارهاقا... ففقراء ... فجلاء ... فتشريدا ...». وربما كان خوف الصهيونيين — كما تذكر (فلسطين) (٢٦) — من عاقبة الدوي الذي سيحدثه بين الوطنيين هجوم مستعمري (ديران) بالخيل والسلاح على قرية وطنية ، قد دفعهم لتلافي تأثير هذا الحادث فقاموا بالتوسط من اجل الصلح ودفع تعويضات مالية . ولكن جريدة ذي تروث (٢٧) استمرت بابداء تخوفها من تجدد النزاع الدموي في اية لحظة بدعوى « ان الشرقي مطبوع على حب الثأر » .

ولم يكن لدعوى المؤتمر الصهيوني بان المنافع تحل على اهل البلاد نتيجة لاحتكاكهم بالصهيونيين سند واقعي . فالمهاجرون الجدد عاشوا في عزلة في مستوطناتهم او في احيائهم الجديدة في المدن ، ومارسوا نوعا من الاستقلال الذاتي ، فكانت لهم محاكم ومجالس جمعت سائر ضروريات الحكم وشهود القضاء وقوى التنفيذ والادارة ، رغم ادعاء السلطات العثمانية بانها تجهل وجود محاكم اسرائيلية او عدمه ، نظرا لان القانون العثماني لا يجيز وجود مثل هذه المحاكم . وقد المحت (فلسطين) (٢٨) الى انه « بين سجلات الحكومة ودوائرها لا يوجد في تضاعيف الدعاوى الكثيرة دعوى بين اسرائيليين في اي نوع من الحقوق او الجزاء او الادارة ، والذي لا يعني على الاطلاق انهم من ملائكة السماء » . ولم يقتصر الامر على النظر في الدعاوى بين اليهود انفسهم ، بل الى القاء القبض على عربي وضربه وسجنه في دار الحكومة في تل ابيب ، مما اضطر معاون المدعي العام في يافا الى التدخل لاطلاق سراحه « فهاله الامر لا سيما بعد ان رأى الحراس (نوبتجية) بسلاحها واقفة على الابواب ... وان كل ما في تلك الدار يدل على انها

٢٥ — **فلسطين** ، ١٩١٣/٨/١٢ والكاتب (فارس النعامة حارث بن عباد) من الرملة ، والمقال عنوانه « قطف العنب المشؤوم » .

٢٦ — **فلسطين** ، ١٩١٣/١١/٩ وفي العدد تفاصيل عن عملية الصلح بين اهالي زرنوقة وديران .

٢٧ — **The Truth, 11.11.1913**

٢٨ — **فلسطين** ، ١٩١٣/١٠/٢٥ .

حكومة في حكومة ... » (٢٩) . ولم يكتف الصهيونيون بحياة العزلة وحصر المنافع فيما بينهم ، بل تجاوزوها الى تنظيم مقاطعة لابناء البلاد ، واشارت (فلسطين) الى الحملة التي نظمها الصهيونيون لمقاطعة الجريدة وتهديد كل من يشترك فيها او يعلن فيها من اتباعهم . كما ألّفوا جمعية فيما بينهم لتهديد من يخالف امرهم حتى من اليهود انفسهم في مقاطعة ابناء البلاد (٣٠) . ووجهت (فلسطين) بهذه المناسبة سؤالا الى الحكومة عما اذا كانت على علم بهذه الاعلانات وبجمعية اسمها (جمعية الشباب الاسرائيلي) ، وسؤالا آخر الى الصهيونيين عما اذا كانت هذه السياسة هي من قبيل ما يدعونه « فتح فلسطين السلمي » . ولم تجد (الكرمل) (٣١) في ذلك امرا غريبا « ... فالصهيونيون معذورون اذا قاطعوا لانهم يعتبرون من واجباتهم ان يعملوا على اضعافنا اقتصاديا ليقووا بضعفنا ، وهذه سنّة تنازع البقاء ، فليسع كل عنصر على تقوية نفسه بما يراه موافقا ومشروعا » .

ولكن الصحافة حرصت دوما على ان تميز بين اليهود والصهيونيين ، فالامر انما هو محاربة من « ندعوهم صهيونيين بينهم كفئة طامحة العين لاهلاكنا ماديا واستعبادنا ادبيا في هذه البقعة الفلسطينية » (٣٢) وكانت محاكمة اليهودي (بيليس) في كييف المتهم بقتل طفل مسيحي ليستعمل دمه في رمز ديني ، كما يدعون ، مناسبة لشرح هذا التمييز فاعتبرت (فلسطين) المحاكمة « معرّة القرن العشرين ... »، واضافت «اننا نجل اليهود كأصحاب دين منزّل من الاتيان بمثل هذه الفظاعة التي لا يقبلها عقل سليم ... واما ان نصم الدين الاسرائيلي بهذه الوصمة ونقول ان العبادة لا تتم بغير شرب الدم الانساني، فذلك جنون نعيذ عقلاء هذا القرن في اعارته جانب الالتفات» (٣٣)، واكبرت في اليهود ما ابدوه من مشاعر تجاه القضية « وفي ذلك لنا مثال حي عن التضامن والاتحاد والشعور الجنسي ، فيا ليتنا نستفيد منه ومن اشياء كثيرة تقع تحت نظرنا يوميا ... » .

٢ — تحسن الموقف العثماني وظروف مؤاتية للصهيونية :

لم يكن امر هذه المعارضة العربية خافيا على الحكومة ، وقد اشار احمد جودت

٢٩ — **فلسطين** ، ١٩١٣/١٠/١٨ وتعلق الجريدة ساخرة « ... نخشى ان يكون في ذكر محكمة تل ابيب اعلانا عنها فيذهب اليها من العثمانيين من لا تروق لهم محاكمنا ويرون فيها ضياعا لاوقاتهم وحقوقهم من كثرة التأجيل .

٣٠ — **فلسطين** ، ١٩١٣/٩/٢٠ ، من هذه الامثلة حملة نظمت ضد كولدنبرج ، المدير الثاني لبنك انجلو فلسطين ، الذي استخدم في انشاء بيت له في تل ابيب بعض البنائين العرب ، فقام الصهيونيون ضده واجبروا البنك على الاستغناء عنه ، كما عمد بعضهم الى احراق بيته .

٣١ — **الكرمل** ، ١٩١٣/٩/٢٣ .

٣٢ — **فلسطين** ، ١٩١٣/١٠/٢٥ .

٣٣ — اثارت محاكمة بيليس في كييف ، ثم تبرئته ، ضجة بين اليهود في العالم تشبه دعوى دريفوس في فرنسه . وفي فلسطين احتج اليهود على الحكومة الروسية ، كما حاولوا تصويره كبطل قومي ونظمت له تظاهرات حافلة حين وصل الى فلسطين للاقامة في تل ابيب في بيت تبرع له به البارون دي روتشيلد .

(صاحب جريدة اقدام التركية) في مقال له بعثه من سويسره (٣٤) « بان الاهالي الوطنيين في فلسطين لا يرضون بشيء يرون فيه ضررا لهم ، وخاصة ان الحركة الصهيونية تسلب القرويين العرب الاراضي التي خلقوا وعاشوا من خيرها ، وهذا يبعث على انفعالهم » . كما ان حزقيال ساسون ، وكان قد عيّن وكيلا لوزارة التجارة الزراعية ، قد اعرب لمراسل جويش كرونيكل (٣٥) عن انه ، رغم عطف الوزارة على اليهود ، وميلها الى الغاء القيود المفروضة عليهم ، كانت تخشى بحث القضية كي لا تثير عرب فلسطين . وكان يمكن للحكومة العثمانية ان تأخذ هذه المعارضة بعين الاعتبار ، وخاصة بعد ان بدأت تبحث عن سياسة الوفاق مع العرب ، نتيجة للخسائر التي لحقت بالدولة ، وافقدتها الاجزاء الاوروبية من ممتلكاتها ، ولكن ظروفا معينة كانت تدفع الحكومة الى ان لا تعير هذه المعارضة التفاتا ، بل وتدفع بها نحو تقارب مع الصهيونية ، اولها : ما يمكن ان تلعبه القوى المالية التي تقف وراء الصهيونية من دعم للميزانية التركية (٣٦) . وقد عرّفت جريدة (صباح) التركية الصهيونية بانها منجم ثروة للحكومة التي تعرف واجبها والتي تبحث عن فائدة مادية (٣٧) . يضاف الى ذلك ان شخصيات يهودية كانت لا تزال تلعب دورها في دوائر الاتحاديين ، ولا يزال لها وزنها في توجيه السياسة الخارجية ، ومنهم (سفير) (٣٨) . واخيرا تلك الفكرة التي بدأت تدور في اذهان بعض زعماء العرب عن امكانية تقارب مع الصهيونية ، والتي بدأت تلقى موافقة الحكومة على الاقل للتخلص من مشكلة تثير المصاعب امامها . وكان مقال (صباح) المشار اليه سابقا « يأمل بانه في حالة نجاح الحكومة في التوفيق بين مصالح السكان العرب واليهود فان القضية الصهيونية يمكن ان تحل بشكل يفيد البلد » .

وهكذا ، وبعد تردد طويل من جانب الحكومة العثمانية نقلت جريدة جويش كرونيكل (٣٩) خبرا من الاستانة عن اصدار الحكومة قرارا بالغاء التذكرة الحمراء المفروضة على اليهود الاجانب . وقد ارسل طلعت بيه ، وزير الداخلية ، تلجرافيا الى السلطات المحلية في القدس وسوريه مبلغا اياهم هذا القرار . وعربت جريدة

---

٣٤ ـ عربته **المؤيد** في ١٩١٣/١٠/٥ .

٣٥ ـ Jewish Chronicle, 10.10.1913

كان جاويد بالفعل يقوم بجولة في اوروبه يبحث من جديد عن امكانية عقد قرض آخر .

٣٦ ـ **الاهرام** ، ١٩١٣/٩/٢٥ .

٣٧ ـ عن **جويش كرونيكل** (١٩١٨/١٠/٣١) التي اشارت الى ان هذه اول مرة منذ مناقشة الحركة الصهيونية في تركيه تنشر (صباح) مقالا افتتاحيا لدعم الحركة الصهيونية .

٣٨ ـ كان آشر سفير (Asher Saphir) يهوديا من القدس، ذهب الى استانبول لدراسة اللغة التركية والمحاماة وعمل في البعثة الصهيونية وصحفيا في دائرة جون ترك . وكان نشطا في اتمام عملية السلم بين تركيه وبلجاريه ، بل ان **جويش كرونيكل** (١٩١٢/١٢/١٧) ذكرت ان الاتفاقية قد وقعت بقلمه الفضي المنقوش عليه كتابة عبرية . وان الحكومتين قد اعترفتا بفضله وسترسل له نقود هدية اعترافا بخدماته وسيمكنه هذا من متابعة دراسة الحقوق .

٣٩ ـ Jewish Chronicle, 10.10.1913

فلسطين (٤٠) هذا الامر على النحو التالي : « ... لما كانت الورقة الحمراء التي يأخذها المهاجرون الموسويون الممنوعو الاقامة لم تأت بالفائدة المطلوبة منها ، بل كانت سببا لسوء الاستعمال ، فلذلك وجد من المناسب الغاؤها وعلى الحكومة المحلية اتخاذ الوسائط لمعرفة هؤلاء المهاجرين وارجاعهم من حيث جاءوا بعد مدة ٣ اشهر وهي المعينة في الورقة الحمراء ... » .

وقد اكد وكيل القنصل البريطاني في يافا (١٩١٣/١٠/٢٧) (٤١) خبر القرار ، وارجع الامر « الى النفوذ اليهودي في الدوائر العليا » . وقد علق مالت السفير البريطاني الجديد في الاستانة على الامر بقوله (٤٢) : « ان الصهيونيين قد حصلوا بذلك على الغاية التي كانوا يجاهدون من اجلها طويلا ، يعني الهجرة غير المحددة لليهود الى فلسطين ، ويتوقع ان يبدأ تدفق كبير من اليهود نحو ذلك الاقليم » . كان مالت يقدر تلك الآمال التي تراود الصهيونيون بان يصبحوا في يوم ما غالبية السكان ، وان يكون لهم حاكم يهودي في القدس ، وان تعترف السلطات العثمانية بالعبرية كلغة رسمية ، بعد ان كانت جمعية الاتحاد والترقي قد وافقت على مبدأ الاعتراف بلغة غالبية السكان المحليين في اجزاء مختلفة من الامبراطورية العثمانية (٤٣) .

ما يثير الاستغراب ان تعليقات الصحافة العربية في فلسطين على هذا الامر كانت فاترة ، ولا يعني ذلك على الاطلاق القبول به ، بل هو على الاغلب لا مبالاة ، وعدم ثقة بكل القوانين الصادرة عن الحكومة ، وخاصة الورقة الحمراء التي لم تحل دون دخول المهاجرين . بل ان جريدة (فلسطين) (٤٤) جعلت هذا الامر بين فصيلة الاوامر المطاطة التي تدعى باللغة التركية (لاستيكلي) ، والتي تصدر من قبيل ذر الرماد في العيون « ... فهو لاستيكلي تماما يمكن ان يمتد من اسكلة يافا حتى يصل الى جميع المستعمرات اليهودية بدون ان ينقطع » . وتضيف « ... لما كانت الورقة الحمراء مستعملة واسماء المهاجرين معروفة ... لم تتمكن الحكومة من ارجاع واحد فقط من هؤلاء المهاجرين ... فكيف بها الآن وقد لفت تلك الورقة واصبح حبل المهاجر على غاربه ؟ ومن اين لها ان تعرف بعد خروج الصهيوني من (الاسكلة) اين يكون محل سكناه ، وما هو الاسم الجديد الذي ينتحله لنفسه غير الذي قدمه لمأمور البسابورت على الميناء ... » . ووجدت (الكرمل) (٤٥) في الغاء الورقة الحمراء ان الحكومة تعترف ضمنا بأمر عدم التعرض للمهاجرين في السابق ، اما بسوء تصرف المأمورين

---

٤٠ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١٠/١٨ .

٤١ ـ رفعت الرسالة الى مالت Mallet (السفير البريطاني الجديد في الاستانة) عن طريق القنصل البريطاني في القدس . F.O. 371/1794/6584 F

٤٢ ـ من مالت الى غراي في ١٩١٣/١٢/٢١ . F.O. 424 / 240

٤٣ ـ ابدى احد موظفي دائرة الشرق الادنى في وزارة الخارجية البريطانية عدم ثقته باللغة العبرية فهي لغة ميتة ولا يتحمل ان يتكلم بها اليهود الحديثين مهما كان مقدار ما يعلم منها في المدارس ويضيف « ان محاولة تحويل لغة ميتة الى لغة يتكلم بها هي هوس القومية الحديثة » . (المطالعات على الرسالة السابقة) .

٤٤ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١٠/١٨ .

٤٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١٠/٢٤ .

الذين يعنيهم الامر ، واما بعدم اقتدارهم « ومن حيث انهم لم يظهروا كفاءة في تطبيق الورقة الحمراء ، فمن المرجح انهم لا يهتمون باتخاذ الوسائط لمعرفة المهاجرين واخراجهم » . فكان الاولى بنظر الحكومة ان تلغي الورقة الحمراء من دون ان تأمر باتخاذ الوسائط لمعرفة المهاجرين ، لان الورقة الحمراء لم تكن سوى حبر على ورق .

وكان لهذه الخطوة وقع حسن في الاوساط الصهيونية ، وقد عبرت جريدة ذي تروث (٤٦) عن ترحيب اليهود في القدس للاخبار الواردة عن نجاح الحاخام باشي لدى وزارة الداخلية لرفع القيود الاستثنائية التي تعترض المهاجرين اليهود ، « والتي كان يعتبرها الشعب اليهودي لسنوات ماضية اهانة كبيرة ... اما الآن ، فقد بدأوا يلمسون الاثر الطيب للحكم الدستوري ... » . ووردت اخبار من يافا بان احد مدرسي (الجمناز) الاسرائيلي اعدّ محاضرة عن الطيران ، حث اليهود فيها على التبرع لاهداء طائرة للحكومة العثمانية (٤٧) . وفي الاشارة الى مشكلة لغة التعليم في المدرسة الفنية في حيفا ـ التي كان مجلس ادارتها المركزي في برلين قد قرر ان تكون اللغة الالمانية ، واثار ذلك موجة احتجاج واضراب بين الصهيونيين في فلسطين دفاعا عن اللغة العبرية ـ حاول الصهيونيون ان يضفوا عليها صفة الولاء للدولة العثمانية ، فنقلت المقطم (٤٨) من خطب الاحتجاج العبارة الآتية : « ... ان مقصدنا هنا في فلسطين ان نخدم الدولة العثمانية التي تندمج فيها منفعتنا ، اننا نريد ان نكون شعبا كسائر الشعوب الراقية التي لكل منها جامعة تجمع شتات افرادها وهي اللغة ، لنتمكن من انهاض اخواننا اهل البلاد الفلسطينية من عرب وترك » . وفي مقال كتبه ملول الى المقطم (٤٩) بمناسبة يوم ٩ آب (اغسطس) (ذكرى تحطيم هيكل سليمان) لم يفته ان يشيد بالدولة العثمانية التي « تمدنا بالرعاية والاكرام واما نحن فنمدها بالارواح والاموال ... » .

وقد يكون من اجل ضمان مساعدة مالية جديدة للحكومة العثمانية ، قيام الحاخام باشي برحلة الى اوروبه بحجة تقديم شكر يهود الدولة العثمانية الى اخوانهم في الدين نظرا للمساعدة التي قدمتها المنظمات اليهودية في ساعة الحاجة (٥٠) . وقد عبّر في مقابلة صحفية في لندن مع مندوب الجويش كرونيكل عن تفاؤله بوضع اليهود العام ولم يبد تشاؤمه من موقف عرب فلسطين ، اذ هو برأيه « ليس غير ودي تماما كما يشاع عنه ... » ، صحيح ان بعض العرب يعارضون تطور الاستيطان اليهودي ، ولكن معارضتهم تعود برأيه الى تباطؤ اليهود باكتساب الرعوية العثمانية ، والتدخل

---

٤٦ ـ The Truth, 28.10.1913

٤٧ ـ **المقتبس** ، ١٩١٣/١١/١٨ . وقد ظلت فكرة التبرع بطائرة الى الجيش العثماني يرددها الصهيونيون اشهرا عديدة دون ان تتحقق ، احيانا يدعونها باسم (اسرائيل) واخرى باسم (الصهيونية) وخاصة بعد تحطيم طائرتين عثمانيتين في فلسطين في المحاولات التركية الاولى للطيران . (**الاهرام** ، ١٩١٤/٥/٣١) .

٤٨ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/١١/٢٩ .

٤٩ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/١٢/١٣ .

٥٠ ـ Jewish Chronicle, 24.10.1913

المستمر للقناصل . ويأمل ان يتلافى اليهود هذا العيب بعد أن قامت الحكومة العثمانية بتقديم كل تشجيع لليهود ، بأخذ الجنسية العثمانية ، والتمتع بكل الحقوق المدنية والسياسية . ويبدو ان مفاوضات الحاخام باشي المستمرة لدى الحكومة العثمانية حول موضوع دخول جماعي ليهود روسيه الى فلسطين كانت تشترط من جانب الحكومة منح كل التسهيلات لاكتساب المهاجرين الجنسية العثمانية يوم وصولهم (٥١) .

ومهما يكن ، فان نجاح جهود الحاخام باشي بتأمين الغاء التذكرة الحمراء ، التي تحد من دخول اليهود الى فلسطين ، والتي كان يعتبرها علامة تحقير لهم ، كان تغيرا ملحوظا في الموقف العثماني تجاه الصهيونية ، ومع ان ذي تروث (٥٢) قد اشارت الى ان بعض الدوائر الصهيونية كانت لا تزال تبدي شكوكها باستمرار في هذا الامر ، لان اي تغيير بالوزارة قد يحدث رد فعل . الا انها تحسبا من وقوع ذلك اقترحت على اليهود (المقتربين) ان يستغلوا الفرصة ويندفعوا افواجا باعداد كبيرة . ووجهت دعوة مماثلة في الجويش ريفيو (٥٣) الى الزعماء اليهود للمساهمة بتوجيه الهجرة الى فلسطين لان كل الظروف مؤاتية ، فالامبراطورية العثمانية بحاجة الى عنصر استيطان لتطوير مواردها الكامنة ، وعيون العالم المستثمر تتوجه ثانية نحو الشرق الادنى ، وسوف يكون خسارة للعالم ـ كما تقول المجلة ـ « لو ان غيرنا حصل على ميراثنا » ، وتأسف لان زانغويل لا يزال يستمر « بحديثه الفارغ عن انجولا وحججه التافهة ضد فلسطين ، على اساس انها مسكونة مسبقا من العرب » . وحث انجليزي من مناصري الصهيونية (السير جون جراي هيل) (٥٤) ، في اجتماع صهيوني في لندن على ضرورة الاستفادة من هذا الموقف المتساهل للحكومة العثمانية في السماح بالدخول الى البلاد دون عوائق ، وكان يوجه دعوته بشكل خاص الى يهود انجلتره لتولي قيادة هذه المحاولة ، لما يتمتع به هؤلاء من ميزات تفضلهم عن يهود روسيه ، لقرب مصر من فلسطين .

وشهدت موانىء فلسطين تيار هجرة يهودية لم يتوقف الا بنشوب الحرب العالمية الاولى ، كانت تقابله هجرة مماثلة من سوريه الى الخارج ، وكان ذلك موضع اهتمام الصحافة العربية وتخوفها وقلقها . وعلقت جريدة فلسطين (٥٥) قائلة : « فاذا كان الصهيونيون يفدون بكثرة الى اراضي فلسطين مع كل باخرة ، والوطنيون يهاجرون منها مع كل باخرة ، فماذا تكون النتيجة ؟ »

---

٥١ ـ The Truth, 13 March 1913
وقد ادعت الجريدة ان عددا من الممثلين الدبلوماسيين في فلسطين ، وخاصة الروس منهم ، قد ابدوا امتعاضهم لهذا التطور ، وهددوا رعاياهم الذين يتخذون جنسية اخرى ، دون اذن خاص من سلطات الداخلية في بلادهم ، ان تتعرض ممتلكاتهم وممتلكات اقاربهم التي خلفوها وراءهم للمصادرة .

٥٢ ـ The Truth, 28.10.1913

٥٣ ـ Jewish Review, Nov.-Dec. 1913, pp. 286-87

٥٤ ـ The Truth, 6.2.1914 (Sir John Gray Hill)

٥٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١١/١٦ .

ونقلت نفس الجريدة (٥٦) ، عن تقرير أرسله القنصل الفرنسي في حيفا الى وزارة التجارة الفرنسية ، بأن الهجرة اليهودية الى فلسطين قد زادت زيادة هائلة ، رغم ما يظهره الوطنيون من المقاومة لها ، ورغم الصعوبات التي يقيمها المأمورون في وجه هذه المهاجرة ، وذكرت (الكرمل) (٥٧) ان يهود سلانيك سيهاجرون منها الى فلسطين ، وان الحاخام باشي اتفق مع شركة البواخر النمسوية على خصم ٥٠ ٪ من اجرة سفرهم ، وتعلق « ... علمنا ان ضيوفنا الجدد الكرام سيبلغ عددهم ٢٤ الفا فعلى الرحب والسعة » . وعلقت جريدة (فتى العرب) (٥٨) على ما كانت الصحف الفرنسية قد ذكرته من طرد الحكومة الروسية ٤٠٠ عائلة يهودية من كييف : « ... ماذا يهم الصهيونيين اذا كانوا يطردون من بلاد يسامون الخسف فيها فيأتون الى فلسطين ـ كعبة آمالهم السياسية ـ فيلاقون الرحب والسعة والكرامة والدعوة ... لا الحكومة تعارضهم ، ولا الشعب يقوى على مقاومتهم ... » .

ومع ان تحسن الموقف الرسمي تجاه الصهيونيين قد تناول فقط قضية التذكرة الحمراء ، الا ان هذا قد شجع الحاخام باشي على ان يواصل جهوده لالغاء كل القوانين السارية التي تمنع اليهود من شراء الاراضي في فلسطين . وكانت المفاوضات بهذا الشأن مع الباب العالي ـ كما ذكرت جويش كرونيكل (٥٩) ـ تتقدم بطريقة ودية ، وتأمل الجريدة بان الحاخام لو نجح في مسعاه الثاني فسيكون عاملا مساعدا على ازالة كل العوائق التي تقف في وجه استيطان اليهود الاجانب في فلسطين . ومع انه لم تتخذ خطوة رسمية لابطال مفعول هذه القوانين ، الا ان التساهل كان عاما . وأشارت ذي تروث (٦٠) الى ان عمليات شراء الاراضي كانت في تسارع (٦١) ، حتى قبل صدور الاوامر الرسمية بالتساهل ازاء الهجرة ، وكان قد تقرر توحيد تل أبيب مع الضواحي الجديدة لتشكيل مدينة يهودية كبيرة (٦٢) ، كما اشتريت مساحات كبيرة من الاراضي بجوار القدس (٤٨٠٠ دونم) من قبل شركة « تطوير الاراضي » (٦٣) ، وتمكن الصندوق القومي اليهودي من شراء أراض بجوار القدس ويافا تتجاوز قيمتها ٢،٦٩٥٠،٥٠٠ فرنك (٦٤) ، كما ان الاجزاء الهامة بين نابلس والناصرة لا تزال تجري المفاوضات عليها بنشاط . وقامت جريدة ذي تروث تحث اصدقاءها اليهود الانجليز الذين ينوون

---

٥٦ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/١٢/٣١ .

٥٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٣/٣١ .

٥٨ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٤/٣٠ .

٥٩ ـ **Jewish Chronicle, 9.1.1914 & 20.2.1914**

٦٠ ـ **The Truth, 23.9.1913**

٦١ ـ آخر احصاء تقدمه الجريدة **The Truth, 23.9.1913** عن مساحة الاراضي التي يملكها اليهود في فلسطين من اجل الزراعة يصل الى ٩١ر٦٨ دونم وان ثمن الدونم قد ارتفع من ١٢ الى ٣٠ فرنك وفي بعض الاماكن ١٠٠ فرنك .

٦٢ ـ **The Truth, 29.8.1913**

٦٣ ـ **Loc. cit.**

٦٤ ـ **Ibid, 28.10.1913**

الحصول على ملكية حول القدس او داخلها للاسراع « قبل ان يصلوا متأخرين ... » (٦٥) . ونشرت الجريدة نفسها مقالا وافيا عن سهل مرج ابن عامر فيه معلومات تفصيلية عن المحاصيل الزراعية ونظام التأخير ، والري والاقنية ، وأوضاع الفلاحين ، وتقدير المال المطلوب للزراعة الصحيحة ، على أمل ان تتوفر للمنظمات اليهودية البريطانية معلومات وافية (٦٦) .

وقد كشفت مراسلات عديدة ، جرت في فبراير ومارس سنة ١٩١٣ بين القنصلية البريطانية في القدس والسفارة في الاستانة ووزارة الخارجية ، جانبا من مفاوضات كان يقوم بها الصهيونيون لشراء ممتلكات انجليزي من ليفربول هو (السير جراد هل) على جبل الزيتون (سكوبس) ، وهو الموقع الذي تتجه اليه الانظار لبناء الجامعة العبرية المقترحة ، وعن محاولات الصهيونيين لضمان الحماية البريطانية لهذه المؤسسة التي « هي ذات صفة يهودية قومية » ، وتولى المفاوضات يهودي روسي يحمل جنسية بريطانية هو (ابري) وكان قد تقدم بطلب لتجديد جواز سفره ، ومع أنه كان يدعي عدم صلته بالصهيونية ، الا ان رسالة الاستانة (١٩١٤/٢/٢٦) كانت تشك في دعواه نظرا لصلته ببنك أنجلو فلسطين ، ومعنى ذلك ان هدفه الوحيد من محاولة تجديد جنسيته البريطانية « هو ان يستوطن في فلسطين ويرتبط بخطط الاستيطان اليهودي تحت حماية العلم البريطاني ... » . وكانت وجهة النظر البريطانية (سواء في القدس او في دوائر الخارجية) مترددة في الموافقة على طلب (ابري) تجديد جواز سفره ، أو في وضع المشروع الجديد تحت الحماية البريطانية (٦٧) ، بحجة ان « الدوافع الرئيسية لتفضيل الحماية البريطانية للمؤسسات الصهيونية هي أن هذا البلد سيقع في النهاية وبطريقة ما تحت السيادة البريطانية ، واكبر مثل على ذلك بنك انجلو فلسطين ، اذ هو مؤسسة تستمد رأسمالها على الاغلب من مصادر يهودية المانية ، ويعمل على تعزيز الاهداف الصهيونية ، ومع ذلك فقد أسس مكتبا مركزيا له في لندن وحصل بذلك على حق الحماية البريطانية ... » . ورأى القنصل ، « نظرا لأن الهدف المعلن عنه لانشاء الجامعة العبرية هو هدف يهودي قومي محض ، انه لا يمكن اعتبار

---

٦٥ ـ **Ibid, 11.11.1913** كانت الجريدة قد الحت على هذه الفكرة سابقا وكذلك اكدتها في عدد تال (١٩١٤/٦/١٩) عن ان الاراضي تباع بسرعة والاسعار ترتفع نظرا للطلب المستمر ، وقد تمكنت الجريدة من الحصول على بضعة آلاف من الهكتارات بجوار القدس وتوجه نداءها « الى كل الذين يتذكرون صهيون معبدا » ويرغبون في ان يملكوا ارضا للبناء او لغرض زراعي ان يتقدموا بطلب الى ادارة الجريدة التي ستقدم كل المعلومات الضرورية المتعلقة بشراء الارض ونقل الملكية في الاراضي المقدسة .

٦٦ ـ كان جزء كبير من الاراضي قد استأجره المهندس سليمان ناصيف ، الا ان هذا الجزء ـ لاسباب شخصية ، كما تقول الجريدة ـ كان معروضا للبيع .

٦٧ ـ **F.O. 371/2133/16140 F**

كان انشاء الجامعة العبرية على جبل الزيتون يبدو اقتراحا خطيرا بنظر احد موظفي ادارة الشرق الادنى في الخارجية البريطانية ، وهو لا ينظر بعين الاعتبار فقط ـ « الى تأثير ذلك على الرأي العربي المحلي ، بل على اثره على الرأي العام المسيحي ... وربما بصورة اكثر تحديدا على المشاعر الروسية حيال الاماكن المقدسة ... » .

ذلك مصلحة بريطانية ، ومن المحتمل ان يؤدي الى تعقيدات غير مرغوب فيها وخاصة عندما تعدل الحكومة التركية موقفها الحالي من التسامح المتطرف تجاه الحركة الصهيونية ... » .

وقد اعترف (ابري) فيما بعد بعكس تصريحاته الاولى (٦٨) ، أنه كان مرتبطا منذ وصوله الى هذا البلد بشراء اراض للمنظمة الصهيونية ، منها اراض واسعة (٧٠٠ دونم) في ابي شوشة (قرب القدس) ، يهدف منها الى تأسيس مستعمرة يهودية على أسلوب حديث ، كما ان موقع جزره (Gezer) التاريخي ـ الذي كانت تنقب فيه بعثة صندوق الاكتشاف البريطاني ـ قد ضم الى قطعة الارض هذه . وقد حصل (ابري) كذلك على مساحات من الارض في نواحي اخرى ، وهناك صفقات اوسع يتوقع تنفيذها كانت تجري غالبا باسم دكتور روبن . الا ان (ابري) يؤكد ان هدف الصهيونيين هو نقل كل الاراضي الى أسماء بريطانية ، ولذلك كان اصراره على تسجيل سندات التملك لاراضي سير جراي هيل على جبل سكوبس باسم بريطاني . ولم يتلق (ابري) جوابا شافيا من القنصل او من الخارجية (٦٩) . وما يلفت النظر في رسالة قنصل القدس السابقة الملاحظة التالية : « يبدو ان العوائق التي وضعت مسبقا في طريق الهجرة اليهودية والحصول على الاراضي قد اختفت تماما بسبب موقف السلطات اللين الجانب » ، ورغم أن صفقات الصهيونيين ـ كما يلاحظ القنصل ـ تغلف بسرية تامة « الا انه لا يشك بأن مبالغ ضخمة قد انفقت على شراء الاراضي في كل انحاء فلسطين» .

وكانت الصحافة الفلسطينية ، وتلك التي تنقل عنها ، تراقب عمليات البيع بتخوف . وقد اكدت (فلسطين) ما كانت تذكره « ذي تروث » حول شراء الاراضي بجوار القدس ، وأن الصهيونيين يشترون جميع الاراضي الواقعة بين العفولة والقدس (وخاصة في سهل قلندية) . وأشارت (الكرمل) (٧٠) الى ما يشاع عن بيوع جديدة في اقضية حيفا وطبريه والناصرة ، واملت الا تكون صحيحة ، وطالبت الحكومات المحلية ان لا تسهل ذلك ، لان ذلك بمثابة محك الموظفين. كما حاولت عن طريق النصح أن تردع الافراد عن البيع من أجل المصلحة العامة . ولاحظت (القبس) الدمشقية (٧١) أن معاملات البيع للصهيونيين تجري بوضوح وصراحة تامين « ... اذ أن بيع الفولة في عهد نور الدين كان له دوي وتأثير في عالم الصحافة اكثر من كركور وبيدوس التي عقبتها في عهد ولاية أدهم بك ... » .

ويلاحظ ان لهجة الصحف العربية في تلك الآونة كانت معتدلة ، ذلك أن الحكومة

---

٦٨ ـ وقائع المقابلة بين ابري (B. Ibry) والقنصل البريطاني رفعها مالت (Mallet) الى غراي في ١٩١٤/٤/٤ F.O. 371/2133/16140 F

٦٩ ـ رفضت الخارجية البريطانية لعوامل عديدة في ذلك الحين تجديد جنسية ابري وكذلك وضع المؤسسة التعليمية تحت الحماية البريطانية .

٧٠ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١١/٤ .

٧١ ـ نقلتها **الكرمل** في ١١/٢٨ وكانت القبس قد صدرت في دمشق بعد تعطيل **المقتبس** ويرأس تحريرها شكري العسلي .

العثمانية مع قرب اجراء الانتخابات لمجلس المبعوثان ، ورغبة في اسكات المعارضة ، قد لجأت مرارا الى تعطيل الصحف الوطنية بحجة أنها تنشر مقالات مخلة بأمن الدولة الداخلي ، وتعرض أصحابها للمحاكمة ، حدث ذلك لجريدة المقتبس (٧٢) ولجريدة المفيد (٧٣) . وتكررت هذه الظاهرة في فلسطين . وكان الصهيونيون وراء اقفال الصحف الوطنية التي تميط الستار عن اغراضهم ، ودون ان توجه لهذه الصحف تهمة معاداة الصهيونية مباشرة، شنوا عليها حملات دس متعددة. فبدأوا بجريدة فلسطين(٧٤) حيث اصدرت الحكومة المحلية امرا بتعطيل الجريدة ، دون محاكمة ، بحجة طعنها بالحكومة الحالية واساءة النية بها . وقد أشارت (لسان الحال) البيروتية (٧٥) الى أن الكثيرين من اهالي البلدة قد اجتمعوا وقرروا تأليف لجنة لمقابلة ذوي الامر والاحتجاج على هذا التعطيل ، وارسال البرقيات الى الصحف والمقامات الرسمية . واعجبت الكرمل (٧٦) بموقف الرأي العام من تعطيل (فلسطين) ، التي اشتهرت بصدق لهجتها ومقاومتها الحركة الصهيونية « ويوم رؤيا الدعوى كانت القاعة مملوءة ... وهذا يدل على أن الامة تشعر شعورا حيا نحو صحافتها الراقية ... » . ووقفت الصحف العربية في سوريا ولبنان بجانب (فلسطين) وشاركت الرأي العام احتجاجه (٧٧) . وكشفت جريدة (الرأي العام) البيروتية ان المتصرف كان مغتاظا من (فلسطين) ، وسبق أن تهدد صاحبها بتعطيلها لانتقادها مساعدته للصهيونيين . ولم تشذ عن قاعدة التأييد لجريدة (فلسطين) سوى جريدة (المقطم) ، اذ اتهمت أصحاب (فلسطين) بانتقاد أعمال الحكومة ورجالها وادعت أن أصحاب (فلسطين) هم الذين استكتبوا بعض اصدقائهم برقية يقولون فيها: « ان المتصرف عطل جريدتهم طبقا لرغائب اليهود» (٧٨) . وجرت محاولات اخرى لاسكات صوت (الكرمل) فلفقت ضد صاحبها تهمة ارسال تهديد الى بعض المسؤولين في الحكومة المحلية ، والقي القبض عليه (٧٩) ، واشتبهت (المقتبس) بأن الامر مدبر بدسيسة لأنه من المعلوم « ان نجيب نصار هو في رأس المناهضين للصهيونية ، ... وقيامه بهذه الفكرة دليل على صدق عثمانيته ، ولو كان على العكس لسمسر وتوسط للصهيونيين ... » . وقد أفاض مراسل ذي نير ايست (٨٠) في حيفا في وصف مشاعر الاهالي لدى سماعهم خبر الاعتقال ، اذ

---

٧٢ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٩/٣٠ ، وكان مدير المقتبس قد اتهم بنقل بلاغ طالب النقيب في البصرة حول مطلب الاصلاح .

٧٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١٢/٢ واتهمت السلطات المحلية المفيد بالقاء التفرقة بين العنصرين العربي والتركي.

٧٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١١/٢٥ .

٧٥ ـ اوردت ذلك **فلسطين** ، ١٩١٣/١٢/١٧ .

٧٦ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١٢/١٩ .

٧٧ ـ في عدد **فلسطين** (١٩١٣/١٢/١٧) مقال طويل حول اقوال الصحف في تعطيل جريدة فلسطين. وهذه الصحف هي : لسان الحال ، المقتبس ، التقدم الحلبية ، الحوادث الطرابلسية ، ابابيل البيروتية ، الاخاء العثماني ، المراقب ، المهذب ، الرأي العام ، الكرمل ، الاهرام ، النفائس العصرية ، الحكمة .

٧٨ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/١١/٢٩ .

٧٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١٢/٢ ـ **المقتبس** ١٩١٣/١٢/١٣ .

٨٠ ـ The Near East, 19.12.1913

تجمهروا على دار الحكومة وطلبوا الافراج عنه مما اضطر السلطات الى الرضوخ واغلاق باب التحقيق .

ويبدو ان حملة القمع قد نجحت مؤقتا ، فهدأت الصحافة الوطنية من لهجتها ، وانصرفت الى بحث الاسلوب الاقتصادي في مواجهة الخطر ، وضرورة الاهتمام بالعلوم العملية وتقليد الصهيونية في أساليبها (٨١) . ووجهت الدعوة الى تجار بيروت لمؤازرة الفلسطينيين وانقاذهم من الخطر الاقتصادي الذي يهددهم وذلك بفتح فروع للبيوت التجارية البيروتية (٨٢) ، كما حثت المواطنين على اخذ امتيازات المشاريع المتعددة ، قبل ان تسقط بيد الصهيونيين . وكان ذلك سبب الاهتمام الذي أبدته الصحافة بمشروع تجفيف أراضي الحولة ، فقد وقفت الكرمل مع المشروع ، في حين عارضته بعض صحف بيروت ، من بينها جريدة (الحارس البيروتية ، المعروفة بموالاتها للصهيونية) (٨٣) . والواقع انه كان يصعب في تلك الفترة ان ينجو مشروع في فلسطين من اصبع صهيوني ، فمدير الشركة الوطنية التي حصلت على امتياز لاستثمار امكانيات منطقة البحر الميت المعدنية كان (سليم ايوب) ، الذي تكشف الوثائق البريطانية عن صلاته بشركات استيطان لشراء أراضي على حدود مصر (٨٤) . ونقلت جريدة (فلسطين) (٨٥) عن جريدة (العالم الاسرائيلي) خبر منح امتيازين بتأسيس بنك وشركة الى بعض اعيان القدس من بينهم عينتابي وروبن ممثل جمعية الاستعمار الصهيونية ، ودزنكوف رئيس مستعمرة تل ابيب ... الخ »

لم يكتف الصهيونيون بمحاولة اسكات الصحافة المناوئة للصهيونية ، بل عملوا حسب الخطة التي رسمت في المؤتمر الصهيوني بالرد على الصحافة العربية والتأثير عليها : فطرحت جريدة النفير العثماني في حيفا (أول يناير ١٩١٤) (٨٦) على المناقشة موضوعا لم يكن جديدا حول منافع ومضار الصهيونية ، كي يدلى الكتاب بآرائهم فيه . ويلاحظ ان المقالات كلها تمجد الصهيونية، سوى مقالين أدخلهما صاحب النفير ـ بحجة الموضوعية ـ لبيان مضار الصهيونية . كاتب المقال الاول موظف حكومي ، خبر كل الاجراءات التي رافقت عمليات البيع والاستيطان ، فلم يجد في الصهيونيين أي نفع ،

---

٨١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/١/٦ .

٨٢ ـ **الكرمل** ، ٣ ، ١٩١٣/١١/١٧ .

٨٣ ـ **الكرمل** ، ١٦ و ١٩١٤/١/٣٠ وكان مجلس عموم ولاية بيروت قد اعطى الامتياز الى محمد عمر بيهم وميشيل ابراهيم سرسق . وشروط الامتياز ان يكون حملة اسهم الشركة عثمانيين ولا يجوز ان تباع اسهمها الى اجانب ، وبعد تجفيف الارض ، فان الحكومة لو شاءت البيع تحفظ الشركة حق الارجحية للمزارعين الوطنيين ... ولكن عقبات معينة حالت دون تنفيذ المشروع في العهد العثماني.
Government of Palestine, **Reports on Agricultural Development and Land Settlement in Palestine,** Jerusalem 1931.

٨٤ ـ ذكرت **ذي تروث** (١٩١٤/٣/١٣) ان ايوب قد نقل هذا الامتياز الى شركة النفط الاميركية ستاندرد .

٨٥ ـ **فلسطين** ، ١٩١٤/٢/١٤ .

٨٦ ـ جريدة **النفير** العثماني (صاحبها ايليا زكا) كانت من الصحف الموالية للصهيونية . (انظر الفصل الثاني) .

بل تخوف من مستقبل مظلم . والكاتب الثاني كان (طه مدور) صاحب جريدة (الراي العام) في بيروت ، وقد قصر بحثه فقط على امكانية الاستفادة المادية لانه متأكد من ضرر الصهيونية السياسي والاجتماعي ، وهو يقر بارتقاء الصهيونيين المادي والعلمي ، ولكن هذا النفع لا يعم أبناء البلاد ، وحتى لو وقع النفع فهو لا يوازي الضرر الذي يلحق أبناء البلاد من استيلاء الصهيونيين على الاراضي . ولكنه يرى أن بامكان العرب تقبل الصهيونيين والاعتقاد بنفعهم لو تقيدوا بشروط ثلاثة : أن يتخلوا عن أية فكرة سياسية ، وأن يتجنسوا بالعثمانية ، وأن يمدوا المعاهد العلمية بالمساعدات المالية . وبعد ذلك لا يرى الكاتب مانعا من البحث عن وسيلة تؤدي الى «وضع يدنا بيدهم» (٨٧) . وكانت اقوال الكتاب حول منافع الصهيونية تكرارا للحجج التقليدية ، من استبعاد الخطر السياسي والتأكيد على الولاء للعثمانية ، وان الصهيونية مفيدة للبلاد وأهلها ، وأن اليهود خير مثال لحياة العمل والاقتصاد ، والصهيونية تمد يدها للشعب العربي لمساعدته على العمل في سبيل الحياة ، ولا خوف على الوطنيين من مزاحمة الصهيونية في أمور المعيشة والاعمال ، فهذه الارض يرثها العباد الصالحون (أي الصالحون لعمرانها) . وما يلفت النظر في هذه الردود هو الهجوم الذي شن على الصحف المعادية للصهيونية، والتهديد بمعاقبتها واغلاقها وتوجيه التهم الملفقة لها (٨٨)، والادعاء بأن الحملة المهاجمة للصهيونية اتت بنتائج عكسية ، اذ ستلفت انظار رجال الحكومة الى نفع الصهيونية ، وعرفت الصهيونية بأصدقاء لها في الصحافة العربية مثل النفير والمقطم والنصير .

لقد كانت كل الادلة ـ منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني ـ تبدو في صالح الصهيونيين : موقف حكومي موال ، تزايد في الهجرة ، تسارع في شراء الاراضي ، دعاية في الصحف الموالية ، صمت شبه مطلق عن تناول موضوع الصهيونية في الصحف العربية خارج فلسطين ، قمع للصحف المحلية المعادية للصهيونية ، بل ان الجرائد التركية التي شهرت الحرب على الصهيونية ، والتي كان بامكانها دفع الحكومة الى اتخاذ التدابير المانعة ، قد انقطعت عن الصدور (روم ايلي ، يكي غزته ، حكمت) ، ما عدا (تصوير أفكار) التي لا تزال حية « ولكنها لا تعرض بذكر الصهيونية الا ما جاء عفوا بعد وفاة صاحبها أبو الضيا توفيق » (٨٩) وكذلك جريدة (بيام) التي تتعرض احيانا للصهيونية في صفحاتها .

وكان موقف الصهيونية قد دعم بتعيين سفير جديد للولايات المتحدة في الاستانة هو هنري مورغنثو Morgenthau (خلفا للسفير السابق أوسكار ستراوس ، وكلاهما يهودي) ، وقد لاقى خبر تعيينه ـ برأي جويش كرونيكل ـ ترحيب اليهود والباب

---

٨٧ ـ ربما كانت الفكرة الاخيرة هي التي دفعت صاحب النفير الى ادراج المقال في جريدته .

٨٨ ـ معظم التهم وجهت الى صاحب الكرمل ، حيث اتهم بانه كان مستخدما عند الصهيونيين في طبريه، وانه « لما طرد لسلوكه غير المرضي أنشأ جريدته للتشفي والانتقام، وتبعته سائر الجرائد دون ترو».

٨٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٤/١٤ (مقال الحركة الصهيونية في الصحافة التركية) ويشير المقال الى ان اول جريدة تركية خاضت عباب هذا البحث هي « تصوير افكار » « فقد اجهد ابو الضيا بك نفسه وجاهد ضد الصهيونيين جهادا لا تبلى جدته الايام وسيذكره له الفلسطينيون بكل شفة ولسان » .

العالي . وكان قد ادلى بتصريح الى الجريدة (٩٠) وهو في طريقه الى الاستانة عبر فيه عن عطف (ويلسون) الكبير على اليهود ، وبين انه سيستخدم نفوذه كيهودي وكسفير امريكي لصالح يهود الامبراطورية ، وسينتهز الفرصة لزيارة فلسطين كي يتعرف هناك على ما يمكن فعله « لتحرير ارضهم القديمة !! » .

شخصية يهودية أخرى سبقت (مورغنثو) في زيارة فلسطين هو (البارون ادموند دي روتشيلد) . وقد حاولت الجرائد اليهودية أن تعطي الزيارة طابعا قوميا ، بصفته خالق الاستيطان الصهيوني الحديث ، وانه انما جاء ليرى نتائج جهوده « لأعادة ارض اسرائيل » (٩١) . وأسهب مراسل المقطم في يافا (نسيم ملول) في وصف الاستقبالات الرسمية والشعبية التي نظمت له (٩٢) . وأشارت الصحف العربية الى زيارة روتشيلد (لفلسطين وبيروت ودمشق) (٩٣) وشغلت بملاحقة التبرعات التي افاضها البارون على المنظمات اليهودية ※ ، والتي نال نصيبها منها الجمعيات المحلية ، بل اسهبت تلك الصحف بعبارات الشكر والامتنان لسخاء البارون (٩٤) . كذلك أبدت اعجابها بما رافق الزيارة من احتفالات واستقبالات ، وخالط هذا الاعجاب تحسر ودعوة الى المحاكاة . فأشارت (فلسطين) (٩٥) « ... لا غنى لنا عن القول ان الامة اليهودية مهما احتفلت ببارونها فهي لا تفيه حقه ، لانه في اعتقادنا رجل خلق أمة ، في حين اننا نجد أمما كثيرة لا رجل واحد فيها » ، وذكرت (الاقدام) (٩٦) ان البارون « جدير بهذا الاحتفال وهم جديرون أن يقدروا له نعمه واحسانه ، فمن للمسلمين بروتشيلد مسلم يفعل لهم مثل ما فعل روتشيلد لليهود » . الا ان جريدة (فلسطين) – رغم المديح والثناء – كانت تغمز وتشير الى أمور خفية ، ففي وصفها لمظاهر استقبال

---

٩٠ – Jewish Chronicle, Dec.12.1913

٩١ – The Truth, 27.3.1914 وفيها وصف الاستقبالات التي جرت للبارون لدى وصوله الى القدس بالقطار – وكان قد وصل يافا في يخته الخاص .

٩٢ – **المقطم** ، ١٩١٤/٢/١٨ ، يذكر ملول انه تقدم الى البارون مهنئا باسم الصحافة العربية المصرية . واثنى الاخير على المقطم التي قرأ عنها في الجرائد الفرنسية .

٩٣ – اشارت **المقتبس** (١٩١٤/٢/٢٨) الى ان روتشيلد وصل دمشق قادما من حيفا بالقطار واستقبله يهود دمشق بالهتاف وبالاعلام الصهيونية الصغيرة التي كان يخبؤها اطفال المدارس تحت معاطفهم .

※ – ذكرت **فلسطين** (١٩١٤/٢/١١) ان البارون وهب مبلغ ١٢ مليون فرنك للمزارعين الاسرائيليين في فلسطين .

٩٤ – من هذه التبرعات ٢٥٠٠ ليرة فرنسية مساعدة لجمعية البر والاحسان الخيرية الاسلامية في يافا ، ١٠٠٠ ليرة لفقراء المسلمين في القدس ، ١٠٠٠ ليرة لمساعدة المعاهد العلمية والمدارس الاسلامية في بيروت، ٣٠٠ ليرة لاحدى الجمعيات الخيرية الاسلامية في دمشق ، ولفقراء المسلمين في حيفا بألف ليرة وعكا ٣٠٠ ليرة وتبرعات متفرقة الى المساجد في قضاء طبريه وحيفا . وتعلق جريدة **الاصلاح** (١٩١٤/٣/٤) « ... نرجو ان يكون عمل البارون قدوة لاغنيائنا » ، **فتى العرب** لا تستغرب هذه التبرعات ، فايراد البارون سبعة ملايين ليرة سنويا « فقليل من كثير » **والاقدام** (١٩١٤/٣/١٥) ترى أن البارون « عمل اولا لقوميته وجنسيته ثم عمل ثانيا للانسانية المجردة » .

٩٥ – **فلسطين** ، ١٩١٤/٢/١٤ .

٩٦ – **الاقدام** ، ١٩١٤/٢/٢٢ ، وكانت تصدر في القاهرة وكان صاحب الاقدام (محمد الشنطي) قد جاء فلسطين في تلك الفترة للبحث في احوال البلاد ، وخاصة مع قرب اجراء الانتخابات .

البارون تساءلت (٩٧) عن مظاهر كثيرة تستدعي النقد « فلا نسأل الحكومة عن معنى فرش الطرقات بالرمل ، ولا عن هذه الزيارة رأسا الى دار الحكومة بصفة ملوكية ... وشبان اليهود يطردون من الطريق العام من يريدون ويسمحون لمن يريدون ... الخ .. بل نسأل الحكومة فقط : كيف جاز لها أن تجعل نفرين من الجاندرمة يركضان على أقدامهما كالخيل امام العربة ؟ ... عدا عن كونه لا يليق بشرف الملابس التي يلبس منها ، فهو مما لم تسبق به عادة ... » . وعن توزيع بطاقات الدعوة للحفل الرسمي الذي دعا اليه المتصرف ترحيبا بروتشيلد والمطبوعة بلغات ثلاث : العربية والعبرانية والفرنسية ، علقت بأن ذلك « اعتراف صريح من حكومتنا المحلية بأنه لم يعد لها غنى عن استعمال هذه اللغة العبرية ، وهي خطوة واسعة خطتها هذه اللغة بدون ضجة ، لم تبلغها اللغة العربية الا بعد جهاد عنيف ... » (٩٨) .

ناحية واحدة حاولت بعض الصحف الصهيونية والموالية لها أن تبرزها في هذه الزيارة ، هي دعوى التقارب التي خاطب بها روتشيلد المستقبلين في تل أبيب « ... رجاء عظيم أن تعيشوا مع العرب أهل هذه البلاد بوفاق وسلام ، لا سيما وهذا الاخاء الموجود في العنصر واللغة والدين » (٩٩) . كما أن مراسل جون ترك في حيفا نقل نصائح روتشيلد الى اليهود : « أن يؤيدوا بكل قواهم النهضة العربية الحاضرة ويساعدوا القائمين بها على تمدين بلادهم وترقيتها » ، ويذكر العرب « بأن اليهود ليسوا أعداءهم ، بل هم اخوانهم الذين اضطرتهم الظروف الشاذة الى المهاجرة لحين من الزمن .. والآن ، بعد أجيال عدة يعودون اليها بما اكتسبوه في غربتهم » (١٠٠) .

ولكن هل نجحت دعوى روتشيلد للتقارب ؟ وهل استمالت تبرعاته السخية القلوب وانست عرب فلسطين ما يكمن وراء الصهيونية من أخطار ؟

٣ – حملة الانتخابات للمبعوثان وتجدد المعارضة :

الواقع انه بعد فترة التغاضي المكره عن تناول موضوع الصهيونية ، تجددت الحملة من جديد مع قرب الانتخابات للمبعوثان . وكان الصهيونيون قد سعوا مستغلين الظروف المواتية لتأمين اخراج نائب منهم عن فلسطين (١٠١) . وقد عبّرت جويش كرونيكل (١٠٢) عن ترحيبها بهذه الخطوة نظرا لأن هذه هي أول مرة في تاريخ اليهود العثمانيين في الارض المقدسة سوف يرسلون مندوبا يهوديا لتمثيلهم في مجلس المبعوثان . ولكن بعكس التوقعات المتفائلة ، فان الاحصاء الذي اجري في متصرفية

---

٩٧ – **فلسطين** ، ١٩١٤/٢/١٤ .

٩٨ – **فلسطين** ، ١٩١٤/٢/١٤ .

٩٩ – **المقطم** ، ١٩١٤/٢/٢٨ من مراسلها في يافا (نسيم ملول) .

١٠٠ – نقلت ذلك **الاصلاح** في ١٩١٤/٣/١٦ وعلقت بقولها « اذا امعن الانسان البصر في هذه التصريحات ... وجد ان قائلها لم يكن ملكا للمال فقط ، بل ملك الكلام ايضا » .

١٠١ – **الاهرام** ، ١٩١٣/٣/١٤ وقد علمت الجريدة ان المرشح هو (دانيال ابرافايا) احد موظفي المصرف العثماني .

١٠٢ – Jewish Chronicle, 20.2.1914

القدس لم يسمح لليهود بحق ارسال مندوب عنهم . وقد تكون المعارضة التي توضحت في فلسطين على أبواب الانتخابات ، هي التي منعت الاتحاديين من اتخاذ هذه الخطوة ، اد ان شائعة ترشيح مندوب يهودي كانت قد رافقت خبرا عن طلب الحاخام باشي من وزير الداخلية تعيين حاكم يهودي في احدى المدن الفلسطينية ، حيث تكون الاكثرية لليهود كحيفا ويافا مثلا ، أو احدى بلاد الجليل . ومع حرص (الكرمل وفلسطين) على هدوئهما في معالجة هذه القضية ، الا أن موقفهما كان واضحا . فجريدة فلسطين ، في مقال كله سخرية (١٠٣) ، تقدر عمل الطالب — اي الحاخام باشي — لأمرين « من الجهة الاولى فلأن العمل يدل على شعور القوم بما وصلوا اليه من المركز المهم في فلسطين لطلب الحاكمية عليها ، وثانيا لأنهم عرفوا كيف يتدرجون في طلباتهم من الصغير الى الكبير ، ومن الاشياء التافهة الى الامور الاساسية » . و (فلسطين) تتمنى تحقيق هذا الطلب لأمرين كذلك « ... لاننا نكره الحرب في ميدان نعرف سلفا اننا سنغلب فيه ... والوقت الذي يصرفه المواطنون في هذا السبيل يشبه الوقت الذي يصرفه الوعل في مناطحة الصخرة . وثانيا لأننا نؤمل متى تحقق هذا الطلب وجاءنا حاكم اسرائيلي ان نرى في اعماله الهمة والنظام ومعرفة الواجب والمحافظة على الامن ، واصلاح طرق المواصلات والرقي العملي الذي نراه في اعمال امثال دزنكوف رئيس بلدية تل أبيب » . والمقال ينتهي بهذه الفقرة « فلسطين تنتفع كل الانتفاع من تعيين حاكم اسرائيلي ، ولكن بعد أن يغادرها كل من لا ينسب لاسرائيل ، ليكون حاكم واحد لشعب واحد » .

الا أن محمد الشنطي ، رئيس تحرير (الاقدام) ، كان اكثر جرأة في الجولة التي قام بها في فلسطين ، لترصد الاوضاع على ابواب الانتخابات للمبعوثان ، واجرى عدة احاديث مع اعيان فلسطين ، منهم بعض المرشحين للمبعوثان ، حول رأيهم بالمسألة الصهيونية وخطتهم المقبلة في المجلس (١٠٤) . واتفقت الآراء (١٠٥) على أن الصهيونية خطر على البلاد « اذ لا حديث لأهل فلسطين في مجالسهم الخصوصية والعمومية الا بها ، وكلهم خائف حذر ، وخاصة أنه لا قبل للمواطنين بمجاراتها ... والفوز في معترك

١٠٣ — **فلسطين** ، ١٩١٤/٢/٢١ (عنوان المقال : دلالك يا جميل اشكال) ، وقد اقترحت **الكرمل** في ١٩١٤/٣/٦ ، ان كان لا بد من تعيين حكام اسرائيليين ان يكون ذلك خارج فلسطين حيث لا تخوف من الجمعيات السياسية الصهيونية ، وذلك اوفق كثيرا لمصلحة الدولة والاهالي ، ولمصلحة الموظفين الاسرائيليين انفسهم .

١٠٤ — **الاقدام** ، ٢٢ و ٣/٢٩ و ٤/١٢ و ٥/٣ ، ١٩١٤/٧/١٤ وقد تمت هذه المقابلات مع سعيد الحسني ، راغب النشاشيبي ، حسين سليم الحسيني ، موسى شفيق الخالدي ، خليل السكاكيني ، جميل الحسيني ، عثمان النشاشيبي .

١٠٥ — لم يشذ عن هذا الاجماع سوى مفتي يافا الشيخ توفيق الدجاني فلم يجد في الصهيونية خطر امتلاك فلسطين ، اذ انه بعد ٣٢ سنة لم يتمكنوا من امتلاك اكثر من ١٢٠٫٠٠٠ دونم ولا يمكن ان يتيسر لهم امتلاك اراضي فلسطين التي تزيد عن ٢١ مليون دونم الا في زمان لا يعلم مقداره . وكذلك حسين سليم الحسيني رئيس بلدية القدس الذي استبعد اي غرض سياسي للصهيونيين ، وان مجيئهم فقط للعيش ، وانهم شعب راق متعلم يجب الاقتداء به ولكن هذا لا يمنع من التنبه لهم حتى لا تصبح اراضينا لهم .

البقاء لا يكون الا للعالم والغني » . والخطر ليس اقتصاديا فحسب ، قاصرا على الاستيلاء على مرافق البلاد وشراء الاراضي قطعة بعد أخرى واخراج الفلاحين منها ، بل انه نتيجة سياسية خطيرة ، اذ « ... مع الزمن سيدخل تغيير على خريطة فلسطين » . وكان أبعد الردود نظرا هو الذي قدمه خليل سكاكيني (١٠٦) — أحد مؤسسي المدرسة الدستورية في القدس — التي يصفها الشنطي بأنها تبث روح العداء للاستعمار الصهيوني ، « ... الصهيونيون يريدون أن يملكوا فلسطين وهي قلب البلاد العربية والحلقة الوسطى بين جزيرة العرب وافريقيا ، وكأنهم يريدون بذلك أن يقطعوا هذه السلسلة ويقسموا الامة العربية الى قسمين يصعب معهما اتحادها وتضامنها » . اما عن منافع الصهيونيين ، فقد اقر الجميع ان الصهيونيين اغنياء علما ، تتوفر لهم مساعدات ادبية ومادية للقيام بأعمال عظيمة ، ولكنها تنحصر فيهم ، والفائدة بمجرد المجاورة والنظر ليس لها معنى . وبالنسبة عن الخطة لوضع حد للخطر الصهيوني فقد اختلفوا حول السبل لتحقيق ذلك : بعضهم تقدم ببرامج اصلاحية لفرز الاراضي وتعميم المعارف والنهوض بالفلاح وتأليف الجمعيات وضرورة اللحاق بالصهيونيين في العلوم والمعارف والصنائع وفي كل نواحي الحياة ، وآخرون وجدوا الحل أن يتخلى الصهيونيون عن تبعيتهم الاجنبية ويمتزجوا بالاهالي ويتكلموا بلسانهم ويحترموا عاداتهم ولا يؤثروا أنفسهم بالاشغال .ورأى بعضهم ضرورة مطالبة الحكومة بتوقيف هذه الحركة ، وان لم تصغ الحكومة الى ذلك يعقد مؤتمر « لبحث الداء والدواء وبعده اما حياة او موت أبديان » (١٠٧) .

ولم تكن نتائج الانتخابات في متصرفية القدس (١٠٨) في صالح الصهيونيين ، فقد عبرت جريدة ذي تروث (١٠٩) عن قلقها لانتخاب الممثلين العرب الثلاثة في المبعوثان « لأن لديهم كرها متأصلا لليهود ، وقد وعدوا ناخبيهم أن يبذلوا جهدهم لاعادة القيود

١٠٦ — كان السكاكيني يدرس اللغة العربية لليهودي الروسي ابري (المذكور سابقا) وخبر بذلك احوال الصهيونية عن قرب . وقد نشر السكاكيني مذكراته (كذا انا يا دنيا) في القدس سنة ١٩٥٤ وقام ايلي خضوري بتحليلها لمعرفة الدور الذي لعبه المسيحيون (وخاصة الارثوذكس) في الحياة السياسية في فلسطين .
Kedourie, F.. « Religion & Politics in the Diaries of Khalil Sakakini»
St. Antony's Papers No. 4.
Middle Eastern Affairs No. 1 Oxford, 1958,

١٠٧ — حضر صاحب الاقدام جلسة وطنية في نابلس ضمت بعض اعيانها ، وكان حديثهم حول الصهيونية ووجوب مقاومتها ، واجمع الحاضرون « اما ان نموت ونخرج من الاوطان واما ان نمنع الصهيونيين من اخذ شبر من ارضنا ... » .

١٠٨ — اسفرت انتخابات القدس (١٨ نيسان ، ابريل) عن فوز راغب النشاشيبي وفيض الله العلمي وسعيد الحسيني ، وكلهم اتحاديون . رسالة القنصل البريطاني في القدس في ٣٠ نيسان F.O. 195/2451 اما الانتخابات في ولاية بيروت فقد اسفرت عن فوز عبد الفتاح السعدي من عكا ، وامين عبد الهادي ، وتوفيق حماد عن نابلس (رسالة القنصل البريطاني في بيروت ١٩١٤/٤/١٥) . F.O. 195/2457

١٠٩ — **The Truth, 8.5.1914**

القانونية السابقة ، التي كانت تحول دون امتلاك اليهود في فلسطين » (١١٠) ولكن زعماء الصهيونيين ـ كما تذكر الجريدة ـ لا يقلقهم هـذا الموقف ، اذ لا يمكن لجهود هؤلاء المعاديين للسامية « ان تكبح تيار الفكرة اليهودية ونفوذها في أرض ابراهيم » ، وعلى حد قولها « ان جهودهم ليست اكثر من قشة في وجه تدفق نهر سريع » . وأثارت هذه الملاحظة انتقاد الشنطي (١١١) الذي بـادر الى تذكير نواب فلسطين بمقدار استخفاف الصهيونيين بهم وحثهم على ان ينفذوا وعدهم لمنتخبيهم وان يرفعوا أصواتهم في مجلس المبعوثان لمعارضة حركة الصهيونيين في بلادهم حتى تتنبه الحكومة الى الخطر المحدق بها وببلادها .

واقتصر تداول الموضوع على صفحات الجرائد العربية وكانت الفترة التي رافقت عملية الانتخابات للمبعوثان قد جددت نشاط الصحافة العربية لبحث المسألة . ومـع أن مقالات الكرمل قد خفت حدتها منذ مطلع سنة ١٩١٤ ، الا انها حرصت على تذكير قرائها بمستقبل يجرد فيه الاهالي من الارض ويطردون من البلاد (١١٢) ، والى تنبيه الرأي العام الى خطر بيع الاراضي للصهيونيين (في منطقة نابلس) (١١٣) ، والى دعوة الزعماء والشبيبة وقادة الـرأي للعمل المنظم لمواجهة الخطر بتكوين جامعـة عربية فلسطينية،وايجاد مؤتمر لاصهيوني،وتأسيس الجمعيات واحياء الزراعة. . .الخ (١١٤). وكانـت (فلسطين) قـد شددت منـذ مطلع سنة ١٩١٤ حملتها حتى تفوقت علـى الكرمل ، وأخذ صوت (فلسطين) ـ كما يقول صاحبها (١١٥) ـ تردده اكثر الصحف والمجلات العربية عدا القليل منها ، التي ترى من مصلحتها المادية أن تكون في جانب هذه الحركة . وتعدى البحث الى الجرائد الاجنبية المصرية، فنشرت عنها جريدة (الجورنال دي كير) الفرنسية المقالات الطويلة ، ولم يمنعها من متابعتها تصدي كتاب الصهيونية لها في جريدة (البروجريه) . ولا ترى جريدة (فلسطين) عبرة بمناصرة جريدة المقطم لهذه الحركة « لأن وكيلها في فلسطين يهودي ، وتخشى اذا هي نشرت عن هذه الحركة شيئا ان يغضب عليها مشتركوها من اليهود !! » .

---

١١٠ ـ جاء في مقال السبرج (بالعبرية) المشار له سابقا (المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيـذية الصهيونية قبل الحرب الاولى) ان راغب النشاشيبي صرح قبل نجاحه في الانتخابات « انـه لـو انتخب سيبذل كل جهده ليلا ونهارا لابعاد الضرر والخطـر اللذين ينتظراننا مـن الصهيونيـة والصهيونيين » .

١١١ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٣١ .

١١٢ ـ **الكرمل** ، ٣/١٧ ، مقال (عارف العارف) ينذر بان امتلاك البلاد لن يكون « ... الا اذا محقنا عن بكرة ابينا » ـ وجاء في الكرمل ٤/٢٧ « ... وهكـذا تصير المزارع والاراضي والتجـارة في يـد الصهيونيين فلا يبقى وطن ولا رزق للاهلين فيغادرون اوطانهم لغيرهم ... » .

١١٣ ـ **الكرمل** ، ٢٤ و ١٩١٤/٤/٢٨ اشاعات البيـع في منطقة نابلس تناولت الارض الواقعة في وادي الحوارث التابع لقضاء بني صعب ومساحته ٤٥ الف دونم وخربة عزون (١٥ الف دونم) .

١١٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/٤/٧ وكان ذلك بمناسبة احتجاج شبيبة يافا على سجن الصهيونيين لاحد قرويي منطقة يافا واهانته ، واعتبرت الكرمل هذا الاحتجاج دليل ضعف لان ذلـك يسقطهم في نظـر الحكومة ونظر من ينازعونهم البقاء .

١١٥ ـ **فلسطين** ، اول نيسان (ابريل) ١٩١٤ .

٤ ـ مورغنثو واغلاق جريدة فلسطين :

ومع ازدياد الهجوم على الصهيونية من جبهات متعددة ، كان لا بد لها من ايجاد حل ، وكانت الضحية جريـدة (فلسطين) ، والمسبب السفير الامريكي في الاستانة (مورغنثو) . وكان قد حضر الى فلسطين أوائل ابريل ١٩١٤ في زيارة تفقدية مماثلة لتلك التي قام بها روتشيلد ، وكلا الشخصيتين لها وزنها في العالم المالي والدبلوماسي ، وزيارتهما لها علاقة بمصالح الاستيطان اليهودي في فلسطين . وفي الحقيقة كان مورغنثو قد أعلن بصراحة انه سوف يستخـدم كل نفوذه الرسمي والشخصي لتطوير هـذه المصالـح ، وكانت جريدة (فلسطين) (١١٦) قد قدمت لزيارة مورغنثو بنشر ما سبق لصحيفة الجويش كرونيكل ان نقلته من تصريحات مورغنثو التي يعلق عليها الصهيونيون شأنا كبيرا في انجاح مشروعهم . وقد أقيمت للسفير مظاهر احتفالات كانت مماثلة لما جرى للبارون روتشيلد ، ورافقه روبن في تفقد احـوال المستعمرات وأبدى اعجابه بالمنجزات التي حققها الاستيطان اليهودي ووعد بقدوم لجنة من الامريكيين الى فلسطين لدراسة امكانياتها وتطويرها (١١٧) .

ولا شك أن قدوم روتشيلد اولا ، ثم مورغنثو ثانيا ، دليل على أن الصهيونية قد دخلت طورا جديدا (كما ذكرت مـرآة الغرب) (١١٨) « تسربت بدخوله الخشية الى قلوب الوطنيين ... بعدما توفرت لهم (أي للصهيونيين) قـوة المال الذي جاءهم به روتشيلد ، وقوة السياسة التي جاء بها مورغنثو ، ومن المعلوم أن كلا هاتين القوتين كافية لاقامة مملكة وتأييد مصالح أمة ، فكيف بهما اذا اجتمعا معا » . وشعر القنصل البريطاني في بيروت (١١٩) أن قوة دافعة قد اعطيت للمخطط الصهيوني اثر تلك الزيارات، فقد ترك روتشيلد وراءه قدرا كبيرا من المال ، وترك مورغنثو وعودا كثيرة بالمساعدة الشخصية للحركـة الصهيونية (١٢٠) ، ووجدت مجلـة ذي نير ايست (١٢١) مبررا للصحافة العربية لابداء قلقها العميق ، ازاء هذا التطور السريع للنفوذ اليهودي . وفي اثناء جولة مورغنثو التفقدية نشرت (فلسطين) فقرةصغيرة تحتعنوان (نصيحة) (١٢٢) ردت بهـا على تساؤل بعـض القـراء لسكوتها عن الطعـن الموجه لهـا مـن جريدة صهيونية . وبيّن صاحب (فلسطين) ان غرضه فقط انما هو تعريف الصهيونيين لمن لا يعرفهم من المواطنين ، والسعي لمقاومة « هذا التيار الذي اذا لم يتنبه له عقلاء الامة ،

---

١١٦ ـ نشرت **فلسطين** ، ١٩١٤/٤/٤ ، تصريح جويش كرونيكل على النحو التالي : « ستكون زيارتـي لفلسطين زيارة رسمية كسفير للولايات المتحدة يدين بالدين اليهودي ... يقـدر ان يكون ابنـاء جنسي اليهود على ثقة من انني لا اتأخر ابدا عن مساعدتهم بنفوذي في الاستانة لما فيـه خيرهـم وفائدتهم » . انظر ص ٢٠٩ من هذا الفصل .

١١٧ ـ **Jewish Chronicle, 5.6.1914**

١١٨ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٦/٢ .

١١٩ ـ من تقرير القنصل البريطاني في بيروت حول رحلته التفقدية في الجليل والقدس **F.O. 195/2457**

١٢٠ ـ حول محادثات مورغنثو مع الخديوي عباس حلمي (حين زار مصر في تلك الجولة) وعن مساعيـه من اجل انجاح الحركة الصهيونية في تركيه انظر الفصل السادس .

١٢١ ـ **The Near East, 28.5.1914**

١٢٢ ـ **فلسطين** ، ١٩١٣/٤/٤ ، العدد ٣٢١ .

لا فلاحها المسكين ، ضاعت البلاد ... وطرد المواطنون كما تطرد الكلاب من هذه البلاد » ، ويعد قراءه بقوله « ... وها نحن سنستمر على الوقوف بازاء الصهيونيين الى يوم ترتجف فيه اعصاب الامة وترى الحفرة الهائلة التي تنتظرها فتدوي دوي السيل الجارف وتلعلع لعلعة النار الآكلة وويل لظلمة الشعب من ذلك اليوم » . وفي ٧ نيسان (ابريل) اصدرت وزارة الداخلية امرا يقضي باغلاق الجريدة واقامة الدعوى على مديرها المسؤول بحجة انها تفرّق بين العناصر .

ويذكر وكيل القنصل البريطاني في يافا ، وهو ينقل الخبر الى القدس في ٢٩ ابريل (١٢٣) ، ان الجريدة نفسها قد اوقفت قبل فترة قصيرة ، بسبب تهجمها على السلطات المحلية ، ولكن الحكم قد الغى عن طريق نفوذ جمعية الاتحاد والترقي ، وهو لا يأمل حدوث نفس الشيء الآن ، لأن الجمعية قد اتخذت هذا العمل بناء على طلب الصهيونيين . ويذكر وكيل القنصل ان الجريدة كانت قد تولت لفترة طويلة حملة معادية للصهيونية « فخلقت لها بذلك اعداء أقوياء كثيري المرارة في المعسكر الصهيوني »، ويعتقد ان الدافع وراء هذه الحملة هو ببساطة « شعور السوريين القومي المحض بالمعارضة نحو تلك الفئة التي اتجهت علنا كي تحل محل السوريين في بلادهم بالقوة » ويلفت النظر الى ان الحكومة قد اظهرت في المدة الاخيرة موالاتها البالغة للصهيونيين — فقد الغت كليا كل القيود على الهجرة اليهودية وشراء الاراضي « كما ان حياة الرعايا العثمانيين تزداد صعوبة حتى ان المواطنين يتدفقون الى خارج البلاد بنفس السرعة التي يتدافع بها الصهيونيون الى الداخل » . وفي تعليق القنصل في القدس على ما جاء في رسالة يافا يؤكد « ان المقال انما يعكس بصدق الاستياء المتزايد بين العرب ضد الغزو اليهودي » (١٢٤) ، ويشير كذلك الى ان الاعتداءات على اليهود في المناطق النائية تتكرر باستمرار .

وعلى اثر تعطيل الجريدة ، قام مديرها بتوزيع كتاب مفتوح الى مشتركي وقراء الجريدة ، يحلل في الجزء الاول منه طبيعة الشعور المعادي للصهيونية : الصهيونيون ليسوا عنصرا من العناصر ، بل هم فئة سياسية ، فاليهود كانوا حتى قبل عشر سنوات « عنصرا شقيقا وطنيا عثمانيا محبوبا ، معززا من جميع اخوانه أبناء العناصر العثمانية، حتى جاءت الصهيونية تنادي أنهم (أمة) لا ديانة ، يسعون وراء حصر البلاد بهم ليكونوا شعبا مستقلا في بلاد مستقلة ، لا عنصرا بسيطا في بلاد كثيرة العناصر » . ويتناول الجزء الثاني من الكتاب المفتوح اتهام مورغنثو السفير الامريكي باستخدام نفوذه من أجل تعطيل الجريدة اثر تصريحاته التي وعد بها اليهود كل مساعدة (١٢٥) . ويضيف

١٢٣ – F.O. 371/2134/22036

١٢٤ – اجرت جريدة The Truth مقابلة مع مدير (فلسطين) فذكرت في عدد ٨ ايار (مايو) ان موقفه كان بدافع قومي اكثر منه (معاداة للسامية) وانه يعتبر التدفق اليهودي نحو فلسطين غير متكافىء واذا لم يكبح في الوقت المناسب فسوف يبرهن عن تهديده لتركيه .

١٢٥ – علق القنصل البريطاني على هذه الفقرة التي نقلها القنصل في يافا بقوله ... « انا لا استطيع ان اجزم بان مورغنثو قد ناصر قضية الصهيونية ، وفي الحقيقة فقد اكد لي انه قد تجنب بجهد ان ينحاز الى اي جانب ، ولكن نظرا لان معلوماتي مستمدة من مصادر يهودية فأنا اتردد في قبولها دون تحفظ » .

الكتاب المفتوح « ... كانت فاتحة مساعدة حضرة السفير للصهيونيين اغلاق جريدتنا فلسطين ، لأنهم بينوا له ما ينتج عن تنبيه الافكار في مداومتها على فضح أسرارهم ونقل اقوال زعمائهم ، ونشر خفايا مؤتمراتهم وتبيان ما يكيدونه للوطنيين ... وقد صدف ان العدد الذي تحاكمنا عليه الوزارة اليوم صدر اثناء وجود السفير في القدس ، فترجموا له ما كتبنا وارسل نسخة ذلك الى الاستانة فكان في وزارة الداخلية ما كان » (١٢٦) . ويتعرض القسم الثالث من الكتاب المفتوح الى تحذير الحكومة ، فالصهيونية لم تبق (شبحا) و (بعبعا) بل خطرا مجسما ، « فلو اخرست الاصوات التي تحذر بالخطر ، لا تستطيع اخراس الناشئة الجديدة التي ترى ميراثها يفر من ايديها ، او ان تطفىء النهضة التي سرت الى سائر الجرائد الوطنية حتى الى وادي النيل ، ولو قضت (فلسطين) فهناك من الوطنيين من يقوم بعشرات من الجرائد مثلها تخدم نفس المبدا » . صاحب الكتاب يعد القرّاء والمشتركين انتظار الدعوى ، فان لم تعد (فلسطين) ستعوضها جريدة جديدة باسم (أنين فلسطين) « ... ولا غنى حينئذ للحكومة المركزية التي صمت اذنها عن نداء فلسطين من الالتفات الى أنين فلسطين » (١٢٧) .

وكان لحادث تعطيل الجريدة صدى عميق على الرأي العام في فلسطين ، وفي الفترة التي مرت بين هذا الحادث ومحاكمة مدير الجريدة ، كانت الرسائل تنهال على الصحف العربية الاخرى تعبّر عن استيائها للحادث الذي اقل ما فيه « اخفات صوت من الاصوات المتصاعدة تذمرا من الخطر الصهيوني » (١٢٨) . ورجت (فتى العرب) الحكومة الافراج عن الجريدة « ليصدق اعتقاد الناس بأن الحكومة لن تمالىء اليهود على مطامعهم السياسية » . وعجبت (الكرمل) من وزارة الداخلية التي تعتبر الجمعية الصهيونية والعاملة على سلخ قسم من الوطن العثماني عنصرا من العناصر . وعلقت (الاقدام) (١٢٩) « ... ماذا تريد حكومتنا لأهل فلسطين ؟ ... هل تريدهم أن يستسلموا للصهيونيين او يسلموهم أراضيهم وبيوتهم ؟ اذا كانت تريد فلتعلنه في الصحف وتعلقه على الجدران ، حتى اذا راق لأهل فلسطين خضعوا وامتثلوا والا رحلوا ونزحوا ! » .

١٢٦ – ذكرت **فلسطين** في عدد ٧/١٠ نقلا عن جريدة (دي ولت) لسان حال الجمعية الصهيونية في برلين ان الحاخام باشي هو الذي سعى لدى وزارة الداخلية لاصدار امر الى المتصرفية بتعطيل الجريدة ... وتعلق (فلسطين) « كثر المدعون الفضل باغلاق (فلسطين) ... فالسفير الاميركي اولا وحاخام باشي الاستانة ثانيا » .

١٢٧ – في تعليق **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٦/٢٠ « على اغلاق (فلسطين) تتساءل عن اسباب الابقاء على (**الكرمل**) صاحبة الحملات الشديدة على الصهيونيين . وقد عللت ذلك بان الكرمل تصدر في حيفا وهي بعيدة عن مركز الحركات الصهيونية بعكس فلسطين ، ولكنها تتوقع ان يتمكن مورغنثو ، بنفوذه السياسي ، من حمل ناظر الداخلية على تعطيل الكرمل ايضا ، « فتخلو فلسطين من كل جريدة ، وتتجرد البلاد من كل سلاح ضد الصهيونيين ... » .

١٢٨ – **فتى العرب** ، ١٩١٤/٥/٤ .

١٢٩ – **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٣ .

وفي اثناء نظر محكمة يافا بالقضية (١٣٠) في جلستين (٤ و ٦ ايار) غصت القاعة بمئات العثمانيين من سكان يافا جاءوا ليحضروا المرافعة التي اتخذت شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها ، وبعد ان سرد صاحب (فلسطين) الاسباب الموجبة التي دفعته الى كتابة ما كتب ، متناولا الاخطار الاقتصادية والسياسية بالاستناد الى كتابات الصهيونيين أنفسهم ، كان آخر ما خاطب به المحكمة « اننا امام تقرير مبدأ ، وهو اما ان تعدّي الصهيونيين عنصرا من العناصر العثمانية او جمعية سياسية مؤلفة من أقوام مختلفي الجنسية لاستعمار فلسطين ، فان كان الاول فاحكمي علينا بما تشائين ، حتى يعرف اهل فلسطين من الآن ان مزاحميهم على بلادهم عنصر مثلهم من عناصر هذه المملكة ولا خطر عليهم منهم ، وان كان الثاني فأطلب تبرئتي من هذه الدعوى» . وبعد سماع المرافعات، اصدرت المحكمة براءة صاحب جريدة(فلسطين) (١٣١) مستندة على ان الصهيونيين ليسوا عنصرا عثمانيا ، وان جريدة (فلسطين) لم تتعرض للموسويين في دينهم . ورغم صدور البراءة ، فان وزارة الداخلية لم تصدر أمرا باعادة صدور الجريدة الا بعد شهر (١٣٢) .

٥ ـ تجدد محاولات الاتفاق العربي الصهيوني منذ اواخر ١٩١٣ ورد الفعل العربي :

وسط هذا الرفض المطلق للصهيونية في فلسطين ، وبداية تكون رأي عربي عام ، تجدد العرض من اجل تقارب عربي صهيوني : وكانت الفكرة التي طرحت علنا في القاهرة منذ فبراير ١٩١٣ والمباحثات الخفية التي تمت بعد ذلك بمعزل عن الصحافة العربية ، قد عادت للظهور . والمهم في هذا التطور الاخير ، ان الرأي العام ـ المتمثل بالصحافة ـ لم يبق متفرجا ، بل شارك وعبّر عن رأيه بطريقة ليست في صالح متبني الفكرة . ويبدو ان اللقاءات التي تمت بين الصهيونيين وبعض الزعماء العرب في القاهرة وبيروت وباريس انتقلت الى الاستانة (١٣٣) . وبلغ مسامع (الكرمل) منذ ١٩١٣/١٠/١٠ ، نقلا عن مراسل جريدة البرق البيروتية في الاستانة ، ان أحد العرب هناك يسعى لبناء أساس الاتفاق بين العرب والصهيونيين ، فتساءلت (الكرمل) ، وكانت تثير هذا الموضوع لأول مرة بعد أن تجاهلت حوار الاهرام في العام الماضي ، « ... على ماذا يتفقون ؟ أعلى بيع البلاد ؟ الصهيونيون يريدون ملكا في فلسطين العربية ، أترضى الشبيبة الطاهرة بذلك التوقيع بيدها على القضاء على حياة بلادها وقوميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟ ألا يكفي ان عندنا من الخونة بعض الذين يدّعون الزعامة

---

١٣٠ ـ تفاصيل المحاكمة وردت في جريدة (**فلسطين** ١٩١٤/٦/٦) بعد الافراج عنها .

١٣١ ـ جاء في حيثيات الحكم « حيث ان المادة ١٦ من قانون المطبوعات المعدل تقول ان الذي يفرق بين العناصر العثمانية يعاقب (بكذا) ، وبما ان الصهيونيين ليسوا عنصرا بل جمعية اجنبية غايتها استعمار فلسطين ، فغرض المحرر في كتابته تنبيه الافكار في هذه الجهة ضد الخطر الصهيوني بناء عليه تقرر بالاتفاق براءة الكاتب مما نسب اليه » . وتضيف (فلسطين) انه بعد صدور الحكم دوت القاعة بالتصفيق وظهرت علائم الامتعاض على وجوه الصهيونيين .

١٣٢ ـ كان صاحب فلسطين قد نزل القاهرة في تلك الفترة وساهم بكتابة عدة مقالات للصحافة العربية هناك.

١٣٣ ـ مقال السبرج (بالعبرية) المشار له سابقا .

وهم سماسرة أدنياء النفوس يمدون أيديهم بذل ليقبضوا ثمن وطنهم دريهمات معدودة ؟ » . واستنجدت (الكرمل) بعبد الكريم خليل ، رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ومعتمد الشبيبة « ... عبد الكريم ، حاذر ان تسقط من شاهق ... أصبح مركز الشبيبة حرجا لأن الثقة وضعت فيها ، اننا نعتقد بأنه لا يوجد ولا يهوذا (اسخريوطي) واحد بينكم يبيع سيده وبلاده ،ولكننا لا نريد أن تحوم حولكم الظنون ويلقى أعداؤكم فيها اسبابا لاسقاطكم ... » . وعلى صفحات (الكرمل) (١٣٤) نفسها جاء رد أحد أعمدة الشبيبة العربية بالاستانة (سيف الدين الخطيب) القائل « ... اني لا أتصور رجلا في عروقه الدم العربي يقدم على أمر كهذا ... كما أني لا أشك بشباب عربي يوافق أحدا على بيع بلاده ، بل على فصل عضو من جسمه ... فليعلم الصهيونيون وغيرهم ، بأن في عاصمة الملك مئات عديدة روحهم من روح نجيب نصار ، كل الشبيبة هم أشياع صاحب الكرمل ... وان كان من الممكن اقناع نجيب نصار بالاتفاق مع الصهيونيين ، فمن المحال تغرير أبناء اليوم ورجال المستقبل ... ان يأتوا بمثل هذه الخيانة العظيمة ... » .

مهما كان صدق هذا النفي فالمفاوضات كانت جارية ، اذ لم يمض على ثورة (الكرمل) ورد (الخطيب) أسابيع ، حتى نشرت المقطم من مراسلها (١٣٥) مقابلة زعيم صهيوني في الاستانة ينقل فيها تصريحات رسمية للجمعية الصهيونية . وقدم هذا المراسل لهذه المقابلة بقوله « ... لما رأى الصهيونيون أن نجباء العرب قاموا يطالبون بالاصلاح ، نهجوا هم منهاجا جديدا ، فان مؤتمرهم الذي عقد في فيينا ٢ ـ ٩ سبتمبر الماضي قرر امورا مهمة ، متوخيا فيها التقرب من العرب ، والاتفاق مع المطالبين بالاصلاح منهم على أساس يكفل للامتين حقوقهما ويوثق بينهما عرى الاتفاق على ما فيه مصلحتهما » . وكانت ردود الصهيوني على الاسئلة التي طرحها مراسل المقطم تكرارا لم سبق وصرح به الصهيونيون : الهجرة تقتصر على الفقراء المضطهدين من شرق اوروبه الى ارض اجدادهم ليعيشوا في راحة وهناء ، المهاجرة اليهودية لم تضر الوطنيين ، بل بالعكس افادتهم ، فقد نقلت اليهم مدنية اوروبه ، وهي كفيلة بترقيتهم وتنمية ثروتهم ، البلاد لو حسنت زراعتها تستوعب خمسة ملايين نسمة ، وستظل فقيرة اذا لم يهاجر اليها اليهود ،الصهيونيون حريصون على عدم الحاق الضرر بالفلاح، والاراضي التي تملكوها لم تكن صالحة ، وما يسعون اليه هو شراء الاراضي البائرة . كل همّ الصهيونيين برأي هذا الزعيم « ان نكون نحن والعرب على اتفاق ، فنشد أزرهم ونعاونهم على ما ينهض بهم في مراقي الحضارة والعمران ونزيل كل سوء تفاهم بيننا وبينهم لنكون واياهم اخوانا ... منضوين تحت لواء العثمانية ... ومنضمين الى الجامعة العربية » ، ولذلك فالاتفاق ـ بنظره ـ ممكن ، ويتوقف فقط على ازالة سوء التفاهم . لخّص الزعيم الصهيوني عرضه المغري بكلمات قليلة : « ... على ابناء العرب ان يبحثوا هذا الامر المهم واذا رغبوا في مساعدتنا لهم بعد ما تتضح لهم غايتنا التي

---

١٣٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٣/١١/٤ .

١٣٥ ـ **المقطم** ، ١٩١٣/١١/١٨ (المراسل هو اسعد داغر) .

نتوخاها وخطأ اعتقادهم بنا ، فاننا مستعدون لبذل كل غال ونفيس لانهاضهم ماديا وادبيا » .

لم يأت الرد على هذا العرض الصهيوني من فلسطين ، بل اكتفت (الكرمل) (١٣٦) بنقل رأي صاحب جريدة الاصلاح للشيخ أحمد حسن طبارة ، وكان في هذا الرأي بعض التراجع عن الموقف الذي استخلصه هوخبرغ في تقريره السابق عن اعمال المؤتمر السوري في باريس ، وان لم يتضمن الاغلاق التام لفكرة التقارب ومتابعة الحوار . هو يقر أن « المهاجرة من أسباب عمران بلاد نسعى الى تعميرها بكل قوانا » ، ولكنها أخذت تهدد البلاد بخطرين : سياسي واقتصادي . أمـــا الخطر الاول فأساسه أمور ثلاثة : احتفاظ اليهود بتقاليدهم الخاصة الى حد التعصب ، وترديدهم الدائم ذكرى ماضيهم وطموحهم الى تجديـــده على أنقاض تلك التقاليـــد ، وتجنس السواد الاعظم منهم بالجنسية الاجنبية . واما بالنسبة للخطر الاقتصادي ، فالفلاح الوطني أضعف من أن يتمكن من مزاحمتهم ماديا وفنيا ، ومصدر الخطر برأيه ليس عدد الصهيونيين ، فهم « عنصر لا يقدر أن يؤثر في بلاد عنصرها العربي يربو عدده أضعافا على عددهم » ، بل هو ضعف الفلاح المسكين ازاء الصهيونيين وعلاقة هؤلاء بالاجانب . الا ان طبـــارة يجد لامكانية التوفيق منفذا ، فمن اجل ازالة الحاجز الذي يسميه الزعيم الصهيوني سوء تفـــاهم ، يرى طباره ان ذلك لا يزال الا بازالـــة الخطر السياسي على الوحدة العثمانية والخطر الاقتصادي على الفـــلاح ، « فمتى تلوفي هذان المحذوران زال سوء التفاهم ... » .

ولم يأت من جماعة اللامركزية في القاهرة ، الذين خرجت من أوساطهم بذور فكرة التقارب منذ أشهر ، الرد صريحا انما جاء تلميحا في المنار (١٣٧) يقول رشيد رضا من خلال تفسير سورة الاسراء « ان اليهود يريدون أن يعيدوا ملكهم لهذه البلاد بتكوين وتأسيس جديد ويستعينون عليه بالمال وطرق العمران الحديثة ... » ولكن دون ذلك أهوال ، « ... فان الشعوب النصرانية ودولها القوية تعارضهم في التغلب على بيت المقدس . والعرب اصحاب الارض كلها لا يتركونها لهم غنيمة باردة ، ولا تغنى عنهم الوسائل الرسمية والمكايدة ، وانما الذي يغني هو الاتفاق مع العرب على العمران ، فان البلاد تسع من السكان أضعاف من فيها الآن ... » وعاد رشيد رضا بعد أشهر ليفصّل هذا الرأي (١٣٨) ، فيأتي أولا بمقدمة طويلة يبدي فيها اعجابه من « أمر جمعية اسسها رجل من اليهود لتكوين دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها أقوى الامم والدول ، وتسفل همة أصحاب هذه الارض عن حفظها لأنفسهم ... وهكذا تموت الناس وتحيا ... وأسباب ذلك ظاهرة وكلها تدور حول العلم او الجهل ... » ، ويرى ان الصهيونيين على علم بتنازع الدول الكبرى حـــول امتلاك مهبط الوحي ومصدر الدين الموسوي والعيسوي ، وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد من أن تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول ، وهذا رأي

١٣٦ – **الكرمل** ، ١٩١٣/١٢/٢ .
١٣٧ – **المنار** ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٣ ، ١٧٢ ، ج ١ ، ص ١٩ .
١٣٨ – **المنار** ، آذار (مارس) ١٩١٤ ، م ١٧ ، ٤٩ ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

بعضهم في الحجاز أيضا ، ولذلك فقد سعى الصهيونيون لارضاء الدول بحل التنازع فيما بينها بأن يكون اليهود هم أصحاب الملك في هذه المملكة ، بل طمعوا أيضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك « بل يقال انهم اقنعوها به فهي تساعدهم على التمهيد له لتقطع الطريق على العرب وتكثر خصومهم في بلادهم » . ورشيد رضا لا يرى مجالا للبحث في اثبات هذا أو نفيه ، كل ما يهدف له من عرض هذه المقدمة كما يقول هو « تذكير الذين اكثروا القـــول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم مـــا فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها . » ولذلك على زعماء العرب أهل البلاد أحد امرين : « اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ، ان امكن ، وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه بأسبابه . واما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، واولها تأليـــف الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو الكي « والكي آخر العلاج كما يقال » . ولا يمكن ان يستخلص من هذا الرأي الا شيء واحد : ان رشيد رضا من انصار الحل الاول الى ان يثبت فشله .

ولا شك ان رأي رشيد رضا كان يمثل جانبا هاما من رأي جماعة اللامركزية في القاهرة . ويبدو ان هذه الجماعة قد بدأت تفقد ثقتها شيئا فشيئا بوعود الاتـــراك في الاصلاح ، بل بدأت تتوقع صراعا وشيكا بين عنصري الامبراطورية الكبيرين من الترك والعرب بعد انفصال العديد من العناصر عن جسم الدولة (١٣٩) ، وربما كان سعي هذه الجماعة للبحث عن حلفاء ، او الاصح التغلب على عقبة قد تقف في طريق صراعهـــا المقبل مع الترك ، هو الذي حملها على التمسك بفكرتها الاولى حول امكانية التقارب. يضاف الى ذلك ان معظم افراد هذه الجماعة كانوا قد ابتعدوا عن سوريه منذ سنوات ولم يكن تصورهم للخطر الصهيوني قدر تصور اهل البلاد ، ولذلك فان مجرد زيارة عدد من الكتاب السوريين المقيمين في مصر فلسطين في تلك الآونة كانـــت كفيلة باعطائهم عن قرب وبشكل ملموس حقيقة ما يجري ، وان كانت فكرة الاتفاق لم تزل من اذهانهم تمامـــا .

قام جرجي زيدان بزيارة فلسطين ، ونشر مشاهداته في (الهلال) (١٤٠) . وقد اظهر في عرضه لاحوال فلسطين الاقتصادية والاجتماعية امكانيات البـــلاد وخيراتهـــا واحتياجها الى العمل ، وتطرق البحث الى الاستيطان اليهودي في فلسطين ، فأبدى اعجابه بما انجزه الصهيونيون من تقدم في مجال الزراعة والاستيطان الزراعي وتقـــدم احوال مستعمراتهم الاجتماعية والصحية ، وتطبيقهم نظام الحكم الذاتي في هـــذه المستعمرات . كذلك ابدى اعجابه بحالة اليهود التعليمية وتطـــور مدارسهم العلميـــة

١٣٩ – هدد رشيد رضا على صفحات **المنار** (تشرين الاول ، اكتوبر ١٩١٣ ص ٨٦٧) ... « فاذا اذعـــن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بأنفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وقوي ملكهم والا كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين : اما الاذعان واما الانفصال... » .
١٤٠ – **الهلال** ، نيسان (ابريل) ١٩١٤ ، المقال بعنوان « فلسطين، آثارها وتاريخها واحوالها » ص ٥١٥–٥٢٠ وفي عدد ايار (مايو) من الهلال تناول احوال فلسطين التعليمية (ص ٦٠٣ – ٦٠٤) .

والفنية وسعيهم لاحياء اللغة العبرية ، وحث على ان يتخذ طلاب الاصلاح من العرب هذا العمل قدوة . وبحث زيدان عن اسباب تفوق اليهود فوجدها في غنى المال والعلم والاتحاد . ولكن اعجاب زيدان كان يخالطه تخوف من المستقبل ، فهو حين تعرض الى امكانيات الفور الاقتصادية وسعي بعض اصحاب الثروة من الوطنيين الى ابتياعه قال : « ... نخشى ان لا تأتي تلك الساعة قبل فوات الفرصة بالنسبة الى الوطنيين، لان اليهود باذلون جهدهم في ابتياع اراضي فلسطين حيثما يتيسر لهم ذلك بكل وسيلة ممكنة بمساعدة الجمعية الصهيونية ... (ولو استمرت الحال على ذلك) ... واليهود عاملون على ابتياع الارضين واستعمارها ، واهلها غافلون او متجاهلون ، وحكومتها ساكتة او مشغولة ... فلا يمضي زمن حتى تصير لليهود ... ولا عبرة في من يتولى شؤونها السياسية ، ولا فرق ان تكون يومئذ في سلطة العثمانيين او العرب او الفرنسيين او الانجليز ، فان العبرة في من يملك الارض ويستولي على غلتها ، لا في من يحكم البلاد ... وليس صاحب السيادة السياسية الا وسيلة لحفظ الامن وتأييد ذلك الملك لصاحبه » (١٤١) .

وكان ابراهيم سليم نجار (١٤٢) الكاتب السوري الثاني الذي زار فلسطين في تلك الفترة ، وابدى رأيه في الاهرام عن احوال الاسرائيليين (١٤٣) . وكانت اهم المسائل التي بحثها هي : مسألة العدد ، فقد وجد ان عدد اليهود داخل ما يعرف بفلسطين القديمة ، يبلغ ١٠٠٣ الف نسمة (١٤٤) . ومع ذلك فالخطر ـ بنظره ـ لا يكمن في عدد الاسرائيليين الحالي ، لانهم لا يؤلفون الاكثرية ، ولان فلسطين متصلة بسوريه غير منفصلة عنها ، بل في قوتهم المالية والاقتصادية . واذا لم يمكن دفع هذا الخطر فعلى الاقل توقيف جريانه ، ليس بمقاتلة الاسرائيليين ـ كما يقول ـ « ... لان المقاتلة تأخذ وقتهم وهم في حاجة اليه » ، بل بسلوك المسلمين والمسيحيين في فلسطين مسلك الاسرائيليين ، من حيث الاتفاق والانتظام والاتحاد وانشاء النقابات الاقتصادية والمالية . المسألة الثانية التي اشار لها نجار هي مسألة الاتفاق العربي اليهودي . وقد كشف جانبا من المساعي التي تولاها هو شخصيا لعقد الاتفاق في العام الماضي ، وكان قد كتب لصديق له في الاستانة وصفه بانه « مدير جريدة يومية افرنجية من كبار رجال الحركة الصهيونية » ، يذكر له فيها « ... ان اختلاف العرب والاسرائيليين لا يفيد الفريقين شيئا ، في حين ان اتفاقهما يعود عليهما بأحسن النتائج ... » . ولما كانت حركة اللجنة اللامركزية ـ كما يقول نجار ـ في ابان شدتها في مصر ، فقد كتب

---

١٤١ ـ وجدت **فلسطين** (١٩١٤/٤/٨) في هذا درسا تضعه امام المواطنين الذين عموا عما يدخره الغد لاحفادهم من العبودية والذل والطرد من فلسطين متى امتلكتها تلك الامة ...

١٤٢ ـ كان نجار الصحفي الذي نسبت له الرسالة التي وجهت الى هوخبرغ عن امكانية لقاء عربي صهيوني (في نيسان الماضي) .

١٤٣ ـ **الاهرام** ٩ ، ١٩١٤/٤/١٠ ، مقال « الاسرائيليون في فلسطين » ـ وكان نجار قد ذكر في مقدمة البحث انه نظرا لكثرة ابوابه التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية والمالية والزراعية ، سيعود اليه في مقالات تالية كلما سنحت الفرصة ودعت الحاجة ... ولكنه لم يعد !

١٤٤ ـ هذه التقديرات تبدو مبالغا فيها بالنسبة لما تذكره المصادر الاخرى .

له هذا الصديق يوافقه على رأيه وانهم مستعدون للاتفاق وسيحضر قريبا الى مصر . وقد حضر القاهرة فعلا وقام هو ـ اي نجار ـ بتقديمه الى بعض الذين نادوا بفكرة اللامركزية وقتئذ ، واتفقوا على تبادل الخدمات والمساعدات توصلا للنتيجة ، ولكن الاتفاق تعثر ، وعلل نجار ذلك « ... ان الاسرائيليين اعقل من ان يتركوا الحقيقة للتمسك بالخيال ، ورأوا ان حركة اللامركزية غير منظمة ، فلم نقم بتعهداتنا ولم يقوموا بتعهداتهم ، وبقي ذلك الاتفاق حبرا على ورق ... » . وقد اراد نجار من سرد هذه الحكاية ـ كما يقول ـ ان يثبت « اتفاق الاسرائيليين مع الحكومة المركزية ، فلولا هذا الاتفاق لدفعوا اللامركزية الى العمل وساعدوهم بالمال وعضدوهم ادبيا ، كما فعلوا مع الاتحاديين في ابان ضعفهم وكما يفعلون في الوقت الحاضر ايضا ... » (١٤٥) .

في تلك الفترة لم يكن الصهيونيون قد قطعوا املهم بعد بامكانية الاتفاق وتولوا هم المبادرة . ويقول (السبرج) (١٤٦) ـ الذي قام بدراسة وافية للارشيف الصهيوني ـ « ان الصهيونيين كان يهمهم ان لا يستخدم المندوبون العرب منصة المبعوثان لهجومهم على اليهود ولا على شرائهم الاراضي في فلسطين » . ولا يعرف مدى صحة ما اورده (لختهايم) Lechtheim ـ السكرتير السياسي للدكتور جاكوبسون في الاستانة ـ في مذكراته من « ... انه كان بين المندوبين العرب ملاكون كبار لديهم الرغبة في بيع اراضيهم لليهود ومعهم جرت المفاوضات ، ان الادارة الصهيونية كانت مستعدة لدفع ثمن خاص لصاحب الملك تشتري منه لاجل الصهيونية ـ ليس الارض فقط ـ بل نفوذ اصحابها السياسي » (١٤٧) . ويشير (السبرج) الى ان ممثلي المنظمة الصهيونية قد ألحوا اثناء مباحثاتهم على نقطة هامة هي « ان المسألة العربية اشمل من مسألة فلسطين ، لان في تركيه ١٥ مليون عربي ، اما في فلسطين فيوجد ٦٠٠ الف فقط ، فلو اتفق الجانبان على الاستيطان وشراء الاراضي ، فان اليهود سيقفون الى جانبهم » . وبرأي (لختهايم) ان الدوائر العربية كانت مقتنعة بانه مع مرور الزمن ستقوم امبراطورية عربية ، وان المصلحة الوطنية العربية تتطلب تساهلا مع اليهود كي يحصلوا منهم على تدريب ومساعدة مادية ، وكان الصهيونيون على استعداد لتقديم ذلك مقابل وقف التحريض المضاد للصهيونية ووقف الهجوم في المبعوثان والتوقف عن رفع العرائض ضد الهجرة اليهودية وشراء الارض . وكانت اكثر الشروط تعقيدا بالنسبة للصهيونيين هي منع طرد الفلاحين من اراضيهم ، ولذلك اقترح (روبن) ـ في رسالة بعثها من

---

١٤٥ ـ في رسالة ملول الى حقي العظم ١٩١٤/٤/٢٠ التي يصف فيها نفسه « ... احد مجندي فكرة اللامركزية ومن الذين ينتصرون للعرب في مطالبهم » ... يحاول ان يصحح بعض معلومات نجار حول هذا الموضوع نظرا لان ملول قد وقف على جميع ما دار في هذا الاتفاق ـ كما يقول ـ وان نجار قد انسحب من حزب اللامركزية في اثناء هذا الاتفاق ولم يعلم من تفاصيله شيئا سوى انه تم » . « مجموعة اوراق محب الدين الخطيب » .

١٤٦ ـ المقال المذكور سابقا بالعبرية « المسألة العربية في سياسة اللجنة التنفيذية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى » .

١٤٧ ـ **المصدر السابق** ـ ذكر روبن في رسالة بعثها من يافا الى جاكوبسون بالالمانية (١٩١٤/٥/١٢) ـ ملحق للمصدر السابق ـ ما يلي « عند اجراء عمليات الشراء نستطيع ان نكسب عددا كبيرا من العرب ذوي النفوذ وسنؤثر فيهم عن طريق المناقشة العلنية وسنتركهم يؤثرون في غيرهم » .

يافا في ايار (مايو) (١٤٨) ـ شراء اراضي في شمال سوريه في مناطق حمص وحلب واسكان الفلاحين الذين اشتريت اراضيهم .

وكعضو في اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية العليا في برلين ، قام ناحوم سوكولوف ، رئيس تحرير جريدة (هسفيرا) في روسيه ، بزيارة استمرت ثلاثةاشهر في فلسطين وسوريه لاستطلاع الاوضاع من جهة (١٤٩) ، ولتقصي مدى ما بلغته فكرة التقارب التي طرحت في المؤتمر الصهيوني الاخير . وقام مكاتب المقطم في يافا (نسيم ملول) باجراء مقابلة صحفية ، كانت غايتها ان يجدد الزعيم الصهيوني العرض السابق حول فكرة التفاهم مع كل ما يغلفها من مغريات يقفز فيها وراء نقاط الخلاف الجوهرية . الحديث في خطوطه الرئيسية تناول النقطة التالية : « الاسرائيليون النازحون الى فلسطين انما يعودون بعد طول اغتراب الى وطنهم القديم ، حاملين كثيرا من وسائل التمدن والعمران عدا المال والعلوم والمعارف والاختراعات الحديثة ، كي يعيدوا له مجده الماضي » . ويعجب سوكولوف من تذمر العرب وصحفهم في سوريه وفلسطين من رجوع الاسرائيليين الى وطنهم وخاصة ان العرب واليهود شعبان شقيقان متفقان منذ فجر التاريخ ، لهما عادات وتقاليد خاصة بهما ، فالاتفاق بينهما ممكن . ولا بد من حدوث امرين : « فاما ان تظل فلسطين خربة ، فهي ليست للعرب كما انها ليست لليهود ايضا . واما ان يظل اليهود فيها فيظل العرب ايضا » . وتمنى سوكولوف في حديثه العودة الى فلسطين لبذل مجهوده مع اخوانه للتقرب من التمدن العربي ، رجاء ان يكون اليهود والعرب يدا واحدة في بناء تمدن فلسطين على انقاض ذلك التمدن القديم ، ولا يكون ذلك « دون استرجاع لغتنا السامية اولا وفتح المدارس ثانيا ... » ، وهذا هو الطريق القويم ـ برأيه ـ الذي يؤدي الى الاختلاط بالعرب « وهم اقرب الاقربين » . اما الطرق التي يرغب الصهيونيون في استعمالها للتفاهم مع العرب فيحددها في الامور التالية : تعلم اللغة العربية بتعليمها في المدارس الاسرائيلية ، والعناية بوجه خاص بالآداب العربية والتمدن العربي ، تعيين اطباء يجولون لمداواة العيون المصابة بمرض التراخوما ، فتح تكايا وملاجىء عمومية للفقراء والغرباء على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ، وانشاء فروع لبنك انجلو فلسطين لتسليف النقود للاهلين الى آجال طويلة بفوائد زهيدة .

وقد جاء الرد على هذا العرض الجديد بعد ايام في المقطم (١٥٠) ، من رفيق العظم ، رئيس اللامركزية ، وهو يتفق مع سوكولوف على المقدمات التي ذكرها في ان فلسطين وسوريه بحاجة الى العمران والاخذ بأسباب المدنية الحديثة ، والعرب واليهود شعبان شقيقان حقيقان بالتعاون على احياء مجد المدنية السامية ، كذلك فاليهود النازحون

---

١٤٨ ـ الرسالة السابقة . ويعلق السبرج ان جاكوبسون قد انتقد هذه السياسة لان عملية نقل السكان يبرر مخاوف العرب من ان الصهيونيين يهدفون ازاحتهم من اراضيهم .

١٤٩ ـ بعث سوكولوف بعد انتهاء زيارته الى الخارجية البريطانية يعرض فيها تقديم تقرير خاص الى وزير الخارجية عن تقدم العمل الصهيوني وخاصة عمل المؤسسات الصهيونية المسجلة في لندن . وكان ذلك ثاني اتصال يقوم به سوكولوف للخارجية البريطانية . F.O. 371/2136/30841

١٥٠ ـ **المقطم** ، ١٩١٤/٤/١٤ .

من اوروبه يحملون كثيرا من وسائل المدنية الحديثة . ولكن هذه المقدمات لم تنتج النتيجة التي تمناها الزعيم ، وبالتالي لا محل للاستغراب من تذمر العرب ، فاليهود النازحون لا يقدمون دليلا على سعيهم الى الاتحاد مع اخوانهم العرب في امور ترقية الوطن وسكانه ، ولا يأتون بانفسهم واموالهم ليدغموا بأهلها ، بل انهم في عزلة تامة عن سكان البلاد من العرب ، في لغاتهم ومدارسهم ومتاجرهم وعوائدهم واخلاقهم وكل معاملاتهم الاقتصادية والتجارية ، بل يكادون يكونون في عزلة ايضا عن الحكومة المحلية « حتى صار الاهلون يحسبونهم شعبا غريبا عن الوطن وعنصرا اجنبيا عن البلاد » . وامر آخر ان الوطنيين شعب لم تتوفر لديه وسائل المنافسة والمباراة ، لانه حديث عهد بالنهضة الجديدة ، واليهود المهاجرون شعب نشأ في بلاد المدنية الحديثة ، ولديه وسائل الحياة الاقتصادية والعلمية ، فلا يتيسر للوطنيين ان يباروا هذا المزاحم الجديد ليتفوقوا عليه ويساووه ، وهم لهذا يشعرون انهم مهددون بخطر عاجل على حياتهم الاجتماعية من قبل اليهود . ومع ان رفيق العظم كان من المتمسكين بفكرة عدم احتمال الخطر على الحياة السياسية ، الا انه نقل مشاعر التخوف لدى فريق من غلاة التشاؤم ـ كما يسميهم ـ « فان تمسك المهاجرين بجنسيتهم الاجنبية سيكون يوما ما سببا للاحتلال الاجنبي » . واصلاح الامور ـ بنظر رفيق العظم ـ لن يكون بانشاء مستشفيات لمداواة العيون ، فهي « لا تغني عن مداواة القلوب » او انشاء التكايا والملاجىء وتعلم العربية ، ولا بد للصهيونيين اذن من ان « يخلصوا النية ويعزموا عزما اكيدا على ترقية الوطن السوري بالتعاون مع اخوانهم العرب ، ومساعدتهم على ما ينفعهم وينفع سكان فلسطين ، بلا نظر الى المذاهب والنحل ... » ، وعندها يبلغ الصهيونيون « ما يتمنون من تجديد مجد المدنية السامية وتكوين الجامعة المعتدلة القومية » ، اما لو ظلوا في البلاد في عزلة عن سواهم ، يعملون لانفسهم منفردين ، فان هذا « محبط لآمالهم الكبيرة في اسعاد وطنهم القديم » . ويؤكد العظم ان طلاب الاصلاح من العرب جميعا يتمنون سعادة الوطن السوري بسكانه جميعا ، ولهذا السبب كانت النصيحة التي تقدم بها (اللامركزيون) لزعماء الصهيونيين « بوجوب المبادرة الى التعاون مع العرب على خير الوطن والاندماج في الوطنية السورية ، ليشتغلوا للوطن كوطنيين لا كأجانب عنه ... » ، وانهم (اي اللامركزيين) قد بينوا ان خير وسيلة لتحقيق ذلك هي تدريس اللغة العربية الى جانب العبرية ، وفتح المدارس اليهودية لابناء العرب من الوطنيين لتوحد بين الفريقين روح الالفة والتفاهم ، وان يتجنسوا بالجنسية الوطنية العثمانية ، كي يكون لهم نفس حقوق اهل البلاد ، ولا ينظر العرب اليهم نظرته الى عنصر اجنبي ، وان يعاشروا اهل البلاد كاخوان في الوطنية وان يراعوا حالتهم الاقتصادية ، فيكونوا عونا لهم لا عليهم ، وان هذه الاشياء كلها التي طرحت لو اخذ بها لكانت خير وسيلة لحسن التفاهم والسعادة . ويعجب (العظم) من عدم تنفيذ الصهيونيين هذه الامور : « هل هو الاعتماد على الحكومة بحيث مضوا لا يخشون العواقب ، او تمهلهم في العمل ريثما يقر قرار جمعياتهم » . ولذلك يحثهم من جديد « ان لا يعولوا في ضمان مستقبلهم في البلاد على غير اهلها ، الذين يريدون مشاركتهم في وطنهم ... اما لو استمر الصهيونيون في خطتهم هذه فلا تثريب على اهل البلاد

اذا تذمروا من هجرة اليهود الى بلادهم » . وهو لا ينسى ان يذكرهم بان الراي العام السوري اليوم اصبح كله ضدهم « وانه قد دبت في الشبيبة العربية في فلسطين روح جديدة لجمع شمل المتنورين من الشعب لمقاومة الحركة الصهيونية ... وانها ابرقت الى الاستانة بالشكوى من مقاصد الصهيونيين المستهينين بمثل هذه النهضة اذا قام بها شباب الشعب ومتنوروه في سوريه » .

وتولى نسيم ملول ترجمة كلمة (رفيق العظم) الى العبرانية ، كما اخبر بذلك (حقي العظم) في رسالة شخصية بعث بها في يافا في ١٩١٤/٤/٢٠ وكان ملول ينتظر عودة سوكولوف من القدس الى يافا حتى يطلعه عليها ، ويطلب منه ردا لنشره في المقطم ، لانه ـ اي ملول ـ كما يصف نفسه « ... من الذين يرغبون في تقريب الشعبين الشقيقين : العربي والاسرائيلي، وتفاهمهما، لانه بهذا التفاهم خير البلاد وسعادتهما معا ما دام احدهما نصف الآخر » (١٥١) .

في الفترة التي سبقت الرد الصهيوني على مقال (العظم) كان هناك سكوت شبه تام عن الاشارة الى عرض التفاهم ، الا ذلك السؤال الذي وجهه صاحب الكرمل (١٥٢) الى « كتبة الصهيونيين المتموهين الذين يكذبون على الحقيقة وعلى انفسهم ، ويقولون ان الصهيونيين قرروا ان يتفقوا مع العرب ليعيشوا معهم باتفاق وكأخوة تحت راية الهلال » كيف يوفقون بين هذه الاقوال واقوال كتبتهم مثل هرتزل ونوردو وزانغويل واورباخ ، بل كيف يوفقون بين اقوالهم التمويهية واعمالهم ، اذ « اي مزرعة اشتريتم وابقيتم على واحد من اهلها العرب فيها ؟ وهل تدلونا على قومكم الذين يدخلون مخازن الوطنيين ويشترون منها ... ؟ كم واحد منكم صاروا عثمانيين ؟ ... واي مستعمرة منذ تكونت راجعت الحكومة في شأن من شؤونها الا المتعلق بالوطنيين ؟ ... هل تريدون الاتفاق لتسلبونا اوطاننا وثروتنا ، وتؤسسوا امة وملكا لكم على حسابنا وحساب حكومتنا ؟ ... » . ويعتب على جريدة كبيرة كالمقطم كيف تقبل نشر التمويهات التي لا يشك بانها لا تنطلي على العالمين الكبيرين ، والوطنيين العظيمين ، نمر وصروف . وفي لوم الكرمل للمواطنين (١٥٣) تقول « ... لو كان لكم رأي عام لما رضيت جريدة

١٥١ ـ من مجموعة اوراق محب الخطيب . امر آخر يلفت اليه النظر في هذه الرسالة هو ما قرأه في « الاهرام » عن قرب انعقاد المؤتمر العربي الثاني في القاهرة ، اذ ان ذلك اثار عجبه « ... ليس لانه يحتمل التصديق والتكذيب ، وانما لانكم لم تعرفوني بشيء من هذا اصلا بصفتي احد اعضاء الحزب العاملين الذي يصرف معظم قوته الروحية والمعنوية لنجاحه وبالتالي نجاح الامة العثمانية»، ولذلك الح على تعريفه بموعد انعقاد المؤتمر العربي لانه عازم على الحضور فيه . فكأن ملول كان يخشى ان يفوته هذا المؤتمر دون ان يكون على مقربة منه . وقد اشار في نفس الرسالة الى ما كتبه ابراهيم نجار في الاهرام عن الاسرائيليين في فلسطين ، وفيه ـ كما يقول ـ من المغالطات والتمويهات ما لم يكن يظن انها تصدر عنه . ولذلك فقد كتب ملول مقالا نشرته المقطم بتاريخ ١٩١٤/٤/٢٣ بحجة انه خدمة للحقيقة وان اربع السنوات التي قضاها في « هذه الربوع كافية لسبر غورها » مشيرا الى انه هو الذي رافق نجار في رحلته بصفته احد المنتسبين النشطين في اللامركزية » .

١٥٢ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٤/١٧ .

١٥٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٥/١٢ .

كالمقطم ـ ولو حياء من الراي العام ـ ان تنشر تمويهات مكاتبها في فلسطين بان الصهيونيين يريدون الامتزاج بالعرب ، والاختلاط بهم والمعيشة معهم ... وانتم تعلمون ماذا يعمل الصهيونيون في بلادكم واصحاب المقطم اعلم منكم بذلك » . وكان اتجاه الرأي العام في فلسطين يعبّر ـ وان لم يكن بصورة مباشرة ـ عن رفض مطلق لدعوى التقارب ، واغلاق (فلسطين) لم يقض على مشاعر التخوف الذي كان يلمس على جميع المستويات ، حتى ان (الاقدام) (١٥٤) اشارت الى خطيب في مسجد طولكرم تناول المسألة وبيّن مضارها واستفحال امرها ، واخذ يحذر الاهلين من الصهيونية وينصحهم بالا يبيعوا لهم شبر ارض من اراضيهم . ونقل صاحب الاقدام حديثا مع قروي من بني صعب كان يناقشه حول خطر الصهيونيين رغم انه ـ كما يقول ـ ليس « من اصحاب الافكار الراقية ولا السياسية » ، ولكنه يقرأ الصحف ويرى من الادلة ان فلسطين تكاد تصبح صهيونية اكثر منها عربية عثمانية ، وانه لا حديث له وعائلته الا بهذه المسألة ، وروى له ان امام قريته ختم خطبة الجمعة بدعاء لانقاذ البلاد من الخطر (١٥٥) .

ونقلت الصحف العربية الاخرى شعور التخوف الذي يبديه الفلسطينيون ، فكتبت (الرأي العام) (١٥٦) مقالا لعيسى السفري من يافا يعدد فيه اعمال الصهيونيين المهددة بالقضاء على الفلسطينيين وهو ـ كواحد منهم ـ يشعر بما يشعرون، ويتساءل « هل بعد هذا نشك في ان الصهيونيين سيمتلكون البلاد ؟ » . وفي تحليل صاحب (الاصلاح) (١٥٧) للقوى التي يعتمد عليها الصهيونيون في فلسطين : المال ، النفوذ الاجنبي ، ميل الحكومة ، يلاحظ انه مع ان هجرة اليهود الى فلسطين قد بدأت منذ عشرات السنين ، الا ان « تجسم الجامعة الصهيونية في فلسطين وظهورها بشكل مخيف يبتلع البلاد والعنصر لم يتجسم الا بعد اعلان الدستور ... » ويضيف ان « ... حلول شعب مكان آخر ، وقتل الوطني ليحيا الاجنبي ، مما نجلّ عنه الحكومة الحاضرة ونريد الا نتهمها به ... » . وصورت (فتى العرب) (١٥٨) ان سكان فلسطين يتخوفون « ان يصبحوا غدا مماليك لا مالكين » .

وبتأثير عدد من الكتاب الفلسطينيين في مصر بدأ تحول جديد في الصحافة

١٥٤ ـ **الاقدام** ، ٤/١٩ (الشيخ هو عبد القادر مزغر من علماء القدس وكان له وقفات في المسجد الاقصى ضد الصهيونيين) .

١٥٥ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٩ ، وقد جاء في هذا الدعاء « ... اللهم احم بلادنا من الصهيونيين... وابعد عنا اعوانهم وسماسرتهم الطماعين ... اللهم انهم يطلبون بلادنا وطردنا من بلادنا فامنا اللهم في اوطاننا ... اللهم ان كانت حكومتنا غافلة عن بلادها فأيقظها من غفلتها ... اللهم الهمها التبصر في امر هذا الشعب وابعث في فؤادها الحرص على هذه القطعة العربية الفلسطينية ... » وقيل ان بعض موظفي الحكومة الذين سمعوا الخطبة بكوا وبكى جميع المصلين لان الخطيب كان يبكي وهو يدعو هذا الدعاء . ويعلق صاحب الاقدام « هذا ما يجري في القرى اليوم ، فقد انتقل الاشتغال بالمسألة الصهيونية من المدن الى القرى ، ومن المجتمعات العمومية الى اماكن العبادة ... » .

١٥٦ ـ **الرأي العام** ، ١٩١٤/٤/٣٠ .

١٥٧ ـ **الاصلاح** ، ١٩١٤/٤/٢٩ .

١٥٨ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٥/٢٧ .

المصرية ذات الاهتمام بالمسألة ، فخصصت صفحاتها لشرح الخطر السياسي والاقتصادي الذي يتهدد البلاد واهلها من الصهيونية ، فقالت (المؤيد) ، بمناسبة ما اشيع عن اعطاء وكيل البارون روتشيلد مشروع تجفيف وتعمير اراضي الزرقاء والكبارة قرب عتليت بدلا من منحه للوطنيين ، « كأن البلاد كلها مغروسة ، ولم تبق الا هذه البقعة ، فيجب انهاؤها ولو على يد اناس يحاولون ان يجعلوا اصحاب تلك البلاد اجراء ، وهم اصحاب السيادة ، او انهم يطردونهم الى الصحراء لينتفع عمال اليهود وفقراؤهم حتى بمهنة الخدمة » (١٥٩) . ونشر كاتب فلسطيني هو (محمد عبد الرحمن العلمي) سلسلة مقالات في المقطم (١٦٠) ، شرح فيها الخطر الاقتصادي والسياسي الذي يتهدد فلسطين فيكاد يبتلعها وسكانها ، ويوجه انظار الحكومة الى الاخطار التي لا تلحق بفلسطين وحدها ، بل بالدولة معا « حتى تتلافى الداء قبل ان تذهب منا فلسطين وغيرها من البلاد كما ذهب غيرها » . ويستشهد الكاتب باقوال ساسة الصهيونيين وقرارات مؤتمراتهم ، مما يدل على « ان مقصد الامة الصهيونية هو تملك تلك البلاد بأسرها وجعلها وطنا وعاصمة لهم » . ويشير كاتب فلسطيني في (الاقدام) (١٦١) الى ان غاية الصهيونيين من استفحال امرهم في فلسطين والضغط على معنويات اهلها هو « اماتة عاطفتهم العربية بالوقوف سدا حائلا بين سوريا ومصر، عاصمتي البلاد العربية » .

وعمد اهل فلسطين الى الاسلوب التقليدي ، بتوجيه النداءات المتكررة الى المراجع المسؤولة ، والى الزعماء العرب في الاستانة ، ونواب العرب في المبعوثان ، لوضع حد لمطامع الصهيونية . منها تلك البرقية التي بعثها اعيان القدس ويافا وغزة (١٦٢) باللغة العربية الى المنتدى الادبي في الاستانة وجريدة (بيام) : « نحن اخوانكم الفلسطينيون ، شاطرناكم في كل مواقفكم انواع المحن ، فلماذا لا تشاطروننا على الاقل بشيء من الشعور بالمصائب التي تنصبّ على رؤوسنا ... نحن في وسط نكاد نفنى فيه ونجلى عن بلادنا ، وتوشك المطامع الصهيونية ان تبتلعنا ويحق علينا ما حقّ على هنود اميركه ازاء المهاجرة الاجنبية » . وبعد ان تشرح البرقية واقع ما يجري في فلسطين تضيف : « حاجتنا الى الاصلاح شديدة ، ولكن حاجتنا الى الحياة قبل ذلك ودفع الخطر الصهيوني اشد ... » . ومع قرب انعقاد جلسات المبعوثان ، وجدت (الكرمل) مجالا لتنبيه نواب فلسطين – بل نواب العرب – « الى الاخذ بأطراف هذا الموضوع الحيوي والوقوف في وجهه (١٦٣) . ورددت هذا الرجاء

---

١٥٩ – **المؤيد** ، ١٩١٤/٥/١١ .

١٦٠ – **المقطم** ، ٤/٢٧ ، ٦ و ٥/٢٢ ويظهر في بعضها تأثير عيسى العيسى ، الذي كان قد نزل القاهرة بعد تبرئته انتظارا للافراج عن جريدته .

١٦١ – **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٢٤ (الكاتب أ.ح المقدسي) .

١٦٢ – حرص مرسلو البرقية على عدم ذكر اسمائهم خشية ان يقاطعوا اقتصاديا ، كما جرى لكثير من اعيان يافا الذين وقعوا على البرقية الى الاستانة اثر حادث اعتقال الفلاح العربي في تل ابيب واهانته (**الاهرام** ١٩١٤/٤/١٧) .

١٦٣ – **الكرمل** ، ١٩١٤/٤/١٤ .

(فتى العرب) (١٦٤) فوجه كاتب وقع باسم (الحارث) على صفحاتها (١٦٥) الى «النواب الكرام » الذين وضعت بهم الامة ثقتها ، نداء يلفت انظارهم الى ضرورة الانتباه لقضية الخطر الصهيوني بسبب عدم اهتمام الحكومة بهذا الامر الخطير ، وعدم جدوى القوانين التي وضعتها « ...واذا استمرت الحال... الوطني يهجر بلاده، والصهيوني يحتل محله ، فسوف لن نشاهد الا قبعات الصهيونيين ولغة اسرائيل » . وبيّن ان الخطر الصهيوني يتجاوز فلسطين الى المناطق المجاورة « فهم قد انبثوا في جميع الاقطار السورية حتى بلغوا قضاء مرجعيون ، فاستعمروا جانبا منها وتطاولوا الى انحاء حوران فاستملكوا ، وهم على وشك الاستعمار ، واستولوا على مقاطعات شاسعة في البلاد السورية الخارجة عن الخطة الفلسطينية » . امله بان يهيب النواب بالحكومة كي تهتم بالخطر « قبل ان يأتي يوم تكون فيه بلادنا أكلة الآكل ، ننظر اليها نظر آخر امير من امراء الاندلس » . ونشرت الاقدام (١٦٦) خطابا مفتوحا الى نواب فلسطين الذين وضع الشعب الفلسطيني ثقته فيهم طوعا او كرها ليطالبوا الحكومة بوضع قانون لايقاف الحركة الصهيونية عند حدها . وكانت الكرمل لا تزال تأمل بالمبعوثين العرب خيرا ، حين بلغها تصريحات احد مبعوثي بيروت (سليم سلام) (١٦٧) الذي ابدى اهتماما خاصا بانقاذ فلسطين ، وذلك يكون باعانة الفلاحين فيها بتخفيف ضريبة الاعشار وبانشاء بنك عقاري وتوسيع صلاحية البنك الزراعي . ووجدت في ذلك بادرة لانتعاش روح التضامن في الامة العربية ، واملت ان مبعوثي العرب ليسوا اقل غيرة على فلسطين ، واقل شعورا بخطر الصهيونية ، من مبعوث بيروت .

ولكن الشكوى ورفع برقيات الاحتجاج لا يدفع خطرا ، والصحافة – معادراكها الخطر الاقتصادي والسياسي – لا يمكن ، كما عبرت الكرمل ، ان تحمل تبعة اهمال القوم ، خاصة ان هذه الصحافة لا تستند الى حزب وطني منظم ، يتكفل بتوسيع نشر هذه الجرائد وتزويد الصحف الاخرى بالاخبار ، واستمالة الصحف الوطنية الاخرى (١٦٨) . وقد خيب النواب الآمال المعقودة عليهم في الدورة الثالثة والاخيرة لمجلس المبعوثان وخيم الصمت على النواب العرب في مجلس المبعوثان ، مع ان نسبة تمثيلهم كانت كبيرة (١٦٩) وكان لا بد من الالحاح على الاساليب الذاتية المنظمة لمواجهة

---

١٦٤ – **فتى العرب** ، ١٩١٤/٤/١٩ .

١٦٥ – **المصدر نفسه** .

١٦٦ – **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/١٧ وكانت الاقدام قد وجهت نداء في ٢٦ نيسان (ابريل) الى توفيق حماد مبعوث نابلس للعمل هو وزملاؤه على وقف تيار الصهيونيين .

١٦٧ – **الكرمل** ، ١٩١٤/٥/٥ .

١٦٨ – **الكرمل** ، ١٩١٤/٤/٢٤ . وتتساءل « لماذا يسبقكم الصهيونيون الى استمالة جريدة وطنية معتبرة كالمقطم » .

١٦٩ – افتتحت الجلسة الاولى ١٩١٤/٥/١٤ وقد بلغ عدد النواب في المجلس ٢٤٥ منهم ٦٩ عربيا وفي مجلس الشيوخ ٤ من العرب . ولا يعرف مدى صحة التهمة التي وجهتها الى نواب القدس « بان احتفاظهم الشديد بالمبعوثية يحملهم على اختيار الصمت لانهم اذا جاهروا ضد الصهيونية فلا ينالون النيابة ثانية لان الصهيونيين يضحون في احباط مساعي خصومهم كل مرتخص وغال ... فهل يسمع سماسرة الصهيونيين ما نقول ؟ » **فتى العرب** ٢٧ ايار (مايو) .

الخطر . التعويل على الحكومة ، وان كان ضروريا لتزويد ابناء فلسطين بالامن والمال والعلم (١٧٠) ، الا انه لا يكفي ... فالحكومة لن تقبل على مساعدة الاهالي الا اذا كانوا جديرين بالمساعدة « ولا بد لصد تلك الغارة التي شنها علينا قوم مهاجم ... من قوة معادلة » (١٧١) ، وبثت الدعوة بالحاح ومثابرة لاخذ دروس المدنية عن الصهيونيين والبحث عن اسباب تفوقهم ونجاحهم وتسرب الارض اليهم ، وتقليدهم في التنظيم وجمع المال والاهتمام بالعلم . كذلك بحث السبل لمنع المهاجرة من البلاد وحث المهاجرين الى استثمار اموالهم في الوطن . ولكن قبل كل شيء ، لا بد من العمل على تكوين هيئة منظمة تقوم بعقد المؤتمرات ، وتأليف الجمعيات والنقابات والشركات ، وتعمل على تأليف الكلمة وتكوين رأي عام ، بحيث يفرض هيبته على الحكومة والموظفين والصحافة ، وتحترمه كل الهيئات الاجنبية والوطنية (١٧٢) .

وتقدم شبلي شميل بأسلوبه الخاص للبحث عن حل لمواجهة الخطر الصهيوني ، في مقال نشرته له المقطم (١٧٣) بعنوان « عمّروا واستعمروا » ، فالارض ميراث المجتهد» ، حيث بلغت الدعوة الى الاقتباس والمحاكاة والمباراة مع الصهيونيين اوجها ، وبمناسبة الضجة العالية القائمة حول الصهيونية والصهيونيين واستعمار اراضي فلسطين كما يقول ، رأى ان يثبت هذه الحقيقة العمرانية « ... ان الانسان وجد على الارض لتعميرها لا لتخريبها ، والارض تجازي العامل النشيط اذ تقيمه فيها على الرحب والسعة ... وتعاقب الخامل فتحرمه حتى من موارد حياته ... » وبنظره « ان حجتنا على الصهيونيين اليوم ، انهم دخلاء غرباء يعتدون علينا ويسلبوننا ارضا هي ملكنا ، وقد سفكنا دماء زكية لاجلها ... حجة واهية كبكاء الاطفال » . فلا بد ان نتذرع بقوة تضاهي قوتهم ، ونكون واياهم اكفاء رحمة بالارض ، والشكوى وحدها لا تدفعهم عنا ولا تجدي غير العداء ، وبالقيام عليهم بالقوة نجني على العمران وعلى الارض جناية اخرى . والحل بنظر شميل « ان نناهضهم مناهضة رجال العقل لا رجال الجهل ، ونتبارى معهم في الاعمال العمرانية ونأخذ عنهم ونحمدهم على انهم كانوا لنا مدرسة تعلمنا كيف نعمر ارضنا ... فلنجدّ ولنكد نظيرهم ... ما دام الناموس العمراني العام يقضي بان الارض ميراث المجتهد » . ورغم ما في مقال شبلي شميل من حقائق جارحة ، فان الكرمل (١٧٤) ايدت آراءه ، على اعتبار انه لا ينفعنا الا

١٧٠ ــ **الاقدام** ، ١٩١٤/٣/١٥ .
١٧١ ــ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٤/١٥ .
١٧٢ ــ مقالات **الكرمل** ١٧ و ٤/٢٤ واول ايار (مايو) ــ كان صاحب الكرمل شبه يائس في دعوته اذ يقول « ما عدت لابين كل آرائي المهمة لاني اعتبر ذلك عقيما ما دام قومي لا يشعرون ان الحق في امتداد الصهيونية كله عليهم » .
١٧٣ ــ **المقطم** ، اول ايار (مايو) ١٩١٤ .
١٧٤ ــ **الكرمل** ، ١٩١٤/٥/٥ ــ علل صاحب الكرمل موافقته على هذا المقال رغم ما فيه من موجبات الانتقاد في مقال كتبه فيما بعد (١٢ حزيران ، يونيو) بان شميل قد كتب المقال في ساعة حمق من تغاضي الحكومة عن شؤون الاهالي الاقتصادية والعمرانية ومن عدم نهوض الاهالي لاحياء جامعتهم ، ولم يخطر له « ان الفيلسوف سيعود ليفرغ جام غضبه على خصوم الصهيونية وينكر عليهم حقا مشروعا وهو الدفاع عن بقائهم بالدفاع عن مجموعهم ... » .

العمل ، اذ « لا يمكننا حفظ كرامتنا الا بمناهضة الصهيونيين بالعقل ومباراتهم بالاعمال العمرانية لئلا نخسر هذا الميراث العزيز الثمين » . ووافق كاتب فلسطيني في الاهرام (١٧٥) شميل بضرورة العمل والاجتهاد ، وانه لا بد ان نجمع قوانا ونقلد الصهيونيين ، فهم ليسوا قوة غير طبيعية تستحيل مقاومتها ، ونهضتهم ليست امرا خارقا للطبيعة ، الا انه كشف حقيقة هامة حين قال : « لقد يظن البعيدون من فلسطين ان الصهيونيين يعمرون الجبال الخربة ويزرعون التلال الجرداء ، كما اجتهد بالتمويه على الراي العام اجراء الصهيونيين ، والحقيقة انهم يشترون المروج الخصبة التي كانت مزروعة ولا يزال يزرعها سكان البلاد كمرج ابن عامر مثلا » وحتى لو فرض عكس ذلك « ... هل شقاء الارض اشد تأثيرا في القلب من شقاء الناس وابقاء الارض تعطي نصف ما تقدر ان تعطيه يحسب جناية اعظم من ترك الالوف من العائلات تهلك جوعا ؟ » ولذلك يدعو العلماء والكتاب والمفكرين ان يهتموا بالشعب اكثر من الارض ، لارشاده وتنبيهه وتنظيمه وقيادته والسير به نحو التقدم الاقتصادي والرقي الاجتماعي .

ولكن بوجه عام ، فان حملة الصحافة قد اثمرت وبدأ تكوّن رأي عام ، وهو « الكابوس الذي يخشاه الصهيونيون اكثر من الحكومة » (١٧٦) وتجلى هذا في رد الفعل الذي ابداه الاهالي لاغلاق (فلسطين) . واثمرت الدعوة لتأسيس الجمعيات فتشكلت جمعية الاقتصاد الفلسطيني ، وشركة التجارة الوطنية الاقتصادية ، ومقرهما في القدس ، للنهوض باحوال الاقتصاد الوطنية ، وجمعيات لترقية شؤون المعارف منها مدرسة روضة المعارف والجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية الاخاء والعفاف (وجميعها في القدس) وما يتبع هذه الجمعيات من محاضرات ونشرات وكتب ، حتى لقد اعتبر احد الكتاب في جريدة (فلسطين) هذا العام مبدأ تاريخ نهضة فلسطين (١٧٧) . وبدأ الوعي لصد الخطر الصهيوني يتبلور شيئا فشيئا في خط عربي واضح ، اساسه الفكرة القومية الناشئة ويبتعد عن خط الفكرة العثمانية ، وقام نجيب نصار بنشر رواية اسماها « شمم العرب » (١٧٨) . ومع ان الرواية تصور جانبا من الحياة العربية القبلية وما تخللها من منازعات ، الا ان الكاتب كان يلمح من بين سطورها الى الخطر المحدق بالعرب وضرورة الاتحاد من اجل النضال ضد الاجانب ، وبث الفكرة القومية واحياء مجد العرب . وقد توضح هذا الاتجاه في مقالات (محمد المحمصاني) حول المسألة الصهيونية على صفحات (فتى العرب) (١٧٩) ، وقد استهلها بمقدمة اوضح فيها ان

١٧٥ ــ **الاهرام** ، ١٩١٤/٥/١٢ .
١٧٦ ــ **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٣١ ينقل عيسى العيسى عن اوسشكين « اما الرأي العام فلا يجب ان يخيفنا منه شيء لانه لا وجود له في تركيه » .
١٧٧ ــ **فلسطين** ، ١٩١٤/٦/٢٧ .
١٧٨ ــ نصار ، نجيب ، **رواية شمم العرب** ، حيفا ، ايار (مايو) ١٩١٤ . وقد اهدى المؤلف الرواية الى شبيبة المنتدى الادبي في الاستانة « مثال الالفة والاتحاد وعنوان الغيرة على تأليف كلمة العرب وانهاض هممهم لخدمة الوطن والدولة » .
١٧٩ ــ كان احد اصحاب **فتى العرب** عبد الغني العريسي ، وقد انضم الى هيئة التحرير كذلك محمد

(التتمة على الصفحة التالية)

هذه المسألة ـ رغم خطرها ورغم ان بها حياة شعب وهلاك آخر ـ لا تزال مجهولة ، وان من سعى الى كشف خطرها والتحذير منها ، ظل تأثير كلامه محصورا لدى طائفة من الناس ، تشعر بتيار الحركة ، وتلمسها بأيديها لقربها من مسرح الاستعمار الصهيوني ، في حين ان المسألة تمس جميع السوريين ، وحتى لو فرض وكانت نتائج الحركة لا تمس سوى طائفة من سوريه « ... فنحن على سبيل التكافل والتضامن القومي مكلفون بالاهتمام بها ، اذ ان البلاد السورية كالجسم الواحد » . هدف المحمصاني من درس الحركة الصهيونية ومنشئها امران : الاول « ان نبين للذين نزعوا من نفوسهم كل رجاء بنهضة الامة العربية كيف ان زعماء الصهيونيين اوجدوا من الميت حيا بالاقدام والعمل » . والغرض الثاني « التنقيب عما اذا كانت المسألة العربية والمسألة الصهيونية متفقتين حقيقة ـ كما يرددون على مسامعنا ـ او كانتا مختلفتين لا قيام للواحدة الا على انقاض الاخرى » . وبرأي المحمصاني انه لا يمكن ان نتخذ حكما الا بعد الدرس الطويل ، حتى « لا نتهم بالانقياد الى العواطف المجردة ، او الاستسلام الى التقاليد الراسخة ، او الاستناد على العقائد الوهمية ... » ، ولكنه رسم مسبقا هذه الخطة « اننا نقاوم كل ما به مساس بالقومية العربية لانه خليق بالامم المائلة للنهوض ان تتفانى جيلا بعد جيل في خدمة المصلحة العليا والمستقبل المجيد » .

وتصدت (فتى العرب) للصحف العربية الاخرى التي كانت تدافع عن الصهيونية ، وتنفي مطامعها السياسية . وتعقيبا على مقال جريدة (المحروسة) الذي نشرته بمناسبة منشور جريدة (فلسطين) في الصهيونية وقالت فيه ـ اي المحروسة ـ « ... لقد اصبحت البلاد مشاعا بين بني الانسان ، وكل فريق منهم ان يستعمر ما شاء منها تحت رقابة القانون العام ، وان مبادىء الناسيوناليست ـ القومية ـ لا تدفع محذورا ولا تحصل حقوقا ، وكل ما هنالك انها توسع الخرق على الراقع وتزرع بذور الشقاق بين بني الانسان على اختلاف مذاهبهم » (١٨٠) ، ردت (فتى العرب) (١٨١) بان هذه الآراء ليست جديرة بالرد عليها « لان الذين يتجاهلون معنى القومية ، وانها العامل الوحيد في حياة الشعوب ، هم اناس يتاجرون بفلسفة الانسانية » . وفتى العرب لا ترى وسيلة للوقوف بوجه التيار الصهيوني الا بتقوية روح القومية في النفوس ، ولولا هذه الروح لما تعالت اصوات التذمر من الخطر الصهيوني من جوانب الشعب العربي بأسره . فالقومية هي « السلاح الوحيد الذي نحاربهم به ، والذين يحاولون نزع هذا السلاح انما يريدون ان يلقونا عزّلا الى ساحة الوغى » . ورد المحمصاني على

المحمصاني بعد انتهاء دراسته في باريس ، والاثنان من مؤسسي الجمعية العربية الفتاة السرية ، والداعين لمؤتمر باريس . وكان يساهم في التحرير كذلك الامير عارف الشهابي ، ومن المعروف ان ثلاثتهم كانوا بين الشهداء الذين اعدمهم جمال باشا في اثناء الحرب العالمية الاولى .

١٨٠ ـ ردت **الكرمل** (١٩١٤/٥/١٢) على مقال المحروسة (عدد ١٦٠) بقولها « كان الاحرى بالمحروسة ان تلقي نصيحة ضد مبادىء الناسيوناليست على اصحابها الذين صار لها بضع سنين تخدمهم ، منهم الذين يعملون للعنصرية اليهودية اكثر من بني قومها الذين تلومهم ، وما دامت الارض مشاعا بين البشر ، لماذا ينقسم العالم الى دول وامم وحكومات مختلفة ... » .

١٨١ ـ **فتى العرب** ١٩١٤/٥/١٧ .

تمويهات نسيم ملول (١٨٢) التي اعتاد نشرها في المقطم بتوضيح بعض الامور عن اسباب رفض العرب للصهيونية « ... لا نرفض ان يكون الصهيوني طبيبا اتى متطفلا لمعالجة امراضنا كما يقول ... بل نرفض لانه دخيل ... ليتربع في وسط البيت ويطرد صاحبه الى خارجه حيث يعاجله الهلاك فتخسر به القومية عاملا نشيطا ... لا نناهض مذهبا ولا شعبا ، بل نحب ان نعزز النهضة القومية عندنا التي هي حديثة العهد ... نقاوم من الصهيونية تلك الحركة السياسية التي غايتها ايجاد وطن يهودي في فلسطين مضمون من الحق العام اي الدولة ... غاية وضعها مؤتمر بال ، ولا تزال الى الآن دون اضافة او حذف ، وحافظت عليها جميع المؤتمرات الصهيونية ... » . والمحمصاني يرى ان « الصهيونية لا تزال في بدء عملها الاستعماري ... فهل يستبعد ذلك اليوم الذي تمتلك فيه جنود صهيون اضعاف ذلك من الاراضي اذا نحن تركناهم وشأنهم ؟ وان لم يكن قصدهم اشادة دولة « فما معنى تلك التشكيلات الصهيونية والمؤتمرات والصحف والمجلات والمصارف ... » ، ثم ما هو تفسير قول نوردو في المؤتمر الثامن في لاهاي سنة ١٩٠٧ « ... ان مهمة الصهيونيين في الشرق الادنى سوف تكون كمهمة انجلتره في الهند ، وان سيكون شأنهم كأبناء مدنية اوروبية ، كشأن الانجلو سكسونيين مع سكان اميركه الشمالية الاصليين ذوي الجلود الحمراء ... » لقد كان المحمصاني يعبر عن رأي العربية الفتاة وكان هو احد مؤسسيها ، ورغم ان الجمعية كانت تربطها بحزب اللامركزية صلات وثيقة لانهما يسعيان لهدف مشترك ، لا يبدو من فحوى هذه الاقوال ان كاتبها يرى رأي جماعة اللامركزيين في المسألة الصهيونية .

وبعد فترة صمت دامت اكثر من شهر ، نشر رفيق العظم في المقطم (٢٩ ايار ، مايو) (١٨٣) مقالا عن « المسألة الصهيونية وكيف يدفع خطرها » ، ولا يعرف هل بضغط من العربية الفتاة او لتأخر الصهيونيين في الرد على مقاله السابق في (١٤ نيسان ، ابريل) حمل (العظم) على تضمين مقاله آراء مخالفة لدعوى التقارب التي هو من انصارها . ويشير العظم في مقدمة مقاله الى ان سبب الكتابة هو طلب الكثيرين من فلسطين وغيرها متابعة هذا البحث ، بعد ان اثار تقدم الصهيونية وتساهل الحكومة القلق والريب في نفوس السوريين ، ويشير الى ان الصهيونيين لم يستمعوا الى نصيحته بضرورة اختيار الوسائل التي تؤلف بينهم وبين العرب من سكان سوريه وفلسطين ، بل انهم اعتمدوا على تساهل الحكومة معهم . ونتيجة لذلك كان « نهوض الشعب السوري للوقوف في وجوههم وتعطيل حركتهم » . لذلك لم يعد امامه ـ كما يقول ـ الا ان ينصح اخوانه من ابناء سوريه وفلسطين لتدبر امورهم مع الصهيونيين بعد هجوم ذلك التيار المخيف على بلادهم ، « ... فان نوم ساعة اليوم عما يحيط بالبلاد من العوامل السيئة يفضي الى موت العرب من سكان سوريه موتا ابديا » . ومن اجل الوقوف بوجه تيار المهاجرة الصهيونية وحماية الملكية الوطنية لا بد من التمسك بالوسائل العملية وليس بالشكوى والعويل ، وذلك يتوقف على عدة امور :

---

١٨٢ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٥/٢٥ .

١٨٣ ـ يبدو ان العظم قد كتب المقال قبل ٢٩ ايار (مايو) ولكنه نشر متأخرا . كما بين العظم ذلك في رسالة شخصية . انظر ص ٢٤٩ وما بعدها من هذا الكتاب .

مطالبة الحكومة بمسح اراضي قرى سوريه وفلسطين وتقسيمها على اصحابها ، والغاء الملكية الشائعة بين اهل القرية الواحدة (١٨٤) . الامر الثاني مطالبة الحكومة بوضع قانون خاص لحماية ملكية الفلاح والارض ، ولا يتم ذلك الا بالغاء قانون التملك على الشيوع وبعدها يمنع الفلاح منعا باتا من بيع عدد معين من الدونمات من ارضه ، لا بيعا اختياريا ولا اجباريا . الامر الثالث : الاهتمام بتأليف النقابات الزراعية بان يدعى الاهلون لتكوين رؤوس اموال صغيرة يستمدون منها عند الحاجة ما يلزمهم بفوائد زهيدة تغنيهم عن الاستدانة من المرابين او الاضطرار لبيع الارض . واما الامر الرابع فهو مطالبة الحكومة بجعل البنك الزراعي حاميا لملكية الفلاحين ، لذلك لا بد من اصلاح قانونه مع الاضافة الى نظامه كيفية الوسائل التي يحمي بها اراضي البلاد من الصهيونيين المرابين ، ويضاف اليه الزامه بشراء كل قرية تعرضها الحكومة او الملاك الكبار للبيع وتقسيمها قطعا تباع لصغار الفلاحين الوطنيين وتقسط اثمانها بفوائد طفيفة . واذا لم يقم البنك الزراعي بذلك ، يؤلف الاهالي شركات زراعية لهذا الغرض ولشراء الاراضي المستنقعة والبور واصلاحها وتقسيمها على الفلاحين اقتداء بالصهيونيين . وينهي (رفيق العظم) مقاله بتحذير الحكومة والاهالي بانهم لو تخلوا عن عمل ذلك « فمن المحتم ان يكونوا بعد جيل او اقل من جيل عبيدا للصهيونيين او يشردوا عن مواطنهم جميعا ـ السري والفقير ... فليتداركوا الخطر من الآن ... وليطالبوا حكومتهم ونوابهم في مجلس الامة بتنفيذ ما يتعلق بالحكومة من هذه الوسائل الواقية ، ويطالبوا انفسهم وسراتهم وذوي الرأي بما يتعلق فيهم من هذه الوسائل ... » .

في الوقت الذي نشرت فيه (المقطم) مقال (رفيق العظم) ، كان مراسل المقطم في الاستانة قد سبق واجرى حديثا مع زعيم صهيوني ، بعث فحواه الى المقطم لتنشره في ثلاث مقالات في ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ايار (مايو) تحت عنوان « بحث جليل في المسألة الصهيونية ـ زعيم صهيوني يرد على رفيق العظم ويوجب اتفاق العرب والاسرائيليين » (١٨٥) . « ويرجو المراسل من العرب ان يحلوا هذا الحديث محله من التدبر والاهتمام » . خلاصة الحديث ان الزعيم يرمي الى التسليم بمعظم ملاحظات العظم التي يمكن تلافيها بالاتفاق مع اهل البلاد اذا اظهر الفريقان شيئا من التساهل ، واكد من جديد رابطة العنصرية واللغة والتاريخ والرغبة في احياء مجد المدنية السامية التي تجمع بين الشعبين الشقيقين والزعيم الصهيوني واثق ان الاتفاق بين العرب والاسرائيليين سهل ، حتى لو اصبح الرأي العربي ضدهم ، وذلك لسببين : اولا ان العرب المستنيرين ـ على حد قوله ـ

١٨٤ ـ يشرح العظم طريقة وقوع القرى بيد الصهيونيين بطريقة « الكفالة المتسلسلة » اي بان يأتي المرابي الى القرية التي يريد استملاكها ويمد بعض الفلاحين بشيء من المال يستعينون به على بعض شؤونهم او على زراعة ارضهم ، فيتضامن اهل القرية كلهم في دفع هذا المال، وتمر السنة والثلاث سنين على الفلاحين ولا يدفعون المبلغ ، وتتراكم عليهم الفوائد ، فينزع صاحب المال ملكية القرية منهم بحكم الكفالة المتسلسلة وتصبح القرية واهلها ملكا له .

١٨٥ ـ كان يعني به مقال رفيق العظم الاول في **المقطم** ١٩١٤/٤/١٤ وليس مقاله الثاني ٢٩ ايار (مايو) (انظر ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الكتاب) .

« ليسوا ضدنا ولا هم يسيئون الظن بنا » . اما الذين يقفون ضد الهجرة فهم برأيه اما سيئو النية ، واما ان يكونوا على جهل بالامر . والسبب الثاني الذي يسهل امكانية الاتفاق ـ كما يقول ـ هو النفع الذي يعود على البلاد وعلى العنصر العربي من مهاجرة الاسرائيليين الى فلسطين . ويردد هنا الحجج التقليدية . اما عن الاضرار الناجمة عن بقائهم في عزلة وعدم تجنسهم بالعثمانية ، فقد اقر بوجودها ولكنه اعتبرها ناجمة عن جهل اللغة والعادات ، ويمكن التوصل الى حل مرض لها وهو واثق « ان النشء الجديد سيكون عاملا قويا في اندغام الشعبين الشقيقين » . وهو يعد انهم سوف يوجهون اهتمامهم للعناية في مدارسهم بتدريس اللغة العربية والتاريخ العربي وآداب العرب . ولو علمت اللغة العبرية وتاريخ الاسرائيليين في المدارس الوطنية لاصبح هناك أساس متين يبنى عليه اتفاق بين الفريقين . واشار الزعيم الى ان بعض اصدقائه العرب قد طلب منه ان يسعى لدى الجمعية الصهيونية لمساعدة العرب معنويا وماديا، وانشاء المدارس في سائر البلاد العربية ، وان هذا الطلب لاقى موافقة الجمعية « لان نشر المعارف بين العرب هو من مصلحة الاسرائيليين الذين يعلمون ان الجهل عدو كل ارتقاء واصلاح » . وما نوه له العظم حول الامور الاقتصادية والاجتماعية وتخوف الوطنيين من مزاحمة المهاجرين فهي مخاوف وهمية ، ويحتج بان عدد المهاجرين اليهود قليل اذ لا يدخل سوى ٢ ـ ٣ آلاف مهاجر سنويا ، والاراضي التي اشتريت في فلسطين ملك المتنفذين والاغنياء ولا خوف على الفلاح من ابتياعها ، والشركات الاسرائيلية التي تشتري الاراضي يهمها ان تحافظ على « مصلحة الفلاح ، لتكسب صداقته وتأمن في المستقبل من شره » .

اما عن الطرق المؤدية الى الاتفاق فقد رأى الزعيم الصهيوني ان « ينصح زعماء الامة العربية لاخوانهم بالتروي والعدول عن معاملة الاسرائيليين بالشدة والعنف وعن تخويف الوطنيين مما يسمونه الخطر الصهيوني ... فحنق العرب الشديد علينا واحتقارهم لنا يقفان عثرة في سبيل التقارب بيننا وبينهم » . ومن اجل التوصل الى الاتفاق بطريقة ترضي الفريقين ، يقترح الزعيم الصهيوني ان ينتدب زعماء العرب « ذوي النفوذ المعنوي » ستة ينوبون عنهم وتندب الجمعية الصهيونية ستة من اعضائها لينوبوا عنها ايضا ثم يجتمع المندوبون معا في احدى قرى فلسطين او في بيروت او القاهرة لدرس احوال فلسطين درسا مدققا ، والوقوف على مطالب العرب وغايات الصهيونيين وآمالهم ، ووضع شروط للمهاجرة في المستقبل . اغراء اخير يضعه الزعيم الصهيوني امام الزعماء العرب ـ وهو امر قد المحوا اليه في السابق ـ ان مسألة فلسطين قسم صغير من المسألة العربية « ... فالاسرائيليون وهم شرقيون في عاداتهم واخلاقهم وتاريخهم وآمالهم ، وغربيون في آدابهم وعلومهم ومدنيتهم وحضارتهم يكونون الواسطة الوحيدة التي توصل بين العرب والمدنية الغربية » ، وانه في استطاعتهم ان يخدموا العرب لما لهم من العلاقة بالعالم المالي والصحافة الغربية . وينهي الزعيم حديثه بقالب شعري مذكرا بعلاقات العرب واليهود الماضية « ... فليرحب العرب بنا ويقبلونا اخوانا لهم ... لنعمل يدا واحدة على انهاض هذا الوطن واسعاده فالوطن لا يضيق على رحبه لشعبين خليقين بان يتآزرا ليشيدا مدنية جديدة تبلغ البلاد شأو البلدان الاوروبية ارتقاء وعمرانا » .

وقال رفيق العظم في رده على حديث الزعيم الصهيوني (١٨٦) : انه « من محبي الوفاق على شرط اعتبار مصلحة الوطن قبل كل شيء .. » وان « الصهيونيين متى برهنوا لنا على حسن النية وحسن الوفاق مع العرب عملا لا قولا فاننا لا نألـو جهدا في التوفيق بين مصالحهم ومصالح الوطن ... » . ويكشف العظم انه كان قد خطر له مسبقا ، لحل هذه المسألة التي تفاقم امرها ، فكرة عقد المؤتمر من ارباب المصالـح الكبرى في فلسطين ، والخبيرين بسير المسألة الصهيونية ، وفريق من زعماء الصهيونية لتبادل الآراء بكل صراحة واعتدال « للتوصل الى ما يضمن راحة البال للفريقين وتقرير القواعد التي تنتهي عندها اغراض الصهيونيين ومصلحة الوطنيين ... » ، وانه لمـا قرأ اقتراح الزعيم لعقد المؤتمر ، قويت لديه هذه الفكرة وتأكد له نفعها . ولذلك فهو يعرض امام زعماء الصهيونيين ــ ان ارادوا الوصول الى حل لهذه المسألة ــ ان يعقدوا العزيمة على ذلك « ولجنة حزب اللامركزيين بمصر مستعدة ، اذا خابرها الصهيونيون، ان تعقد هذا المؤتمر في مصر ، وتبذل المساعي لدى سراة البلاد الفلسطينية ، لينتخبوا من يمثل وطنهم في هذا المؤتمـر احسن تمثيل ، عساه يكـون مـن وراء ذلـك خير للفريقين ... » ويكتفي (العظم) ببسط هذا الاقتراح دون الرد على حديـث الزعيم لان « طول المناقشة لا يجدي اذا وجدت هناك فكرة للعمل دون القول » على حد قوله. وقد عمدت جريدة المقطم في اليوم التالي (١٨٧) » الى تأييد رأي العظم بانه قد انقضى دور الكلام وجاء دور العمل » ورجت الكتاب الذين يكتبون في هذا الموضوع من الفريقين ان يوجهوا عنايتهم الى « اقناع زعماء الفلسطينيين والصهيونيين بعقد هذا المؤتمر ، فقد اشبعوا البحث ووفوه حقه من البيان والايضاح » ، وتعهدت المقطم انها لن تنشر شيئا من هذا القبيل الا بعد عقد المؤتمر (١٨٨) .

وظهرت ردود فعل سريعة وصريحة على الزعيم الصهيوني ، وعلى مشروع الاتفاق العربي الصهيوني عبر عنها ثلاثة من الصحفيين العرب هم : نجيـب نصار ، عيسى العيسى ، محمد المحمصاني. وكان اكثرها عنفا رد صاحب الكرمل ، بدأ اولا بمهاجمة المقطم (١٨٩) « ... على رغم كون صبيان الازقة ما عادوا يجهلون مطامع الصهيونيـة ومراميها ، فالمقطم لا يزال ينشر لمن تسميهم زعماء الصهيونية اقوالا تمهيدية المقصود منها ذر الرماد في الاعين ، بان الصهيونيين يريدون الاتفاق مع العرب وانهم مخلصون للعرب والدولة ... » ويرجو من المقطم « الذي نال شهرة واسعـة ومالا وفيرا على اكتاف العرب » ان لا ينشر اقوالا خداعية لقوم ينازعون قومه البقاء في اوطانهم ، لان في ذلك « ايلام العواطف واضعاف الثقة بجريدة يريد العرب ان يضعـوا كل ثقتهـم

١٨٦ ـ **المقطم** ، ١٩١٤/٥/٣٠ ، وجاء رد العظم بعد ان انتهت مقالات المقطم عن حديث الزعيم الصهيوني.

١٨٧ ـ **المقطم** ، اول حزيران (يونيو) ١٩١٤ .

١٨٨ ـ في رسالة (ماندل) ص ٤٣٦ نقلا عن رسالة من ملول الى روبن ١٩١٤/٥/٣١ ان ملول الذي كان قد حضر الى القاهرة في ذلك الوقت هو الذي اقنع المقطم بكتابة هذا الاقتراح لعقد المؤتمر وبناء على طلبه كذلك اغلقت المقطم باب الجدل حول الصهيونية وفعلت الاهرام الشيء نفسه (نقلا عن رسالة من ملول الى روبن ١٩١٤/٥/٣١) .

١٨٩ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٦/٢ .

فيها ... » . ثم يوجه الهجوم مباشرة ــ ولاول مرة ــ الى رفيق العظم زعيم حركة اللامركزية (١٩٠) ، متهما اياه بالتناقض في الاقوال ، مشيرا بذلك الى تصريحاته اولا حول الخطر المجسم على العرب ووطنهم في مقال (٢٩ ايار ، مايو) ثم اظهاره الارتياح في اليوم التالي لاقتراح من لقّبه المقطم « بزعيم صهيوني » على عقـد الاتفاق بـين العرب والصهيونيين ، وفكرة المؤتمر المشترك . ويطلب منه الرجوع الى ما كتبتـه (الجورنال دي كير) والاهرام وصاحب (فلسطين) في نفس العدد الذي اظهر رغبته في عقد المؤتمر ليعلم ان اتفاق العرب والصهيونيين مستحيـل ، « فهم يقـررون في مؤتمراتهم انهم يعملون لايجاد وطن يهودي في فلسطين مؤمنا تأمينا شرعيا لا ينازعهـم فيه منازع ... وهم لا يريدون ان يتحولوا عن امتلاك فلسطين ... فكيف اذن يمكن الاتفاق مع قوم اجانب يعملون على نزع وطن العرب من ايديهم واقامة وطن وملك لهم فيه ... » . اما عن قول « الزعيم الكبير » بانه يسعى لدى سراة فلسطين لينتدبـوا ستة منهم لينوبوا عن وطنهم في المؤتمر فقد قال : « ... لو علم الزعيم ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها اكثر مما تأتيها من الصهيونيين، لان هؤلاء هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم ، لما قال ان لجنة الحزب تسعى لدى السراة » (١٩١) . لقد فقد صاحب الكرمل كل ثقته بزعماء البلاد ، ورأى ان الشبيبة وحدها هي التي تدرك خطر الصهيونية ، وهي التي تسعى لتكوين رأي عام فيما بينها لتتفاهم مع الفـلاح وتنقذه من الخطر المهدد ، لذلك هي « التي ينبغي ان تفاوض في امرها اذا كان يروق لها المفاوضة على وطنها ... » انه يدعو لجنة حزب اللامركزية ان تعمل بمشورة زعيمها الاول فتساعد الشبيبة على انقاذ الوطن باستعمال نفوذها لاخراج تلك الوسائل التي اقترحها الزعيم الى حيز التنفيذ ، ما دام هو نفسه يوافق على كون هذه خير الوسائل لانقاذ الوطن ، وبذلك يكسب ثقة الشبيبة السورية « فالاحزاب خلقت لتعمل ولتخدم مصالح الشعب لا لتقول » .

وجاء رد صاحب (فلسطين) في صحف القاهرة (١٩٢) ــ حيث كان لا يزال هناك ينتظر الافراج عن جريدته ــ فرد على اقوال الزعيم الصهيوني كفلسطيني تتعلق هذه الحركة ببلاده ، وكصحافي عالج الموضوع مرارا . ووجد تناقضا كبيرا بين ما يصرح به الصهيونيون على صفحات الجرائد السورية والمصرية ومـا يقررونه في مؤتمراتهـم

١٩٠ ـ كان من بين مقالات نصار الهجومية الاخرى مقال « نريد زعيما مثل طلعت ... » كان يغمز منـه بطرف خفي من رفيق العظم ، دعا فيه الزعماء العرب الى التشبه بطلعت في خدمته لوطنه ، واثار ذلك المقال جدلا عنيفا بين الكرمل والاقدام واتهم صاحب الاقدام نصار بالتزلف ، بينما اكد نصار انه ما حاد عن موقفه وانه سباق لبحث المسألة الصهيونية التي تعالجها الاقدام الآن ... وقـد دفع هذا الجدل « فلسطيني متألم » ان يوجه نداءه بوقف الهجمات الصحفية وتوحيد الجهود من اجل خير فلسطين . (**الاقدام** ١٩ تموز ، يوليو) .

١٩١ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٦/٥ ـ وقد نقلت الكرمل في عدد تال (٦/١٦) عن (جراب الكردي) تعليقا على قول رفيق العظم عن استعداده لان يطلب من وجوه البلاد الفلسطينية وفـدا يمثلها للاتفاق مـع الصهيونيين « فات حضرته ان اعيان بلادنا متفقون مع الصهيونية من قديم ولولا ذلـك لما سمـع بالصهيونيين في بلادنا ، فخير للبلاد ان تكون بلا وجوه لان وجوهها كالحة » .

١٩٢ ـ **المقطم** ٦/٦ ـ **الاقدام** ٧ و ٦/١٤ .

وينشرونه في صحفهم . لا يظهر هذا التناقض الا لمن تتبع حركتهم ونقب عن اسرارها وعاش ولو مدة قصيرة في فلسطين . ويستشهد بكتابات الصهيونيين انفسهم حتى يبين ان ما قاله الزعيم الصهيوني لمندوب المقطم ليس الا مخادعة الصحافة والرأي العام . وردا على ما قاله الزعيم بان الاتفاق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين هو الغاية الاولى ... يذكر العيسى حديث نوردو الى « الايكونوميست » « ... اننا لمجرد اننا صهيونيون لا يمكننا ان نمتزج او نندغم بالاهلين ... » . اما عن اخلاص الصهيونيين للدولة العلية فيرد صاحب (فلسطين) من كتاب اوسشكين (بروغرام الصهيونية ١٩٠٤) « ... ان السبب في عدم نجاح الحركة الصهيونية لاننا لم نهتم باستمالة الدول الاجنبية لنا بالعمل ، وقد تداركنا هذا الخطأ » . وعن دعوى اخلاص الصهيونيين للعرب يرجع العيسى القارىء الى مقال اورباخ « ... ان الخطر على اليهود في فلسطين هو من تآلف العرب واتحادهم ... فلذلك من مصلحة تركيه ان تساعد الروح الصهيونية لا ان تصدها لتكون حاجزا بينها وبين الروح العربية ... » وعن فوائد المهاجرة اليهودية الى فلسطين يستشهد العيسى بتقرير روبن امام المؤتمر الحادي عشر « ... من الواجب ترغيب الشباب الممتلئين قوة وحماسا في المهاجرة الى فلسطين للاستغناء بهم عن العملة العرب الوطنيين » . وعما يحملونه من وسائل الحضارة والمدنية يرد بقول اوسشكين « ... ان فلسطين لا يمكن ان تكون لنا الا اذا استولينا على اراضيها جميعا ... بين المستعمرات الاسرائيلية اراض غير اسرائيلية، يجب مشتراها بكل الوسائط واجلاء العرب اصحابها حتى تصبح مستعمراتنا كلها والاراضي بينها ملكا للامة اليهودية ... القرى العربية التي تجاورنا يجب مشتراها قريبا لئلا يستفيد اهلها من الطرق الزراعية الحديثة فيصبحوا اغنياء ويتعذر مشتراها ... » .

ويضيف العيسى بانه ، حتى لو ثبت عدم صحة ما استشهد به من اقوال ، فانه لا يوجد تطابق بين اقوال الزعيم في حديثه واعمال الصهيونيين في فلسطين « التي نشاهدها حتى الساعة ، والتي ضج منها الاهلون وتناقلتها صحف العالم واهتمت بها اكثر الحكومات ، ما عدا حكومتنا العثمانية ... » . اما عن قول الزعيم الصهيوني بتجنبهم اثارة الشقاق بين العناصر فيضرب العيسى الامثلة التي يتبعها الصهيونيون للتفرقة بين المسلمين والمسيحيين ، فبينما يدعون امام المسلمين انهم اخوان اشقاء حبب اليهم المهاجرة تساهل المسلمين هربا من تعصب المسيحيين ، او ان المسيحيين خائنون للدولة ويكرهون الاسلام ... الخ يحاولون في الوقت نفسه ، استمالة المسيحيين بحجة ان الاتفاق مع اليهود على المسلمين من صالحهم ، لانهم متعلمون متساهلون والمسلمون جهلة متعصبون ... الخ . اما عن التحسينات الصحية التي ادخلوها ... فلو قيل بمبدأ الفائدة « فما هي قيمة الصحة عند شعب مهدد في كيانه مقضى عليه بالموت او بالجلاء ... » . وعن استعمال اليهود حاصلات البلاد يؤكد العيسى ان البرتقال – وهو اهم المحصولات – قد اصبح معظمه بيد الصهيونيين وهو في ازدياد . وعن انشائهم سوقا للمصنوعات الوطنية (مدرسة البازاليل) فتلك برأي العيسى اكبر ضربة عرفتها الصناعة الوطنية بعد ان تعلمها الصهيونيون وضاربوا في

الاثمان . اما تعليم اللغة والتاريخ والآداب العربية فهذا يدل على شيء آخر غير الروابط المعنوية الوطنية ، « ومن عرف مرامي الصهيونيين من التجنس بالعثمانية ودخولهم في كل فرع من الادارات الملكية والعسكرية ، يسهل عليه ادراك المقصود من ذلك » . وعن تصريحات الصهيونيين برغبتهم في التجنس بالعثمانية التي جازت على بعض الكتاب العرب ، فان العيسى يرى ان التجنس بالعثمانية يفيد الصهيونيين اكثر مما لو ظلوا اجانب لهم امتيازات ، وهم لا يقدمون على ذلك فعلا الا يوم يزيد عددهم عن الوطنيين ويصبحون الاكثرية ، فيدخلون مجالس البلديات والادارة والمجلس العمومي ومجلس المبعوثان وجميع الادارات » وكان الجانب الثاني من رد العيسى حول اقتراح الزعيم الصهيوني بطلب عقد مؤتمر يتفاهم فيه الصهيونيون والعرب للوصول الى حل يرضي الطرفين ، والذي لاقى صدى استحسان عند بعضهم ووافقه رفيق العظم ... يقول العيسى : « ... ان الفائدة من هذا المؤتمر – لو عقد – تعود على الصهيونيين اكثر منها على الوطنيين ... فهم لن يخرجوا قبل ان ينالوا اعترافا صحيحا بحقيقة مراكزهم في فلسطين وانهم شركاء للوطنيين فيها بما لهم من المصالح، فيكتسبون حقا شرعيا لهم مع بقائهم على مبادئهم الصهيونية ... » .

وكان محمد المحمصاني لا يزال يواصل كتابة سلسلة مقالاته حول الحركة الصهيونية في (فتى العرب) . ولكنه اضطر – كما يقول – (١٩٣) « الى الانحياد قليلا عن خطة بحثنا للحركة الصهيونية لاننا آنسنا من بعض الزعماء عندنا ميلا الى الاتفاق مع الصهيونيين الذين لم تكن دعوتهم اليه حديثة على ما علمنا ... » . ونظرا لان المحمصاني لم ير احدا من كلا الفريقين قد بين الاسس التي يمكن قيام الاتفاق عليها ليتسنى له محاكمتها ، لذلك يعرض كلمته في معضلات الاتفاق ريثما يتضح رأيهم فيه، وقدم لذلك بآرائه حول الصهيونية التي « هي حركة سياسية قومية بالدرجة الاولى، غايتها جعل فلسطين بحدودها الواسعة وطنا للصهيونيين يشتغلون فيه ... ولا تزال الصهيونية كما وضعها هرتزل ومؤتمر بال ، مهما تعددت خطط القائمين بها » . ثم انتقل الى بحث العوائق التي تقف في طريق الاتفاق . اذ مع قبولنا بان العرب والاسرائيليين هم عرق واحد ، الا اننا في هذا العصر – عصر القوميات – يجب ان تبلغ النزعة العربية اشدها عند ابنائنا على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم . ولا يعني قول بعضهم : ان الارض للمجتهد اي مجتهد ، ولكن للمجتهد من اصحابها ، واصحابها هم ابناء امتنا . فنحن « لا نعبأ بحياة الارض وحدها التي ليست بنظرنا الغاية من العمران ، وانما العمران بحياة الاهلين انفسهم ... » . ولذلك يرى المحمصاني انه من العبث ان نحل الصهيونيين بالمكان الذي يطلبونه بمجرد انهم ارقى منا علميا واقتصاديا « ... ولا تجوز الوطنية تخلية البلاد للاجانب من الصهيونيين بحجة ان هؤلاء اقدر منا على ترقيتها ... » ، ولذلك يرى ان الواجب القومي يقضي بان نوفر للاهلين وسائل الرقي ليرقوا بلادهم بانفسهم تدريجيا حسب سنّة النشوء الاجتماعي وارتقاء الامم .

---

١٩٣ – **فتى العرب** ، ١٩١٤/٦/٤ .

ما يتصوره المحمصاني عن مستقبل حياة الصهيونيين في بلادنا يجب ان يكون على احد وجهين : ان يختلطوا بالاهلين ، او ان يعيشوا ضمن منطقة خاصة بهم (غيتو). وبالنسبة للوجه الاول ، فلأن روح الصهيونية هي القومية المتطرفة لا يمكن امتزاجهم مع الاهلين الا اذا تنازل هؤلاء عن جنسيتهم العربية ليصطبغوا بالصبغة العبرية ، وفي ذلك ضرر بقوميتنا . اما الوجه الثاني فان المحمصاني يستبعد امكانية الاستفادة منهم « على ما يزعم بعض المتفلسفين » ولا يجد مبررا لدعوة الزعيم الصهيوني الى تعليم العبرية في المدارس الوطنية « ... وما دمنا لا نتطلب مجيء الصهيونيين الى بلادنا فلا توجد ادنى مزية او دافع لتعليمها للنشء تلذذا باننا سوف نشيد معالم مدنية سامية ... بدل ان نوسع نطاق فكره بلغة آبائه ، كما تقتضيه اصول التربية الصحيحة ليكون عاملا نشيطا لنهضتنا » . اما عن دعواه بان فلسطين تسع عشرات اضعاف الاهلين ، فهذا لا يستلزم ان نفسح للصهيوني الاجنبي مكانا لاستيلائه عليها (١٩٤) . اما عن القول باستخدام الصهيونيين الوطنيين للاستفادة من اجورهم فيرد المحمصاني بان برامج الصهيونيين تقضي بعدم استخدام ايد عربية الا بدافع الحاجة ، والدليل سعيهم الى تمهيد السبيل لمهاجرة يهودي اليمن للاستغناء عن العرب ، وما يبعث على الحزن « ان يتجرد الاهلون من ممتلكاتهم ليصبحوا اجراء للصهيونيين فيها ... وهذا ما نخشاه اذا استفحل امر الاستعمار الصهيوني ... » . وقد عبر المحمصاني عن الرفض المطلق لفكرة الاتفاق حتى دون شروط في مقال تال (١٩٥) « ... ان حياة الامم فوق كل نفع مادي ... فحرية الاهلين مقدمة عندنا على حرث الارض وزرعها ... » . ويعلن العزم على استمرار مقاومة الصهيونية تلك الحركة القومية السياسية التي ترمي الى تأسيس دولة يهودية في سوريه « نقاومها بدافع القومية المحضة ، اذ ان العرب احق بسوريه واهلها وهم يتحسسون بوجوب الحياة العنصرية شأن تلك الامم التي تقوم على مبادىء الجنسية التي لا يمكن ان تتفق مع الحركة الصهيونية الا على وجه واحد : تحويل مجرى المهاجرة عن بلادنا الى بلاد اخرى ... » .

وكان الاتجاه العام لكتابات الصحف العربية في فلسطين وخارجها لا يشير الى انه في صالح الاتفاق ، حتى اولئك الكتاب الذين حاولوا اتخاذ موقف معتدل للتوفيق بين المتشددين في المعارضة والمرحبين بالفكرة . وقد نشط الكتاب الفلسطينيون للتعبير عن آرائهم في شرح الخطر الصهيوني وكيفية مواجهته ، وتوجيه النقد الى من يقول بفوائد الحركة الصهيونية (١٩٦) . ومع اختلاف ارائهم حول المسؤول في تقدم الصهيونية في فلسطين ، هل هي الحكومة بتساهلها ، ام الراي العام بجموده ، ام المتنفذون والاغنياء الذين سهلوا لها بجهلهم او طمعهم واختلافهم . الا ان هذه الآراء تكاد تجمع

١٩٤ ـ يشير المحمصاني الى ما ذكره استاذه في الاقتصاد في باريس (كوريس) من ان فرنسه التي يعيش فيها نحو ٤٠ مليونا يمكن ان تستوعب ١٠٠ باستعمال الطرق الحديثة ، ولكنها لا تريد ان تفسح مجالا لغير الفرنسيين لان هناك المصلحة القومية التي تحفظ كيان الامم .

١٩٥ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٦/٦ .

١٩٦ ـ **فلسطين** ، ١٩١٤/٦/٦ كتب جرجس خوري ايوب بان الذين يحبذون الحركة الصهيونية هم اثنان: الاول غبي يجهل تلك الحركة ... والثاني دنيء لئيم لا يجهل ذلك ، وانما لقاء دريهمات ينالها من الطامعين في امتلاك بلاده « فالاول يجب ان ينبه ، والثاني يجب ان يسحق ... » .

كلها على تصوير تخوف الفلسطينيين على مستقبلهم ، فكتب احمد شاكر الكرمة في « الرأي العام » (١٩٧) « ... ان الحركة القائمة الآن تحت ستار التجارة والربح من الزراعة والعمران التي يقوم بها الصهيونيون ليست الا مقدمة لنيل غرضهم في فلسطين ، وفي ذلك القضاء المبرم على سكان فلسطين عموما ، نظرا لما عليه الصهيونيون من العلوم والمعارف والنشاط في العمل ، وما عليه الوطنيون من الجهل والجمود والخمول » . وصوّر (نصري دعبول) (يافا) في الرأي العام (١٩٨) انه « لو استمر تدفق الصهيونيين وتساهل الحكومة وجمود ذوي اليسار ، فأقرب ما يكون الى الامة الدمار ... وسلام عليك يا فلسطين ... فلا يبقى لنا الا البحر مفرا من وجه من يخاصمنا في ارضنا ... اما الفلاح فيضطر الى الاعتصام في الجبال الجرداء ، حيث لا يوجد ما يسد رمقه فينظر الى السهول نظرة المودع ... اللهم الا اذا رضي بالمذلة والعبودية واسطة الارتزاق » . وتساءل عزيز عريضة (يافا) في الاقدام (١٩٩) : هل الصهيونية مفيدة لبلادنا ؟ وقبل ان يأتي بجواب قدم مثلا للقارىء « ... اذا رأيت طريدا شريدا تائها ، اينما حل طرد واهين ، اذا رأيته يتماسك مع مالك غرفة مفروشة بأفخر الرياش يريد طرده منها ليحل محله ، فهل تلومه ؟ انه اغتصاب لا يجوز ، ولكن الحق للقوة والواجب ان يكون المرء قويا حتى لا يكون مهانا في بيته ... وهكذا نحن ، فالطريد هي الامة الاسرائيلية ونحن صاحب الغرفة ... والغرفة هي فلسطين ... واجبنا ان نكون اقوياء ندفع عن ملكنا ... ان نقف سدا امام كل من يريد سلبنا وطننا » . ويحث امثال بيهم وسرسق والمؤيد والعظم والحسينية وذوات نابلس وباقي بلاد سوريه وفلسطين على تأليف النقابات الزراعية والجمعيات الاقتصادية وعقد مؤتمر في مدينة مدن سوريه لتقرير الصالح للبلاد . ونقلت مرآة الغرب مشاعر طالب فلسطيني (٢٠٠) : « ... الى متى يا قوم نرضى بالمذلة لأنفسنا ؟ انكم تموتون والاسرائيليون يحيون ... وهم لا يحيون ما لم يمتصوا دماءنا ... فما هو بالشيء الغريب اذا حكمنا الاسرائيليون في المستقبل ما داموا جارين على خطتهم هذه في السياسة والاستعمار وما دمنا مثابرين على معيشتنا وعوائدنا الحالية » . ونقلت الاقدام (٢٠١) احتجاجا شديدا رفعه عدد من الاعيان في فلسطين واصحاب المصالح الى السلطان ومجلس الوزراء والاعيان والمبعوثان ونواب العرب والصحافة العربية والاتحاد والترقي ، بالشكوى من تقدم الصهيونية « ... سكوتنا عنها وعن حركات الصهيونيين في بلادنا لا بد ان يعقبه ندم طويل ، فلنتنبه فالخطب اعظم مما نظن » . وطرق الموضوع كتاب عرب من غير الفلسطينيين ، فكتب عارف الشهابي (٢٠٢) في فتى العرب يلوم النواب العرب في المبعوثان على سكوتهم عن الخوض في المسألة الصهيونية . وهو يرى ان مرد سكوتهم قد يؤول اما الى احتقارهم الخطر الصهيوني ، او ان مقاومته تضر بمصالحهم الخاصة ،

١٩٧ ـ **الرأي العام** ، ١٩١٤/٦/٦ .

١٩٨ ـ **الرأي العام** ، ١٩١٤/٦/١٦ .

١٩٩ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٦/٢٨ .

٢٠٠ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٧/١٧ .

٢٠١ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٦/٢٧ .

٢٠٢ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٦/١٣ .

او جهلهم بالمسألة الصهيونية ، وانه يستبعد احتمال السببين الاولين ، وهو يدعو النواب الى التتبع والبحث للحصول على المعلومات الكافية للدفاع . ووجهت مجموعة من الكتاب الانظار في (الرأي العام) (٢٠٣) الى الخطر الصهيوني ورسمت الحلول لمواجهته ، واتفقت آراؤهم على لوم الزعماء والمتنفذين والتعريض بالصحف المأجورة التي تمدح الصهيونية ، رغم وجود الخطر ، وان المواجهة لا تكون بالصراخ والبكاء ، بل لا بد من العمل بتأسيس الجمعيات والمصارف والمدارس الزراعية ومساندةالحكام والنواب لسن القوانين واصلاح البلاد .

وقد مال عدد من الكتاب الى التهويل بالقوى التي يمتلكها الصهيونيون ، في حين يسيطر على الاهالي الخمول والضعف . وقد دفع اليأس شبلي شميل (٢٠٤) الى التطرف ، اذ لم يكتف فقط بالدفاع عن فكرته الاساسية حول ضرورة مواجهة العمل النافع بعمل حسن نافع بمثله ، بل قام يندد بخصوم الصهيونية لانه ليس في كتاباتهم غير التحذير من الصهيونيين ووجوب مقاومتهم ، لا بالاقتداء بهم لتتكافأ القوتان ، ولم ينتج عنها الا تمكين العداء وتضليل الجمهور « وشحذ سلاح قابيل ضد هابيل ، لا شحذ سلاح العلم لنصرة العلم ... » ، فأثار ضده حملة انتقاد وفتح حوارا عنيفا شارك به كتاب كثيرون . ودافع شميل عن نفسه بانه لم يهدف الىنصرة الاسرائيليين، رغم ترحيب هؤلاء بكتاباته وحثه على المزيد منها ، بل انه ناصر « حق الارض نفسها »، ولكن ذلك لم يعفه من لوم الآخرين . وعجب نجيب نصار (٢٠٥) منالفيلسوف (ويقصد شميل) الذي ينكر على خصوم الصهيونية حقا مشروعا وهو الدفاع عن بقائهم ويتهمهم بتضليل الجمهور مع ان مقالاتهم تدعو الى الالفة وتكوين الرأي العام والى اتحاد الشبيبة والى تعلم الزراعة وتأليف نقابات ، والى كل نهضة علمية وعملية واجتماعية. ولفت نظره الى ان العرب « ليسوا كما يخيل لكم ضعفاء ، بل هم اقوياء والقوة لا ينظمها غير الزعماء ... واليهود الذين جمعوا كلمتهم ليسوا ارقى من مجموع العرب، ولكن الفضل في حركتهم لزعمائهم ... » ويسأله نصار « ... فلماذا لم تقتد انت وصروف ونمر ورفيق بهرتزل ونوردو وغيرهم لتكوين رأي عام في قومكم كما فعل اولئك في قومهم ، وتؤلفوا شركات ونقابات وجمعيات تعمل للعرب افضل ما تعمله الصهيونية لليهود » (٢٠٦) . ورد شميل (٢٠٧) على انتقاد نصار له ولسائر المفكرين والزعماء في التقاعس بقوله « قل لي كم نصرك من قومك اذا دعوت الى عمل .. بل قل لي كم يكون شاتموك فيما لو قصدت زحزحتهم عن مألوف ... فقوم هذا شأنهم مقضى عليهم » . ونشرت الكرمل الرد حتى يكون حافزا امام الشبيبة الناهضة كي

---

٢٠٣ ـ **الرأي العام** ، ٦/١٤ ، ١٥ ، ٦/١٨ ، ٧/٨ (من هؤلاء الكتاب جميل بيهم واحمد عارف الزين صاحب مجلة **العرفان** (صيدا) وحكمت الشريف صاحب **الرغائب** (طرابلس)) .

٢٠٤ ـ **الاهرام** ، ١٩١٤/٦/٣ .

٢٠٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٦/١٢ مقال « معك حق ومعنا حق » .

٢٠٦ ـ كان لوم نصار للزعماء عنيفا ، تابع قوله « اما كفى انكم اهملتم واجبكم الوطني وانصرف بعضكم عن الماديات الى الخياليات وبعضكم عن العموميات الى السعي وراء المنافع الخاصة ـ حتى قمتم في شيخوختكم تحاولون تخدير اعصاب المتنبهين من بني قومكم لتضيعوا الوطن ... » .

٢٠٧ ـ نشرتها **الكرمل** ، ١٩١٤/٧/٧ .

تتولى هي مهمة انقاذ الوطن . وتأمل الكرمل (٢٠٨) ان يرى الفيلسوف « في حركة الشبيبة لطلب العلوم العملية وبث الروح الاجتماعية ، حياة جديدة تبعث به الامل بعد اليأس الذي استولى عليه بسبب الخمول ، فيسير في طليعة الشبيبة لدفع الخطر عن الوطن » . ولم يخل رد عيسى العيسى (٢٠٩) من النقد اللاذع لما كتبه شميل وان كان اكثر اعتدالا من نصار ... فقد بيّن ان اهل فلسطين ـ رغم استعدادهم الطبيعي ـ لم يجدوا حتى الآن من الاحوال الخارجية في بلادهم ما يمكنهم من مجاراة الصهيونيين او غيرهم من الاجانب ، ويطلب من شميل قبل الحكم على اهل فلسطين بالاعدام وارسال من يشاء من المهاجرين ان يدعو الى تمهيد سبل الرقي امام اهل فلسطين ، فاما ان تعمر الارض او ينقرضوا .

واما قضية الاتفاق العربي الصهيوني فقد سكت عنها في الصحافة العربية ، سوى اشارات عابرة . الا ان المساعي من اجل هذا الاتفاق وعقد المؤتمر المشترك قد استمرت وكشفت عنها المصادر اليهودية (٢١٠) وبعض مراسلات عربية سرية من اوراق حزب اللامركزية (٢١١) ، ويبدو انه كان يقوم بها الى جانب اللامركزية شخصيات عربية اخرى . فقد ذكر (السبرج) ان اللجنة التنفيذية الصهيونية كانت ترحب بعقد مقابلات غير رسمية مع بعض الشخصيات العربية من اجل دراسة اولية للمسائل المطروحة للبحث ، وان والي بيروت ، سامي بكر بيه ، قد عبّر امام حاييم كالفارسكي ممثل (ايكا) في روش بينا عن ترحيبه بمسألة تفاهم العرب واليهود ، وامكانية لقاء بين ممثلي العرب وممثلي الاستيطان اليهودي ، وقد بدأت بعض الاتصالات الاولية بين مكتب فلسطين ودوائر عربية في القدس ، في الوقت الذي كان فيه ناحوم سوكولوف يقوم بجولته في البلاد ، وابدى اهتماما كبيرا بحقيقة المسألة العربية بعد ان شرح له كالفارسكي اهميتها (٢١٢) . وبناء على طلب سوكولوف ، رافقه كالفارسكي في نهاية ايار (مايو) الى بيروت ودمشق حيث حاول ان يبحث ـ كما يقول السبرج ـ «الظروف السياسية وقوة ونوعية الحركة العربية وامكانية التفاوض معها » . وقد تقابل مع بعض الشخصيات العربية بينها ناصيف الخالدي وعبد الرحمن الشهبندر ومحمد كرد علي وجورج فاخوري ، وتبين من هذه المحادثات ان الطرفين يهمهما الاتفاق . ولم يأخذ سوكولوف في بادىء الامر كلام المثلين العرب على محمل الجد ، ولكنه فوجىء ـ كما يقول السبرج ـ « حين تبين له بانهم مهتمون بعقد المؤتمر في اسرع

---

٢٠٨ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٧/٢١ .

٢٠٩ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٦/١٤ .

٢١٠ ـ مقال السبرج (بالعبرية) المشار له سابقا . كذلك فان الفصل العاشر من رسالة ماندل المشار اليها سابقا يعتمد على دراسة وافية للارشيف الصهيوني في هذا الموضوع .

٢١١ ـ من اوراق محب الدين الخطيب .

٢١٢ ـ ينقل (السبرج) عن اوراق كالفارسكي في الارشيف الصهيوني ان ناحوم سوكولوف قد ابدى اهتماما بهذه المسألة دون ان يصغي الى سعي من حوله كي يثبتوا له ان المسألة العربية لا وجود لها ... وان العرب عصبة من الجهلة والمتملقين الذليلين الذين يستعدون لبيع كل شيء مقابل مقدار من الحساء ...

وقت ... » واتفق على موعد للمؤتمر في برمانا في ٢ تموز (يوليو) يشترك فيه ١٠ مندوبين عرب ، ١٠ مندوبين يهود .

وبينما كان هذا الجانب من المفاوضات - والذي يكشف عنه الارشيف الصهيوني فقط - يدور في فلسطين ، فان جانبا آخر كان يجري بمعرفة اللامركزية - وان لم تشر له المراسلات الصهيونية - ولعب صاحب (الاقدام) فيه دورا كبيرا . وكان (الشنطي) قد حضر الى فلسطين منذ اشهر من اجل القيام بجولة صحفية لتعقب ما يجري في فلسطين عن قرب ، قبل اجراء الانتخابات النيابية (٢١٣) . ولكن يبدو انه قد كلف من قبل اللامركزية بمهمة اخرى وهي العمل على ضم اكبر عدد من اعيان فلسطين الى الحزب ، ولا يعرف بالضبط ان كان قد كلف باجراء محادثات مع سوكولوف (الذي كان كذلك يقوم بجولة تفقدية في فلسطين) . وما هو ثابت ان الشنطي بعث في ٦/٢/ ١٩١٤ ببطاقة من يافا يخبر حقي العظم باجتماعه « مع الزعيم الصهيوني البرليني » . وعاد يشرح برسالة ٣ حزيران (يونيو) ما جرى في هذا الاجتماع : « ... والخلاصة فاننا تفاهمنا بالامس مع زعيم الصهيونيين في برلين ، واخذنا منه القول الوثيق بالانضمام الى حزبنا ، ومساعدتنا فيه المساعدة التي تنهض ، مهما كلفه وكلف مؤتمره بذلك ، وكنا عازمين على ان نحضر لطرفكم نحن واياه لهذا الخصوص ، ونعرض ما حصل بيننا لسعادة سيدي رفيق بك ، ولسوء الحظ حصل (كرنتينا) على اهالي يافا خاصة ، وخيفة من الحجر الصحي حوّل فكره الى التوجه الى الاستانة العلية ليتفاهم مع زعماء العرب ومندوبيهم ، وقد طلب مني ان اكتب لهم بالاستانة ليقابلوه ويتعارفوا معه ، فأفهمته ان هذا التفاهم ينبغي ان يكون بمعرفة عميدنا سعادة رفيق بك العظم بمصر ، فحبذ قولي هذا وطلب مني ان اعرف سعادة سيدي الموما اليه بان يكتب الى سماحة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي، والى من يعتمد عليه بالاستانة بان يقابل هذا الذات في الاستانة خير مقابلة ، وان يتساهل معه ويحسن وفادته وليظهر له طيب عنصره وقوميته وعند حضوري لطرفكم ابين لسعادتكم ما حصل بيننا ازاء ذلك ، ولكنه على حسب قصر معرفتي ارى ان الذي دار بيننا وتوافقنا عليه ينهض ببلادنا وقوتنا وحزبنا ويحفظ كيان دولتنا ونعيش في ظلالها آمنين مطمئنين . وفي اول وابور احضر لطرفكم ان شاء الله من اجل هذا الخصوص ، ومن اجل خلافه، فقط اكرر الرجا بعدم امهال الكتابة الى الاستانة واملي ان البوستة الآتية احظى بها بمطالعتكم وآرائكم بهذا الموضوع لاعرضها على زعيم الصهيونيين في فلسطين لان تمهيد العمل تقدم طبق ما تريدون مولاي » . ويبدو ان الشنطي قد تذكر امورا اخرى فكتب على حواشي الرسالة : « سهى علينا ان نذكر لسعادتكم اسم زعيم الصهيونيين في برلين الذي يتوجه اليوم الى الاستانة من اجل التفاهم مع زعماء العرب فاسمه المسيو ناحوم سوكولوف ببرلين ، وهو رجل فاضل جمع بين العلوم العمرانية والسياسة وذو ارادة ثابتة وقلم سيال وقريحة وقّادة ، ولا اغالي اذا قلت لسعادتكم انه خير صهيوني

٢١٣ - مراسلات محمد الشنطي حول قضية الاتفاق ، بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب الخاصة بحزب اللامركزية ، وفي تعليق خطي على احدى رسائله اشارة الى ان الشنطي موجود في يافا من اجل « الوقوف على بعض مسائل حيوية في فلسطين » .

جمعت فيه الهمة والشهامة وظهرت لنا منه اميال قوية بحب العرب وحب رقيهم وحب دولتهم العلية ولزوم التمسك بها ، فبهذا يزول سوء التفاهم وبهذا تحصل المعاضدة لرقي فلسطين » . ويورد ملاحظة اخرى على هامش الرسالة « ... الذي كان ركنا من اركان هذه الحركة المباركة هو حضرة وطنينا الفاضل يعقوب افندي اشلوش من زعماء اليهود العرب وهو الذي كرس حياته للحصول على هذه المبادىء الشريفة » ، والملاحظة الثالثة كانت كما يلي « اوقفوا كل حركة ضد الجماعة باية جريدة عربية على حسب جهدكم وطاقتكم اياك التأخير » (٢١٤) .

ترى اي الطرفين كان يريد الاستفادة من الاتفاق لحسابه الخاص ؟ والى اي حد كانت اللامركزية على معرفة بنوايا الصهيونيين ؟ ولماذا تتلهف على عقد اتفاق معهم ؟ وهل كانت متفقة في هذه النية مع تلك الفئات العربية الاخرى التي تميل الى الاتفاق ؟ ما هي الوسائل التي لجأت اليها للضغط على الصهيونيين للوصول الى هذا الاتفاق ؟ وما هي مهمة جريدة الاقدام الفعلية التي كانت مباحثها مخصصة للمسألة الصهيونية وشرح اخطارها ؟ ... بعض هذه الامور الخفية قد كشفت عنها رسالة شخصية اخرى بعثها الشنطي من يافا (١٥ حزيران ، يونيو) الى حقي العظم وفي طيها (كارت فيزيت) من يعقوب افندي اشلوش الذي يصفه بانه « من الاسرائيليين الذين ينتمون الى العرب ومن عائلة اشلوش الشهيرة بالثروة في يافا ويشتغل الآن بوظيفة مدير صندوق البنك الانجلو الفلسطيني الانجليزي في يافا ، ويسعى سعيا حثيثا وراء تقدم الصهيونيين وبسطهم لنفوذهم في فلسطين ، ويتغالى ويتطرف في تحقيق هذه الامنية على زعم منه لا محل له الآن من البيان . ولغرض للحزب ادخلته فيه واخذت عليه العهد والميثاق بان يخلص للحزب ويسعى لتعزيزه هو وجميع اسرته ومن يلتف حوله وبعد ان اقسم لي اليمين استكتبه البطاقة الواصلة وقدمتها لسعادتكم (٢١٥) فأرسلوا له بطاقة الاعتماد مع جواب القبول كجاري العادة في البوستة باسمه ولا مانع من كتابة جواب له بشجعه على خدمة الحزب ولكن حاذروا من ان يشم رائحة منه في ابداء المساعدة لبني قومه الا بعد الاتفاق بيننا وبينهم كما حصل بيننا وبين الزعيم سوكولوف تنفيذه بمصر عن يد سيدي رفيق بك ويدكم ويد سيدي الاستاذ السيد رشيد (٢١٦) » . ويتابع الشنطي

٢١٤ - اشار الشنطي الى هذه المقابلة على صفحات **الاقدام** ١٩١٤/٦/٢١ بانه دعي للاجتماع بسوكولوف في نادي الصهيونيين في تل ابيب حيث اوضح له الشنطي النواحي الاخرى التي تثير سوء التفاهم بينهم وبين الشعب الفلسطيني الى جانب جهل اللغة ، كجهل العادات والاخلاق والتعديات على الاهالي وعدم احترام انظمة الحكومة ، وعزلتهم عن الاهالي ، ووضع يدهم على مرافق البلاد الخ ، وكي يبرهن الصهيونيون على حسن نياتهم بالعيش بسلام مع اهل البلاد ، عليهم كما يطلب الشنطي ، منع التعديات ، والتجنس بالعثمانية ، ونشر اللغة العربية في مدارسهم ، وتبادل المنافع والمرافق الاقتصادية مع الوطنيين ، واخذ اولاد الفقراء في معاهدهم العلمية ومساعدة صغار الفلاحين على اصلاح ارضهم وتحسين مزروعاتهم .

٢١٥ - جاء في بطاقة (يعقوب اشلوش) المؤرخة في ٦/١٥ (مرفقة برسالة الشنطي) ما يلي : « ... لسعادة رفيق بك العظم ، لي الشرف لو قبلتموني عضوا في حزبكم الموقر الذي اعتقد فيه نجاة الدولة والوطن . وقد اقسمت يمينا لاحد اعضائه السيد محمد الشنطي وقبلت فيه كافة ما يطلب مني تنفيذا لخطة الحزب الموقر والرجاء ارسال اوراق الاعتماد باسمي بالبوسطة الافرنسية » .

٢١٦ - من الواضح انه الشيخ رشيد رضا (كما سيظهر فيما بعد) .

في رسالته « ... فأظهروا القوة وعرفوا سادتي المومأ اليهما ان يتذمروا من اعمال الصهيونيين، واياكم جميعا ان تمدوا لهم يد الاتفاق الا بعد ان (تعرفون) ما حصل بيننا لان الاستعمار الآن جعلنا بينهم وبينه سدا منيعا واثرنا عليهم حربا عوانا من جميع سراة البلاد واعيانها حتى نبين لهم قوة عظيمة لا يستخف بها وقد افهمناهم ان حركة هذه القوة هي من قوة الحزب ورئيسه واعضواته فلا تضيعوا الفرصة في مخابرتهم عن غير بينة منا . وسوكولوف لولا الكرنتينا لما توجه الى الاستانة لانه عرف ما بيننا وما بينها وتحقق سوء سياسة قومه بالايام الغابرة وسيغيرون الخطة ويسيرون على طريقة تنفع البلاد والحزب فيما لو احسنا السياسة وامهلنا الامور بتدبر وتعقل – ولا ابالغ اذا قلت ان الصهيونيين الآن بالرغم عنهم سينقادوا لارادة الحزب مكرهين لا مجاملة منهم ولا حبا بنا ولا بحزبنا ... » .

ويذكّر الشنطي حقي العظم ان يكتب الى « نحوم سوكولوف بواسطة البنك (الانجلو الوانتين) بالاستانة ان يحضر لطرفكم وقولوا ان صاحب جريدة الاقدام المصرية الذي تعاهدتم انتم واياه على خدمة فلسطين بمعرفتنا والتفاهم معنا اي مع سعادة رئيس حزبنا وسماحة السيد رشيد رضا حضر لطرفنا بمصر وهو يطلب حضوركم سريعا لمسائل ضرورية لا لزوم لبيانها ، وعند حضوركم تعذروه وتعذرونا بمفاجأتكم بهذا الطلب وليكن تحريركم في غاية الحمية والحماس القصد من كتابته التحرير له والعجلة بطلبه هو لان الاستانة ومن فيها من بني قومنا لا يحسنون سياسة هذه الحركة ولا يعرفون ما آلت عليه في بلادنا ويوشك ان تقطع علينا خط الرجعة بسياستهم وعدم سبرهم لغور الحقائق وما ترمي اليه افكارنا لاننا نعرف الآن من اين تؤكل الكتف ، ولو آثرنا غرضنا الذاتي لما خابرناكم بهذا الموضوع وحسبنا من هذه الاشارة ما يدلكم على اخلاصنا لحزبنا وامتنا ودولتنا ... فأرسلوا التحرير الى الزعيم المذكور واطلبوه حالا وعند حضوري اظن ان الجميع يحبذ رأيي هذا فاذا صادف اذنا صاغية فيها وان لم يصادف فلا حول ولا ... » .

ويبدو انه استمرارا لهذه المساعي كانت مِشاورات اللامركزية لدعوة اعيان فلسطينيين للمؤتمر المقترح وكان من بينهم حافظ السعيد ، مبعوث يافا السابق ، وقد بعث الى (العظم اما رفيق او حقي ؟؟) رسالة في ٢٤ رجب ١٣٣٢ (١٩/٦/١٩١٤) (٢١٧) ردا على كتاب سابق تلقاه منه يخبره بعقد اجتماع مع الصهيونيين للاتفاق على الوجهة النافعة لفلسطين ، وعن ان الدكتور سوكولوف كان يريد ان يقصد مصر ثم حوّل وجهته للاستانة ، وكان رأي حافظ السعيد « ... ان الاتفاق ان امكن مع هؤلاء القوم فهو احسن من تركهم يفعلون ما يريدونه في الاستانة بواسطة قره صو ورشو المتصرفين في جاويد وطلعت » . ويقترح عليه اسماء عدة شخصيات فلسطينية لدعوتها لحضور المؤتمر (٢١٨) . ولكن قبل كل شيء يطلب ان يزود « ببيان القاعدة التي

٢١٧ – مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٢١٨ – هذه الشخصيات هي : محيي الدين الحسيني ، احمد عارف الحسيني ، سعيد عبد الحي الحسيني ، حسني خيال – من غزة ، اسماعيل الحسيني وسعيد الحسيني مبعوث القدس من

(التتمة على الصفحة التالية)

ترون وجوب بنيان الاتفاق عليها وعلى ماذا سيكون » . ويشير حافظ السعيد الى ان محمد الشنطي قد زاره واخبره ان سوكولوف واثنين آخرين من وجهاء الصهيونيين استدعوه وبالمخابرة تقرر بينهم ان يكون الاتفاق مع العنصر الاسلامي العربي في فلسطين على قاعدة: « ١ – ان يكون (البانق) الصهيوني الموجود في يافا مفتوحا للمسلمين بالمعاملة التي يعامل بها الصهيونيون . ٢ – ان يتعلم اولادهم اللغة العربية . ٣ – ان يقبلوا في مدارسهم اولاد فقراء ومتوسطي الحال من المسلمين مجانا . ٤ – ان يدخلوا في التابعية العثمانية. ٥ – ان يراجعوا في اشغالهم الحكومة المحلية ويستعينوا بالوجهاء من اهل البلاد . ٦ – ان يتكاتفوا مع العرب بطلب الاصلاح الذي يطلبه حزبنا الآن . ٧ – ان ينتخب منهم عضو لمجلس المبعوثان وآخر لمجلس الادارة ... » . وانه بعد ان اشيع عن موافقة الصهيونيين بادىء الامر ، ارادوا مخابرة الاستانة بعد ذلك فعدل سوكولوف عن الذهاب لمصر وتوجه للاستانة ، وانهم قد اظهروا امتنانا لمحمد الشنطي ووعودا بمساعدة جريدة الاقدام وتكبيرها . ويشير حافظ السعيد بعد ذلك الى حادث غريب : اذ انه لم تمض ايام على الوعد حتى تدخلوا مع صاحبة امتياز الجريدة المذكورة لاقناعها « والله يعلم بماذا ، على تعطيلها » (٢١٩) .

وكانت مفاوضات مماثلة تجري في الاستانة وبمعرفة اللامركزية ، وتولى متابعة هذا العمل مراسل المقطم في الاستانة (اسعد داغر) ، وكشفت رسالة بعثها الى اللامركزية من الاستانة في ٣/٦/١٩١٤ (٢٢٠) جانبا آخر غير الذي نشره على صفحات المقطم ، مما كان يدور من احاديث بينه وبين جاكوبسون وبعض كبار الصهيونيين في اجتماعات عديدة حول امور هامة بشأن المسألة الصهيونية ، طلب استشارة العظم بشأنها والنظر اليها بعين الاهمية والاعتبار (٢٢١) ، يقول داغر « ... جمعت الدكتور

القدس ، محمود ابو الهدى وسليم الشيخ علي وعبد الله الصاوي من يافا ، سعيد الكرمي من طولكرم ، وهو (اي حافظ السعيد) .

٢١٩ – **فلسطين** ، ٦/١٧ نشرت خبرا عن ورود برقية الى الشنطي من ادارة جريدته في مصر هذا نصها : « البرنسيس عطلت الجريدة بمسعى الصهيونيين ... » والبرنسيس – كما تقول (فلسطين) – هي الكسندرة افيرينيو صاحبة امتياز الجريدة الاصلية ، والظاهر ان مساعي الصهيونيين جعلتها تنقض العقد الذي تنازلت به عن الجريدة لمحمد الشنطي فعطلتها . وقد سافر صاحب الاقدام الى مصر وتلافى الامر واقنع صاحبة الجريدة حتى استطاع مداومة اصدارها ، وكشف الشنطي في عدد ٦/٢١ من **الاقدام** المساعي التي بذلها الصهيونيون لوقف الاقدام والتي بدأت بحملة شتائم في (صوت العثمانية) ثم ارسال نسيم ملول الى مصر ... ثم كتاب حاخام باشي مصر الى البرنسيس بان الكتابات مفرقة للعناصر ، ثم تشكيل وفد من صهيونيي مصر لمقابلة وزير الداخلية المصرية .

٢٢٠ – من مجموعة اوراق محب الخطيب .

٢٢١ – في المجموعة السابقة ورقة صغيرة بخط محب الدين الخطيب نفسه فيها سؤال كان قد وجهه الى اسعد داغر ٢٦/٦/١٩٤٥ حول حقيقة هذا الخطاب فأجابه انه كان يعمل في جريدة جون ترك (التي كان رئيس تحريرها في الظاهر جلال نوري ويديرها في الحقيقة اليهود) بترجمة بعض اخبار صحف بيروت من العربية الى الفرنسية وكان له في الجريدة زميل يهودي مولود في فلسطين اسمه (سفير) كان نشيطا ولعب دورا بالتوسط بين البلغار والترك ووسط اسعد داغر في ان يجتمع بعض

(التتمة على الصفحة التالية)

جاكوبسون واصحابه ببعض مبعوثي بيروت وفلسطين اجتماعا طويلا في فندق (توكتليان) فدار الحديث على المسألة الصهيونية وعلى وجوب اتفاق العرب واليهود ولكنه لم يتعد حدود المجاملة في تلك الليلة ». ويضيف داغر ان الدكتور جاكوبسون قد سافر في اواخر الاسبوع الماضي الى برلين وباريس للاتفاق مع اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية على الشروط التي يمكن ان تكون اساسا للمخابرات بين العرب واليهود ، وانه قد وجه انظاره قبل سفره الى عدة مسائل ، قبلها برمتها وهي : « ١ ـ وجوب تحديد المهاجرة ، وادخال المهاجرين على بكرة ابيهم بالتبعية العثمانية . ٢ ـ وجوب مراعاة الفلاح في فلسطين . ووضع قانون يضمن له حقوقه ويوضع هذا القانون بالاتفاق بين العرب واليهود . ٣ ـ وجوب تعلم اللغة العربية والادب والتاريخ العربي كما يجب في المدارس اليهودية وتشكيل لجنة من خيار العرب واليهود لمراقبة هذه المسائل والاعتناء بتحسين العلاقات بين العنصرين . ٤ ـ انشاء مدارس خصوصية في فلسطين يتولى العرب ادارتها . ٥ ـ بذل مبلغ معلوم من المال سنويا في سبيل المعارف في سائر البلاد العربية . ٦ ـ مساعدة المصارف اليهودية والصحافة الاوروبية للنهضة العربية الجديدة . ٧ ـ اجبار بنك فلسطين على معاملة الوطنيين نفس المعاملة التي يعامل بها اليهود . ٨ ـ تخصيص مبلغ من المال ينفق سنويا في سبيل المنفعة العربية بالطريقة التي تستسيغها الجمعيات العربية دون ان تعطي حسابا عنها لاحد . ٩ ـ تشكيل لجنة مشتركة من عرب ويهود لحسم سائر المشاكل المحلية في فلسطين ، والنظر فيما يجب اجراؤه لرقيها ونجاحها » . ويشير داغر في رسالته الى انه قد ورد تلغراف من الدكتور جاكوبسون من برلين يقول بان اللجنة التنفيذية توافق مبدئيا على هذه الشروط ، وسيعود الى الاستانة بعد اسبوعين ، ولكن ما يخشاه داغر ان « لا يجد في الاستانة من يتمكن من مخابرته بطريقة تضمن للعرب ما ذكرته آنفا » لان احد كبار الاصلاحيين ـ قد صرح له (اي لداغر) « بان المنافع التي نرجو الحصول عليها يجب ان تنحصر في فلسطين وسوريه فقط » ، وانه « يعاكس كل اتفاق يعقد مع حزب اللامركزية او مع غير اهالي البلاد ولو باسم العرب » . وقد فات هذا الاصلاحي ـ على رأي داغر ـ « ان السبب الذي يضطر اليهود الى هذا التساهل هو خوفهم من حدوث شيء هام في البلاد العربية ، واعتقادهم بان الامة العربية لا تعدم جمعيات ثورية سوف تحدث تغيرا عظيما في البلاد في اقرب آونة » . وان « اليهود اذا شعروا بوجود جمعية قوية ذات تأثير في البلاد العربية يتساهلون كثيرا معها ويساعدونها ماديا ومعنويا على تحقيق آمالها » . انه يدعو (العظم) الى التفكير مليا بهذه المسألة ، « ولا بأس اذا خابرتم عزيز بك (؟) بصورة سرية واتفقتم معه على عمل ، وانا انتظر جوابكم في القريب العاجل لان الدكتور جاكوبسون يعود من اوروبه بعد اسبوعين ... » (٢٢٢) .

البلغاريين بوزير الزراعة سليمان البستاني وكوفيء سفير على ذلك مكافأة مادية بينما تعفف داغر عن الاستفادة ، ولما علم سفير بان داغر يعرف شخصيات عربية عرفه بالدكتور جاكوبسون الذي طلب منه ان يجمعه ببعض هذه الشخصيات (وكان داغر عظيم الثقة بنائب دمشق ف.خ) ولذلك كتب الخطاب الى رفيق بك .

٢٢٢ ـ كانت جريدة **فلسطين** قد المحت الى المباحثات الجارية في الاستانة (١٩١٤/٧/١٤) فقد ذكر مراسل

(التتمة على الصفحة التالية)

٦ ـ تراجع عن محاولات الاتفاق وبداية عمل عربي منظم للمواجهة :

وهذه الامور التي كانت تجري ، سواء في الخفاء او علنا ، لم تقلق الفلسطينيين وحدهم بل اثارت تساؤلات لدى الدوائر القومية في بيروت والتي لا تمثل جماعة الاصلاح وحدهم بل اقطاب جمعية العربية الفتاة ولسان حالهم جريدة (فتى العرب) . وكانت تربط هؤلاء بجماعة اللامركزية صلات قوية ، منذ عملوا معا على تنظيم المؤتمر العربي الاول في باريس وتوثقت الصلات اكثر مع انتقال مقر الجمعية السري الى بيروت (٢٢٣) . فكتب محمود المحمصاني الى حقي العظم مستفسرا عن عدة نقاط بخصوص الصهيونيين وملاحظته هو وسائر (الاخوان) على اقتراح رفيق العظم عقد مؤتمر مشترك . ورد رفيق العظم على هذه التساؤلات في رسالة مطولة (٢٠ تموز ، يوليو) (٢٢٤) حول العلاقات الصهيونية العربية منذ بدايتها ، هدفه كما يقول ان « اريح بالهم من هذه الجهة وانوّرهم في المسألة ... ليطّلعوا عليه ويكونوا على بينة من الامر » . وتكشف رسالة العظم ان الصهيونيين هم الذين بادروا فور تأسيس حزب اللامركزية وقيام الحركة العربية الى ارسال احد زعمائهم الى مصر (٢٢٥) لاختبار حالتهم ، وهو الذي حضر مؤتمر باريس « فقابلنا وتفاوض معنا في مركز اليهود بازاء الحركة العربية الفتاة ، فأفهمناه اننا جماعة مبدؤنا الديموقراطية وعندنا ان كل ابناء الوطن السوري سواء في الحقوق والواجبات ، وان اليهود اذا تجنسوا بالجنسية الوطنية كانوا كغيرهم من ابناء هذا الوطن على شرط ان تحدد هجرة الصهيونيين الى البلاد وان لا يبقى منهم شخص اجنبي لا يتجنس بالجنسية العثمانية ، وان يعلّموا في مدارسهم اللغة العربية ويعلّموا ابناء البلاد في هذه المدارس ، الى غير ذلك من الشروط ... » . ورسالة العظم بعد ذلك تشير الى انه لم يعقب حضور هذا الصهيوني مؤتمر باريس شيء ، ويظهر ان الصهيونيين « قد ساوموا الحكومة على ما يريدون... فنامت عنهم واخذت مهاجرتهم تزداد وشراؤهم للاراضي يكثر ، فأصبحنا امام امر واقع اذا لم تتخذ فيه كل الوسائل السياسية كان للصهيونيين الغلب ، وكان اليهم مصير فلسطين » ، لذلك فان حزب اللامركزية ـ كما يقول العظم ـ قد لجأ « بتهديدهم بطرق غير النشر ، ثم بالنشر ، حتى ايقنوا اننا غير نيام وان الحركة العربية ليست من

الجريدة في الاستانة بانه « قد اشير مؤخرا على رجال الصهيونية عندنا ان يسعوا للاتفاق مع كبار الامة العربية فدعوا لمأدبة بعض مبعوثي العرب واحد الاعيان ، وتكلم زعيم الصهيونيين عن تشريك مساعي الصهيونيين ورجال العرب لاصلاح فلسطين باتفاق يعقد بين الجهتين ، حتى اذا رضيت العرب عن الصهيونية لا تتأخر المدارس والمصارف الاسرائيلية عن فتح ابوابها الاولى للتلامذة والثانية للفلاح العربي وتعاملهما كمعاملة اليهود . فلم يقنع المجتمعين هذا الكلام لعلمهم بان منفعة الصهيونيين قائمة بتكثير عددهم في فلسطين وتقليل عدد العرب الى ان يحصلوا على الاكثرية فيديرون الدفة كما يريدون اقتصاديا وسياسيا » .

٢٢٣ ـ بين مجموعة اوراق محب الدين الخطيب : المراسلات السرية بين اعضاء العربية الفتاة وجماعة اللامركزيين في القاهرة من اجل تهيئة الرأي العام لنشر الفكرة القومية العربية عن طريق الصحف والنشرات والنوادي والتشكيلات السرية .

٢٢٤ ـ من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٢٢٥ ـ حسب تقرير هوخبرغ ان المبادرة جاءت من سليم النجار ، وكانت دعوة مفتوحة قد عرضت في **الاهرام** منذ شباط (فبراير) ١٩١٣ .

الضعف بالمنزلة التي يتوهمون ، ولا سيما بعد ان عرفوا ان حزبنا في فلسطين هو الذي يخشى جانبه » . وكانت النتيجة ـ كما يضيف العظم ـ « انهم اوعزوا الى بعض زعمائهم في فلسطين ان يخابر احد افراد حزبنا للاتفاق مع العرب ، وتعرّض احد زعمائهم في الاستانة الى بعض انصارنا هناك وفاتحه بهذه الفكرة فكتبوا الينا بذلك ، وبما ان المسألة الصهيونية اصبحت من المسائل التي لا تحل في الخفاء فقد كتبت ذلك الاقتراح وكنت قبله ارسلت آخر مقالة في الصهيونية للمقطم فتأخرت في الادارة ونشرها ثم نشر بعدها بيوم الاقتراح وكان ذلك هو محل استغرابكم والعظم يكمل دفاعه عن نفسه بالتعهد : « اننا باذلون الجهد في حل هذه المسألة على وجه ينفع العرب وينفع فلسطين ، خاصة واننا نشتغل باخلاص لهذا الوطن لا تشوبه شائبة قط » ، نرجو ان يتوفق الى ذلك اذا لم يحل ارباب الاهواء في الاستانة وغيرها ، خصوصا من بني قومنا ، دون هذا الاتفاق رجاء جر المنافع الشخصية التي نحن بعيدون عنها بعد الارض عن السماء » . واشار رفيق العظم الى كتابات (**الكرمل**) وتعريضها به (برفيق العظم) واتهمها بانه ليس لها سبب الا « ان بعض الصحافيين الفلسطينيين من اخواننا المسيحيين ينظرون الى المسألة من الوجهة التي تخالف وجهتنا لاسباب اتحاشى بسطها ، وقد ظهر ذلك من صاحب جريدة فلسطين الذي كان في مصر في الاسبوع الماضي ولم يرضه اقتراح عقد المؤتمر ، اذ ربما كان يرى ان الاتفاق على حل هذه المسألة لا ينبغي ان يدخل فيها غيرهم لاجل ... ولعله هو الذي اوعز لصاحب الكرمل بكتابة ما كتب » (٢٢٦) . وفي خاتمة رسالته يطمئن المحمصاني (والاخوان) جميعا كي يكونوا على ثقة تامة من « اننا لا نألو جهدا في تخيّر احسن الطرق لمنفعة الوطن ، وان عنايتنا بالمسألة الصهيونية ما هي الا لاجل الوطن ، واما اولئك الذين ينظرون الى مصالحهم الشخصية قبل كل شيء او الى اهواء نفوسهم التي لا حد لها فدعوهم يقولون ما يشاءون ... » .

يبدو ان دفاع العظم كان له اثره على (فتى العرب) ، مع انها لم تتفق معه في آرائه ، فقد بادرت الجريدة بعد ايام (٢٢٧) ، تطلب من الصحف التريث في الحكم حتى تتضح النتائج « فالعلاّمة الذي جاهر بمقاومة اخطار الصهيونية في مواقف عديدة ليس من الحكمة ان نشينه من حسن نيته لمجرد رضاه بانعقاد مؤتمر لم ينعقد ولا بتت النقاط التي تدور حولها ابحاثه » . ان (فتى العرب) « لا تشك بان الخطر الصهيوني اكبر من ان يمكن تلافيه بعقد مؤتمرات كهذه ، ولكن لكل امرىء ان يجتهد في المصلحة العامة بما يوحيه اليه ضميره واخلاصه » . ولكن دعوة (فتى العرب) بعدم الاغراق في التشاؤم لم تهدىء مخاوف الصحافة في فلسطين . فكتب مراسل (**فلسطين**) في الاستانة (٢٢٨) ، معلقا على ما يدور من مباحثات بين زعماء الصهيونيين وبعض رجالات العرب في الاستانة بقوله « ... وكما ان كل صهيوني وضع نصب عينيه امتلاك فلسطين ، يجب على كل عربي ان يضع نصب عينيه المدافعة عن فلسطين ، فهم يهاجمون ،

٢٢٦ ـ يشير الى مقال **الكرمل** الذي يطلب به زعيما ثابتا كطلعت .

٢٢٧ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٦/٢٠ .

٢٢٨ ـ **فلسطين** ، ١٩١٤/٧/٤ .

والوطنيون يدافعون ، والنصر مكفول للوطنيين لانهم موجودون في استكحاماتهم ، هذا اذا لم يخنهم قوادهم ـ اعني زعماءهم » . وعلقت الكرمل على منشور كان يوزع في القدس (٢٢٩) ، حول استفحال الخطر الصهيوني ، ودعوة الناس الى وضع برامج واضحة للدفاع تتلخص في : مطالبة الحكومة بصد التيار . السعي لتقوية التجارة الوطنية والصناعة . عدم بيع الاراضي . وقف المهاجرة من فلسطين . مطالبة الاوقاف بانشاء المدارس . السعي لجعل اللغة العربية لغة التعليم . غرس حب العمل في قلوب الوطنيين والاخذ بناصر المدارس الوطنية ... علقت بقولها « ... لا تلوموا الصهيونيين بقدر ما (تلوموا) زعماء بلادكم » . وحتى المحمصاني نفسه ، الذي خصه رفيق العظم بكتاب دفاعه ، كان واثقا ان اطماع الصهيونيين اكبر من ان يوقفها مؤتمر مشترك ، فكتب الى رفيق العظم من بيروت في ١١ تموز (يوليو) (٢٣٠) « بلغنا من مصدر نثق به تماما ان الحكومة بالمخابرة مع بنك (لوبل) فرنساوي صهيوني وما اجتمع الداءان الا ليقتلا من اجل بيع اراضي غور بيسان له لقاء دريهمات ٥ ـ ٦ ملايين ليرة ، وبالطبع جاويد آلة الصهيونيين هو صاحب المفاوضة ، فاذا لم نتدارك الامر بالاحتجاجات والكتابات فالضرر حاصل لا محالة . فأرجوك ان توقف اخينا حقي بك على الامر وكذا سائر اخواننا لمخابرة من يمكنكم مخابرته والاعتماد عليه في تلك الاصقاع للاعتراض على تلك الجناية الجديدة والاحتجاج بجميع الصور . ونحن هنا نتهيأ لحرب قلمية من اجل ذلك » .

ولكن ، هل تراجعت اللامركزية نهائيا عن فكرة الاتفاق ، او الدعوة لعقد مؤتمر مشترك ؟... ليس في المصادر العربية (السرية والعلنية) بعد ذلك اي اشارة ، سوى تلك الرسالة التي بعثها اسعد داغر الى رفيق العظم من الاستانة في ١٤ تموز (٢٣١) يخبره بعودة جاكوبسون من اوروبه وانه قد اخبره « بان كافة احزاب الجمعية الصهيونية قبلت ـ بكل سرور وارتياح ـ الاتفاق مع العرب على الاساس الذي اشار اليه ونشرته في المقطم » . ويضيف داغر ان جاكوبسون قد كلفه باهداء العظم احترامه الفائق وسؤاله تعيين المدة التي تناسبه لعقد المؤتمر ، كما طلب منه ان يستشير العظم بالخطة التي يجب عليه اتباعها ، ولذا يلح داغر على رفيق العظم ان يكتب مفصلا بهذا الشأن اما له واما لنجيب بك شقير (٢٣٢) . ويشير الى حديث له مع الشيخ اسماعيل الحافظ (؟) الذي « يرى وجوب عقد المؤتمر باسم العرب لا باسم الفلسطينيين فقط وهذا هو رأي سليم بك الجزائري واصحابه « ... ويتوقع داغر ان يكتب اسماعيل الحافظ بهذا الموضوع للسيد رشيد رضا » . داغر يطلب من العظم ان يفكر بالامر ولا يترك مجالا للقيل والقال ، كما يخبره انه قد كلف بعض الاصلاحيين بمخابرتهم بهذه

٢٢٩ ـ **الكرمل** ، تموز (يوليو) ١٩١٤ .

٢٣٠ ـ من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

٢٣١ ـ **المصدر نفسه** .

٢٣٢ ـ نجيب شقير هو رئيس جريدة **بيام** ، لسان حال الحركة العربية في استامبول ، (باللغة التركية) وهو درزي من لبنان ، وكان ليختهايم يعلق عليه آمالا كبيرة في محاولات التقريب . وقد روى في مذكراته ان نجيب شقير كان من الذين رافقوا (فيصل) الى مؤتمر السلم ولعب دورا في التقريب بين وجهات نظر فيصل والوفد الصهيوني ... انظر Cohen, A., pp. 109 - 110

المسألة ، « فاهتموا باقناع جمعية بيروت لارسال معتمد جدير بالثقة الى المؤتمر الذي يعقدونه في مصر » .

الواقع ان فكرة عقد المؤتمر قد فشلت في وقت سبق تاريخ هذه الرسالة ، كما تكشف بذلك المصادر الصهيونية (٢٣٣) وقد قدم جاكوبسون امام اللجنة التنفيذية (اول حزيران ، يونيو) تقريره عن المسألة العربية مبينا انه بين العرب توجد دوائر ترى الفوائد اللازمة للهجرة اليهودية ، ولكن هناك شكاوى من انعزالية المستوطنين وضواحيهم ومدارسهم الخاصة وشعار العمل اليهودي الموجه ضد استخدام العرب من قبل اليهود . العرب خارج فلسطين مستعدون لمناقشة المسألة من وجهة نظر عربية شاملة ، ويفترضون ان باستطاعة اليهود مساعدتهم ، ولكنهم فرضوا شرطا مسبقا : ان يوافق عرب فلسطين على نتائج اي مفاوضات ، وتتحدد مطالبهم في : ان يصبح اليهود الذين يستوطنون في فلسطين رعايا عثمانيين . وان لا يستوطن اليهود في فلسطين بل في بلاد عربية اخرى . يجب ان يتعاونوا في الحياة العامة . قبول الاطفال العرب في مدارسهم . قضية بحث استثمار مشترك لامتيازات يتولاها العرب . ولكن لم تبحث مسألة المؤتمر المقرر عقده في اول تموز (يوليو) في اثناء المناقشة فقط اشارة غامضة عن « اخذ المسألة العربية بعين الاعتبار والبحث عن طريقة للاتفاق والتسوية معها » . وفي نهاية حزيران ، لما كان يوم الاجتماع يقترب ، تقرر تأجيله عدة اسابيع (٢٣٤) . ويوقع سوكولوف ، في رسالة بعثها من لندن في ١٩١٤/٧/٥ الى جاكوبسون في برلين (٢٣٥) ، اللوم في تأخير المؤتمر وافشاله على العرب ، اذ انه خلال مباحثاته بين بيروت ودمشق واستامبول حول وجوب عقد المؤتمر ، لم يكن قد حدد بعد مكان وزمان المؤتمر تماما ، لان العرب « المهتمين بمثل هذا المؤتمر يسعون الى ضم شخصيات اخرى لها وزنها ، حتى يعطوا لانفسهم صبغة متحدة ذات هيبة » . ويقول سوكولوف : « انه قد وجد مبررا ملائما لتأخير عقد المؤتمر الى الخريف بسبب عدم الاتفاق على مكان الاجتماع (٢٣٦) ولو امكن اتفاق السادة ــ كما يضيف سوكولوف « ... لاصبحوا في نظرنا هادئين وجادين في مباحثاتهم في ذلك المؤتمر » . كان سوكولوف كما يبدو من رسالته يرغب في الدخول مع العرب في محادثات ليعرف « ماذا يريدون » ، ولذا لم ير معنى لتردد جاكوبسون « ضد تدخلنا الرسمي المبكر ، ولقد كنت في بادىء الامر مترددا مثلك ، لان ايدينا حرة » ، وهو يقترح على جاكوبسون ــ لو ان هذا المؤتمر قد تعطل لسبب او لآخر ــ ان يخبر روبن برقيا « وبذلك يمكن ان يكون الاجتماع شخصيا في دائرة ضيقة تتوسع فيما بعد ونحتفظ بتصرفنا الرائع وسلوكنا المهذب » .

---

٢٣٣ ــ كشفت رسالة (ماندل) في الفصل العاشر ، وكذلك مقال (السبرج) حذرا كبيرا من الارشيف الصهيوني حول هذا الموضوع .

٢٣٤ ــ يقال ان ناصيف الخالدي لما سمع خبر تأجيل الاجتماع اخبر احد الزعماء الصهيونيين « كونوا حذرين جدا يا سادة الحركة الصهيونية... الحكومات تأتي وتذهب ولكن الشعب يبقى دائما...».

٢٣٥ ــ رسالة سوكولوف (بالالمانية) من ملاحق مقال (السبرج) .

٢٣٦ ــ كما ورد في رسالة سوكولوف ان محمد كرد علي اقترح ان يكون الاجتماع في دمشق ، بينما اقترح (كالفارسكي) ان يكون في (روش بينا) ورأى نجيب شقير ان يكون في مصر .

ويحاول (السبرج) ان يبحث عن اسباب تعثر عقد المؤتمر : فقد اصر الزعماء العرب على ان يشترك من جانب الحركة الصهيونية في المؤتمر زعماء مثل سوكولوف والدكتور جاكوبسون ، لا ممثلين غير معتمدين ، لاتخاذ قرارات مسؤولة . ولكن اللجنة التنفيذية الصهيونية انتخبت مندوبيها عن ممثلي الاستيطان وترددت بارسال زعمائها ، حتى انها لم توافق على اشتراك الدكتور روبين . ويرجع (السبرج) تردد اللجنة التنفيذية الصهيونية الى عاملين: «خشية اثارة غضب الاتراك بسبب المفاوضات الصريحة مع العرب حول المشكلات السياسية من جهة ، ومن جهة ثانية لم يكن لديها مقترحات عملية لتقديمها بحيث يمكن ان تسكّن مخاوف العرب ، ومن ثم فقد اعتقدت انه من الافضل عقد مؤتمر في مستوى عال اكثر من عقده ورؤيته ينتهي بالفشل» (٢٣٧) .

لكن الموقف العربي في فلسطين وخارجها كان يتحول في غير صالح المؤتمر المشترك، او قبول مبدأ الاتفاق ، وربما كانت الامور في فلسطين اكثر وضوحا ، حيث كانت اعمال الصهيونيين تناقض دعواهم بالتقارب ، وسعيهم الى تحقيق غايتهم كان سعيا حثيثا سريعا . ونقلت (مرآة الغرب) قول احد زعماء الصهيونيين : « لا بد ان نشتري الارض ... ان لم يكن منك فمن اولادك » (٢٣٨) . لقد كان شراء الارض هو الخطة العامة التي سار عليها الصهيونيون (٢٣٩) ، وامتدت اطماعهم الى اراضي الاوقاف بعد ان كان الوطنيون مطمئنين الى ان الصهيونيين لا يجدون سبيلا الى شراء تلك الاراضي فتبقى على الاقل بنجوة من نفوذهم وسيطرتهم (٢٤٠) ، فمدوا ايديهم الى اوقاف المسلمين ، في اراضي السدرة (الواقعة قرب الرملة) (٢٤١) ، فأخرجوا اعلانا شرعيا من غزة بكون هذه الاراضي اميرية وخصصوها ببضعة اشخاص دون المستحقين فيها، واخذوا بواسطة وكيلهم داود مويال يسعون لمشتراها . وتطاولوا كذلك على اوقاف المسيحيين ، في جهة من جهات القدس تدعى (النيكوفورية) التابعة لدير الروم ، وقد اوقفها احد رهبان دير الروم (نيوكوفورس) واشيع ان احد رجال الدير يسهل على بيع الوقف الذي اؤتمن عليه (٢٤٢) . وقد نقلت الكرمل (٢٤٣) اخبار عمليات الشراء واشاعات البيوع الجديدة المتزايدة ، ومنها اتمام المفاوضات مع الخواجات تويني لبيع قريتي جيدا وتل الشمام (مرج ابن عامر) ، وكذلك مفاوضات (خانكي) السمسار الصهيوني المعروف في الاسكندرية مع اسكندر سرسق لمشترى قراه في منطقة الناصرة، كما قيل ان نقل الجالود وتل العز من جنين الى الناصرة لتسهيل بيعهما وللتخلص من قرار مجلس ادارة نابلس بعدم البيع للصهيونيين ، والمفاوضات لاتمام معاملة زرغانة

---

٢٣٧ ــ يرجع كالفارسكي السبب الرئيسي الى عدم عقد المؤتمر الى ان اليهود لم يتحققوا من اهمية الحركة العربية القومية وحتى انكروا وجودها .

٢٣٨ ــ **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٧/٢١ .

٢٣٩ ــ اطلقت **مرآة الغرب** عليها قصة « ابريق الزيت » الرواية التي ليس لها نهاية تقف عندها (مرآة الغرب ١٩١١/٨/٢٩) .

٢٤٠ ــ **الجريدة نفسها** ، ١٩١٤/٧/٢٨ .

٢٤١ ــ **فلسطين** ، ١٩١٤/٦/٢٧ .

٢٤٢ ــ **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٧/٢٧ .

٢٤٣ ــ **الكرمل** ، اول تموز (يوليو) ١٩١٤ .

في حيفا وبيوع جديدة في طبريه . ولم تكن معظم الاراضي التي يتم شراؤها متروكة او مواتا ـ كما يدعي الصهيونيون ـ والا لما شعر الوطنيون بالمزاحمة على اراضيهم (٢٤٤) . ولم يصاحب عمليات الشراء طرد اهلها منها فقط ، بل تجاوز الصهيونيون حدودهم في القرى التي اشتروها للتعدي على سكان القرى المجاورة واكراههم على الخروج من ارضهم وبيعها لهم . من ذلك ما حدث في قرية (لوبيه) في قضاء طبريه (٢٤٥) وما حدث في احدى القرى القريبة من القدس (٢٤٦) . يضاف الى ذلك حوادث التعديات المختلفة التي يشنها سكان المستعمرات على ابناء القرى المجاورة (٢٤٧) مستغلين تساهل السلطات معهم وسماحها بالتسلح . وقد علقت مرآة الغرب على حادث اشتباك مسلح جرى بين اهالي قرية غابة الجركس وبين اهالي الخضيرة اليهود ، بسبب اعتداء الآخرين على ارض تخص سكان القرية الاول وزراعتها بالقوة بقولها « ... هذا ما توصل اليه المستعمرون الاسرائيليون الذين كانوا قبلا يوصفون بالمسالمة او الجبانة اصبحوا الآن وقد اشتد ساعدهم فأخذوا يعتدون على اهالي القرية موصوفين بالشدة والبأس ، فماذا يكون نصيب سائر البلاد معهم بعد ان يزداد عددهم ويملكوا مواردها الاقتصادية ويقبضوا على اعنة الثروة » (٢٤٨) . ثم ان اهالي فلسطين كانوا يلمسون بانفسهم ان اليهود الاجانب الذين حلوا بفلسطين قد اصبح لهم كل مقومات الحكم الذاتي في مستعمراتهم واحيائهم ، لهم نقود صهيونية خاصة (٢٤٩) ، ولهم بريد خاص بين مستعمراتهم تلصق عليه طوابع صهيونية (٢٥٠) ولا يستعملون الا العبرية في لافتاتهم وفي اسماء شوارعهم واعلاناتهم ، احتفالاتهم التي تجري في المستعمرات (وخاصة في داران ورحبوت) وفي المدن الكبرى ، تتجلى فيها المظاهر القومية : الاناشيد والهتافات والاعلام ... الخ (٢٥١) .

---

٢٤٤ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٥/٣١ .

٢٤٥ ـ كان اهل القرية قد رفضوا البيع للصهيونيين فدبر هؤلاء حيلة باتهام اهل القرية تقبل يهود المستعمرة المجاورة .

٢٤٦ ـ **فلسطين** ، ١٩١٤/٧/٢٥ ، وكان نصف القرية الاولى قد ابتاعه الصهيونيون عام ١٣٠٨ هـ الذي صادف سنة قحط عرفت بفلسطين بعام العسرة ، واضطر قسم من الوطنيين الى الاقتراض من المصارف الصهيونية ... وبيعت املاكهم قسرا لتسديد الديون ، وعمد الصهيونيون بعد ان قوي نفوذهم الى التفريق بين اهل القرية وتضييق السبل عليهم حتى يضطروهم الى بيع اراضيهم بالنزر اليسير . **الاقدام** ١٩١٤/٧/١٩ .

٢٤٧ ـ حادثة عبد الله زيدان وتعدي اهل مستعمرة مليس عليه وضربه وسجنه في تل ابيب ، وافردت **الاقدام** (٦/٢١) لهذا الحادث وحوادث مشابهة بحثا خاصا تحت عنوان (فضائح الصهيونيين في فلسطين) .

٢٤٨ ـ **مرآة الغرب** ، ١٩١٤/٤/٤ .

٢٤٩ ـ **فتى العرب** ، ١٩١٤/٦/٢٥ تذكر خبر عثور دائرة الشرطة في دمشق على نقود من النحاس وعليها شارات صهيونية .

٢٥٠ ـ **الاقدام** ، ١٩١٤/٧/٢٧ . نشرت صور ٦ طوابع صهيونية (بريد بيت دجن) القدس ، طبريه ، الخضيرة ، تل ابيب وصفد وكلها مزينة بالرسوم ومكتوب عليها بيت اسرائيل .

٢٥١ ـ **الاقدام** ، اول آب (اغسطس) ١٩١٤ وصف لاستعراض الجيش العثماني في حديقة البلدية في القدس ، وقد وجد صاحب الجريدة المكان غاصا بالصهيونيين ممتلئا باناشيدهم واعلامهم وتساءل : « ... ألم تدعنا البلدية لحضور استعراض الجيش العثماني ؟... » .

ولما كان اسلوب الجيل القديم قد عجز عن وقف هذا الخطر ، فان الراي العام في فلسطين قد بدأ يتولى قيادته الشبيبة المثقفة ، التي تنبه شعورها الوطني ، واملت القيام باعمال تنهض باحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية حتى تتمكن من مواجهة الخطر ، وكانت اول خطوة في العمل المنظم هي تشكيل جمعيات فلسطينية لاصهيونية داخل فلسطين وخارجها . واشارت الكرمل الى تأليف طلبة الازهر من الفلسطينيين جمعية لاصهيونية (٢٥٢) وكذلك تأليف طلبة نابلس في كلية بيروت الاميركية جمعية الشبيبة النابلسية (٢٥٣) ، والقى محمد المحمصاني خطابا في حفلتها التدشينية . ونقلت الكرمل والاقدام خبر « تأليف الشبيبة الفلسطينية في الاستانة ، جمعية تسعى لجمع كلمة الفلسطينيين وتأليف قلوبهم على الخصوص وقلوب العرب على العموم ، للسعي وراء ما يعود بالنفع على البلاد وعلى الاخص مقاومة التيار الصهيوني » ، وانتخبوا خمسة منهم لوضع لائحة بخطة الجمعية وقررت الشبيبة وجوب العمل بمقتضاها بعد رجوعهم الى بلادهم وجعل مركز الجمعية في القدس وفتح شعب لها في انحاء فلسطين وشعبة دائمة في الاستانة ، كذلك مخابرة المبعوثين واصحاب الصحف لاعداد الافكار لهذا المشروع (٢٥٤) . كما افتتحت في نابلس «جمعية الشبيبة النابلسية» وهي جمعية ادبية تعمل على بث روح التعاون والاخاء وتتولى ارسال طلاب في كل سنة الى المدارس الراقية على نفقتها (٢٥٥) . وتفاءلت جريدة فلسطين من يقظة النشء الجديد وتحسسه بالخطر الصهيوني كي يحقق ما عجز النشىء القديم عن انجازه (٢٥٦) .

وسعت جريدة الكرمل الى دعوة الشبيبة المتعلمة كي تحول دون انتقال الاراضي من ايدي الوطنيين ، وذلك بالتأثير الادبي على اصحاب هذه الاراضي : « اذا لم تستطيعوا ان تمنعوا آبائكم عن بيع اوطانكم ، فلا اقل من ان تحتجوا عليهم وتتبرأوا من اعمالهم وتخرجوا من بيوتهم ، فخير لكم ان تكونوا فقراء شرفاء من ان تأكلوا خبز بيع الارض لذوي المطامع السياسية فيكم ... » (٢٥٧) . ودعا نصار الشبيبة ان تعمل

---

٢٥٢ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٥/١٥ .

٢٥٣ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٥/٢٩ ـ **الاقدام** ، ٢١ حزيران (يونيو) .

٢٥٤ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٦/١٢ ـ **الاقدام** ٦/٢١ .

٢٥٥ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٦/٢٣ .

٢٥٦ ـ **فلسطين** ، ١٩١٤/٧/٢٩ . ونقلت الجريدة مشاعر احد الطلبة الفلسطينيين (من عائلة ابي خضرة) قدم غزة من بيروت لقضاء اجازة الصيف ، وشهد الاحوال في البلاد المهددة بزحف الخطر الصهيوني ، فبعث برسالة يحث ابناء وطنه على حفظ البلاد قبل ان تقع مرافق البلاد في ايدي الصهيونيين .

٢٥٧ ـ **الكرمل** ، ١٩١٤/٧/٣١ ـ مقال « يا شبيبة فلسطين ثبتي وجودك ... » وذلك بمناسبة ما ذكرته جريدة **فلسطين** (١٩١٤/٧/١١) عن اشاعة بيع اراضي السر في بئر السبع ، وكانت هذه الاراضي (٣٥ الف دونم) تخص عشيرتين في بئر السبع ، وقد ضبطتها الحكومة منذ ١٢ سنة بسبب نزاع بين العشيرتين . وقد طمع الصهيونيون بشرائها واشيع ان ذلك سيتم بواسطة رئيس بلدية غزة (سعيد الشوا) ومفتي غزة (احمد عارف الحسيني) وقد عمد كلاهما الى تبرئة نفسه من التهمة برقيا الى ادارة الكرمل ، مبينين حقيقة الاشاعة ، وانهما ما تقدما لشرائها الا انقاذا من بيعها للسماسرة الذين استغلوا حاجة القبيلتين للمال . وقد انحى الزعيمان باللوم على صاحب الكرمل للتسرع في نقل الاخبار ، الا انهما جعلاه في حل مما كتبه في المقال السابق « مقابل الخدمات التي يخدم بها الوطن » . وبادر صاحب الكرمل للاعتذار للحسيني والشوا .

مستقلة عن الزعامات القديمة التقليدية ، وتعتمد على نفسها في سعيها لانهاض احوال البلاد ما دام الجيل السابق قد عجز عن تكوين الرأي العام النافع « ... ولا ينفي ذلك وجود ذوي مبادىء رفيعة في الجيل السابق ، ولكن هؤلاء يعاونون الشبيبة بمالهم وآرائهم من دون ان ينتظروا تقليدهم زعامتها ، لان الذين تقلدوا زعامتها من قبل اتخذوها سلّما لنيل مآربهم ... » . الا ان عدم ثقة صاحب (الكرمل) بالزعامات التقليدية لم يعن مطلقا ابتعاد او ابعاد هذه الزعامات عن الساحة . وهذا النقد اثار همتها لعمل موحد مع الجيل المثقف ، واشارت الاقدام الى برقية مشتركة رفعها اعيان القدس ورؤساء جمعياتها وشركاتها وشبيبتها في القدس وخارجها الى وزارة الداخلية ومبعوثي فلسطين وسوريه تعبر عن الاحتجاج على استمرار الخطر النازل على الاراضي الفلسطينية بسبب الصهيونيين ، مما ينذر بوقوع نتائج مؤلمة ، وتطلب من الحكومة اتخاذ التدابير المعقولة والمؤثرة لوقفه عند هذا الحد (٢٥٨) .

ولم يقتصر العمل ضد الصهيونية على ابناء فلسطين ، بل كانت هناك ادلةواضحة على بوادر عمل عربي منتظم . فمن الاستانة ورد خبر (٢٥٩) بان الامير علي باشا نجل عبد القادر الجزائري ، والرئيس الثاني لمجلس المبعوثان ، الف جمعية اسلاميةلمقاومة التيار الصهيوني ومشترى اراضي سوريه وفلسطين لدى الحاجة لمنع سقوطها في ايدي الصهيونية ، وقد اوجدت الجمعية راس مال لها قدره مليون ليرة . وتأمل الكرمل في تعليقها على الخبر ان تشرع الجمعية لمشترى الاراضي التي قيل ان المفاوضة على بيعها او رهنها جارية كنصف قيسارية بحيفا وجيدا وتل الشمام بعكا وبعض قرى سرسق في مرج الناصرة وبعض قرى الامير علي باشا في طبريه ، كما لفتت انظار الجمعية الى الاشاعة التي ذكرتها (فتى العرب) حول بيع اراضي غور بيسان لمصرف فرنسي صهيوني (٢٦٠) . وقد قابل اهالي فلسطين خبر تشكيل الجمعية بالامتنان ، وارسل ٢٠٠ من شباب القدس (٢٦١) رسالة تأيد الى الامير علي الجزائري لانتخابه رئيسا لتلك الجمعية ، التي اخذت على عاتقها صد" التيار الصهيوني . كذلك نشط بعض المبعوثين العرب في الاستانة من اجل ايجاد حل نهائي وقاطع لقضية الاراضي المدورة ، وخاصة بعد تردد شائعات بيع اراضي الغور . واقترح مبعوث دمشق فارس الخوري (٢٦٢) ان تعطى الاراضي المدورة في فلسطين الى ادارة الخط الحجازي ، واشار على شيخ الاسلام بذلك بصفته صاحب الولاية العامة على عموم الاوقاف ، والتمس

---

٢٥٨ – كان بين الموقعين على البرقية : رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية ، رئيس جمعية الاخاء ، ممثلين عن الشركة التجارية الفلسطينية وعن الشبيبة الفلسطينية في الاستانة وعن الشبيبة الفلسطينية في مصر ، وفي بيروت ، وفي دمشق ، وعن الشبيبة المقدسية وعن نادي مقاصد الشبيبة ، عدا اسماء عدد من الاعيان وأئمة المساجد .

٢٥٩ – **الكرمل** ، ١٩١٤/٧/١٤ نقلا عن **الرأي العام** .

٢٦٠ – **الجريدة نفسها** ، ١٩١٤/٧/١٤ وكانت (**فتى العرب**) قد اشارت لذلك في ١٩١٤/٧/١٢ حول رسالة المحمصاني الى رفيق العظم ١١ تموز (يوليو) عن شائعة البيع . انظر (ص ٢٥١) من هذا الكتاب .

٢٦١ – **فلسطين** ، ١٩١٤/٧/٢٥ .

٢٦٢ – نقلته **الكرمل** في ١٩١٤/٧/١٧ .

منه « ان يحول دون ادخال الاجانب والصهيونيين الى البلاد السورية ، ويسعى لاخذ الاراضي المدورة من الخزينة المالية » ، وساند المبعوثان العرب هذا الاقتراح (٢٦٣) . وتقدم شيخ الاسلام باقتراحه الى الحكومة بتخليها للاوقاف عن الاراضي المدورة حيث تتولى نظارة الاوقاف بعد ذلك بمعرفتها ، ادارة هذه الاراضي واخذ ايرادها ، وصرفه في منافع الاوقاف ، وتنميتها ، ومن جملتها الخط الحجازي، الا ان الاقتراح لم ينفذ.

وفي القاهرة اشارت (الاقدام) (٢٦٤) الى خبر تشكيل جمعية هناك من الشباب العربي الفلسطيني والسوري باسم « جمعية مقاومة الصهيونيين » ، لتكون واسطة للصلة والتفاهم مع اخوانهم في البلاد في أمر التدابير التي يجدر اتخاذها لمقاومة الحركة الصهيونية في البلاد العربية عموما ، وفي فلسطين على الاقل . وقد قررت هذه الجمعية اثر اول اجتماع ان تذيع منشورا تستعرض فيه تقدم تيار الصهيونيين خلال الثلاثين سنة الماضية ، والاخطار التي هددت البلاد ومرافقها الحيوية منه ، وتغاضي الحكومة عن اعمالهم ، وتحث الرأي العام على التنبه للحفاظ على البقية الباقية من البلاد . وقد تقدم القائمون بأمر الجمعية ببرنامج جمعيتهم ، ويتضمن مقاومة الصهيونيين بكل الطرق المشروعة وتنبيه الرأي العام ، توحيد الافكار والاعمال في هذا السبيل ، نشر مبادىء الجمعية بين كل الطبقات ، تأسيس فروع وجمعيات بكافة أنحاء فلسطين وسوريه خصوصا ، السعي في بث روح التضامن بين جميع العناصر التي يتكون منها الاهالي ، تنشيط وتعضيد المشروعات الاقتصادية والتجارية والزراعية ، تنوير أفكار الفلاحين والمزارعين ليتمكنوا من اتقاء أخطار الصهيونيين ، السعي لدى كل من تهمه هذه المسألة لايقاف تيار الهجرة الصهيونية (٢٦٥) .

وكانت القاهرة قد أصبحت مركز النشاط العربي الموجه ضد الحكم العثماني ، وكانت موالاة الاتحاديين للصهيونيين من جملة المآخذ على الاتحاديين ، بدا ذلك واضحا في المناشير التي كانت توزع في سوريه سرا ضد الاتراك ، منها منشور « صرخة الاجيال وصوت الآباء الى الابناء » (٢٦٦) وعليه خاتم (الجمعية الثورية العربية) (٢٦٧) . وبعد أن يعدد المنشور الاعمال التي جناها الاتحاديون ومنها قروض جاويد التي أوقعت البلاد تحت رحمة الاجنبي ، يدعو الى القيام على الترك لعدة أسباب ، منها « تمهيد حقي وجاويد واخوانهما السبيل لامتلاك الصهيونيين بلاد المقدس وأرض فلسطين » ، ومنشور آخر بعنوان « عبرة بالغة » وعليه خاتم الجمعية نفسها (٢٦٨) وفيه تحريض

---

٢٦٣ – **الرأي العام** ، ١٩١٤/٧/٢ .

٢٦٤ – **الاقدام** ، ١٩١٤/٧/١٩ .

٢٦٥ – تستغرب **الكرمل** وهي تعلق على المنشور (١٩١٤/٧/٢٨) كيف تتألف مثل هذه الجمعيات ولا يعلن اعضاؤها اسماءهم حتى يعرفهم الناس ويلتفوا حولهم فالتكتم في هذه الامور يترك مجالا للشك .

٢٦٦ – **371/2136/42807**
ارسل القنصل البريطاني في دمشق (٧/٢٤) وكذلك القنصل البريطاني في بيروت (٧/٢٥) نسخة عن هذا المنشور الى السفير في الاستانة .

٢٦٧ – نسخة من المنشور بين اوراق محب الدين الخطيب (ولذلك يظن ان هذه الجمعية لها صلة بحزب اللامركزية في القاهرة) .

٢٦٨ – من مجموعة اوراق محب الدين الخطيب .

للعرب على القيام بثورة مسلحة ضد الترك ، وتنديد بمساوىء الحكومة التركية التي « تسعى الان تحت طي الخفاء والكتمان بواسطة جاويد ، هذا الصهيوني الملعون لبيع الاراضي التي كان السلطان السابق ضبطها من الاهالي (وهي التي يسمونها بالاراضي المدورة) الى شركة صهيونية يهودية اجنبية ... فهذا كله سيكون عما قريب ملكا للصهيونيين الذين يطردونكم غدا من بلادكم ويكون كل شيء فيها لهم حتى أولادكم ونساؤكم أيضا . »

ولقد بدأ تحول ظاهري في موقف الزعماء السوريين في القاهرة ، اولئك الذين ناصروا فكرة الاتفاق منذ البداية ، ولكن هل كان التحول كاملا ؟ وهل نفضت جماعة اللامركزية يدها من الاتفاق ؟ .. الادلة تشير الى أن مسؤولية افشال مشروع المؤتمر لا تقع على اللامركزية ، فقد ظل زعماؤها يأملون عقده الى آخر لحظة بحجة أنه لمصلحة الوطن ، ولم يتم التراجع نهائيا الا بعد قطع آخر أمل بالوصول الى اتفاق ، ولكن ما يبعث على الاستغراب ان يكتب حقي العظم مقالا في (الاقدام) — ١٢ يوليو — بعنوان : (الحكومة العثمانية والمسألة الصهيونية) ، في الوقت الذي كان أسعد داغر لا يزال مكلفا بمتابعة المفاوضات في الاستانة ، يحذر فيه الحكومة من موقفها المؤيد للصهيونية ، واغفالها اخطار الحركة ، وينبهها الى تحسس الامة العربية بهذه الاخطار ، وبحثها عن وسائل للمقاومة وخاصة تأليف الجمعيات . وان كانت الحكومة « لا يمكنها ايقاف الحركة الصهيونية عند حد لأنها تنتفع بها وترتبط معها بعهود ومواثيق على أن تثبت قدمها في فلسطين لاضعاف العنصر العربي فيها ... » ، فان حقي العظم يوجه انذارا الى الصهيونيين حيث سيرون من العرب عموما ، والفلسطينيين والسوريين منهم خصوصا ، يوما تشيب فيه النواصي وهناك لا تنفعهم تلك الروابط وتلك العهود والمواثيق ... » وتصدت صحيفة صهيونية للعظم فقام هو بكتابة مقال فنّد اتهاماتها نقطة فنقطة (٢٦٩) : فقد اتهمته ان مقاله مزور عليه وقد كتب تحت تأثير خارجي ، ورد على ذلك بأن هذا هو اعتقاده القديم الذي لم يتحول عنه حول هذه المسألة ، واتهمته بأنه قد خابر زعماء الصهيونيين في ايجاد وسيلة لضم مصالحهم الى مصالح الحزب اللامركزي وأن المفاوضة لا تزال جارية لعقد مؤتمر مشترك ... الخ ، ولم ينف العظم ذلك بل قال انه لم يخابر الزعماء بمفرده بل ان الحزب الذي هو فرد منه قد خابرهم . وهو يستحسن عقد هذا المؤتمر والاتفاق مع الصهيونيين على شرط ان تصان مصالح العرب قبل كل شيء . ومع ذلك فهو لا يرى مانعا من ان يعبر عن رأيه في المسألة حتى مع مخابرة الحزب لعقد المؤتمر (الذي لم يعقد بعد ولم يتم الاتفاق) ، ويعود حقي العظم فيؤكد قوة الحركة الشعبية التي تعجز قوة الحكومة والصهيونية عن الوقوف امامها « بل ان ساعة اتفاق العرب آتية تقضي على الآمال الصهيونية وآمال الآخذين بناصرها ... » ، وهذه حقيقة سوف تظهر للوجود « اذا لم تتلافاها الحكومة ويتجنبها زعماء الصهيونيين والعرب معا » . ويرد العظم على اتهام الجريدة الصهيونية له وقبله الشيخ رشيد رضا « بتحريضهما على القيام بعمل وبيل سيعود بالاضرار الجسيمة

---

٢٦٩ — **الاقدام** ، اول آب (اغسطس) ١٩١٤ ، (لا يشير العظم الى اسم الجريدة الصهيونية) .

على العنصرين المتآخيين تبعة ونسبا ومصلحة وسياسة » ، فيجيب بقوله ان « اعمال الصهيونيين في فلسطين اكبر محرض طبيعي على الاعمال الوبيلة » ويضيف : « نحن العرب نريد مقاومة اضرار الجمعيات الصهيونية الاجنبية التي تربطنا بها رابطة او جامعة بعكس الاسرائيليين الوطنيين فانهم اخواننا في الجنس واللغة والوطن والتابعية ... عدا الذين يساعدون الصهيونيين منهم » .

وقد تبين ان حقي العظم هو رئيس الجمعية التي كان قد سبق الاشارة الى تكونها في مصر ، والتي بعثت بمنشوراتها الى سائر جهات فلسطين ، لذلك قام صاحب الكرمل بثورة عنيفة (٢٧٠) يهاجم فيها حقي العظم بصفته احد أعضاء اللامركزية وأنه هو « ورفيق رئيس الحزب من الذين يرغبون في عقد مؤتمر للتوفيق بين مصالح العرب والصهيونيين » ومع احترام نصار لشخصيتهما — كما يقول — « لا نكتم عدم ارتياحنا لقيامهما بتأليف جمعية باسم مقاومة الصهيونية ، في حين انهما يسعيان لعقد مؤتمر للاتفاق مع الصهيونيين ، لان المقاومة دفاعا عن الحياة لا تتفق في عرفنا مع السعي للاتفاق مع الخصم ، الامر الذي لا يمكن حصوله بدون التنازل عن الحياة الوطنية والاستسلام » . وبلغت حدة اتهام نصار اوجها فتساءل عن الداعي لتأليف هذه الجمعية ؟ وهو يرجع ذلك الى « شعورهما بنهضة الشبيبة الفلسطينية لاتقاء الخطر الصهيوني ، فرغبا ان يستجلبا هذه الشبيبة بالضرب على الوتر الحساس ليستخدموها في مصلحة حزبهما بحيث اذا انقادت لهما الشبيبة الفلسطينية يرى الصهيونيون ان لهما حولا وطولا فيوافقونهما على عقد مؤتمر من الصهيونيين وممن يختاره رفيق وحقي من الجمعية التي تكون خاضعة لهما ، فيتفقون على اطلاق يد الصهيونيين في فلسطين بمقابلة مساعدات ربما مادية لحزب اللامركزية وشروط وهمية يفرضها هذا الحزب على الصهيونية » . ويضيف نصار « ... والا فما شأن حقي ورفيق حتى يحسّنا فكرة المؤتمر وهما يعلمان ان الصهيونيين لا يتحولون عن بروغرام الصهيونية الذي هو نتيجة ابحاث المؤتمرات الصهيونية ، ويفاوضا فيها مدير سياسة الجون ترك على اثر قيام الجمعية الاصلاحية وحزب اللامركزية بحركتها ، وأي فضل لهما على فلسطين وخدمة مصالحها حتى يفاوضا مبدئيا بشأن مستقبلها جمعية لها مطامع بهذه المقاطعة من الوطن العربي العثماني ؟ » ، ان كل ما يطلبه نصار من الزعيمين « ان يبرهنا على ثباتهما وأهليتهما بالمثابرة على خدمة حزبهما ، ويكونا قدوة للشبيبة الفلسطينية » . اما بالنسبة للوقت الحاضر فان صاحب الكرمل ينصح الشبيبة في فلسطين ، وسائر البلاد العربية ، ان تعمل مستقلة لتأليف رأي عام وأن لا تدع احدا يتخذها سلما .

ولكن رشيد رضا قدم دليلا واضحا على ان التراجع عن فكرة الاتفاق قد أصبح قاطعا ، وكانت المنار قد نشرت في عدد اغسطس (٢٧١) نقلا عن جريدة فلسطين تعريبا لبعض فصول من كتاب اوسشكين (البروغرام الصهيوني) . وكانت غاية مدير جريدة

---

٢٧٠ — **الكرمل** ، ١٩١٤/٨/٧ مقال (اعملي مستقلة ايتها الشبيبة) .

٢٧١ — **المنار** ، ج ٩ م ١٧ ، آب (اغسطس) ١٩١٤ ص ٦٩٧ — ٧٠٨ .

فلسطين من تعريب الكتاب توجيه الانظار الى البرنامج الصهيوني الذي تعمل فيه جهات متعددة بنفس الوقت بهدف واحد هو الاستيلاء على فلسطين ، اذ يقول أوسشكين « ان الشعب اليهودي وجد بعد كل هذا العناء ان البلاد التي ينشدها ، وهي غاية امانيه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية ، بين ايدي شعب آخر يصارعه اجتهادا ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية » . ويلوم اوسشكين بطء حركة محبي صهيون والتأخر في امتلاكهم فلسطين ويدعو للتمسك ببرنامج بال « فلسطين فقط » . ويعلق رشيد رضا على ذلك « لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين ... ان الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يبقون في (ارض الميعاد) التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا ، وليست أرض الميعاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الان فلسطين فقط بل هي ... تمتد الى سوريه حتى النهر الكبير أي نهر الفرات ... » . وهو يستبعد ان يبيد اليهود الان من فيها من غير اليهود بالسيف والنار « بل يبيدونهم بقوتي الكيد والمال وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما اكبر الامم والدول » ويتساءل « فماذا عسى ان يفعل العرب اصحاب فلسطين من اسباب المحافظة على وطنهم واملاكهم فيه ... على جهل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحميهم ، وعلى جهلهم ايضا بقوة انفسهم وبطريق الانتفاع بها » . مع ذلك فهو ليس مبالغا في التشاؤم اذ لا يقول انه لا يمكنهم ان يعملوا ولكنه يقول « لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع . وليعلموا أنه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الارض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي ، فقوته واستعداده كامنان فيه كمون النار في حجر الصوان تحت الثلج ... فمن ذا الذي يزيل او يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، واين مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذا الزند . » يترك الاجابة عن هذين السؤالين الى الايام ، « فان الجواب عنهما احداث وافعال لا احاديث ولا كلام . »

لا شك ان الشهور القليلة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى كانت غنية بالاحداث ، تصادمت فيها وجهات نظر ، ولعبت فيها عوامل خفية . وكان أمرا غريبا ان تحمل فئة من العرب فكرة الاتفاق مع الصهيونيين وسط عداء قد استحكم منذ سنوات عديدة ، وبعد معرفة اكيدة ببرامج الصهيونية . قد تكون لهذه الفئة دوافعها الخاصة : كاعتقادها بأنه طالما يصعب مقاومة الخطر الصهيوني فعلى الاقل يمكن ايقافه عند حد ، بتقييده بشروط معينة ، وخاصة ان امام الحركة العربية مواجهة اخرى مع الاستبداد التركي . لكن السبرج يحاول ارجاع الامر الى اقتناع الزعماء العرب ان مملكة عربية مقدر لها أن تظهر ، وان المصالح العربية القومية تجعل اتفاقا مع الصهيونيين أمرا ملحا بحيث يمكن الحصول على المساعدة الاقتصادية والتنظيمية والعلمية عن طريقهم . وقد تكون الحجة التي عرضها الزعماء الصهيونيون خلال المفاوضات « بأن لا ينظر الى المسألة من زاوية فلسطينية فقط ، بل لو رغب العرب في تطوير بلادهم ككل عليهم الا يهملوا المساعدة القيمة التي يمكن ان يحصلوا عليها من الجانب اليهودي » قد تركت ـ برأيه ـ انطباعا قويا في اذهان بعضهم .

وكان للصهيونيين كذلك دوافعهم الخاصة للاتفاق ، تعود الى رغبتهم في استغلال الاستياء المتزايد في الدوائر العربية ضد السياسة التركية ، وبهذه الطريقة ـ كما يقول ليختهايم ـ يستحيل على الحكومة ان ترفض طلبهم بحجة انها لا تريد ان تغضب العرب (٢٧٢) . ويأتي السبرج بتعليل آخر عن اسباب الاهمية الكبرى التي وجهت الى المسألة العربية في السياسة الصهيونية ، فقد اصبح الاعتقاد الجازم لدى المسؤولين الصهيونيين بعد حرب البلقان ان انجلترا هي التي ستقرر في النهاية مصير فلسطين ، فاتجهت السياسة الصهيونية عندها نحو خط موال لبريطانيه ، ونظرا لان انجلتره كان يهمها مراعاة الرأي العام العربي والاسلامي في امبراطوريتها ، وكانت في الوقت نفسه غير قادرة على التفاوض مع الحركة الصهيونية ، لان هذا سوف يغضب العرب المسلمين ، فقد اصبح احدى الخطوات الهامة في السياسة الصهيونية تجاه بريطانيه البحث عن تفاهم مع العرب !

وتوقع بعض المصادر اليهودية (٢٧٣) اللوم على الصهيونيين لان جهودهم قد فشلت في الوصول الى تفاهم ، مرد ذلك ان المسائل السياسية لم تلمس فقط خلال المفاوضات ، وظلت المحادثات داخل حدود الامور المادية ، وداخل اطار الامبراطورية العثمانية ، وظل ليختهايم يلح في تقاريره الى اللجنة التنفيذية الصهيونية على العبارة التالية : « انه لا يمكن كسب زعماء الحركة العربية الى قضيتنا الا على اساس واحد ، هو فكرة معاهدة سلم على مقياس واسع بين اليهود والحركة العربية القومية » . ولكن حتى لو وقعت اتفاقية سياسية دائمة مع الزعماء العرب ، هل كان في امكانها ان تهدىء مخاوف العرب ؟ او ان تغير مجرى الاحداث ؟ لو عقد الاتفاق فان الفائدة تعود على الصهيونيين اكثر من الوطنيين ـ على حد تعبير عيس العيسى (٢٧٤) ـ « فهم لن يخرجوا قبل ان ينالوا اعترافا صحيحا بحقيقة مركزهم في فلسطين ، وانهم شركاء للوطنيين فيها بما لهم من المصالح ، فيكتسبون حقا شرعيا لم يكن لهم مع بقائهم على مبادئهم الصهيونية » . الصهيونيون انفسهم كانوا يشعرون ان هناك رفضا عربيا لأي صور الصهيونية ، فقد كتب ليختهايم الى جاكوبسون (٢٧٥) « ان العرب يشعرون ان كل المنافع الاقتصادية والصحية التي سوف نجلبها معنا لا يمكن ان تقاس امام حقيقة ان اي تقدم من جانبنا يزيحهم آليا » .

وكان لا بد من تقريب وجهات النظر العربية ـ بعد ان كاد يصيبها التمزق ـ لاتخاذ موقف موحد ازاء المسألة الصهيونية ، وخاصة ان اخطارا اخرى مهددة كانت تتمثل امام العرب ، وتولت هذه المهمة جمعية « العربية الفتاة » بوضع اقتراح جامع يقف فيه العرب معا ، والسوريون بوجه خاص لصد خطر يهدد ـ ليس فلسطين وحدها ـ بل سوريه كلها . وصاغ محمد المحمصاني هذا الاقتراح في مقال دفع به الى

---

٢٧٢ ـ Cohen, A., p. 101

٢٧٣ ـ **Ibid**, p. 106

٢٧٤ ـ انظر ص ٢٣٩ من هذا الفصل .

٢٧٥ Cohen, A., 105

جريدة الاقدام (٢٧٦)وهو يقر ان حركة اللاصهيونية (أي مقاومة الصهيونية) ، حركة حديثة . وهو نفسه لم يهتم بالمسألة الصهيونية الا منذ اشهر قبل مغادرته باريس ، ولكن الجميع اصبحوا ، بفضل نشاط الكتاب والصحف ، يعتقدون بان الصهيونية خطر على البلاد ويشعرون بضرورة مقاومتها ، « لا فرق في ذلك بين فلسطينيين وغيرهم من ابناء العرب ، ولا سيما في سوريه ، فانهم جميعا متكافلون في هذه المسألة، حسبما يقتضيه التضامن القومي » . ويشير الى ان الشبيبة الفلسطينية ـ بوجه خاص ـ قد بدات تعد نفسها لتأليف الجمعيات المختلفة ، التي لا يشك بأنه سيكون لها شأن عظيم في استخدام القوى المختلفة لاتقاء هذا الخطر . ويرد على قول المتهكمين بأن المقاومة لا تكون بالصراخ والعويل بقوله « ان العاملين على مقاومة الصهيونية يفكرون بوسائل اهم وانجع مما يتصورون ... وفاتهم ان طور القول والكلام يتقدم دائما طور العمل في حياة الفرد والجماعات ... »

ويشير المحمصاني الى ان الجميع على اتفاق تام من حيث وجوب المقاومة ، ولكن يوجد اختلاف بسيط حول كيفية تلك المقاومة ، فهناك فئة تقول بوجوب مقاومة الصهيونيين بسلاحهم العلمي والاقتصادي فقط ، « وفئة ثانية عاملة نشيطة هي اليوم قدام الفكرة العربية ولها مستند عظيم من الشبيبة المتعلمة ... ترى وجوب دفع الخطر الصهيوني بجميع الوسائل التي تتوفر للجماعات المتضامنة القوى المشتركة بالمصلحة » . وهو يرى أننا « لسنا ازاء حركة مباراة ومنافسة ، بل حركة دفاع عن حياة عامة توجب الاخذ بكل طرق المقاومة ، لا فرق بين انشاء الجمعيات والنقابات وبين تأليف العصابات المسلحة » ، يشير الى ان هذه الفكرة آخذة بالانتشار والتقوى في حين ان الفكرة الاولى آخذة في الانتقاص . وبرأيه أنه « مهما بدا من تقصير في حركة اللاصهيونية ، فهيبنت عام في حين انه مضى على التشكيلات الصهيونية وعملهم المنتظم نحو ربع جيل ، مع ما يتوفر لديهم من الوسائل التي لم تتوفر لنا بعد ، كالمال والعلم ومساعدة الحكومة العثمانية لهم ... ولذلك فنحن مع رأينا بالتقوى والانتظام يجب ان نقيس عملنا على جميع ما عند الصهيونيين من القوى العاملة كي يتاح لنا التفوق على حركتهم ونبين لهم كيف تبقى بلاد العرب للعرب » .

ولم يتح نشوب الحرب العالمية الاولى الفرصة لتطبيق هذا البرنامج ، فقد انصرفت الحركة العربية عن ملاحقة تطور المسألة الصهيونية ، لانتقال مركز نشاط الحركة الصهيونية الى مجالات عالمية اوسع من جهة ، ومن جهة اخرى لان الشرق العربي نفسه قد اصبح احدى جبهات هذه الحرب ، فشغلته احداثها .

---

٢٧٦ ـ **الاقدام** ، اول آب (اغسطس) ١٩١٤ .

الفصل السادس

نحو تصريح بلفور : الحرب العالمية الاولى وتطور المسألة الصهيونية في الشرق

١ ـ نظرة عامة :

دخلت القضية الصهيونية في الشرق مرحلة جديدة بنشوب الحرب العالمية الاولى واشتراك الدولة العثمانية (اكتوبر ١٩١٤) الى جانب دول الوسط (المانيه والامبراطورية النمسوية) :

فمع توقع انهيار الامبراطورية العثمانية ، اخذت الدول الكبرى التي لها مصالح في الشرق ، تعمل على اجراء المفاوضات والاتفاقيات الدبلوماسية السرية من اجل توزيع الاجزاء العثمانية في الامبراطورية في حالة انتهاء الحرب (١) . وعلى الرغم من أن فلسطين ، الهدف الصهيوني الرئيسي كانت فقيرة بامكانياتها ومواردها الاولية ، ولم تكن وحدة سياسية وجغرافية متميزة ، الا ان مستقبلها احتل مكانا بارزا في المناقشات الدولية بسبب موقعها الجغرافي الذي جعلها عاملا حيويا وحقيقيا في التاريخ العالمي ، ولاحتوائها أثمن الاماكن المقدسة للديانات الثلاث . وكان أمرا معروفا أن أي تسوية سياسية لمستقبل فلسطين تحوطها الصعوبات والمخاطر . وفي رأي المكتب العربي في القاهرة (في مذكرة وضعت في ١٩١٧/٢/٥ في المسألة اليهودية) : « ان هذه التسوية سوف تثير قضية معقدة ودقيقة تقلق أمن ذلك البلد التعس » (٢) . ولم يكن ذلك الا لوجود عدة مطالب متداخلة ومصالح معقدة في فلسطين لمعظم الدول المشتركة في الحرب ، من فرنسه التي تتمسك بادعاءاتها التقليدية لحماية المسيحيين في سوريه

---

١ ـ Documents on British Foreign Policy, 1st Series, Vol. IV PP. 241 - 51.
تتضمن كل المراسلات الدبلوماسية بين وزير خارجية روسيه والسفير الفرنسي في بتروغراد ووزير الخارجية البريطاني والسفير الفرنسي والسفير الروسي في لندن حول الاتفاقية الواسعة بين الدول الثلاث لاقتسام اجزاء كبيرة من اراضي الدولة العثمانية في آسيه وعرف الجانب الفرنسي البريطاني منها باسم اتفاقية سايكس بيكو باسم الموقعين على الاتفاقية . وكان مارك سايكس احد الخبراء البريطانيين في شؤون الشرق، وجورج بيكو السفير الفرنسي في بيروت حتى نشوب الحرب العالمية الاولى.

٢ ـ P.O. 882/14. Pa 17/6 Arab Bureau Papers.

وهي تجعل فلسطين جزءا متكاملا مع بقيـة سوريه ، الى روسيه التي تندفـع نحـو الاسكندرونة الدافئة تأمل ان تحصل عليها ان لم يكن عن طريق ارمينيه على الاقل عن طريق فلسطين ، او المانيه التي بدأت تتقدم ، منذ الفترة السابقة للحرب ، لتلعب دورا هاما في المنطقة عن طريق مكانتها في الدولة العثمانية من جهة ، ومحاولة استخدام النشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين من جهة اخرى ، لنشر النفوذ الالماني على هذا الامتداد الطويل بين الاستانه وبغداد .

اما بريطانيه فما كانت لتسمح لأي دولـة قوية اخرى بالوجـود على الشاطىء الشرقي للقناة ، بحيث تهدد حكمها في مصر ، وتهدد الطريق الرئيسية للمواصلات بين بلادها وممتلكاتها الاسيويه . فكان لها مصلحة تقليدية في الاهتمام بفلسطين ، زادته الظروف الاستراتيجية الناجمة عن الحرب اهمية ، وخاصة حين أصبحت فلسطين هي المنطقة التي يجب ان توجه منها بريطانيه الضربـة الاخيرة لتركيه لاخراجها من الحرب . ومن أجل تنفيذ خطة سياسية عسكرية للحصول على فلسطين ، ويكون لها الاشراف المنفرد عليها ، اخـذت بريطانيه تتحرك ببط ، فأخرجت فلسطين أولا من دائرة نفوذ فرنسه وذلك بمعارضـة طلب الفرنسيين ضم فلسطين الى المنطقة التي يدعونها ، وهذا ما أوصت به لجنة داخلية عينتها وزارة الخارجية برئاسة دي بنسن عام ١٩١٥ من أجل وضع صيغة سياسية لمستقبل الامبراطورية العثمانية في آسيه : « بأن فلسطين يجب ان يعترف بها كبلد يكون مصيرها موضوع مفاوضات خاصة تهتم بها كل الدول المتحاربة والحيادية » (٣) . ثم وضعتها ثانيا في دائرة نظام الحكم الدولي ، حسب اتفاقية (سايكس بيكو) ، التي وان لم تعط بريطانيه سوى حصة ضئيلة في خليج حيفا وعكا ، الا انها خدمـت مصالحها مـن جهة اخـرى ، اذ ابقت فلسطـين مفتوحة (٤) .

وتمهيدا لنقل فلسطين الى منطقة النفوذ البريطاني ، لجأت بريطانيه الى تعزيز حركة كانت موجودة مسبقا تحت يدها ، وهي الحركة الصهيونية . فمع اعلان الحرب ، واعادة فتح باب المسألة الشرقية حول مصير الاجزاء الباقية للامبراطورية العثمانية ، اصبح تحقيق المطامع الصهيونية اقرب الى الواقع ، وآمنت الزعامة الصهيونية بان خلق الدولة اليهودية في فلسطين هو النتيجة المحتملة لتسوية ما بعد الحرب . ولكن عدم التأكد من الحرب ، والعواطف المتنوعة بين الصهيونيين ، نظرا لتوزعهم بين الدول الحيادية والمتحاربة ، دفعت اللجنة التنفيذية في برلين (٥) في بادىء الامر الى اتخاذ

---

٣ ـ Kedouri, P. 51.

٤ ـ نقلا عن (1939) Cmd. 5974 لمح سايكس بذلك للصهيونيين اثناء المفاوضات التي سبقت تصريح بلفور اذ قال « بان بريطانيه لم تعط اي وعد لفرنسه فيما يتعلق بفلسطين ... وانها نجحت بصعوبة في تجنب مثل هذا الوعد » .
Perlmann, Chapters of Arab - Jewish Diplomacy 1918 - 22 Op. Cit. P. 129.

٥ ـ كانت الادارة العليا للمؤتمر الصهيوني العالمي في العام السابق (١٩١٣) قد فوضت الى لجنة تنفيذية من ٦ اشخاص برئاسة واربورج ونائب رئيس تشيلناو Tchlenow واربعـة آخـرون هم هانتكـه Hantke وجاكوبسون وليفن وسوكولوف . ولما نشبت الحرب كان اربعة فقط من اعضاء اللجنة

(التتمة على الصفحة التالية)

قرار بتعليق كل نشاط سياسي ، وقصر نشاطهـا على الحفاظ على وجود الطائفـة اليهودية في فلسطين ، حيث لعب الدور الهام هنا الممثلون الصهيونيون في الاستانـة واعضاء الاجهزة الصهيونية في الدول الحيادية . واتفق على افتتاح مكتب مؤقت في كوبنهاجن تولاه (جاكوبسون) ليحفظ الاتصال بين الصهيونيين في البلدان المختلفة . ولكن يبدو ان المنظمة الصهيونية كان يتعذر عليها فرض قراراتها على كل اطـراف الحركة واخذت تفقد تدريجيا السيطرة على نشاطات الزعماء الصهيونيين الافراد . وراء هذه الواجهة الحيادية وجدت وجهتا نظر تتصارعان من اجل السيطرة : الاولى تتوقع نصرا المانيا ، وتدعو الى فكرة الاتفاق بين المصالح الالمانية والصهيونية خلال الحرب ، مما دفع الزعماء بالفعل الى موالاة دول الوسط ، والدخول في مفاوضات مع تركيه والمانيه . ووجهة النظر الثانية ، التي يمثلها الزعماء الصهيونيون في بريطانيه ، وضعت ثقتها بنصر الحلفاء ، ورات ان تراهن عليه لتحقيق الاهـداف الصهيونية . وتزعم هذا الاتجاه وايزمـان الروسي الاصل ، واستاذ الكيمياء في كليـة Owens في مانشستر ، الذي ذهب الى حد رفض كل الاتصالات مع اللجنة التنفيذية في برلين ومكتب كوبنهاجن . ونتيجة لاعمال هذه الفئة انتقل مركز الحركة الصهيونية خـلال الحرب الى لندن ، حيث اتخذت ـ وبتعاون وثيق مع الحكومة البريطانية ـ خطوات متتالية بلغت اوجها بتصريح بلفور (نوفمبر ١٩١٧) . ثم عملت على تأمين دعم الدول الكبرى لخطط الصهيونية في فلسطين بعد الحرب . فكسبت بذلك ما حاول هرتزل عبثا الحصول عليه من سلطان تركيه ، وما حاول غيره من الزعماء الصهيونيين الحصول عليه من الاتحاديين .

وفي الوقت الذي كان التخطيط يرسم لمستقبل جزء من العالم العربي بعد الحرب لم تكن المسألة العربية ارضا مجهولة على المخططين ، الا ان ظروف الحرب وما قدمت من فرصة ممتازة لتحقيق الامل الصهيوني تحت الحماية البريطانية ، دفع الصهيونيين ، وهم يقدمون حججهم للمطالبة بالوطن القومي ، الى اهمـال شأن الوجود العـربي . يضاف الى ذلك ان الموقف العربي قد تجمد تجاه المسألة الصهيونية لعدة عوامل منها حالة الطوارىء والبؤس الاقتصادي واساليب القمع التي اتبعت **ضد رجال الحركة العربية** ، مما دفع الحركة العربية الى ان تأخذ اتجاها يبعدها عن الدولة العثمانية . وتراكم هذه الظروف سرّع التفكير بالثورة العربية وتولية قيادتها الى شريف مكة . في وقت كانت بريطانيه تفكر بأن تهاجم الدولة العثمانية عسكريا ، عن طريق رعاياها العرب في هذه المنطقة بالذات وبقيادة الحسين نفسه . ومع أن الحسين رفض القيام بالثورة الا بعد ان وضعت القيادات العربية في دمشق ميثاقا يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء بتحقيقها للقيام بالثورة ، فان العهود البريطانية لم تكن واضحـة او

في برلين ، اذ كان تشيلناو في روسيه ، ثم لحق بوايزمان في لندن ، وليفن كان في الولايات المتحـدة ثم ما لبث سوكولوف ان غادر المانيه الى لندن بعد فترة قصيرة وجاكوبسون الذي كان قبل الحـرب على رأس الوكالة الصهيونية في الاستانة قضى معظم فترة الحـرب في كوبنهاجن ، وظل العضـوان الالمانيان (واربورج وهانتكه) بمكتب المنظمة الرئيسي في برلين في فترة الحرب .

محددة (٦) ، ودخل الحسين نتيجتها في صراع مع الدولة العثمانية جنبا الى جنب مع الحلفاء . وحقق جيش الثورة بقيادة فيصل الخطة المرسومة له وبمساعدات مالية وعسكرية بريطانية دخل دمشق اول اكتوبر ١٩١٨ . وقبل هدنة مودرس في ٣ أكتوبر ١٩١٨ ، كانت القوات العربية قد وصلت محطة المسلمية (شمال حلب) . وهكذا ففي الوقت الذي وصلت الصهيونية فيه الى غاية مساعيها بتصريح بلفور مستغلة الظروف السياسية والعسكرية ، اجبرت الظروف العرب ان يعقدوا تحالفا مع نفس الدولة صاحبة التصريح .

٢ ـ السلطات العثمانية والنشاط الصهيوني في فلسطين :

ولكن قبل ان تخرج فلسطين نهائيا من الدولة العثمانية ، كانت الاخيرة قد وجهت قدرا كبيرا من اهتمامها الى أوضاع اليهود في فلسطين والى النشاط الصهيوني ، كما أنها دخلت مفاوضات مع كل القوى الخارجية التي يهمها امر هذا النشاط . وقد عنى النشاط الصهيوني داخل فلسطين منذ نشوب الحرب ، بشكل خاص ، بعدة مشاكل نجمت عن أن كثيرا من المؤسسات الصهيونية واليهودية في فلسطين كانت قد تمتعت من قبل بحماية فرنسية او بريطانية ولذلك اعتبرت املاك عدو ، بالاضافة الى ان نصف اليهود في فلسطين (حوالي ٥٠ الفا) كانوا من المهاجرين الروس ، بعضهم اكتسب الجنسية البريطانية ، بينما احتفظ الباقي بتبعيتهم الروسية ، واعتبروا بذلك من تبعية العدو . وقد سعى الاتراك منذ نشوب الحرب للتخلص رسميا من نظام الامتيازات ، الذي كان يعتبر انتقاصا من استقلالهم القومي . ومع ان الدوائر الصهيونية في فلسطين رحبت في بادىء الامر بالغاء الامتيازات ، وشارك زعماؤها في الاحتفالات العامة بهذه المناسبة (٧) الا ان اليهود الاجانب في الامبراطورية العثمانية وجدوا انفسهم فجأة وقد خضعوا للقانون العثماني ، اذ كان من المستحيل على الصهيونيين ، في رأي جابوتنسكي ، ان يحققوا في فلسطين قليلا مما فعلوه لولا نظام الامتيازات (٨) ، أو كما ذكرت بعض مصادرهم « ان كل ما انجزوه كان بفضل الحبال الستة التي طوقت عنق تركيه » يقصدون بذلك الامتيازات التي منحت الى ست دول اجنبية (٩) .

---

٦ ـ مراسلاتالحسين مكماهون (تموز، يوليو ١٩١٥ ـ آذار، مارس ١٩١٦) انظر انطونيوس ملحق (أ).

٧ ـ Cohen, A. P. 115.

يذكر المؤلف انه في الاحتفال الذي جرى في القدس بمناسبة الغاء الامتيازات ، اشترك اسحق بن زفي في الاحتفال بالقاء كلمة بالعبرية كما القى المحامي عمون كلمة بالتركية، والشيخ الريماوي كلمة بالعربية.

٨ ـ برقية بعث بها جابوتنسكي في القاهرة ١٩١٨/٣/١١ حيث كان يتولى مهمة مراسل صحفي صهيوني ملحق بحملة اللنبي PRO F.O. 395/237

٩ ـ Manuel, F. **The Realities of American - Palestine Relations,** New York 1949, P. 129

ينقل المؤلف رأي آرون ارونسون ، احد الصهيونيين المتطرفين : « ان الغاء الامتيازات كان له رد فعل عند العرب يشبه الخمر ... اذ ان الجندي البسيط وماسح الاحذية شعرا انهما اصبحا مساويين للفرنجي الملعون الذي لم يعد له قنصل يحميه » .

ولكن الحكومة العثمانية حلت مشكلة اليهود من تبعية العدو ، بأن قررت في نوفمبر ١٩١٤ ، وبناء على طلب (الحاخام باشي) ، تسهيل اجراءات الحصول على الجنسية العثمانية ، وبدأت عملية اكتساب الجنسية العثمانية تجري بشكل جماعي . وساهم في حملة الدعاية لاقناع اليهود بالحصول على التبعية العثمانية طالبان يهوديان كانا يدرسان الحقوق في جامعة استانبول من حزب بوعيلي تسيون هما اسحق بن زفي ودافيد بن جوريون ، بل لقد طلبا من القائد العثماني في منطقة القدس السماح بتنظيم وحدة عسكرية يهودية من اجل الدفاع المحلي (١٠) . الا ان بضعة آلاف من اليهود ، معظمهم من العائلات الغنية في المدن ، او الذين يعيشون على الصدقة ، ترددوا في طلب التجنس اذ كان حصولهم على الجنسية العثمانية يعني خضوعهم للتجنيد الاجباري او ضريبة البدل المفروضة على سائر الاهالي حسب دستور ١٩٠٩ الذي منحهم الحقوق المتساوية (١١) .

وكان ان اصدرت السلطات العسكرية في فلسطين في ١٧ ديسمبر ١٩١٤ ، أمرا بالترحيل الفوري لكل اليهود الذين يحملون الجنسية الاجنبية ، في حين اعتبر رعايا الدول المتحاربة الذين كانوا لا يزالون في فلسطين اسرى حرب (١٢) . وبناء على اقتراح القنصل الاميركي في القدس Glaze-Brooke فقد وضع الطرادان الاميركيان Des Moines, Tennessee لنقل اليهود الاجانب مع رعايا البلاد الحيادية الى مصر بصفة مؤقتة . وابدت الحكومة الروسية قلقها على مصير اليهود الروس في فلسطين ، الا انها لم تتعهد بنقلهم الى روسيه بحجة التكاليف ولاسباب مناخية ، وطلبت الحكومة البريطانية ان تقدم لهم ضيافة مؤقتة في مصر متعهدة بتقديم النفقات اللازمة على ان يستخدم المهاجرون في اعمال مختلفة لكسب معيشتهم (١٣) .

وعلى الرغم من ان مكماهون (المندوب السامي البريطاني) ، في برقيته الى الخارجية في ١٦ يناير ١٩١٥ (١٤) ، لم ير رفض الاقتراح الروسي ، فقد وجد ان تدفق اللاجئين بأعداد كبيرة ، سوف يوقع السلطات في مصر في مشكلة خطيرة ، من حيث اعالتهم وايجاد المأوى او العمل لهم ، وخاصة ان ايجاد عمل لهم سيكون على حساب المواطنين الذين بدأ الاستغناء عن خدماتهم وارسالهم قسرا الى مواطنهم ، ووصول

---

١٠ ـ Ben Gurion, **The Jews in their Land,** London, 1966, P. 243.

يذكر المؤلف انه بعد موافقة السلطات العثمانية وتطوع العشرات وبدء عمليات التدريب ، امر جمال باشا بحل الوحدة اليهودية بعد مجيئه .

١١ ـ Aaronson, Al., **With the Turks in Palestine,** London, 1917, P. 14 FF.

يذكر المؤلف الكسي ارونسون كيف حاول التنصل من الخدمة الاجبارية ثم لجأ الى الفرار .

١٢ ـ Manuel, PP. 123-125

اكد مورغنثو (السفير الاميركي في الاستانة في برقياته الى الخارجية الاميركية ، بان الابعاد قد طبق على اليهود الذين فشلوا في ان يتعثمنوا) .

١٣ ـ تقدر الحكومة الروسية عدد هؤلاء اليهود ب ٨٠٫٠٠٠) كما جاء في برقية السفير البريطاني في بتروغراد ١٩١٥/١/١٢ . F.O. 371 / 2355 / 4430.

١٤ ـ F.O. 371 / 2355 / 6109 / 4430 F.

المهاجرين في رأيه « يثير الانتقاد الذي ينذر بالتحول الى استياء » . وتقدم في ١/٢٧/ ١٩١٥ باقتراح الى الخارجية (١٥) لايجاد مكان آخر لنقل اللاجئين ، اما الى قبرص ، نظرا لوجود مستوطنين يهود فيها ، او الى سالونيك لان بها اغلبية يهودية ولقربها من روسيه ، على ان تستشار وزارة المستعمرات في الحالة الاولى ، والحكومة اليونانية في الحالة الثانية . واعتذرت حكومة اليونان عن استقبال اليهود في سالونيك لانها « مزدحمة اصلا بهم » ، وعارضت وزارة المستعمرات في ١٩١٥/٢/٢ قبولهم في قبرص ، نظرا « لعداء السكان اليونان المسيحيين في الجزيرة لليهود » (١٦) . وعادت الخارجية تعرض على وزارة المستعمرات اقتراحا بايجاد مأوى مؤقت في افريقيه الشرقية البريطانية ، ويأمل غراي في رسالته في ١٨ فبراير سنة ١٩١٥ (١٧) « أن يثبت هؤلاء المهاجرون ، ومعظمهم من المستوطنين الزراعيين ، قيمتهم في شرق افريقيه . وفي هذه الحالة ، يمكن ان تصبح اقامتهم دائمة ، هذا ، اذا لم يكن لوزارة المستعمرات اعتراض ، وبشرط ان يأخذوا التبعية البريطانية » ، ورفض وزير المستعمرات في رده على اقتراح غراي في ٢٢ فبراير (١٨) — فكرة تقديم مأوى بسبب «المصاعب التي ستنجم عن التعامل مع مهاجرين من هذا النوع في بلد هو في الحقيقة غير ملائم لهم » .

واثبتت كل الاقتراحات لايجاد مأوى لليهود انها غير عملية، ولم تقدم روسيه على تحمل نصيبها من النفقات التي تستلزمها اعالة هؤلاء المهاجرين ولما كان غراي متفقا في الرأي مع تقدير مكماهون للاثر السيء على السكان المواطنين في مصر الذي تحدثه اعالة هؤلاء المهاجرين من قبل الحكومة المصرية (١٩) ، فقد اقترح على وزارة المالية ، وبناء على توصية مكماهون ، في وضع تكاليف اعالتهم على الاعتمادات الامبراطورية ووافقت وزارة المالية على تقديم سلفة بشرط ان تنظم حملة لجمع المال من مصادر خيرية (٢٠) . ورات الخارجية ان ذلك سيخفف — نوعا ما — شعور الاستياء الذي يتزايد في مصر ، وابدت رغبتها في تفويض مكماهون لاصدار تصريح يقترح فيه ، « بأن حكومة جلالته تنظر للمشكلة بكل اعتبار ، وانها تبذل جهدها لايجاد بعض السبل لتخفيف هذا العبء الثقيل على الميزانية المصرية » (٢١) .

١٥ — F.O. 371 / 2355 / 10400 / 4430 F.

١٦ — F.O. 371 / 2355 / 12868 / 4430 F.
يرى وزير المستعمرات ان المستوطنة اليهودية الوحيدة في قبرص وهي مارجو شفتليك قد ثبت فشلها وكانت لا تضم سوى ١٩٣ يهوديا عام ١٩١١ .

١٧ — F.O. 371 / 2355 / 17919 / 4430 F.

١٨ — F.O. 371 / 2355 / 21158 / 4430
وكان هذا رأي حاكم محمية افريقيه الشرقية نفسه الذي رفض في ٣/٢٦ « ان يضيف الى سكان المحمية اشخاصا غير مرغوب فيهم ، لان وجودهم سوف يؤدي الى امتعاض الجالية الاوروبية هناك» .

١٩ — برقية مكماهون ٢/١٥ تذكر « الاحتجاج الكثير في البلد على عمل الحكومة المصرية التي تؤوي وتطعم آلافا من الاجانب ، كثير منهم ينتمون الى هيئات دينية تعيش على الصدقة ، على حساب المصريين الفقراء الذين تركوا نهبا للمجاعة » .

٢٠ — اقتراح الخارجية ٢٠ شباط (فبراير) ورد المالية في ٢٧ منه . F.O. 371 / 2355 / 23613

٢١ — Ibid.

ومع ان السفن الامريكية قد توقفت منذ اوائل آذار (مارس) ١٩١٥ عن جلب لاجئين الى مصر ، وارسل مكماهون برقية الى الخارجية في ٢ مارس يعلن فيها ان الاموال التي تحت تصرفه كافية لاعالة الموجودين حاليا ، الا ان الخارجية كانت ترى ان تستمر حملة جمع الاموال لانها قد « تحتاج اليها فيما بعد في مصر وسوريه » (٢٢) ، وكان اللاجئون اليهود في مصر قد نظموا انفسهم بلجنة الاسكندرية ، وبدات النداءات توجه الى الولايات المتحدة والى الطائفة اليهودية بالذات ، ومعها تقارير عن الدوافع السياسية المعادية للصهيونية التي تكمن وراء أمر الابعاد بأسلوب يختلف عن اعتدال لهجة مورغنثو (٢٣) . وهذا ما دفع وزارة الخارجية الامريكية ، الى تكليف الكابتن ديكر قائد الطراد الامريكي تنسي لعمل تحقيق دقيق عن السياسة التركية حيال اليهود عن طريق لجنة الاسكندرية والصهيونيين في فلسطين (٢٤) .

تبين ، نتيجة للتحقيقات ، انه في الفترة الواقعة بين ديسمبر ١٩١٤ وفبراير ١٩١٥ ، تولى جمال باشا وسكرتيره بهاء الدين ، سلسلة اعمال ضد الصهيونية . وكان الاخير مختصا بالشؤون اليهودية في فلسطين في وزارة الداخلية ، وعين حاكما على يافا في سبتمبر ١٩١٤ ، وعزى اليه قوله امام الحاخام باشي انه درس المشكلة الصهيونية وعرف بأن الصهيونيين يخططون لانشاء مستعمرة مستقلة ذاتيا كما فعلوا ايام الرومان ، وانه مصمم على مقاومة هذه الخطة ، وقام بهاء الدين بمهاجمة المؤسسات الصهيونية في منطقة يافا وأمر بازالة اللافتات العبرية وسمح فقط بالعربية والتركية ، كما احاط تل أبيب بالقوات المسلحة للبحث عن الاسلحة . ولما قام مورغنثو بالتحقيق ، اوقع اللوم الرسمي على بهاء الدين وعزل من منصبه ولكنه عين في منصب آخر كسكرتير لجمال باشا (٢٥) . ويذكر بن زفي في مقال له سنة ١٩١٧ عن علاقة جمال باشا باليهود (٢٦) ، ان جمال باشا، بعد مجيئه الى دمشق في كانون الثاني ١٩١٥ ، بصفته قائدا للجيش الرابع ، قام بتعميم الاجراءات التي كان قد فرضها بهاء الدين في يافا على كل انحاء فلسطين ، فقام بمصادرة الاعلام اليهودية ومنع الشعارات العبرية ، وفرض عقوبة الموت على من يحوز طوابع الصندوق القومي اليهودي (وقد استبدلت عقوبة الموت بعد اسابيع بغرامة عشر ليرات تركية) . ومنع العبرية كلغة مراسلة ، كما اغلق بنك انجلو فلسطين ، ومنع تداول النقود الورقية التي كان يصدرها في الاشهر الاولى للحرب ، واصدر امرا بمنع الحراس اليهود في المستوطنات (الهاشومير) من حمل السلاح ، وبدأت السلطات التركية عمليات البحث عن الاسلحة بطلب تسليمها .

٢٢ — F.O. 371 / 2355 / 24382 / 4430 F.

٢٣ — Manuel, P. 125.

٢٤ — يذكر الكسي ارونسون في كتابه السابق ص ٧٢ انه هو الذي امد جلازبروك القنصل الاميركي في القدس ثم الكابتن ديكر بتقرير عن اوضاع البلاد من المعلومات التي استقاها نتيجة جولاته في البلاد متسلحا بنفوذ اخيه : آرون ارونسون في مركز التجارب الزراعية في عتليت والمكلف بحملة لمكافحة الجراد من السلطات .

٢٥ — Manuel, P. 126.

٢٦ — نشر المقال في مجلة **بالستاين** ١٩١٧/٧/٧ نقلا عن : **اميركان جويش كرونيكل** ، وكانت تصدر مجلة بالستاين جمعية صهيونية بريطانية تأسست عام ١٩١٧ اسمها : British Palestine Committee

ويصف الكسي ارونسون المقاومة التي ابداها سكان زخرون يعقوب لتسليم الاسلحة بحجة انه « بغياب الاسلحة يفقدون آخر سيطرة لهم على العرب » (٢٧) . وقد نشر بيان رسمي شامل لكل الاجراءات ضد الصهيونية في ١٩١٥/١/٢٥ في الجريدة العبرية (هاحيروت) (الحرية) في القدس ، اعلن فيها بهاء الدين « ان الحكومة ، في مقاومتها اعمال تلك العناصر التي تسعى عن طريق التآمر لخلق دولة يهودية باسم الصهيونية في فلسطين ... لا تقصد ايذاء اليهود الذين هم حلفاؤنا ، والذين هم ابناء وطننا ، الاوامر مقصود منها المنظمات الصهيونية والاعمال الصهيونية ، نأمل ان يبقى بقية يهود بلدنا ، الذين ليست لهم صلة بهذه العناصر الثورية الفاسدة ، في سلام كما في السابق » (٢٨) . ويروي بن زفي ، في مقاله السابق ، حديثا جرى بينه وبين جمال باشا حين صدر امر بابعاده مع عدد من الزعماء الصهيونيين بينهم بن جوريون اذ قال جمال باشا : « اعرف انكم تريدون سلخ فلسطين عن تركيه ، وطالما ستتمسكون بآرائكم الحالية لا يمكنكم البقاء في البلاد » (٢٩) .

ونتيجة لمساعي مورغنثو ، والممثل الصهيوني في الاستانة ليختهايم والسفارة الالمانية هناك ، توقفت كل الاجراءات ضد الصهيونيين ، وكذلك عمليات الترحيل ، ونسبت الحكومة العثمانية الاجراءات ضد الصهيونيين الى السلطات المحلية (٣٠) . ويبدو ان هذا التغيير في مسلك السلطات التركية نحو الصهيونيين كان كاملا ، وبعد كل اجراءات القمع والطرد لاقوا عطفا كريما من جمال باشا بشكل يتعذر تفسيره ، وباعتراف بن زفي ان جمال باشا عين زعماء صهيونيين في مراكز حكومية مسؤولة ، ويعلق بقوله : « ان موقف جمال باشا تجاه الصهيونية سلبي ولكنه محدد ، اما موقفه تجاه الصهيونيين فمتقلب كطبيعته نفسها » (٣١) . ويعطي ديزنكوف (وكان اول رئيس بلدية لتل ابيب) في مذكراته (٣٢) امثلة أوضح عن موالاة جمال باشا للصهيونية . بأنه زار المستوطنات والمؤسسات اليهودية في عدة مناسبات ومنح ٢٠ الف دونم من اراضي الدولة الرملية الى احدى المستعمرات ، وانه اخبر عنتابي (أحد زعماء الصهيونيين السفارديم) وديزنكوف ان ثلاثتهم سيشكلون بعد الحرب لجنة لاعادة بناء

٢٧ ـ Aaronson, Al., P. 47

٢٨ ـ Manuel, P. 129.

٢٩ ـ Palestine; 7.7.1917 P. 141

وذكرت جريدة **ذي تروث** ١٩١٥/٧/٦ (وكانت الجريدة قد انتقلت بعد الحرب الى الاسكندرية) ان جمال باشا قد منع اليهود ان يصلوا في حائط المبكى لانهم انما يبكون ويصلون لاعادة بناء هيكلهم وتأسيس دولة يهودية .

٣٠ ـ Manuel, P. 129.

٣١ ـ Palestine, 7.7.1917, P. 192.

يعطي بن زفي مثالا عن سياسة جمال باشا المتقلبة ازاء الصهيونيين ، بانه قد زار في شهر آذار (مارس) ١٩١٥ الجمنازيوم في يافا واستقبل بكل حفاوة ، وابدى ملاحظات الاعجاب علنا ، واصدر بيانا عاما بان كل الاشاعات حول عدم ولاء اليهود كانت لا اساس لها ولكنه بعد ايام قام بابعاد مدير الجمنازيوم عن البلاد .

٣٢ ـ Manuel P. 134.

فلسطين في ظل العلم التركي . ويعزو بعض الزعماء الصهيونيين في فلسطين الى انفسهم سبب هذا التغيير المفاجىء في سياسة جمال باشا ، واستنكر عينتابي اتهام جمال باشا للصهيونيين بالتآمر لفصل فلسطين عن الامبراطورية ، وانشاء حكومة تحت حماية دولة عدوة ، مؤكدا انهم يسعون فقط لاحياء وتطوير لغتهم ، وممارسة طقوسهم الدينية والثقافية في ارضهم المقدسة وفي ظل العلم العثماني . ويضيف بأن جمال باشا قد ابدى استعداده لمنحهم اراضي الدولة لانشاء المستعمرات ، ومنحهم الاستقلال الذاتي الديني والثقافي تحت الحماية العثمانية (٣٣) . ويذكر كالفارسكي ، وهو من الزعماء الصهيونيين الذين بقوا في فلسطين ، انه غالبا ما تحادث مع جمال باشا من اجل تخفيف اجراءات العنف ضد اليهود (٣٤) . وكان آرون ارونسون مدير مركز التجارب الزراعية في عتليت ، من الاصدقاء المقربين لجمال باشا ، وغالبا ما كان يشكو اليه الجنود الاتراك ، وخاصة انه كان يشرف على عملية توزيع المعونة الاميركية لليهود . وبايعاز الماني ، كلف ارونسون بتنظيم حملة علمية لمكافحة الجراد الذي هاجم فلسطين سنة ١٩١٥ (٣٥) ، وقد استغل النفوذ الذي تمتع به في جمع أكبر قدر من المعلومات لتقديمها الى السلطات البريطانية في مصر عن طريق شبكة التجسس التي نظمها والمعروفة باسم نيلي (Nili) (٣٦) .

ولا يعرف تماما مدى صحة الوقائع التي يرويها عزيز بك في مذكراته « الدولة العثمانية والجاسوسية في الحرب العالمية الاولى » (٣٧) عن مفاوضات جرت في صيف ١٩١٥ بين وفد صهيوني في القدس وبين جمال باشا ، من اجل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وكانت وسيطة التفاوض سيدة يهودية من أصل بولوني تدعى ناتاليا داودفيتش ، وان الاقتراحات الصهيونية كانت تتضمن انشاء وطن قومي لليهود في منطقة من فلسطين تعينها الحكومة العثمانية ، على ان يخضع اليهود فيها لقوانين البلاد مع تمتعهم بالاستقلال في الادارة البلدية ، وان لا توضع حواجز في طريق الهجرة اليهودية ، ويكون ذلك مقابل تعهد الجمعية الصهيونية بمساعدة الدولة العثمانية في قضية الديون ، وتقديم القرض اللازم (٣٨) . ويضيف عزيز بك ان الوفد الصهيوني قد حاول الدخول في مفاوضات خاصة وسرية مع جمال باشا لتحقيق مطامحه في فتح مصر ، والعمل على توليته عرش الخديوية المصرية ، ووضع القوات اليهودية في فلسطين

٣٣ ـ Manuel, P. 133

قيل ان عينتابي اجابه قائلا « ... اذا كان ذلك سأعينكم رئيسا للمنظمة الصهيونية . قل لنا ما هو هدفك ... ونحن سنتبعك . افتح مصر ، وابن سكة حديد عبر الصحراء ... ونحن اليهود سنكون في المقدمة لنعود الى مصر.» .

٣٤ ـ Cohen, A. P. 130.

وكان المؤلف قد نقل ذلك عن اوراق كالفارسكي الخاصة .

٣٥ ـ Aaronson, Al., P. 75

٣٦ ـ انظر ص ٢٩٩ وما بعدها من هذا الكتاب .

٣٧ ـ نشرت المذكرات ١٩٣٣ على شكل مقالات في جريدة **الاحرار** البيروتية وعربها عن التركية فؤاد الميداني. وكان المؤلف يعمل في المخابرات العثمانية وتولى مديرية الامن في الدولة في اواخر ١٩١٧ .

٣٨ ـ يذكر عزيز بك ان هذه المقترحات سجلت في وثائق الجيش الرابع ١٩١٥/٨/٢٥ تحت رقم ١٨ خصوصي و ٥١٢ عمومي .

تحت تصرفه . ويروي المؤلف ان جمال باشا بعث بمذكرة رسمية الى الحكومة المركزية . وقد رفض انور باشا (وزير الحربية) في برقية بتاريخ ١٩١٥/٩/١٠ البحث في هذه الامور : « خصوصا أنها قد تكون سببا في اثارة الفتن بين المسيحيين واليهود ... » ، ولكن جمال باشا تابع المفاوضات في القسم الثاني منها ، وحسب ما يقول عزيز بك : « ان جمال باشا بات من الاصدقاء لليهود » .

ومع بداية عمليات الهجوم البريطاني على فلسطين سنة ١٩١٧ اثيرت من جديد حملة دعائية صهيونية ، استغلت عمليات الاتراك في ترحيل المدنيين عن مدن يافا وتل ابيب والمناطق المجاورة . وبدات الحملة بنشر خبر في الجويش كرونيكل في ١٩١٧/٥/٤ تحت عنوان : « اليهود في فلسطين ـ تقارير محزنة ـ اعتداءات وحشية ـ تهديد بمذابح جماعية ... » ، وكان مصدر الخبر برقية رفعها سايكس من القاهرة الى الخارجية (٣٩) بأن « تل ابيب قد نهبت وان ١٠،٠٠٠ يهودي دون مأوى او غذاء وان كل المستوطنات اليهودية مهددة بالخراب ، وان جمال باشا قد صرح علانية بأن السياسة الارمنية سوف تطبق الان على اليهود » ، وكان آرون ارونسون هو الذي ابلغ سايكس هذه التفاصيل راجيا منه ان لا يذكر مصدر الخبر . وفي رأي سايكس ان هذا الوقت هو أنسب ما يكون للدعاية ، وبالفعل رافق هذا الخبر نداءات لجمع المعونة للسكان اليهود ، كما أبرقت الخارجية الى وينجيت (خلف مكماهون) في ١١ ايار (مايو) بأنها «قد ابلغت كل الاشخاص المعنيين في انجلتره والخارج، وان وكيل وزارة الخارجية قد اكد في مجلس العموم ان حكومات الحلفاء ستبذل جهدها للحيلولة دون وقوع كارثة لليهود بمصادرة املاكهم او ذبحهم » (٤٠) . وبدأت بريطانيه تجري اتصالات دبلوماسية عن طريق الدول الحيادية كهولنده واسبانيه للتدخل لدى الحكومتين التركية والالمانية لوقف هذه الاعمال . ولكن الدليل على ان هذه الحملة كانت مفتعلة هو ان الاموال التي بدأت تتدفق على مصر بمعرفة الخارجية البريطانية من أجل المعونة ، اوقعت السلطات البريطانية في مأزق ، وحاول وينجيت ان يستطلع رأي الخارجية لايجاد عذر يقدمه لمورغنثو ـ الذي كان حينئذ في طريقه الى مصر بمهمة خاصة من الرئيس ويلسون ـ يبرر به توجيه النداءات في وقت كان يعرف فيه استحالة ارسال هذه الاموال الى فلسطين (٤١) .

الا انه امام هذا الهجوم الدبلوماسي ، وحرصا على الرأي العام الحيادي واليهودي ، قام ممثلو الترك والالمان في انحاء العالم ، وعن طريق ممثلي الدول الحيادية ووزراء خارجيتها ، بنفي اعمال العنف الموجهة ضد اليهود بشكل خاص وتبرير الاجراءات بأنها كانت لسلامة السكان انفسهم . وبعث السفير البريطاني في لاهاي في ١٩١٧/٥/٢٤ (٤٢) بيانا نشره الممثل التركي « بأن جلاء السكان كان لاسباب عسكرية ،

---

٣٩ ـ كان مارك سايكس في ذلك الوقت الممثل البريطاني في بعثة فرنسية بريطانية تزور الشرق العربي للتمهيد لخطط الحلفاء . انظر ص ٣٠٤ و ٣٢٥ من هذا الكتاب . / F.O. 371 / 3055 / 90614 / 87895.

٤٠ ـ F.O. 371 / 3055 / 95472 / 87895.

٤١ ـ F.O. 371 / 3055 / 132608 / 87895.

٤٢ ـ F.O. 371 / 3055 / 104264 / 87895 F.

وان الحكومة ساعدت السكان بتأمين وسائل النقل والمؤن لهم ، ولم تتخذ تدابير لاجلاء القدس وليس هناك نية لاجلاء المدينة ... » كما ان وزير خارجية هولنده اجتمع بالوزراء المفوضين للدول المتحالفة وذكر لهم انه تلقى من الباب العالي ان « ... الحقائق مبالغ فيها كثيرا ... وان اليهود قد دعوا لمغادرة يافا مع بقية السكان المدنيين طبقا لضرورات الموقف العسكري (٤٣) واقترح القائد العام للقوات التركية في سوريه على القنصل الاسباني وقناصل دول الوسط في القدس عمل تحقيق في المنطقة وارسال تقارير الى حكوماتهم (٤٤) » .

والواقع ان اجراءات السلطات العثمانية باخلاء المناطق الساحلية في فلسطين كانت امرأ عاما وطبيعيا بعد بدء عمليات الهجوم البريطاني ، وما رافقها من الدعاية حول ما تهيئه بريطانيا من عمليات انزال وقصف بحري للسواحل . ويذكر ييل في تقريره الى الخارجية الاميركية ، نقله السفير البريطاني في واشنطن في ١٩١٧/٧/١٣ (٤٥) « ... انه قبل رحيله عن القدس طرد اهل غزة ومعظمهم مسلمون (٣٠،٠٠٠) بالقوة ونجم عن ذلك مآسي كثيرة وخاصة مع ما كانت تواجهه البلاد من مجاعة ... لذلك فان الترحيل عن يافا لا بد ان يرافقه معاناة » . وكان الترك قد توقعوا بعد سقوط غزة في نهاية آذار (مارس)، ان تصبح يافا المركز الثاني للصراع وكان الخوف من الانزال ماثلا دوما امام القيادة العسكرية . اما القدس فلم يجر فيها ابعاد او نفي . لذا فان كل حملة جمال باشا ضد الصهيونية لم تكن الا جزءا مما وقع في الامبراطورية العثمانية من اجراءات متعلقة بظروف الحرب ، ولا يوجد اي دليل لاثبات التأكيدات الشائعة بان اليهود في فلسطين قد انفردوا باجراءات اشد من اغلبية السكان ، بل لقد كان اليهود اكثر حظا من غيرهم باعتراف كثير من المراقبين في المنطقة ، فقد أكد ييل في تقريره السابق « ان حالات الظلم والاضطهاد وقعت على كل فئات الشعب سواء أكانوا عثمانيين او غير عثمانيين ، وان اليهود بشكل عام قد عوملوا احسن من المسيحيين او المسلمين ، بل لم يجر ضدهم ترحيل اجباري كالعائلات المسلمة او المسيحية » . وتؤكد النشرة العربية في عدد ١٩١٧/١/١٩ (٤٦) « ... انه رغم كل عداء جمال باشا للصهيونية فقد أحجم الترك بشكل واضح عن ان يوزع على اليهود نفس درجة الاضطهاد الذي اصاب مجموع السكان المسلمين والمسيحيين في فلسطين وسوريا خلال الحرب» . وجاء في مذكرة رفعت الى المكتب العربي (٤٧) ان «حكم الارهاب في الحرب في فلسطين كان قاسيا جدا ... ونفي وسجن كثير من الوجهاء المسلمين

---

٤٣ ـ F.O. 371 / 3055 / 116106 / 87895.

٤٤ ـ F.O. 371 / 3055 / 120176 / 87895.

٤٥ ـ كان وليام ييل وكيلا لشركة ستاندرد اويل كومباني في القدس ١٩١٥ ـ ١٩١٧ قبل ان يعين من قبل الخارجية الاميركية لملاحقة تطورات الشرق في نهاية الحرب العالمية الاولى وقد نقل تقرير ييل السفير البريطاني في واشنطن ١٩١٧/٧/١٣ . F.O. 371 / 3050 / 158286

٤٦ ـ F.O. 882/26 Arab Bulletin مقال عن المستعمرات اليهودية في فلسطين .

٤٧ ـ رفع المذكرة اورمسبي غور F.O. 882/14, Pa/17/2. Arab Bureau Papers عن المكتب العربي انظر ص ٣٠٥ من هذا الكتاب .

والمسيحيين وصودرت ممتلكاتهم ، وجيء بالترك ليقيموا فيها ... ولكن يبدو ان حالة اليهود أفضل من حالة اي فئة اخرى من السكان » . وظل اليهود في فترة الحرب كلها ينظمون قوات الدفاع الذاتية في المستعمرات والمدن اليهودية ، ويقومون بعمليات تدريب واسعة . ويذكر الياهو غولومب (٤٨) انه قد تشكلت خلال الحرب مجموعات جديدة للدفاع الى جانب الهاشومير (بحجة انتشار موجة العداء من جانب السلطات) . مدت نشاطها الى انحاء مختلفة من البلاد وكانت مجموعة يافا المكونة من حزب العمال بوعيلي تسيون وخريجي المدرسة العليا في تل ابيب (الجمنازيوم) اكثر هذه المجموعات نشاطا ، وخاصة ان كثيرا من المتخرجين من مدرسة الجمنازيوم اصبحوا ضباطا في الجيش العثماني .

ورغم كل ما كانت تعانيه البلاد من مساوىء في فترة الحرب لم يفقد اليهود اهتمامهم بالتعليم وبنشر اللغة العبرية ، ولم تجر اي محاولة من قبل السلطات التركية لاغلاق المدارس اليهودية ، وكل ما فعلته ان سمحت بتعيين بديل للمدرسين الاجانب الذين غادروا البلاد من الرعايا العثمانيين اليهود ، واستبدلت لغة العدو الاجنبية في المدارس باللغة التركية (٤٩) . وتولى (مكتب فلسطين) الاشراف على كل المدارس اليهودية في البلاد ـ التي بلغ عددها ١٤٠ مدرسة بخمسمائة معلم ـ بعد ان منعت ظروف الحرب الجمعيات الخاصة الاجنبية من الاستمرار في معونة المدارس التي اسستها قبل الحرب ، وأصبحت المدارس كلها تتلقى المساعدة من المنظمة الصهيونية ، التي تولت نشر التعليم العبري حتى ان جريفز (٥٠) « يرى ان معرفة العبرية قد ازدادت في نهاية الحرب » .

دليل آخر على ان اوضاع اليهود كانت افضل من غيرهم من السكان ، تلك الموارد الاقتصادية التي كانت في متناول يدهم بفضل المساعدات العينية والمالية التي تدفقت على فلسطين من الغرب ومن امريكه خاصة لمساعدتهم وحماية مصالحهم الاقتصادية طوال فترة الحرب . ونتيجة لضغوط اللجنة المؤقتة للشئون الصهيونية في امريكه ، دخلت الخارجية الامريكية وموظفوها في الخارج في مفاوضات عديدة مع الحكومتين الفرنسية والبريطانية للسماح للسفن الامريكية ان تخترق الحصار الفرنسي البريطاني المضروب على الشواطىء السورية وهي تحمل الامدادات لمعونة السكان اليهود في فلسطين ، بشرط ان توزع بمعرفة القناصل الامريكيين ، مع ضمان عدم تدخل السلطات العثمانية (٥١) . وامتدت حملة المعونة الامريكية الى حماية المصالح الاقتصادية

٤٨ ـ Golomb. P. 49 - 50.
وكان المؤلف من خريجي مدرسة الجمنازيوم (تل ابيب). . ومن الذين عملوا على تكوين قوات دفاعية يهودية اثناء الحرب ومن منظمي حركة تطوع اليهود واحد مؤسسي الهاجاناه .

٤٩ ـ Manuel, P. 145.

٥٠ ـ Graves, Ph. **Palestine, The Land of Three Faiths**, London, 1923, P. 161.
وكان المؤلف مراسل **التايمز** في الاستانة قبل الحرب . ثم اصبح بعد الحرب المسؤول عن الدعاية العربية في المكتب العربي في القاهرة .

٥١ ـ كل المراسلات المتعلقة بمعونة اليهود في فلسطين موجودة في PRO في ملف خاص .
F.O. 371 / 2380 / 3055 F.

اليهودية في فلسطين والتي كانت زراعة البرتقال تشكل اهمها . وجرت مفاوضات امريكية مجددة مع الخارجية البريطانية للسماح بارسال البترول اللازم لتشغيل آلات ري بيارات البرتقال في يافا ، على ان تتعهد الحكومة الاميركية بواسطة سفيرها مورغنثو بأخذ الضمانات الكافية من الحكومتين الالمانية والتركية بعدم مصادرة البترول لاغراض عسكرية . ومع ان الاقتراح الامريكي قد رفض نظرا لعدم ثقة الحكومة الفرنسية بأي ضمانات تقدمها السلطات العثمانية ، الا ان الخارجية البريطانية قد سمحت بارسال مبالغ ضخمة (تتجاوز ٢٥ الف جنيه استرليني) معظمها من تبرعات يهود امريكه كي توزع بمعرفة مورغنثو على مزارعي البرتقال اليهود . واستطاعت الجهود اليهودية بذلك ان تغير وجهة نظر الحكومة البريطانية الرسمية التي كانت ترى أنه لا يجب تقديم مساعدة بحيث « تمكن الناس من الاستمرار بالعمل في بلاد عدوة » بحجة واحدة « انه لا يمكن وقف الدعم عن شعب صديق بريء تماما متعاطف مع قضية الحلفاء » .

ويعترف احد كبار موظفي الخارجية البريطانية كدستون في ١٩١٧/٧/٣ (٥٢) « ان الحكومة البريطانية قد أظهرت كثيرا من التمييز لمصالح اليهود في فلسطين ، وسمحت بارسال مبالغ كبيرة من الاموال لتذهب اليهم » . وهو لا يمكنه ان يصدق ان معاناتهم أكبر من تلك التي يعانيها السوريون او الارمن بل يؤكد انه ربما اقل بكثير ، « اذ ان صلاتهم المعروفة مع الاتحاديين تجعل فرصتهم اكثر لتلقي مبالغ كبيرة من المال ... وانه بينما سمح لليهود بتحويل اموال كبيرة أبلغ السوريون ... انه لا يمكن ارسال اموال الى الرعايا العثمانيين » . والتقارير التي رفعت الى المكتب العربي في القاهرة عن الاوضاع الاقتصادية في فلسطين تؤكد « ان الجالية اليهودية لاقت عناية اكثر من غيرها وان المجاعة في القدس كانت أقل وطأة من بيروت ... » (٥٣) ، في وقت كانت المصادر كلها تجمع على معاناة فئات الشعب في سوريه وفلسطين من سوء الاوضاع الاقتصادية وانتشار الجوع والمرض ، وخاصة ان الحصار كان تاما بالنسبة لفلسطين ولم يفتح الا لتمرير المعونة الى اليهود . وكان انطباع اللنبي وكلايتون ، في الزيارة التفقدية التي قاما بها الى عدد من المستعمرات اليهودية القريبة في يافا في نوفمبر ١٩١٧ ، « أنه لا يبدو ان سكان هذه المستعمرات هم ادنى حالة من بقية السكان في منطقة الحرب الحاضرة ... ولا يظهر انهم قد عانوا اي خراب خطير ... كما لا يظهر اي دليل على الجوع ... » (٥٤) . واستمر مكتب فلسطين بادارة ارثر روبن في نشاطاته الاقتصادية ، معتمدا على المعونة المادية من امريكه (٥٥) ، كما ظلت علاقات اليهود التجارية مع الولايات المتحدة مستمرة (٥٦) . حتى ان النشاط الصهيوني لشراء

٥٢ ـ F.O. 371 / 3055 / 132608 / 82895

٥٣ ـ تقرير رفعه ارونسون عن الاوضاع في فلسطين المكتب العربي عام ١٩١٧ .
F.O. 882/14 Pa/17/14.

٥٤ ـ F.O. 371 / 3055 / 227243 / 223129 / 87895 F.

٥٥ ـ Graves, P. 161

٥٦ ـ في رسالة وقعت بيد المخابرات الحربية البريطانية ١٩١٦/١٢/٤ يبعث (لختهايم) الى احد الوكلاء في الولايات المتحدة ، انهم يعملون من اجل الحصول على اذن من جمال باشا لتصدير الفي هكتوليتر من الخمر الى امريكه . F.O. 368 / 1834 / 4741

الاراضي وانشاء المستوطنات لم يتوقف خلال الحرب : لقد جاء في مذكرة اورمسبي غور للمكتب العربي في ١٩١٧/١/١٢ (٥٧) « ... ان المنظمة الصهيونية قد استطاعت ان تحصل خلال ثلاث السنوات الماضية على ٤٠،٠٠٠ هكتار من اجود الاراضي والتي تنتظر الاستيطان بانتهاء الحرب ... » . وذكرت مجلة بالستاين في ١٩١٧/٢/٨، نقلا عن اخبار أتتها من باريس خبر انشاء مستوطنة جديدة في الجليل قام بها ٢٠ يهوديا من العمال الطلائع حصلوا على الارض من ICA بشروط ممتازة ... وانهم سيباشرون العمل بها ... » ويعدد كالفارسكي اسماء اربع مستوطنات في الجليل احدثت في فترة الحرب (٥٨) .

٣ ـ العلاقات العثمانية الصهيونية خارج فلسطين :

عامل هام كان يجعل اوضاع اليهود في فلسطين افضل من غيرهم من السكان، هو اصدقاؤهم ، او على الاصح حماتهم في الخارج . وجرت بذلك سلسلة اتصالات على اعلى المستويات بين وزراء الباب العالي ، وعلى رأسهم طلعت باشا وزير الداخلية ، وكل القوى الخارجية التي يهمها امر النشاط الصهيوني في فلسطين ، وفي مقدمة المهتمين باحوال اليهود في فلسطين كان يهود الولايات المتحدة الذين تمتعوا بازدهار اقتصادي في سنوات الحرب ، وتمكنوا من تأمين مساعدة حكومتهم في هذا المجال . وكانت كل محاولة للحصول على اموال او اغذية او ادوية او بترول من اجل اليهود في فلسطين تعتبر مسؤولية اميركية . اذ ان اميركه كانت دولة حيادية كبرى ونداءاتها كان لا يمكن تجاهلها من الدول المتحاربة والحيادية ، وقد ظلت هذه المعونة ميسورة خلال سنوات الحرب كلها حتى بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وتركيه في ١٩١٧/٤/٢٠ (٥٩) .

وكان هذا الاهتمام الاميركي قديما يعود للفترة السابقة للحرب. ولم يكن مصادفة ان يكون آخر ثلاثة سفراء بعثتهم الولايات المتحدة الى الاستانة من اليهود وهم ستراوس ثم مورغنثو ثم ايلكوس . ومع ان مورغنثو لم يكن بالاصل صهيونيا الا انه نتيجة تجربته في تركيه اصبح من اشد المتعاطفين على اعمالهم (٦٠) ، وابدى اهتماما عميقا بشؤون فلسطين واحوال اليهود فيها ، كما كون علاقات طيبة مع الزعماء الاتراك . واشيع انه قد دخل في مفاوضات معهم سنة ١٩١٤ لمنح فلسطين الى خديوي مصر لتحقيق خطط الصهيونيين فيها (٦١) . وزاد هذا الاهتمام مع نشوب الحرب وانسحاب ممثلي الحلفاء

٥٧ ـ F.O. 882 / 14 Pa 17/2 Arab Bureau Papers.

٥٨ ـ هذه المستوطنات هي : تل حاي وكفار جلعادي وايلت هشهر ومحنايم .

٥٩ ـ Manuel, P. 137.

٦٠ ـ F.O. 882/14. Pa/17/6 Arab Bureau Papers,

٦١ ـ Yale Papers, Report No. 10 31.12.1917.

اشار الى ذلك وينجيت لما اجتمع باللجنة السورية (١٩١٧) كي يثبت لهم ان الاتراك الاتحاديين كانوا يتآمرون للتخلي عن فلسطين . اذ ان مورغنثو لما قدم فلسطين في نيسان (ابريل) ١٩١٤ ذهب الى الاسكندرية وقابل الخديوي واخبره ان المفاوضات بين الصهيونية والاتراك قد وصلت نهايتها ،

(التتمة على الصفحة التالية)

حيث اصبحت الولايات المتحدة هي الحامية الرئيسية في فلسطين . وبناء على تعليمات من واشنطن ، قام مورغنثو ، بالضغط على السلطات التركية ومستشاريها الالمان للتخفيف كثيرا من الاجراءات ، وبمساعيه اعيد افتتاح بعض المؤسسات الصهيونية التي اغلقت .

ويظهر ان هذا الاهتمام الذي كان يبديه مورغنثو باحوال اليهود في فلسطين ، ثم الصلات الدقيقة التي كانت تربطه بكثير من ذوي النفوذ في تركيه ، وخاصة اليهود والدونمة الذين كان نفوذهم قويا في حزب تركيه الفتاة ، هي التي دفعت مورغنثو الى التفكير بالعودة ثانية الى الدولة العثمانية بعد انتهاء مهمته كسفير (٦٢) ، في محاولة لاقناع الاتراك الاتحاديين بقطع تحالفهم مع دول الوسط والتوصل الى عقد صلح منفرد يكون مقبولا لدى الصهيونيين والحلفاء . وكانت خطته تعتمد على دفع طلعت صديقه الشخصي، وهو تركي قومي، كانت له شعبية بين الجماهير، الى الانشقاق عن انور (الذي يدين بسلطته الى نفوذ الالماني) ، وبعدها يمكن فصل تركيه عن دول الوسط (٦٣) . ولاقت الفكرة موافقة الخارجية الاميركية والرئيس ويلسون . وتقرر في حزيران (يونيو) ان يذهب مورغنثو في مهمة دبلوماسية سرية الى مصر حيث يحاول الحصول على دعوة من الزعماء الترك لدخول فلسطين ، وحتى لا يعرف الالمان وحلفاؤهم المحاولة التي تجري لبحث امكانية صلح منفرد مع الزعماء الترك ، فقد استخدمت وسائل اكثر التواء لتغطية المهمة ، وخاصة ان الاهتمام الذي تبديه الولايات المتحدة في ذلك الوقت باليهود في فلسطين قد قدم حجة جاهزة لارسال مثل هذه المهمة . فأبلغت الصحافة المحلية (نيويورك تايمز ١٩١٧/٦/٢٠) « عن ارسال بعثة الى تركيه برئاسة مورغنثو السفير السابق الى الباب العالي ، غرضها التحقيق في اوضاع اليهود في الامبراطورية العثمانية وخاصة فلسطين» (٦٤) . وعلى الرغم من كل الاحتياطات فالصفة الحقيقية للبعثة قد اصبحت (سرا) معروفا حتى قبل ان يغادر مورغنثو نيويورك ، واكدت برقيات السفير البريطاني في واشنطن الى الخارجية الدوافع السياسية لبعثة مورغنثو .

ولم تكن المفاوضة من اجل صلح منفرد مع تركيه تلائم الخطط البريطانية في ذلك الوقت ، اذ كانت الوزارة البريطانية قد اتخذت قرارها في ١٩١٧/٦/٥ باعطاء اللنبي قيادة القوات في مصر مع تعليمات بهجوم حاسم على الترك في فلسطين ، التي اصبحت عاملا حاسما في الحرب واعتبرت المنطقة التي يجب ان توجه منها بريطانيه الضربة الاخيرة لتركيه لاخراجها من الحرب . وبنفس الوقت كانت المفاوضات الصهيونية مع الحكومة البريطانية قد دخلت مرحلتها النهائية ، ولم يكن الزعماء الصهيونيون في

وان الصهيونيين على وشك تحقيق آمالهم واطماعهم في فلسطين وهو يأمل ان تنتهي المفاوضات ويعود الى مصر ثانية ومعه معلومات محددة ومشوقة فيما يتعلق بخطط الصهيونية وهي تهم سموه ويأمل مساعدته .

٦٢ ـ برقية السفير البريطاني في واشنطن ١٩١٧/٦/١١ . F.O. 371 / 3057 / 114918 / 104218

٦٣ ـ برقية وايزمان الى الخارجية من جبل طارق ١٩١٧/٧/٦ . F.O. 371 / 3057 / 138184 / 104218

٦٤ ـ نقلت برقية السفير البريطاني في واشنطن في ٦/٢٦ هذا المقطع من الصحيفة . F.O. 371 / 3055 / 138633 / 87896

انجلتره – الذين كانوا على صلة بالدوائر البريطانية وعرفوا قرار مجلس الوزراء بشن حملة قوية ضد الترك في فلسطين في اواخر صيف ١٩١٧ – ليرحبوا بصلح منفرد مع تركيه يجعل وضع فلسطين في المستقبل غير مؤكد تماما ، ورأوا ان فتح فلسطين من قبل قوات الحلفاء يخلق وضعا اكثر ملاءمة لخطط الصهيونية . وربما لهذا السبب اقترح القاضي برانديز ، احد الزعماء الصهيونيين في اميركه ، ان يرافق فيلكس فرنكفورتر (وهو صهيوني معروف) مورغنثو في مهمته السرية ، حتى لا يفعل السفير السابق امرا يخالف خطط الزعماء الصهيونيين في الولايات المتحدة وبريطانيه ، وقد يكون هو الذي ابلغ وايزمان عن بعثة مورغنثو (٦٥) . وكانت السلطات البريطانية في مصر ، ترى ان هذه الزيارة المقترحة « ستثير شكوكا بالغة ... لدى دوائر معنية في مصر لا تزال عواطفها مع الاتحاديين » اذ برأي وينجيت في برقيته الى الخارجية « ان فكرة اتصال الحلفاء بتركيه تدفع الى الشعور بان الحرب لا تسير في صالحهم ... وخاصة انه قد بدأ شعور يجتاح السوريين في مصر (حزب اللامركزية) وانتقل الى الحجاز ضد الاطماع الفرنسية ... ونشاط مورغنثو سيشجع حزب اللامركزية المعادي للنفوذ الفرنسي في سوريه للتحول الى اميركه فيقع دون قصد في شرك مؤامرات الاتحاديين ... وهذا سيعقد موقفنا حيال السياسة العربية بشكل غير مرغوب فيه» (٦٦) .

وكان من الصعوبة بمكان ان تعارض الحكومة البريطانية بعثة مورغنثو بشكل سافر في هذا الوقت الحرج بالذات ، نظرا لانها مشروع (مدلل) للرئيس ويلسون . وكان لا بد من ابتكار وسيلة لتحويل خط البعثة ، فكان اقتراح وايزمان الذي تقدم به لبلفور كي يعترض مورغنثو في جبل طارق ويوقف بعثته ، وتعهد بلفور ان يرتب امر وقف مورغنثو وهو في طريقه لاسبانيه وان يدبر لقاء له في جبل طارق مع وايزمان وصهيوني فرنسي آخر هو ويل (٦٧) . ويسمي وايزمان مؤتمر جبل طارق في ٤ تموز (يوليو) اجتماعا تاريخيا ، وان المثير فيه انه ضم ثلاثة يهود اللغة الوحيدة المشتركة بينهم هي الالمانية (٦٨) . تباحث ثلاثتهم فيما اذا كان من مصلحة الحلفاء ان يحاولوا عمل صلح منفرد مع الاتراك ، وركز وايزمان اسئلته لمورغنثو حول ما اذا كان الوقت قد

٦٥ – Yale, W., «Ambassador Morgenthau's Special Mission of 1917.» **World Politics,** Vol. I. No. 3,19 49, P. 311

٦٦ – F.O. 371 / 3057 / 130633 / 104218

٦٧ – يذكر ييل في مقاله السابق ص ٣١٣ انه حتى تاريخ كتابة المقال (١٩٤٩) لا توجد حقائق متوفرة حول الصفقة بين بلفور ووايزمان (لم تكن وثائق الخارجية البريطانية قد فتحت بعد) سوى محادثة اجراها الكاتب مع وايزمان في شتاء ١٩٢٠ على ظهر باخرة ايطالية متجهة من تريستا الى الاسكندرية. وروى وايزمان ان بلفور دهش لما عرف ان وايزمان على علم بخطة مورغنثو وسأله مازحا اذا كان لديه جواسيس في وزارة الخارجية ، فأبلغه ان اصدقاءه في اميركه قد اعلموه . ونفذت الخطة بان دعا القائد البريطاني في جبل طارق مورغنثو لتفقد القلعة حيث اقيمت على شرفه حفلة حضرها وايزمان و (ويل) اللذان تسللا على ظهر البغال عبر جبال البيرنه ، وبعد الحفلة انسحب القائد البريطاني تاركا الثلاثة معا .

٦٨ – كان ويل فرنسيا ومورغنثو الماني الاصل ووايزمان روسي الاصل وقد بعث وايزمان في ٧/٦ تفاصيل المحادثات الى بلفور ورجاه ان يبلغها بدوره الى سوكولوف وسايكس .

حان للحكومة الاميركية لفتح مفاوضات من هذا النوع مع السلطات التركية ، او بمعنى آخر هل تعترف تركيه بانها على وشك ان تفقد الحرب ، وانها مهيأة ذهنيا للدخول في مفاوضات ؟ ولو فرض ان الوقت قد حان لمثل هذه العروض هل لدى مورغنثو فكرة عن الشروط التي يمكن للترك ان يكونوا فيها مستعدين للانفصال عن اسيادهم الحاليين. ولم تكن لدى مورغنثو اجوبة محددة ، وبين وايزمان ما يعرفه من وجهة نظر الحكومة البريطانية حول الموضوع ، بان اي صلح مع تركيه لن ينظر له بعين الاعتبار ما لم يقر فصل ارمينيه والعراق وسوريه وفلسطين عن الامبراطورية التركية ، ولا يرى مورغنثو ان هذه الشروط ستكون مقبولة في الوقت الحاضر للترك . ويمضي وايزمان في تقريره الى بلفور بانه « قد حذر مورغنثو من استخدام دعم الصهيونيين او تعريض المنظمة الصهيونية للشبهة بمفاوضاته من اجل صلح منفرد ... ان الصهيونية يجب ان تفصل عن نشاطاته مهما كانت ... » ويؤكد وايزمان في نهاية تقريره انه قد اخذ تأكيدات من مورغنثو بموافقته على هذا الموقف ، ونتيجة لهذه المباحثات فقد عدل مورغنثو عن الذهاب الى مصر وبعث هو وفرنكفورتر من مدريد في ١٩١٧/٧/٨ الى الخارجية الاميركية برقية غريبة ومحيرة يقولان فيها : انه نتيجة لتقصٍّ دقيق للوضع من قبل الفرنسيين والانجليز ، وعلى ضوء تقرير المستشار القانوني الخاص السابق للسفارة الاميركية في الاستانة « فان الوقت غير مؤات للدخول في مفاوضات ، وانه لا فائدة من التوجه الى مصر » (٦٩) . وفي الحقيقة لم يكن هناك تغير خاص في الوضع السياسي والعسكري في تركيه ولو حدث اي تغير فقد كان على الاصح في لندن . ونجحت القضية كما خطط لها وايزمان وبلفور وحولت بعثة ويلسون الخاصة عن وجهتها فضمنا خروج فلسطين نهائيا من يد الترك (٧٠) .

الى جانب الاهتمام الاميركي بالنشاط الصهيوني واوضاع اليهود في فلسطين ، فقد امل بعض الصهيونيين ان يضمنوا دعم النفوذ الالماني ، الذي كان لا يزال قويا في الاستانة ، لحماية المستوطنات اليهودية في فلسطين من جهة ، والتأثير على الحكومة التركية لاصدار تصريح مؤات للصهيونية .

وبينما كانت تجري محادثات مستمرة بين الوكالة الصهيونية في الاستانة والسفارة الالمانية فيها ، كانت اتصالات اخرى متقطعة يجريها الزعماء الصهيونيون مع وزارة الخارجية الالمانية في برلين . وقد رفع ليختهايم ، الممثل الصهيوني في الاستانة ، اثناء وجوده في برلين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ ، مذكرة الى وزارة الخارجية

٦٩ – **Ibid, P.315**

٧٠ – في مقال نشره اسرائيل كوهين في ١٩٢٢ من منشورات المنظمة الصهيونية (مكتب لندن) تحت عنوان The Conflict in Palestine يرد على ما ذكره شبلي الجمل سكرتير الوفد الفلسطيني ١٩٢٢ من ان وايزمان حاول ان يؤثر على الحكومة البريطانية لمنع اي محاولة صلح منفرد مع تركيه ، وان العكس هو الصحيح وان وايزمان بناء على طلب الحكومة البريطانية ذهب لمقابلة بعثة مورغنثو التي كان ينضم لها بعض الصهيونيين وان اهتمامه الوحيد كان ابعاد المسألة الصهيونية عن اي مفاوضات يمكن ان تجري . ويلوم الكاتب شبلي الجمل لانه اسف على ان البعثة قد انتهت بالفشل اذ لو نجح السلم مع تركيه لظلت تركيه مالكة لفلسطين .

الالمانية (دائرة البلقان والشرق الادنى) تلخص الصهيونية واهدافها ، واحتج بان تأسيس وطن قومي في فلسطين سيؤدي الى تقوية الامبراطورية العثمانية ـ حليفة المانيه ـ اقتصاديا . وعاد ليؤكد ثانية في محادثاته مع السفارة الالمانية في الاستانة ان تحقيق الاماني الصهيونية في فلسطين يتفق مع المصالح الالمانية لانه سيؤدي الى تقوية الامبراطورية العثمانية اقتصاديا ويقيم نفوذا المانيا في فلسطين (٧١) . ومع ان المحادثات لم تنته بتعهد علني من الحكومة الالمانية يحدد موقفها من الصهيونية، الا ان الصهيونيين املوا من ورائها اولا : كسب صداقة الحكومة الالمانية ، لان ذلك اساس لتقدم الصهيونية لو ان المانيه اصبحت قوة رئيسية في الشرق الادنى ، وثانيا : الحصول على مساعدة الحكومة الالمانية باصدار تعليماتها الى قناصلها في فلسطين من اجل استخدام نفوذهم لحماية السكان اليهود هناك (٧٢) . ومع ان نص التعليمات في كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ ، كان غامضا لم يشر الى الصهيونية ولا الى فلسطين ، بل فقط الى الهجرة وتوطين اليهود في تركيه ، آخذة بعين الاعتبار مشاعر السلطات التركية المحلية، فقد نفذت التعليمات بروح متعاطفة مع القضية الصهيونية . وخلال سنوات الحرب كلها كان الدعم الالماني (الى جانب التدخل الاميركي) مساعدا جدا على تخفيف كثير من الاجراءات المعادية للصهيونية ، التي اتخذتها السلطات التركية في فلسطين (٧٣) .
وكانت الحكومة الالمانية ترغب في تجنب الصدى السيء لدى الرأي العام الذي يمكن ان تحدثه الاجراءات العثمانية ضد اليهود ، اذ ان الحكومة الالمانية كان يهمها كسب اصدقاء من الدول الحيادية ومن الولايات المتحدة خاصة ، واذا وقع اي ظلم تركي فسيستغل ذلك الحلفاء ، ويقع على المانيه جزء من المسؤولية (٧٤) . وهذا ما كانت توضحه تقارير السفير الالماني في واشنطن ، الذي كان يحرص على ان يبلغ دوما عن الاحداث في فلسطين، وعن ردود فعل الرأي العام الاميركي لهذه الاحداث (٧٥) . وقدمت الحكومة الالمانية مساعدات اخرى كشفها تقرير رفع للمؤتمر الصهيوني الثاني عشر ١٩٢١ فقد سمح الالمان للوكالة الصهيونية في الاستانة منذ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ باستخدام الخدمات الدبلوماسية الالمانية والشفرة التلغرافية للاتصال مع برلين وفلسطين ، كما سمح لسوكولوف وتشلينو وكلاهما روسي بالبقاء في برلين حتى مغادرتهما الى لندن في اواخر ١٩١٤ ، واعطي جاكوبسون رغم انه لم يكن المانيا (بل من

٧١ ـ Weltmann, S., « Germany, Turkey and the Zionist Movement 1914-1918», **The Review of Politics**, Vol. 23. 1961, P. 258.

٧٢ ـ Ibid, 259

٧٣ ـ Stein, L. **Balfour Declaration**, London, 1960, p. 209.
يعدد الكاتب امثلة من التدخل الالماني بناء على اشارة الوكالة الصهيونية في الاستانة او اللجنة التنفيذية في برلين : كاعادة فتح بنك انجلو فلسطين ، وامتناع الترك عن تهجير جماعي لليهود الروس ، وانقاذ عدد من اليهود في مراكز بارزة في فلسطين من السجن والنفي .

٧٤ ـ Ibid, P. 208 - 209

٧٥ ـ ذكرت جريدة **ذي تروث** في ١٩١٥/٤/٢٧ ان الصحف الاميركية نقلت عن السفير الالماني في واشنطن الكونت بيرنسدورف (Bernsdorff) تكذيبا لما ورد من اخبار حول وضع اليهود في فلسطين .

اصل روسي ويحمل الجنسية العثمانية) وثائق سفر المانية للتنقل بين برلين والاستانة (٧٦) .

ولا يمكن ان يعزى هذا الدعم الالماني الدبلوماسي ، والجهود لحماية اليهود في فلسطين ، لاعتبارات عاطفية فقد كان للالمان دوافعهم الخاصة ، فالى جانب المصالح الاقتصادية الثقافية ربما كانت المانيه ترى في انشاء دولة يهودية تحت السيادة التركية امرا دفاعيا تماما كما كانت فلسطين اليهودية بالنسبة لانجلتره (٧٧) .

وكان عنصر هام آخر يلعب دوره في التقارب التركي الصهيوني الالماني ، هم اصدقاء اليهود الصهيونيين في البلاط العثماني من يهود سالونيك الاصليين والدونمة الذين يدين الاتحاديون بنجاحهم الاولي الى مساعدتهم . وكان بعضهم يحتل مراكز ذات نفوذ في الدولة وميول معظمهم المانية ، ومنهم جاويد بك وقره صو . وقد شرح الاخير لمراسل المقطم ، في مقابلة معه (٧٨) ، اسباب دخول تركيه الحرب بجانب المانيه بحجة الحفاظ على املاكها بعد ان اثبتت تجربتها الماضية مع انجلتره وفرنسه في حروب البلقان ثم القرم عن وقوفهما الى جانب اعدائها . كما بين ان له ثقة بالالمان « فهم لا يقصدون اخذ املاكنا ... وغاية ما يرمون اليه استثمار بلادنا استثمارا اقتصاديا لا دخل له باستقلالنا ... » . وقد اعتبرت السلطات البريطانية ان هؤلاء اليهود والدونمة ، نظرا لنفوذهم في الدولة العثمانية وميولهم الالمانية ، هم المسؤولون عن جر تركيه الى الدخول في الحرب بجانب المانيه . وقد جاء ذلك على لسان وينجيت في تصريح ادلى به في اواخر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٤ امام عدد من اعيان الخرطوم (وكان لا يزال الحاكم العام للسودان) . فقد وجه اللوم الى « عصابة اليهود الراسماليين المنحطين والمتآمرين في الاستانة » (٧٩) . وذهبت النشرة العربية الى ابعد من ذلك في مقال خاص عن الحركة الطورانية والعرب (١٩١٧/١٢/٤) (٨٠) ، اذ اعتبرت ان اليهود والدونمة في سالونيك قد لعبوا الدور القائد في تكوين تطوير فكرة الحركة الطورانية ، كما يظهر في كتابات (تكين الب) والذي تدعوه النشرة باسم (دكتور كوهين) ، والذي ايده الكاتب الالماني اليهودي نوسيغ في الكتابة عن الحركة الطورانية

٧٦ ـ Stein, P. 210

٧٧ ـ **Palestine**, 9.6. 1917, P. 160

٧٨ ـ **المقطم** ، ١٩١٦/٢/٤ .

٧٩ ـ احتجت جريدة **الجويش كرونيكل** على التصريح لدى وزارة الخارجية فأوضح وينجيت في رده انه في انتقاده انما كان يقصد الجهاز الحاكم في الاستانة ، وليس التهجم على العنصر اليهودي في اي مكان آخر ، وهدفه كان كسب الرأي العام المحلي .

٨٠ ـ F.O. 882/26 Arab Bulletin,
وقد اوضحت جريدة **الكوكب** في القاهرة (وكانت تصدر باشراف السلطة العسكرية البريطانية) ١٩١٦/١٢/٢٦ ، هذا الارتباط الذي يجمع بين الحركة الطورانية الجديدة ومصلحة الالمان واليهود فيها : « ... ان المانيه من وراء هذه الحركة تعمل بمهارة عظيمة لتسبك الامة التركية في قالب جديد ، يتمكن بواسطته ماليوها وتجارها من احتكار الصناعة والتجارة في البلاد التركية . ولا عجب ما دام يدير هذه الحركة دماغ رجل يهودي عرفت امته بالتفتن في الاقتصاد وتدبير الاموال « نقصد تكين الب » » .

الجديدة ومدح مبادئها والثناء على القائمين بها . وتبين ان الحركة لا تهدف فقط مصلحة الترك ، بل يراد بها مصلحة الالمان واليهود ، وتشرح دوافع الدونمة في هذا الامر: بان يهود سالونيك قد اصبحوا اغنياء باستغلالهم الترك... ويرون ان ازدهارهم في المستقبل مرتبط باستمرار الامبراطورية العثمانية ... ويلتقون في ذلك مع مطامع المانيه في تطلعها نحو الاشراف في المستقبل على حزام تركي صلب يسير في قلب آسيه الوسطى .

وقد حاولت الدوائر الصهيونية الموالية للحلفاء ان تنفي كل صلة للصهيونية بألمانيه ، او اي عطف سياسي لليهود نحو دول الوسط (٨١) ، ونفى (ادجارسوارس) احد رجال الاعمال اليهود في الاسكندرية في مذكرة رفعها الى السلطات البريطانية في مصر ١٩/١٠/١٩١٦ (٨٢) عن يهود مصر اي عطف سياسي نحو دول الوسط رغم ان عددا كبيرا منهم يحمل الجنسية الالمانية والنمساوية. وينفي آرون ارونسون في تقريره الذي رفعه الى المكتب العربي في ١٩١٧ ، هذه الصلة ويقدم دليلا على ذلك الصراع الذي دار حول اللغة الالمانية عام ١٩١٣ وان بقاء هذه المشكلة حتى الآن يكذب برأيه الفرضية السابقة (٨٣) ، كذلك فقد اتخذت الدوائر الصهيونية نفسها هذا الاهتمام الالماني بالصهيونية حجة لها للتأثير على الحكومة البريطانية للاسراع في منح تأكيداتها بالعطف على الاماني الصهيونية : ففي حديث (ادجار سوارس) مع احد المسؤولين البريطانيين في مصر ١١/٢/١٩١٦ (٨٤) يلوم الحكومة البريطانية لانها اضاعت فرصة ذهبية لها في الحرب حين اخطأت بعدم استمالة العنصر اليهودي ، وخاصة في اميركه، حيث يتخذ اليهود هناك موقف اللامبالاة او العداء لقضية الحلفاء والموالاة لسياسة المانيه ، وهو يؤكد ان الاماني الصهيونية فيما يتعلق بفلسطين ، لو لاقت عطفا من الحكومة البريطانية ، بامكانها (بضربة قلم) ان تكسب الدعم الفعال للعنصر اليهودي في كل العالم . وبالفعل كان في ذهن بعض العاملين في الخارجية البريطانية ـ رغم اقتناعهم بالمبالغة في قيمة الرأي العام اليهودي ـ تقدير النتائج السياسية لاي اجراء تقدم عليه بريطانيه لصالح اليهود في فلسطين . اذ جاء في مطالعاتهم على اقتراح سوارس « ... ان اي تسوية مرضية للاماني الصهيونية يمكن ان تجذب فئة ضخمة من اليهود، وان بالامكان عقد صفقة معهم لسحب دعمهم لحكومة تركيه الفتاة التي ستنهار آليا بعد ذلك (٨٥) » . وذهب المكتب العربي في مذكرة ٥/٢/١٩١٧ (٨٦) الى التأكيد بان مجرد اشارة من دول الحلفاء الى انها ستسمح بدعم الاستيطان اليهودي والتغلغل الاقتصادي اليهودي في فلسطين ، سيجعل الصهيونية تميل الى جانب الحلفاء ... والا فان الصهيونية سترمي كل ثقلها الدولي ضد الحلفاء ... » وحذر جراهام

٨١ ـ **المقطم** ، ٢١/٩/١٩١٥ مقال لنسيم ملول .
٨٢ ـ F.O. 882/14 Arab Bureau Papers
٨٣ ـ F.O. 882/4 Arab Bureau Papers
٨٤ ـ F.O. 371 / 2671 / 35433
٨٥ ـ F.O. 371/2671 / 36434
٨٦ ـ F.O. 882/14 Pa 17/6 Arab Bureau Papers

(رئيس دائرة الشرق الادنى في وزارة الخارجية ، وهو صديق وايزمان وجابوتنسكي) في ٢٤/١٠/١٩١٧ ، الوزارة البريطانية بعد ان اجلت مرارا اصدار تصحيح لصالح الصهيونية ، حذر من مواجهة حركة المانية تتبنى المسألة الصهيونية بقوله: « ... يجب ان نتذكر ان الصهيونية ، ان لم تكن المانية ، فقد كانت ، على كل حال ، بالاصل فكرة نمساوية » (٨٧) .

ولكن هذا الدعم الالماني لم يكن مطلقا ، بل كانت تحدده اعتبارات هامة لها صلة بالعلاقات الالمانية التركية ، فالحكومة التركية كانت حساسة حيَال اي تدخل اجنبي في امورها ، كذلك لم تعتبر (اي الحكومة التركية) ان المسألة الصهيونية قد اصبحت ملحة الا بعد صدور وعد بلفور ، اما قبل ذلك فكانت تتردد في موالاة الصهيونية لعدة عوامل ، اهمها الخوف من ان تؤدي الصهيونية الى مشكلة قومية جديدة ، وكذلك فان الحركة القومية المتشددة في تركيه ، والنزاع داخل الدوائر الحكومية جعل اي بحث لتحويل ملكية اي اقليم تركي عملا هداما من وجهة نظر السياسة الداخلية التركية، كما ان الحكومة التركية كانت مصممة على ان لا تفاقم علاقاتها مع العرب اكثر بسبب القضية الصهيونية (٨٨) . وجرت عدة امور اثارت شكوك الحكومة العثمانية بالصهيونية، كتشكيل الوحدات اليهودية للقتال بجانب الحلفاء ضد تركيه ، وكشف شبكات التجسس اليهودية لصالح بريطانيه وراء الخطوط التركية .

ولكن يبدو « ان ازدياد توتر العلاقات العربية التركية ، وتحالف القوميين العرب مع بريطانيه ، دفعا الالمان والترك معا الى الاعتقاد بان جزيرة يهودية في فلسطين امر مرغوب فيه جدا لتوازن ٦٠٠ر٠٠٠ عربي في فلسطين وتقف في وجه مطامح البلاد الانجلو عربية المحيطة . وهذه الآراء عبرت عنها مذكرة رفعها (ليختهايم) الى السفارة الالمانية في الاستانة ١٩١٦ ـ ١٩١٧ ، لكن الترك ظلوا يحجمون عن الاقدام على اي خطوة خوفا من اثارة عداء العرب الذين لا يزالون تحت سلطتهم » (٨٩) وتغير الموقف نتيجة لأخبار المفاوضات الصهيونية البريطانية ، التي سبقت تصريح بلفور، وحذرت وزارة الخارجية الالمانية اللجنة التنفيذية الصهيونية في حزيران (يونيو) ١٩١٧ من ان هذه المحادثات قد تسبب (خرابا كبيرا) . وكان جواب (ليختهايم) باسم اللجنة التنفيذية : انه لا يمكن وقف نشاط الحركة الصهيونية في البلدان الاخرى ، وان الطريقة الوحيدة لاستخدام الحركة الصهيونية لفائدة تركيه يكون عن طريق دعم الماني وتركي للصهيونية (٩٠) . وحثت اللجنة التنفيذية الحكومة الالمانية في مناسبات عديدة على تبني موقف موال للصهيونية ، والتأثير على الحكومة المركزية لاتخاذ موقف مماثل ، لان مثل هذه الخطوة من قبل الدولتين سوف تسبق الاتفاق بين الصهيونيين وبريطانيه وسيكون لها تأثير واسع على الرأي العام اليهودي . وخلال صيف ١٩١٧ ، حاولت المانيه ان تؤثر على تركيه في هذه الناحية . وبحث السفير الالماني الجديد الكونت

٨٧ ـ F.O. 371 / 3054 / 207495 / 84173 F.
٨٨ ـ Weltmann, P. 256
٨٩ ـ Perlmann, Chapters of Arab - Jewish Diplomacy, 1918 - 1922. op. cit., P. 128
٩٠ ـ Weltmann, P. 263

برنستورف في ايلول (سبتمبر) مسألة انشاء وطن يهودي في فلسطين مع طلعت باشا، الذي اصبح صدرا اعظم . ويرى السفير ان طلعت كان مستعدا لتنفيذ كل ما يطلب بشرط ان تظل فلسطين تركية بعد الحرب، ولكنه حذر مرارا من المعارضة العربية (٩١) . وقد بعث المفوض البريطاني في برن بمذكرة الى بلفور في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) (٩٢) عن اخبار اجتماع جرى مؤخرا في برلين بين جمال باشا وزعيم صهيوني بحضور هرفون كهلمن لبحث المسألة الفلسطينية ، وقد اعطيت وعود خاصة لليهود للحصول على تعاونهم في قرض الحرب الجديد ، ولكن الاجتماع لم يسفر عن نتيجة محسوسة .

ويبدو ان الجهود الالمانية لاقناع تركيه بتبني موقف موال للصهيونية ظلت محدودة نوعا ما ، الا ان التحول النهائي في الموقف الالماني والتركي تجاه الصهيونية حدث بعد تصريح بلفور رسميا في ١٩١٧/١١/٢ ، فقد رحبت الحركة الصهيونية في المانيه بالتصريح . وكما جاء في مذكرة وضعها مكتب المخابرات في دائرة الاعلام في وزارة الخارجية البريطانية في ١٩١٨/٢/١٣ بعنوان (٩٣) : «Attitude of Enemy Governments towards Zionism.» ان جريدة Judische Rundschau الناطقة بلسان الصهيونية الالمانية قد نشرت في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) مقالة هامة وصفت فيها تصريح بلفور بانه حدث تاريخي هام للعرق اليهودي ، كما اصدر المؤتمر الصهيوني الالماني المنعقد من ٢٣ – ١٩١٧/١٢/٢٤ قرارا اعرب فيه عن « ارتياحه لعمل الحكومة البريطانية » . وبرأي المذكرة السابقة ان التصريح دفع الحكومة الالمانية الى ان تتخذ موقفا ايجابيا ، ويبدو ان الصهيونيين الالمان ضغطوا عليها للحصول على امتيازات كبيرة للصهيونية على نفس المبادىء التي تضمنها تصريح بلفور . وقد نقل السفير البريطاني في برن الى بلفور في ١٩١٧/١٢/٦ (٩٤) (بعد سقوط القدس) مذكرة جاءته من مصدر الماني موثوق حول الاهتمام النشط الذي تبديه الحكومة الالمانية باليهود في فلسطين ، بشكل يتوافق مع صدور وعد بلفور : « وان اليهود الالمان يسعون جهدهم لدفع الحكومة الالمانية للضغط على الحكومة التركية لتسهيل استيطان اليهود في فلسطين في ظل الحكم التركي ... » . وتشكلت جمعيات من المثقفين والسياسيين ، كانت تتلقى التشجيع من الدوائر الحكومية ، وتطالب بالدعم الالماني للصهيونية ، بحجة ان تأسيس وطن قومي في فلسطين ، سيكون في الصالح القومي الالماني ، وان المهاجرين الناطقين بلغة يديش سوف تكون لهم علاقات قوية مع الثقافة الالمانية ، بينما سيساعد التطور الاقتصادي للبلد على تقوية حليفة المانيه ، الامبراطورية العثمانية (٩٥) .

---

٩١ – Ibid., P. 264

٩٢ – F.O. 371 / 3395 / 193643 / 84173 F.

٩٣ – F.O. 371 / 3388 / 29730 / 1495

٩٤ – PRO. F.O. 371 / 3054 / 238351 / 84173 F.

٩٥ – Palestine, 26.10.1918, P. 96

من هذه الجمعيات Pro Palestina التي وزعت منشوراتها التي كتبها Herr Cohen بعنوان « الاهمية السياسية للصهيونية » يبين فيها ان الشعب اليهودي هو القادر وحده على تجديد شباب الدولة المريضة ، الذي هو بالتالي : « ذو اهمية حيوية لالمانيه » .

لكن الحكومة الالمانية ثابرت على معالجتها الحذرة للقضية ، « ... اذ نظرا لان الامتيازات القومية والمحلية تتعارض مع برنامج جمعية الاتحاد والترقي الداعي للتتريك والمركزية ، فقد كان من الصعب على الحكومة الالمانية ان تتدخل الى ان تقوم الحكومة التركية بعمل من جانبها » و في ١٩١٨/١/٢ ، نشر اللاسلكي الالماني تصريحا ادلى به طلعت باشا الى مراسل Vossische Zeitung يتضمن النقاط التالية (٩٦) :

أ) كانت تركيه دوما متسامحة نحو مواطنيها اليهود . وتركيه هي البلد الوحيد الذي لم يكن فيه حركة ضد السامية ، ولكن : « من الطبيعي اننا اتخذنا موقف عدم اعطاء اليهود امتيازات اكثر من مواطنينا ... » .

ب) ان رسالة مستر بلفور (انما هي خدعة) .

ج) ان اية قيود ادارية فرضتها الحكومة العثمانية على الاستيطان اليهودي يعود الى سياسة روسيه القيصرية التي اجبرت اليهود المهاجرين من روسيه على الاحتفاظ بجنسيتهم الروسية ، مما ادى بموجب نظام الامتيازات الى بقائهم تحت السلطة القضائية للسلطات القنصلية الروسية ، وقد ازال الغاء الامتيازات هذه الصعوبة ، ولكن من المفروض طبيعيا على اليهود الذين يرغبون في الاقامة الدائمة في البلاد التخلي عن جنسياتهم السابقة كي يصبحوا رعايا عثمانيين ويؤدوا جميع الواجبات .

د) ينبغي ان تكون الهجرة ضمن حدود امكانية البلاد على اعاشة سكانها ، فالهجرة الجماعية لمئات الالوف من اليهود الى فلسطين مستحيلة .

هـ) من الناحية الثقافية والروحية ، فاليهود في ظل الحكومة التركية اكثر حرية منهم تحت ظل اية حكومة اخرى في العالم .

و) هناك مشروع امام مجلس النواب التركي لاعطاء المجموعات التي تتجاوز ٥٠٠ نسمة او اكثر نوعا من الحكم الذاتي البلدي الموسع ، وعلى المجموعات اليهودية الصغيرة ان تعتمد على نية الحكومة الحسنة ... وكل رغبات اليهود التي يمكن تبريرها سوف تكون ضمن هذا الاطار .

رحب الرأي العام في المانيه بتصريح طلعت ، كنقطة انطلاق هامة وجديدة . وصدر في ٥ كانون الثاني (يناير) تصريح الماني على لسان وكيل الخارجية الالمانية بدعم بيان طلعت على هذا النحو « ... فيما يتعلق بأماني اليهود ، وخاصة الصهيونيين في فلسطين ، نحن نرحب بالبيان الذي صرح به مؤخرا الصدر الاعظم ، عن نية الحكومة العثمانية ، لصداقتها الطويلة نحو اليهود ، في مساعدة الاستيطان اليهودي في فلسطين بالسماح بالهجرة الحرة واعادة الاستيطان ضمن حدود مقدرة البلاد على الاستيعاب، وكذلك الحكم المحلي الذاتي طبقا لقوانين الدولة ، والتطور الحر للحياة الثقافية

---

٩٦ – نقلا عن مذكرة مكتب المخابرات في دائرة الاعلام في وزارة الخارجية البريطانية ١٩١٨/٢/١٣ المشار لها سابقا .

اليهودية (٩٧) » . ورحب الراي العام الالماني ، بما فيه الصحافة ، بالتصريح الالماني وفسرته الصحافة بانه يعبر عن الدعم الالماني للاماني الصهيونية في فلسطين، رغم ما وجه اليه من انتقاد بانه اجراء متأخر وغير كاف (٩٨) . وهذا التطور ، دفع بعض الاوساط الصهيونية الموالية للحلفاء الى استغلال العروض التركية لزيادة مطالبهم من بريطانيه (٩٩) .

وبعث جابوتنسكي من القاهرة في ١٩١٨/٣/١١ برقية ضمنها راي احد ممثلي الحركة الصهيونية في مصر برفض العروض التركية بحجة انها تجعل الاستيطان ضمن حدود قدرة البلاد على الاستيعاب ، التي ستحددها الحكومة التركية نفسها . وهذا برأيه حيلة واضحة ، اذ ان قدرة البلاد على اعاشة السكان تتوقف على التطور الكامل للموارد الاقتصادية ، وهو الذي يدفع الصهيونيين الى القول : « اعطونا الفرصة لتنمية فلسطين وسوف نجعل فيها متسعا للملايين » (١٠٠) وانتقدت مجلة بالستاين عروض طلعت لانها لم تقدم جديدا ، فالغاء قيود الهجرة ليس ربحا لان هذه القيود كانت اسمية قبل الحرب ، ولم يكن معمولا بها على الاطلاق . وترى المجلة « ان طلعت يعرف الاثر السياسي الذي سيحدثه تصريح بلفور لمصلحة الحلفاء ، فاعتقد انه بكلمات خيالية يمكن شله » (١٠١) ووردت برقية اخرى من لاهاي (١٠٢) تنقل رأي رئيس لجنة المنظمة الصهيونية العالمية (ج.ب. كان) في بيان الصدر الاعظم «بانه قد فشل في محاولة تهدئة الرأي العام حول موقف تركيه تجاه الصهيونية ، ويشترط كان ، من اجل ان يضع اليهود مالهم وجهدهم في فلسطين ، الحصول على الضمانات الكافية ، اذ انهم برأيه « منهوكون من التجول ولهم الحق في النهاية ان يجدوا وطنا مستقرا » . لقد اراد كان ان يستغل هذا البيان لفرض شروطه على الحكومة البريطانية فيما يتعلق بمستقبل فلسطين وخاصة انه يرى « ان اماني الصهيونية تتمتع بعطف معظم العالم » .

لم يكن هذا الموقف لصالح وجهة النظر التركية ــ الالمانية ، ولكن الحكومة التركية دفعت بسياستها تجاه الصهيونية خطوات ابعد الى الامام حين سافر طلعت باشا بعد ايام الى برلين ، لبحث المسألة الفلسطينية هناك . وقد ورد الى الخارجية البريطانية عن طريق المفوضية البريطانية في كوبنهاجن نسخة من مقال بعنوان « تركيه والاستيطان

---

٩٧ ــ Weltmann, P. 265

٩٨ ــ علقت جريدة **التايمز** في ١٩١٨/١/١٥ ص ٥ ، على البيان الالماني « بانه لو اخذ مع تصريح طلعت يمكن ان يقال ان دول الوسط قد اتخذت معا موقفا مواليا في صالح الحركة الصهيونية » .

٩٩ ــ تنقل برقية من كوبنهاجن في ١٩١٨/١/٢١ الى وزارة الخارجية البريطانية قلق سكرتير الجمعية الصهيونية الدانماركية من ان يعطل هذا الاتجاه الالماني التركي تأثير تصريح بلفور . وتحث الحكومة البريطانية على ان تحبط ذلك باصدار تصريح عن ذهاب وفد يهودي الى فلسطين ليشكل حكومة مؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .

١٠٠ ــ والبرقية تضيف ان الصهيونيين لا ثقة لهم بالترك الذين لا يمكنهم ان يحكموا الا اذا ظلت امبراطوريتهم فقيرة جاهلة فهم لا يريدون الثروة التي يعرضها اليهود ويفضلون تمزق الامبراطورية، ويختم جابوتنسكي برقيته : « حسنا ، فلتكن اذن تجزئة وللابد من اجل الافضل » .
F.O. 395/237

١٠١ ــ **Palestine,** Sept. 7.1918, P. 35

١٠٢ ــ F.O. 371 / 3388 / 1805 / 1495

اليهودي » من مجلة دير اورينت (السنة السادسة شباط ، فبراير ١٩١٨) عن اخبار هذه المحادثات (١٠٣) بين طلعت ودكتور نوسيغ حول تنظيم الهجرة والاستيطان اليهودي وخول الصدر الاعظم نوسيغ الابراق الى قره صو لاستدعائه بأقصى سرعة ، حيث فوض اليه معالجة المسألة اليهودية مع تأكيدات بقبول الحكومتين التركية والالمانية السياسة التي يوصي بها . وقام قره صو بتأليف لجنة من عشرين عضوا (١٠٤) تمثل قطاعات مختلفة من اليهود الالمان تضم صهيونيين وغيرهم بينهم دكتور ناثان ودكتور ج . سيمون وبروفيسور اوبنهايمر لابداء الرأي بالموضوع ، وبعد تخطيط طويل ومناقشات مختلفة قدم اقتراح مستفيض الى الحكومة التركية يوصي بتشكيل (شركة ذات امتيازات) على النموذج البريطاني ، من جميع اليهود في آسيه الصغرى ، ويفوض لهذه الشركة ، التي سيكون مقرها في الاستانة ، منح الاستقلال الذاتي للمناطق التي يسكنها اليهود ، ليس فقط في فلسطين ، وانما في اي مكان آخر من الامبراطورية التركية ، ويكون لهذه المناطق السلطات الكاملة على الضرائب والشرطة والمؤسسات البلدية . وقد وافق طلعت على المشروع ووعد بانه سيضمن في شروط الصلح . وقد اقترح الصدر الاعظم بعد المحادثات ان يكون قره صو الذي يحظى بثقة الحكومة التركية الكبرى وسيطا لديها لتحقيق المشروع . كما عبر عن توقعاته ان يزور دكتور نوسيغ ومندوبان آخران الاستانة في المستقبل القريب للبدء في المفاوضات للوصول الى نتيجة. وابدى الملحق العسكري في المفوضية البريطانية في كوبنهاجن في مذكرته الى الخارجية عن قلقها من ان يخلق الاقتراح تأثيرا كبيرا على اليهود في اوروبه وآسيه الصغرى : « ذلك انه لا يعد بشيء في استطاعة تركيه منحه لهم ، في حين ان العرض البريطاني يمكن تحقيقه فقط عند انتهاء الحرب او قبل ذلك عندما تقع سوريه وفلسطين كاملة في ايدينا » .

ولكن الخارجية البريطانية ، في مذكرة اعدت تعليقا على المذكرة السابقة ، لم تر وجود اي خطر يؤثر في التقليل من قيمة خطاب بلفور ، اذ باستعراض الوقائع تبين لديها ان الاوراق الرابحة لا تزال في ايدي الحلفاء : فأهم الجاليات اليهودية في العالم تعيش في ظل الحكومات المتحالفة ، مثل يهود الولايات المتحدة وبريطانيه العظمى وفرنسه وسالونيك « ... وهؤلاء اليهود يعتمدون علينا من اجل مستقبلهم وهم واثقون بحسن نيتنا » . وتضيف المذكرة « ان مشروع قره صو لا يعد المستعمرات اليهودية في تركيه بحكم ذاتي اوسع من الذي كانوا يتمتعون به ... والظاهرة الجديدة في المشروع هي (الشركة ذات الامتيازات) وهذه ليست حرية بل مبدأ ، وهذا من شأنه ان يخضع الاستيطان اليهودي للسيطرة العثمانية الرسمية اكثر مما كان الحال قبلا ، وهو اقتراح يمثل سياسة المركزية والتتريك التي تنتهجها جمعية الاتحاد والترقي ، ومن الصعب ان يكون مقبولا لدى الرأي العام اليهودي .

وتجددت المفاوضات في تموز (يوليو) في الاستانة نتيجة لمبادرة الحكومة التركية،

---

١٠٣ ــ F.O. 371 / 3388 / 27066 / 1495

١٠٤ ــ بعث الملحق العسكري في المفوضية البريطانية في كوبنهاجن في ١٩١٨/٢/٤ نقلا عن مصدر صهيوني موثوق مذكرة بشأن المشروع الذي صيغ في برلين . F.O. 371 / 3388 / 27066 / 1495

اذ كان طلعت باشا قد دعا عددا من المنظمات اليهودية في المانيه والنمسه ، وبينها المنظمة الصهيونية ، لارسال مندوبين الى الاستانة لهذه المفاوضات (١٠٥) وكان بين ممثلي المنظمة الصهيونية دكتور ارثر روبين ، الرئيس السابق لمكتب فلسطين في يافا والذي ابعده جمال باشا عام ١٩١٦ الى الاستانة ، وكذلك دكتور فيكتور جاكوبسون عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية ومدير مكتب المنظمة الصهيونية المؤقت في كوبنهاجن ، والذي كان في ذلك الوقت يقوم بدور مزدوج بين الحكومتين التركية والبريطانية (١٠٦) . وما تعرفه المفوضية البريطانية في كوبنهاجن بالنسبة للمفاوضات مع الحكومة العثمانية « ان المنظمة الصهيونية كانت تنوي ان تقترح على الحكومة التركية تنظيما جديدا في فلسطين ، يهدف استقلالا واسعا شبه ذاتي للسكان اليهود في فلسطين ، والى جانب ذلك الغاء كلي للقيود الحالية على الهجرة وشراء الاراضي ، واعطاء شركة استيطان يهودية كبرى عددا كبيرا من الحقوق الادارية والاقتصادية بمرسوم يصدر من البرلمان التركي وارادة سلطانية بما يشبه نموذج الشركات البريطانية الكبرى ذات الامتيازات » . وتعلق رسالة المفوضية البريطانية في كوبنهاجن على اخبار هذه المفاوضات « ... انه نظرا لان الحكومة التركية هي التي تولت المبادرة في هذا الموضوع فهذا يعني ان الساسة الكبار في تركيه قد بدأوا يقدرون الاهمية التي تستطيع ان تقدمها الحركة اليهودية في فلسطين لتركيه ... » . على كل حال ، يبدو ان المفاوضات قد انقطعت بسبب عدم الاتفاق حول مطالب الحكم الذاتي . وقد جرت في آب (اغسطس) محاولة اخيرة للتوفيق بين الخلافات بارجاعها الى لجنة خاصة تمثل كلا الجانبين . وكان من المفروض ان تجتمع هذه اللجنة في موعد لاحق ، الا ان انهيار تركيه قد انهى المفاوضات (١٠٧) .

هذا الاستعداد التركي للمفاوضة مع الصهيونيين قد يعزى بصورة رئيسية الى الوضع العسكري المتدهور وفقدان فلسطين ، اذ يبدو ان ساسة تركيه قد استنتجوا انه لن يضيع شيء بالموافقة على بعض المطالب الصهيونية ، او انهم قد حسبوا ان وضع تركيه قد يكون اقوى في مؤتمر السلم لو ان الحكومة التركية تعهدت بدعم هذه المطالب . بالاضافة الى ذلك ، فان المعارضة العربية للصهيونية ، التي كان لها وزنها في الحكومة

١٠٥ ـ ذكرت جريدة **التايمز** ١٩١٨/٨/٣١ ص ٥ « ان طلعت باشا خاطب ممثلي المنظمات الصهيونية في وسط اوروبه قائلا : اؤكد لكم تعاطفي لخلق مركز يهودي ديني في فلسطين بواسطة هجرة واستيطان منظمين جيدا . ان رغبتي وضع هذا العمل تحت حماية الحكومة التركية » .

١٠٦ ـ اخبار هذه المباحثات بعث بها الملحق العسكري البريطاني في كوبنهاجن في ١٩١٨/٧/٤ .
F.O. 371 / 3388 / 27060 / 1495 F.
كان جاكوبسون ممثلا للمنظمة الصهيونية في الاستانة قبل الحرب وقبل ابعاده عن الاستانة كان قد حصل على الجنسية العثمانية ، وفي كوبنهاجن كانت تربطه صداقة شخصية بالملحق العسكري البريطاني (الكولونيل ماكس) الذي كان يستقي معظم اخباره عن تطور الامور في المانيه من محادثاته مع جاكوبسون . وقد بعث يعلن لماكس رغبته في الوقوف الى جانب الحكومة البريطانية في وقت كانت المفاوضات مع تركيه لا تزال مستمرة ، كما ان برقيات التهنئة التي ارسلت الى انجلتره وفرنسه وايطاليه بمناسبة تصريح بلفور كانت تحمل توقيعه .

١٠٧ ـ من الجدير بالملاحظة ان جمال باشا لم يذكر تصريح بلفور كدليل على خيانة بريطانيه لوعودها للعرب في محاولته الاتصال بزعامة الثورة العربية ، وربما لان الاتراك قد قدموا بدورهم عروضا للصهيونيين .

التركية ، قد فقدت كثيرا من نفوذها بعد نشوب الثورة العربية ، ولكن من جهة اخرى ورغم استعداد الحكومة التركية لاصدار دعمها للصهيونية والمفاوضة حول شركة للاستيطان اليهودي في فلسطين ، لم تكن مستعدة لان تسلم للصهيونيين بمطالب الحكومة الذاتية . واذا كان للحركة الصهيونية اي فائدة لتركيه فهي فقط وسيلة لتقوية المطلب التركي لفلسطين في مؤتمر السلم (١٠٨) . كذلك كان لالمانيه دوافعها في ابطال مفعول تصريح بلفور ، والحفاظ على علاقاتها مع المنظمة الصهيونية حتى يمكن استخدام الحركة الصهيونية لاغراض السياسة الالمانية الخارجية ، لو اتاحت الظروف مثل هذا التعاون في وقت لاحق . ولكنها لم تعتبرها هامة الى حد يبرر ممارسة الضغط على الحكومة التركية للتقدم في المفاوضات ، فلم تصل المحادثات التركية الصهيونية المتقطعة الى نتيجة محسوسة ، في وقت كان الجانب الآخر من المنظمة الصهيونية في لندن يتولى مفاوضات مدروسة ومحكمة استغرقت شهورا طويلة وشغلت جميع اعضاء الوزارة البريطانية .

٤ ـ ارتباط المصلحة البريطانية والمطامع الصهيونية في فلسطين :

لقد كان الاشراف السياسي على فلسطين هو احد الاهداف السياسية الكبرى لبريطانيه في هذه الحرب ، وآخر حلقة في سلسلة الاعمال الدبلوماسية والعسكرية التي بدأتها بريطانيه لضمان طريق الهند بأخذ عدن وبريم ، واستمرت باحتلال مصر ، ثم باثارة قضية العقبة تلك التي استخدمت كحجة من قبل بريطانيه سنة ١٩٠٦ لجعل حدود سيناء اكثر قربا من مصر ، ثم الاتفاقية الانجليزية الروسية ١٩٠٧ التي تحمي المنطقة من تقدم روسي عبر افغانستان ، ثم مشروع ري العراق للمهندس الانجليزي وليام ويلكوكس ١٩٠٩ ، الذي كان يشمل بين الاشياء الاخرى خط حديد بغداد ـ العقبة ، والعقبة ـ مصر ليكون تحت الاشراف البريطاني . ورغم ان هذه الخطة قد فشلت لمعارضة الحكومة التركية ، الا ان الذي لم تستطع حكومة استامبول ان تمنعه هو ان يرسل ويلكوكس ، بحجة جلب مهندسين انجليز لمشروع ري العراق ، ضباطا انجليز قاموا بابحاثهم حسب مشيئتهم (١٠٩) تماما بنفس الطريقة التي انطلق بها الضباط الانجليز ١٩٠٥ ـ ١٩١٣ لحساب صندوق الاكتشاف الفلسطيني (١١٠) في جنوب فلسطين بحيث ان هيئة الاركان البريطانية كانت تملك عند نشوب الحرب خرائط عن العراق وجنوب فلسطين افضل بكثير مما يملكه الترك .

١٠٨ ـ Weltmann, P. 268

١٠٩ ـ من مقال (الصراع من اجل فلسطين) في صحيفة Vossische Zeitung الالمانية (١٩١٧/٨/١) وقد بعث السفير البريطاني في لاهاي نسخة منه الى الخارجية في ١٩١٧/٨/٣
F.O. 371 / 3053 / 154591

١١٠ ـ تأسس الصندوق المعروف باسم Palestine Exploration Fund عام ١٨٦٥ وبدأ باصدار دورية سنة ١٨٧١ ومع انه انطلق من فكرة دينية بهدف دراسة كل ما يتعلق بالارض المقدسة الا ان حقول نشاطاته وما قام به من عمليات التنقيب والمسح ووضع الخرائط لا يمكن ان تعزى فقط الى دوافع اثرية دينية ، وخاصة ان معظم العاملين بالحفر والمسح ووضع الخرائط كانوا ضباطا في وزارة الحربية ، وسلاح الهندسة الملكية بالذات .

والواقع ان الاعتقاد الثابت ، الذي ظل يسيطر على الدوائر العسكرية البريطانية فترة طويلة قبل الحرب من انه لن يحدث هجوم خطير ضد القناة من فلسطين لمصاعب اختراق سيناء ، ولنقص الخطوط الحديدية للترك ، قد بدأ يتزعزع منذ ان برزت مشكلة الحدود الشرقية لمصر والدفاع عن القناة عام ١٩٠٦ في عهد ادارة كرومر ، الذي كان من اكثر سياسيي بريطانيه اهتماما بكل ما يتضمنه ويستلزمه الاشراف البريطاني على مصر والقناة ، وكادت الامبراطورية (في عهد حكومة الاحرار برئاسة هنري كامبل ـ بانرمان) تخاطر بما يمكن ان يتحول الى حرب اوروبية من اجل ضمان حماية الاقتراب من القناة ومصر (١١١) ، وقد ابرز هذا الحادث اعتبارات عديدة . لقد اصبح الاحتلال العسكري لسيناء من الدولة التي تملك مصر او الدولة التي تملك فلسطين امكانية عملية . فوضعت بذلك مسألة الدفاع عن مصر في ضوء جديد (١١٢) . الا ان وزارة الدفاع البريطانية لم تهتم اهتماما كبيرا بمشكلة الدفاع عن القناة ضد اي هجوم من الشرق الا بين ١٩١٢ ـ ١٩١٤ (١١٣) ومع ان معظم المسؤولين قد قبلوا قبل الحرب بان فرنسه هي البديل الوحيد للحكم العثماني في سوريه ، الا ان السؤال الوحيد الباقي ، والذي يهم المصالح الحيوية البريطانية ، هو معرفة الحد الجنوبي الذي يجب ان يرسم لسوريه الفرنسية . ولذلك فان الرأي الذي بدأ يكسب دعما في دوائر بريطانية معينة هو : انه في حالة تجزؤ الامبراطورية العثمانية يجب ان يبذل جهد لفصل سوريه الجنوبية ، الممتدة شمالا الى حدود حيفا وعكا ، لتشكل كيانا منفصلا يقع تحت النفوذ البريطاني . وعمل اللورد كتشنر (وكان المعتمد البريطاني في مصر من ايلول (سبتمبر) ١٩١١ وحتى نشوب الحرب) ، على الدعوة لهذه الفكرة في الدوائر الرسمية قبل الحرب (١١٤) . ونجد احد الادلة عن خطة كتشنر في البعثة التي

---

١١١ ـ عرضت هذه القضية على لجنة الدفاع عن الامبراطورية :
C.I.D. Committee of Imperial Defence, CAB-38
والتي كانت جهازا استشاريا بريطانيا يضم اعضاء في الوزارة وخبراء في الجيش والبحرية ويتولى رئاستها حسب تنظيمها الداخلي رئيس الوزراء الذي كان كامبل بانرمان في ذلك الوقت .

١١٢ ـ نتائج ابحاث لجنة الدفاع عن الامبراطورية لم تجزم باحتمال حدوث خطر في ذلك الوقت لظروف خاصة تتعلق باوضاع الدولة العثمانية الا انها لم تنفه . وامام هذه اللجنة اعيد النظر في الاستراتيجية التي تنجم عن كون مصر لم تعد جزيرة محمية بل يمكن ان تخترق في ظروف معينة بقوة معادية .

١١٣ ـ اثيرت مجددا مسألة الدفاع عن الحدود الشرقية لمصر نتيجة لتغير الاوضاع في تركيه بعد تراجعها كقوة عسكرية اثر حروب البلقان . وكانت السلطات العسكرية في بريطانيه تستبعد احتمال قيام الدولة العثمانية بعمليات هجومية في المستقبل القريب ضد مصر عبر سيناء ، ومالت الى التفكير بانقاص القوة العسكرية في مصر ورفض كتشنر والسفارة البريطانية في الاستانة ذلك بحجة « ان الفعاليات العسكرية الفائضة لدى الترك سوف تبحث عن مجال جديد في مناطق جنوب سوريه والحدود المصرية ... وخاصة ان القلق الخطير المحتمل في العالم العربي سوف يعمل كمتنفس لمثل هذه الفعاليات ... ويبدو هذا اكثر احتمالا لو استمر تأثير الخبراء الالمان في الدوائر التركية العسكرية » . F.O. 195/2452/1124

١١٤ ـ Kedourie, E., **England and the Middle East**, London, 1956, p. 134
كان كتشنر في سلاح الهندسة الملكية وقد عمل في فلسطين منذ ١٨٧٤ في صندوق الاكتشاف
(التتمة على الصفحة التالية)

ارسلها صندوق الاكتشاف الفلسطيني بايعاز من وزارة الحربية ١٩١٣ ـ ١٩١٤ تحت اشراف نيوكومب ، والتي شارك بها وولي ولورنس (١١٥) لمسح صحراء سيناء في المثلث بين بئر السبع ـ العقبة ـ وادي عربة ، وعدلت الى حد كبير الفكرة السائدة بان نقص المياه ومصاعب النقل تمنع اي هجوم خطير من فلسطين ، كما ان المعلومات التي قدمتها عن الصفات الطبيعية ووصف الاماكن ومواقع المياه، مع الصور التوضيحية والمخططات، كانت ذات قيمة كبرى اثر نشوب الحرب حين توجهت الانظار كلها الى شمال سيناء (١١٦) .

ولما تفجرت الحرب ، وانضمت تركيه الى دول الوسط ، لم تكن بريطانيه مستعدة في الحال لشغل الجزء الجنوبي من فلسطين والدفاع عن مصر من جهة حدودها . وتخلت لفترة عن الجزء الاكبر من سيناء للقوات التركية ، وقنعت بصد الهجمات عن القناة . وفي الايام الاولى من شباط (فبراير) ١٩١٥ تقدم جيش تركي قوامه ...ر٢٠ مقاتل نحو منطقة القناة ، وهاجم عدة مواقع وامكن رده بسهولة . ولكن مجرد ان يأتي الجيش التركي ببطارية مدافعه الثقيلة عبر الصحراء بسهولة ، ثم يسحبها بعد ضرب القناة وضواحي الاسماعيلية كان درسا موضوعيا للاستراتيجية البريطانية كشف الخطر الذي يهدد مصر والقناة من عدو يحتل فلسطين . واكد حقيقة هامة هي ان اي انتصار بريطاني في الحرب يستلزم مد مواقع سيناء المتقدمة داخل فلسطين . « ان اي حكومة بريطانية لا يمكنها ان تدعي عبء الحماية فوق ارض فلسطين الا لضرورة عسكرية » . وفي محاولة من جابوتنسكي (١١٧) لاثارة اهتمام بريطانيه بفلسطين استراتيجيا، بحجة الدفاع عن القناة ومصر . نقل عن كاتب بريطاني قوله (١١٨) « ان اي حكومة بريطانية لا يمكنها ان تدعي عبء الحماية فوق ارض فلسطين الا لضرورة عسكرية ... » ويمضي بالقول « ... الصحراء لا يمكن ان تكون حدا حصينا، يمكن ان تكون شيئا مخيفا ... انما خط قناة السويس هو اكثر سهولة في الدفاع عن اي حد يمكن ان يرسم فلسطين وسوريه ... » ثم يورد رأي صحفي اجنبي شهد اشتباكات السويس في شباط (فبراير) ١٩١٥ ، ورأى انها غنية بالعبر ... اذ قال : « ... اخشى انكم في انجلتره تخلطون بين امرين : الدفاع عن مصر والدفاع عن قناة السويس ... الاول بالطبع آمن ولكن ليس بسبب الصحراء ... اذ ان الصحراء لم

الفلسطيني ، وكان يتنقل بمهمات في الخارج : في قبرص ، مصر والسودان ويعود ثانية لاعمال صندوق الاكتشاف الفلسطيني وشارك في البعثات الاستطلاعية في غرب فلسطين وسيناء (المثلث بين وادي عربة ووادي العقبة والبحر الميت) ؛

١١٥ ـ كان الاثنان يعملان في بعثة للمتحف البريطاني للتنقيب في تركيه منذ ١٩١١ .

١١٦ ـ لم ينشر « صندوق الاكتشاف الفلسطيني » الدراسة والخرائط التوضيحية في حينها بناء على طلب وزارة الحربية التي رأت « انه من غير المرغوب فيه ان تصل الى عدو يمكن ان يجعل هذا البلد قاعدة للهجوم على مصر ... » ولم ينشر صندوق الاكتشاف الفلسطيني هذا البحث الذي عرف بـ (صحراء التيه) الا بعد احتلال القدس ١٩١٧ .

١١٧ ـ **Turkey and the War**, London, 1916, pp. 201-208

١١٨ ـ الكاتب هو J. B. Firth وقد ظهر مقاله في عدد نيسان (ابريل) ١٩١٥ من **Fortnightly Review** بعنوان : The Partition of Asia Minor

تمنع العدو من الاقتراب ... الذي حمى مصر هو القناة ... انا اعترف ان القناة هي حاجز حصين ... ولكن يمكن ان نعتبرها فقط وسيلة دفاع ... ولكن هل ننسى ان القناة نفسها هي ثروة يجب حمايتها ... كنت اعتقد ان القناة كانت السبب الوحيد الذي من اجله اختارت انجلتره الاحتفاظ بمصر ، قيمتها بالنسبة لانجلتره هي اعظم منها بالنسبة لمصر ... والآن تعاملون القناة ببساطة وكأنها خندق امامي او مخفر متقدم للقلعة المصرية ... وان اي عدو يملك فلسطين بالكاد يمكن ان ينفذ الى مصر ... ولكن الا يحتمل هذا ان يجعل القناة عديمة الفائدة ... في اثناء المعارك ... ان هذا سهل ... يمكنه تعطيل القناة ... وطبعا لا يحتمل ان يكون بين الاتراك كل الوسائل الضرورية لتخريب القناة ... ولكن لو اصبحت فلسطين في المستقبل قاعدة لدولة كبرى مجهزة بوسائل فنية حديثة ... فستختلف المسألة تماما . لو تساءلنا ... لماذا تختارون القناة خطا اول للدفاع بدلا من اقامته على حدود مصر بين العريش والعقبة ؟... فالجواب سيكون بسبب الصحراء ... لانه اذا لاقى المدافعون عن مصر العدو في العريش فستكون الصحراء في ظهورهم ، وسيعانون من البعد عن القاعدة ... وبطء خدمات النقل ... ونقص المياه ... اذ ان الصحراء قد تحميك قليلا لو كانت امامك ... ولكنها تقتلك وراء مواقعك ... بينما عدوك يكون وراءه مباشرة بلاد كاملة مليئة بالرجال والمؤن ... الاستنتاج الوحيد المنطقي ... ان قيمة الصحراء سلبية نوعا ما ... الدفاع المناسب للقناة لا يمكن ان يؤمّن الا ان تضع بين هذا الشريط الثمين من الماء واي عدو في المستقبل شريطا من الارض يجمع ميزتين : ان يسمح لعمليات واسعة النطاق ويكون مزروعا ومسكونا ... وملائما كي يشكل خلفية مناسبة لتجهيز الجيش بضرورياته ... ان فلسطين بالنسبة للقناة تماما كطنجة بالنسبة لجبل طارق ... » (١١٩) .

لقد تحققت بريطانيه بعد كل هذه الاعتبارات من اهمية فلسطين الاستراتيجية بالنسبة لمصر وكونها الجسر الطبيعي بين آسيه وافريقيه . وقدر لهذا الشريط الضيق من الارض الخصبة بين البحر والصحراء ان يصبح ارض معركة في الصراع الدولي . ولما قامت القوات التركية بهجوم غير ناجح سنة ١٩١٦ على القناة وضربت فيها الطائرات الالمانية بورسعيد والقاهرة اصبح امرا منذرا بان احسن طريقة لتأمين القناة ضد اي هجوم هو حمل هذا الموقع المتقدم حتى الجليل . وهذا الاعتبار هو الذي اثر ودفع الى اتخاذ الوزارة البريطانية في خريف ١٩١٦ قرارا بمهاجمة الجيوش التركية فلسطين (١٢٠) وبعد ان قام الجيش البريطاني بصد آخر هجوم تركي على القناة تحول

١١٩ — يعلق جابوتنسكي على رسالة الصحفي بقوله ان « بين كل الحدود الممكنة ، الصحراء هي الوحيدة التي تجعل اي تجاوز ممكنا بل واكثر من سهل ... هناك اندفاع لا يقاوم من المناطق الصحراوية نحو المناطق المتحضرة ... وعامل الحضارة يؤمن حدودا افضل من اي جدار من الحراب » .
Ibid, pp. 208 - 209

١٢٠ — Graves, p. 36

الى العمل الهجومي (١٢١) . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ اجتازت الحملة المصرية البريطانية الحدود التركية السابقة في رفح ، لتنقل الحرب ضد تركيه من افريقيه الى آسيه (١٢٢) .

واستغل الصهيونيون الفكرة التي تبناها الساسة البريطانيون والرأي العام ، باحتمال حدوث تغير في العلاقات بين مصر وفلسطين في نهاية الحرب ... وبان مؤتمر السلم المقبل لا بد ان يعيد وضع فلسطين ، ليمنع استخدامها قاعدة للهجوم على القناة ، استغلوا ذلك لاثارة الاهتمام البريطاني بالاستيطان اليهودي في فلسطين ، واماني الصهيونية بمستقبل فلسطين ... ذلك البلد الذي يجاور مصر (المحمية البريطانية) . وركزت الدعوة الصهيونية ، للربط بين المصلحة البريطانية والاطماع الصهيونية ، على عدة امور منها : شرح اسباب تطلع الصهيونية الى بريطانيه دون سائر الدول لتحقيق امانيها . ويرجع سوكولوف ، في مذكرته الى الخارجية في ١٩١٦/٤/١٢ (١٢٣) ، هذه الاسباب الى دوافع مثالية فكرية « ... لان انجلتره هي التي اظهرت بوضوح لكل العالم ان بامكانها ان تتولى مهمة ادارة الولايات بروح معقولة وكريمة ... وانها الدولة التي تحمي ولا تظلم ... وتراعي الحاجات القومية ... وتحافظ على الافكار القومية للآخرين ... ولا تفرض سياسة التمثل ... وانها تتبع في مستعمراتها نفس المبادىء المتبعة في الوطن الام ... وان لها اعظم خبرة بادارة الممتلكات الجديدة وحل المشاكل الاقليمية القومية ... الخ » . الامر الآخر هو التأكيد على العطف الذي اظهره الشعب والحكومة البريطانية على الفكرة اليهودية القومية قبل زمن طويل من ظهور الحركة الصهيونية في الشعب اليهودي نفسه (١٢٤) . الامر الاخير الذي ركزت عليه الدعوة الصهيونية من اجل الربط بين المصلحة البريطانية والاطماع الصهيونية هو ما يمكن ان يحققه بعث اليهود في فلسطين ، ككيان قومي ، للامبراطورية البريطانية من فوائد بالمعنى السياسي ، وان الحكومة البريطانية في تحالفها مع الصهيونية انما تبحث عن اكثر مصالحها حيوية ، ولا تقامر بفكره خارج اهتماماتها . والواقع ان العطف البريطاني الماضي على اليهود ومشاريع الاستيطان اليهودي تحت الحماية البريطانية كان في نظر بريطانيه جزءا من سياستها الشرقية ، يضمن لها

١٢١ — يذكر جمال باشا في مذكراته ان النشاط البريطاني العسكري شرقي القناة بدأ فقط بعد انتهاء الاتفاق مع الشريف حسين . والثورة التي تفجرت قبل شهرين من الهجوم الثاني على القناة (حزيران ، يونيو ١٩١٦) كانت ضربة لخطط جمال باشا . اذ ان اي اشغال للقوات التركية في مكان آخر للمنطقة كان ذا اهمية لدى الاستراتيجية البريطانية .

١٢٢ — Bentwich, N., **England in Palestine**, London 1932, p. 18

١٢٣ — F.O. 371/2817/42608 F.

١٢٤ — تعدد مذكرة سوكولوف الامثلة التالية : بريطانيه اول الدول الاوروبية التي عينت قنصلا في القدس عام ١٨٣٩ يونغ ، مع تعليمات من لورد بالمرستون ، بان يقدم الحماية الى اليهود جميعا ... ومنذ ذلك الوقت اصبحت بريطانيه الدولة الاوروبية الوحيدة التي بدأت تحمي اليهود في فلسطين ... حتى الذين جاءوا من روسيه . ثم ان اول المشاريع الزراعية في فلسطين تمت تحت رعاية القنصلية البريطانية ١٨٥٢ — ١٨٥٤ ، واول يهودي اوروبي اهتم بمشاريع الاستيطان اليهودي كان موسى مونتيفتوري (١٧٨٤ — ١٨٨٥) .

استرجاع امورها في الشرق ، ويضعها في مركز قائد . فمنذ ان صمم بالمرستون على ان يحول بين محمد علي وبين ان يكون سيد سوريه ومصر معا ، ارسل تعليماتــه الى سفيره في الاستانة ١١/٨/١٨٤٠ « ... ان لو عاد اليهود الى فلسطين بموافقةالسلطان فسيكون ذلك كبحا لاي مشاريع خطرة فيالمستقبل لمحمد علي او خلفائه» (١٢٥) وتقوّى هذا الاتجاه بعد فتح قناة السويس ، ثم الاحتلال البريطاني لمصر ، حيث اصبحــت المنطقة التي تقع شرقي قناة السويس ذات اهمية حيوية بالنسبة للمصالحالبريطانية، وقلقها في الحصول على دولة صديقة على جانبي الطريق نحو الهند ... هو الذي يفسر ازدياد الاهتمام البريطاني بمشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين (١٢٦) .

ولذلك لما اعلنتالحربالعالمية الاولى كانهناك تقليد طويل من الاهتمام البريطاني بالصهيونية ، لم تخلقه الحرب ، بــل اعطته اتجاها جديدا . وفي المذكرة التي رفعها هربرت صموئيل (وكان عضو حكومة في وزارة اسكويت) الى الخارجيــة في ٩/١١/١٩١٤ ذكر « ... ان موضوع مستقبل السيطرة على فلسطين قد يثار ، وان اختلاف الدول الكبرى ، قد يجعل من الصعب تخصيص فلسطين لواحدة منها ... ولعــل الفرصة قد سنحت لتنفيذ اماني الشعب اليهودي القديمة واعادة انشاء دولة يهودية ... واعتقد ان النفوذ الانجليزي يجب عليه ان يقوم بدور هام في تأسيس مثــل هذه الدولة ، لان وضع فلسطين الجغرافي ، وقربها من مصر ، يجعلان صداقتها لانجلتره امرا له اهميته للامبراطورية العثمانية (١٢٧) . وكتب وايزمان عن مساعيه لدىالدوائر البريطانية : « ... لقد اشرنا طويلا على البريطانيين واعدتها مرارا في مقابلتي مع لورد روبرت سيسيل وكيل وزارة الخارجية ... ان فلسطين اليهودية ستكــون حاميــة لبريطانيه وخاصة فيما يتعلق بقناة السويس » (١٢٨) . وفي رسالة بعثها وايزمان في ١٢/١١/١٩١٤ الى سكوت رئيس تحرير المانشستر جارديان (وهي صحيفة حــزب الاحرار ذات النفوذ) : « ... انه لو وقعت فلسطين داخل نطاق النفوذ البريطاني... ولو شجعت بريطانيه الاستيطان اليهودي هناك كمحمية بريطانية ... فسيكون لهــا خلال ٢٠ ـ ٣٠ سنة مليون يهودي ، وربما اكثر ، يطورون البلد ، ويعيدون الحضارة ثانية ، ويشكلون حراسا فعالين لقناة السويس ... » (١٢٩) .

١٢٥ - **Palestine**, Feb. 14-17, pp. 2-5

١٢٦ - Bentwich, N., **England in Palestine**, London 1932, p. 11
وكان يتوقع من دزرائيلي كمتعاطف معروف مع الاماني القومية اليهودية ، ان يعمل شيئا لاخوانهفي مؤتمر برلين حين قدر له ان يسير سياسة اوروبه حيال المسألة الشرقية . وفي سنة ١٨٧٩ علقت Spectator « انه لو حرر الارض المقدسة واعاد اليهود كما كان مأمولا ان يفعل بــدلا مــن ان ينصرف الى تكوين الروملي وافغانستان لربما مات ديكتاتورا . وكانت اهتمامات دزرائيلي بالاماني القومية اليهودية قد بدت في قصتين الفهما في شبابه هما Tancred و Alroy . كما انه قــد شجع لورنس اوليفنت في مشاريعه التي وضعها من اجل الاستيطان اليهودي في ارض جلعاد .

١٢٧ - Samuel, H., **Memoirs**, London 1945, pp. 149 FF.

١٢٨ - Weizmann, p. 243

١٢٩ - **Ibid**, p. 191

وفي مذكرة في ٨/١/١٩١٥ من القاهرة قدم نورمان بنتويتش (وهو صهيونــي بريطاني وكان المستشار البريطاني في وزارة العدلية في مصر حينــذاك) (١٣٠) الــى صديقه اكلاند في وزارة الخارجية البريطانية تقريرا طويلا ومفصلا عن تاريخ حــركة الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ بدايته المبكرة ... لافتا النظر الى اماني اليهــود القومية فيها ، وما يمكن ان يحققه الوجود اليهودي في فلسطين ، من فوائد للمصلحة البريطانية فيمصر، بسببهذا الارتباط الاقتصاديوالسياسي القديم بينالبلدين(١٣١) . وطرح ممثلو الصهيونيين في مؤتمر عقد في ١٤/٤/١٩١٥ امام ممثلي اللجنة المشتركــة المسألة على النحو التالي (١٣٢) : « ... الآن فرصة فريدة للحصول على فلسطين ... لانه لو انتصر الحلفاء في الحرب فالامبراطورية التركية سوف تتجزأ ... وفلسطين سوف تؤخذ من الترك وان هناك احتمالا كبيرا ان تقع فلسطين بيد انجلتره ... التي يمكن ان تقدم لليهود فرصة خلق وتطوير كومنولث يهودي كبير في فلسطين ... لــذا فعلى اليهود الا يضيّعوا هذه الفرصة الفريدة ... ان الصهيونية قررت حل المشكلــة اليهودية والقضية الفلسطينية الآن ومرة واحدة وللابد » .

وحث سوكولوف ـ القطب الصهيوني الثاني في المباحثات ـ في مذكرته (المذكورة سابقا) الى الخارجية ١٢/٤/١٩١٦ بان تتبنى الحكومة البريطانيــة حماية الامانــي الصهيونية في فلسطين نظرا لما سيعود على بريطانيه من فوائد نتيجة ضم فلسطين الى فلكها « ... اذ ستصبح فلسطين بمرور الوقتولاية مزدهرة ... تقوي مركز انجلتره على شواطىء المتوسط ... وسيبني اليهود وكالات تجارية هناك تعود بالفائدة علــى انجلتره قبل اي دولة اخرى ... » بل انه يأتي بدافع اهم : « ... ان اقامة كومنولث يهودي في فلسطين بحماية انجلتره سيشكل جدارا فاصلا بين السكان العرب في آسيه والعرب في شمال افريقيه ... وهذا ليس بذي اهمية ضئيلة لدولة في حوزتها رعايا عرب ... والعنصر اليهودي ، بادخاله الحضارة الاوروبية كفيل بان يساهم بنهضــة وتقوية شعوب وولايات المنطقة طبقا لاهداف بريطانيه » .

١٣٠ - التحــق بنتويتش فيما بعد بقوات الحملــة المصرية بقيــادة اللنبي . وقــد الف كتــاب Palestine of the Jews ، كما يذكر في مقدمته ، « في فترات الراحــة في حياة المعسكــرات صيف ١٩١٧ وهم ينتظرون على ابواب فلسطين » والكتاب لم ينشر الا ١٩١٩ .

١٣١ - F.O. 371/2482/8366

١٣٢ - كانت قد جرت اتصالات بين ممثلي الصهيونية في بريطانيه وبين المنظمات اليهودية الاخرى واهمها اللجنة المشتركة (Conjoint Committee) لايجاد فرص التعاون بينها حول قضية فلسطينالمتعلقة بالاحتمالات التي قد تبرز بعد الحرب . وتم الاتفاق على عقد مؤتمــر في ١٤/٤/١٩١٥ وكان يمثــل الجانب الاول Gaster, Techlenow, Sokolov والجانب الثاني Lucien Wolf . وعــرض الصهيونيون مشروعا يهدف الى محاولة ضمان التسهيلات من السلطة الجديدة لخلق كومنولــث يهودي في فلسطين بحقوق سياسية واقتصادية لضمان التفوق اليهــودي بينما اشترطت اللجنــة المشتركة من اجل التعاون مع الصهيونية اخراج الفكرة القومية السياسية والحقوق الاستثنائيــة من البرنامج ، لان انشاء الكومنولث اليهودي في فلسطين لا يحل المشكلة اليهودية . ورأت العمل فقط على اخذ شيء من الحكم الذاتي وان يكون السعي اولا لضمان حقــوق وحــريات اليهود في العالم كله . رسالة لوسيان ولف الى الخارجية نيسان (ابريل) ١٩١٥ .
F.O. 371/2488/51705

وكان من المتحولين الى الصهيونية في بداية الحرب بعد (سكوت) سايدبوتام وهو محرر كبير وناقد عسكري بنفس الجريدة (١٣٣) واصبح مسؤولا بالتعاون مع مجموعة من المنشستر جارديان عن فكرة اهمية الاستيطان الصهيوني في فلسطين وفوائده الاستراتيجية الكبيرة وما له من قيمة سياسية للامبراطورية البريطانية ، ومن تلك الحجج التي قدمها سايدبوتام في المنشستر جارديان : « ... أن قناة السويس ، الشريان الحيوي لمواصلاتنا مع الهند ... لا يمكن ان يتم الدفاع عنها بصورة كافية على الضفتين ... ان الصهيونية في القدس يمكن ان تمنع نضوج هذا الهجوم التركي » (١٣٤) . وقام سايدبوتام واصدقاؤه الصهيونيون في منشستر (١٣٥) بوضع مذكرة حول هذه الخطوط ، يحثون على الدعم البريطاني للصهيونية على اسس سياسية وعسكرية الى جانب الاسس الانسانية ... وقدمت هذه الى وزارة الخارجية ربيع ١٩١٦ (١٣٦) . ونتيجة مساعي صهيوني منشستر وضع كتاب بعنوان الصهيونية ومستقبل اليهود اشترك بتحريره عدد كبير من الصهيونيين غايته كما جاء في مقدمة وايزمان للكتاب: « ان يضع بين ايدي الساسة الانجليز كتابا صغيرا حول معنى ومنجزات الصهيونية » (١٣٧) . وتشكلت في الاشهر الاخيرة من ١٩١٦ في منشستر ، ومع الهجوم التركي على القناة جمعية باسم British Palestine Committee ، هدفها ترسيخ الترابط بين افكار ومصالح الصهيونية والسياسة البريطانية وبدأت باصدار مجلة اسبوعية باسم بالستاين كانت تخدم المصالح اليهودية المقترحة ، تحت ستار خدمة مصالح الامة البريطانية . وقد جاء في العدد الاول منها في ١٩١٧/١/٢٦ ان اسس سياسة وبرنامج الجمعية تقوم على مبادىء ثلاثة : الصحراء ليست احسن حصن لمصر والقناة ــ العطف على الاماني الصهيونية ــ امكانية ربط تحقيق الاماني الصهيونية بمقدرات الامبراطورية

---

١٣٣ ـ كانت مقالاته العسكرية تظهر بالاسم المستعار (تلميذ الحرب) .

١٣٤ ـ Simon, L., & Stein, L. (eds) **Awakening Palestine, London 1923, p. 259** مقال لسايدبوتام ص ٢٥٩ . ويذكر سايدبوتام ان هذه الحجة لم تكن جديدة ، فقبل شق القناة وحين كانت لا تزال فكرة خيالية ، كتب **Mitford** عام ١٨٤٥ « ... ان ايجاد امة يهودية في فلسطين ... سيجدد امورنا في الشرق... ويضعنا في موقف يمكننا من ان نرد اي انتهاك لحدودنا ... وان نرهب اعداءنا وعند الضرورة نرد تقدمهم ... » .

١٣٥ ـ من هؤلاء : **H. Sacher, I. Sieff, S. Marks** (وكلهم من مريدي وايزمان ولم يكن غير يهودي فيهم سوى سكوت وسايدبوتام) .

١٣٦ ـ **Awakening Palestine, Op. cit.**, p. 258

١٣٧ ـ يقول وايزمان ان قسما كبيرا من نجاح الكتاب يعود الى التقريظ الذي وضعه كرومر للكتاب ونشر في **سبكتاتور** ، ومع ان كرومر لم يوضح بشكل كامل علاقة المسألة اليهودية بالمصالح البريطانية ، الا انه كان لدى الصهيونيين كل الاعتقاد ان لورد كرومر سوف يكون بين اول سياسيي انجلتره في تقييم اهميتها ، نظرا للوضع الجديد الذي خلفته الحرب بالنسبة لمصر ، والربط بين هذا الوضع وبين فلسطين اليهودية . وقد انهى كرومر عرضه للكتاب «... بان الصهيونية ستصبح بسرعة امرا عمليا ... وان السياسيين سيكونون قادرين قبل انقضاء فترة طويلة على التخلص من الاعتقاد بانها حلم خيالي لفئة من الحالمين » . Weizmann, p. 120

البريطانية . (وكان سايدبوتام من المساهمين في كتابة المقالات العسكرية التي كانت تظهر بين حين وآخر في المجلة دون توقيع) (١٣٨) .

وقد جمع سايدبوتام كل هذه الافكار ، بشكل موسع مفصل ما كانت تسمح به امكانية المجلة في كتاب شامل بعنوان انجلتره وفلسطين * وكان هدفه ان يثبت الى اي حد تتفق فكرة الدولة اليهودية في فلسطين مع مصالح الامبراطورية البريطانية (١٣٩) . وهو يرجع هذا الترابط الى الوقت الذي نادى فيه نابليون باعادة الشعب اليهودي الى فلسطين كأحد عناصر مطمحه الشرقي ، ثم الى الآراء الانجليزية في القرن التاسع عشر التي كانت تحث على توطين اليهود كتدعيم للسياسة البريطانية الشرقية . والمؤلف يرى ان الدبلوماسية البريطانية قد وقعت في اخطاء خلال السنوات السابقة حين تمسكت بالرأي التقليدي السلبي بالحفاظ على تماسك تركيه (مع انها خرقت مرارا هذه السياسة التقليدية) ، وافسحت بذلك المجال للنفوذ الالماني في الاستانة . وهو يرى ان الحرب وتدخل تركيه يستدعي تغيرا كاملا حيال الشرق في اوساط الخارجية البريطانية التي لا تزال تستبد بها (على حد رأيه) العقلية التقليدية القديمة. وهو يؤكد على نقطة اساسية ، ان مصر هي اهم مصلحة لنا في الشرق ... وكأننا نقول بذلك ان فلسطين هي اهم مصلحة لنا ... لان فلسطين الآن وكما كانت دوما مفتاح مصر . ولذلك فان مشكلة الدفاع عن مصر ـ والتي تدعى بكعب آخيل الامبراطورية البريطانية البحرية ـ ذات مكانة فريدة في النظام الاستعماري الامبريالي البريطاني . وبرأيه انه « ... لو جاءت الحرب التالية وحدودنا الحالية دون تغيير ... فان العدو (سواء كان الاتراك او من يخلفهم) سيكون وراءه بلد ذو مواصلات جيدة ومخزون هائل من المواد المتراكمة لعبور الصحراء بين فلسطين وقناة السويس » .

ويضيف « مهما اتخذنا من ترتيبات ، سواء تمسكنا بحدود مصر السياسية ، وحاربنا وظهرنا متجه الى الصحراء او لو تركنا الحد السياسي وتنازلنا عن كل اقاليمنا في الجانب الفلسطيني من الصحراء (وهو ما اقترحته تركيه وقت منازعات ١٩٠٦)

---

١٣٨ ـ كانت مجلة « **بالستاين** » تحرص على ان تنقل رأي الصحف البريطانية التي تؤيد مبادئها ، والتي ترى انه كي تصبح فلسطين بريطانية من وجهة نظر استراتيجية فيجب ان تكون يهودية ، نقلت عن « **دايلي كرونيكل** » رأي مراسلها الحربي الذي يتساءل « ماذا يجب ان نعمل في فلسطين ؟ كي نحررها من سيطرة القرون الطويلة التركية ؟ لا يوجد شك بانه يجب ان نحيي فلسطين اليهودية القديمة وان ندع اليهود يحققون حلم صهيون في موطنهم » وعن « **لندن ايفننج نيوز** » رأيها بانه « لا يمكن ان يكون هناك خطر كبير باعطاء التجربة لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين وانه كلما كثر تواجد اليهود في متوازي الاضلاع بين الساحل السوري ، ورمال الجزيرة العربية ، مجرى الفرات واسواق حلب وانطاكيه ، كلما كان تطور واعادة الحضارة لمهد الحضارات العظيمة اسرع واكثر سلما ... » ونقلت عن « **دايلي جرافيك** » قول زانغويل : « ... ان بريطانيه لا يمكنها ان تقوم بضربة سياسية اعظم من ان تدعو اليهود حين يتم لها الاستيلاء على فلسطين من اجل العمل على اعادة احيائها » . **Palestine, 7/4/1917, p. 86**

* ـ **England & Palestine, Essays Towards the Restoration of the Jewish State,** London, 1918.

١٣٩ ـ من مراجعة للكتاب في صحيفة **بالستاين** تاريخ ١٩١٨/١١/٣ . والمقالات كتبت عام ١٩١٧ الا ان الكتاب لم ينشر الا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ .

وتفهقرنا الى خط القنال فالاعتراضات خطيرة في كلا الحالتين » . ووصـل المؤلف الى النتيجة التالية : « بانه لم يوجد حتى الآن نظام فعال للدفاع عـن كل مواصلاتنا مـع الشرق على خط القناة ، وان الحكمة الاستراتيجية تجعل من الضروري التقدم الى ما وراء ذلك الخط وتشكيل حصن متقدم امام الصحراء للدفاع عـن اهم نقطة حيـوية حساسة في نظامنا الامبريالي كله ... وان كل شيء يشير الى انتلال يهوذا هي الحامية الحقيقية لمصر ضد اي هجوم من سوريه ... » . ويتساءل : « ... كيـف يمكـن توسيع حدودنا دون ان نزيد تبعاتنا العسكرية ... » ويرد : « ... ان ذلك لن يكون الا بما يشبه تجربتنا في الهند ... التي تتمتع في احـد حدودها الشمالية الغربيـة المعرضة للهجوم بنظام الدولة الحاجزة (افغانستان) ... وانه لو وسعنا حدود مصر الشرقية لاستطعنا ان نكسب الدولة الحاجزة المثالية من اجل دفاع افضل واقل عبئا على مصر ... هذه الدولة الحاجزة في جنوب سوريه يمكن ان تقوم بعمل فعال تمامـا كما في الهند ... وتزيل كثيرا من الاعتراضات حول زيادة اعبائنا العسكرية » .

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى النقطة الهامة والخطـرة في نظـره : « ... ان المستعمرين الوحيدين الذين يمكن ان يكونوا في فلسطين ليشكلوا دولة كهذه وليكونوا الضمانة الاكيدة لسلامة ارض مصر وحماية القناة هم اليهود ... » . انه يؤكد ان الشعب اليهودي وحده « يستطيع انشاء دومنيون جديد على ساحل البحر المتوسط يرتبط بالعمل الامبريالي لنا منذ البداية ويكون موقعـا عسكريا قويـا للسيطـرة البريطانية في شرقي المتوسط ... ويشكل حماية ضد الشرق الغريب ... وكوسيط بيننا وبينه ... وحضارة تتميز عن حضارتنا ولكنها مشربة بأفكارنا السياسية وبنفس مرحلة التطور السياسي وتبدأ حياتها كأمة تدين بالولاء لهذا البلد » (١٤٠) . ويبـين سايدبوتام انه الى جانب الاعتبارات العسكرية هنـاك فوائـد تجاريـة للتحالف مـع الصهيونية : فالموضـوع الرئيسي للحرب كـان الشرق ورغبـة المانيه في تأسيس امبراطورية هناك ، حيث اصطدمت بانجلتره وفرنسه ... وهو ، الآن يتصور « ان فلسطين الجديدة ينتظرها مستقبل تجاري كبير يمكـن ان تنجزه بتحويـل الكسب التجاري الذي كانت المانيه تتمنى انجازه عن طريق آسيه الصغرى وشمال سوريه نحو بغداد الى الطرق الجنوبية عبر جنوب سوريه والجليل ومصر ... وسيصبح خـط حيفا الخليج هو البديل البريطاني لفكرة المانيه : خط بغداد ـ برلين ... وستصبح فلسطين ثانية المنفذ الرئيسي للشرق الجديد ... حيث سيميل مركز الثقل في البحر المتوسط الى الابتعاد عن القسطنطينية في اتجاه الجنوب ... ويمكن ان يعهد للتاجر اليهودي بتطوير هذه المشاريع التجارية الى ابعد مدى ... » (١٤١) وينتهي المؤلف الى القول : « ... انه بدون دولة حامية لن تكون فلسطين اليهودية قوية لدرجة تستطيع ان تقاوم جيرانها الاقوياء ... وستصبح كدول البلقان مخلب الالعـاب الدبلوماسية للمستشارين الاوروبيين . كما انها لن تستطيع بوصفها دولة مستقلة ان تقيم شروط

١٤٠ ـ Ibid, pp. 186-193

١٤١ ـ Ibid, p. 199 ومقاله في Awakening Palestine ص ٢٦٣ .

حياة اقتصادية صحيحة ... في حين انها لو كانت تحت حماية قوية ... فستكـون آمنة من هذه العوائق ... ومكانة بريطانيه في فلسطين تجعلها الحامية المثالية لفلسطين الجديدة ... » (١٤٢) .

وكجزء من الحملة التي تولاها الصهيونيون للربط بـين ادعاءاتهم فيما يتعلـق بمستقبل فلسطين وبين المصلحة البريطانية فيها ، عرضوا منذ دخول تركيه الحـرب تقديم قوات عسكرية لمشاركة القوات البريطانية في عملياتها في فلسطين ضد الترك ، كي يجعلوا من خدماتهم في الحرب اساسا لدعواهم بالوطن القومي اليهودي . وفي رأي المكتب العربي في القاهرة في مذكرة ١٩١٧/٢/٥ : « ... ان الاقتراح الصهيوني مـن اجل تعاون عسكري قد عمل بشكل واضح من اجل هدف سياسي ... اي الحصول على حق القول بانهم شاركوا في عملية تحرير البلاد » (١٤٣) وكان مـن اول المتحمسين للحرب الى جانب الحلفاء (انجلتره بوجه خاص) جابوتنسكي . فهو يرى : « انه طالما كانت تركيه تحكم فلسطين فلا امل لتحقيق الصهيونية ... وانه لو دخلت الحـرب فيجب ان تجزأ ... ويجب على اليهود ان يصبحوا شركاء في تحرير فلسطـين ... وهذا سيضع الصهيونية على الخريطة الدولية كعامل سياسي مستقل ... » ولذلك رأى منذ البداية ان يعرض على انجلتره انشاء فرقة من المتطوعين اليهود مقابل بعض الوعود ، وبمهمة محددة هي المساعدة في احتلال فلسطين . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٤ وصل الاسكندرية قادما من موسكو معوصول الدفعات الاولى من المهاجرين (١٤٤) وكوّن مع ترمبلدور (يهـودي روسي اشترك في الحرب اليابانية الروسية ١٩٠٥) وعدد من المهاجرين اليهود الروس في الاسكندرية لجنة تقدمت في ١٩١٥/٢/١٥ برغبتها للقائد العام للقوات البريطانية في مصر الجنرال (ماكسويل) في انشاء فرقة يهـودية تحت حماية بريطانية للاستفادة منها في فلسطين (١٤٥) . ولم يوافق الجنرال ماكسويل الا على تكوين فرقة صهيونية للنقل على البغال لتستخدم في مناطق الجبهة التركية . ورفض جابوتنسكي لانه لا يقبل الا بجبهة فلسطين (١٤٦) ، ووافق ترمبلدور لان النتيجة واحدة وهي اخراج الترك من فلسطين. وارسلت القيادة العسكرية في القاهرة ليفتنانت كولونيل هـ . باترسون الـى الاسكندرية في ١٩١٥/٣/١٩ لانشاء وقيـادة الوحـدة اليهودية المقاتلة بالتعاون مع ترمبلدور (١٤٧) . وجمع المتطوعون من معسكر اللاجئين اليهود في قبارى الاسكندرية ، وبدأ التدريب في الورديان على السلاح والنقل . وبعد

١٤٢ ـ Ibid, 244

١٤٣ ـ F.O. 882/2/14 Arab Bureau Papers,

١٤٤ ـ جاء جابوتنسكي بحجة القيام بمهمة صحفية لدراسة نتائـج اعلان حـرب الجهاد على الشعـوب الاسلامية في شمال افريقيه .

١٤٥ ـ لم يكن لدى جريدة **ذي تروث** (١٩١٥/٤/٢٧) اي شك انه قبل ان تنقضي السنة ستعود الامـة اليهودية في اعقاب الجيش البريطاني . وكانت الجريدة منذ ١٩١٥/٤/٢٧ قد اخـذت تصـدر في الاسكندرية .

١٤٦ ـ Shechtman, p.p. 205-207

١٤٧ ـ يروي باتريسون القصة في كتابه : **With the Zionists in Gallipoli, London, 1916** ويذكر انه كان يهتم بالتاريخ اليهودي ويتعاطف مع الامة اليهودية .

انتهاء التدريب نقلت الفرقة التي عرفت باسم فرقة البغال الصهيونية ، وشعارها ترس داود ونشيدها الاغنية العبرية هاتيكفا (الامل) (١٤٨) ، نقلت الى غاليبولي (١٤٩) وبلغ تعدادها ٥٠٠ متطوع و ٧٥٠ بغلا للنقل و ٥ ضباط انجليز و ٨ اطباء يهود . وعملت الفرقة بنقل المؤن في الجبهة ... ورفض طلب الصهيونيين الاشتراك في الهجوم. وقد عاد باترسون الى القاهرة لتكوين فرق صهيونية جديدة ... وقدم له اعيان اليهود في القاهرة كل مساعدة حيث نظمت اجتماعات واحتفالات من اجل حملة الدعاية (١٥٠)، ونتيجة جهودهم تطوع ١٥٠ يهوديا باسم كتيبة القاهرة في فرقة البغال الصهيونية حيث اتجهوا الى غاليبولي وظلوا هناك حتى تم الجلاء عنها (١٥١) .

وتابع جابوتنسكي جهوده لدى الدوائر السياسية البريطانية ، لانشاء فرقة صهيونية عاملة في فلسطين ، وعلى الرغم من انه لاقى معارضة في البداية من دوائر وزارة الحربية البريطانية ، لانها لم تكن قد قررت بعد البدء بعمليات هجومية على الجبهة الشرقية ، وكذلك من بعض الدوائر الصهيونية العالمية ، بحجة ان الفرقة تهدد وجود اليهود في فلسطين (١٥٢) ... على الرغم من ذلك كله نجح في كسب صحيفتي التايمز والمانشستر جارديان لتجعلا من تشكيل الفرقة موضوعا حقيقيا في الدوائر الحكومية (١٥٣) . وقدم جابوتنسكي وترمبلدور (وبدعم من وايزمان) مذكرة الى رئاسة مجلس الوزراء في ربيع ١٩١٧ ، اشترطا فيها ان تكون فرقة يهودية فقط وفي الجبهة الفلسطينية ، وانه اذا رافقها وعد حكومي لصالح الصهيونية فستكون ذات تأثير اكبر (١٥٤) . ووافق مجلس الوزراء على ايجاد وحدة يهودية ضمن دوائر الجيش البريطاني ، يكون قوامها اليهود الروس في انجلتره وشعارها ترس الملك داود وتعمل في الجبهة الفلسطينية فقط . ولكنها لم تأخذ اسما يهوديا بسبب معارضة يهود انجلتره المعادين للصهيونية بل اطلق عليها اسم فرقة الجنود الملكية ٣٨ (38 Royal Fusiliers)

---

١٤٨ – Patterson, pp. 23, 44.
جرى استعراض الفرقة من معسكر الورديان عبر شوارع الاسكندرية الى الكنيس الكبير حيث تلقوا البركة من الحاخام الذي ذكرهم بان شرف اسرائيل يقع بين ايديهم وقارنهم باجدادهم الذين قادهم موسى من مصر .

١٤٩ – غاليبولي هي شبه جزيرة تقع على الشاطىء الاوروبي من الدردنيل وفي هذا الموقع هزمت القوات البريطانية (نيسان ، ابريل ١٩١٥) في محاولة فاشلة لغزو الاستانة .

١٥٠ – **Ibid**, p. 234
اهم اجتماع عقد في كنيس الموسكي لحث اليهود على التطوع وابدى موسى قطاوي باشا وجاك موصيري استعدادهما لتجهيز هذه الفرق الجديدة .

١٥١ – يقول بن جوريون في كتابه **The Jews in Their Land**, p. 292.
ان ترمبلدور بعد غاليبولي عاد الى روسيه حيث شكل منظمة طلائعية لاحضار آلاف من الجند اليهود للمشاركة مع القوات البريطانية في فلسطين الا ان المشروع قد اهمل بسبب قيام الثورة الروسية .

١٥٢ – Shechtmann, p. 208-223

١٥٣ – **Ibid**, p. 226

١٥٤ – Shechtman, p. 237.

على ان تأخذ الفرقة اسما يهوديا بعد ان تثبت جدارتها في ارض المعركة . وقد اعطيت الفرقة بعد احتلال فلسطين اسم Judean Regiment (١٥٥) .

وقد كانت ترافق جهود جابوتنسكي في بريطانيه مساع اخرى في الولايات المتحدة تولاها حزب بوعيلي تسيون بزعامة بن زفي وبن جوريون (وكانا قد ابعدا عن فلسطين) وساندها القاضي برانديز عضو المحكمة العليا لتشكيل فرقة يهودية في الجيش الاميركي تقاتل على الجبهة الفلسطينية ، ولكن نظرا لان اميركه لم تكن قد اعلنت الحرب ضد تركيه (فقط ضد المانيه) فقد حول الاقتراح الى الوزارة البريطانية بان تكون الفرقة اليهودية في الجيش البريطاني ، وبدأت حملة التطوع في اميركه بين اليهود المعفيين من الجندية في الجيش الاميركي (١٥٦) ومع الاحتلال البريطاني لجنوب فلسطين نظمت حملة تطوع اخرى للالتحاق بالفرقة اليهودية في الجيش البريطاني ، نظمتها الحركة العمالية وطلاب مدرسة الجمنازيوم في تل ابيب (١٥٧) . والتقت في مصر في مطلع ١٩١٨ ثلاث فرق يهودية قادمة من بريطانيه واميركه وفلسطين . لقد حاول اليهود ان يستغلوا كل فرصة للالتحاق بالقوات البريطانية كي يثيروا بعد الحرب قضية خدماتهم في الحملة ضد تركيه كجانب آخر من ادعائهم لفلسطين ، بل ان سايدبوتام يوجه اللوم الى السياسة العسكرية للحكومة البريطانية التي « لو وجهت بشكل اكثر حكمة لكان في الممكن ان يكون في فلسطين عدد اكبر من فيالق اليهود تعمل على استعادة الارث» (١٥٨).

وقدم الى الحكومة البريطانية في تلك الفترة التي سبقت اصدار تصريح بلفور عرض يهودي غريب ، لاظهار هذا الارتباط بين المصالح البريطانية واليهودية ، ومدى المشاركة التي يمكن ان يقدمها اليهود في هزيمة الامبراطورية العثمانية ، ولكن في جبهة اخرى هي مدخل الخليج الفارسي . فقد تقدم طبيب يهودي روسي اسمه م.ل. روثشتين (يقيم في باريس) بتاريخ ١٩١٧/٩/٢ باقتراح الى الحكومة البريطانية خلاصته (١٥٩) « ان تقوم دول الحلفاء بتجهيز وتنظيم جيش من اليهود قوامه ١٢٠ الفا في البحرين تضعه تحت قيادته لغزو واحتلال منطقة الاحساء التركية ، وان تعقد معاهدة مؤقتة معه من اجل خلق دولة يهودية على الخليج الفارسي » . تفاصيل الاقتراح غريبة: فهو يتعهد بجمع فرقة يهودية للربيع القادم لا تقل عن ١٢٠٫٠٠٠ رجل من المحاربين الاشداء يساهمون بشروط معينة الى جانب فرق الحلفاء . وهذه الشروط

---

١٥٥ – **Ibid**, 244.

١٥٦ – كتاب بن جوريون السابق **The Jews in Their Land**, p. 245
يعطي نموذجا لاسلوب الدعاية الذي اتبع في اميركه في ذلك الوقت بنقل رسم مصور عن مجلة اميركية يمثل (ابنة صهيون) التي ترمز الى الشعب اليهودي تنادي « اريد ارضكم القديمة الجديدة ، التحقوا بالفرقة اليهودية » .

١٥٧ – يذكر بن جوريون في كتابه السابق ص ٢٩٥ نداء وجه بالعبرية للحث على التطوع في فلسطين يبدأ ب « اسمعي يا اسرائيل ... هل يمكننا ان نراقب الانجليز يقاتلون ونبقى خاملين حتى يقدموا لنا البلد التي كسبوها بدمائهم ...هل نقبل مثل هذه الاعطية... اذا لم نقدم حياتنا من اجلها معهم».

١٥٨ – Sidebotham, **England and Palestine**, p. 203.

١٥٩ – نقل الاقتراح السفير البريطاني في باريس لورد بيرتي (Bertie) (١٩١٧/٩/١٤) .
F.O. 371/3053/18242

هي : ان تصبح المقاطعة التركية (الاحساء) قرب الخليج الفارسي – عدا الكويت – دولة يهودية ، على ان يكون مكان تجهيز وتدريب وتركز الفرق اليهودية جزيرة البحرين في نفس الخليج ، وان تكون تكاليف التجهيز اما من بريطانيه وحدها او الحلفاء وتكون دينا على الدولة اليهودية ، وان يقدم الحلفاء المدربين وقسما من هيئة القيادة ويكون هؤلاء في خدمة الجيش اليهودي ويرتدون زيه ، وان لا تحارب الفرق اليهودية الا في آسيه وان يتولى هو (اي روثشتين) مهمة القيادة العليا للعملية وان يطلب مساعدة رجال ذوي خبرة من انجلتره او دول الحلفاء لضمان مصالح الامة اليهودية من جهة وتأمين التنفيذ الدقيق والامين لالتزاماتها تجاه الحلفاء ، شرط اخير ، ان تحاط العملية بالسرية التامة حتى لحظة غزو الاحساء . اما الترتيب الزمني للعملية فيكون برأيه كما يلي : وضع مشروع معاهدة بين الحلفاء وانجلتره من جهة وبينه (روثشتين) بصفته المتحدث باسم الدولة اليهودية المقبلة ، ثم بعد عمليات الانتقال الى البحرين والتدريب والتجهيز والاستعداد ، يتم غزو منطقة الاحساء ، واعلان اقامة الدولة اليهودية واعتراف دول الحلفاء بالدولة الجديدة ثم قيام حالة الحرب بين الدولة اليهودية وتركيه نتيجة غزو اراضي الاخيرة وتدخل الفرق اليهودية فورا في المعركة ... حتى انتصار دول الحلفاء النهائي . ويعدد الاقتراح ما يعود على قضية الحلفاء من فوائد بهذا المشروع : ان الاعلان الفوري للدولة اليهودية واعتراف دول الحلفاء بها هو قوة اندفاع لحماس الامة اليهودية نحو دول الحلفاء الذي تشكل الدولة اليهودية جزءا لا يتجزأ منها ، مع ما يرافق ذلك من تدفق الاموال والمحاربين ، كذلك فان الشعور الديني لدى الجنود اليهود في تركيه والمانيه سيشل تلقائيا شعورهم بالواجب كما سيكون للحماس اليهودي تأثير كبير على اخوانهم المسيحيين في روسيه .

استطلعت الخارجية البريطانية رأي الوزارة المسؤولة عن شؤون الهند فيما يتعلق بهذا العرض ، فأشار الوزير مونتاجو في رده في ١٥/١٠/١٩١٧ (١٦٠) « ... انه بصرف النظر عن الاعتراض العام على ادخال عنصر جديد في الجزيرة العربية ، وبصرف النظر عن المشكلة التي هي مثار الجدل حول الرغبة في اقامة دولة يهودية في اي مكان ، هناك اسباب خاصة لاعتبار المواقع المختارة لكل من تمركز الفرق اليهودية وللاقامة النهائية للدولة اليهودية المقترحة غير ملائمة تماما ... ان وصف الاحساء (كولاية تركية) يمكن ان يكون صحيحا من وجهة نظر فنية ، ولكن المنطقة هي في الحقيقة بحوزة ابن سعود امير نجد منذ ١٩١٣ ، الذي عقد معاهدة صداقة وتحالف مع حكومة جلالته في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٥ ... تعترف بصراحة بحقوق ابن سعود بالاحساء وتضمن له المساعدة من حكومة جلالته في حالة هجوم اي دولة اجنبية على بلاده ... وفيما يتعلق بالبحرين فان شيوخها قد عقدوا معاهدة مع بريطانيه منذ ١٨٢٠ وحكومة جلالته لا يمكنها ان تقر ، بدون موافقة صريحة من هذين الحاكمين ، اي اقتراحات تتعلق بحقوقها الاقليمية ... » .

---

١٦٠ – F.O. 371/3053/18242.

وربما كان هذا الاعتراض ، او كان عطف الحكومة الفرنسية (١٦١) او عدم دعم الاوساط الصهيونية ذات النفوذ للمشروع ، ربما كان ذلك سببا في اعتذار الخارجية البريطانية في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) لصاحب الاقتراح دون ان تبدي له الاسباب عن طريق سفيرها في باريس (١٦٢) .

ومع ان روثشتين لم يعلم بالاسباب الموجبة لرفض اقتراحه الا انه قدر ان « اختياره مواقع منطقة الغزو لا يتناسب مع سياسة الحكومة » كما جاء في رسالته من مرسيليا في ١٥/٤/١٩١٨ (١٦٣) ، التي عاد فيها لتجديد عرضه بتشكيل فرقة محاربين يهود لانشاء دولة يهودية تساهم في عمليات القوات البريطانية في الشرق ، ورجا عن طريق السفير البريطاني في باريس « من حكومة جلالته التفضل بتحديد منطقة تركية اخرى ذات موقع جغرافي يتمشى مع مصالح السياسة الانجليزية ومصالح الدولة اليهودية المقامة في الشرق ، هذه الدولة التي يسعدها ان تربطها بانجلتره وفرنسه أواصر المودة » . وظلت الخارجية على موقفها في رفض المشروع مع ان لهجتها قد اصبحت اكثر اعتدالا . فقد ابلغته في ٢٤/٤/١٩١٨ « ... ان المشروع ليس ذلك الذي باستطاعتها ان تنظر اليه بعين الاعتبار في الوقت الحاضر !... » .

وقام الصهيونيون بعرض خدماتهم في التجسس لحساب القوات البريطانية وراء الجبهة الفلسطينية المصرية . واشهر شبكة للتجسس عملت هناك هي التي نظمها آرون ارونسون المعروفة بمجموعة جواسيس (Nili) (١٦٤) وآرون ارونسون يهودي من مستعمرة زخرون يعقوب ومن اصل روماني ، وهو خبير زراعي ، له تجربة طويلة في سوريه تبلغ ٢٥ سنة ، عمل ابحاثا زراعية هامة وتولى ادارة مركز التجارب الزراعية في عتليت قرب زخرون يعقوب (وهو مشروع اميركي يهودي) في الفترة السابقة للحرب. وخلال الحرب كان آرونسون مسؤولا عن استلام وتوزيع المعونات التي كانت تأتي من اميركه ، وقد اصبح من المقربين الى جمال باشا نظرا لاهتمام الاخير بالمشاريع الزراعية ، وجعلته السلطات التركية مسؤولا عن حملة لمكافحة الجراد سنة ١٩١٥ ، فأعطته وضعا رسميا وحرية تنقل في كل اجزاء المنطقة بما فيها المناطق المحظورة على المدنيين . وقد ذكر اخوه الكسي آرونسون في كتابه الذي نشر سنة ١٩١٧ (١٦٥) انه بنفوذ اخيه في مركز التجارب الزراعية اخذ اذنا من السلطات للتنقل في اماكن كثيرة بحجة توزيع المعونة ووصل حتى القاعدة الجنوبية في منطقة بئر السبع ، المعدة لعمليات التقدم نحو السويس ، وانه خلال غزو الجراد ارسله اخوه في حملة تفتيشية للتحري عن نتائج حملة الجراد في سوريه وبجواز رسمي كمفتش مكافحة الجراد تمكن من

---

١٦١ – جاء ذلك في مذكرة مونتاجو عن الصهيونية التي وزعها على اعضاء الوزارة في ٩/١٠/١٩١٧ . وبرأي مونتاجو ان هذا دليل على ان الفرنسيين يهمهم توضع اليهود في اي مكان فقط للتخلص منهم جميعا او من اعداد كبيرة منهم . CAB No. 24/28

١٦٢ – PRO. F.O. 371/3395/189074

١٦٣ – PRO. F.O. 371/3406/68455

١٦٤ – تفاصيل قصة الشبكة في كتاب : Engle, A., **The Nili Spies, London, 1959**
وقد اطلعت المؤلفة على اوراق اسرة ارونسون في زخرون يعقوب .

١٦٥ – Aaronson, Al., **With the Turks in Palestine**, pp. 62-63

السفر في جميع انحاء البلاد دون تدخل السلطات العسكرية ، وكانت لديه فرصة ممتازة ليعرف ماذا يجري في كل مكان (١٦٦) .

وتذكر مؤلفة قصة نيلي ان ارونسون قد راى ضرورة الاتصال ببريطانيه نتيجة لاعمال الاضطهاد التي مارسها الاتراك ضد اليهود وخاصة في جمع الاسلحة مما اقنعه بان لا مستقبل لليهود في فلسطين التركية ، وخاصة انه كان يعتقد منذ نشوب الحرب ان انجلتره ستسارع لاحتلال فلسطين على الاقل لضمان سلامة القناة. فكان ارونسون برأيها « اول من تعرف الى امكانية الربط بين المصالح البريطانية واليهودية في الشرق » (١٦٧) وتحقق هو ورفقاؤه ان بامكانهم ان يخدموا القضية اليهودية بالعمل سرا لصالح بريطانيه . وفي ربيع ١٩١٥ قرر ان ينظم حركة كاملة ويتصل بمكتب المخابرات البريطانية في بورسعيد ، الذي يرأسه وولي Woolley وتم الاتصال عن طريق ممثلين عن اللاجئين اليهود الذين ذهبوا الى مصر . ووافق وولي على توقف السفن البريطانية عند شواطىء فلسطين حيث تتلقى المعلومات من مجموعة عتليت في مركز التجارب الزراعية (١٦٨) . وقد استعان ارونسون بعملاء له في المستعمرات اليهودية الجنوبية ممن يمكنهم التجول في منطقة بئر السبع وما جاورها . وبدأ العمل لاخذ معلومات حول توضع الترك في اقليم سيناء . الا ان الاتصال توقف بعد اسر وولي (١٦٩) . ووجد ارونسون انه من الضروري ترك البلاد والذهاب الى انجلتره (١٧٠) ... وهناك عرض ارونسون خدماته معتمدا على معرفته بالبلد وطبيعة السكان والوضع العسكري واماكن وجود المياه . والح على رئيس المخابرات العسكرية في وزارة الحربية على ان بامكانه تقديم خدمات قيمة للجيش البريطاني في عملياته ضد الترك . وكان يأمل ان يغادر انجلتره ومعه التأكيد بالعطف البريطاني على الاماني الصهيونية ، ولكن بريطانيه فضلت ان تتعامل مع وايزمان (١٧١) ، وان تعتمد على ارونسون فقط في مهمة المخابرات ووضعه تحت تصرف القيادة في مصر . وعقد ارونسون صلات وثيقة مع كثيرين في لندن وعلى رأسهم مارك سايكس الذي اصبح من اصدقائه المقربين (١٧٢) .

---

١٦٦ – Ibid., p. 80

١٦٧ – Engle., p. 40

١٦٨ – Ibid, p. 54

١٦٩ – **Ibid, p. 65** وكان الليفتنانت وولي قد رغب في الاتصال شخصيا بجماعة عتليت لاخذ معلومات حول توضع الترك في منطقة سيناء ولكن السفينة التي كان عليها فجرت واسر .

١٧٠ – غادر ارونسون دمشق في ١٥ تموز (يوليو) باذن رسمي بحجة القيام بمهمة علمية في السويد ووصل لندن عبر الاستانة وبرلين في ١٩١٦/١٠/٢٤ . **Arab Bulletin, 4.12.1916.**

١٧١ – Engle, p. 73.

١٧٢ – كان سايكس (ليفتنانت كولونيل سر مارك سايكس) رحالة الى الشرق منذ حداثته ساهم بحرب البوير . كتب في ١٩٠٠/٧/١٥ من جنوب افريقيه : « في السياسة لا يوجد خطأ او صواب ، القوة والخداع هي المقاييس الوحيدة » . كان ملحق شرف في السفارة في الاستانة وعضو مجلس عموم عن **Hull** منذ ١٩١١ ، له كتب عن الشرق: The Caliph's last Heritage, and Dar Ul Islam فاوض مع بيكو الاتفاقية التي تحمل اسمهما ، عمل في سكرتيرية مجلس الوزراء وكمستشار في الشؤون الشرقية للحكومة حتى وفاته ١٩١٩ .

ومع ان ارونسون – كما يقول شتاين (١٧٣) لم يكن له في لندن دور هام في النشاط الصهيوني الذي ادى الى اصدار التصريح ، الا ان المؤرخين الصهيونيين يعترفون بانه ساعد على خلق الجو المناسب » .

ترك ارونسون انجلتره متجها نحو مصر في شتاء ١٩١٦ ، وحاول نورمان بنتويتش ان يوصي به لدى هيئة المخابرات العامة العسكرية في مصر ، التي كانت تسعى للحصول على المعلومات المحلية عن الاوضاع الموجودة في البلاد شمال وشرق الجبهة المصرية الحالية ، وفي اشارة الهيئة العامة الى ضابط المخابرات البريطانية في العريش ١٩١٧/١/٢٧ (١٧٤) « ... ان وكالة ارونسون للاستخبارات اليهودية هي في المكان الاول مع ان المنظمة كادت تتعرض للخطر بقتل احد افرادها وراء الخطوط ... » . واشارت الرسالة الى ان رئيس المنظمة (A) هو في الوقت الحاضر يعمل مع سميث في الساحل ، ولديه كل الامل بان تثبت هذه المنظمة قيمتها . وكانت خطة العمل التي وضعها ارونسون من اجل اعادة الاتصال مع مجموعته في فلسطين (والتي تولتها شقيقته سارة في غيابه) ، ان تذهب السفينة المسماة مونجام (والتي سموها بلغة التجسس مناحيم) لتعبر الشاطىء عند عتليت وتتلقى اشارة الامان من مركز التجارب الزراعية لتعود ليلا وينزل القادمون بالقوارب حيث يتم تبادل الاوراق والرسائل ويقدم الذهب بالاكياس لتوزيعه . وعرفت المجموعة بعد ذلك باسم Nellie او Nili (١٧٥) وكانت حركة نيلي تجمع المعلومات تحت مرأى ومسمع الالمان والترك ، وتجوب سارة البلاد بمركبة تابعة لمركز التجارب ، وتسجل كل شيء له قيمة للبريطانيين ، كما تعمل على ايجاد اعوان من اليهود العاملين في الجيش التركي وفي المراكز الحساسة في الجبهة (١٧٦) « واستخدمت النساء للحصول على المعلومات وخاصة في دمشق مقر

---

١٧٣ – Stein, p. 293

١٧٤ – F.O. 882/14 Pa/17/5 Arab Bureau Papers.
قام مكماهون (خلف كتشنر) يساعده ثلاثة خبراء في امور الشرق هم : ريجنالد وينجيت الحاكم العام للسودان (اصبح مندوبا ساميا في كانون الثاني ، يناير ١٩١٧) ورونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمدية ، وجلبرت كلايتون رئيس هيئة المخابرات العامة العسكرية في القاهرة . مع عدد من الخبراء والرحالة وعلماء الآثار ، بتشكيل المكتب العربي في القاهرة شباط (فبراير) ١٩١٦ واوكل الاشراف عليه الى كلايتون ، وعهدت اليه دراسة تطور السياسة البريطانية في الشؤون العربية .

١٧٥ – هذه التسمية مأخوذة من الاحرف الاولى (العبرية) لقول صموئيل الاول « نصيح اسرائيل لا يكذب» (في الاصحاح ١٥ آية ٢٩) . وتعني : Netzach Israel lo Ishakare
The Eternity of Israel will not lie, Engle, A. **The Nili Spies**, p. 99
رسالة وينجيت الى بلفور ١٩١٧/٨/٢٠ . 371/3053/174977

١٧٦ – روى عزيز بك – وكان يعمل في المخابرات العثمانية ثم تولى مديرية الامن العام في الدولة العثمانية تفاصيل مثيرة في مذكراته (**الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية**) عن كشف « شبكات تجسس في دمشق كانت بطلاتها من اليهوديات في الحي الاسرائيلي بدمشق ولهن علاقة بضباط الاركان الحربية الاتراك للحصول على الاسرار العسكرية » ويقول ان هذه الشبكات كانت ترتبط بشبكة اوسع مركزها زخرون يعقوب ومديرها آرون في الجانب البريطاني .

الاركان العامة » . ومن تقارير سارة ومجموعتها عن الفرق التركية وتمركزها وخرائط المواقع العسكرية كان آرون ارونسون يبلغ القيادة البريطانية التحركات والخطط التركية ، الى جانب المعلومات الشخصية التي كان قد جمعها من تجاربه في البلاد . ولم يكن ارونسون يتولى فقط نقل اخبار التحركات والخطط العسكرية ، بل لقد كان هو المخول بنقل الاموال الى فلسطين بطرقه الخاصة . كما ثبت انه كان وراء حملة الدعاية المفتعلة التي تصور مظالم الترك ، وخاصة اخبار الجلاء عن يافا . وكذلك قام بتوجيه النداءات والمنشورات بالعبرية الى شخصيات معينة في العالم الصهيوني بعد استشارة بلفور الذي كانت تنقل له اولا بأول ترجمة هذه الوثائق عن العبرية .

الا ان مجموعة نيلي لم تكن في بادىء الامر تلاقي دعم كل الطائفة اليهودية في فلسطين ، اذ وجدت عناصر كثيرة ضد نيلي من الزعماء اليهود والهاشومير والعمال والمستوطنين القدماء خوفا من ان يكون نشاطها ذا اثر تخريبي على المستعمرات . وتحول ذلك الى معارضة نشطة للمنظمة وصلت اوجها عند الجلاء عن يافا ، اذ عزي سبب المشكلة الى المنظمة ، ولذلك جرت اتصالات مع الزعماء اليهود في فلسطين وارسلت مبالغ من الذهب . وفي منتصف حزيران (يونيو) اعيدت الثقة بارونسون وتوقف العمل العدائي ضد المنظمة ، ثم عقد اجتماع ضم معظم العناصر المسؤولة لليهود ، واتخذ قرار بتقديم كل الطوائف اليهودية تعاونها لعمل المنظمة وهذه الخطوة (برأي وينجيت) « تعني ان الطوائف اليهودية قد عبرت بتصميم عن استعدادها لترمي بثقلها معنا ... ولعمل اي تضحية من اجل قضية الحلفاء ... والامداد بمعلومات عسكرية وفنية » (١٧٧) . وقد اصبح ارونسون محور نشاط كبير منذ قدم القاهرة وتمتع بثقة وزارة الخارجية ، فعهدت له في تموز (يوليو) سكرتارية لجنة صهيونية للاشراف على المصالح الصهيونية في مصر وفلسطين ، كما استطاع ان يكسب بعض الدبلوماسيين البريطانيين في الشرق الادنى للقضية الصهيونية ، فالى جانب سايكس كان الكولونيل مينرتزهاجن وهو ضابط كبير في هيئة الحملة المصرية ، كانت صلاته مع ارونسون في مصر وفلسطين نقطة تحول دفعته الى موالاة الصهيونية . وكذلك عن طريق صلاته بالمكتب العربي حصل على صديق له قيمته للقضية الصهيونية هو الماجور اورمسبي جور ، كما انه اصبح صديق اللنبي الشخصي ، واحد مستشاريه المقربين ، وكون علاقات طيبة مع كلايتون ومساعده ددس (١٧٨) . وتمتع بدعم وينجيت الشخصي ، الذي ارسل الى بلفور في ١٩١٧/٨/١٤ (١٧٩) يثني فيها « على امانة ارونسون وما قدمه من خدمات للسلطات العسكرية في مصر ... » . وقد اعترف Macdonough رئيس دائرة الاستخبارات العسكرية بقيمة عمله بالنسبة الى بريطانيه فقال : « ان اللنبي كان يعرف بالتأكيد من استخباراته في فلسطين عن كل استعدادات

١٧٧ – Ibid.

١٧٨ – Engle, p. 150

١٧٩ – F.O. 371/3053/159361/84173

وتحركات اعدائه » (١٨٠) . الا ان اسم آرون اونيلي لم يذكر في اي تقرير او وصف رسمي او شبه رسمي يتعلق بحملة فلسطين (١٨١) .

وكان مصير شبكة نيلي عاصفا كمصير ارونسون نفسه (١٨٢) ، اذ بعد ان تحققت السلطات التركية من وجود شبكة التجسس في خريف ١٩١٧ ، حين القي القبض على احد أفرادها في منطقة بئر السبع ، جرت عمليات تحقيق في المنطقة وهوجمت زخرون يعقوب واعتقل افراد نيلي وانتحرت سارة (١٨٣) ونقل المتهمون اولا الى الناصرة ، ثم الى دمشق حيث عقد ديوان عرفي لمحاكمتهم واعدم عدد منهم بينما امتلأت سجون دمشق بأعداد كبيرة من الجواسيس اليهود وجرت محاولات لدى جمال باشا الصغير (المرسيني) لانقاذهم وكان بعضهم لا يزال في سجون دمشق لما دخلتها القوات العربية والبريطانية (١٨٤) .

٥ ـ المسألة العربية والمشروع الصهيوني في فلسطين :

وفي الوقت الذي كان يجري التخطيط فيه لرسم مستقبل فلسطين ، لم يكن امر المعارضة العربية للنشاط الصهيوني مجهولة على المخططين ، وخاصة تلك الاوساط الصهيونية التي عاشت في المنطقة ، الا ان ظروف الحرب وما قدمته من فرصة ممتازة لتحقيق الامل الصهيوني، تحت الحماية البريطانية قد دفعت الصهيونيين وهم يقدمون حججهم للمطالبة بالوطن القومي في فلسطين الى اهمال شأن الوجود العربي . وحتى لو اعترفوا به او اشاروا له ، كانوا يقللون من اهميته ويستبعدون خطره ويستخفون

١٨٠ – جاء في رسالة التعزية التي بعثها اللنبي الى الكسي عند وفاة ارونسون ١٩١٩ « ... انه كان مسؤولا عن تشكيل وتنظيم المخابرات الميدانية وراء الخطوط التركية » . Engle, p. 101.

١٨١ – Engle, p. 176.
تروي المؤلفة انه لما دخل اللنبي القدس رجاه الكسي ارونسون ، وكان يعمل في المخابرات الملحقة بالحملة ، ان يذكر شيئا عن خدمات (نيلي) في خطابه اثناء وضع الحجر الاساسي للجامعة العبرية ولكنه لم يقل شيئا .

١٨٢ – قتل ارونسون في حادثة طائرة فوق المانش ١٩١٩ في اثناء تنقله بين لندن وباريس بصفته عضوا في الوفد الصهيوني في مؤتمر السلم . وكان وايزمان قد اتخذه قبل ذلك مستشارا للبعثةالصهيونية الى فلسطين .

١٨٣ – تروي الكاتبة انجل ص ٢٠١ في قصتها ان سارة قد اطلقت الرصاص على نفسها في زخرون يعقوب وماتت بعد ثلاثة ايام ، بينما يذكر عزيز بك في كتابه السابق وهو الذي تولى عملية التحقيق انها قد انتحرت بالقاء نفسها من القطار الذي كان يحملها الى دمشق للتحقيق معها في منطقة وادي الشهباء فأخذت معها كثيرا من اسرار الشبكة .

١٨٤ – تروي القصة التي وضعتها انجل في صفحاتها الاخيرة نهاية شبكة نيلي للتجسس رواية دراماتيكية في محاولة لاضفاء البطولة على افرادها والمبالغة في الاجراءات التركية . ويروي عزيز بك فيمذكراته السابقة (الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية) قصة اكتشاف العصابة والتحقيقات التي تولاها هو بنفسه بصفته مدير الامن العام في الدولة العثمانية مع جواد رفعت اتلخان رئيس الشعبة الاولى في دمشق . ولم تشأ المكاتب الصهيونية ان يمر الحادث دون ان تستغله للدعاية ، وتربط بين الضغط البريطاني على الجبهة التركية وبين ما يرتكبه الاتراك والالمان من اضطهاد للمستعمرات اليهودية شبيه بمذابح الارمن بحجة اتهامهم بالتجسس والخيانة ، وكان وايزمان يتولى تنظيم هذه الحملة من لندن ووافقت الخارجية البريطانية على نشر الخبر ... وظهر في الصحف نقلا عن رويتر في ١٩١٧/١١/١٩ تحت عنوان « وحشية مخيفة . الالمان والترك يرتكبون ارمينيه ثانية ... » . F.O. 371/3055/21797/87895 F.

به بل ويسعون للاستئثار بالبلاد دونه ، وكانوا يغلفون مخططهم في فلسطين بتطلعات مثالية بحجة انها تقدم فرصة كبرى للاستيطان اليهودي على اساس ارتباطاتها التاريخية بالشعب اليهودي دون غيره . ففي المقدمة التي وضعها وايزمان لكتاب Zionism and the Jewish Future عام ١٩١٦ يقول : « عندما يتحقق امل الصهيونية ستكون فلسطين موطن الشعب اليهودي ، ليس فقط لانها تحوي كل اليهود في العالم، بل لانها ستكون المكان الوحيد في العالم الذي يكون فيه اليهود سادة مصيرهم ... » .

واوردت مذكرة رفعت الى المكتب العربي في القاهرة في ١٩١٧/٢/٥ (١٨٥) فقرة من هذا الكتاب توضح تلك الاهمية التي يوليها الصهيونيون للربط بين الشعب اليهودي تراثا وحضارة بفلسطين التي يرون فيها : « ــ الارض اليهودية ومهما كانت الحياة التي عاشها الشعب اليهودي فهو مرتبط بشكل تام بتربة فلسطين ... لان الامل وضغط الماضي ووعد المستقبل قد جعل فلسطين امام عين كل يهودي مخلص ، وهدف رحلته الطويلة الامد عبر البراري والقفار ... » وكتب ارونسون بعد قدومه مصر في مطلع ١٩١٧ مذكرة رفعها الى المكتب العربي بان « اليهودي الهارب من الاضطهاد انما يتطلع نحو الاستيطان في فلسطين ليشبع آماله بالحرية والعدل، ويعيش حياتهالخاصة حسب تقاليده وتراثه وآماله وثقافته ... » (١٨٦) ، وذكر بنتويتش في كتابه «Palestine of the Jews» (١٨٧) الذي ألفه صيف ١٩١٧ ، وهو ينتظر على ابواب فلسطين مع الحملة المصرية : « ... اليهود فقط يشعرون ان فلسطين موطن اجدادهم ... وجهد تاريخهم و ... وهدف مشاريعهم » .

وهم في دعواهم هذه حاولوا ان يعطوا فلسطين مكانة فريدة متميزة ، بحجة انها ارض مستقلة منفصلة عما جاورها جغرافيا وتاريخيا ، تمهيدا لوضعها تحت اشراف مستقل . ويرى جابوتنسكي (١٨٨) ان « خط التحديد بين منطقة فلسطين (التيستقع ضمن اطار النفوذ البريطاني) ومنطقة النفوذ الفرنسي في سوريه قد رسم بوضوح من قبل الطبيعة والتاريخ وكلاهما يشير الى لبنان » . ويرى بنتويتش في كتابه السابق « ... ان اسرائيل من دان الى بئر السبع ومن الكرمل الى ما وراء الاردن كانت تنعزل وتترفع عن سائر البلاد الاخرى ... تملك صفات فريدة ولا تحسب من سائر البلاد ... » (١٨٩) واكد الصهيونيون هذه الفكرة برسم حدود فلسطين المستقبل ، لوضعها امام اولئك الذين بيدهم مقدراتها بعد الحرب ، وادعوا ان الاقليم الذي هم بحاجة له من اجل اعادة تأسيس الحياةالقومية اليهودية له مدىمتواضع، ... يشمل بتقدير بنتويتش ١٠،٠٠٠ ميل مربع (بما يعادل حجم ويلز) ، ٦ آلاف منها تقع غربي نهر الاردن ، و ٤ آلاف شرق نهر الاردن . ويرى سايدبوتام في مقالاته التي وضعها

١٨٥ ــ F.O. 882/4 Pa 17/6 Arab Bureau Papers.

١٨٦ ــ F.O. 882/14 Pa 17/14 Arab Bureau Papers.

١٨٧ ــ p. 207.

١٨٨ ــ في كتابه : **Turkey and the War**, p. 209

١٨٩ ــ مقال بنتويتش في كتاب : Sacher, (ed.) **Zionism and the Jewish Future**, p. 209

عام ١٩١٧ (وجمعت فيما بعد في كتابه «انجلتره و فلسطين») انه في رسم حدود فلسطين المستقبل لا بد من اخذ دروس التاريخ والنظر بعين الاعتبار الى الفشل السياسي والعسكري للدولة اليهودية القديمة ، الذي كان يرجع الى نقص في امتدادها الساحلي، والحاجة الى حدود جيدة في الشمال والشرق (١٩٠) . وخصصت مجلة بالستاين مقالين (١٩١) ، لبحث اهمية منطقة حوران للمستقبل السياسي والاقتصادي لفلسطين الجديدة ، اذ ان مركزها الجغرافي يجعل منها حصنا طبيعيا للجليل وسهل يزرعيل (مرج ابن عامر) فتكون بذلك احدى القلاع المتقدمة للامبراطورية البريطانية .

ويتجاهل الصهيونيون احيانا ان البلاد مأهولة ، وحين يذكرون ذلك يرون انها لا تزال الى حد كبير ادنى من المستوى الطبيعي في الكثافة ، وهي قادرة ، بشروط مؤاتية ، على ان تجذب اعدادا كبيرة من المستوطنين اليهود ، يقدرها بنتويتش ، بناء على الابحاث التي قام بها صندوق الاكتشاف الفلسطيني ، بـ ١٠ ملايين نسمة . ومع ان بنتويتش يرى استحالة الوصول الى هذا العدد في الوقت الحالي ، الا ان « ما يظهر من طبيعتها يشير الى ان بامكانها ان تستوعب ٣ ــ ٤ اضعاف العدد الحالي » (١٩٢) ، ولذلك كانت معظم الدراسات التي ألفت في تلك الفترة او التي سبقتها تشير الى امكانيات الخصب الهائلة التي تكمن في فلسطين ، رغم المظاهر الحالية المجدبة ، وان شواهد التاريخ كانت تدل على وجود مراكز زراعية خصبة مزدحمة بالسكان مكان الامتدادات الصحراوية التي اصابت البلاد منذ تهديم (الهيكل) فتحولت التلال الخضراء الى صحراء (١٩٣) . وليس ذلك ، برأيهم ، الا لان العرب الكسولين قد حلوا محل اليهود النشطين ، واستبدل بالعدل الظلم والفساد والاهمال ، ولا تحتاج الا الى الماء والحراثة لتزدهر من جديد وتعود الى سابق عهدها «تفيض باللبن والعسل» (١٩٤) . ويرون ان ثرواتها المخبأة لا تكمن فقط في امكانياتها الزراعية وخصب تربتها ، فجريدة ذي تروث تشير الى وجود البترول في المنطقة التي تقع شرقي الاردن ، وان البحر الميت يحوي ثروات هائلة (١٩٥) ، وبنتويتش يرى ان منطقة النقب التي تبدو جرداء تحوي عروقا معدنية ، وان بالامكان استخدام الطاقة الكهربائية لاستغلال موارد فلسطين ، وانها فقط تنتظر من يعيد لها البناء ، وان اليهود وحدهم ، الذين سيقومون بهجرة منظمة وضخمة نحو فلسطين ، بامكانهم ان يجعلوا الارض ارضهم ويملأوها ويطوروها : « كونوا مثمرين وتوالدوا » (١٩٦) . ويحاول كتاب « الصهيونية ومستقبل

١٩٠ ــ Sidebotham, p. 199.

١٩١ ــ المقال الاول ١٩١٧/٦/٢٣ . المقال الثاني ١٩١٧/٧/١٤ ــ ويبحث فقط في منطقة الجولان (القسم الجنوبي الغربي من منطقة حوران) .

١٩٢ ــ Bentwich, **Palestine of the Jews**, p. 201.

١٩٣ ــ Storrs, **Orientations**, London 1939 p. 410.

١٩٤ ــ من تعليق في مجلة **جويش كوارترلي ريفيو** ، الجزء التاسع ، ١٩١٨ ــ ١٩١٩ على مجموعة من الدراسات والكتب التي ألفت عن فلسطين في الفترة السابقة للحرب . ومعظم هذه الدراسات كانت تستند على المعلومات التي قدمتها تحريات صندوق الاكتشاف الفلسطيني .

١٩٥ ــ **The Truth**, April 27, 1915.

١٩٦ ــ Bentwich, **Palestine of the Jews**.

اليهود » ان يثبت ان اليهود هم اعظم الشعوب المستعمرة في العالم ، بدليل نجاح المستوطنات اليهودية في فلسطين في انشاء نظام استيطاني متطور ، وما انجزته من تحول يكشف بوضوح الاهمال الذي يسود النظام الحالي في البلاد العثمانية ، وما يمكن ان يفعله اليهود في المستقبل . ويؤكد سايدبوتام « ... ان ما انجز على درجة صغيرة ، وفي وجه مصاعب سياسية كبيرة ، بامكانه فعلا ان ينجز ما هو اكثر قيمة عندما تحل حكومة نشطة محل الحكومة العثمانية المتخلفة » (١٩٧) .

والدعوة الصهيونية ترى ان دور اليهود يمكن ان لا يقتصر على حدود فلسطين التاريخية ، بل من السهل ان يعطي الشعب اليهودي مجالا اكثر اتساعا لفعاليته ، بان يمتد براي بنتويتش (١٩٨) الى كل المنطقة التي يشملها الوعد من المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى نهر مصر « ... اذ ان هذا هو الاقليم الذي يجب ان تكونه ارض اسرائيل » . وهو يطلق على هذه المنطقة اسم فلسطين الكبرى التي تملأها الارتباطات التاريخية اليهودية ، والتي تطلب سكانا كي ينقذوها من الاهمال وتآكل القرون . والعمل اليهودي برأيه يمكن ان يستصلح سهول جلعاد ومؤاب والسهول الممتدة الى الفرات ودجلة تماما كما فعل في تلال يهوذا والسامرة الصخرية ومنحدرات الجليل الخضراء . « ... وبذلك يمكن لفلسطين الكبرى ان تكون موطنا لبقايا يهودية كبيرة تبلغ الملايين لا الآلاف ... » . ولم يجد بنتويتش مشكلة في ايجاد (الموارد البشرية) لملء هذه المساحات الشاسعة من بين يهود الممتلكات الآسيوية التركية ، الذين يبلغ عددهم ربع مليون ، ثلثهم في فلسطين ، كما يجد احتياطيا هائلا من العمال الزراعيين اليهود (٥٠٫٠٠٠) في اليمن ، واخيرا يذكر مجموعات الشباب الصهيوني في كل المجتمعات الغربية « الذين يرون في فلسطين فرصة لتحقيق الامل اليهودي» وينتهي قائلا « ... موارد هائلة لشعب نشط كي يشغل المساحات الخالية التي تنتظر لتلبي النداء ... » .

ويفترض الادعاء الصهيوني ان على السكان القليلين المتخلفين ، ان يرحبوا بتدفق اليهود النشط المتحمس ، لكونهم ساميين من جهة ، ولان مصالح السكان لن يصيبها اذى من جهة اخرى ، بل ستتطور بشكل ايجابي (١٩٩) . وهذه الافكار سيطورها سايكس في دعوته (التوفيقية) بعد تصريح بلفور ، ويغلفها بطابع مثالي خيالي. والواقع انها ليست ابتكارا حديثا بل هي تطوير لنظرية (عبء الرجل الابيض) يحمله الى الشرق في هذه المرة اليهود القادمون من اوروبه . ويشرح سايدبوتام ذلك « ... بان الشرق قد حصل الى الآن على مظهر خادع فقير للفكر الغربي ، بسبب نقص العنصر الحضاري الحقيقي ، وسيكون اليهودي المترجم المثالي للغرب نحو الشرق والشرق نحو الغرب ، اذ ان تاريخه وعادات تفكيره تجعله قريبا من جهة الى الشعوب السامية المكرسة نحو الله . ومن جهة اخرى الى الغرب المكرس للتقدم الانساني وسيكون عنصر

١٩٧ ـ Sidebotham, p. 204
١٩٨ ـ من مقال لنورمان بنتويتش في كتاب Sacher المذكور سابقا ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
١٩٩ ـ Storrs, p. 410.

توفيق لاعادة الساميين من جديد الى مجتمع الفكر والعمل مع سائر العالم المتحضر ... » (٢٠٠) وبرأي بنتويتش « ان اليهود منذ القديم كانوا حلقة الاتصال بين الساميين والمسيحيين ، وعملوا دور الوسيط ، واعدوا الطريق للاصلاح والنهضة... وهم سيعودون الى فلسطين ليؤدوا المهمة معكوسة اذ يحملون ثانية الى وطنهم افكار ومخترعات مواطنهم (المؤقتة) ويعدوا الطريق بذلك لاصلاح وبعث الشرق» (٢٠١). بل ان مجلة بالستاين تعتبر ان اقامة هذا المجتمع اليهودي في فلسطين سيكون عاملا في زوال المنازعات التي اوقعت البشرية في كوارث عديدة . وتفسر ذلك بان كل المنازعات انما تعود الى نفور عرقي اخلاقي عميق الجذور سببه الخلافات في العقائد والعادات ، التي استمرت وتراكمت لفشل الفئات المختلفة في فهم كل منهما نفسية الاخرى من جهة ، ولغياب نفسية وسيطة ذات نفوذ من جهة اخرى ، ونظرا لكونهم اما مسلمين او مسيحيين ، تنقصهم الحقيقة الموضوعية التي هي اول شرط للنجاح ، والتي لا توجد ـ او على الاقل ـ الى نفس الدرجة بين العلماء اليهود ، وتضيف « ان اليهود قد لعبوا دوما دورا وسيطا بين الشرق والغرب للوصول الى تفاهم بين العالم الاسلامي وغيره والى نقل الفكر الغربي الى الشرق كله » (٢٠٢) ، وكان يكمن وراء مهمة اليهود الحضارية استخفاف بالوجود العربي يصل الى حد التحقير : فهربرت بنتويتش يرد في مقال له (٢٠٣) ، بعنوان (مستقبل فلسطين)، على محاضرة القاها ماسترمان (Masterman) في الجمعية الجغرافية الملكية بعنوان (احترام المصالح الاسلامية) متسائلا : « ... ما هو تأثير العرب او نشاطهم في فلسطين ... انه لا شيء او اقل من لا شيء ... وقد استبدل به خمول ولا مبالاة الترك ... فأين ذلك مما فعلته الطلائع في المستوطنات اليهودية ... » . ويرى سايدبوتام انه ليس هناك اي حضارة محلية يمكن ان تحل محل الحضارة التركية (الغريبة) سوى الحضارة اليهودية ... اذ رغم ان اليهود يعدون فقط سبع السكان ، الا انهم قدّموا لفلسطين كل شيء ذي قيمة في العالم ... » (٢٠٤) ، وهو يرى « ان عرب فلسطين ليس بامكانهم ان يؤسسوا قومية او يحافظوا على استقلالهم لو تركوا وحدهم دون ان يدعموا من الصهيونية» او « دون حماية من بريطانيه ... » (٢٠٥) .

وسعى الصهيونيون الى التقليل من شأن الحركة القومية العربية ، كعامل حاسم له اهمية في مجرى الحرب ، كي يعطوا الحركة القومية اليهودية الاهمية الكبرى ، ولا يرى جابوتنسكي، وهو يبحث قضية توزيع الارث التركي في كتابه تركيه والحرب (٢٠٦)،

٢٠٠ ـ مقال سايدبوتام في كتاب Stein & Simon (eds.) **Awakening Palestine**, p. 261
٢٠١ ـ Bentwich, **Palestine of the Jews**, p. 209
وردت هذه الافكار في مقال بنتويتش في كتاب Sacher (المذكور سابقا) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .
٢٠٢ ـ **Palestine**, 17.3.1917.
٢٠٣ ـ **The Near East**, 30.3.1917, p. 50.
٢٠٤ ـ Sidebotham, p. 174
٢٠٥ ـ مقال سايدبوتام في **Awakening Palestine**, p. 262.
٢٠٦ ـ **Turkey and the War**, pp. 213-214, 223.

اي داع لان تولي الدول الكبرى مسألة المطامح العربية القومية اهمية – رغم انها مظهر قد يكون له شأنه في المستقبل – فهي لم تصل بعد الى مرحلة النضوج ، وان ما يطلق عليه (حركة عربية) ليس الا تسمية سابقة لأوانها ، بل هي ليست اكثر من تعبير عن اتجاهات محلية لا انسجام بينها. وبنظره ان الآمال العربية بالنهضة القومية والاستقلال غامضة كفكرة الامة العربية التي تشكل قاعدة هذه الآمال . ويستخف هنا بفكرة المتحمسين الداعين للوحدة العربية ، وحجته ان مجرد تشابه اللغات لا يشكل امة واحدة لان رابطة الامة هو الشعور بالوحدة القومية ، وهذا الشرط الاساسي لا تحققه قبائل مختلفة تسكن شريطا متصلا من الارض يمتد على شاطىء افريقيه الشمالي وغرب آسيه من الخليج الى المحيط ، والذي يمكن ان يشكل يوما ما اساسا لدعاية نشطة للوحدة القومية ولكنه يرى ان هذا اليوم لا يزال مختفيا وراء حجب المستقبل البعيد « ولذلك قبل ان يتكشف فان بعض فئات هذه الامة العربية الواحدة المقترحة لا تزال بحاجة الى ان ان تتعلم اشياء كثيرة تكون الخط الفاصل بين الهمجية وبداية الحضارة ...وكي تتعلمها فهي بحاجة الى اساتذة اوروبيين مزودين بالمؤهلات اللازمة ...» (٢٠٧) ومع انه يتمسك بالرأي القائل ان التكلم عن العرب كأمة واحدة ، تمتد من طنجه الى بغداد ، سابق لأوانه ، الا ان مجرد القول ان العالم العربي تتوفر فيه شروط خاصة، يمكن ان تتطور في يوم ما نحو وحدة قومية سيكون بالنسبة لاوروبه « اعظم الكوارث الاستعمارية المعروفة في التاريخ ... لانه سيهدد الوجود الاوروبي في شواطىء افريقيه وتلك الاجزاء في آسيه ، التي تزمع اوروبه انشاء حكم فيها ... وكذلك هو لعنة على العرب ، نظرا لما انجزه الحكم الاوروبي من مهمات حضارية ... » (٢٠٨) . ويرى جابوتنسكي انه عند بحث المطلب العربي ، على دول اوروبه الغربية المنتصرة ، ان تضع نصب عينيها « ذلك التصميم الثابت بجعل المتوسط بأيد اوروبية وان تعمل ما يمليه عليها حفظ بقائها ... قبل العمل بمبادىء العدل والحرية (٢٠٩) .

وقدم ارونسون ، الذي يمثل الروح الحقيقية التي كانت تسود المستوطنين اليهود في فلسطين ، بعد وصوله مصر في مطلع ١٩١٧ ، تقريرا الى المكتب العربي في القاهرة عن الاوضاع العامة في فلسطين (٢١٠) ، يتهم العرب فيه بالخداع والسلبية والجهل ويلوم بريطانيه « للسياسة الخطرة المؤسفة في تبنّيها الثورة العربية، اذ اثارت في الفلسطينيين احلاما ... ليست اماني حقيقية ... بان يصبحوا جزءا من المملكة العربية المستقلة ... » ، وانه ، مع تطلع العرب للاستقلال العربي « يعرفون في قرارة نفوسهم انهم في ظله لن يكونوا افضل ... بل سيستخدمونه كسلاح سياسي ... والبدو سيبقون كما هم الآن غدارين ، وسيستمرون في اللعب المزدوج مع الترك والانجليز ، اذ ينتقل افراد القبائل بين المعسكرات التركية والبريطانية ... ويقبضون من الطرفين ... كجواسيس منتظمين ... ومع ان البريطانيين يجزلون لهم العطاء

---

٢٠٧ – Jabotinsky, p. 215.

٢٠٨ – **Ibid**, p. 223

٢٠٩ – **Ibid, p. 224.**

٢١٠ – F.O. 882/14 Pa 17/14 Arab Bureau Papers.

ويعاملونهم جيدا فهم يحتقرونهم ويخدعونهم ، بينما لا يدفع لهم الترك كثيرا ويعاملونهم بسوء الا ان خدماتهم لهم افضل ... لان عقليتهم الشرقية الغربية تجعلهم ينظرون الى المعاملة السيئة على انها من مستلزمات وحق السيد » .

ولدوافع واضحة ، هدفها ان تتحلل بريطانيه من التزاماتها بالنسبة للمنطقة ، وتعطي اليهود حقا بالمساهمة في التحرير ، سعت الصهيونية الى التقليل من دور عرب فلسطين ، بتقديم خدمات عسكرية هامة للحلفاء ، والقول بان العرب كانوا اما سلبيين خلال العمليات التركية الالمانية ، او انهم ساعدوا الترك . بينما صورت ، مقابل الاحجام العربي ، اندفاع اليهود نحو الالتحاق بالقوات البريطانية (٢١١) . والواقع ان عرب فلسطين لم يظلوا سلبيين فالى جانب اولئك الذين شنقوا او نفوا عملوا ما طلب منهم اللنبي عمله ، اذ ان اللنبي لعدة اسباب لم يرغب في وجود قوات عربية تعمل في جبهته (٢١٢) . اذ كما يظهر من تقرير لهيئة المخابرات البريطانية في ١٩١٦/١/٢٩ ان مثل « هذه القوات في خطوطنا ستكون مصدر قلق » ولم تشأ الهيئة الا ان تختار قلة مختارة لمعالجة الامور المحلية او المتعلقة بالاسرى (٢١٣) . ومع ان فلسطين ، حسب تقارير ارونسون نفسه ، كانت تنقصها مقومات الثورة بسبب اوضاع البلاد القاسية وتجريد البلاد من رجالها الاشداء (٢١٤) ، الا ان الدور العربي قد ثبت في اجتماعات بين القائد البريطاني ولورنس . والجنود العرب الذين تركوا الجيش العثماني كان عليهم ان يذهبوا الى الصحراء للانضمام الى قوات فيصل في الشرق ، والذين بقوا تعاونوا مع قوات حليفته بريطانيه . وتقارير المكتب العربي والنشرة العربية تظهر نشاط الاهالي ضد الترك ، والعمل من اجل قضية الحلفاء ، حتى في المناطق التي ليس بها اي مستوطنة يهودية . ففي غزة مثلا وقف اهلها ضد الترك مما ادى الى اضطهادهم واعدام المفتي وابنه (٢١٥) . وفي المنطقة التي تقع جنوب خط الخليل غزة ، حول منطقة بئر السبع (وهي مسلمة تماما) ، لم يكن موقف السكان وديا مع الترك ، وكذلك الخليل وهي مركز اسلامي كانت ضد الترك ، وكثير من زعماء نابلس اعدموا او نفوا نتيجة لهذا الموقف ، ووقعت اعداد كثيرة من العائلات في القدس تحت الشبهة بسبب مشاعرها الموالية لبريطانيه ، وعمل بدو منطقة بئر السبع منذ بداية الحملة اما مع قوات الشريف او مع قوات حليفته بريطانيه (٢١٦) . « ثم كان الجيش البريطاني حريصا على كسب الراي العربي وراء الخطوط وكانت المنشورات التي يتولى المكتب العربي وضعها وتوزع في فلسطين ، ترسم بأحكام من اجل الدعاية للشريف ، والاشارة الى ان الجيش العربي في الحجاز يعمل بالتعاون مع الجيش البريطاني ، وانزلت الطائرات البريطانية منشورا للملك حسين لاعلان الثورة بأعداد كبيرة وراء الخطوط التركية لدعوة العرب للانضمام

---

٢١١ – Esco Foundation for Palestine, Vol.I. p. 206.

٢١٢ – Jeffries, J., **Palestine the Reality**, London, 1939, p. 209

٢١٣ – F.O. 882/14 Arab Bureau Papers

٢١٤ – **Ibid.**

٢١٥ – F.O. 882/26, **Arab Bulletin**, 12.1.1917.

٢١٦ – F.C. 882/14 Arab Bureau Papers, Vol. 18. p. 17/2, 12.1.1917

لقوات الحلفاء التي تعمل من اجل حرية واستقلال العرب (٢١٧) . والجنرال الالماني فون كريسن الذي قاد الهجوم على قناة السويس كان يشكو من الخسائر الثقيلةبسبب الفرار العربي ، « فقد ترك الجنود الجيش واختفوا في الريف ... وبعد تركز القوات العربية في العقبة ، انضم كثيرون الى فيصل ومنهم عدد كبير من ابناء فلسطين، والذين بقوا مختفين في قراهم عملوا كأدلاء ووكلاء على الجبهة البريطانية . وباعتراف لورنس نفسه ان الضباط العرب الذين كانوا في الجيش التركي مكنوا اللنبي من معرفة كل شيء ، كما ان السكان المدنيين انضموا دون اقناع او تعويض ، مما سهل على اللنبي حرية الحركة والمرونة ... فدخل البلد كصديق والى جانبه السكان المدنيون (٢١٨) .

كانت الصعوبة الكبرى بوجه المشروع الصهيوني في فلسطين هي وجود شعب عربي متفوق عدديا على اليهود ، وعلى الرغم من ان اليهود قد اقروا برأي بنتويتش ١٩١٦ « بانه لا يتوقع من اليهود ان يكونوا قادرين على ان يتملكوا كل البلد ، اذ انعرب فلسطين الذين يملكون الارض يتجاوز عددهم نصف مليون ولا يمكن ازاحتهم ... وان الاراضي المجاورة هي موطن قبائل بدوية ... وان السوريين في الشمال بدأوا يلقون عيونا طامعة على المناطق المأهولة حولهم ، وقد يثيرون دعوى الجوار ضد دعوى الحق التاريخي ... » ، ولذلك رأى ان ينشر الادعاء التقليدي بان هناك متسعا من الارض لابناء اسحق ويعقوب كي يعيشوا معا بانسجام تام ... لان مصالحهما في الحاضر والمستقبل متفقة ... » (٢١٩) ، على الرغم من ذلك لم يكن هذا الا خطوة مرحلية للحصول على التفوق اليهودي ثم الاستئثار بالبلاد . ولم يكن الهدف الحقيقي خافيا على المكتب العربي في القاهرة فالنشرة العربية في ١٩١٧/١/١٥ (٢٢٠) ترى « انالغالبية العظمى للصهيونية لا تزال تعتبر الاستقلال الذاتي هدفا بعيدا ، وان ما يبحثون عنه في الوقت الحاضر هو سياسة الباب المفتوح ، والحصول على اكبر قدر ممكن منالاراضي في فلسطين، واستيطانهذه الاراضي ثم يتقدمون بعد ذلك بأساليبهم الزراعيةالمتطورة، وسندهم المالي ، وشعورهم القومي ، وكرم الدولة الحامية الصديقة ، نحو الوصول الى الهدف السياسي النهائي » .

لقد طرح الصهيونيون هذه القضية منذ بداية الحرب الاولى ، في المؤتمر الذي عقد في ١٩١٥/٤/١٤ (٢٢١) ، حين قدم ممثلو الصهيونيين الى ممثلي اللجنة المشتركة مشروعهم بايجاد كومونولث يهودي في فلسطين ، بضمان من السلطة الجديدة ، معتبرين ان هذا المشروع سيكون حلا دائما وحقيقيا للمشكلة اليهودية ... وكانت المسألة التي جرى حولها نقاش طويل هي : « ... هل يتحتم المطالبة بحقوق خاصة

---

٢١٧ – Jeffries, p. 211.

٢١٨ – Loc. cit.

٢١٩ – مقال بنتويتش في كتاب ساكر المذكور سابقا ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ . وقد اعيدت الافكار في كتابه **Palestine of the Jews** ص ٢٠٧ .

٢٢٠ – F.O. 882/26 Vol. II No. 39.

مقال « المستعمرات اليهودية في فلسطين » ص ٣٠ وما يليها .

٢٢١ – **F.O. 371 / 2488 / 51705**

لليهود ؟ وكيف يمكن ان تصبح فلسطين بلدا يهوديا ؟ وما هي الخطوات لتحويل هذه الاقلية اليهودية الحالية الى غالبية عظمى ؟ » . وقد اكد جاستر حاخام السفارديم في بريطانيه ضرورة ان يكون لليهود « حقوق خاصة وامتيازات حتى يصل عددهم الى حد الاغلبية ... فيتفوقون بثقل عددهم ... » لقد كان يأمل ان يتوضع في فلسطين خلال عشر سنوات من ٨٠٠ الف الى مليون نسمة ، ووضع سوكولوف امله على الحكومة البريطانية التي لو تولت الحماية والاشراف على فلسطين لصالح اليهود من اجل حل المشكلة اليهودية ، فانها لا شك ستتخذ الخطوات الضرورية لتمكنالمستوطنين اليهود من الزيادة بمعدل اسرع من سائر الطوائف الاخرى ، لضمان التفوق العددي لليهود في البلد « ... التي يجب ان تكون بلدهم » . واقترح كوين ان تمنح الحكومة البريطانية فلسطين الى شركة يهودية ذات امتيازات ، وهذه الشركة هي التي ستعمل على ان يصبح المستوطنون الغالبية السائدة . ورحب سوكولوف وغيره بفكرة الشركة ذات الامتيازات ، ـ برأيهم ـ لا توجد اي حاجة لابعاد الآخرين ، الا ان منطقالحوادث سوف يفرض نفسه ، « فمجرد تيار ثابت ومشجع من المهاجرين اليهود ... كفيل بان يثبط ويبعد الآخرين ... » .

ولم تنشأ اعتراضات اللجنة المشتركة على المشروع الصهيوني بسبب اي شعور موال للعرب ، بل لانها رأت ان المشروع نفسه لا يقدم حلا نهائيا للمشكلة اليهودية . ومن هذه الزاوية كانت الاعتراضات التي وجهت الى المطلب الصهيوني ، حول مشروع الشركة ذات الامتيازات ، التي تخول اليهود المستوطنين حقوقا وامتيازات لا تشمل سائر المواطنين (٢٢٢) . وهذه الاعتراضات لم تؤثر على جوهر المشروع الصهيوني الا في انتقاء الكلمات المناسبة لصياغة المشروع في قالبه الرسمي او ما عرف بتصريح بلفور، ولكنها لم تمنع الصهيونيين من ان يفكروا بمكان بديل (لفئات السكان الاخرى) ، فقد كان بنتويتش مقتنعا عام ١٩١٦ « ... ان العرب (المحليين) امام تدفق هجرة منظمة سيتراجعون تدريجيا الى المناطق المجاورة ... وخاصة انهم لا يظهرون ميلا للتكاثر ... وموجة الهجرة العربية المتجهة الآن الى اميركه ... ربما تجد جاذبية اكبر في وديان اناضولها الغنية حين تنفتح هذه المناطق نحو الجنوب ... وازدهار الحياة القومية العربية سيتحقق في موطن العرق العربي (يقصد الجزيرة العربية) وفي العراق الغنية بتراث العظمة العربية ... اليهود فقط يشعرون ان فلسطين موطن اجدادهم ... وجهد تاريخهم ... وهدف مشاريعهم ... انهم اليهود وحدهم الذين سيقومون بهجرة منظمة وضخمة نحو فلسطين » (٢٢٣) ، ومع ذلك فوجود ...ر٧٠٠ عربي في

---

٢٢٢ – F.O. 371/2488/51705.

من رسالة لوسيان ولف الى الخارجية (نيسان ، ابريل ١٩١٥). وقد تساءلت اللجنة « ...كيف يستمر في المطالبة بالحقوق المتساوية لليهود في روسيه ورومانيه اذا ادعينا حقوقا خاصة لليهود في فلسطين ؟ او اصررنا على تجريد غير اليهود من حقوقهم في فلسطين ، من اجل التأكيد على التفوق العددي لليهود ... » .

٢٢٣ – Sacher (ed.) p. 203-204.

وفي كتاب بنتويتش **England of the Jews**, p. 207.

فلسطين يقلق الصهيونيين ، بعث (ساكر) الى (ليون سيمسون) رسالة في حزيران (يونيو) ١٩١٧ يشكو همه « ... كم كانت ثقيلة مشكلة العلاقات مع العرب التي تجثم فوق صدورنا ... على الاقل بالنسبة الينا نحن الصهيونيين رفيعي الثقافة ... انه يكمن في خلفية تفكيري الاعتراف بانه حتى لو سادت خططنا السياسية حسب ما نرى فان العرب سوف يبقون مشكلتنا الكبرى ... » (٢٢٤) .

لقد كانت هذه المشكلة نفسها تقلق بال الحكومة البريطانية ، منذ ان بدأ التفكير بالعطف على اماني الصهيونية ، فهناك حقائق اولية تعرفها الحكومة البريطانية ، فالعرب كانوا يملكون ، فكيف يمكن جعل حقائق الوضع هذا تنسجم مع الآمال التي كان يسمح للصهيونيين ان يتمتعوا بها ؟ (٢٢٥) . لذلك كان هناك خوف في الدوائر الرسمية من اي تعقيدات تالية مع العرب ، لم يكن ذلك كما يقول بيرلمان (٢٢٦) تخوفا من صدام مع القومية العربية المنتصرة ، او رغبة في تخفيف النزاع بين هؤلاء المستعدين لمناصرة الصهيونية واولئك في (مكتب القاهرة) الذين كانوا يدعمون بنشاط قضية القومية العربية ، بل انه تخوف على اليهود في علاقتهم مع العرب المحليين الذين يتفوقون عليهم عدديا . لمح الى ذلك احد موظفي الخارجية في ١٩١٦/٢/٢٨ « ... في ذهني ان يعطى اليهود تسهيلات استيطان خاصة تجعلهم مع الزمن اقوياء الى حد كاف كي يقفوا على قدم المساواة مع العنصر العربي حيث يمكن وضع ادارة الامور الداخلية بأيديهم ... ولكن ما يبدو بنظري امرا يستحيل التغلب عليه تقريبا هو تلك الصعوبة التي سيواجهها المستوطنون اليهود في ان يحلوا محل النسبة العالية من السكان العرب التي تبلغ ٦٠٠ ــ ٧٠٠ الف في فلسطين ، او ان يزدادوا قوة الى حد كاف يمكنهم من ان يتولوا ادارتهم » (٢٢٧) .

ومع ذلك فان غراي وزير الخارجية لم يكن قد قدر بعد ابعاد هذه الصعوبة حين بعث يستطلع رأي حكومتي روسيه وفرنسه في آذار (مارس) ١٩١٦ (قبل ان توقع اتفاقية سايكس بيكو رسميا ، وفي وقت كادت المراسلات بين الحسين ومكماهون تصل مرحلتها الاخيرة) بشأن اقتراح صهيوني باصدار تصريح حول مستقبل فلسطين ، يكون ملائما تماما للاماني اليهودية ويلاقي استجابة لدى فئة كبيرة وقوية من الطائفة اليهودية في كل العالم ، التي يعرف عن عدد كبير منها انهم لا يبالون بالفكرة الصهيونية، فقد رأى غراي (٢٢٨) « انه كي يكون هذا المشروع اكثر جاذبية لغالبية اليهود ، بحيث يمكن لبريطانيه عقد صفقة مع الصهيونية التي تتمتع بامكانيات سياسية بعيدة المدى،

٢٢٤ ــ Stein, p. 622.

٢٢٥ ــ **Ibid**, p. 626.

٢٢٦ ــ Perlmann, M., **Chapters of Arab - Jewish Diplomacy 1918-22.**

٢٢٧ ــ F.O. 371/2817/54791/42608 F.
من المطالعات السرية على الاقتراح الذي تقدم (ادجار سوارس) بضمان العطف البريطاني على الاماني الصهيونية .

٢٢٨ ــ F.O. 371/2817/54791/42608 F.
رسالتا غراي الى الحكومتين الفرنسية والروسية عن طريق سفيري بريطانيه في بتروغراد وباريس.

تضع بجانب الحلفاء القوى اليهودية في اميركه والشرق ومكان آخر هو معاد لنا كثيرا ... » يضيف الى الاقتراح الصهيوني « بانه لو تقوّى المستوطنون اليهود في فلسطين ، بمرور الزمن الى حد كاف ليساووا الشعب العربي ربما سيسمح لهم بان يتولوا بأنفسهم ادارة الشؤون الداخلية في فلسطين ، باستثناء القدس والاماكن المقدسة » . ان ما بحث عنه غراي لم يكن التفوق اليهودي بل التوازن العددي ، يعني ان اليهود سيجارون الخطى ــ ليعطوا البلاد نغمتها ولونها (٢٢٩) .

ولم يكن اعتراض الخارجية الروسية على الفكرة ، بل لانها ترى صعوبات في طريق تنفيذها . الا ان الحكومة الفرنسية (٢٣٠) ، كانت تشك في ان يلاقي المشروع الصهيوني اي استجابة من اي فئة من الفئات ذات النفوذ من اليهود في المعسكر المعادي . ولكن ما رغبت ان تلفت له نظر الحكومة البريطانية بوجه خاص هو ان « المشروع سوف يجازف بشكل خاص باثارة مشاعر العرب الذين يحسن معاملتهم بحذر ... وان المشروع يجب ان لا يؤخذ بعين الاعتبار الا بعد حل مشكلة خلق الامبراطورية العربية ... » . وابدت بعض دوائر الخارجية البريطانية اهتماما بالاعتراض الفرنسي للمشروع الصهيوني من زاوية المسألة العربية ، حتى ان اوبراين وجده اكثر قوة من اي اعتراض آخر ، فكتب في تعليقه على الرد الفرنسي (٢٣١) « ... يجب ان نعترف بان العرب لو عرفوا انا نفكر بمشروع استيطان يهودي واسع في فلسطين (مع احتمال حكومة يهودية ذات استقلال ذاتي) ، سيكون لذلك تأثير فاتر على الزعماء العرب ... » . ولم يكن احجام بريطانيه في الزام نفسها تجاه الصهيونية في ذلك الوقت المبكر بسبب القضية العربية نفسها ، بل لان الحلفاء لم يكونوا قد انتهوا بعد من مناقشتهم حول مستقبل فلسطين ، التي هي مسألة لا يمكن ان تعالج بشكل مستقل عن سائر مشاكل الحرب . وحين اقترح لورد روبرت سيسل وكيل وزارة الخارجية في ١٩١٦/٦/٢٩ (٢٣٢) « ... بانه في صالح اليهود ، في الوقت الحاضر ... الذي ثار فيه العرب ضد الترك ، عدم اصدار اي تصريح » ، ولم يكن في ذهنه التخوف من العرب ، بقدر ما هو التخوف على مصلحة اليهود .

★★★

اين وقف العرب اصحاب المصلحة الحقيقية من القضية التي تتعلق بمصيرهم ؟ كان من المتوقع جمود الوضع في فلسطين ــ كسائر سوريه نظرا لحالة الطوارىء والبؤس الاقتصادي اللذين فرضا على البلد ، واساليب القمع التي اتبعت ضد رجال الحركة العربية في سوريه ، ثم لانتقال النشاط الصهيوني السياسي خارج فلسطين . لذلك توقفت حركة المعارضة للنشاط الصهيوني التي عرفت قبل الحرب ، كما اغلقت

٢٢٩ ــ Stein, p. 623.

٢٣٠ ــ F.O. 371 / 2817 / 54491 / 42608 F.
جاء الرد الروسي في ١٤ آذار (مارس) والفرنسي في ٢٢ آذار عن طريق السفارة البريطانية في كل من بتروغراد وباريس .

٢٣١ ــ **Ibid.**

٢٣٢ ــ F.O. 371/2817/130062/42608.

كل الصحف التي تولت قيادة هذه الحركة ، ولم تنطلق في فلسطين خلال هذه الفترة سوى اشارة عابرة عن الحركة الصهيونية وردت في كتاب كلـف مؤلفاه بمسح ولاية بيروت (٢٣٣) ، وخصص فيه فصل عن الحركة الصهيونية ووصف الحياة العامـة في مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) ، وينتهي هذا الفصل بالكلمات التالية ان « ... النجاح الذي احرزه الصهيونيون في الوقـت الحاضر حقيقـة لا تنكر ... وان الصهيونيين وعاشقي العصبية هاجمون بكل قواهم لاحراز الغاية والفوز بالمقصد الاصلي . ولكننا لا نعلم هل تتمكن هذه الاقلية القليلة من الامة اليهودية المبتلاة بالاسراف والفطرسة من ان تصل الى (الغاية اليهودية) بفضل ملايين البارونات واصحاب الثروة التي لا تعرف النفاد ؟ » .

وكانت الزعامة السياسية العربية التي يهمها مصير فلسطين بعد الحرب كجزء من سوريه ، قد تجمعت في القاهرة ، او التفت حول الحسين في مكة بعد قيام الثورة ، كما كان عدد من المثقفين السوريين يقيم في الغـرب (باريس ، منشستر والمهجر الاميركي) . وكانت القاهرة منذ الفترة السابقة للحرب قد اصبحت مركزا للمهاجرين السوريين من المسلمين والمسيحيين المثقفين ، الذين برزوا في الصحافـة والوظائـف المدنية ومعظمهم من العاملين في الحركة العربية الحديثة ، حيث استطاعوا ان يمارسوا نشاطهم بعيدين عن السيطرة العثمانيـة ، فأوجـدوا الجمعيات والاحزاب العلنيـة (اشهرها اللامركزية) ، كما كانت صلاتهم وثيقـة مـع الجمعيات السرية في دمشق وبيروت وفلسطين وباريس . ولم تكن دار المعتمدية البريطانية تجهل افكار ونشاطات هؤلاء المهاجرين (٢٣٤) . ونتيجة للظروف التي خلقتها الحرب ، ودخول تركيه الحرب الى جانب دول الوسط ، ثم قيام الثورة العربية انقسم هـؤلاء الى احزاب مختلفـة بعضهم ظل على صلة وثيقة بالحسين ، مع كل ما ارتبط به من التزامات نحو بريطانيه ، وظلوا على افكارهم القومية الاولى بايمانهم بالاستقلال والوحدة ، وبعضهم كان يرى عدم امكانية الاستقلال التام وانه لا بد من طلب الحماية المؤقتة لدولة اجنبية قـوية ، ومنهم اقلية ميولها نحو فرنسه التي يرونها البديل الوحيد للحكم التركي ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لثقافتهم الفرنسية منذ الفترة السابقة للحرب ، وكان لهـؤلاء صلـة بالمجموعة السورية اللبنانية في باريس ولسان حالها جريدة المستقبـل التي تمولهـا الخارجية الفرنسية . ومجموعة اخرى ترى انهم لو خيروا بين فرنسه وبريطانيه فهم يفضلون بريطانيه لانهم يعرفون تجربة الحكم الفرنسي القاسية في اجزاء اخرى مـن العالم العربي من جهة ، ومن جهة اخرى يرغبون في ان تصبح مصر وسوريه تحت حكم واحـد (٢٣٥) .

---

٢٣٣ ـ رفيق التميمي ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي** ، بيروت ١٣٣٥ هـ ـ (معرب عـن التركية) .

٢٣٤ ـ Storrs, R., **Orientations,** London, 1937, p. 412.
وكان ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمدية .

٢٣٥ ـ Kedourie, p. 47 ff.

ولم تتعرض الصحافة السورية في مصر الى بحث المسألة الصهيونية او مستقبل فلسطين الا نادرا ، وشغلتها قضايا الحرب عموما ، وحتى حين تعرضت لها ، كانـت تتأثر باتجاهات اصحابها المعروفة قبل الحرب ، وبظروف الرقابة المفروضة في فتـرة الحرب . بل لقد شاركت صحيفتا المقطم والاهرام في الدعاية العالمية التي اثيرت حول ما عاناه اليهود في فلسطين ، وتطرقت الى بحث احوال المهاجرين بمصر وما اتخذتـه السلطات من العناية بهم وتدبير اشغال لهم (٢٣٦) . والاكثر من ذلك انها افسحت المجال في صفحاتها لمناقشة الاماني الصهيونية في فلسطين ، ولدعوة غريبة ومبكرة لا تختلف في خطوطها العامة عن تلك التي كان يتولاها الصهيونيون في بريطانيه . وفتحت بذلـك الباب مجددا لبحث المسألة الصهيونية التي اثيرت قبل الحرب ، ففي المقطم ١/٢٨/ ١٩١٥ مقال بعنوان « من هم الاسرائيليون وما هي حقيقتهم ؟ » ، وفيه يأسف الكاتب (سلمون عمار) « لانه لا يجد على صفحة الخرائط للاسرائيليين متسعا خاصا رغـم وفرة عددهم وتفوقهم الحضاري ... فهم شعب بغير دولة مشتت في جميـع انحـاء المعمور... » . ويجد نسيم ملول (المقطم ١٩١٥/٢/٢٣) بمناسبة مرور ٣١٨٦ عاما على وفاة موسى ان هذه السنة ليست كسائر السنين « ... اذ ان طبيعة العمران وقوانين الاجتماع ومقتضى المدنية الحديثة تتطلب الآن حلا نهائيا للمسألة الاسرائيلية وتصفية حسابها تصفية نهائية » ، ويدعو الامة الاسرائيلية « ... ان لا تترك هذه الفترة دون ان تسعى للانتفاع بها ... » . انه يؤكد ان ما تطلبه الامة الاسرائيلية هو « العدالـة كسائر الامم الصغيرة من محكمة الانسانية بعد الحرب لانها احق من سائر الامم عددا وعدة » . ولم يوضح الكاتب كيف ؟ وعلى حساب من ؟ اذ انه ترك الوجه السياسي من المسألة لابحاث اخرى . ويثني كاتب آخر ، اسمه بشارة انطونيوس ، في مقال عنوانه « الاسرائيليون يطلبون حقا » في المقطم ١٩١٥/٤/٧ على موقـف المقطم لاهانتها بأسرة روتشيلد بمناسبة وفاة اللورد ناثان ماير روتشيلد ، رأس هذه الاسرة (٢٣٧) . وينتهز الفرصة ليطالب دول اوروبه ارجاع الشعب اليهودي الى وطنه الاصلي ليصير له وطن خاص وخاصة « ان الذين استعمروا جانبا من ارض فلسطين احيوا الاراضي الموات » . ولا تنسى المقطم ان تتابع اخبار النشاط القومي للمهاجرين اليهود في مصر ، فتنقـل خبر احتفال اقامته جمعية شباب صهيون الاسرائيلية في الاسكندرية ، وافتتح الاحتفال بالنشيد الاسرائيلي هاتيكفاه (نشيد الامل) ، والقى الكولونيل باترسون خطابا « بدأه بشالوم وانهاه كذلك ... » (٢٣٨) .

---

٢٣٦ ـ اعداد متفرقة من **الاهرام** و**المقطم** ١٩١٥ . وحاولت المقطم في ١٩١٥/٢/٣ ، ان تثير المسألة بـروح قومية حين وجهت رسالة بعنوان « **الى الاسرائيليين من فؤاد مكلوم ومستغيث مظلوم** » يستحـث الكاتب اغنياء مصر من اليهود « ... ايتها الامة الناشطة العاملـة ... برهنـوا على ان الـدم الاسرائيلي يجري في عروقكم ... » .

٢٣٧ ـ **المقطم** ١٩١٥/٤/٢ (ونقله **الهلال** في ايار (مايو) ١٩١٥ ص ٦٩٦) واشارت الصحيفة بهذه المناسبة الى علاقته بالقطر المصري حين اشترت الحكومة البريطانية على يـده اسهم قناة السويس التـي عرضها اسماعيل باشا للبيع وعددها ١٧٦٫٦٠٢ وبلغ ثمنها ٣٫٩٧٦٫٥٨٢ جنيها كما اشارت الى ان معظم القروض التي عقدت لحساب الحكومة المصرية بعد ذلك عقدت على يده .

٢٣٨ ـ **المقطم** ١٩١٥/٤/٢٤ ، واشارت المقطم الى نشاطات ادبية يهودية منها ، انشاء جمعية احياء اللغة

(التتمة على الصفحة التالية)

وحاولت جريدة الاهرام ان تعطي الموضوع صفة الحوار ففتحت باب المناقشة للمسألة الصهيونية ـ الذي اغلق قبل الحرب ـ على اساس ان القضية بها خصمان ، كل خصم يتمسك بأدلته ومستنداته لتأييد دعواه ، وتترك الامر برأيها للرأي العام يحكم لاحد الفريقين ، دون ان تتخذ موقفا . تولى كامل مدور (٢٣٩) في مقال عنوانه « لماذا يجب ان لا تعطى فلسطين لليهود » في ١٩١٥/٦/٢٥ الرد على الادعاءات الصهيونية في فلسطين ، بنفس الحجج التي استخدمها الصهيونيون مستندا على مبدأ (الجنسيات) والحقوق التاريخية والاعتبارات الدينية والاسباب السياسية والاجتماعية التي جميعها بجانب شعب فلسطين دون اليهود . فأورد الادلة التاريخية التي تثبت ان اهالي فلسطين هم سكان البلاد الاصليون وطالب الدول العظمى ، اذا كانت ستطبق مبدأ حماية الضعيف ، « الاعتراف بجنسية اهالي فلسطين وانصافهم وذلك بان تتركهم في بلادهم ولا تدخل عليهم شعبا غريبا يحكمهم ... » . وينتقل الكاتب الى دحض الحقوق التاريخية التي يتمسك بها اليهود ... مستندا الى الكتب المقدسة وادلة التاريخ . واستخدم في رده على دعوى اليهود (بحقهم الالهي) ، نفس اسلوبهم المستند على الكتب المقدسة . فمقابل الحقوق الدينية لليهود هناك حقوق المسلمين والمسيحيين التي لا تقل اهمية عن حقوق اليهود . وهو يرى استحالة تحقيق الدعوى الصهيونية من وجهة نظر سياسية واجتماعية ، اذ لو حدث ذلك « ... لا بد من وقوع الاضطراب في الداخل والقلاقل في الخارج بسبب الفرق العظيم في الاخلاق بين الاهالي الاجانب وبسبب الضغائن والاحقاد الكامنة ... مما ينتج الكره ويلاشي الثقة المتبادلة » . ويتوصل كامل مدور الى استنتاجات عملية : ليس لليهود حقوق ثابتة على فلسطين اكثر من غيرهم ، ولا توجد شريعة بشرية او الهية تجبر اهل فلسطين على قبول الحكم اليهودي او المهاجرة هربا . واذ ارادوا انشاء مملكة فلتكن في اراضي واسعة في الولايات المتحدة او روسيه ، ثم ان الاجدر باليهود ان ينصرفوا الى تحسين احوالهم في البلاد التي يقيمون فيها ، وينتهي مقال الكاتب بقوله : « ... اذا كان للاسرائيليين بعض الحق بالمطالبة فلاهاليها الاصليين الذين هم فيها قبل بنى اسرائيل وبعدهم حق اقوى واجدر بالاعتبار (٢٤٠) .

الحوار لم ينته ، والاهرام بحجة الموضوعية ، اتاحت المجال لرد صهيوني صريح في مقال بعنوان « لماذا يجب ان تعطى فلسطين لليهود » في ١٩١٥/٦/٢٩ يرد كاتبه (ابو عمران سينا) على بعض النقاط التي اوردها كامل مدور : فاليهود لو حكموا سيطبقون العدل والتسامح ، والدليل ما طبقوه في مستعمراتهم ! ويهاجم الكاتب كل ما عرضه مدور من حلول للمسألة الصهيونية بحجة انه ليس فيها طريقة واحدة عملية مفيدة ، وخاصة الحل الذي قدمه بتحسين حالتهم في البلاد التي يقيمون فيها وهو شيء لم تثبت صلاحيته مطلقا . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى تمجيد الشعب اليهودي،

العبرية ، وجمعية اورشليم لنشر الاداب العبرانية بالعبرية وانشاء جريدة يهودية باللغة الفرنسية باسم (**لارينيسانس جويف**) ـ النهضة الاسرائيلية ، **المقطم** ١٩١٧/٩/٢٢ .

٢٣٩ ـ صاحب جريدة **الرأي العام** البيروتية (قبل الحرب) .

٢٤٠ ـ **الاهرام** ، ١٩١٥/٦/٢٥ .

وضرورة حفظ قوميته وجنسيته ووقايته وحمايته مع تمكينه من التجدد ، الذي لا يتحقق الا اذا رجع الى الفلاحة والزراعة « في بلاد معينة تساعده فيها عناصر طبيعية عالية من نوع علاقة اليهود بوطنهم الاصلي فلسطين ... » . ولذلك هو يرى ان العودة الى فلسطين هي « الحل الوحيد للمشكلة الاسرائيلية ... والتي تحفظ اصالة الشعب الاسرائيلي من الاندماج في غيره من الشعوب » . ويردد الحجة الصهيونية التقليدية بان فلسطين ليست ضيقة المساحة بل تسع اليهود وكثيرين غيرهم ، وبسبب الاهمال الطويل منذ ترك اليهود المنطقة غدا سكانها اليوم لا يتجاوزون ٧٠٠ الف ، وهو يجزم بان فلسطين بها كل مميزات الاستيطان اليهودي ، من حيث تربتها ومناخها المعتدل وموقعها الجغرافي على مفترق طرق العالم وقربها من التمدن الاوروبي ووجودها في متناول المهاجرين اليهود الهاربين من الظلم وقدرتها على اجتذاب سائر طبقات الشعب اليهودي . ويرد الكاتب على ان اليهود شعب غريب في فلسطين ، بان يركز مطولا على صلة اليهود الدينية بماضيهم في فلسطين ، ويضيف الى ذلك « ان مصالح اليهود الاقتصادية في فلسطين منذ ثلاثين سنة قد اكسبتهم حقا ثابتا » . ويدافع مطولا وبحماس عن الحركة الصهيونية ونشوئها التي لم تكن برأيه الا «مظهرا لارادة الله...». ثم ينتقل الى بحث ما حققته الصهيونية من اعمار في فلسطين ليثبت ان الحركة الصهيونية هي حركة اجتماعية واقتصادية ، وانه حين تصبح للصهيونيين سلطة حقيقية في فلسطين سيطبقون تلك الامور التي في برنامجهم كي يثبتوا انهم اهل « للحكم والعدل » . والكاتب في النهاية يبشر العالم اجمع بما سيحل عليه من نعم من شعب « خدم الفكرة والمدنية الانسانية ... حتى استعاد كل نشاطه ... سيعطي الانسانية آية جديدة من الآيات الفكرية والعقلية ... » .

وكان آخر ما ظهر في الاهرام للدفاع عن الجانب العربي ، وانتهى به فجأة الحوار الذي فتحته الجريدة لبحث المسألة الصهيونية ، هو ما كتبه كامل مدور في ١٩١٥/٧/٧ بعنوان : « فلسطين والصهيونية » للرد على التحدي الصهيوني ليثبت بالحجج المنطقية العلمية ان فلسطين للعرب . وهو يترك جانبا الاعتبارات الدينية لانه لا يريد البحث في الغيبيات ويقتصر على بحث المسألة من حيث مبدأ (العنصرية) ومن حيث الاعتبارات التاريخية والاجتماعية . فمن وجهة النظر (الاولى) لا ينكر ان الاسرائيليين عنصر قائم بذاته ، ولكن لاهالي فلسطين جنسية هي جديرة بالاعتبار ، فهم في البلاد قبل نزول بني اسرائيل فيها ، وبعد رحيلهم عنها ، وحافظوا على عنصريتهم فهم احق من كل البشر ببلادهم دون سواهم . ولا يجد مدور تبريرا للادعاء الصهيوني بالتغني بحسن هواء فلسطين وخصبها وملاءمتها للاستيطان الصهيوني كسبب لمنحها لهم « ... واذا كان استيطان فلسطين مناسبا لاي امة من الامم فهو اكثر مناسبة لاهاليها الاصليين ولا حق لأحد ان يطردهم منها » والكاتب يرحب باليهود لو جاءوا كغيرهم من الشعوب ، « ولكن اذا كان غرضهم تملكها والحكم فيها ، فاننا نجاهر بأعلى صوتنا . لا نرضى ... لا نرضى ... ان هذا الحاكم الجديد متى جاء فلسطين لا بد له من حصر السلطة في يديه لتوطيد ملكه فيحرمنا من الحقوق التي كنا نتمتع بها » . وهو يحذر مما سيحدث في المستقبل « ان تسليم مقاليد الحكم الى الصهيونيين في بلادنا

خطر يهدد وجودنا كشعب آمن طال عليه عهد الاستبداد وهو يصبو الى الراحة والامن ... وان حقوق اهل فلسطين ومصالحهم تقضي عليهم ببذل كل مجهوداتهم وكل ما في طاقتهم لرفع خطر الصهيونيين عنهم ... » . وهو لا يرى عجبا ان تكون المستعمرات الاسرائيلية مزدهرة فذلك راجع لتوفر ظروف خاصة لم تتوفر لاهل البلاد ، منها حماية الدول العظمى لهم من المظالم التي يتعرض لها الفلاح ، ثم ان جمعياتهم تمدهم بالاموال والآلات الحديثة ، وتبنى لهم المدارس ، وترسل لهم البعثات الطبية ، وتوفر لهم جميع معدات الراحة التي لا تتوفر للفلاح العثماني ، ثم تشتري لهم الارض وتقرضهم ما يلزم دون فوائد باقساط على سنوات عديدة ، « بينما الفلاح تحت وطأة المرابي ويلتزم الاعشار لا يجد من القلة ما يكفيه للحياة ... » ومع ذلك لا يرى الكاتب مبررا لان يعتبر اليهود مصالحهم الاقتصادية سببا كي يتملكوا البلاد ... « فمصالحنا الاقتصادية اكبر » . ويطالب العالم «... اعطونا حكومة عادلة وامنحونا نصف قرن صلح وسلام ، وساعدونا ببعض المال بالفائدة المعتدلة القانونية وانظروا فيما بعد اذا كنا نترك فلسطين خرابا او نجعلها ازهى من المستعمرات الاسرائيلية ... » .

كان هذا آخر صوت يسمع في فترة الحرب في صحف القاهرة للدفاع عن الجانب العربي في فلسطين ، بل ان صحيفة الاهرام في اليوم التالي (١٩١٥/٧/٨) تعرضت في مقال طويل لما بذله الشعب اليهودي في الحروب المتوالية وتساقطه في ميادين القتال دفاعا عن اغراض ومبادىء عدة لا عن اغراضه ولا عن آدابه ومطامحه الخاصة (٢٤١) ، وتذكر خبر احتفال اقامه الاسرائيليون الصهيونيون في ١٩١٥/٧/١٨ في سينما بالاس في الظاهر لذكرى وفاة هرتزل اكبر دعاة الصهيونية ، حيث القى جاك موصيري وغيره خطبا عن حياة هرتزل وعمله (٢٤٢) . وفتحت المقطم مناقشة جديدة بين نسيم ملول وعزيز نوري صاحب جريدة عدالت (ايلول ، سبتمبر ١٩١٥) عن مسألة ارتباط الصهيونيين بالمصالح الالمانية ، وحاول نسيم ملول ان يثبت ان الصهيونيين هم الى جانب قضية الحلفاء ، وينفي وجود اتفاقيات بين الاتحاديين والالمان لمصلحة القضية الصهيونية (٢٤٣) . ولا يبدو ان الحركة الصهيونية بخطرها تهم (مجلة الهلال) بل انها تتعاطف مع اماني اليهود في مقال عن (اليهود والحرب) في شباط (فبراير) ١٩١٦ فتذكر « ... ان من غرائب الصدف ان يوم ٤ آب (اغسطس) وهو يوم نشوب الحرب وافق تذكار هدم الهيكل الاكبر عند اليهود ... وقد سمى بعضهم هذه الحرب سبي اليهود الثالث لانها زادت في تفوقهم وتشتيت شملهم » (٢٤٤) .

٢٤١ ـ **الاهرام** ، ١٩١٥/٧/٨ .
٢٤٢ ـ **الاهرام** ، ١٩١٥/٧/١٨ .
٢٤٣ ـ **المقطم** ، ١٩١٥/٩/٢١ .
٢٤٤ ـ تنقل **الهلال** على نفس الصفحة صورة رمزية تمثل احد مشايخ اليهود وفي يدم الكرة الارضية يبحث فيها عن مستقر يأمن فيه على شعبه وهو يقول لنفسه « ... في روسيه لا يريدونني وكذلك في فرنسه وفي انجلتره او اميركه وفلسطين ، ان هذه الديار واسعة وجميلة ولكن يظهر انه ليس لي فيها مكان ... » .

٦ ـ التمهيد لتصريح بلفور :

ظلت الحكومة البريطانية مطمئنة الى موقف الصحافة العربية في مصر ، الا ان ملاحظة عابرة ظهرت في صحيفة عربية خارج مصر ، وتسربت خطأ من يد الرقابة ، قد اقلقت الحكومة البريطانية ووجهت انظارها الى احتمال حدوث مصاعب في المستقبل. ففي العدد الثاني من جريدة القبلة في مكة ، التي تصدر باسم الشريف حسين بتاريخ ١٨ شوال ١٣٣٤ هـ (١٩١٦/٨/١٨) (٢٤٥) ورد في مقال دون توقيع بعنوان (نحن واعداؤنا) هجوم على الاتحاديين وتفصيل لدى التسلط الالماني على مقدرات الدولة العثمانية ، ثم انتقل المقال الى ذكر « فلسطين التي اصبحت المانية او كادت ولا سيما بعد ما نشبت فيها براثن الصهيونيين الذين جعلوا مقرهم مدينة برلين واتخذوا من الاتحاديين بقوة القيصر مطية ركبوها الى اغراضهم فاقتطعوا بقعة بعد اخرى وبلدا بعد بلد حتى رثيت قومي وبكيت عليهم بالدم لا بالدمع وقلت وما من مجيب : يا للنفوس التي طاحت بلا قيود ـ يا للبلاد التي ضاعت بلا بدل ولكن لم يغن عن الامة صياحها ولم يجدها صراخها لان السيوف ... مجردة فوق الرقاب والسهام مسددة نحو الصدور ... » (٢٤٦) ، هذه الاشارة العابرة قد اثارت مخاوف سايكس ، الذي كان كما يقول عنه ليزلي (كاتب ترجمة حياته) (٢٤٧) « القوة الموجهة الرئيسية في لندن وراء سياسة بريطانية في الشرق الادنى خلال الحرب ، اوصى بكلا السياستين العربية واليهودية » ، وكان مسؤولا عن تأمين تبنيهما من قبل الوزارات في بريطانيه . وبايعاز منه ابرق مدير الاستخبارات العسكرية McDonough الى كلايتون في ١٩١٦/١١/٢١ (٢٤٨) يطلب منه الاطلاع على الجريدة وان يبلغ شخصا اسمه (Maurice ??) رجاء خاصا من سايكس بان يبذل جهده لمنع الخوض بهذا الموضوع الخطر اذا كان يريد نجاح القضية العربية « انه سوف يثير عداء القوى التي هي الآن حيادية ، ولو اثيرت كانت كفيلة بتحطيم الآمال ... » وتمضي البرقية الى القول بان : « هذا هو تحذير خطير وشخصي ... وانه لا شيء اكثر احتمالا من ان يحدث ما يخشاه هو نفسه والعرب من هذا الهجوم العلني والطائش ... » ويطلب سايكس من كلايتون ان يخبر (هذا الشخص) « ان هذه الرسالة مرسلة له لانه يعتبره العربي الوحيد الذي يقدر قيمتها » .

وعلى اثر ذلك بدأت دوائر المكتب العربي ، نظرا لقربه من المنطقة، وامكان اتصاله بالاجواء العربية، بجمع كل التقارير الممكنة عن مدى المعارضة العربية للنشاط الصهيوني

٢٤٥ ـ كان يرأس تحرير الجريدة محب الدين الخطيب .
٢٤٦ ـ وربما ليست مصادفة ان تظهر في نفس العدد اشارة الى خطبة مورغنثو (الاسرائيلي) « الذي كان الى الشهر الماضي سفيرا لاميركه في الاستانة في بلدة سينسناتي قال فيها انه فاوض الوزراء الاتحاديين في بيع فلسطين لليهود بعد الحرب فأظهر الوزراء المذكورون ميلا الى هذا المشروع وتفاوضوا في تأسيس حكومة جمهورية لبيت المقدس والاتحاديون يعرضون على اليهود الصهيونيين القيام بمد السكك الحديدية وانشاء الفنادق والقهاوي وغير ذلك » .
٢٤٧ ـ Leslie, Sh., **Mark Sykes, His Life and Letters,** London 1923, p. 288.
٢٤٨ ـ F.O. 882/14 Arab Bureau Papers.

في فترة ما قبل الحرب وظروفها ودوافعها حتى تكون الصورة واضحة امام المفاوضين في لندن . ففي مذكرة وضعها اورمسبي غور ١٩١٧/١/١٢ عن الاوضاع السياسية في فلسطين يحاول ان يحلل اسباب المعارضة العربية في فلسطين للصهيونية لدى الفئات المختلفة فيراها في اهداف الصهيونية الحديثة السياسية التي « تهـدف الى تأسيس دولة يهودية مستقلة ذاتيا في فلسطين والاقصاء التدريجي للمسلمين – والى حد اقل السكان المسيحيين – وان المستوطنات الصهيونية قد اسفرت تماما عن هذه النية... » وهو يرى ان المسلمين في القدس خاصة وما جاورها ، يميلون نحو المسيحيين ولكنهم ضد اليهود ، او بشكل ادق ضد الصهيونيين « انهم يقاومون بشدة هذا النمو المتزايد في العدد والنفوذ للمستوطنات ... اليهودية في المدينة والريف... وشراء الصهيونيين للاراضي ... وتجريدهم المستمر للسكان من الملكية ... » . وتشير مذكرة اخرى للمكتب العربي في ١٩١٧/٢/٥ (٢٤٩) « انه نتيجة لهذه المعارضة تكونت جمعيات من الاعيان والمثقفين لمقاومة الاستيطان اليهودي » . وكما عبر احدهم لكاتب المذكرة « ... لو ان اليهود اخذوا بلدنا ، اين سنذهب ؟ » .

وحاول بعض البريطانيين الذين عملوا في المنطقة فترة طويلة ، وخبروا ظروفها ان يوجهوا انظار اولئك الذين بيدهم مقدرات فلسطين الى حقـوق اهل البلاد ، والى استحالة تحقيق المشروع الصهيوني من وجهة نظر عملية . فكتب ماسترمان (وكان من الذين عملوا في صندوق الاكتشاف الفلسطيني) مقالا في المجلة الجغرافية (٢٥٠) استقاه من تجربته الشخصية في فلسطين لاكثر من ربع قرن، ووجه الانظار الى « اهمية احترام الشعور الاسلامي ، وحقوق السكان المحليين في ارضهم التي لا شك فيها » . وبرأيه ان البلاد لا تحتمل في حالتها الحاضرة زيادة سكان . ودعا الكسندر سيفي (٢٥١) نتيجة لتجربته في المنطقة وما رآه من آمال الشعوب الى جمهورية سورية تمتد من العريش الى الفرات حتى مرسين وتضم قبرص وترتبط بوحدة جمركية مع مصر والجزيرة العربية والعراق وهو متأكد بان اي حل آخر سوف يرفض لاسباب سياسية ، ويؤدي الى عدم الاستقرار ، « ... ثم ان مشروع اقامة دولة يهودية في فلسطين غير ملائم حتى لو كان مكانا مهجورا فقط لدفن اليهود » .

ولكن يبدو ان مدرسة سايكس هي التي كانت تسيّر السياسة البريطانية في الشرق : المدرسة التي تناصر الصهيونية ، وتدعم بنشاط القضية العربية . كل ذلك من اجل المصلحة البريطانية ، وتغلف ذلك باسطورة بعـث واحياء الشرق ، حيـث سيكون فيه مكان لكلا القوميتين العربية واليهودية (٢٥٢) ففي الوقت الذي كان فيـه

---

٢٤٩ – F.O. 882 / 14 Pa / 17 / 6 Arab Bureau Papers
تقدر المذكرة مساحة الاراضي التي يملكها اليهود ب ١٠٠,٠٠٠ هكتار من احسن الاراضي الزراعية.
٢٥٠ – نقلت ذلك مجلة **ذي نير ايست** في ١٩١٧/٤/١٦ .
٢٥١ – نقلت ذلك مجلة **ذي نير ايست** في ١٩١٧/٤/٢٠ .
٢٥٢ – Kedourie, pp. 79-86
يسهب في وصف افكار سايكس المثالية حول القوميتين اليهودية والعربية وآمالهما في المستقبل .

سايكس يتولى شخصيا متابعة المفاوضات شبه الرسمية مع الصهيونيين منذ شباط (فبراير) سنة ١٩١٧ ، كان يراعي خواطر العرب وآمالهم بخطبة رنانة باسم ستانلي مود وجهت الى شعب بغداد ، ونشرت بتصريح من مجلس الوزراء ، لما سقطت المدينة بيد البريطانيين منذ سنة ١٩١٧ (٢٥٣) ويقول فيها : « ... اننا نهدف الى توحيـد العرب شمالا وجنوبا وغربا ، ننشد تعاونهم في تحقيق اماني عرضهم ، وان نساعـد العرب للنهوض مرة اخرى الى العظمة والشهرة بين شعوب الارض ... نحن نساند احياء القومية العربية ... احياء الحضارة العربية ... والوحدة العربية... » (٢٥٤) .

ويبعث سايكس الى وينجيت في ١٩١٧/٢/٢٢ (٢٥٥) يطلب منه ان ينصح اللجنة العربية في القاهرة ان تبتكر وتقرر علما او شعارا « يجب ان يرفرف حين يرفرف العلم الفرنسي في منطقتي (أ) و (ب) (٢٥٦) وانه لا يجب ان يكون هذا العلم مماثلا لعلم الشريف ولكن يجب « ان يوحي باتحاد عربي او يمكن ان يسمى علـم (العرب المتحدين) » ، ويبعث في نهاية رسالته اربعة نماذج مقترحة للعلم (٢٥٧) .

وجاء سايكس الى الشرق كي يضمن قبولا ، من الذين بيدهم الزعامة العربية ، لكل الخطط البريطانية في الشرق . وصل القاهرة في نيسان (ابريل) ١٩١٧ كممثـل بريطاني في البعثة الانجليزية الفرنسية التي الحقت بالقائد العام للقوات البريطانية في مصر ، وكان من مهامها دراسة الوضع العربي القائم . فاتصل بلجنة من سوريي مصر (حيث كانت القاهرة مركزا لنشاطهم) وبحث معهم امورا تتعلق بالاماني العربية . واوضح لهم (٢٥٨) بان حكومة جلالته قد ابدت رغبتها في ان يحقق العنصر العربي، الذي تجمعه رابطة لغة ودم ، مصيره كقوة لها وزنها في العالم المستحدث . وانـه نتيجـة لاجتماعاتهم معه ومع بيكو قد توصلوا الى شبه قبول باتفاقية سايكس بيكو فيما يتعلق بسوريه ، وان هذه اللجنة قد رغبت من فرنسه وانجلتره ان تعملا على تأسيس دولة

---

٢٥٣ – **Ibid p. 79**
٢٥٤ – **Palestine** 17. 3. 1917. p. 57.
تمهد المجلة كي تعطي لليهود دورهم في احياء الشرق اذ تذكر « ... ان العصر المزدهر للحضـارة العربية كان عصرا مزدهرا للفلسفة اليهودية والعلم اليهودي » .
٢٥٥ – F.O. 882 / 16 22.2.1917 Arab Bureau Papers
٢٥٦ – نصت اتفاقية سايكس بيكو على انشاء حكم مباشر لفرنسه في الساحل السوري (المنطقة الزرقاء) ولبريطانيه في ولايتي بغداد والبصرة (الحمراء) اما في القسم الشمالي من سوريه الداخلية وولاية الموصل المنطقة (أ) فيصار الى الاعتراف بدولة عربية مستقلة يكون لفرنسه فيها الحق في تقديم المساعدات الاقتصادية والاستشارية وتنشأ كذلك دولة عربية مستقلة في منطقة النفوذ البريطاني الداخلية (المنطقة ب) يكون لبريطانيه فيها حق تقديم المساعدة والمشورة .
٢٥٧ – النماذج كانت عبارة عن اعمدة ملونة تمثل السلالات العباسية والاموية والعلوية وعلم الشريـف الاحمر وهو يؤكد ان « من المرغوب فيه الا تكون شريفية محضة » . ويقول كدوري (ص ٧٩) ان سايكس كان يتصور الوحدة التي تضم العرب كما يضم العلم كل سلالات الماضي العربي. والواقع ان الوان العلم لم تكن من ابتكار سايكس بل كانت فكرة رجال الحركة العربية قبل الحرب العالمية الاولى (اوراق محب الدين الخطيب) .
٢٥٨ – جاء ذلك في برقية سايكس الى الخارجية في ١٩١٧/٤/٣ . F.O. 371/3053/88954/84173 F.

عربية او اتحاد دول عربية في الرقعة التي تقابل أ ، ب على ان تعتمد هذه على فرنسه او بريطانيه في الدفاع والحماية وكذلك في الخبراء السياسيين والماليين . اما فيما يتعلق بفلسطين فتقول برقية سايكس : «ان المندوبين قد اجمعوا على ان فلسطين تثير مشاكل دولية كثيرة لا يمكن لدولة جديدة كالدولة العربية ان تتولى المسؤولية تجاهها ... ولكن اذا اعترف باليهود كملة او (امة) في فلسطين ، فهم يصرون على ان ينال السكان الاصليون اعترافا مماثلا » . يبدو من هذه البرقية ان سايكس قد افهم السوريين ان كل ما يطلبه الصهيونيون ان تنظم فلسطين على اساس نظام الملة العثماني ، وان يعطى اليهود حكما ذاتيا كسائر الملل ، ولم يقل لهم كما يعتقد شتاين (٢٥٩) « ان الصهيونيين كانوا يتحدثون عن كومونولث يهودي في فلسطين ويفكرون بفلسطين (يهوذا لليهود) ... كما لم يبين كيف يمكن التوفيق بين الرأيين : الاعتراف باليهود كملة والكومنولث اليهودي ... » .

لقد كان سايكس يسعى الى التمهيد لقبول عربي لما تعزم الحكومة البريطانية اصداره ، بتهيئة الجو لعلاقات عربية . وبالفعل كان من بين المهام التي اوكلت الى البعثة الانجليزية الفرنسية ، الى جانب دراسة الوضع العربي القائم « ... مساعدة الجنرال موراي (قائد الحملة المصرية قبل اللنبي) في علاقاته او معاملاته مع العرب واليهود وراء حدود مصر ... حسبما تستلزمه الحالة في ادارة فلسطين ... » (٢٦٠) . ورأى سايكس ان خدمات دكتور وايزمان ستكون ذات فائدة للبعثة في هذا المجال فطلب يستعجل حضوره الى مصر في ١٩١٧/٥/٢ ، وكان هذا يعمل في البحرية البريطانية ، وبعثت الخارجية تطلب اعفاءه مؤقتا من خدماته هناك كي ينضم الى البعثة الانجلو فرنسية « وهي على ثقة من ان وايزمان مستعد للذهاب الى مصر ووضع نفسه في خدمة سايكس حتى بدون تعويض » . وكان وايزمان يبني الآمال على هذه الرحلة ، كما جاء في رسالة بعثها الى سوكولوف في رومه في ١٠ ايار (مايو) : « انه ذاهب الى مصر ببرنامج واضح لدعم فلسطين اليهودية تحت الحماية البريطانية . واوضح سايكس في رسالته الى الخارجية في ١٩١٧/٥/٨ مهمة وايزمان بالضبط ، فهو « سوف يستخدمه في حالة تقدم الهجوم البريطاني في فلسطين فيما له علاقة بالوضع الصهيوني في مصر ... وتسكين الوضع العربي اليهودي بتنمية العلاقات الحسنة بين العرب واليهود بالشعور الطيب والتعاون والعمل على تنظيم الصهيونيين المحليين ... وكذلك يمكن ان يساعد في توسيع ذلك الجزء من المخابرات القائم على استقاء المعلومات من مصادر يهودية ، ووضع صيغ لمخططات سياسية لها علاقة بتقدمنا نحو الامام » . ويرجو سايكس من وايزمان ، ومن اصدقائه لو تعذر عليه الحضور ، ان يبعثوا بتعليماتهم كي يتولى ارونسون القيام بمهمته ، لان الاخير على استعداد لعمل ذلك . على كل حال فان رحلة وايزمان الى الشرق قد اجلت نظرا لانشغاله بعمله الدعائي في اوروبه واميركه ، واوكلت الخارجية في ١٨ ايار (مايو) ، بناء على توصية وايزمان

٢٥٩ – Stein, p. 623

٢٦٠ – من رسالة الخارجية الى البحرية ١٩١٧/٥/٢ بطلب اعفاء وايزمان من خدماته في البحرية للسفر الى فلسطين . F.O. 371/3053/81524/84173. F.O

وسوكولوف ، الى ارونسون سكرتيرية لجنة صهيونية من اجل الاشراف على المصالح الصهيونية في مصر وفلسطين ، وحدد عملها « بدعم القضية الصهيونية واعطاء كل مساعدة ممكنة لصالح الحلفاء في فلسطين » (٢٦١) . وكان سايكس في ذلك الوقت اي في ايار قد ذهب الى جدة للتفاوض مع الحسين (ولم تكن فلسطين ضمن موضوع المفاوضات) ، وعاد الى لندن في ١٤ حزيران (يونيو) ليعاود دعمه « النشط والدائم » لزعماء الصهيونيين وحث الحكومة البريطانية على اصدار تصريح بلفور (٢٦٢) .

ويبدو ان مصر قد اصبحت مركزا لدعاية صهيونية نشطة منذ قدوم سايكس اليها ، وكانت الدوائر الصهيونية فيها تتلقى تعليماتها من وايزمان وسوكولوف . وقد بعث كلايتون الى جراهام في ايار ١٩١٧ (٢٦٣) يشكو فيها من « انه اصبح من الصعب التعامل مع الصهيونيين في مصر ، الذين اصبحوا اكثر نشاطا بشكل متزايد » ، وان هذا قد احرج موقف السلطات البريطانية وخاصة « ... انه لم تصلها اشارة بعد عن السياسة المقترحة لحكومة جلالته حول الموضوع » . ويشرح كلايتون في برقيته ان الرقابة في مصر قد اوقفت كراسا ينوي الصهيونيون توزيعه بين اليهود في مصر ، وهو يحوي مقتطفات من اقوال ادلى بها وايزمان في ١٩١٧/٥/٢٠ في لندن امام مؤتمر المندوبين (Board of Deputies) خلاصتها « ... ان فلسطين ستقع تحت الحماية البريطانية حيث يصبح بامكان اليهود ان يطوروا ويخلقوا تنظيما اداريا سيحمي مصالح السكان غير اليهود ... وسيسمح لهم بتحقيق هدف الصهيونية ... وان حكومة جلالته مستعدة لدعم مشاريعنا وان هذا الدعم سيعطى في الوقت المناسب بالاتفاق مع دول الحلفاء ... وان صديقنا وزعيمنا سوكولوف كان في فرنسه وايطاليه وان الدولتين اعطتا تأكيدا لعطفهما التام والدائم ... ولدينا ايضا وعد من الدوائر الكاثوليكية العليا بانها سوف تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين ... » (٢٦٤) .

وقد قام الصهيونيون في مصر (بزعامة جاك موصيري بعد رحيل ارونسون الى لندن (٢٦٥)) وبتوجيه من وايزمان ، بممارسة الضغط على الحكومة البريطانية للتعجيل باصدار تصريح بلفور ، فبعث وايزمان ببرقية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ الى موصيري (٢٦٦) يحثه فيها على ضرورة « ان تظهروا للحكومة البريطانية وحدة كل هؤلاء الذين (يتطلعون ؟) نحو فلسطين ... ومن الاهمية البالغة عقد اجتماع بارع للصهيونيين

٢٦١ – F.O. 371/3054

٢٦٢ – Leslie, p. 268

٢٦٣ – F.O. 371/3053/162458/84173 F.
جراهام هو رئيس دائرة الشرق الادنى في وزارة الخارجية .

٢٦٤ – ولم تكن اخبار المفاوضات في لندن حول مستقبل فلسطين خافية على صحيفتي المقطم والاهرام . وكانتا تتابعان اخبار النشاط الصهيوني واختلاف وجهات النظر بين الهيئات اليهودية والصهيونية . اما من مراسليها مباشرة او نقلا عن الصحف البريطانية مما يدل على ان نتيجة المفاوضات لم تكن مفاجئة للقائمين على امر هذه الصحف .

٢٦٥ – مع الاستعدادات البريطانية للهجوم الكبير في فلسطين واقتراب الدعم البريطاني لفكرة الوطن القومي قرر ارونسون السفر الى لندن ليقابل وايزمان وسوكولوف ومارك سايكس وكلفه وينجيت ان يشرح باسم السلطات البريطانية الاوضاع في الشرق .

٢٦٦ – 371/3054/202261/84173

لاتخاذ القرار التالي ... ان هذا الاجتماع الجماهيري لليهود في مصر الذي هو بالاجماع لصالح اعادة تأسيس فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي ، له الثقة بان احسن جهود حكومة جلالته ستبذل من اجل تسهيل هذا الغرض » ومن الملاحظ ان هذه البرقية التي وقعت بيد وينجيت قد اثارت ضده بعض المخاوف فبعث الى جراهام في ١٠ تشرين الاول (٢٦٧) ليعرف منه اذا كانت البرقية السابقة قد ارسلت بمعرفة وموافقة حكومة جلالته ، لان عقد اجتماع يقتضي ترخيص السلطات المحلية وقد تفهم منه (الفئات الاخرى) انه يتضمن موافقة حكومة جلالته على القرار الذي يهدف الاجتماع الى اتخاذه . ويبدو ان نشاط الصهيونيين في مصر قد تجاوز رقابة السلطات في مصر، حتى ان وينجيت في برقية ٢٤ تشرين الاول الى الخارجية وجد ان الصهيونيين قد سبق ونظموا اجتماعا عاما ، ولم يشأ التدخل فيه ونصحته الخارجية في برقية ٢٥ تشرين الاول « انه لا داعي للتدخل بالاجتماع فالمسائل الاوسع هي الآن مطروحة امام مجلس الوزراء » .

في ذلك الحين كانت المفاوضات المطولة بين اللجنة الصهيونية في لندن والحكومة البريطانية قد بدأت بالتقدم السريع خلال الجزء الاخير من عام ١٩١٧ (٢٦٨) ، في وقت كانت فيه العمليات العسكرية في فلسطين ، التي توقفت فترة طويلة ، قد اصبحت اكثر فعالية (٢٦٩) . وانتهت العمليات العسكرية والمفاوضات في وقت متوافق تقريبا : الاولى باحتلال القدس والثانية باصدار تصريح بلفور . ونتيجة للاحتلال العسكري البريطاني الذي يخول بريطانيه ان تفعل ما تشاء في بلد محتل ، وتحت ستار مناصرة المطامع الصهيونية التي تضمنها تصريح بلفور ، تمكنت بريطانيه من فصل فلسطين تدريجيا عن سوريه ، وضمها الى تلك المنطقة التي تقع تحت النفوذ البريطاني المباشر .

ويرى شتاين (٢٧٠) انه في كل الاجتماعات التي عقدها مجلس الوزراء لدراسة التصريح لم تثر احتمالات وقوع مصاعب خطيرة مع العرب . ومع ان الصيغة التي تمت

Ibid. – ٢٦٧

٢٦٨ – في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ قدم زعماء الصهيونية في انجلتره مقترحات معينة للحكومة البريطانية اعتبرتها اساسا للمباحثات في شباط (فبراير) ١٩١٧ . ومنذ ايار (مايو) ١٩١٧ بدأت المفاوضات بالتقدم السريع وفي ١٨ تموز (يوليو) وضع مسودة مشروع قدم للحكومة لتصدر تصريحا الا ان بعض اعضاء الحكومة وعددا من اليهود البريطانيين المعادين للصهيونية وضعوا اعتراضات على كلمات المشروع واخيرا وصلت المفاوضات نتيجة ناجحة بتدخل ويلسون . وكان ان دفع بلفور رسالته الشهيرة (١٩١٧/١١/٢) الى روتشيلد رئيس الاتحاد الصهيوني الانجليزي .

٢٦٩ – كان التقدم البريطاني عبر سيناء وجنوب فلسطين سهلا نسبيا حتى فقد البريطانيون معركتين وعين قائد جديد في ١٩١٧/٦/٥ هو الجنرال ادموند اللنبي لقيادة القوات البريطانية في مصر مع تعليمات بهجوم حاسم على الترك في فلسطين . وقبل ان يغادر اللنبي قال له لويد جورج « الوزارة تتوقع القدس قبل عيد الميلاد » . وتمكن اللنبي في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ من شن هجوم على خط غزة بئر السبع مخترقا اياه ، وبعد ذلك اصبح التقدم البريطاني نحو الشمال سهلا نسبيا ، وبعد احتلال يافا حول اللنبي هجومه شرقا باتجاه القدس ، وكانت القوات التركية والالمانية قد اخلتها في ٨ كانون الاول (ديسمبر) و في اليوم التالي قام رئيس البلدية بتسليمها .

Stein p. 626 - 627 – ٢٧٠

الموافقة النهائية (٢٧١) عليها تظهر ، برأيه، ان الوزارة كان في ذهنها الوجهة العربية، الا انها من جهة اخرى كانت تعتقد ان هذه الصيغة بحد ذاتها لن تؤدي الى مشاكل مع العرب في فلسطين ، او تؤثر على العلاقات البريطانية مع العالم العربي عامة . وبرأيه ان الوزارة قد شغلت باعتراضات اليهود المعادين للصهيونية اكثر من تلك التي يمكن ان يثيرها الجانب العربي ، وحتى لو قبلنا بان المسألة العربية لم تشغل اذهان الوزارة البريطانية حين بحثت قضية اصدار تصريح ، الا انها لم تكن مجهولة لدى اوساط الخارجية ، ولم تكن المعارضة العربية للصهيونية امرا مفاجئا جاءت بعد التصريح ، او كما صورها ستورز « بانها ضربة موجهة للعالم ... » (٢٧٢) . ومع ان معارضة مونتاجو (الوزير الوحيد اليهودي في الوزارة البريطانية) للصهيونية في ذلك الوقت لم تنشأ عن اي شعور موال للعرب او معرفة دقيقة عنهم ، الا ان المسألة العربية لم تكن غائبة عن ذهنه تماما . ففي مذكرة بعنوان (الصهيونية) وزعها على اعضاء الوزارة في ١٩١٧/١٠/٩ (٢٧٣) ينقل ما وصل الى وزارة الهند من تقارير كتبتها الآنسة جرترود بل التي كانت تعمل كمساعد ضابط سياسي في بغداد اذ تقول: « ...هناك اعتباران ينفيان فكرة فلسطين اليهودية المستقلة من وجهة نظر السياسة العملية ، اولا ان المنطقة ليست يهودية وانه لا المسلمون ولا العرب سيقبلون وصاية يهودية ، وثانيا ان العاصمة القدس هي مقدسة للديانات بشكل متساو ... ولا يجب على الاطلاق ان توضع تحت ادارة محلية واحدة متميزة ، مهما كان مدى الحرص على ضمان حقوق الطائفتين الاخريين ... » . ويتساءل مونتاجو « هل يمكن لاي شخص يعرف البلد جيدا ان يتصور ان هناك مجالا في فلسطين لتوسع ضخم في السكان ؟ ولو ان هذا لم يحدث ، فما هو الجزء الذي يفترض ان يبعد من السكان الحاليين ؟ ثم يتعرض الى وايزمان الذي يؤدي به الحماس الى اهمال كلي للامكانيات العملية . ويتساءل « كيف لم يأخذ هذا الحماس بعين الاعتبار مشاعر هؤلاء الذين يختلفون عنه من بين اخوانه في الدين ، او اولئك الذين سيعدون ، لو نجحت نشاطاته ، من اهل الديانات الاخرى ؟ » .

٢٧١ – كان هناك فرق بين الاقتراح الصهيوني الاول والتصريح الذي نشر نهائيا فالاول ينص على جعل فلسطين كلها وطنا قوميا لليهود ، والثاني ينص على انشاء وطن في فلسطين مع تحفظات حول الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود .

Storrs, p. 410 – ٢٧٢

CAB No. 24/28 – ٢٧٣

الفصل السابع

الشرق العربي على ضوء سياسة تصريح بلفور

١ ـ نشر التصريح في الشرق العربي :

في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ١٩١٧/١١/٢ وردت الى وينجيت برقية من الخارجية (١) تنقل له نص التصريح الذي قدم الى اللورد روتشيلد في ذلك اليوم ولم يكن قد نشر رسميا بعد . وبعد نص التصريح تمضي البرقيـة الى تنبيـه وينجيت انه « من المرغوب فيه ممارسة رقابة دقيقة على تعليقات الصحف ... بحيث لا يجب ان تؤذى المشاعر العربية » ، والبرقية تلفت نظره الى توجيه اهتمام خـاص لتعليقات الصحف الفرنسية . طبقت تعليمات الخارجية على احسن وجـه ونشرت جريدة المقطم خبر التصريح لاول مرة ودون تعليق في ١٩١٧/١١/١٠ وعلى الصفحـة الخامسة تحت عنوان كبير (الاسرائيليون وفلسطين) عن برقيـة مراسلها بلندن في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ، التي اشار فيها الى ان جريدة جويش كرونيكل قد ذكرت بان مستر بلفور قد كتب الى لورد روتشيلد ما نصه : « يسرني جدا ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذي يراد به ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خير مساعيها لتسهيل ادراك هـذا الغرض . ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنيـة والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي فيها » .

وفي ١٢ تشرين الثاني اعادت نشر نص التصريح نقلا عن رويتر (٢) ، كما اشارت الى ما احدثه بيان بلفور على « الاسرائيليين في اميركه فافعمهم سرورا وملأهم شكرا ». وفي يوم ١٣ تشرين الثاني ذكرت ابتهاج اليهود في الاسكندرية لصدور التصريح بنشر خبر قصير في الصفحة الخامسة بعنوان « مظاهرة الصهيونيين لتحقيق امانيهـم في فلسطين » تصف الاحتفال الذي اقامه « الاسرائيليون لا سيما الصهيونيين منهم » في حديقة رشيد ، وقدم الخطباء الشكر للحلفاء عامة وبريطانيه خاصة على هذا « الوعد

---

١ ـ .F.O. 311/3054

٢ ـ نقلت **المنار** الخبر عن **المقطم** حرفيا (ح ٤ ، م ٢٠ ١٩١٧/١١/١٥) كما اشارت **الاهرام** باختصار الى التصريح في عدد ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) .

الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل . وقام المحتفلون بعد ذلك بمسيرة في شوارع الاسكندرية تتقدمهم الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرى السارة وهاتفون للحلفاء ولبريطانيه العظمى بدوام النصر والظفر» .

ولم يكن حرص الحكومة البريطانية على المشاعر العربية من اجل السياسة الصهيونية فقط بل كان هناك قلق عربي عام يسود المنطقة بعد ان عرفت (الاسس العامة) للاتفاق الفرنسي الانجليزي (٣) . وقد شعرت بهذا القلق الاوساط البريطانية في مصر ، التي يهمها ان لا يتأثر التحالف العربي البريطاني ضد الحلف الطوراني الالماني في وقت لم تكن القدس قد وقعت بيد القوات البريطانية . وشرح كلايتون (مدير المخابرات العسكرية في القيادة العامة) الى سايكس (٤) ، خبير الحكومة في شؤون الشرق الادنى ، التخوف من « ان تهيأ الامور لدعاية المانية طورانية لتقديم اقتراح مغر بامكانية الاستقلال في ظل السيادة التركية الاسمية وخاصة ان هناك احتمالا كبيرا لمثل هذا الاقتراح الذي قد يلعب به خديوي مصر السابق ... ربما حين تسقط القدس وهذا يضع ورقة قوية بالقبضة التركية الالمانية في مؤتمر السلم ... ويساعدها في الحفاظ على الاشراف الحقيقي لمنطقة سكة بغداد » . وبراي كلايتون ان من بواعث الشكوك وعدم الثقة التي تراود السوريين وشريف مكة ولم تستطع انتصارات فلسطين والعراق ان تخففها ، عدم وجود تصريح محدد ينفي فكرة الالحاق وخاصة بالنسبة لسوريه ، ومن جهة اخرى ان التصريح الذي اصدرته حكومة جلالته مؤخرا حول القضية اليهودية كان له انطباع عميق على المسلمين والمسيحيين معا ، الذين ينظرون بخوف كبير الى احتمال ان تصبح فلسطين ، وحتى سوريه في النهاية بيد اليهود ، الذين يخشى الجميع على السواء امكانياتهم العسكرية والتجارية » . ولذلك يرى كلايتون ضمن الاقتراحات الاخرى للخطوط العامة للسياسة البريطانية في الشرق ـ والتي هي كفيلة في رايه بتهدئة الشكوك واتاحة الفرصة لاحداث وحدة هدف عربية وتأمين الموقف ضد الهجوم الطوراني « ان التصريح الذي سبق واعطي لليهود يجب ان يكفي في الوقت الحاضر ... وان اي امتيازات اخرى يجب ان تعمل بأقصى الحذر ... لذا فمن الخطر في الوقت الحاضر ـ ونظرا للموقف العسكري الذي قد يستمر بعد ذلك لوقت لاحق ـ ان يسمح لاي استيطان يهودي في فلسطين » .

٢ ـ سايكس وسياسة التوفيق العربي الصهيوني :

وعلى ضوء هذه المعلومات بدأ سايكس بوضع الخطوط العامة للسياسة التي

---

٣ ـ علم العرب بفحوى اتفاقية سايكس بيكو من رسالتين من جمال باشا الى كل من الامير فيصل وجعفر العسكري تعرضان صلحا عربيا تركيا منفردا ، واعلنت الحكومتان التركية والالمانية العروض علنا في بيروت ١٩١٧/١٢/٤ . وقدم الحسين المراسلات الى المندوب السامي البريطاني ليزوده بتفسير للاتفاقية السرية . وبعث بلفور اولا صورة مضللة عن طبيعة الاتفاقية ثم تلتها برقيةاخرى رفعها نائب المعتمد البريطاني الى الحسين ١٩١٨/٢/٨ للتأكيد على ان بريطانيه تقف الى جانب العرب في كفاحهم من اجل التحرر .

٤ ـ البرقية الاولى في ١٩١٧/١١/٢٦ . F.O. 371/3054/225623/86526
والبرقية الثانية في ١٩١٧/١١/٢٨ . F.O. 371/3054/234304

يراها مناسبة لانقاذ الموقف والتي كان قد بدأ بالتمهيد لها قبل صدور التصريح وهي مبنية على : ان هناك مكانا في المنطقة لكلا القوميتين العربية واليهودية كي تعملا معا لاحياء الشرق ، وعلى الوعد بما يمكن ان تحققه الصهيونية لو تم التحالف معها ، والتحذير مما يمكن ان تحدثه لو وقف منها العرب موقف العداء ، ولا بأس من ان يجد للقومية الارمنية مكانا في التحالف اليهودي العربي ليعطيه صفة اشمل . الخطوة الاولى بدأت بالتأثير على الزعامة السورية في القاهرة نظرا لما يعلقه عليها من اهمية ، لانها المجموعة العربية الواضحة في الشرق العربي، التي يهمها امر مستقبل فلسطين كجزء من سوريه . فبعث الى لجنة الاعانة السورية في القاهرة (SYRIAN WELFARE COMMITTEE) يعرض اقتراحات ونصائح حكيمة لتوحيد الجهود بين العرب والصهيونيين والارمن بهدف تحرير بقية الولايات العربية والارمنية ، ويشير الى اهمية التعاون الصهيوني ، وان الهدف الوحيد للصهيونيين هو ان يكون لهم حق الاستيطان في فلسطين وان يعيشوا حياتهم القومية . وفي نهاية رسالته يخبر اعضاء اللجنة السورية تشكيل لجنة مشتركة في انجلتره من اعضاء عرب وارمن وصهيونيين برئاسته للعمل على تحقيق هذا الهدف ... (٥) .

وبعث سايكس برقية مستعجلة الى كلايتون في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) (٦) « انه قد اقنع الصهيونيين بتبني اتجاه قوي موال للعرب في اجتماع كبير يوم الاحد » والحق ذلك ببرقية اخرى بنفس اليوم تحوي صيغة قرار وضعه بنفسه وسيتخذ في الاجتماع الجماهيري الصهيوني يوم الاحد المقبل (٧) ويبدأ القرار كما يلي :

« ... خلال الاربعمائة سنة الماضية كانت العلاقات بين اليهود والعرب قليلة ومتباعدة فقد ابقت المآسي المشتركة والاضطهاد وتآمر الطغاة الاجانب الامتين القديمتين متباعدتين ، ولكنا نعتقد ان الحوادث الحاضرة تفتح الباب امام تطورات كبيرة صادقة لعصر جديد مرتقب ، وتقدم فرصة رائعة لانشاء علاقات دائمة بين الشعبين اللذين يدفعهما تصميم مشترك لتحقيق التحرر والتقدم . نأمل ونصلي (لتحالف) حقيقي بين اليهود والعرب يعملان بالاتفاق مع مجموعة الدول التي تحارب لتحرير الشعوب المضطهدة ضد قوى البربرية والطغيان . نحن الذين نعمل لاعادة تأسيس وطننا القومي على تربة آبائنا في فلسطين نتوقع بشغف خلق دولة عربية تعيد انشاء الحضارة العربية التقدمية مرة اخرى على مسرح امجادها القديمة ، تماما كما نتطلع الى تحرير الارمن الذين عانوا بقسوة على يد مضطهديهم . ونحن نأمل بشوق ان لا يكون ذلك اليوم بعيداء

---

٥ ـ F.O. 371/3398/27647 F.
اعضاء اللجنة هم وايزمان باسم المنظمة الصهيونية (مكتب لندن) ، ومن الوفد الارمني القومي J. Malcolm ، وعن اللجنة السورية العربية (لندن) تبدو اربعة تواقيع اثنان بالعربية (عابدين حشيمي ، و (ج) عكي) واثنان بالانجليزية (دي زغيب de Zogeb وصافي A. Safi) . وكان سايكس قد بعث يطلب من كلايتون ارسال مندوب عربي من الشرق ليمثل في لجنته ولكنه فشل كما يبدو من برقياته المتوالية بعد ذلك .

٦ ـ F.O. 371/3054/234304

٧ ـ F.O. 371/3062/228698

يوم تزدهر مكان الدماء والفساد للبيروقراطية الطاغية ، العدالة القومية والحضارة والحرية ، وان الامم الثلاث اليهودية والعربية والارمنية ستتعاون في قضية مشتركة لبعث الشرق ... » . ويكتب سايكس في نهاية نص القرار – وبخط يده – الى كلايتون « – عندما سيتخذ القرار سأبرق لك ... وانا اعطيه لك مسبقا حتى يمكنك تمهيد الجو ... سيكون له قيمة عظيمة للقضية العربية ... آمل انك تستطيع بذلك التأثير على اذهان العرب وخاصة السوريين ... » . وكاجراء سريع يقترح الحجة التالية ليتقدم بها كلايتون للسوريين : « ... الحلف الصهيوني الارمني ، يعرض التعاون مع العرب والسوريين ويعطي املا حقيقيا للمستقبل العربي ... المصالح الارمنية والصهيونية تتطلب ان تكون سوريه والعراق في وضع ثابت مزدهر هادىء في ظل حكم صالح ... على العرب ان يلاحظوا ان الصهيونية امر حتمي ... التحالف معها ضمانا للاستقلال العربي النهائي ، ومعاداتها تقود الى الركود السوري والعربي ، الاختبار الصحيح واضح ... » .

لقد كانت الاستعدادات الكبيرة تجري لهذه التظاهرة المرسومة باحكام كي تصل اصداؤها الى الشرق وتحدث الاثر المطلوب . فبعث جراهام برقية في ١ كانون الاول (ديسمبر) الى كلايتون (٨) « سيكون هناك اجتماع صهيوني كبير في دار الاوبرا بلندن للاحتفال بتصريح حكومة جلالته – ستلقى خطبتان باللغة العربية ... كل شيء (يبدو) ليؤكد ضرورة الانسجام والتعاون اليهودي العربي... رويتر ستبرق بتقرير كامل الى مصر » . ونظم اجتماع صهيوني كبير في ٢ كانون الاول حسب الخطةالموضوعة في دار الاوبرا وآخر في منشستر فييوم ٩ كانونالاول لتوجيه الشكر للحكومةالبريطانية على تصريحها المتعلق بفلسطين . وحضر الاحتفالات الى جانب الشخصيات الصهيونية شخصيات حكومية وبعض الشخصيات الارمنية والعربية (لم يكن بينهم اسماء معروفة) (٩) .

وشرح مارك سايكس خطته باسهاب فيلندن ومنشستر (١٠) فخاطب الصهيونيين بقوله « ... ربما يكون قدركم ان تكونوا جسرا بين آسيه واوروبه فتنقلوا روحانية آسيه الى اوروبه وحيوية اوروبه الى آسيه » . انه يأمل ان يقدم الصهيونيين على « انشاء قوة لا تقوم على تسلط الدم والذهب بل عامل الفكر ... » . واشار سايكس الى اعتبارات عملية اعتبرها حيوية لانجاح الخطة الصهيونية : هي ان تقوم على تحالف

٨ – F.O. 371/3062/228698

٩ – المتحدثان العربيان في الاجتماع كانا الشيخ اسماعيل عبد الحق ويوسف سكاجان عن المسيحيين السوريين لم يكن في كلمتهما افكار محددة عن التحالف، ما اشار له الاول: « يا بني اسحق المظلومين اذكروا في هنائكم وسعادتكم ان ابناء اسماعيل يقاسون الويلات والمحن » .

١٠ – وقائع ما جرى في هذه الاجتماعات اخذت عن : **Zionist Pamphlets**, Great Britain, London 1918.
وقد اشارت **المقطم والاهرام** الى احتفال دار الاوبرا في لندن في ٤ كانون الاول (ديسمبر) ثم نقلتا ما جرى في ٦ كانون الاول وفي ١٣ كانون الاول اشارتا الى احتفال منشستر . وبرأي الاهرام ان اجتماع الاوبرا ذو مغزى كبير لانه : « اول مظاهرة عظيمة عمومية للتقرب بين العناصر العربية والارمنية والاسرائيلية » .

ارمني عربي ، ويقصد بالعرب الاقوام التي تعيش في غرب آسيه ولها لغة واحدة فيها دم واحد ، ورغم انقسامها حسب التوزيع الجغرافي والديانة الا ان ٨٥ ٪ منها سامي. ويؤكد سايكس « ان العرب اليوم لديهم نفس الحيوية والمقدرة كعرب بني امية الذين حملوا الحضارة الى قرطبة ومجاهل آسيه الوسطى ... وفي بلادهم الرجال والتربة الخصبة والبترول والحقول فماذا سينتج من هذه القوى عام ١٩٥٠ مثلا » . ينتقل سايكس بعد هذا الاطراء الى الحديث عن اليهود الذين وجدوا مكانا في الشرق : « لقد كان قدر اليهود ان تكون لهم صلة وثيقة بنهضة العرب . والتعاون وحسن النية ضروريان بين الفريقين من البدء والا نكبا معا ... » انه يحذر اليهود ويطلب منهم ان ينظروا الى الامور بعين العرب « اذ ان العرب يخشون ان تنشأ فيفلسطين شركاتمالية تكون سوريه والعراق مضمارا لاعمالها ، وان تبتاع الشركات اراضي شعب فلسطين وتخرجه من ارضه فيصبح فيها عاملا غريبا بعد ان كان مالكا » انه يريد منالصهيونيين ان يتلافوا هذه الاخطار فيعرض عليهمحلا يراه كفيلا بازالة مخاوفالعربهو ان يثبتوا لهم « ... ان اليهود لا يطمعون بحيازة ارض لا يريد اصحابها ان يبيعوها عن طيبة خاطر وان اصلاح اراضيهم انما يكون بعمل عمال من اليهود ... وان المستوطنين هم مستوطنون حقا ... وان اليهود لا ينوون وضع اليد على فلسطين بالمناورات المالية بل بعرق الجبين ... » . ان سايكس يرى ان في تعاونالفريقين نفعا للبشريةوفي تنافرهما ضررا كبيرا وهو ينبه الصهيونيين الى اهمية القدس التي في « ارضها مواد قابلة للالتهاب وكلمة او اشارة تضرم النار في نصف قارة » . ويشير الى ان الخطة اليهودية لا يمكن تحقيقها بالدبلوماسية والدهاء السياسي بل بالعطف والتفاهم ، وان فعل الصهيونيون ذلك فستكون « الصهيونية عاملا عظيما من عوامل الاخاء بين ثلاثة اديان عظيمة اشتقت من اصل واحد ... » ولو اساءوا التصرف لكان ذلك « فاتحة نزاع شديد لم ير العالم له نظيرا ... » ولكن امله بمستقبل الصهيونية كبير « ... ان في تحقيق امانيكم ضمانا لسلم العالم ... واني اراكم الآن بعين الخيال تعاونون معاونة ادبية على ضمان البلدان الصغيرة وحمايتها لانكم تكونون اصغر الدول واعظمها في آن واحد ... اراكم بعين الخيال تسعون لازالة الخلافات الدينية التي فصلت بين افاضل البشر في جميع القرون وسيكون في القدس قلب كبير ممتلىء حياة وعافية يبرىء جروح اوروبه ويبث الحياة في آسيه » (١١) .

وشرح ناحوم سوكولوف امكانية قيام تحالف بين العرب واليهود بعد ان كانت العلاقات بينهما حتى الآن قليلة ومتقطعة او غير مستمرة بسبب الجهل واللامبالاة او موقف الدولة الحاكمة التي لم تعترف بكليهما . ويرى ان هذا التحالف الودي الذي سيدخله الارمن يكون بداية لمستقبل التعاون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي حيث يقرر كل واحد مصيره الحر . والصهيونيون يتطلعون الى خلق مملكة عربية واحياء القومية السامية . ويؤكد لسايكس « ... اننا صهيونيون ليس فقط لانفسنا بل

١١ – علقت **المقطم** على كلمة سايكس في عدد ١٩١٨/١/١٠ « لما فيها من الآراء الصائبة من رجل اشتهر بعطفه على الشرق راجين ان يكون له الوقع الذي يستحقه في نفوس العرب والاسرائيليين وان تكون اقواله دستورا يعمل به الفريقان في علاقاتهما في مستقبل الايام » .

للعرب والارمن . فالصهيونية تعني اخلاص الفرد لبلده وموطنه القديم والشعور بانتمائه الى امة » فالتعاون بين العرب واليهود حقيقة متأصلة في ضميرهم منذ العصور الوسطى ، يدعمها انتماؤهم الى العنصر السامي وحقهم في الحصول على مكانة في الحضارة العالمية . انه يطمئن العرب انهم لن يعملوا على تجريد اي شخص من ملكيته او التعدي على حقوق احد ، بل سيقيمون حيث يوجد متسع ، وفلسطين ليست بلدا مأهولا او متمدنا بعد ، ويعد بان يعمل الصهيونيون على تغيير ذلك بأموالهم وطاقاتهم وذكائهم . ولا يرى سوكولوف تبريرا لتخوف سايكس في المسألة الدينية « ... اذ في فلسطين سيختفي النزاع الديني حيث سنلتقي كأخوة .. نتعلم كيف نحب بعضنا ... » .

ويعقب وايزمان على نصائح سايكس بان الصهيونيين سيبنون في فلسطين بلدا يهوديا بالعمل اليهودي وبالفكر اليهودي وليس فقط بالمال اليهودي ، وسوء الفهم السابق مع العرب قد خلقه الاتراك اسياد فلسطين في الماضي ، اذ لم يكن باستطاعتهم ان يحكموا الامبراطورية الا باثارة عناصر السكان على بعضها . ويعيد وايزمان تأكيد الحجة الصهيونية التقليدية : « بان في فلسطين ما يكفي من الارض والماء والهواء لكل شخص كي يعيش فيها » . وما هو غريب بنظر وايزمان التخوف من ان يأتي اليهود الى فلسطين كمعتدين « ... فاليهودي الذي عانى طويلا من القهر المادي سيحاول ان يبني في فلسطين عصرا من العدالة والحق ... انه يرقب ان تكون فلسطين التي ستبنى في المستقبل نموذجا جديدا في العالم ينبع من التربة اليهودية من الروح اليهودية من العبقرية اليهودية ... يستخدم التجربة المتراكمة لمعاناة آلاف السنين » . ان هذا النموذج كما يقول وايزمان « يستبعد العداء نحو هؤلاء الذين نحن ملتزمون بالعمل والعيش معهم » .

ومع ان كلايتون قد بدأ بالقيام « بالدعاية حسب الخطوط التي اقترحها سايكس بين العرب في مصر ذوي النفوذ وكذلك تدريجيا في مكة » كما جاء في جوابه على برقية الخارجية ١ كانون الاول (ديسمبر) (١٢) ، الا انه لم يكن لديه تفاؤل سايكس ولم يتوقع نجاحا كبيرا لسياسته « ... لانه رغم كل الحجج فان مكة تكره اليهود والارمن ولا ترغب في ان تكون لها علاقة بهما بينما عرب سوريه وفلسطين يخشون عودة قصة يعقوب واسحق » . ولذلك يرى ـ نظرا لان تحالفا عربيا يهوديا ارمنيا يبدو اجراء غريبا بلا تجربة سابقة تحول دونه المشاعر الحالية ـ يرى ان يكون التقدم بحذر كبير ... فالدعاية العنيفة ستبرز المشاعر المرغوب تهدئتها . وكانت نصيحته لسايكس ان: « ... علينا ان نستفيد بأقصى ما يمكن من كل تطور في الوضع وان لا نرغم على السير في وقت يبدو المستقبل مظلما ويستحيل التنبؤ به » .

لم يكن هذا راي كلايتون فقط بل ان بيكو ـ المندوب الفرنسي الملحق بحملة اللنبي ، الذي كان يرقب المنطقة خوفا من حدوث ما يؤثر على علاقات العرب مع الحلفاء ـ قد بعث الى سايكس في ١٩١٧/١٢/٦ برقية من القاهرة (١٣) ينقل فيها نتائج مباحثاته

١٢ ـ F.O. 371/3054/235780

١٣ ـ F.O. 371/3054/235780/86526 F.

التي قام بها هناك منذ وصوله اليها ، وقد راى « ... ان تصريح بلفور قد ترك اثرا كبيرا في الاوساط العربية السورية ، حتى الجهات المؤيدة للانجليز ، لم تخف المرارة التي شعرت بها من جراء هذا التصريح » . وهو يقدر مدى الرفض العربي لما يخطط له سايكس . والمخاوف التي تنتابهم ، « ففي فلسطين ، كما في القاهرة يعرف العرب ان كل مقاومة من جانبهم ضد رؤوس الاموال والعمل المنسق اليهودي غير ممكنة ان عليهم التنازل مقابل ثمن بخس عن اراضيهم ، ويرون اخوانهم في الوطن يعملون وحدهم كمرتزقة وتحت ادارة ارباب عمل جدد وعلى اراض كانوا يملكونها من قبل » . ومع ان تحذير بيكو لم ينبع من تجاوبه مع الشعور العربي اذ هو يقر مع سايكس : « بان المصلحة الرئيسية تكون بالاستجابة لرغبات الاسرائيليين ، واني لا اندم لكوني الاول بين من عملوا في هذا الاتجاه ... » (١٤) ولكنه يرى من غير الفطنة الذهاب ابعد بكثير ، ذلك لانه يخشى على مستقبل العلاقات مع العرب ، ويعتقد « ان التشجيع العام الذي يعطى دون تبصر سوف يؤدي باتفاقياتنا الى الفشل ... ولذلك ليس بوسعي حتى في سبيل العمل الذي قمنا به الا ان انصحكم بأقصى درجة من التبصر وادعوكم الى عدم الاستمرار في مساندة الحملة العامة التي قد تؤدي الى خسارتنا لجميع العرب » .

وكانت لمراقب آخر في المنطقة هو وليام ييل (١٥) نظرة بعيدة المدى اذ في وقت كان معظم الذين خططوا للتصريح في سورة حماسهم الاول قد استبعدوا خطر المشكلة العربية بفرضية بسيطة انها سوف تحل نفسها بطريقة ما ، تنبأ ييل منذ وقت مبكر ، بعد صدور التصريح مباشرة ، ان العرب سوف يقاومون بمرارة التملك اليهودي في فلسطين بكل وسيلة ممكنة لديهم ، وان العنصرين سرعان ما سيدخلان في نزاع عنيف ، اقتصادي وثقافي وسياسي (١٦) .

ولم يكن سايكس يرى بعين الموجودين في الشرق ، وكان اكثر تفاؤلا على مستقبل

١٤ ـ في ١٩١٨/٢/٩ اصدرت وزارة الخارجية الفرنسية بيانا موجها من بيشون (وزير الخارجية) الى سوكولوف اكد فيه ان التفاهم قد تم بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية فيما يتعلق بمسألة توطين اليهود في فلسطين . وكان برأي الخارجية البريطانية طبقا لمشورة كلايتون ان ينشر هذا البيان في مصر لان ذلك « سيقلل اي اتجاه من جانب السوريين او العرب بالنظر الى فرنسه كحاميتهم ضد الصهيونية واتهامنا اننا المسؤولون الوحيدون عن السياسة غير الودية ... » .
F.O. 371/3386/856 F.

١٥ ـ كان وليام ييل مندوبا في القدس لشركة ستاندارد الاميركية للنفط بين ١٩١٥ ـ ١٩١٧ وقد عاد ثانية الى الشرق ممثلا خاصا لوزارة الخارجية الاميركية لتغطية الاحداث . ووصل مصر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . وكان ييل يحصل بطريقة ما على نسخ من Arab Bulletin وهي النشرة السرية للمكتب العربي في القاهرة كما كان يستقي معظم اخباره من مجموعة السوريين في القاهرة ، وتربطه بلورنس صلات ودية . Manuel, pp. 86-88.

١٦ ـ بلغت مجموعة التقارير التي بعثها ييل من الشرق الى وزارة الخارجية الاميركية (دائرة شؤون الشرق الادنى) منذ بدء مهمته (ايلول ، سبتمبر ١٩١٧) وحتى اعلان الهدنة ٣٤ تقريرا كان عددا كبيرا منها يتناول المسألة الصهيونية وردود فعلها في الشرق . تقرير رقم ١٠ (٣١ كانون الاول ، ديسمبر ١٩١٧) بعنوان Notes on the Zionist Question وتقرير رقم ٢٤ (٢٢ نيسان ، ابريل ١٩١٨) بعنوان Zionism and Palestine .

الحلفاء في المنطقة ، ومع انهفيبرقيته الجوابية الىبيكو في ١٢ كانونالاول (ديسمبر) (١٧) يقدر صعوبة الموقف ، واهمية كبح الحملة العامة التي تقام للتعبير عن الابتهاج بوعد بلفور ، ويعده بان ما يجري في بريطانيه سيبقى في الاتجاه الصحيح ، الا انه يذكره بانه قد تبنى اجرأ اتجاه في منشستر ، وهو مقتنع انه على هذا الاساس يمكن التغلب على الصعوبات ، وان اليهود يرغبون في التصرف بسياسة وعدالة ، وهو يعجب من احتمال حدوث اي مصاعب مع العرب ، « فان الفقرة الثانية من التصريح البريطاني تكفل باسهاب مصالح العرب المحليين ... وقد اكد اليهود في كل الاجتماعات لا على ضرورة التعاون الودي ضد الجيش التركي العدو المشترك ، بل على تصميمهم واهتمامهم الحريص بحقوق ومصالح العرب في مسألة الارض » ، ولذلك فهو – اي سايكس – واثق ، وكذلك كل عربي اتصل بوايزمان وسوكولوف (وهناك كثيرون برأيه) ، ان مخاوف بيكو التي ابلغها عنه ليس لها اساس . ويذكر في برقيته « أن الارمن مصممون تماما على ان يخلصوا لتحالف يهودي ، لانهم يعرفون ان الدعم اليهودي لهدفهم يعني الفوز النهائي ، ولذلك يوجه النصيحة المشددة له وللسلطات في مصر ... بان يدخلوا في اذهان العرب ان الارمن هم ساسة اكثر خبرة وابعد نظرا » .

لم تكن مهمة السلطات في مصر بهذه السهولة التي تخيلها سايكس ، اذ كانت الدعوة لا تتلاءم مع ما بدأ يظهر من ازدياد في النشاط الصهيوني في الشرق مدعما بالآمال التي بنوها على تصريح بلفور . اذ منذ صدور التصريح – وكانت القوات البريطانية قد انتهت من احتلال الاجزاء الجنوبية من فلسطين ولم تصل القدس بعد – تقدم عدد من يهود مصر بطلباتهم للسماح لهم بالتوجه نحو فلسطين . وبعض هذه الطلبات تعرض مساعدات شخصية ومالية او ارسال عمال فنيين وزراعيين . وكان القائد العام « يعارض بشدة اي هجرة مبكرة الى فلسطين الى ان يسمح الوضع العسكري بذلك ، حين تؤسس منظمة خاصة لمعالجة المسائل المتنوعة ، وخاصة تلك المتعلقة بالاراضي التي قد تثيرها هذه الهجرة » (١٨) . وقد تقدمت اللجنة المركزية المنظمة الصهيونية في مصر بطلب رسمي الى وينجيت (١٩) ابدترغبتها بعد ان ترجمت « الصهيونية الى واقع سياسي بالبدء بالعمل من اجل بعث العملية في فلسطين نفسها» وخاصة ان في مصر – كما ترى اللجنة – « عددا كبيرا من (الفلسطينيين) من احسن العناصر بامكانهم المساهمة باعادة بناء ظروف الحياة والعمل العادية في المناطق المحتلة » . وعاد وينجيت ليوضح لهم انه « طالما ان العمليات العسكرية مستمرة فمن المستحيل للقائد ان يرخص لاخوانهم في الدين بالتوجه الى فلسطين سواء مناجل ادارة المعونة او بهدف الاستيطان هناك » ، وهذا لا يعني ان السلطات كانت ضد النشاط الصهيوني في مصر (٢٠) او انها لم تكن تولي المستوطنات اليهودية كل عناية ممكنة ،

---

١٧ – .F 371/3054/236062/86526

١٨ – برقية وينجيت الى الخارجية ١٩١٧/١١/١٩ F.O. 371/3062/226640

١٩ – من رسالة وينجيت الى بلفور اول كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ . F.O. 371/3054/239946/84173

٢٠ – اشارت **الاهرام** في عدد ١٩١٨/٢/٣ الى اصدار الصهيونيين فيمصر مجلة بالفرنسية (لارينيسانس

(التتمة على الصفحة التالية)

فقد قام اللنبي وكلايتون بزيارة تفقدية للمستوطنات اليهودية الممتدة من يافا حتى الجنوب في تشرين الثاني (نوفمبر) وقبل سقوط القدس ، بناء على تعليمات جاءتمن الخارجية لدراسة الحالة التي ترك بها الاتراك تلك المستوطنات ، وتنظيم المعونة لها وصيانة مصالحها (٢١) كما سمحت بتحويل الاموال للمعونة عن طريق يعقوب موصيري (بنك القاهرة الاهلي) (٢٢) . والحقت الملازم الثاني صموئيل ابن هربرت صموئيل بجهاز وينجيت السياسي كضابط ارتباط يهودي بريطاني (٢٣) .

ومع احتلال القدس (١٩١٧/١٢/٩) تحركت الاماني الصهيونية ، رغم ان اللنبي في بيانه الذي نشر في القدس بالانجليزية والفرنسية والايطالية والعربية والعبرانية والروسية واليونانية لم يشر الى المعنى السياسي لاحتلال القدس بل اكد على اهمية القدسالدينيةواحترام التقاليد والشعائر الدينية المتبعة لاصحابالدياناتالثلاث (٢٤) . ولكن الهدف الذي كان يسعى له الصهيونيون لم يخف على صحفي عربي في الخارج هو (علي الغاياتي) مراسل جريدة المستقبل (٢٥) في جنيف ، الذي اكد في مقال له في ١٩١٧/١٢/٣٠ « ان فلسطين قطعة من جسم سوريه تأبى كل الاديان تركها منهبا للاماني الصهيونية » ، ومع ان الكاتب لا يريد بذلك طرد اليهود من فلسطين او اغلاق ابوابها في وجه من يريد ان يؤمها ، « ولكن ليس معناه الرضا بتسليم مقاليد امورها وجعلهم سادة اهلها وتأسيس دولة لهم في ارضها فان ذلك معناه غمط حق السوري وتغفيل العنصر العربي » .

٣ – التمهيد لقدوم البعثة الصهيونية الى الشرق :

ولكن ضغط الصهيونيين في لندن كان قويا ، اذ كانوا يستعجلون التنفيذ الفوري لكل ما يتضمنه تصريح بلفور من وعود ، وخاصة انهم ، اي الصهيونيين ، قد اصبحوا موضعانتقاد، لانهم غير فعالين تجاه فلسطين علىحد قول برقية الخارجية في ١٩١٧/١٢/١١ الى كلايتون (٢٦) التي طلبت منه ان يشار بالصحف الى الملاحظة التالية هذا في

جويف) اسبوعية في اربع صفحات في العدد الاول بيان خطة الصهيونية بعد ان تحولت الاماني الاسرائيلية الى سياسة دولية عامة : وهذه الخطة هي اولا : انشاء وطن يهودي قومي في فلسطين بحيث يستطيع اليهود ان يعودوا الى التكلم بلغتهم ويجددوا تقاليدهم ويتابعوا تحقيق امانيهم ثانيا : تجديد عظمة الارض المقدسة ادبيا وماديا بايدي ابنائها . ثالثا : الحرية والعدالة لجميع الشعوب في الداخل ضمن حدودها ...

٢١ – برقية كلايتون الى الخارجية ١٩١٧/١١/٢١ .F.O. 371/3055/221243/87895 F

٢٢ – .F.O. 371/3055/225718/87895 F

٢٣ – F.O. 371/3062/22785

٢٤ – نشرت **الكوكب** (جريدة كانت تصدر فيالقاهرة باشرافالسلطةالعسكرية لغاية الدعايةالبريطانية) في ١٩١٨/١٢/١٨ النسخة العربية منبياناللنبي، وقد ادعت الجريدة فيعدد ٢٥ كانونالاول (ديسمبر) وهي تصف دخول اللنبي القدس بانه « لا يشبهه دخول احد من الفاتحين تلك المدينة في التاريخ الا دخول عمر بن الخطاب الذي كان مرموقا بالتسامح الديني » .

٢٥ – جريدة **المستقبل** كانتتصدر فيباريس باللغةالعربية وتمولها الخارجيةالفرنسية ويشرفعلى تحريرها عدد من السوريين في باريس على رأسهم شكري غانم .

٢٦ – .F.O. 371/3054/235200/84175 F

حالة عدم وجود اعتراضات قوية ـ « ... عندما يسمح الوضع العسكري فان لجنة مكونة من مندوبين عن المنظمة الصهيونية ستتوجه الى فلسطين لمساعدة السلطات العسكرية في معالجة المشاكل التي لها صلة بالمستوطنات اليهودية في فلسطين، وسوف تكرس اهتمامها لمسألة معونة السكان جميعا في المنطقة المحتلة » . وكان وايزمان قد تقدم في كانون الاول باقتراح لارسال بعثة الى فلسطين تمثل المنظمة الصهيونية ، على ان تعمل كجهاز استشاري للسلطات البريطانية في فلسطين في كل الامور المتعلقة باليهود ، او التي تؤثر على تأسيس الوطن القومي للشعب اليهودي طبقا لتصريح حكومة جلالته واهدافها ان تكون صلة وصل بين السلطات البريطانية والشعب اليهودي في فلسطين ، تنظم عمل المعونة في فلسطين وتساعد على عودة اللاجئين المنفيين . تعمل على تجديد وتطوير المستعمرات ، وتنظيم السكان اليهود في فلسطين بشكل عام وتسعى لانشاء علاقات ودية مع العرب وسائر الفئات غير اليهودية (٢٧) والخارجية في برقيتها السابقة ١١ كانون الاول تؤكد لكلايتون « ان ارسال مثل هذه البعثة هو أمر حتمي كتطور طبيعي للحركة الصهيونية التي تحقق الآن نتائج سياسة كبرى » ، وتشير عليه بان تعمل البعثة تحت اشرافه او اشراف السلطات العسكرية . « ... وقد يثبت وجودها فائدة في الادارة المحلية » .

واصر كلايتون على رأي السلطات العسكرية السابق واستنكر في برقيته ١٢/١٤/ ١٩١٧ (٢٨) نشر الملاحظة الصحفية المقترحة « ... فالوضع العسكري الحالي يقتضي بان لا يسمح لاي شخص بالتوجه نحو فلسطين . وكلما طال التمسك باجراء المنع هذا ظل الوضع السياسي اقل تعقيدا ... فالسماح لممثلي اي فئة يفتح الباب لآخرين » . واصبح لدى اوساط الخارجية انطباع بان كلا من المندوب السامي والقائد العام يتحفظان حيال البعثة ، ولكن حرصا على شعور وايزمان ، وحتى لا يكون الرفض صريحا ، وجه بلفور تعليماته الى جراهام بتبليغ وايزمان في ١٢/٢٦ انه « بينما يتفق معه بشكل عام على الاقتراح ، الا انه يعتبر ان اهداف هذه البعثة تحتاج الى بعض التعديل ... في مباحثات أوسع تتم بينه وبين جراهام » .

هذا الموقف الذي اتخذته السلطات في مصر ، كان له بعض التأثير في كسب ثقة بعض العناصر السورية في مصر ، لتنفيذ الخطة التي رسمها سايكس في لندن ، والتي بدأت تلاقي بعض الاستجابة . فقام كلايتون بتدبير لقاء بين عدد من اعضاء اللجنة السورية وبين الزعيم الصهيوني موصيري ، وحثهم على التحالف على اساس الخطة العامة التي اقترحت سابقا . ويرى في برقيته ٢٠ كانون الاول (٢٩) ـ ان هذه الخطة اثرت في اذهان العرب « ولكن لا يزالون خائفين ويشعرون ان الحركة الصهيونية تتقدم بخطوات تهدد مصالحهم » ، مع ذلك فهو يأمل ان المناقشة والمقابلة مع اليهود لا شك

٢٧ ـ قام جراهام باجراء بعض التعديلات والاضافات وقد حذف من الاقتراح هدفين هما مساعدة المنظمات والمؤسسات اليهودية على استعادة نشاطها ثم جمع المعلومات ووضع التقارير عن امكانيات تطوير اوسع للاستيطان اليهودي وللبلاد بشكل عام .

٢٨ ـ F.O. 371/3054/235200/84173 F.

٢٩ ـ F.O. 371/3054/241270

ستميل الى تهدئة مخاوفهم بشرط ان يعمل الاخيرون حسب المبادىء الحرة التي وضعها الزعماء اليهود في لندن ، ولكنهم يجب ان يكونوا حريصين على ان لا يخيفوا العرب بالتقدم بسرعة كبيرة . وبذلت المجلة الصهيونية التي كانت تصدر بالفرنسية في القاهرة جهدها كي تخفف من مخاوف العرب (المثقفين) ، منطلقة من حجة ان «العرب لا يعادون الصهيونية كمبدأ ومذهب ، ولا يعادون تحقيق اماني الصهيونية ، ولكنهم يخشون ان يكون تقدم الصهيونيين مضرا بمصالح العرب ولذلك يسهل الاتفاق » ، ووجهت دعوة مفتوحة « الى العرب كي يقولوا بصراحة مخاوفهم ووجوه الاعتراض عندهم مع ابداء استعدادهم للتعاضد والتآزر معهم لتحقيق امانيهم وامانينا...» (٣٠) .

واثمرت الجهود المبذولة في لندن والقاهرة في التأثير على ما يعرف باسم لجنة الاعانة السورية (٣١) التي استنتجت الآن وبوضوح ـ كما جاء في رسالتها على لسان سليمان ناصيف الى سايكس في ١٩١٨/١/١٧ « ان كل ما يطلبه الصهيونيون هو حرية اليهود في الاستيطان في بلدنا ، والتمتع بحقوق مدنية كاملة ، ومشاركة السكان المواطنين في حقوقهم وواجباتهم » . واللجنة تبشر سايكس ان بعض اعضائها قد اجتمعوا ، بناء على نصيحته ، مع رئيس اللجنة الصهيونية في مصر وتقرر تكرار الاجتماعات ، ولا تنسى اللجنة ان ترجو سايكس نقل نص الرسالة الى اللجنة التي يرأسها مع التعبير عن آمالها بان تكلل الجهود بالنجاح . وبعثت اللجنة المشتركة التي يرأسها سايكس جوابها في ١٩١٨/٢/١٥ (٣٢) ، وهي تعبر عن « الرضا العميق للتقدم الذي حصل في تقريب آراء واماني ممثلي الشعوب الثلاثة في القاهرة ... وانه بدون التنازلات المتبادلة والتعاون فان مشاريعنا في المستقبل ستهدد بالخطر ... » . وتعد اللجنة المشتركة بقدوم بعثة صهيونية برئاسة وايزمان تتوجه الى مصر في طريقها نحو فلسطين ، وانه بوصولها مصر سيتصل وايزمان باللجنة السورية مباشرة ليبحث معها التفاصيل المتعددة لسياسة التعاون . وترى اللجنة المشتركة ان الامور التي تحتاج الى التوصل الى قرار بشأنها تقع ضمن مجموعتين : « الاولى التعاون خلال الحرب والثانية الدعم المتبادل في حالة مفاوضات السلم » .

واعد سايكس بنفس اليوم جوابا خاصا كي يسلمه كلايتون باسمه الى لجنة الاعانة السورية عبر فيه عن آماله المتعددة حول المنطقة والتسوية المقبلة . ثم انتقل الى اسلوبه التقليدي ببيان قوة اليهودية العالمية التي يصورها بالقلقة التعيسة التواقة الى مركز روحي وامل قومي ، المتطلعة دوما ، ومع ذلك غير راضية ، هي قوة بناءة فعالة ومصممة تتحول بخيبة الامل وتبعثره الى قوة هدامة وبنفس الوقت فعالة ومصممة ... هذا اذا كان على الصهيونية ان تعارض او تفشل ... ان المصلحة المشتركة بين العالم الخارجي (والعرب) (٣٣) سيعزز باليهودية العالمية التي توجد في

٣٠ ـ **الاهرام** ، ١٩١٨/٢/٣ .

٣١ ـ اعضاء اللجنة هم : ك. ايوب ، حقي العظم ، رفيق العظم ، فوزي البكري ، مختار الصلح ، سليمان ناصيف ، فارس نمر ، خليل زينيه .

٣٢ ـ F.O. 371/2298/27647 F.

٣٣ ـ شطبت هذه الكلمة من مسودة الرسالة واستبدلت بالشعوب الناطقة باللغة العربية .

كل البلاد ولا تنحصر في حزب او فئة ، فهي في وقت واحد قومية وعالمية ومع ذلك تتفق في تطلعها نحو فلسطين » . وبراي سايكس ان المشاكل التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار فيما يتعلق بفلسطين هي ثلاث: مشكلة الاماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين، ومشكلة الصهيونية ، ومشكلة السكان الموجودين حاليا ، وان اي نظام ستقرره الامم بعد الحرب يجب ان يحقق اهدافا ثلاثة : ضمان حرمة الاماكن المقدسة ، اعطاء فرصة صحيحة للاستيطان الصهيوني ، منح السكان الحاليين ضمانات ضد نزع الملكية والاستغلال والاخضاع . يأمل سايكس في نهاية رسالته العمل على تعاون واتفاق كل الاطراف من اجل انجاز هذا الهدف .

لقد كان في ذهن سايكس منذ البداية ، الى جانب محاولة اقناع السوريين في مصر بخطته ، ضرورة الاتصال بالملك حسين في مكة لضمان قبوله ، ولكن كلايتون لم يكن متفائلا بمساعيه معه ، كما دلت على ذلك برقيته في اول كانون الاول (ديسمبر) السابقة (٣٤) . وحتى ٢٠ كانون الاول لم يكن قد تلقى بعد اشارة عن موقفه وهو يرى «انه من المحتمل ان يكون اكثر صعوبة من عرب القاهرة الذين هم اكثر صقلا وثقافة»(٣٥) .

واستقر الراي اخيرا على ارسال هوغارت (احد رجال المكتب العربي ، ومن علماء الآثار المستشرقين) كمبعوث شخصي الى الحسين في محاولة للتأثير عليه . ووضعت الخطوط الرئيسية لمباحثات هوغارت مع الحسين في القاهرة ، بعث بها وينجيت في برقية مستعجلة ٣١ كانون الاول (٣٦) الى الخارجية لاخذ الموافقة . وكانت وجهة نظر وينجيت انه من الضروري وضع صيغ عامة للاجابة على الاسئلة التي يحتمل ان يثيرها حول خطة بريطانيه النهائية في سوريه وبغداد . وفيما يتعلق بفلسطين رأى وينجيت ان يبلغ الحسين بان العرب يجب ان يقبلوا باليهود في مناطق (او مستعمرات) في اجزاء من فلسطين تسوى فيما بعد في مؤتمر السلم . ولكن بتوجيه من سايكس قدمت الخارجية صيغا اخرى اكثر تأثيرا بحيث تضمن موافقة الحسين : « ... ان دول الحلفاء مصممة على ان العرق العربي سيمنح الفرصة الكاملة لتشكيل امة في العالم مرة اخرى وهذا يمكن انجازه فقط بتوحيد العرب انفسهم ، وان بريطانيه وحلفاءها سيتبعون سياسة تحقيق هذا الهدف النهائي » . وفيما يتعلق بفلسطين يقترح سايكس الصيغة التالية لتقديمها الى الحسين : نحن مصممون على ان لا يخضع شعب الى آخر ... بل ان وجود اماكن مقدسة في فلسطين لاتباع الديانات الثلاث ، وهي ذات اهمية لكثير من الناس خارج فلسطين والجزيرة العربية ، يوجب ان يكون هناك نظام خاص يوافق عليه العالم لادارة هذه الاماكن . واما بالنسبة لمسجد عمر فهو امر يهم المسلمين فقط ولا يجب ان يخضع لسلطة غير اسلامية بشكل مباشر او غير مباشر . ثم امر آخر حرص سايكس على نقله الى الحسين : « انه نظرا لان الراي اليهودي

٣٤ – F.O. 371/3054/235780
وقد جاء فيها « رغم كل الحجج مكة تكره اليهود والارمن ولا ترغب ان يكون لها علاقة بهما ... » .

٣٥ – F.O. 371/3054/241270

٣٦ – F.O. 371/3054/245810

العالمي يعطف على عودة اليهود الى فلسطين ... ونظرا لان هذا الرأي يجب ان يظل عاملا دائما ، واكثر من ذلك نظرا لان حكومة جلالته تنظر بعطف الى تحقيق هذه الامنية ، فان رأي حكومة جلالته انه لا يجب وضع عقبة في طريق تحقيق هذا المثل الاعلى بقدر ما يتسق مع حرية الشعب الحالي الاقتصادية والسياسية ... » واصر سايكس على ان يوضح للملك « ... ان صداقة اليهودية العالمية للقضية العربية ، ترادف دعم كل الدول التي يوجد لليهود فيها نفوذ سياسي ، وان زعماء هذه الحركة مصممون على ان يحققوا نجاح الصهيونية بصداقة وتعاون العرب وان مثل هذا العرض ليس امرا يسهل طرحه جانبا » .

هذه هي خلفية ما يعرف برسالة هوغارت للحسين (٣٧) ولكن يبدو انها لم تحدث الاثر المطلوب . ولضمان زيادة التأثير وضمان قبول الحسين واقناعه بعدم جدوى معارضة ما يرمي اليه الصهيونيون في فلسطين ، ودعوته لقبول الامر الواقع الذي هو (لمصلحة العرب) كذلك ، بعثت الخارجية في ١٥ شباط (فبراير) رسالة الى كلايتون كي يبلغها للحسين ذكرت انها من اللجنة العربية والسورية (Arab and Syrian Committee) ورأت الخارجية ان على « الملك ان يعلم ان الرسالة شخصية وموجهة له وحده ونحن رسميا لا تعنينا المسألة » . والرسالة مكتوبة بالعربية وباسلوب يبدو اقرب الى عقلية الحسين من رسالة هوغارت ، وهي موجهة من : « الحزب العربي المدافع عن النهضة العربية والراية الهاشمية ، ومن اصدقاء الدولة البريطانية » ، ويدعي كاتبوها ان لهم « النفوذ التام عند رجال الحل والعقد من الانجليز » . وبعد الاشادة بانتصارات ابنائه ومكانتهم لدى الدولة البريطانية انتقلوا الى عرض آرائهم حول « مجرى الاحوال الحاضرة » التي كان من بينها فلسطين ، واستسمحوا جلالته بكلمتين عنها : « احدهما اننا لم نكن من الذين عهدوا الى الاسرائيليين باستعمارها . وثانيهما : ان الظروف قد حكمت على عدم مقاومته لاسباب منها : ان الاسرائيليين يبذلون الثمين والغالي اشتياقا لارض يعتقدون بقدسيتها من غابر الازمان ... ولا شك بان لهم من القدرة المالية والسياسية في اوروبه واميركه ما يكفل لهم النجاح رغما عنا وعن الحلفاء اذا تخلينا عنهم ، لان الاتراك والجرمن مستعدون ان يعدوهم ما سمحت به الحلفاء واكثر منه اذا امكن ان يستميلوهم بوعود ولو كاذبة . فما الرأي والانجليز قد قيدوا وعدهم الصادق بشروط عدم مس مصالح الاهالي والاستعمار بوجه مطابق لاحكام الزمان منه وجود الحرية والاخاء بين السكان قاطبة ومراعاة صوالح الجيران وسيطرة اعقل واصدق رجال اليهودية ... وبالحصر فانه ليس بوسع البلاد العربية مقاومة هذا المشروع وتعكير خواطر الامة الاسرائيلية على العرب في حالة احتياجنا لاصدقاء ومؤازرين الآن، وعند المخابرات بالصلح العام واليهود هم الآن اعظم سند لنا وهم باستعداد تام بالاموال لاجل العمران وترقي البلاد باسباب المعيشة والثروة ومن جملة الصوالح التي لهم معنا

٣٧ – **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين (١٩١٥ – ١٩٤٦)** ، الامانة العامة للجامعة العربية ، شعبة ادارة فلسطين ، ص ٧٥ ، ولم تنشر الحكومة البريطانية وقائع ما دار بين هوغارت والحسين حتى كان مؤتمر سان جيمس حول قضية فلسطين ١٩٣٩ في لندن حيث نشرت مع تقرير اللجنة الخاصة التي عينت للبحث في مراسلات الحسين مكماهون. Cmd. 5957, Mis. No. 3, 1939.

هي انهم يرجحون تفضيل جوارنا على غيره لما بيننا وبينهم من التشابه باعتبار الاصل واللغة ... » (٣٨) .

مع ذلك لم يكن موقف الحسين مشجعا من وجهة النظر البريطانية ، ومع ان كلايتون في رسالته من القدس في ٤ شباط (فبراير) (٣٩) الى سايكس كان لا يزال يشعر بضرورة ابقاء الحسين على المسرح ... الا انه يصفه « عنيد ... يحرف كل شيء غير محدود وواضح ويحوله لمصلحته ... » . ومن هنا بدأ التركيز على فيصل الذي بدأ يلوح في الصورة السورية بعد نجاحاته العسكرية ، كي يحقق لهم ما فشل الحسين في تحقيقه . واسر كلايتون الى سايكس « حثثت لورنس ان يقوم بالتأثير على فيصل بضرورة الوفاق مع اليهود ... لقد شرحت له انها فقط فرصته الوحيدة لعمل اشياء عظيمة حقا واعطاء الحركة العربية ثمارها » .

الخطة التي رسمها سايكس لم تضع في حسابها حتى الآن شعب فلسطين (صاحب العلاقة المباشرة) ، وكان لا بد من توجيه النظر اليهم ، وخاصة بعد الملاحظة التي وجهها سليمان ناصيف في رسالته الى سايكس في ١٩١٨/١/١٧ (٤٠) ، التي توحي بما يمكن ان يحدثه اولئك من مصاعب في وجه (نصائح) سايكس ، وخاصة في حالة وصول البعثة الصهيونية . ويأمل ناصيف من كلايتون « المساعدة في الدعاية لهذه النصائح وفي شرح الموقف كاملا الى (هؤلاء) من اخوتنا المواطنين الموجودين حاليا في فلسطين (المحررة) اما بانتخاب اثنين او اكثر من فلسطين كي يأتوا الينا ويقابلونا في القاهرة حيث نزودهم بالشروح الضرورية ونعطيهم التعليمات المطلوبة ، او ان نخول بارسال مندوبين من لجنتنا الى فلسطين للاجتماع بقادة الفكر والوصول الى تفاهم حسب خطة العمل الذي رسمته في رسالتك » (٤١) . وكان على السلطات البريطانية ان تمهد لنقل نصائح سايكس الى فلسطين بتنظيم ادارة مستقلة لفلسطين في مصر ، واوكل الى الجنرال كلايتون مهام الضابط السياسي الرئيسي Chief Political Officer للجنرال اللنبي (الذي يتولى الاشراف الكامل على مسرح العمليات العسكرية في فلسطين) ويتلقى كلايتون تعليماته في الامور المتعلقة بالسياسة في فلسطين من الخارجية مباشرة ، واعطيت له تعليمات بتأسيس فرع جديد للمكتب العربي في فلسطين تحت اشرافه ، على ان يظل كورنواليس Cornwallis مديرا للمكتب العربي في القاهرة (٤٢) . وخوفا من حدوث مصاعب مع السكان المحليين ارسلت الى كلايتون تعليمات حول الخطوط العامة للسياسة المقبلة في فلسطين ، من اجل الحصول على احسن فائدة من مركز بريطانيه هناك ، والتي ستعمل على تأمين المساواة الدينية لجميع الفئات . وتسوية الامور المتعلقة بالاماكن المقدسة مباشرة مع رؤسائها الروحيين ، والحفاظ على النظام في الاماكن المقدسة بقوة بوليس مدنية تؤخذ من جميع الطوائف ، والاقلال من

٣٨ ـ تشير الرسالة في نهايتها : « الى عدم لزوم نشر شيء منها في الجرائد لما ينتج عنه من المضرة » .

٣٩ ـ F.O. 371/3388/14557

٤٠ ـ **F.O. 371/3388/14557**

٤١ ـ F.O. 371/3388/14557/2070

٤٢ ـ F.O. 371/3388/14557/2070

الجهاز الاوروبي واستخدام الموظفين من الاجهزة المحلية حين يكون ذلك ممكنا دون مراعاة لاي فئة ، واقامة نظام من العدالة والمساواة الدينية وحرية عمل عادلة للجميع. وفيما يتعلق بالصهيونية فقد اوصت التعليمات بالابقاء عليها في الاتجاه الصحيح دون الاساءة الى امن الاماكن المقدسة المسيحية والمسلمة ، مع اعطاء تسهيلات كاملة لاعادة بناء وتأسيس المستعمرات والمؤسسات .

وبعث كلايتون في ١٩١٨/٢/٤ الى سايكس (٤٣) بانطباعاته الاولى من القدس ، وباعتقاده ان جهوده قد ادت الى تقارب كبير بين العرب واليهود ، ولكنه لا يزال يرى ان التعاون الودي لم يمكن الوصول اليه حتى الآن ، فالشعور بين العرب في القدس قوي ضد اليهود ، « اذ يخشون ان يصبحوا المسيطرين على المدينة المقدسة وعلى كل فلسطين » ، وهذا يعود في نظر كلايتون « لكون يهودي القدس اليوم ليس شخصية جذابة ، لذا فهو يتطلع بتلهف الى بعثة وايزمان التي ستجعلهم على صلة مباشرة بتلك الفئة الصالحة حقيقة من اليهود » . واستخدمت وسيلة اخرى للدعاية في اوساط الفلسطينيين هي جريدة الكوكب (التي تشرف السلطات العسكرية في مصر على اصدارها) لتصور ما يمكن ان ينتظر فلسطين من مستقبل مشرق على يد الاحتلال البريطاني بشكل يغاير صورة الحكم العثماني . ولما كانت المسألة الصهيونية « من المسائل الخطيرة التي يعنى بها العرب وما يتبعها من اسكان اليهود في فلسطين » (٤٤) فقد رأت ان (تطمئن) خواطر الفلسطينيين على حقوقهم ، وتزيل مخاوفهم من فكرة اقامة دولة يهودية مستندة في ذلك على عبارات تصريح بلفور ، بضمان (المصالح الدينية والمدنية) ولم تر استحالة في امكانية لقاء بين الطرفين ، فهي ترى ان زعماء العرب ، بما فيهم (اخواننا الفلسطينيين) « مستعدون ان يعقدوا مع (اليهودي) منذ اليوم اتفاقا يضمن له مثل هذه المساواة ، ومثل هذا الاخاء ، على شرط ان لا يتنازلوا قيد شبر عن تلك الحقوق المقدسة التي تضمن لهم قوميتهم وتحفظ كيانهم ... » . وهي تبعد المخاوف التي تراود الفلسطينيين على مستقبلهم ما دامت الحكومة البريطانية ستحفظ « الموازنة في فلسطين في التملك واستثمار الارضين ... وما دام الحلفاء قد وعدوا في هذه الحرب ان تستشار الامم في بت امرها وشكل حكومتها ... » .

وبينما كانت الدعاية تسير في هذا الاتجاه ، والبعثة الصهيونية لا تزال في طريقها الى الاسكندرية ، كتب زانغويل في صنداي بيكتوريال في ١٠ آذار (مارس) ، مقالا حول مستقبل فلسطين ، علقت عليه جريدة مورنينج بوست في اليوم التالي (٤٥) في مقال افتتاحي ، كان ذا تأثير خطر جدا من وجهة نظر سايكس على الخطة التي رسمها للعلاقات العربية اليهودية ، في حالة وصول اعداد من الجريدة الى مصر او فلسطين او في حالة نشره باللاسلكي الالماني . وينقل مقال « مورنينج بوست » عن زانغويل انتقاده مشروع بلفور بان فلسطين ليست كبيرة ولا غنية الى حد كاف بينما عدد اليهود في

٤٣ ـ F.O. 371/3388/14557

٤٤ ـ **الكوكب** ١٩١٨/٣/٥ مقال « العرب وفلسطين » . وكان يرأس تحرير الكوكب محمد القلقيلي .

٤٥ ـ نقل المقال في رسالة الخارجية الى وينجيت ١٩١٨/٣/١٢ . F.O. 371/3401/44597

العالم لا يقل عن ١٣ مليونا واقصى امكانيـة استيعاب لها لا تتجاوز ٣ ملايين ، وبرأي زانغويل « حتى من اجل ذلك لا بد من عملية ترحيل عربي جماعي Arab Trek (٤٦) . ومن هنا كما تقول « المورنينج بوست » تعود حملة زانغويل ضد تصريح بلفور ، اذ رغم ان الحكومة البريطانية قد قدمت فلسطين الى اليهود ، فقد اضافت شرطا بانه لا يجب ان يعمل شيء للاساءة الى حقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين الدينية والمدنية ، وكما يقول زانغويل « كأن الحكومة تقدم فندق سافوي الى ادارة جديدة بشرط ان لا يزعج نزلاء الفندق » . ويرى مقال « المورنينج بوست » ان زانغويل لا يقول صراحةبانه يجب طرد العرب والسوريين وغيرهم ، مسيحيين ومسلمين ، ممن يشكلون غالبيـة السكان ، ويملكون معظم الاراضي ، ولكن يبدو انه كان يعني ذلك حين يقول : « ما لم تحل مشكلة اعادة تأسيس الدولة اليهودية بالسياسة الجريئة البناءة ، فان فلسطين التي يكسوها تراث المسيحية والاسلام لا يمكن بسهولة ان تصبح مهدا لحياة قوميـة يهودية بالمعنى السياسي الحقيقي » . وحاولت « المورنينج بوست » في انتقادها لمقال زانغويل ان تجد حلا لاهل البلاد الاصليين يكون اكثر رحمة من حل زانغويل ، ولكـن من وجهة نظرها الخاصة فقالت « اذا كان على السوريين ... والعـرب المساكين ان يرحلوا ، فماذا سيحل بمبدأ حق تقرير المصير الديمقراطي ؟. هل يفترض ان يعوض على هؤلاء الناس لو طردوا من بلادهم ؟ وفيهذه الحالة منسيدفعلهم ؟... انها مسألة دقيقة ، ولكننا نأمل ان لا يقترح وضع هذا العبء على عاتق دافع الضرائب البريطاني، وخاصة لو اخذنا تأكيد زانغويل ان فلسطين لا تستطيع الدفع ... اذ يبدو من قول زانغويل ان الاسرائيليين القدامى حين وصفوا فلسطين بانها ارض تفيض لبنا وعسلا انما كانوا يحاولون بيعها ... لذلك لا يمكن ان يعمل منها بلدا منتجـا دون توظيف رأس مال كبير ... » ويتساءل كاتب المقال « ... الا يمكن ان يستخدم جزء من رأس المال هذا لشراء ملاكي الارض الحاليين في فلسطين ؟... » برأيه ان هذا « يتفق مـع العدالة والمعاملة الصحيحة بصورة احسن من طرد هؤلاء او معاملتهم بالطريقة القاسية التي عومل بها الكنعانيون منذ فترة طويلة » لقد علق سايكس بخط يده على المقـال « انا لم ار مقال زانغويل ، من المحتمل انه غبي وخطير ، ولكن يظن ان هـذا المقـال الافتتاحي سوف يسبب لنا اذى سيثير شعورا معاديا ضد السامية . يلقي زيتا على لهيب الاضطراب المحتمل بين العرب واليهود يهدد النظام الداخلي في فلسطين . يوحي الى المسلمين الهنود والسوريين المسيحيين ان سياستنا لعبـة خبيثة » . ونقلـت الخارجية رأي سايكس الى وينجيت في ١٣ آذار (مارس) وهي تصدر له تعليماتهـا باتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار المقال قائلة « ... انه يثير انقساما مـن اردأ الانواع بين اليهود والعرب في الارض المقدسة ... ويعتقد سايكس انـه ربما يسبب شغبا دمويا لو عرفت محتوياته هناك » .

٤ ـ البعثة الصهيونية في الشرق وردود فعلها العربية :

لقد مهد الجو في الشرق لاستقبال البعثة الصهيونيـة ، واشارت المقطم الـى

٤٦ ـ اصطلاح Trek يطلق على عملية الرحلة الجماعية على العربات التي كانت تتجه غربا في اميركه .

وصولها الاسكندرية في ٢٠ آذار ، وافاضت في ذكر مظاهر الاكرام الذي استقبلت به من قبل السلطة البريطانية والطائفة الاسرائيلية . وتابعـت البعثـة السفر بقطـار الاكسبريس الى القاهرة ، وجرى لها احتفال كبير في المحطة من الطائفـة اليهودية . ونزلت بعد ذلك بشبرد (٤٧) . ونشرت المجلة الصهيونية في القاهرة بيانا عـن اللجنـة الصهيونية (٤٨) ان اعضاء البعثة ، الى جانب وايزمان الرئيس هم (جوزيف كوين) من اعضاء مجلس ادارة الشركةاليهودية للاستعمار ومجلس شركة انجلو فلسطين وكان من اكبر معاوني هرتزل ، وليون سيمون من موظفي الحكومة البريطانية ومن كبار الثقاة في امور التعليم العبراني . واسرائيل سيف وكيل رئاسة الاتحاد الصهيوني في انجلتره وعالم في الامور الجغرافية والاقتصادية في فلسطـين . وسلفيان ليفي استاذ اللغـة السنسكريتية في كلية فرنسه . والدكتور ادر مندوب جمعية الاراضي اليهـودية . ويصحب اللجنة الماجور اورمسبي غور من وزارة الحربية البريطانية (ممثلا للحكومة) وهو معروف بحبه لليهود (كما يقول بيان المجلة) يساعده الكابتن جيمس روتشيلد ابن البارون ادموند روتشيلد . ومهمة اللجنة ان تكون حلقة اتصال بـين الحكومـة البريطانية واليهود من سكان فلسطين ، وان توفق بـين اعمال الاعانة وتسهل عـودة المهاجرين والمنفيين ، وان تساعد على تعمير المستعمرات اليهودية وتنظيم امور اليهود بالاجمال في فلسطين ، وان تساعد الجمعيات والمدارس والمعاهد اليهودية في فلسطين لتستأنف اعمالها ، وان توثق عرى المودة بين اليهود العرب ، وان تضع التقارير عما يمكن عمله لاستعمار اليهود ، وان تنظر في امكان انشاء جامعة يهودية .

وبدأت البعثة مشاوراتها السياسية في الحال حسب الخطة الموضوعة. وفيتعليق كورنواليس مدير المكتب العربي في القاهـرة (٤٩) عن الانطباع العـام الـذي احدثتـه زيارة اللجنة في اذهان الزعماء السوريين والفلسطينيين في مصر يذكر ان « موقفهم قد مر من معارضة متصلبة ، الى تعرف تدريجي للقوى الكامنة وراء الصهيونية وقبـول كاره بان اغراضها ليست سوداء كما صورت ، وانه في ظروف معينـة قـد يستفيد السكان حتى من (الغزو) اليهودي » ، ويقر كورنواليس ان هؤلاء الزعماء كانوا « قلبيا يتملكهم خوف عميق من ان اليهود لا يقصدون فقط تولي زمام الحكم في فلسطين بل تجريد السكان من الملكية ، او شراء مساحات كبيرة من الاراضي التي يملكها المسلمون وغيرهم ، وطردهم تدريجيا من البلاد... ». ويؤكد ان الضباط البريطانيين قد عملوا كل ما هو ممكن لتهدئة مخاوفهم ، ولكن جهل برنامج الصهيونية المحدد جعل مهمـة

٤٧ ـ **المقطم** ١٩١٨/٣/٢٢ تذكر ان في مقدمة المستقبلين حاخام الطائفة الاسرائيلية وكبار رجال الطائفة : موسى باشا قطاوي ويوسف شيكوريل وجمعية محفل مايمونيد وجمعية اشكنازي ومحفـل كير ثم فرقة الكشافة الاسرائيلية تتقدمهم موسيقى المكابين ولما نزل الاعضاء كانت الموسيقى تعزف وفرقـة الكشافة تنشد الدعاء العبراني الشهير وحملتهم السيارات التي اعدتها الجمعية العموميةالاسرائيلية الى شبرد ، وكما تقول المقطم « كان سرور الطائفة الاسرائيلية بقدوم البعثة كثيرا ـ فاجتمع جمهور عظيم منهم في ساحة محطة العاصمة وعلى جانبي الشارع وكانوا يصفقون تصفيق البشر والابتهاج».

٤٨ ـ نقلته **المقطم** ١٩١٨/٤/١٠ .

٤٩ ـ مقال (الصهيونيون والسوريون في مصر) في النشرة العربيـــة30.4.1918 F.O. 882/27 وهو تقرير رفعه كورنواليس في ١٩١٨/٤/٢٠ الى الكولونيل سايمز .

الاقناع ـ برأيه ـ اكثر صعوبة . ويمضي كورنواليس في تقريره « بان هذه الامور قد شرحت الى وايزمان الذي لم يفوت فرصة فسارع لمقابلة الزعماء الفلسطينيين والسوريين ليشرح لهم الاهداف الصهيونية » . وشرح كورنواليس الوسائل التي استخدمها وايزمان في الاقناع ، اذ بين لهم ان امله ان يرى فلسطين في ظل حكومة مستقرة ، وما يطلبه ببساطة اقامة وطن (وليس حكومة) لليهود في الارض المقدسة يمكنهم من ان يعيشوا حياتهم القومية ، ويشاركوا سائر السكان الحقوق المتساوية ، واكد لهم انه لا يهدف الى الاستفادة من الظروف الحالية التي سببتها الحرب بشراء الارض ، بل هدفه ان يرفع مستوى المستوطنات اليهودية الموجودة وان يهيىء لاستقبال مهاجرين بأخذ اراضي الدولة والمهملة التي فيها متسع للجميع ، كذلك يهدف الى انشاء مدارس فنية وغيرها تفتح ابوابها للجميع يستفيد منها المسيحيون والمسلمون بالتساوي مع اليهود ، واكد لهم حرصه على الاماكن المقدسة واملاك الوقف ، كما تحدث بعطف عن الثورة العربية ضد الطغيان التركي . وبرأي كورنواليس ان التصريح « قد احدث رد فعل كبير بين (الفلسطينيين) الذين اتصلوا مباشرة ولاول مرة بيهود اوروبيين ذوي سمعة طيبة ... » والاعتقاد الذي فرض عليهم « ان الصهيونية قد جاءت لتقول انها اكثر اعتدالا في اهدافها مما توقعوه ، وانهم لو قابلوهم بروح استرضائية لتمكنوا من ان يجنوا فوائد مادية في المستقبل ... » وهو يأمل اختفاء الشكوك التي لا تزال في اذهان بعضهم تدريجيا مع استمرار اللجنة في موقفها الحالي من الاسترضاء . « لقد كان كورنواليس متفائلا بما يتوقعه من الفلسطينيين الذين قد بدأوا يميلون نحو فصل انفسهم عن بقية سوريه ... وان معظم الانتقاد يأتي من جانب السوريين ، الذين اخفوا هذه الحقيقة بالتعبير عن اهتمامهم المبالغ ، لعدم وجود مصلحة مباشرة لهم في الامر » .

وعلى اساس هذه اللقاءات المتكررة وضع الزعماء السوريون مذكرة رفعها سليمان ناصيف الى مندوب الحكومة البريطانية في البعثة ، في ١٩١٨/٣/٢٩ (٥٠) يقترح فيها « الخطوط الرئيسية التي يجب ان تقوم عليها السياسة المرغوبة لتفاهم متبادل وتحالف بين الفلسطينيين والصهيونيين » . هذه النقاط تتناول ابقاء الاماكن المقدسة كما في الماضي بأيدي مالكيها المختصين مع الممارسة الحرة لحقوقهم وامتيازاتهم . اما فيما يتعلق بنظام الحكومة في المستقبل فتشترط المذكرة ان يكون مبنيا على العدالة المنصفة ، ومساواة الحقوق بين العناصر المختلفة بدون اعتبار لاعدادهم النسبية ، وان تطبق قوانين البلد بالتساوي على كل عناصر السكان دون تمييز ، على ان يخضع كل القادمين كمستوطنين ، مهما كانت جنسيتهم ، لقوانين البلد . كما تقترح المذكرة تشكيل لجنة مشتركة مؤلفة من العناصر الثلاثة بالتساوي ، مهمتها النظر بحالات التعدي او الظلم في الامور الاقتصادية او السلوكية التي قد تظهر بين العناصر المختلفة ، وان تتخذ الخطوات الضرورية باشراف الحكومة من اجل تسويتها وعدم تكرارها ، وان تكون مهمتها الدائمة دراسة ورسم كل الوسائل التي تكفل تقوية روابط الصداقة بين العناصر المختلفة ، وان تنمي شعورا طيبا بالجوار ، وتغرس مبدأ الوحدة والتماسك وتبث في الجميع الروح العامة الغيرية من اجل الصالح المشترك . واشترطت المذكرة

٥٠ ـ F.O. 882/14 PA 18/3, Arab Bureau Papers.

ان تكون اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة العربية وان يكون التعليم بها اجباريا في المدارس الحكومية والخاصة . ولم تمانع المذكرة « في اعطاء فرصة صحيحة للاستيطان الصهيوني بتسهيل شراء اراضي الدولة ، وخاصة عند اول تدفق للهجرة ، مع ترك حصة معقولة من هذه الاراضي للعناصر الاخرى » . ورأت مقابل ذلك ان تأخذ ضمانات كافية لحماية السكان اذ برأيها « انه فقر السكان العام خلال الحرب يعطي ميدانا فسيحا لاستغلال لا رحمة فيه ، ومن الضروري ان يوقف خلال الحرب اي تصديق على شراء او بيع الاملاك سواء مدنية او ريفية » . كذلك اهتمت برعاية احوال السكان الاقتصادية ، فأوصت بانشاء بنك زراعي باشراف الحكومة في اقرب فرصة ممكنة لتقديم مساعدة مالية غير متحيزة للسكان واوصت بصياغة قانون في فلسطين تسميه قانون الفدادين الخمسة . كانت هذه بنظر الزعماء السوريين في مصر الشروط التي يمكن على اساسها ان يتم اللقاء ، وقد وافق وايزمان عليها مبدئيا ، وقد ظنوا انهم درسوا كل احتمالات الخطر ووضعوا الضمانات الكافية لتلافيه (٥١) .

الا ان اخبار فلسطين لم تكن مشجعة والرسائل التي بعثها هوغارت الى النشرة العربية من هناك ، تصور حالة القلق الذي بلغ اوجه والبعثة الصهيونية لا تزال في مصر : في يافا واجهت السلطات البريطانية مشكلة انشاء بلدية وكان الشعور بين الطوائف المختلفة غير مرض ، وتقر النشرة العربية (٥٢) ان الموقف العدواني للعنصر اليهودي لا يفضي الى تحسينه ، وان الرأي العام في فلسطين لم يكن مضمونا اذ ان هناك استياء كبيرا من السكان المسلمين الذين ينقسمون في اهدافهم فبعضهم يرغب في ان يعيش في المستقبل في ظل السيادة التركية وآخرون في ظل الحكم الشريفي المرتقب . وفي رسالة اخرى من فلسطين (٥٣) ترى النشرة العربية « ان الجميع يخشون ما يخبىء المستقبل وحكومتنا للصهيونيين ، ولا شك انه لا يوجد ما يعرقل علاقاتنا المحلية بالسكان غير اليهود الموجودين في فلسطين كغموض تصريحنا لصالح الصهيونية . ومن الغباء ان نفترض ان اي شخص لديه رباطة جأش يشعر بالاطمئنان في ارض الميعاد » . واعطى ستورز (٥٤) حاكم القدس العسكري في رسالته الى بلفور ٢٢/٤/١٩١٨ (٥٥) صورة عن الاوضاع في المنطقة قبل وصول البعثة : « فسكان فلسطين كانوا يعانون قلقا كبيرا منذ ان اعلن لاول مرة عن تشكيل البعثة الصهيونية ، لم يكن هذا القلق ليهدأ مع وصول اعضاء البعثة انفسهم » . ويعزو ذلك الى عدد من مقالات حول مستقبل الصهيونية نشرت في كثير من المجلات والصحف البريطانية ، واثارت لاسباب واضحة قلقا وكآبة لدى العناصر الاخرى في فلسطين ، وتأكدت هذه المشاعر باجتماعات

٥١ ـ شرح سليمان ناصيف ذلك فيما بعد في زيارته مع الوفد السوري فلسطين (حزيران ، يونيو ١٩١٨) .
٥٢ ـ Arab Bulletin 27.3.1918 p. 91.
٥٣ ـ Arab Bulletin 7.4. 1918 p. 92.
٥٤ ـ كان ستورز قد عين حاكما عسكريا على القدس ١٩١٧/١٢/٢٨ ومنح مؤقتا لقب ليفتنانت كولونيل ، وكانت صلاته باليهود كسكرتير شرقي في المعتمدية البريطانية كبيرة حتى ان الاحتفال بتعيينه حاكما عسكريا على القدس جرى في كنيس الاسكندرية . Storrs, p. 379
٥٥ ـ F.O. 371/3398.

متعددة اقامها اليهود والقيت فيها محاضرات حول نفس الموضوع . ففي ١٧ شباط (فبراير) قدم دكتور مكلر حديثا عن الوضع الصحي والجغرافي والزراعي في فلسطين، ختمه بقوله « ان الشعب اليهودي ستتم له الغلبة على فلسطين » . وفي ٢٢ شباط تحدث هووفين عن اهتمام يهود مصر بفلسطين الذين سألوه في مجرى حديث له « من سيكون ملك اليهود؟ » وفي بداية آذار (مارس) تحدث دكتور مورتشاك عن « عودة اسرائيل الى صهيون » وعن نظام للحكم اليهودي المقبل في فلسطين . وبراي ستورز « ان هذه الوقائع ... قد سببت قنوطا وكآبة ... وكما هو متوقع ، احدثت رد فعل طبيعي ... تجلى بتشكل الجمعيات الاسلامية والمسيحية لحماية الارض ... » . وتوقع هوغارت في رسالة من فلسطين (٢ نيسان ، ابريل) (٥٦) ان « التخوف العربي سيصبح اكثر حدة مع وصول البعثة الصهيونية ... » ، ولذلك اوصى بان لا تفوت الفرصة كي تنشر على اوسع نطاق ممكن ، سياسة البعثة ، التي يلخص خطوطها العريضة « بانها تعارض الاستغلال وتجريد ملاكي الارض الحاليين من ملكيتهم ، وانها ضد اي اشراف سياسي يهودي على فلسطين ، وستعمل على تقصي امكانيات الاراضي المهملة ومناطق المستنقعات من اجل هذا العدد الضئيل من اليهود الذين يرغبون في الاستيطان ، وستبحث اوضاع المستعمرات الاقتصادية الحالية وتجد حلا للمصاعب التي نجمت حول اموال الاعانة اليهودية ، واخيرا ستحقق التنفيذ العملي لفكرة الجامعة العبرية في القدس التي هي الهدف الرئيسي لبعثة وايزمان » .

وصلت البعثة يافا في ٤ نيسان — والحرب لا تزال دائرة — وفتحت لها مكتبا رئيسيا في تل ابيب . ويعزو اورمسبي غور ضابط الارتباط البريطاني المرافق للبعثة في تقريره التالي ١٩ نيسان الى بلفور (٥٧) قدرا كبيرا من المشاكل التي واجهتها البعثة الى غموض التصريح البريطاني « لصالح انشاء وطن قومي للشعب اليهودي » ، اذ ان التفسير الذي وضع لهذا التصريح اختلف حسب آمال ومخاوف الافراد ، ولم يكن العرب وحدهم يجهلون الاهداف الصهيونية والسياسية الصهيونية بل اليهود الفلسطينيون ، والزعماء الصهيونيون المسؤولون لم يضعوا حتى الآن تفسيرا واضحا للتصريح » . ويعترف اورمسبي غور ، رغم محاولته ان يكون متفائلا ، « ... انه من الحماقة ان ننكر وجود قدر كبير من الشك المتبادل من جانب العرب واليهود ... فالعرب يخشون ان يجردهم اليهود من ملكيتهم وان يفقدوا مكانتهم السياسية والاجتماعية ... وبنفس الوقت فان اليهود يخشون التعصب العربي ومحاولات التسلط » ، الا انه يأمل ازالة هذه الشكوك بانشاء علاقات ودية بين الزعماء المسؤولين من كلا الطرفين وبادارة حازمة منصفة . ويعطي اورمسبي غور مثلا لهذا القلق ما حدث في يافا قبل قدوم اللجنة ، حين عين الحاكم العسكري مجلسا بلديا جديدا على اساس التمثيل النسبي ، بحيث ان العرب مثلوا بسبعة اعضاء واليهود بعضوين . واتخذ هذا المجلس الجديد قرارا بالاغلبية بجعل اللغة العربية هي الرسمية في المنطقة، الا ان الحاكم العسكري رفض تنفيذ الاقتراح ، ويعلق اورمسبي غور : « ... ان

٥٦ — F.O. 882/14 Arab Bureau Papers.

٥٧ — F.O. 371/3395/11053 F.

سياسة تعريب عدوانية ، كما يهدف الى ذلك بعض العرب ، تتضارب مع انشاء الوطن القومي اليهودي ... » ، وهذا الحادث برايه يصور الجو الذي واجه البعثة عند قدومها الى يافا .

ولكن استقبال اللجنة في القدس كان مرضيا اكثر ، نظرا لوجود اغلبية يهودية من جهة ، وللاستقبال الذي هيأه الحاكم العسكري (كولونيل ستورز) من جهة اخرى ، حيث حشد في مكتبه مجموعة من وجهاء المدينة المسلمين والمسيحيين لتقديمهم الى اعضاء اللجنة (٥٨) . ويقول اورمسبي غور انه قام مع وايزمان بزيارة رسمية لاسماعيل الحسيني ، وبحث وايزمان معه ومع ابن عمه كامل الحسيني (الذي يجمع بين منصبي المفتي وقاضي القدس) المسائل العديدة التي تثير مخاوف العرب المسلمين « بصراحة وبراعة » ، حيث شرح لهما انه لا يهدف انشاء اي شيء له صفة الدولة او الحكومة اليهودية في نهاية الحرب ، كل ما يتلهف اليه هو والمنظمة التي يمثلها « رؤية ادارة —من المفضل ان تكون بريطانية— تمكن العربي واليهودي ان يعملا في ظلها بانسجام من اجل تطوير البلد على اساس المساواة والعدالة ... » ثم تطرق الى مسألة الاماكن المقدسة التي تثير كثيرا من المخاوف لدى المسلمين والمسيحيين ، فنفى وايزمان اي قصد الى التدخل بشؤونها او بأمر القائمين على حراستها ، واضاف : « ان اليهود ، الذين عانوا طويلا من الاضطهاد الديني هم آخر شعب يرغب في التدخل في المشاعر الدينية للآخرين » . ثم انتقل كما يقول التقرير الى اكثر المسائل اقلاقا واقربها الى (اذهان زعماء العرب) وهي مسألة الاراضي ، فأكد لمحدثيه « ان آخر شيء يرغب فيه هو تجريد الفلاحين العرب من الملكية ، او طردهم من فلسطين بوسائل اقتصادية » . وعاد ليعبر عن الثقة . ان هناك « متسعا في فلسطين لليهودي كما للعربي » بل اشار الى ابعد من ذلك « ان المستوطنات اليهودية لم تعمل فقط على زيادة اعداد ورفاهية السكان اليهود في المنطقة ، بل عملت ذلك ايضا للعرب في تلك المناطق » . وكما يقول التقرير ان الوجيهين العربيين رغم حذرهما في الاجوبة قد استقبلا عبارات وايزمان بارتياح وطمأنينة ، وابديا موافقتهما الكلية للاهداف التي اعلنها ، كما ابديا رغبتهما في ان يعيشا بسلام وصداقة مع جيرانهم اليهود ، وان المفتي قد اخبر ستورز بعد ذلك انه اخذ انطباعا وديا عن وايزمان ، وان اليهود لو عملوا بكلمات وايزمان ، فكل شيء سيكون على ما يرام .

هذا الانطباع المتفائل الذي نقله اورمسبي غور عن زيارة اللجنة للقدس لم يشعر به ستورز الذي كان بنفسه قد تولى تدبير اللقاءات : وفي تقريره الى بلفور في ٢٢/٤/١٩١٨ (٥٩) يورد مقطعا من تقرير المخابرات لذلك الاسبوع يعطي فكرة جيدة عن الزاوية التي ينظر منها رجل الشارع لكل المسألة : « ان المسيحيين والمسلمين لا يمكنهم ان يفهموا تماما معنى زيارة اللجنة هذه للقدس ... اشاعات كثيرة كانت تنتشر عما

٥٨ — بين هذه المجموعات ثلاثة افراد من عائلة الحسيني ويرى اورمسبي غور انه بسبب المناصب الرسمية التي تشغلها والمكانة التي تتمتع بها في القدس وفلسطين الجنوبية يعتبر افرادها اكثر الزعماء العرب تمثيلا في الجزء المحتل من فلسطين .

٥٩ — F.O. 371/3398

سيحدث عندما تصل اللجنة وما ستعمل ، والصفة اليهودية البحتة قد حيرت الناس، ولم تهدأ الاشاعات الماضية على الاطلاق . الاثر السياسي لزيارة اللجنة لم يكن مرضيا حتى الآن المسيحيون والمسلمون لا يشعرون باي طمأنينة بالنسبة لمستقبلهم ولا يزالون يخشون ان يتم التعدي على حقوقهم في حالة تحقيق ما يتصورونه من الاماني الصهيونية ، هم يندفعون الآن الى تأسيس الجمعيات للسهر على مصالحهم ، وايزمان في زيارته الاولى للقدس لم ير ضرورة تقديم بيان يحدد فيه وضع واهداف الصهيونية كما يمثلها هو ولجنته ، والمسيحيون والمسلمون لا يزالون يصرون على معرفة ماذا يعني كل ذلك ، بعض الناس قد ذهبوا الى حد الاستنتاج بان السلطات تنحاز الى اليهود ، الكلام الشائع في المدينة ان هؤلاء الذين دعوا الى مكتب الحاكم العسكري يوم وصول اللجنة قد اجبروا على الذهاب هناك » . وتذكر النشرة العربية (٦٠) انه « منذ ان اصبحت زيارة البعثة الصهيونية معروفة فقد اظهر المسلمون والمسيحيون ... تخوفا متزايدا حول المسألة الصهيونية . ان مرافقة عضو من عائلة روتشيلد للبعثة قد اعطى الاهالي انطباعا بان الصهيونية تساندها ثروة خيالية ، وهم يخشون انهم مهما قاوموا الهجرة اليهودية بعنف فالنقود سوف تظفر في النهاية . في القدس كذلك احدثت زيارة اللجنة انطباعا معاديا وسلبيا غير مؤات ... » وتنتهي النشرة العربية الى القول « ... يبدو ان السوريين في فلسطين اصعب في الاسترضاء من اقربائهم في مصر ... » .

ويعبر وايزمان عن نفسه في التقرير الذي رفعه الى اورمسبي غور وبالتالي الى سايكس في ١٦ نيسان (ابريل) (٦١) — ولم يكن قد مضى على وصول البعثة ايام — عن قلق كبير لا يتناسب والتوقعات الكبيرة التي يحملها حول معنى التصريح ، والآمال الواسعة التي بناها في مصر بعد لقاءاته مع الزعماء هناك . والتقرير يختلف في روحه عن السياسة التي كان يصرح بها في الاجتماعات العلنية . ما شعر به باختصار : «ان الجو السياسي ليس ملائما كما كنا نرغب — او بالحقيقة كما لنا الحق ان نتوقع للتطور الذي رسمه تصريح بلفور ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ... » . وهو يقصد ان يشير بذلك الى موقف العرب والسوريين ، والطريقة التي تنظر بها السلطات العسكرية — برأيه — لهذا الموقف . يقول في تقريره « ... لقد كنا مهيئين ان نجد قدرا معينا من العداء من جانب العرب والسوريين ، مبنيا بشكل واسع على اعتقاد خاطىء باهدافنا الحقيقية ، وكنا دوما نعرف ان احد واجباتنا الرئيسية سيكون ازالة هذا الاعتقاد الخاطىء ، ومحاولة الوصول الى تفاهم ودي مع العناصر غير اليهودية من السكان ، على اساس السياسة التي اعلنتها حكومة جلالته ، ولكنا وجدنا بين العرب والسوريين، او بين عناصر معينة منهم ، حالة من التفكير ، يبدو معها من المستحيل اجراء مفاوضات مثمرة في الوقت الحاضر » . ويوقع وايزمان اللوم في ذلك على انه « لم تتخذ خطوات رسمية ليوضح للعرب والسوريين ان حكومة جلالته قد عبرت بسياسة محددة عما يتعلق بمستقبل اليهود في فلسطين » . وكان وايزمان يقصد بالذات موقف الحاكم العسكري في القدس الكولونيل ستورز من حفلة اقيمت في مدرسة للايتام المسلمين ١١

٦٠ — Arab Bulletin, 30.4.1918

٦١ — F.O. 371/3398/92392

نيسان . اذ يتهم وايزمان الخطب التي القيت في الحفلة ، بحضور الحاكم العسكري ، بتصوير الامر محاولة لاستبعاد وتحطيم عرب فلسطين تقول احداها : « دعوا الامة العربية تستيقظ من سباتها ، وتنهض دفاعا عن ارضها ، وحريتها ، واماكنها المقدسة ضد هؤلاء الذين يأتون لسرقتها من كل شيء » . والاكثر خطورة بنظر وايزمان ان احد الخطباء قد « ناشد سامعيه ان لا يبيعوا ولو بوصة واحدة من الارض ... » (٦٢) بل ان كل الخطباء بنظره يسلمون ان فلسطين كانت وستبقى ارضا عربية بحتا !! لقد كانت هناك خريطة لفلسطين تحمل عبارة فلسطين عربية بشكل واضح (٦٣) ، وانتهت الخطبة بعبارة « لتحيا الامة العربية لتحيا فلسطين العربية » كانت هذه الادلة كلها بنظر وايزمان « لا تشير الى مجرد اعتقاد خاطىء تماما عن طبيعة الاهداف اليهودية التي يمكن ازالتها بالايضاح والشرح ، بل ايضا الى عداء محدد لاي نوع من الارتباط بين فلسطين والاماني اليهودية » . ويتهم وايزمان ممثل الحكومة البريطانية (الكولونيل ستورز) بانه لم ينطق باي كلمة يوحي بها ان هناك تعارضا بين هذه المشاعر المعادية لليهود وبين سياسة حكومته ، بل انه يرى ان حذق ستورز بتجنب عبارة فلسطين العربية ، حين ختم حديثه « عاشت الامة العربية عاش سكان فلسطين » (٦٤) لم يستطع ان يوحي للجمهور انه يقصد تصحيح المشاعر والافكار التي عبر عنها المتحدث العربي .

وتمضي رسالة وايزمان في محاولة كسب الرأي البريطاني الرسمي باعطاء صورة اخرى لمظاهرة كبرى ليهود القدس للترحيب بالبعثة الصهيونية ، قدموا فيها امتنانهم لحكومة وشعب بريطانيه بمناسبة تصريح بلفور ، اذ لا يمكن برأيه ان « يكون هناك تباين اقوى من ذلك بين روح الاجتماع العربي وروح الاجتماع اليهودي : فمن جهة ، نوع من حرب صليبية ضد عدو خيالي ، وتعبيرات عن القومية العدائية المتصلبة ، ومن الجانب الآخر ولاء مطلق لبريطانيه العظمى ورغبة مخلصة من اجل السلم » وينتقل

٦٢ — تذكر جريدة **القبلة** ١٩١٨/٦/١٤ عدد ١٨٩ ان التمثيليات التي عرضت كانت فتاة عدنان وشهامة العرب وقد القيت قصيدة ترحيب بالحاكم العسكري . اشار الخطيب الى فلسطين بقوله :

لا ندع الاغيار تجتازها   من دوننا بمكرها المستطير
انا شريناها بارواحنا   وبالدما تزخر مثل البخور
لم يبق شبر من ثرى ارضها   لم يسقه دم الابي الغيور
ان فلسطين لاجدادنا   مقبرة فهل تباع القبور ؟

٦٣ — تذكر **القبلة** (١٩١٨/٦/١٤) في وصف وقائع الحفل ان صدر المكان قد تجلى بصورة فلسطين مجسمة كتب فوقها بخط عربي « هذه هي يا قوم فلسطين مقبرة اجداد العرب العظام » ولما رفع عنها الستار تلا احد الشبان قصيدة جاء بها :

لا ابيع الاوطان في بعض مال   فارى كالغريب بين الاهالي
انا مالي ولامرىء ذي خيال   باع اوطانه ببعض نوال
جاهلا غاية الامور الخفية
نمت يا شعب واستطبت المناما   ورضيت الحياة ذلا وذاما
رحم الله في التراب عظاما   عشن ما عشن وارتحلن كراما
اتراها هانت على الذرية

٦٤ — اوردت **القبلة** في العدد السابق عبارة ستورز على النحو التالي : « واني من صميم فؤادي اقول ليحيى العرب لتحيى الامة العربية في فلسطين وفي غيرها ... » والفرق واضح بين العبارتين .

وايزمان الى تحذيره التقليدي من قوة اليهودية العالمية اذ انه مع « معرفته تماما ان السكان اليهود في فلسطين هم اقل عددا من السكان العرب والسوريين بكثير ، ومع تقديره للاهمية المباشرة لهذه الحقيقة من وجهة نظر السلطات العسكرية . ولكنه يرى « من وجهة نظر سياسية ان اليهودية في فلسطين لها اهمية لا تتناسب مطلقا مع قوتها العددية ... انها تمثل الارادة القومية المنظمة لملايين اليهود في كل انحاء العالم ، انها (الحارس المتقدم) للشعب اليهودي ... » . ويحذر وايزمان بان « هذه القيمة النوعية المتميزة لليهودية الفلسطينية قد اعترفت بها حكومة جلالته ضمنا في تصريح بلفور ، ويجب ان تعترف بها كذلك السلطات ، والسكان غير اليهود في فلسطين ، اذا كان على التصريح ان ينفذ » . ونظرا لهذه الاعتبارات يطالب السلطات البريطانية في فلسطين ان تعمل على تعريف وتفهيم عرب فلسطين بالوضع الحقيقي ونوايا الحكومة ، اذ « لا جدوى لنا ان نحاول ، لان العرب ... ليسوا في حالة ذهنية كي تلاقي الايضاحات التي نقدمها اي اهتمام جدي منهم . لا بد ان يوضح لهم رسميا معنى ومدى تصريح بلفور بدقة ، وكذلك يجب ان يوضح لهم تماما ان التصريح يمثل السياسة التي اقرتها حكومة جلالته ، وان واجبهم ان يعملوا وفقا لها ... » ورغب وايزمان في نهاية تقريره ان يقابل اللنبي كي يشرح له مجددا وبتفصيل اكثر الاهداف الصهيونية من اجل ايضاحها للعرب .

حاول ستورز ان يشرح للخارجية في رسالة سرية (٦٥) ما جرى بالضبط في حفل مدرسة دار الايتام الاسلامية في القدس (٦٦) ، وان يبرىء نفسه من التهم التي كالها له وايزمان ، والتي احدثت كما يقول امتعاضا وانذارا لاعضاء البعثة . يقول ستورز : انه « اضطر ان يقاسي ملل مشاهدة هذا التمثيل الهاوي غير البارع في المدرسة ، وبعد تمثلية دامت ساعتين من الاسهاب الكلامي ، تلاها القاء شعر ترحيبي ، انطلقت صيحات تهتف للحضارة العربية ، وكان ذلك امرا طبيعيا . وقد (اكره) كما يقول على مخاطبة الجمهور بالعربية ، وانهى كلمته (التي لم يتجاوز عدد كلماتها نصف دستة) بالدعوة للهتاف للامة العربية وسكان فلسطين ، موضحا بذلك للحاضرين ان العرب يشكلون فقط جزءا من السكان . ويشرح في رسالته تفاصيل التحريات التي قام بها للتحقيق في الوثيقة التي تلقاها من اورمسبي غور ، وتتضمن ترجمة فرنسية للاحتفال . ودلت تحقيقاته ان كاتب الوثيقة يهودي سفارديم من اصل مراكشي هو (حاييم بن عطار) ، عمل على احداث بعض التغيير في التفاصيل ، بحيث يفهم منها ان الاساءة موجهة الى الصهيونيين ، مع انها ، كما يقول ، ستورز موجهة الى الترك ، وقد اعترف الكاتب امام ستورز انه لم تكن هناك تلميحات علنية لليهود ، ولكن هناك جملا مستقلة يمكن ان تفسر على انها ذات معنى معاد للصهيونية ، كما ان العبارات المناوئة قد قيلت

---

٦٥ ــ رسالة ستورز ١٩١٨/٤/٢٢. F.O. 371/3398.

٦٦ ــ كان الاهالي قد بذلوا جهدهم بعد الاحتلال البريطاني لتنشيط حركة التعليم : فاعيدت مدرسة روضة المعارف ونادي روضة المعارف ، كذلك اعيد افتتاح مدارس المعارف الرسمية ، وبذل جهد لانشاء دور الايتام ، وغاية هذه الحركة كما تقول **الكوكب** ١٩١٨/٦/٤ : « تثبيت روح القومية في الشعب » .

بعد مغادرة ستورز الحفلة ، ويشير بذلك الى شعر (ارفق ستورز ترجمته بالانجليزية) (٦٧) فيه دعوة للعرب لترك سياستهم واثبات وجودهم ، ويبرىء ستورز نفسه قائلا ان هذا الشعر قد وزع في القدس قبل سنة حين كانت لا تزال تحت الحكم التركي . ويمضي ستورز في الدفاع عن نفسه : بان السلطات العسكرية لم تقصر مطلقا فلم تكن متعصبة او غير متعاطفة ، فالبيانات والاعلانات تطبع بالعبرية تماما كالانجليزية والفرنسية والعربية ، والبرقيات والاخبار تترجم الى العبرية وتعرض مع غيرها من اللغات في غرف المطالعة العامة ، كذلك فقد عين يهوديا نائبا لرئيس البلدية ، وبذل جهوده ولا يزال ، لتبدأ البعثة عملها في ظل رعاية ودية ، وقد عمل كل ما في طاقته لتحسين العلاقات بين المسلمين والمسيحيين من جهة واليهود من جهة اخرى لتهدئة مخاوف ذوي الحساسية . ولكنه يرى « ان واجب الصهيونيين انفسهم ان يقدموا للعرب والسوريين في الحال ، والى اقصى حد ممكن قرضا دقيقا مرضيا عن اهدافهم الحقيقية وسياستهم في البلد ... بتقديم تصريح عام له صفة خاصة كفيلة بازالة قلق السكان العرب » .

ويلوم ستورز البعثة لانه ينقصها الواقعية والسياسة العملية ، وليس ذلك بدافع حرصه على المصلحة العربية فهو يتكلم كما يقول بصفته (يهوديا مقتنعا) ، انما حرصه على المصلحة الصهيونية تلزمه بوضع الحقيقة التالية امام انظار اعضاء البعثة « ... ففلسطين حتى الآن هي بلاد مسلمة ، وقعت بأيد مسيحية ، صرحت عند بدء احتلالها ان جزءا كبيرا من ارضها سيقدم لاغراض استيطانية الى شعب غير محبوب في اي مكان ، واعلنت بالتالي ارسال بعثة من هذا الشعب الى فلسطين ... ». ويتساءل ستورز بعد ذلك كيف يمكن ان يطلب من القائد العام « ... ان يردد على مسامع الشعب في فلسطين ، الذين يعتبر هو نفسه مسؤولا عن امنه العام ... تفاصيل عن السياسة الصهيونية لحكومة جلالته والتي لم تكشف مطلقا حتى الآن الى الرأي العام ولا حتى حسب ما اعلم ، الى اي كائن حي ... » . كل ما يستطيع ان يقدمه ستورز للبعثة كي يعطيها دليلا على ان السلطات تبذل جهدها لمساعدتها، هو ان يهيىء لقاء آخر بين اعضاء البعثة وزعماء القدس بدعوة الطرفين الى حفلة عشاء . ويشرح خطته كما يلي : ان يقترح نوعا من شرب الانخاب (ازدهار القدس) مثلا، ويقدم فرصة (للدكتور) كي يقول بشكل حاسم ودقيق ماذا يعتقد وماذا يرغب من العالم ان يعتقده حول اهداف البعثة . بل يقترح ابعد من ذلك ـ هذا لو وافقت الخارجية ـ بان يلقي المفتي كلمة جوابية مناسبة ... ويعد بان يرسل فحوى الكلمتين الى السلطات قبل القائهما ، واقترح ان يحضر الحفلة صحفيان احدهما يهودي وآخر عربي لبلوغ اقصى فائدة دعائية ممكنة لهذا الحدث .

---

٦٧ ــ من بعض هذه الابيات المترجمة « ... قيل ان ذئبا كان يطوف فيك وانا صرخت اين الحارس ليمنع الذئب ... يا شعب بلدي لا تضيع من ارضك مسافة اصبع الى متطفل يبغي ضياعك ... ولكن انهض بشجاعة وحماسة ... اعداؤنا قد تقووا لما وجدونا مهملين سخروا بنا وبوطنيتنا ... يا بلدي الاعداء توجهوا ضدك، اصبحت نهبا للشر وغنيمة للاعداء ... نحن العرب لن نتحول عن حب فلسطين نجمة المدن ... » .

وحسب الخطة المرسومة اقيمت حفلة العشاء في ٢٧ نيسان (ابريل) ليتاح
للبعثة الصهيونية فرصة ابلاغ زعماء القدس اهدافهم ومقاصدهم في فلسطين (٦٨) ،
وقدم ستورز وايزمان للحاضرين ليزيل سوء الفهم الحاصل ، الذي ينتشر في القدس
وفي كل مكان حول الاهداف الصهيونية ، والقى وايزمان كلمة بعث ستورز نسخة منها
الى الخارجية وكانت في رأيه صريحة ولكنها « من وجهة نظر عربية عرض متطرف
لنظرية (العودة الى الارض) مع هذا التمييز البارع بان الارض مدار البحث ليست في
هذه اللحظة ملكا قوميا لهؤلاء الذين يقترحون العودة اليها ... » . اما من وجهة نظر
خطابية فالكلمة في نظر ستورز « لم تكن مؤثرة لا من حيث بلاغتها او من حيث سلامة
نطقها باللغة الانجليزية » . لم يكن في كلمة وايزمان جديد عن الخطة التي رسمها
سايكس في لندن ، بدأ حديثه عن السلام والانسجام والتعاون بين الفئات الممثلة (هنا)
حيث قام اجداده منذ عشرين قرنا لنشر رسالتهم ، وحيث يجتمعون الليلة في ظل اقوى
دول العالم . واعلن وايزمان انه وان كان قد ولد بعيدا عن هذه البلاد فليس عنها
بغريب « لا يصح القول باننا (قادمون) الى فلسطين بل نحن (راجعون) اليها ...
وغرضنا ان نحيي تقاليدنا المجيدة الماضية ونصلها بالمستقبل ، لنوجد منها نظاما
اخلاقيا فكريا ينشأ منه عالم جديد بدلا من العالم الرازح الآن تحت ثقل المصائب ...
وهذا هو جل المراد من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ... » وينتقل بعد ذلك الى
ما يمكن ان يحل من نعم على البلد بتحقيق الصهيونية التي تهدف الى ان « تخلق
الظروف المناسبة لليهود الراغبين في النزوح الى فلسطين ... ولن يكون ذلك مجحفا
بطائفة من الطوائف ، بل بالعكس لمنفعتها ، ففي البلاد مجال واسع يكفي اهلها ، ولو
بلغ عددهم اضعاف ما هم عليه الآن ... وقد برهن اليهود المستوطنون ان في وسعهم
تحويل اقفر الصحارى الى قرى مزدهرة حتى في ظل الحكم التركي ... ولو كان هذا
الشعب النشط الذكي المجتهد يعمل في ظل المدنية وتحت اشراف حكومة قوية عادلة
لا ريب انه سيحول فلسطين ثانية الى ارض تفيض باللبن والعسل ، وفوائد هذا
التحول سيتمتع بها كل السكان في البلاد على السواء » . وليبعد عن اذهان حاضريه
المخاوف التي تراودهم بسبب سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية ، نفى ان اليهود يرمون
الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد بعد الحرب، «وان كل ما يطلبه الصهيونيون
ان توضع السلطة العليا بيد احدى الدول الديموقراطية المتمدنة التي تختارها جمعية
الامم حتى يصبح اهل البلاد قادرين على حكم انفسهم، ولم يحدد وايزمان هذه الدولة،
ولكنه لمح الى ان الصهيونيين يعارضون نظام حكم دولي .

٦٨ — من تقرير ستورز حول وقائع الحفل ورفعه كلايتون في ٧ ايار (مايو) الى الخارجية . F.O. 371/3395/98470/11053.
ومن حضر الحفلة من اعضاء البعثة وايزمان ، ليفي ، الماجور روتشيلد ، ماجور اورمسبي غور ، ومن الزعماء العرب : المفتي ، موسى كاظم الحسيني (رئيس البلدية) اسماعيل الحسيني (مدير التعليم) عارف الداودي ، بورفيروس الثاني ارشدوق سيناء والسيد سلامة نائب رئيس البلدية (يمثلان البطريركية اليونانية الارثوذكسية والطائفة) ، ثم قسيس الارمن في القاهرة يمثل البطريركية الارمنية والطائفة والسيد ابو صوان يمثل اللاتين الكاثوليك ، ثم ليفتننانت كولونيل لورد بيرسي وستورز .

وتحدث وايزمان بعد ذلك باعجاب وعطف عن نضال العرب من اجل الحرية
والاستقلال « ... وان اليهود يرقبون مرة اخرى نهوض دولة العرب وقوة سلطتها
السياسية » ، ولكنه لا ينسى ان يحدد هذه النهضة في « هذا المثلث التاريخي بين مكة
بغداد دمشق حيث سيقوم نظام عربي سياسي قوي متحد سيعيد تراث العرب العظيم
في الادب والعلوم القريبة من علوم اليهود وآدابهم ... » . وبعد ان يتحدث عن الامة
الارمنية يتنبأ بان الشعوب الثلاثة لو تساندت معا لمقاومة الجور والظلم اللذين يهددان
العالم المتمدن فان « فلسطين ستصبح ثانية حلقة اتصال بين الشرق والغرب تترجم
الاول الى الثاني ... » ويرى ان شعبه هو خير من يوكل له القيام بهذه المهمة « لتصبح
فلسطين ينبوع العلوم والمعارف عن طريق جامعة يهودية في القدس تكون نبراسا للعلم
اجمع » ، ويطالب الحاضرين بان « تتاح للصهيونيين الفرصة للنمو نموا قوميا حرا...
وان يستثمروا الارض التي اهملت منذ زمن قديم وان يجروا على الطرق الحديثة في
ظل نظام اقتصادي عادل ... دون ان يؤذوا في كل اعمالهم ، سواء كانت زراعية او
فكرية ، جيرانهم ، بل سيساعدونهم نحو حياة اغنى واكمل » . ولذلك هو يناشدهم
ان لا يبخسوا قدر مساعدتهم ويذكرهم محذرا « رغم اننا لا نزال اقلية في فلسطين فان
عيون شعبنا المشتت في كل ركن من اركان الكرة الارضية تتركز على ما نعمل هنا ،
والطوائف اليهودية في الغرب لها نفوذها في مجالس الامم ... » . ولكنه يعرف ان
برنامجه لن يفلح « الا اذا انطلقت من القدس رسالة تعبر عن حسن النية وتعمل الكثير
من اجل تهدئة المخاوف والشكوك ... وتجلب الى الجماهير المتعبة من رفاقه الامل
بعالم جديد افضل » . ويذكر ستورز في تقريره انه شرح فحوى هذه الكلمة للمستمعين
الذين لا يفهمون الانجليزية (وهم الاغلبية) ، وان المفتي قد رد على الكلمة « بالسهولة
والكياسة التي يملكها متحدث بارع » ، معلنا سروره لسماع تصريح كامل ازال كثيرا
من الاعتقادات الخاطئة . وردد الحديث « لهم مالنا وعليهم ما علينا » ، وانه بثقته
التامة باخلاص تصريحات وايزمان يتطلع نحو تعاون مخلص مع الصهيونيين في التطور
المقبل في فلسطين .

بنى البريطانيون في المنطقة آمالا واسعة على نتائج هذا اللقاء فكتب اورمسبي غور
في تقريره الرابع عن البعثة الصهيونية في ١٩١٨/٥/٤ (٦٩) ، « رغم انه لا يزال هناك
قدر كبير من سوء الفهم في اذهان العرب المحليين حول اهداف وغايات الصهيونيين ،
فانا استطيع ان اكتب بثقة ان العلاقات بين العرب واليهود تظهر تغيرا واضحا نحو
الافضل ... » وكلايتون ، الذي رتب امر نشر خطاب وايزمان باللغات الثلاث باوسع
قدر ممكن ، كتب في تعليقه الذي ارفقه بتقرير ستورز (٧٠) : « ان السياسة الصهيونية
قد عملت الكثير كي تبدد عدم الثقة والشك اللذين كانت تنظر بهما الطائفة العربية —
المسلمة والمسيحية — الى الاماني الصهيونية » . ومع ان ستورز كان حذرا في تقييمه
لنتائج تلك الامسية الا انه يرى (٧١) « ... ان الكثير قد عمل، وسيتلوه عمل اكبر فيما

٦٩ — F.O. 371/3395/100176/11053 F.
٧٠ — F.O. 371/3395/98470/11053 F.
٧١ — F.O. 371/3395/98470/11053 F.

يتعلق بتبادل البرنامج الودي والصريح». وقد لاحظ ستورز «انالسوريينالحاضرين مسلمين ومسيحيين ، والذين هم تقريبا الاكثر تأثرا بالسياسة الصهيونية كانوا الاكثر استحسانا لكلمات وايزمان » . الوحيد الذي لم يكن له ثقة بنتائج ما حدث هو وايزمان نفسه ، فقد بعث رسالة شخصية الى صديقة القاضي برانديز في الولايات المتحدة في اوائل ايار (مايو) ١٩١٨ (٧٢) ، يشكو له البطء بتنفيذ سياسة التصريح مع ان الجنود البريطانيين ، كما يقول ، قد ابلغوا سكان المستعمرات اليهودية « انهم هنا كي يأخذوا البلد من الترك ويقدموها لليهود » . كما يشكو له ان جهاز الادارة في فلسطين هو بيد موظفي العهد السابق التركي ، وكذلك يعرض له تفاصيل مشروعه لتطوير الاراضي ، مع مشاريع اخرى ذكر انها ضرورية من اجل تطور البلد . وقد علق كلايتون ببعض ملاحظاته على هذه الرسالة التي بعث نسخة منها الى الخارجية في ٣ ايار بقوله : « ان وجود البعثة الصهيونية هو بحد ذاته دليل على الدعم الذي قدم للحركة الصهيونية ، وكان بالحقيقة سببا لانتقاد الفئات الاخرى ، التي رأت انها قد حرمتمن وجود منظمة مشابهة للدفاع عن مصالحها » .

ودبر لقاء آخر في ٨ ايار في دار الحكومة بيافا بين البعثة الصهيونية ووجهاء المدينة ، واعاد وايزمان ما قاله في القدس من انه ما جاء الا « ليزيل سوء التفاهم الحاصل بين الملة اليهودية والطوائف الاسلامية والمسيحية ... » وكرر نفس الحجج التي اذاعها في مصر والقدس تكرارا ، بلغ حد الملل والخمول باعترافه نفسه (٧٣) . وكان القاضي راغب ابو السعود البرهاني اكثر جراة من وجهاء القدس في رده : اذ بعد ان شكر وايزمان من اجل « العواطف الشريفة » التي ابداها اكد له « ان فلسطين ، واخص منها القدس الشريف ، هي كعبة ٣٥٠ مليون مسلم و ٧٠٠ مليون مسيحي و١٤ مليون اسرائيلي وهي مطمع انظار الجميع » ، كما اكد له ان عنصري الاسلام والنصارى سيعاملان مواطنيهم الاسرائيليين احسن معاملة ما دامت الامة الاسرائيلية قائمةبحقوق هاتين الامتين مطبقة هذه التصريحات على اعمالها . ثم وجه شكره الى بريطانيهالعظمى لانها ستكفل حقوق هذه الامم وتضمن سلامتها راجيا منها « ان يكون للمسلمين والمسيحيين من اهالي فلسطين مندوبون فيها حينما وحيثما تحصل مذاكرة بهذا الشأن ... » .

لقد دفعت المصاعب التي واجهتها البعثة الصهيونية منذ وصولها فلسطين السلطات البريطانية الى ايجاد خطط اخرى للتأثير على الشعب الفلسطيني عن طريق ممارسة ضغوط عربية من الخارج ، يمكن ان يكون لها نفوذها على الرأي العام . فبعثت في اعقاب البعثة الصهيونية لجنة سورية مؤلفة من رفيق العظم وسليمان ناصيف ومختار الصلح ، وصلت يافا في ١٩ ايار (مايو) بحجة التعرف على الحالة السياسية والاقتصادية وكتابة التقارير عن احتياجاتها الضرورية الى السلطات البريطانية ، واعطيت لها كل التسهيلات الممكنة من قبل السلطات العسكرية . وشغلت

٧٢ – F.O. 371/3395/98469/11053 F.

٧٣ – جريدة **فلسطين** (التي ينشرها الجيش البريطاني في فلسطين باللغتين العربية والانجليزية) ١٩١٨/٥/٦ .

اللجنة – كما تقول النشرة العربية (٧٤) « بمقاومة التخوف الطبيعي الذي كان يشعر به السكان ... حول الاهداف اليهودية والذي لم تزله خطب وايزمان المعتدلة والحذقة ... » . وبعد ان يذكّر رفيق العظم مستمعيه في خطبته في يافا امام الجمعية الاهلية بانهم امة ذات تاريخ عظيم ... وجمعياتنا ساهرة على مصلحة الامة يطمئنهم « ... اما المسألة الصهيونية فلا تهتموا بها وتنظروا لها بالمجهر بل بالعين المجردة لئلا تعيقكم عن نهضتكم لان فلسطين الآن لا يعلم مصيرها » (٧٥) وكانت كلمة سليمانناصيف اكثر اسهابا وتطمينا : فبعد ان شرح لمستمعيه قصة المفاوضات بين السوريين في مصر والسلطات البريطانية اثر الاحتجاج الذي قدموه الى السلطة العسكرية بعد تصريح بلفور خوفا من اقامة حكومة يهودية في فلسطين « افهمتهم السلطة ان الحكومة لن تكون يهودية وستراعي حقوق الاهالي» . كما شرح لهم تفاصيل المذكرة التي قدمتلمندوب الحكومة البريطانية في البعثة الصهيونية . واكد سليمان ناصيف لمستمعيه انه بعد اجتماعهم بالوفد الصهيوني « ارتحنا لما اظهره من ميل واهتمام لكل ما هو مصلحة اهل البلاد ... » وان الحكومة بدأت باجابة بعض طلباتهم بمنع بيع الاملاك مدة الحرب . ولا تزال المفاوضات مستمرة مع الوفد الصهيوني حول بقية المسائل ، وطمأنمستمعيه « ... ان فلسطين لن تصبح يوما ما يهودية بالكلية ... حيث ان الحكومة صرحت انها تعطف كثيرا على العرب وتهتم بحفظ حقوقهم الوطنية ... وانه مهما تكاثر اليهود في فلسطين لا تؤثر زيادتهم على مصير فلسطين السياسي بل يبقى التوازن محفوظا بينهم وبين الوطنيين ... » وبرأيه ان الدولة البريطانية ما دامت « صديقة العالم الاسلامي والعنصر العربي ، اساس حكمها العدل والابتعاد عن المحاباة ... لذا يلزم ان يطمئن بالنا ونزيل عنا المخاوف ونوجه افكارنا للجد والعمل » (٧٦) . لقد اعتقد اعضاء البعثة كما علقت على ذلك النشرة العربية ان هذه الزيارة كان لها تأثير مهدىء على الرأيالعام، وتقدموا الى الادارة البريطانية بعدة اقتراحات اقتصادية رأوا فيها علاجا للحالة السيئة في البلاد منها تقديم المعونة المالية لازالة الاضطراب التجاري وتهيئة فرصة جيدة للموسم الزراعي القادم .

ولكن يبدو ان الموقف في فلسطين لم يتغير ، اذ ان وايزمان لا يزال يشكو من المصاعبالتيتواجه بعثته فيرسالته المطولة التي بعثبها الى بلفور في ١٩١٨/٥/٣٠ (٧٧) يستحث فيها الخطى لتنفيذ تصريح بلفور ويعرض فيها نظرته الحقيقية للعرب ، ومدى تقبلهم للبرنامج الصهيوني ، بصورة مناقضة تماما لما قاله في حفل العشاء في ٢٧ نيسان (ابريل) بعيدا عن (جو التآلف والانسجام) الذي تحدث عنه سورز . فيصور (لعزيزه بلفور) انهم قد وجدوا في وضع غير ملائم تماما لعملهم ، فقد وصلوا فلسطين في وقت كانت تجري فيه احداث خطيرة على الجبهة الفرنسية مع ما رافق ذلك من شائعات ودعايات للاعداء ، ولان العرب كما يقول « يتمتعون بسطحية الذكاء والفطنة

٧٤ – Arab Bulletin, 4.6.1918.

٧٥ – وقد اوردت **الكوكب** ١٩١٨/٦/٤ تفاصيل اعمال اللجنة السورية في فلسطين .

٧٦ – **الكوكب** ١٩١٨/٦/٤ وفي ٢٥ حزيران (يونيو) بعث سليمان ناصيف يصحح بعض العبارات .

٧٧ – F.O. 371/3395/125475/11053

ويعبدون شيئا واحدا هو القوة والظفر ... » . فقد عمدت السلطات البريطانية في المنطقة التي تعرف « طبيعة العربي الغدارة » الى الحرص بدقة على ان لا يحدث ما يسبب الاساءة الى العرب ، أو يدفعهم الى التذمر ، او بمعنى آخر ، حتى لا يضربوا الجيش من الخلف ، ولذلك « فان العربي الذي يسارع عادة في تقدير مثل هذا الموقف ، حاول ان يستغله الى ابعد الحدود ، يصرخ اكثر ما يمكن ويبتز اكثر ما يمكن » . واول صرخة ذكرها وايزمان الى (عزيزه بلفور) هي « لما اعلنت تصريحك ، اذ ألصقوا به كل انواع التفسيرات الخاطئة وسوء الفهم ، قالوا ان الانجليز سيعملون على تسليم العرب (المساكين) الى اليهود الاغنياء الذين ينتظرون جميعا في اعقاب جيش الجنرال اللنبي ، على استعداد للانقضاض كالنسور على غنيمة سهلة وطرد كل شخص من الارض ، وعزز وكلاء الالمان هذه الافكار ، والدعاية المضادة للصهيونية قد انقلبت لتصبح معادية لبريطانيه » . ويثني وايزمان على المساعدة والرعاية اللتين تلقاهما من السلطات البريطانية في مصر وفلسطين اذ مكنه ذلك من « مواجهة وضع صعب ومعقد للغاية بشجاعة وثقة ... » وهو على ثقة بان « التاريخ سوف يسجل اعمالهم بين احسن منجزات السياسة البريطانية » . ولكنه يرى ان جهودهم لتخفيف المخاوف والشكوك قد نجحت تماما في كل الحالات التي تهم الناس الاذكياء ذوي الافكار المعتدلة ، ولكنها طبعا كان مقدرا لها الفشل في غالبية الحالات لان الغالبية لا ترغب في ان تقتنع » .

ويتعرض وايزمان بالنقد لهذه الادارة البريطانية التي لا تتلاءم مع خطط الصهيونية لمستقبل فلسطين ، او بالضبط مع الطرق والوسائل التي يمكن بها تنفيذ الوطن القومي اليهودي ، نظرا لانه يوجهها مبدأ اساسي وضعه ميثاق لاهاي بالحفاظ على الوضع القائم . ولذلك يشكو وايزمان بان « المناصب الادارية يشغلها الموظفون العرب السوريون الذين لم يغيروا عقليتهم مع تغير السيد ... هؤلاء الموظفون ، فاسدون غير اكفاء يتأسفون على الايام الماضية لما كان (البقشيش) الوسيلة الوحيدة لتسوية الامور الادارية ... وحين كانوا يعملون تحت السوط » . ويأسف وايزمان لان الانجليز يطبقون الاساليب الاوروبية في علاقاتهم مع هؤلاء الناس الذين لا يمكنهم فهم هذه الاساليب ، ويفسرونها ببساطة على انها ضعف وبرهان على مدى خوف الانجليز من السكان المحليين ، اذ انه « كلما كان النظام الانجليزي اكثر عدلا اصبح العرب اكثر غطرسة » . وبرأيه « ان الموظف العربي يعرف لغة وعادات واساليب البلد ... ولذلك يتميز على الموظف الانجليزي (العادل) (نظيف الفكر) ، الذي ليس له معرفة بحدة ذهن وحيل العقلية الشرقية ، فالانجليز اذن يديرهم العرب » . وهذه الحالة بنظره قد جعلت الادارة معادية لليهود الذين بدأوا يشعرون باليأس والمرارة ، لان « البريطانيين قد صادقوا على نظام حكم كان من المفروض ان يمحى في الحال ... » . ووايزمان ينكر على الادارة البريطانية ، في محاولتها تنظيم العلاقات بين فئتي السكان والتمسك بالمبدأ الديمقراطي الذي يأخذ بعين الاعتبار القوة العددية النسبية ، ويأتي بحجة غريبة « فالاعداد القاسية تعمل ضدنا لان هناك خمسة من العرب مقابل يهودي واحد ... والنتيجة ان اليهود قد سلموا عمليا لايدي العرب...وهذا النظام لا يراعي

ان هناك فرقا نوعيا اساسيا بين اليهودي والعربي ... وقد رأى التركي ، نظرا لانه ذو ثقافة ادنى ، ان اليهودي يتفوق عليه وعلى العربي لذلك احتل مكانا في البلد ربما لا يتناسب مع قدرته العددية ... » وتهمة النظام الحالي بنظر وايزمان « ... انه يميل على العكس لينزل من مستوى اليهودي سياسيا الى منزلة مواطن ... وفي حالات كثيرة ينظر الاداري الانجليزي ... الى اليهودي كغيره من المواطنين » .

وتهمة اخرى يكيلها وايزمان الى الاداري العسكري ، هي انه لا يزال يعطي بعض الاهمية لقيمة العربي الحربية ، ولذلك لا بد من تذكيره بأمر لم يعرفه وهو « اننا نحن نمثل قوة ، ورغم انها لا تقيّم بالبنادق ، لها قيمة حربية كبرى ، وقيمة اكبر في السلم » . ان ما يريد وايزمان ان يوضحه لبلفور « هو ان عواطف العرب المتشككة والمخادعة هي على المدى الطويل ادنى بكثير من السياسة الواعية المدروسة جيدا لغالبية الشعب اليهودي التي ترى في فلسطين اليهودية تحقيقا لآمالها وامانيها ، ورأت في تصريحك بداية لهذا التحقيق » . انه يستبعد امكانية خلق فلسطين العربية ، رغم ان تطور الوضع الحالي قد يميل نحو هذا الهدف ، لان « الفلاح العربي متخلف عن عصره بأربعة قرون والافندي (المستفيد الحقيقي من النظام الحالي) ليس امينا ، ولا متعلما، وهو طماع، كذلك تنقصه الوطنية والكفاءة». هذه الصورة القاتمة التي يعطيها وايزمان عن العرب وحثه الحكومة على وضع التصريح موضع التنفيذ ، لم تمنعه من ان يعيد التأكيد ثانية انه كان يعني باخلاص ما قاله في القدس حول نواياه تجاه العرب : « وانه ليس لليهود رغبة او حاجة في استغلال العرب او ان نحل بدلا منهم ، يوجد هكتارات تكفي لنا كي نطورها دون ان نتعدى على حقوق السكان العرب في فلسطين » . فمشكلة العلاقات مع العرب الفلسطينيين هي اقتصادية بنظره وليست سياسية ، « اذ ان مركز الثقل العربي من الوجهة السياسية ليس فلسطين بل الحجاز ، انه في الحقيقة المثلث القائم بين مكة ودمشق وبغداد » ، ويشير وايزمان بذلك الى زيارته المرتقبة لفيصل ، حيث يأمل ان يقيم معه حلفا سياسيا حقيقيا ، اما الضروري مع عرب فلسطين فهو بنظره « علاقات اقتصادية صحيحة ... ستكون جوهرية بالنسبة لمصالحنا كما هي بالنسبة لمصالح العرب الفلسطينيين » . هدف وايزمان في شرح هذه الظروف كلها ان يبين لبلفور ان الحفاظ على مبادىء الوضع القائم لا يلائم ، تنفيذ تصريح الحكومة لصالح الوطن القومي اليهودي . والمسألة تتوقف كلها على ما يعنيه الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ويعطي مثلا على ذلك القدس « فهل احتلال القدس يعني فقط احتلال مدينة شرقية حقيرة ، او هو نقطة البداية لعصر ستقترب القدس الحقيقية فيه من الهدف المثالي » . ولا ينسى وايزمان في نهاية رسالته ان يؤكد على قوة اليهودية العالمية في مؤتمر السلم المرتقب من اجل اتخاذ قرار بجانب المصلحة البريطانية ولكنه يشترط : « ... ان موقف الشعب اليهودي سيتوقف على التطور الذي يتحقق في البلد بين هذه الفترة وعقد مؤتمر السلم ... بمعنى آخر على منجزات البعثة الصهيونية ... او حين يعرف الشعب اليهودي انه خلال فترة الاحتلال البريطاني قد وضعت اسس الوطن القومي » .

ارفق وايزمان برسالته عددا من القضايا التي يمكن للبعثة ان تعالجها خلال فترة

الاحتلال العسكري ، والتي تحتاج الى تعليمات سياسية تصدر عن بلفور نفسه . القضية الاولى : انشاء الجامعة العبرية ، التي هي بنظره ذات اهمية بعيدة المدى وكان قد تحدث بها مطولا مع بلفور قبل مغادرته لندن، وكانت هذه القضية سببا في الشكاوى التي وجهها سوكولوف باسم المنظمة الصهيونية في لندن الى مارك سايكس في ٥/٢٤/ ١٩١٨ (٧٨) ، بحجة ان البعثة الصهيونية تلاقي المصاعب في وجه اهم مهامها الرئيسية لعدم وجود تعليمات محددة الى السلطات من قبل الحكومة ، مع انه ــ كما يقول سوكولوف ــ كانت التعليمات التي وجهت الى اورمسبي غور « ان البعثة ستتوجه الى مصر وفلسطين لوضع حجر الاساس للجامعة العبرية في القدس تحت رعاية الحكومة البريطانية » وكانت حجة كلايتون في ممانعته البدء بعمليات الانشاء ، كما جاء في رسالته الى وايزمان في ١٩١٨/٤/٩ (٧٩) « ان مبدانا ان لا نصادق على اي عمليات شراء او نقل اراضي لانها قد تؤدي الى مسائل شائكة وتضر بعملك في المستقبل » . وكان لا بد من صدور تعليمات محددة من قبل الحكومة الى القيادة العامة حتى تتم عملية نقل الموقع ، وبالفعل وجه مارك سايكس الى كلايتون برقية في ٣٠ ايار (مايو) (بنفس اليوم الذي بعث به وايزمان رسالته) يعلمه فيها انه « لو لم يكن لتلك السلطات العسكرية اعتراض فيجب تسهيل نقل الارض في الحال ووضع حجر الاساس قبل مغادرة وايزمان » (٨٠) .

القضية الثانية التي يشير اليها وايزمان : هي تسليم حائط المبكى الى اليهود (ذلك الحائط الذي يعتقد انه جزء من جدار الهيكل القديم) ، ويعتبر بنظره اكثر الآثار اليهودية قداسة ، ويحاول وايزمان ان ينقل الى بلفور الوضع البائس لهذا الاثر والذي يكوّن برأيه « مصدرا للتحقير الدائم ليهود العالم » . وما يطلبه ان يعطيه مظهرا محترما ومبجلا ، ويشكو من ان السلطات البريطانية في المنطقة ، رغم موافقتها على وجهة نظره ، الا انها تخشى ايذاء المشاعر الاسلامية . ومع قناعته ان بامكانه الوصول الى تسوية ودية مع المسلمين ، الا انه يرغب من بلفور ان يعالج الامر باسرع ما يمكن « ... لان التسوية المرضية لهذا الامر ستعني نجاحا بالغا لهيبتنا ، انها ستجعل العالم اليهودي يتحقق تماما ، ماذا يعني نظام حكم بريطاني في فلسطين » . والقضية الثالثة التي تقدم بها هي مشروع الاراضي وارفق بمذكرة خاصة حول هذا المشروع

٧٨ ـ F.O. 371/3408/130458/936887
كان الموقع المقرر للجامعة على جبل الزيتون ملكا لشخص انجليزي من ليفربول اسمه سير جون غراي هيل الذي اشتراه كي يصبح موقعا للجامعة العبرية وبدأت اجراءات بيعه للمنظمة الصهيونية منذ تاريخ سابق للحرب . والموقع كما تقول جريدة فلسطين (التي يصدرها جيش الاحتلال البريطاني) اول آب (اغسطس) ١٩١٨ هو نفس الموضع الذي حارب فيه الامبراطور تيطس الروماني قوات اليهود منذ ١٨ قرنا ونصف وتغلب عليها .

٧٩ ـ كانت الطائفة اليهودية في القدس قد احتفلت باستقبال وايزمان في موقع الجامعة العبرية على جبل الزيتون .

٨٠ ـ جاءت تعليمات اخرى من الخارجية بتاريخ ١٥ تموز (يوليو) « بان قوانين الاراضي في فترة الحرب لا يجب ان تمنع نقل الارض ... انتهت الاجراءات مع عائلة غراي هيل في لندن ... من الجانب السياسي لا بد من احتفال يؤكد استهلال الجامعة العبرية » .

الذي هو قيد الدراسة لدى السلطات في فلسطين . وقد عرض وايزمان الخطوط العامة للمشروع : ان فلسطين الجنوبية عدا بعض الاستثناءات ، اراض غير مأهولة عمليا ومع انه يتوقع ان تقوم دعاوي كثيرة حول حقوق ملكية في هذه الاراضي التي يرى ان اكثرها له صفة وهمية ، الا انه يعد بان يعوض على اصحاب الدعاوي الحقيقية ، وان لا يطرد شخص من ارض مزروعة ، الا انه يرى ان المشروع لا يمكن ان ينفذ دون التخلي عن نظام الملكية والزراعة الحاليين نظرا لوجود مساحات كبيرة من الاراضي الخصيبة بدون زراعة او بانتاج اقل من امكانياتها ، بينما يعاني العالم وفلسطين خاصة من نقص في المواد الغذائية . ثم ان الفلاح يملك مساحة ارض تفوق قدرته على زراعتها بشكل مناسب او على حد قوله « ان جائزة توضع للكسل وعدم الكفاءة ... » ويبين وايزمان اهمية هذا المشروع من اجل تنفيذ ناجح للسياسة التي اعلنها بلفور في تصريحه . وبرايه انه « لو سمح لنا القيام بهذا المشروع ، فنحن سنعرف ، وكذلك كل يهود العالم ، ان اساس الوطن القومي قد وضع حقيقة » .

لم يشأ بلفور ان يبعث بجواب الى وايزمان الا بعد ان تلقى تقريرا وافيا عن الوضع الراهن فيما يتعلق بالبعثة من كلايتون في ١٦ حزيران (يونيو) (٨١) ، وكان هذا لا يزال يرى ان العرب في الوقت الحاضر ينظرون الى كل حركة بشك بالغ ، ومع ان هذا ليس امرا خطرا في الظروف العادية ، الا ان الوضع العام يقتضي الاقلال ، الى ادنى حد ممكن ، من مجال الدعاية العدائية بين العرب ككل » . ويرجع كلايتون هذا العداء ــ كما كانت تصوره الصهيونية دوما ــ الى عوامل اجتماعية اقتصادية لا الى شعور قومي . كان يعتقد ان طبقة الزعماء والافندية الذين يريدون ان يضمنوا لانفسهم الوظائف الحكومية يرون ان الادارة التي يسود فيها اليهودي الاكثر ثقافة وذكاء ، تقلل امامهم الفرص للحصول على الوظيفة ، ولذلك لن يضيعوا جهدا لتحريض الفلاحين لاتخاذ موقف معاد نحو اليهود ، « ليس من الصعب عليهم ان يقنعوا السكان الجهلة والسذج ان الصهيونية هي كلمة مرادفة لسرقتهم من اراضيهم وحتى من وسائل عيشهم » . وما دام العداء بنظره يعود الى عوامل اقتصادية واجتماعية . لذا « لو نفذ البرنامج الصهيوني حسب الخطوط التي وضعها وايزمان فانا اعتقد انه خلال فترة قصيرة ستختفي نسبة المعارضة الحالية حين تجد الغالبية الكبرى من السكان الزراعيين نفسها وقد استفادت من التطور الذي انتجه العمل اليهودي » . ويرسم كلايتون بعد ذلك برنامج العمل البريطاني لصالح الصهيونية ، « اذ ان التقيد الصارم في مناطق العدو المحتلة بالمبادىء الموضوعة في (قوانين واعراف الحرب) يتضارب مع اي تطور للسياسة الصهيونية » وهو يرى ان هناك حلين : اما ان يؤجل كل تطور حتى تحل الادارة المدنية الدائمة محل الادارة العسكرية الحالية ، او ان يجري التقيد بالمبادىء التي تتضمنها (قوانين واعراف الحرب) الى الحد الذي لا تحول فيه دون التطور التدريجي المعقول للآراء التي تكمن وراء تصريح بلفور . وتنبأ كلايتون بالنتائج التي سيحدثها الحل الاول ، انها « خيبة امل قوية بين كل الصهيونيين ، كما ستعاني الحركة نفسها نكسة خطيرة ، وقد يتضمن رحيل البعثة الصهيونية من فلسطين ، وتراجع

٨١ ـ F.O. 371/3395/130342

وايزمان عن مركزه كزعيم للصهيونية الموالية لبريطانيه ، وسيشكل ذلك ضربة للهيبة البريطانية ، ويقدم لدول الوسط فرصة مؤاتية بالنسبة لمركزها تجاه اليهود » . ومن جهة اخرى فهو لا يرى اعتراضات كبيرة لو وضع تفسير (مرن نوعا ما) للمبادىء التي تتضمنها « قوانين واعراف الحرب » ويشرح ذلك ببساطة : « لو منحت السلطات درجة معقولة من حرية العمل ، فلا يوجد ما يمنع ادخال تغييرات بسيطة ترضي الرأي الصهيوني كثيرا وتتجنب الاساءة الى مشاعر الطوائف الاخرى » . وهذا يمكن تأمينه « بان اي امتياز يمنح لطائفة ما يمكن ان يوازن بسهولة بامتيازات مماثلة للآخرين ... وبذلك يتم التطور التدريجي دون ان يسبب انقساما او استياء » .

ثم ينتقل كلايتون الى الاقتراحات المحددة التي قدمتها البعثة الصهيونية كي تضعها امام الرأي الصهيوني العالمي ، الذي سيكون « قوة حقيقية في مؤتمر السلم » . ويبحثها كلا على حدة ، مع ردود الفعل التي يمكن ان تثيرها في البلاد . فبالنسبة للبدء بمشروع الجامعة العبرية ، لا يرى اي صعوبة في ذلك اذ ان المشروع قد بحث في فلسطين ببعض الحرية ولم يسبب اي نقد او معارضة (٨٢) . اما بالنسبة الى الاقتراح الثاني ، الذي يعرض التعاون الصهيوني في مشروع زراعي واسع يتناول مساحة تقرب من ٢٥٠٫٠٠٠ هكتار من اراضي الدولة والاراضي المهملة او الاراضي المزروعة جزئيا من قبل اصحابها ، وذلك تحت اشراف وتوجيه عسكريين ، فيرى كلايتون ان الاراضي غير المأهولة والمهملة ، لا تسبب صعوبات كبرى ، واراضي الدولة التي يستأجرها المزارعون او الاراضي التي هي بيد ملاكين غير قادرين على زراعتها الى الحد الكامل ، ستؤخذ منهم مقابل تعويضات سخية خلال فترة المشروع ، دون التعرض الى شرعية حقوق الملكية ، وتتولى البعثة الصهيونية تقديم الرأسمال الضروري الى حد اقصى هو ٥٠٠٫٠٠٠ استرليني ، وتأمين النباتات الزراعية والخبراء الزراعيين (٥٠٠ — ٦٠٠) . وفوائد المشروع كما تراها البعثة الصهيونية هي اولا : تحسين الشروط الزراعية في البلد . ثانيا : تقديم المشروع في نهاية تنفيذه دليلا واضحا على فوائد الاساليب العلمية الزراعية بحيث « ان السكان المحليين الذين سيكسبون منه كثيرا ، سيميلون الى الترحيب بالاستيطان اليهودي بشكل لا يمكن ان يتوقع منهم اليوم ، وسيزول بذلك احد العوائق الكبيرة التي تقف في طريق شراء الاراضي من قبل المنظمات الصهيونية وتوسيع المساحات المستوطنة حاليا . وفائدة ثالثة هي ان تحول لها بعد انقضاء فترة المشروع ملكية الاراضي المهملة او غير المأهولة والتي تقع ضمن حدود المشروع وتشكل بذلك نواة تطور زراعي اوسع في فلسطين » . ويرى كلايتون انه لا مانع من التوصية بالمشروع على اسس عملية من اجل زيادة الانتاج الغذائي ، ولكن من وجهة نظر سياسية سيثير البدء بمشروع الاراضي على هذا المقياس الواسع ، الذي يأخذ فيه اليهود الدور القيادي ، سيثير مخاوف السكان المحليين . لذا يقترح تغطية بارعة للصفة الصهيونية للمشروع باعطائه الصفة العسكرية قدر المستطاع ، وان يدعى الى جانب الصهيونيين متعهدون من الفئات الاخرى ، كالزعماء العرب مثلا ، اذا كان لديهم استعداد للتقدم

٨٢ — كان هذا يخالف رأيه في رسالته الى وايزمان ٩ نيسان (ابريل) وربما غير موقفه بضغط من مايكس.

والموافقة بشروط مناسبة ، ويعمل الفريقان جنبا الى جنب وتحت اشراف السلطات العسكرية ، بحجة ان المشروع ضرورة عسكرية لزيادة الانتاج وتحسن الزراعة .

اما الاقتراح الثالث المتعلق بالحصول على ملكية حائط المبكى في القدس والاراضي المجاورة له ، لغاية صحية وقيمة معنوية كما يذكر الصهيونيون فيتوقع كلايتون مصاعب كبيرة لهذا الاقتراح فحائط المبكى يقع الى جوار منطقة جامع عمر ، والممتلكات التي تقع مباشرة امام حائط المبكى منوطة بالوقف المراكشي ، ولذلك فاي « محاولة من جانب اليهود للحصول على ملكية الموقع ربما تثير موجة احتجاج ، تستغلها دعايات الاعداء » . ويشير كلايتون الى ان الحاكم العسكري قد فاتح المفتي بشكل خاص ، وكان يعارض تماما اي محاولة تجري في (الوقت الحاضر) (٨٣) ، فالمسألة تبدو بنظر كلايتون دقيقة للغاية وهو يرى « ان عملية التملك كان بالامكان ان تتم بسهولة وهدوء بدفع مبلغ سخي دون ان تثير انتقادا واسعا في العالم الاسلامي ... » وحسب ما فهمه « فان احد الاهداف الرئيسية لافراد البعثة الصهيونية في الحصول على الموقع هو استخدامه كاعلان ودليل على ما استطاعوا عمله للصهيونية منذ وصولهم الى فلسطين » . الا انه يرى رغم الفوائد من وجهة النظر الصهيونية « فمن غير المرغوب اتخاذ اي اجراء حول هذا الامر في الوقت الحاضر ... ويمكن النظر به ثانية عند ظهور فرصة مؤاتية في المستقبل » .

النتيجة العامة التي يستخلصها كلايتون من هذا العرض للوضع الراهن في البلاد منذ وصول البعثة : « ان اي تطور حقيقي للآراء التي يعتقد الصهيونيون انها تقع في جذور تصريح حكومة جلالته ، يستلزم توسيع مقياس المعاملة التمييزية لليهود في فلسطين ، وربما تثير قدرا من الاستياء والقلق لدى الفئات الاخرى ذات المصلحة ، تستفيد منه دعايات الاعداء ... » ولذلك ينصح « بان التمييز الحكيم والتوافق الحريص لمصالح كل الفئات على السواء سيعمل كثيرا على التقليل من هذا الخطر » ، ولكن لا يمكنه ان ينفي حقيقة وجوده ، لقد كان واثقا « ان الصهيونيين يرون ان تصريح حكومة جلالته لا يعني شيئا ان لم يتلق اليهود امتيازات اضافية على يد الادارة الحالية » . لقد امل كلايتون في رسالته هذه ان يتمكن بلفور بمقارنتها مع رسالة وايزمان في ٣٠ ايار (مايو) ، تحديد المدى الذي يجب ان يصله تطوير السياسة الصهيونية في فلسطين في الوقت الحاضر ، واصدار تعليمات عامة لوضع الخطوط العريضة التي يجب على الادارة العسكرية اتباعها في هذه المسألة الهامة .

وجاءت رسالة بلفور الى وايزمان في ٢٦ تموز (يوليو) (٨٤) حذرة ، مع كل ما فيها من تقدير واعجاب وتعاطف مع الجهود التي بذلها وايزمان لشق طريقه « وسط التيارات المتضاربة » ، فالطريقة التي واجهت بها البعثة هذه المصاعب ، والتي هدأت الشكوك المتنازعة ، والاستياء لدى العناصر المختلفة ، قد اضافت برأي بلفور « تقديرا

٨٣ — برأي كلايتون ان هذا التصرف من جانب المفتي يرجع الى انه « ربما كان يخشى ان تحل على رأسه غضبة العالم الاسلامي لو قصر في احتجاج قوي » .

٨٤ — F.O. 371/3395

جديدا لمهارة وايزمان السياسية وبراعته » . وفيما يتعلق باقتراحاته المحددة فقد ابلغه ان الترتيبات قد اعدت لاقامة الجامعة اليهودية على جبل سكوبس وهذا برأي بلفور « سيكون دليلا واضحا للعالم بان عصرا جديدا قد استهل في فلسطين » (٨٥) . اما بالنسبة لحائط المبكى فيرى بلفور ان تدخل الحكومة سيزيد المصاعب ، واوصاه بان يسير في الامر تدريجيا وبطريقة مباشرة مع السلطات الاسلامية صاحبة العلاقة . اما عن مسألة الاراضي فمع تقديره للاسباب التي دفعت وايزمان الى اقتراح مشروع كهذا قبل عقد السلم ، الا انه لا يزال يرى ان البدء بمسألة معقدة ودقيقة كهذه في المرحلة الحاضرة هو امر سابق لأوانه .

٥ ـ سياسة الالتقاء الصهيوني مع زعامة الثورة العربية ونتائجها :

لم تؤد تجربة البعثة الصهيونية في فلسطين الى النتائج المرجوة التي رسمت لها، بل على العكس عمقت شعور الاستياء الذي سبقها ، وكان ما تخشاه السلطات العسكرية في الشرق بوجه خاص ، وتعتبره خطرا على الوضع العسكري ـ كما صور ذلك كلايتون في رسالة الى بلفور ١٦ حزيران (يونيو) (٨٦) « ان ينتقل شعور الاستياء في فلسطين ، عن طريق البدو في المناطق الجنوبية الشرقية الذين يقاتلون مع الشريف فيصل ، الى العرب الذين يدعمون بفعالية العمليات العسكرية ، ويهم الترك كثيرا ان يكسبوهم الى جانبهم » . وكان لا بد من توجيه الانظار الى منطقة ابعد الى الشرق ، ورسم خطة جديدة بتدبير لقاء بين الحركة الصهيونية والقائمين على قيادة الثورة العربية التي تشكل الجناح الايمن للقوات البريطانية في الشرق التي يهمها ان يظل هذا الجناح مصدر قوة (٨٧) ولذلك وخوفا من حدوث صدام متوقع يؤثر على المصالح البريطانية ، فان الموقف المتعاطف لملك الحجاز وفيصل سوف ينجح كثيرا في تنسيق

٨٥ ـ تصف برقية كلايتون من القدس في ١٩١٨/٧/٢٥ الاحتفال الذي اقيم بوضع الحجر الاساسي للجامعة العبرية في ٢٤ تموز (يوليو) امام حشد كبير . فقد وضع ١٢ حجرا اساسيا تمثل قبائل اسرائيل الاثنتي عشرة ، وحضر الحفلة القائد العام وممثلو القوات الفرنسية والايطالية والضباط الكبار ، وكبار يهود مصر ورؤساء الطوائف المتعددة بينهم مفتي القدس ومطرانها اللذان شاركا بوضع حجرين من الاحجار الاثني عشر ، وقد تليت برقيات التهنئة من الحكومتين البريطانية والفرنسية وكانت برقية بلفور التي ارسلها منذ ٢٠ تموز على النحو التالي « ارجو ان تقبلوا تمنياتي القلبية لمستقبل الجامعة العبرية على جبل سكوبس آمل ان تحقق هدفها النبيل بنجاح متزايد على مر السنين ، اقدم التهاني الحارة لكل الذين عملوا باجتهاد لانشاء مدرسة العلم هذه ، التي ستكون اضافة الى عوامل التقدم في كل انحاء العالم » وقد القى وايزمان خطابا بين فيه اغراض الجامعة وما يرجى منها من النفع . ونقلت جريدة **فلسطين** (التي يصدرها الجيش البريطاني) ١٨ آب (اغسطس) نص خطاب وايزمان حول اهمية الجامعة التي ستكون « مبعثا » للحياة اليهودية القومية « وستكون اللغة العبرية هي لغة الجامعة على ان يدرس الى جانبها لغات اخرى كما اعلن انه سيرحب بغير اليهود من طلاب العلم . وختم خطابه بذكر العلوم والفنون المقصود تدريسها وقد اختتمت وقائع الحفل بنشيد هاتيكفاه (الامل بالعبرية) ونشيد « الله يحفظ الملك » ... » .

٨٦ ـ F.O. 371/3381/123868/1467

٨٧ ـ F.O. 882/14 Arab Bureau Papers عبر عن ذلك Warland في تقرير للمكتب العربي تموز (يوليو) ١٩١٨ . انظر ص ٥٧٤ .

السياستين الصهيونية والعربية ، هذا ما قاله كلايتون في برقيته الى الخارجية ٢٦ ايار (مايو) . وبالفعل كان « قد تم بحث وتحديد الاتجاه السياسي للبعثة الصهيونية تجاه الحركة العربية في مؤتمر حضره جنرال كلايتون وكولونيل ديدس ولورانس والماجور اورمسبي غور ووايزمان » (٨٨) . وانطلقت هذه السياسة من عدة فرضيات، اولها ان مركز الثقل في الحركة العربية هو المثلث القائم بين مكة ودمشق وبغداد ، وقد رأوا فيما بعد (حين ركزت الاضواء على فيصل) ان هذا المركز يجب ان يتحرك شمالا الى سوريه الشرقية . وكما شرح اورمسبي غور ذلك في وقائع الاجتماع السابع عشر للبعثة الصهيونية « انه في هذه المنطقة فقط التي مركزها دمشق ... يمكن ان توجد امة حقيقية وشعب حقيقي » (٨٩) ، بل ان وايزمان وجد ان المسألة الفلسطينية يمكن عزلها في حالة انشاء حلف سياسي مع قادة الحركة العربية في الشرق (٩٠) . ثانيها وجود عنصرين متميزين في المنطقة العربية بينهما فجوة عميقة ، الاول يمثله السوريون الغربيون ... الذين قد اصبحوا مشرقيين (Levatinized) وهم بنظر اورمسبي غور عنصر فوضوي هدام تنقصه الامكانيات البناءة (ويشبه ذلك ما لاحظوه في فلسطين)، ليس له حضارة اصيلة، عاش على حضارات غربية متعاقبة، تنقصه المثالية السياسية والعسكرية والروح القومية التي يعبر عنها العنصر الآخر الذي يمثله فيصل ورجاله (رغم انه يحوي عنصرا من الفئة الاولى) ، ومن وجهة نظر يهودية كما يقول اورمسبي غور « ... فان اليهود لديهم كل شيء ليكسبوه بتعزيز ومساعدة الحركة العربية التي يمثلها فيصل ، وليس لديهم شيء ليكسبوه بمساعدة حركة السوريين الغربيين » . والفرضية الثالثة ان مسألة العلاقات مع الشعب الفلسطيني هي اقتصادية فقط ، ويمكن التوصل الى حل لها مع تحسن الاوضاع الاقتصادية ، وفرضية اخيرة جاءت في تقرير اورمسبي غور في ٢٧ آب (اغسطس) وهي ان « الشرفاء لا يهمهم امر عرب فلسطين كثيرا » .

وانطلاقا من هذه السياسة بدأ وضع الحركة الصهيونية بمواجهة الحركة العربية بعد ان مهدت لها مساعي كلايتون وهوغارت ولورانس لدى الحسين وفيصل ، بتقديم عبارات عامة للتحقق من مشاعرهما تجاه السياسة الصهيونية . ولم يكن موقف الحسين تجاه البرنامج الصهيوني واضحا من وجهة النظر البريطانية . كل ما عبر عنه حتى الآن ، كما شرح ذلك كلايتون (٩١) ، « انه مستعد ان يعترف بحقوق اليهود كمواطنين في اي دولة عربية يمكن ان تقام بعد ذلك » . اما عن رأيه بوجود اليهود الحاليين في فلسطين فقد ورد في مقال في جريدة القبلة تحت عنوان « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها » في العدد ١٨٣ (١٣ شعبان ١٣٣٦ ، الموافق

٨٨ ـ جاء هذا الخبر في وقائع الاجتماع السابع عشر للبعثة الصهيونية وقام كلايتون في ٢٩ حزيران (يونيو) بحذفه مع مقاطع اخرى قبل ان يرفع الى مكتب المنظمة الصهيونية في لندن بحجة انها تحوي معلومات غير مرغوب في ارسالها . F.O. 371/3395/137853.

٨٩ ـ F.O. 371/3395/125475/11053

٩٠ ـ رسالة وايزمان الى بلفور ٣٠ ايار (مايو) .

٩١ ـ جاء ذلك في رسالة كلايتون الى الخارجية ١ تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ . F.O. 371/3395/105824/27647

٢٤/٥/١٩١٨) (٩٢) كتب تعليقا على مقال آخر ظهر في المقطم في ٣ ايار (مايو) حول المستعمرات الاسرائيلية . وكانت غاية مقال المقطم « ... اطلاع ابناء البلاد الوطنيين على نتيجة سعي الاسرائيليين واجتهادهم وتعاونهم فيستفيدوا من ذلك ما يبعث فيهم النخوة الوطنية ويحرك هممهم للاتحاد والتعاضد والنسج على منوال الاجانب في استثمار الارض واستخدامها فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع والثروة » . ويعقب مقال القبلة على ذلك بان هذا الموضوع الاجتماعي يهم كل العرب والشرقيين وليس الفلسطينيين « ... انه يرى في وجود الاسرائيليين في فلسطين دافعا لتوليد مادة الاقتباس في البلاد ، وازاء فكرة المجاراة والتحدي بين ساكنيها والمهاجرين اليها ... » وخاصة ان اهالي فلسطين يتمتعون بميزات كبيرة في مضمار السعي والاجتهاد بدليل من هاجر منهم الى الخارج . والكاتب يعجب من هجرة ابناء فلسطين عن بلادهم بينما « نرى اجانب الاسرائيليين ينسلون اليها من روسيه والمانيه والنمسه واسبانيه واميركه حتى ارتقى عددهم في ٣٥ عاما من ١٤ الف الى ٤٥ الف ... » وبرأيه ان سبب هجرة ابناء فلسطين هو نقص الوسائل الكافية التي كانت ممنوعة عنهم في العهد السابق في وقت كان يتوفر للمهاجرين الاسرائيليين قوى مادية ومعنوية بفضل جمعياتهم ، لذا يدعو الكاتب الى عودة الجالية الى وطنها (ويقصد بذلك المهاجرين الفلسطينيين) (٩٣) حيث ستكون « بالمادة والمعنى مدرسة نظرية لاخوانهم المقيمين في مزارعهم ومتاجرهم ومصانعهم وكل ما هو متعلق بالسعي والجد ... » بعد ان زال الحائل الذي كان يقف في تقدم ابناء تلك الاقطار ونجاحهم واصبح من اكبر واجباتهم « الاستفادة من المعارف الكونية والنماذج الفنية التي استفاد منها نزيلهم الاسرائيلي لان ذلك داخل في مدلول الحكمة ... والطور الجديد الذي بدأ الناس يدخلون فيه ، يدعو الى النهوض بكل سبب من اسباب الحياة ... وانه بهذا الطور يمكن الاستفادة من وجود الاسرائيليين وسواهم من الجاليات الذين قد استفادوا من النظامات والمناهج والاوضاع التي اقامتها لهم جمعياتهم الاوروبية والاميركية ... وسيتبين كل فرد حينئذ ان لكل شبر من اراضيهم مستقبلا باهرا يستحق ان يعضوا عليه بالنواجذ وان يبذلوا في سبيل اصلاحه واستثماره كل غال ورخيص حتى يأتيهم بالثمرات ... » . وينهي الكاتب مقاله بقوله : « ... فما دامت امامنا نماذج مفيدة نتعلم منها طرقا مثمرة من طرق المعاش والعمران فذلك ضرب من ضروب الحكمة التي نحن مأمورون باقتباسها والعمل بها » . لم يكن في المقال امور محددة توضح موقف الحسين نحو البرنامج الصهيوني ، ووجد من الافضل توجيه النظر الى فيصل ، لضمان موافقته والتأثير على ابيه وذلك بتهيئة لقاء بينه وبين وايزمان ...

وكانت اول اشارة الى هذا اللقاء ، تلك التي ابرق بها كلايتون في القدس في ٢٦ ايار (مايو) الى الخارجية (٩٤) بان « دكتور وايزمان يرافقه اورمسبي غور سيفادران

٩٢ ـ المقال لم يكتب اثر زيارة هوغارت كما هو شائع ... والعدد ١٨٣ من **القبلة** بتاريخ ٣ شعبان ١٣٣٦ هجري يقابل بالتاريخ الميلادي ٢٤/٥/١٩١٨ وليس ٢٣ آذار (مارس) كما يذكر بيرلمان في مقاله : «Chapters of Arab - Jewish Diplomacy, 1918-1922».

٩٣ ـ ما هو شائع ان الكاتب يقصد مجيء اليهود ، وهذا امر لا يفهم من فحوى المقال .

٩٤ ـ F.O. 882/14 Arab Bureau Papers

السويس في ٢٨ منه (٩٥) ، نحو العقبة لزيارة الشريف فيصل في مقر قيادته . وبرايه « ان المباحثات بين وايزمان وفيصل يمكن ان تثمر نتائج ممتازة ... وخاصة ان الوقت الحاضر مؤات ... لان فيصل سيتوجه بعد فترة الى جدة للاجتماع بوالده الذي سيكون قادرا على مناقشة نتائج اجتماعه مع وايزمان ... » . وكان امل كلايتون كبيرا اذ ان الموقف المتعاطف لملك الحجاز وفيصل سوف ينجح كثيرا في تنسيق السياستين الصهيونية والعربية ... وارسل كلايتون من مقر القيادة العامة في القدس في ٢٧ ايار (مايو) رسالة الى فيصل يقدم له وايزمان « ... الذي هو احد الزعماء البارزين للحركة الصهيونية ... جاء من انجلتره لدراسة الوضع في المنطقة وبصورة خاصة لتنمية التعاون الكامل بين العرب واليهود الذين يناضلون معا للتحرر من الاضطهاد التركي ، ومصالحهم في الوقت الحاضر والمستقبل متفقة تماما وبالتعاون الوثيق والعطف المتبادل يمكن التوصل الى النجاح الدائم ... » . وبالنسبة لشخصيته يصفه بانه « رجل واسع الافق وزعيم سياسي وانا مقتنع بانه يسرك ان تبحث معه المسائل السياسية العليا ذات الاهمية الحيوية في هذه الفترة بالذات » . وقبل ان يتوجه وايزمان للقاء فيصل بعث الى بلفور برسالة في ٣٠ ايار (٩٦) يبين له الاهمية السياسية التي يوليها لهذا اللقاء ، وخاصة بعد شكاويه المرة من مصاعب البعثة في فلسطين ، وبرأيه ان مركز ثقل العرب ليس فلسطين ، بل الحجاز ، او على الاصح المثلث القائم بين مكة ودمشق وبغداد ، كما يعرض على بلفور الخطوط العريضة لمباحثاته المقبلة ، والعروض والحجج التي سيستخدمها لكسب فيصل : « ... سأقترح على ابن (ملك الحجاز) انه اذا كان يود بناء مملكة عربية مزدهرة قوية فنحن اليهود سنكون قادرين على مساعدته ، ونحن فقط نستطيع ان نعطيه المساعدة المالية الضرورية والقوة المنظمة . سنكون جيرانه ولن نشكل اي خطر عليه ، نظرا لاننا لسنا ، ولن نكون قوة كبرى ، فنحن الوسطاء الطبيعيون بين بريطانيه العظمى والحجاز . مثل هذه العلاقات ستحمي الحجاز الشمالي من ان يصبح منطقة نفوذ فرنسية ، وهو الشيء الوحيد الذي يبدو ان شعب الحجاز يخشاه . آمل ان استطيع معه تكوين حلف سياسي حقيقي ... » .

جرى الاجتماع بين فيصل ووايزمان في ٤ حزيران (يونيو) ، في معسكر الاول قرب العقبة ، وكان يحضره الليفتنانت كولونيل (جويس) كمترجم . وكان لورانس غائبا في المنطقة الشمالية ومنع المرض اورمسبي غور من الحضور ووضع جويس تقريرا في نفس اليوم في ٩ نقاط (٩٧) :

٩٥ ـ جاء في النشرة العربية ، ٤/٦/١٩١٨ ان وايزمان غادر السويس برفقة اورمسبي غور في اول حزيران (يونيو) ومن المأمول ان يكون الليفتنانت كولونيل لورانس قادرا على ان يلقاه عند وصوله العقبة ليقدمه للامير ...

٩٦ ـ رسالة وايزمان الى بلفور ٣٠ ايار (مايو) المشار لها سابقا .

٩٧ ـ .F.O. 822/14 Arab Bureau Papers وقد ورد تلخيص المقابلة في النشرة العربية ١٨/٦/١٩١٨ وكان جويس الوحيد الذي سجل ما جرى . ولم يسجل فيصل شيئا .

١ ــ بعد تبادل التحيات الودي ذكر وايزمان انه قد ارسل من قبل الحكومة البريطانية للتحقق من تطور المصالح اليهودية في فلسطين ، وان اكثر مهامه اهمية هي الاتصال بالزعماء العرب ومحاولة التعاون معهم .

٢ ــ بعد الاشارة الى التراث التاريخي للعرقين عبر عن رايه بضرورة التعاون المباشر بين اليهود والعرب في الوقت الحاضر .

٣ ــ اشار فيصل الى عدم استطاعته التعبير عن آراء محددة حول المسائل السياسية لانه مجرد نائب عن والده في هذه الامور ، ولكنه اعتبر ان مصالح اليهود والعرب يجب ان تحدد بشكل دقيق .

٤ ــ اشار وايزمان الى ان فلسطين اليهودية ستساعد على تطور المملكة العربية ، وستتلقى منها الدعم .

٥ ــ شرح وايزمان ان الصهيونيين لا يهدفون الى اقامة حكومة يهودية ، بل يرغبون العمل ، اذا كان ذلك ممكنا ، تحت ارشاد بريطاني من اجل استيطان وتطوير البلد بدون تعد على مصالح الآخرين الشرعية .

٦ ــ اشار فيصل الى انه غير قادر على بحث مستقبل فلسطين ، سواء كدولة يهودية او بلد تحت اشراف بريطانيه ، نظرا لان هذه المسائل كانت مسبقا موضوع دعاية المانية وتركية كبيرة ، وسوف يساء تأويلها لو بحثت بشكل علني .

٧ ــ عندما تصبح الشؤون العربية اكثر تماسكا فانه بالامكان اجراء بحث اكثر فائدة . والشريف شخصيا يقبل امكانية تحقيق المطالب اليهودية في المستقبل ، ولكن لا يمكنه بحث ذلك علنا نظرا لانه لا يمثل حكومة عربية ، وهو يخشى الى حد كبير دعاية العدو . واكد ثانية ضرورة التعاون الوثيق بين العرب واليهود من اجل منفعة متبادلة للطرفين .

٨ ــ بيّن وايزمان انه سيتوجه قريبا الى اميركه ، وان نفوذ الصهيونية في ذلك البلد ، وفي مكان آخر يمكن ان يستخدم لصالح الحركة العربية . وهذه العبارة ارضت فيصل كثيرا ...

٩ ــ انتهت المقابلة بتعبير ودي عن العطف المتبادل ودعوة من فيصل لتكرار اللقاء بعد عودة وايزمان من اميركه .

بعث جويس من العقبة في ١٩١٨/٦/٥ رسالة شخصية الى كلايتون تصور انطباعه الخاص بنتائج المقابلة (٩٨) ، بناء على طلب وايزمان نفسه ، الذي غادر العقبة في ذلك اليوم ... ورأى ان المقابلة لا قيمة لها من الوجهة الرسمية ، نظرا لانه لا يمكن توقع صدور تصريح علني من فيصل ، لان هذا من عمل ملك مكة فقط . ولكن رأيه الشخصي « ان فيصلا رحب حقيقة بالتعاون اليهودي ، واعتبره بالفعل اساسا للمطامع

٩٨ ــ F.O. 822/14 Arab Bureau Papers.

العربية في المستقبل ... » . ويجزم ان فيصلا « يعرف تماما ان فلسطين اليهودية هي احتمال ممكن في المستقبل » وهو يعتقد ــ اي جويس ــ مع انه ليس له صلاحية للقول ، « ... ان فيصلا سيقبلها ــ اي فلسطين اليهودية ــ ضمن حدود ، اذا كان عن طريقها يمكن الوصول الى توسع عربي ابعد الى الشمال ... » وفي رأي جويس ان هناك نقطة واحدة مشتركة بين الاثنين ويفهمانها جيدا هي « انه عدا العرب واليهود لا احد له اي ادعاءات اقليمية في سوريه » . وامله في نهاية رسالته « ان يؤدي المستقبل بهما الى تحالف » ! ولكن وايزمان نفسه لم يكن متفائلا . ففي وقائع الاجتماع السابع عشر للبعثة الصهيونية الذي عقد بعد عودة وايزمان (٩٩) تصوير الجو الذي جرت فيه المحادثات « ... كان وايزمان سيىء الحظ ، وفي وضع غير مؤات على الاطلاق نظرا لان فيصل يتكلم العربية فقط ، مع انه يفترض انه يفهم الفرنسية ، والكولونيل جويس لا يفهم الفرنسية ويتكلم عربية ركيكة وعمل مترجما ، وتولى وايزمان المحادثة بالانجليزية وفيصل بالعربية ... » .

ولكن تفاؤل كلايتون كان اكبر بنتائج المقابلة التي عملت برأيه « على تعزيز عطف وتفاهم متبادلين بين وايزمان وفيصل . كلاهما صريح ومفتوح وغير متحفظ في تصرفه . ولن ينجم عن مقابلة شخصية كتلك التي جرت الا الخير ... » جاء ذلك في برقية بعث بها في ١٩١٨/٦/١٢ (١٠٠) ، والحقها برسالة في ١٦ حزيران (يونيو) قال فيها (١٠١) « ... بان اللقاء الاخير بين وايزمان وفيصل قد عمل الكثير كي ينتقص من دعاية العدو التي تثير الارتياب بالنوايا الصهيونية بين اتباع الشريف الفعالين ... » . وفي رسالته في اول تموز (يوليو) ١٩١٨ (١٠٢) المتممة لرسالة ١٦ حزيران (يونيو) شرح كلايتون مطولا ، وفق وجهة نظره الخاصة ، اهداف الطرفين (فيصل ووايزمان) وتوقعاتهما من هذا اللقاء ، « فمن اجل ان يحقق فيصل مطمحه في سوريه المستقلة ذاتيا ، ويكون هو نفسه الامير الحاكم عليها لا بد من ان يتلقى دعما عسكريا لهزيمة الترك وطردهم من سوريه ، ثم دعما اقتصاديا وسياسيا لاقامة هذه الدولة والحفاظ عليها . وهو من اجل الهدف الاول يعتمد على بريطانيه ، اما من اجل الهدف الثاني فهو قد يتطلع الى احدى الدول الكبرى ، او الى بعض المنظمات القوية . والاعتماد على دولة واحدة اقتصاديا ــ حتى لو كانت بريطانيه ــ يعني وضع الدولة الجديدة تحت الاشراف ، والقضاء على المظهر الخارجي من الاستقلال الذي يوليه العرب اهمية كبرى ، وبدونه لا يمكن ان يأمل التفاهم الكلي حوله ... ويرى الشريف فيصل في الصهيونية قوة ، لو جندت بجانبه لأمكن ان تمده بالدعم الاقتصادي الضروري . بمساعدة الصهيونية يعتقد انه بامكانه مقاومة اصحاب الامتيازات في العالم ، والنفوذ الفرنسي السياسي الذي يمارس عن طريق رجال الدين واصحاب رؤوس الاموال ،

٩٩ ــ F.O. 371/3395/131853/11053
حذف كلايتون هذا المقطع مع اجزاء اخرى قبل ارسالها الى المنظمة الصهيونية بلندن ...

١٠٠ ــ F.O. 371/3398/105824/27647

١٠١ ــ F.O. 371/3395/130342

١٠٢ ــ F.O. 371/3395/105824/27647

وكل تلك القوى التي تميل نحو الاستغلال الاجنبي ، والتي تقضي على التطور الذي يسير على اساس الخط القومي ، فيما يتعلق بالدعم السياسي ، هو يعرف ان الصهيونية ذات تأثير عالمي تنفذ الى كل بلد يمكن للدولة السورية في المستقبل ان يكون لها فيه ما تأمله او تخشاه ... واخيرا هو من خلال الصهيونية يعتمد على الامبراطورية البريطانية التي يضع ثقته الكبرى بها كملجأ وحيد باق ... » .

واما بالنسبة لدوافع وايزمان بنظر كلايتون « فهو يعرف ان تطور المثل الاعلى الذي يكمن وراء الصهيونية يقوم على جعل فلسطين مركزا للثقافة اليهودية يقام على الارض نفسها ، يتطلع اليها كل اليهود وتبرر وجودها السياسي بجعلها جسرا بين الشرق والغرب . والعامل الاساسي لتحقيق هذا المثل الاعلى هو ان فلسطين اليهودية المقبلة يجب ان ترتبط بعطف وثيق بالدول التي تحيطها . وهذا شرط لتطورها وبالحقيقة لوجودها ، ولذلك فانه امر حيوي من اجل تحقيق الاماني الصهيونية ان تعمل جنبا الى جنب مع الحركة العربية المجاورة . لقد رأى كلايتون في لقاء الحركتين واتكالهما على بعضهما بشكل متبادل حلا لمشكلة الحكومة البريطانية في تنفيذ وعودها لكلا الطرفين المعنيين . وهو يتوقع ان تكون مهمة تنسيق اهداف الصهيونية والعرب (على اساس الخطوط التي ذكرت سابقا) صعبة ، ولكنها ليست مستحيلة . وهذا الهدف هو الذي دفعه في رسالة ١٦ حزيران (يونيو) الى اقتراح « تدبير لقاء مشابه في المستقبل القريب مع ملك الحجاز كي يضمن تنسيقا للاهداف العربية والصهيونية، واقامة تعاطف كامل بين الحركتين » . ويقر كلايتون في رسالة اول تموز (يوليو) ان الحسين قد يظهر لاول وهلة كرها للبرنامج الصهيوني الكامل ، ولكن يمكن اقناعه بأسلوب مناسب « ولو افهم تماما تأثير هذا البرنامج على الآمال العربية في سوريه فقد يتخذ موقفا حياديا على الاقل ، ان لم يكن مواليا ... (الحسين) صرح انه لا شيء يبرر له ولبريطانيه قيام الثورة العربية ضد الخلافة التركية سوى تشكيل المملكة العربية او اتحاد دول عربية ، وقد يعرف تماما ان انشاء مملكة عربية خارج حدود السياسة العملية ، ولكن لو نجح فيصل في تحرير سوريه وقبل اميرا حاكما لدولة سوريه المستقلة ذاتيا فالحسين سيكون واثقا على الاقل من مظهر خارجي للسيادةعلى واحدة من اهم المناطق العربية ، لذا فمن المحتمل ان يرحب باي سياسة قد تساعد الشريف فيصل على الوصول الى الهدف الذي يسعى له ... » .

كان هذا ما يراه كلايتون من اجل التأثير على الحسين (١٠٢) لاخذ موافقته على البرنامج الصهيوني . وهو ما سعى وايزمان الى محاولة تنفيذه بعد عودته من زيارة

---

١٠٢ ـ كان سايكس يحاول التأثير على الحسين عن طريق لجنة الاعانة السورية في منشستر ، التي تتمثل الجالية السورية فيها ، وكان سايكس علىاتصال بهما دوما لاطلاعهما على تطوراتالحركة العربية، وزعماء هذه الجالية هم (حوراني ، جباره ، كحلا) . وقد اجتمع سايكس بهم في ١٩١٨/٦/٢٠ برفقة ضابطين عربيين حيث قدموا تبرعاتهم الى سايكس لاستخدامها (للشعوب الناطقة بالعربية في آسيه) وتقرر ارسالها الى الحسين باسم سوريي منشستر مع اظهار امتنانهم له ولابنائه لما فعلوه من المساعدة على تحرير البلاد . وكانت هذه اللجنة تعمل بالتآزر مع اللجنتين الصهيونية والارمنية في منشستر حسب خطة سايكس ... F.O. 371/3409F.O. 371/3410

فيصل في العقبة ، فقد تقدم الى وينجيت باقتراح غريب « ... لو اعترف بالحسين زعيما للحركة العربية ، فان الصهيونيين كمنظمة خاصة ، سيتعاملون معه مباشرة ليعرضوا عليه اولا مساعدة مادية ومساعدات اخرى لو طلبها ، من اجل اقامة مملكة الحجاز . ثانيا دعم الاماني والعواطف السياسية السورية في اوروبه واميركه ، مقابل اعتراف العرب بالاماني الصهيونية في فلسطين . جاء ذلك في رسالة بعثها وينجيت الى بلفور في ٢٥ تموز (يوليو) (١٠٤) ، ينقل له برنامجا تقدم به الحسين لاقامة كتلة عربية تشمل الجزيرة وسوريه والعراق تحت سيادته التي قد تكون اسمية في بعض الاجزاء المتمتعة بالحكم الذاتي المحلي ، مطمحه كما يقول وينجيت وضع اساس لاتحاد دول عربية وضمان حق العرب التقليدي بالخلافة من اجل لمّ شمل العرب ضد الكتلة العثمانية . ويقارن وينجيت بين البرنامج الذي تقدم به الصهيونيون لدعم الحسين ، وبين البرنامج الذي وضعه السوريون المثقفون في مصر ، الذين كانوا ، رغم انقسامهم على انفسهم يتفقون في معارضة السيادة الشريفة ومعارضة فصل فلسطين عنسوريه ووضعها تحت الاشراف الصهيوني (١٠٥) .

برأي وينجيت ان في البرامج الثلاثة تنازعا في كثير من النقاط . ولو تعذر ايجاد اساس لاتفاق مشترك فسيكون هناك خطر كبير في استغلال هذا التنازع لضرر المصلحة البريطانية في مؤتمر السلم المقبل . ولكن وينجيت يرى ان الصهيونيين في الوقت الحاضر ، بسبب مواردهم المالية الكبرى ونفوذهم السياسي ، هم اقدر على تحقيق اهدافهم . وفي تحليله لنقاط الالتقاء والنزاع بين الفئات الثلاث : يرى « انالصهيونيين يصطدمون مع السوريين حول فصل فلسطين عن سائر سوريه ، ومع الشرفاء حول معاملة الفلسطينيين الذين يعرفون تماما ان منح الحقوق المتساوية لليهود والعرب سوف يميل ، ان عاجلا او آجلا ، نحو ضرر الاخيرين ... » . ولكن وينجيت يستنتج من اقتراح وايزمان ان « الصهيونيين يتلهفون الى تقديم تعويض ، تقدي الى الشرفاء ، وعلى شكل دعم سياسي للسوريين في اوروبه واميركه ... » وهو يفترض ـ اي وينجيت ـ « ان الشرفاء وغالبية كبيرة من السوريين قد ترحب بالدعم الصهيوني من اجل معارضة الادعاءات الفرنسية في سوريه » . واورد وينجيت حججا عديدة ليبين قيمة المساعدة الصهيونية لدولة الحجاز الجديدة ، « فهي تجنبها ضرورة الاعتماد المالي على دولة مسيحية ، وبالتالي ايذاء الشعور العربي ، وكذلك تجنب كل ما يعتبر سببا للتنافس الدولي » . وابعد من ذلك انه « بدعم كاف من المنظمات اليهودية للملك حسين قد يكون قادرا على توطيد مركزه كصاحب السيادة بين الزعماء العرب في شبه

---

١٠٤ ـ PRO F.O. 371/3381/123N 868/146 F.

١٠٥ ـ كان هوغارت قد قابل فارس نمر زعيم هذه الكتلة ، واكد نمر انهم يطلبون سوريه المتكاملة التي تضم فلسطين، ومع انه قبل بها كمحمية بريطانية الا انذلك برأيه يجبان لا يكون خطوة لفلسطين اليهودية . كان نمر ، كما يقول هوغارت ، يريد بريطانيه بدون اليهود ويؤمن ان بامكانها ان تفعل وحدها كل ما تطلبه سوريه . ويقول هوغارت ان نمر تساءل « اين يجب ان تسير حدود شمال فلسطين ؟ » اذ قد رغب ان يعرف ان كان لدى الصهيونيين اطماع بالاستيطان اليهودي شمال فلسطين (مثلا لبنان وكان له اهتمام خاص لانه من حاصبيا) . Arab Bulletin, 24.6.1918

الجزيرة ويكوّن بذلك خلفية اقليمية افضل من اجل مطالبته بالخلافة على المسلمين » .

واخيرا لقد كانت وجهة نظر وينجيت ان تأخذ الحكومة البريطانية بعين الاعتبار نقطة هامة لاول مرة « ... انه لا يمكن للحركتين الصهيونية والعربية ان تعملا معا حسب الخطوط التي اقترحت بلقاء وايزمان وفيصل طالما ان اتفاقية سايكس بيكو لا تزال نافذة المفعول » .

لقد وجد سايكس (١٠٦) ان اهداف وايزمان ، التي ارسلت بطريق وينجيت ، قد تجاوزت الحد المرسوم لها ، بشكل بدأ يؤثر على المصلحة البريطانية في الشرق في علاقاتها مع فرنسه ، ورأى انها قائمة على فرضية صهيونية لا بريطانية . ان سايكس يفضل سياسة بريطانية عامة في المنطقة ، « لانه لو كانت بريطانيه وراء الصهيونية وتدير في الوقت نفسه كلا من مكة ودمشق وبغداد ، فهناك فرصة ممتازة للعنصر اليهودي كي يكون له نفوذ سائد في كل البلاد التي تحيط بفلسطين ... » ولذلك السياسة البريطانية بالنسبة للصهيونية ، تنتهي برأيه « بحصول الصهيونيين على فرصة جيدة، وحرية عمل في فلسطين نفسها ، وليس لاي مطامع ابعد ... » وذلك لسبب واحد فقط هو « ... ان المصالح الفرنسية في سوريه ليست امرا خياليا ، وانه يجب ان يحسب حسابها من وجهة نظر الحلفاء ... » لقد كان رأي وكلاء وزارة الخارجية: لورد هاردنغ ولورد سيسيل « بان اتفاقية سايكس بيكو لا تزال سارية المفعول (شئنا او ابينا) ، وان سوريه هي خارج نطاق النفوذ البريطاني وتدخل ضمن نطاق النفوذ الفرنسي ، وانه لا بد من حصر النشاط الصهيوني في فلسطين نفسها ، وان يوضع حد لحماس وايزمان الذي ينظر الى المسألة من جانب واحد » . ولم يدخل في حساب الجميع في وصولهم الى هذه النتائج المسألة العربية ، بل ان سايكس حين يتناول المشاعر المعادية لفرنسه (والتي هي لصالح بريطانيه) ويبديها سوريو مصر يعلق عليها ساخرا : « ... ان السوريين ككل الشرقيين يقولون ما يعرفون انه مقبول، ويعتمدون على الآراء المسبقة بأذهان اولئك الذين يتكلمون معهم ... السوريون في مصر برئاسة دكتور نمر يرغبون في ان تكون مصر وفلسطين وسوريه تحت ظل حكومة واحدة ليس لانهم موالون لبريطانيه بل لان نمر واصدقاءه يريدون ان تكون لهم فرصة لاستلام وظائف ومراكز في المناطق الثلاث » (١٠٧) .

كان ما يهم سايكس من سوريه هو امر فلسطين فقط التي جاهد لابقائها مفتوحة في الاتفاقية التي تحمل اسمه . وكان عليه قبل التوصل الى تسوية بشأنها مع فرنسه ان يزيح من اذهان العرب فكرة ضم فلسطين الى سوريه بحجة فعالة ناجحة برأيه شرحها في مذكرته الى اللجنة الشرقية ، وكان يرددها ـ كما يقول ـ في احاديثه مع

١٠٦ ـ F.O. 371/3381/123 863/146 من تعليق سايكس على رسالة وينجيت الذي رفع الى اللجنة الشرقية Eastern Committee التي تختص ببحث شؤون الشرق تتبع مجلس الوزراء مباشرة .

١٠٧ ـ اضاف سايكس في مذكرته « انه طالما اعتقد السوريون اننا سنسمع الكلام المعادي لفرنسه فسوف يتحدثون بهذه اللهجة ... علينا ان نؤكد للسوريين اننا ندعم ونتفق مع السياسة الفرنسية ، واننا سوف لن نتخاصم مع حلفائنا لارضاء الساسة السوريين » .

ملك الحجاز وفيصل والمثقفين السوريين « ان فلسطين نقطة الاهتمام الاولى لاتباع الديانات العالمية الثلاث ، ودولة سوريه الوليدة لا تستطيع ان تتغلب على المشاكل الفلسطينية . انتم تضعون امام ناظركم التحرير النهائي وحرية سوريه من كل وصاية او حماية ... ولكن هل تتوقعون ان يدعكم العالم تديرون شؤونكم بدون تدخل ... لو كان لكم فلسطين كجزء من سوريه ، فان الفئات المتعددة المهتمة بفلسطين بلا شك سوف تشرف على شؤونكم ... لانه في كل وقت تثار مشكلة شراء اراضي للاستيطان اليهودي او مسألة حول نزاع الاماكن المقدسة المسيحية ، او مسألة الاشراف الذي سيمارس على مسجد عمر ، ستجدون انفسكم وقد تورطتم بشؤون عشرات الملايين من الناس الذين ليس لهم مصلحة في سوريه على الاطلاق » .

واراد وايزمان ان يزيل من ذهن بلفور الافكار التي بدأت تراود اوساط الحكومة، في انه يضع المصلحة الصهيونية قبل كل شيء ، فأراد ان يبرهن على ان كل ما يفعله في لقائه مع الحركة العربية ، والسير معها جنبا الى جنب ، في خطين متوازيين انما هو للمصلحة البريطانية . فكتب له في ١٧ تموز (يوليو) رسالة خاصة يقدم فيها تقريرا من نتائج ما جرى في العقبة وانطباعاته هناك (١٠٨) ... ويقول : « انا مقتنع باخلاص انه كلما تطورت الحركة التي يمثلها فيصل ، وكلما نجحت في ميدان الحرب، قل النزاع بين تلك الحركة وبين الصهيونية . انا اتوقع ، وفيصل ومستشاروه يوافقونني على هذه النقطة ، امكانية تعاون مخلص بين الامتين سوف يؤدي الى منفعة متبادلة ويدعم بريطانيه في الشرق الادنى » . ويشرح لبلفور طريقة تنفيذ ذلك ، وهو امر توافق عليه السلطات في فلسطين ومصر ، « فلو نجح فيصل في دخول دمشق ـ وآمل ان يكون ذلك ممكنا من وجهة نظر عسكرية ـ فسيدعم الموقف العربي ولكنه يحتاج الى معونة، والحركة الصهيونية يمكن ان تعطيه العناصر التي هو بحاجة لها، نحن سنأتي للمساعدة ليس كمستغلين او اصحاب امتيازات ، بل برغبة مخلصة في التعاون مع عرق يقدر له ان يحتل مركزا هاما في الشرق ، ويستخدم كجسر بينكم وبينه ... وقد علمت من مستشاري فيصل المقربين انه لا يرغب في شيء افضل من ذلك ، وان رغبته ستأخذ شكلا ماديا حينما تسنح الظروف العسكرية ... » . لقد كان هدف وايزمان من وراء ذلك ان يهوّن على بلفور امر قيام اي مشكلة عربية خطرة في المستقبل في فلسطين، لو دعمت الحركة العربية في مكة ودمشق . وبرأيه ان « ما يسمى بالمسألة العربية في فلسطين سوف يتخذ بذلك طبيعة محلية صرفة فقط ، ولا تعتبر في الحقيقة عاملا هاما من جميع الذين يعرفون الوضع المحلي كاملا ... » . ولا ينسى وايزمان ، بعد ان يقدم الى بلفور الخطوط العريضة لفكرة هامة جدا ، لها مصاعبها وفي الوقت نفسه تمتلىء بامكانيات هائلة ـ على حد قوله ـ ان يبثه بعض ما يشعر به من قلق حول العقبات التي تقف في طريق تحقيق الآمال العربية والصهيونية ، والتي تتمثل في اتفاقية سايكس بيكو ، ويصورها بانها « نتاج دبلوماسي لسنوات الحرب الاولى فقدت كل معنى من الواقعية في الوقت الحاضر ... » بالاضافة الى ذلك فهي تشكل « مركزا للتآمر السياسي ، تحجب الرؤيا الصحيحة وتقف ضد مبدأ تقرير المصير الحقيقي ، الذي

١٠٨ ـ F.O. 371/3398/138908

عبرت عنه كلا الحركتين العربية والصهيونية ... » وهو يرى ان « استمرار هـذه الاتفاقية وكل ما تمثله هو مصدر دائم للقلق في المنطقة ... » .

٦ ــ تعمق المعارضة العربية واتساعها في فلسطين وخارجها :

لم يكن امر العلاقات الصهيونية والعربية بسيطا وسهلا الى هذه الدرجة التـي صورها وايزمان في رسالته الى بلفور . صحيح ان الشعب الفلسطيني قد ضيق عليه التعبير الحر عن مشاعره ، بل لقد كان يطلب من زعمائه المشاركة في الاحتفالات التي يحضرها الصهيونيون ، وفي زيارة اللنبي للجالية اليهودية في القدس ٢٤ ايار (مايو) حضرت الاحتفالات شخصيات اسلاميةومسيحية (١٠٩) وشارك مفتي القدسومطرانها بوضع حجرين من الاحجار الاثني عشر الاساسية للجامعة العبرية في احتفال ٢٤ تموز (يوليو) (١١٠) واستخدمت وسائل عديدة للدعاية البريطانية منهـا جريدتا الكوكـب وفلسطين (وكانتا تنشران من قبل السلطات العسكرية) وتركزان على فوائد الاحتلال البريطاني لشعب فلسطين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيـا وتعدان باصلاحات مقبلة ، كما احدث مكتب عربي في القدس لاغراض الدعاية . واستغلت السلطات لجنة التطوع العربية التي جاءت باسم فيصل الى فلسطين للحصول على متطوعين للجيش العربي ، كي تقيم احتفالات لتشجيع حركة التطوع من جهة وبث الدعاية البريطانية ــ حليفة الثورة العربية ــ من جهة اخرى . وكان اهم هذه الاحتفالات هو الذي اقيم فيالقدس في ٤ تموز في المكتب العربي والقيت فيه الخطب « المناسبة والمقبولة » من وجهـة نظر كلايتون ، وابلغها الى بلفور بعد ايام ورات الخارجية ضرورة استغلال هذه الخطبالى اوسع مدى ممكن من اجل الدعاية (١١١) .

لكن على الرغم من كل اساليب الدعاية هذه ، فالمعارضة العربية قـد تعمقـت واتسعت واصبحت القضية تناقش في الصحافة العربية خارج فلسطين وخاصة تلك الصحف السورية في اميركه ، التي يحررها عدد من المغتربين السوريين واللبنانيـين وتقف موقف المعارضة من الصهيونية . وكانت اهم هذه الصحف الهدى والشعـب ومرآة الغرب والسايح وكان ذلك مبعث قلق السفارة البريطانية في واشنطن (١١٢) ، التي بدات بارسال تقارير مطولة (كانت تستمدها باعتـراف السفير مـن مصـادر صهيونية) عن اتجاهات اصحاب هذه الصحف المعادية للنشاط الصهيوني، والمقالات التي تبحث المسألة الفلسطينية ، فجريدة السائح مثلا تدعو الى سوريه الحرة بما فيها فلسطين ، وترى ضرورة تحرير اليهود مـن الترك ولكنها لا ترحـب بتحريرهم مـن السوريين ، بل عليهم ان يقاتلوا كي يصبحوا اتباعا سوريين . وتكتب جريدة الشعب في مقال عنوانه « اليهود وفلسطين » في ١٩١٨/٣/٢٧ : « انه منذ ان علم اليهـود ان

١٠٩ ــ **فلسطين** ١٩١٨/٥/٣٠ .
١١٠ ــ **فلسطين** ، اول آب (اغسطس) ١٩١٨ .
١١١ ــ F.O. 371/3409/137855 وخلاصة الخطب في : **Arab Bulletin** 16.7.1918
١١٢ ــ رسالة من السفير الى الخارجية في ١٥ ايار (مايو) . F.O. 371/3398/97755/27647 F.

فلسطين ستصبح دولة يهودية مستقلة توقفوا عن الانضمام لجيش الولايات المتحدة وبدأوا ينضمون الى الفرقة اليهودية ... وبهذا يشتري اليهـود ارضهم بالدم كمـا بالمال ... » . وفي مقال بعنوان (الصهيونيون والنيام) في جريـدة السايح ، يرثـي الكاتب للتقصير البادي من جانب الكتاب السوريين في الخارج في الاحتجاج على جعل فلسطين دولة يهودية ، ويعارض بشدة انشاء حكومة دينية في تلك البلاد ... التـي يوجد في جذور فكرتها الرأسماليون والدبلوماسيون اليهود وغيرهم من ذوي النفوذ. وتذكر تقارير السفير البريطاني في واشنطن ان (السيد بخاش) عنيف في مهاجمته في جريدة الفتاة ، وان جوزيف خوري محرر جريدة الشعب هو عضو رابطة توحيد جبل لبنان وسوريه التي يرأسها الدكتور ثابت ، وسياستها معادية للصهيونية ويعمل من اجل التحرر السوري . ويرى السفير البريطاني ان نشاط هؤلاء السوريين ربما يلاقي عطفا من الفرنسيين، ولذا استقر رأي سايكس فيتعليقه على هذه التقارير (١٤ حزيران، يونيو) بعد ان رأى خطورتها على ان يتم ارسال بعثة سورية الى اميركه ، بالاتفاق مع بيكو ، وبالاعتماد على تعاون صهيوني ، من اجل تسوية الامور . وربما من هنا جاءت فكرة وايزمان بعروضه للسوريين فيالخارج فيرسالته الىبلفور ١٧ تموز (يوليو) (١١٣) .

صحيفة اخرى في القاهرة ، كان يفترض ان تكون تحتاشراف الجيشالبريطاني، هي (الكوكب) تسرب الى عددها رقم ١٠٠ في ١٩١٨/٦/٢٥ مقال غير مرغوب فيه من وجهة نظر وينجيت حول الصهيونية ، فارسل الى الخارجية في ٩ تموز (١١٤) يطلبمن الرقابة في بريطانيه وقف توزيع العدد ، وخاصة النسخ المرسلة الى محرري الصحف العربية في الولايات المتحدة واميركه الجنوبية . واتخذت وزارة الدفاع اجراءاتها لمنع توزيع العدد في اي مكان خارج المملكة المتحدة . والمقال الذي اثار القلق عنوانه (اليهود وفلسطين لكاتب اسمه (اديب الناصري) يفند الدعوى الصهيونية بان فلسطين وطن اليهود منذ قديم الايام ... ويتساءل : « لو صحت دعاويهم فلماذا لا تصح دعاوينـا نحن العرب مثلا في اسبانيه وغيرها من البلاد » . ولكن الكاتب مع ذلك يرحب باليهود في فلسطين ، « ان جاؤونا بلا دعوى قومية او نعرة دينية ... اي كما جاؤوا اميركـه وانجلتره ... وليثقوا بعد ذلك ان يكونوا في بلادنا كما هم في بلاد غيرنا آمنين متمتعين بتجارتهم وثروتهم ووظائفهم التي يليقون لها وليتركوا (الوطن القومي) (والشعـور الملي) ونحن نفتح لهم صدورنا ونمد اليهم يد الاخاء والصداقة ... » . ويؤكد المقال في نهايته على ان فلسطين « جزء لا يتجزأ من البلاد العربيـة السورية وسكانها مـن مسلمين ومسيحيين لا يريدون ان يكونوا امة منفصلة عـن الامـة العربية السورية والحدود التي تفصل البلاد على الخرائط خطوط وهمية لا يعتد بها ... » . ومع ان الجريدة علقت على تخوف الكاتب من الدعوى الصهيونية بقولها « ... ان اليهـود لا يمكنهم ان يعملوا شيئا في فلسطين لا يتفق مع مصالح اهلها ... » وانه بعد الحـرب « ... العدل والحق سيرفرفان فيجميع انحاء البلاد العربية وفيفلسطين خصوصا ... » وتطمئنه بان « مجيء اليهود الى فلسطين لا يكون بالكثرة التي يتوقعها بعضهم لاسباب

١١٣ ــ F.O. 371/3398/138908
١١٤ ــ F.O. 371/3388/120738/1495 F.

منها فقر البلاد الفلسطينية وخلوها من اسباب الراحة والترف ... وزوال الاضطهاد من اليهود في بعض البلاد المتقهقرة ... » . الا ان ذلك لم يخفف من الاجراءات التي بدأت الحكومة البريطانية باتخاذها لمنع تسرب المقال ، وقد اقر احد موظفي الخارجية في تعليقه على الخبر « ... كلنا متفقون ان الدعايـة الاسلامية في فلسطين كان من الممكن ان تكون اسهل لو لم تكن هناك مسألة يهودية ، تماما كما ان المسألة اليهـودية ستكون اسهل لو لم تكن هناك ادعاءات اسلامية في البلد . ولكن يجب موازنة المسألتين الواحدة تجاه الاخرى . وحكومة جلالته يقظة للمهمة الصعبة في التوفيق بينهما ... » .

وقد وجد الفلسطينيون في صحيفة عربية اخرى كانت تصدر في باريس وتمولها الخارجية الفرنسية (هي جريدة المستقبل) منفذا للتعبير عن معارضتهم للصهيونية، ومناقشة قضايا مستقبل فلسطين . فقد ارسل عربي فلسطيني من القدس (لم يذكر اسمه) في ٢٦ ايار (مايو) رسالة الى مديري المستقبل بعنوان اماني الصهيونيين (١١٥) يرد فيها على خطاب وايزمان في حفل ٢٧ نيسان (ابريل) (١١٦) بنفس حججه فهو « فلسطيني عربي له حق الخوض في مستقبل بلاده » كي يفهم متطرفو الصهيونية «بان فلسطين لن تكون الوطن الذي يؤمله الصهيونيون في المستقبل ... وان كانت الدول الاوروبية تميل الى انصاف هذا الشعب وتخليصه من قهر عدم الاستقلال فأرض الله واسعة ... والاربعمائة مليون مسيحي والثلاثمائة مليون ونصف مسلم المنتشرون في الارض ليسوا باقل حبا لفلسطين من الاربعة عشر مليون يهودي الذين يتكلم وايزمان بلسانهم ... » وكاتب المقال يفند دعوى وايزمـان بميل الصهيونيين الـى الاتفـاق والوئام « بالشواهد التي رآها من اليهود بعد نزوح الترك » ، وتهديدهم الطوائف الاخرى بالانتقام والوشاية ثم التعليم العسكري والتدريب والرماية ، وحمل الشارات والاعلام الصهيونية » . ويتساءل الكاتب بعد ذلك : « فان كانت هذه اعمالهم الظاهرة فما بالكم في الاعمال الخفية التي يأتونها وراء ستار الصهيونية مما سندركها عما قريب ونطلع عليها كل العالم التمدن ... » ويحذر الصهيونيين بان العرب في فلسطين خاصـة والمسلمين والمسيحيين في اقطار العالم عامة لكم بالمرصاد يترقبون كل حركة مـن حركاتكم وسيحاسبونكم عليها حسابا يجعلكم تنتهون من رقادكم مذعـورين ... » ويدعو الكاتب الى تنظيم مقاومة سلبية للرد على محاولات التقارب التي يدعيها الصهيونيون : « وانتم يا فلسطينيون من مسلمين ومسيحيين احذركم من كيد اليهود واوصيكم بمقاطعتهم ، مقاطعة ادبية ... ولا تغتروا باموالهم فالدول لا تمنع اية حركة ادبية كانت ، يراد بها اثبات الحياة والوجود » . ولكن دعوته لم تكن سلبية فقط بـل اراد ان ينظم حملة ايجابية لمواجهة الخطر الصهيوني فوجه نداءه الى العالم الاسلامي والمسيحي بان « فلسطينكم العزيزة تناديكم وتطلب منكم ان تمـدوا لها يد المعاونـة والاسعاف كي تتمكن من تأسيس المدارس الوطنية الراقية الكبيرة وجامعة عالية لا تقل اهمية عن الجامعة التي يود الصهيونيون محاربة الروح الوطنية بهـا ... » .

١١٥ ــ المستقبل ، عدد ١١٢ ، ١٩١٨/٨/٣٠ .

١١٦ ــ كان خطاب وايزمان قد نشر في المقطم ١٤ ايار (مايو) تحت عنـوان مأدبة رسمية فخمة فلسطين ومستقبلها ــ ماذا يريد الصهيونيون ؟

ويدعو جميع العرب في اميركه ومصر واقطـار الارض « بـان امكم تنتظركم لتحضنكم فأكثروا من الرجوع اليها من مهاجركم بأموالكـم ومعارفكـم وصنائعكم لتفيدوهـا وتستفيدوا منها ... » . انه يأمل ان يساعدوها بأموالهم لاحياء معاملها ومدارسهـا ومعارفها وزراعتها وتجارتها وصناعتها، «ولو يتبرع كل واحد من المسلمين والمسيحيين في الخارج بليرة او بنصف ليرة او اقل من ذلك لاستطعنا ان نستكمل اعظم مصرف في فلسطين ، امكم ، تخدمها به خدمة حقيقية ... » (١١٧) وامله بالمستقبل كبير ... اذ « عما قريب سنرى كل مسيحي وكل مسلم ... يدفع للجمعيات المسيحية والاسلامية المنتشرة في فلسطين كل شهر لتصرف على مقاومة كل فكرة صهيونية ... » (وبغير هذا) « لا نستطيع حفظ مقبرة اجدادنا وبلادنا من ايدي الصهيونيين ... » .

المقال من وجهة نظر الحكومة البريطانية خطير ، وخاصة ان الصحيفة تصدر في باريس ، وتتلقى معونة مالية من قبل الحكومة الفرنسية . ويعلق سايكس على المقال (الذي ترجم حرفيا الى الانجليزية) (١١٨) : « ان اعنف نداء فيه هـو الموجه الـى التعصب الديني العرقي ، واقتراح الكاتب بانشاء اعتماد مصرفي لاستمرار الحملة في كل مكان ينطق العربية ... » . ويعدد سايكس نواحي الخطورة في المقال « فهو يثير اضطرابا في فلسطين ، ويحول عرب الحجاز عن قضية الحلفاء ، ويعرقل عمليات الجنرال اللنبي ، ويسبب قلقا وانقساما بين السوريين في الولايات المتحـدة واميركه الجنوبية ، ويهدد بالخطر العمل المنسجم بين الفرنسيين والبريطانيين واخيرا يلهـب الشعور الاسلامي » . وكان لا بد من اتخاذ تدابير سريعة وفعالة اولها مع الحكومـة الفرنسية ، اذ بعث سايكس الى بيكو في ٧ ايلول (سبتمبر) رسالة تضمنت مسودتها: « ان المقال ليس شيئا اقل من كارثة . هو محرض على الفتنة ... ويساعد العـدو فقط ... الاقتراح بفتح اعتماد مالي ضد الصهيونية مؤذ بوجه خاص ... » وطلب منه ان يتدبر الامر بسرعة . ولكن توصياته الى الخارجية كانت اعنف ، اذ طلب منع (المستقبل) من كل الممتلكات البريطانية التي تنطق بالعربية ، او يشكل المسلمون فيها عنصرا من السكان ، والتوقف عن دعم فرنسه سياسيا في اي جزء من سوريه قد يحتل في المستقبل قبل ان تسوي الحكومة الفرنسية امر (المستقبل) بشكل فعال (١١٩) .

وعلى ضوء هذه الملاحظات ارسلت الخارجية في ١١ ايلول رسالة الـى السفير الفرنسي في لندن كانت بنفس الروح التي اوصى بهـا سايكس ، لاشراك الحكومـة الفرنسية بجزء من مسؤوليتها تجاه السياسة الصهيونية : « المقال لا يشكل فقـط هجوما قاسيا على السياسة الصهيونية التي تبنتها حكوماتنا معا ، بل انها تثير عمدا شعورا معاديا لليهود في كل العالم الناطق بالعربية ، ويهـدد بالخطر العلاقات بـين المسلمين والمسيحيين والعناصر اليهودية في فلسطين ، ويعرض الامن العام للخطر ،

١١٧ ــ الكاتب يدعو القراء الى ان يرسلوا برغباتهم الى المستقبل لو رأوا الاشتراك بهذا المصرف ومن ثم يعلن العنوان الذي يلزم ارسال التبرعات اليه .

١١٨ ــ F.O. 371/3388/153681/1495

١١٩ ــ يشير سايكس الى ان اي سوري يقيم في فرنسه ويصرح ان فرنسه ليس لها نية الحاق سوريه يسجن فورا ...

ويزيد المصاعب والمسؤوليات الملقاة على عبء الادارة العسكرية في المناطق المحتلة ، ويعرقل العمليات العسكرية ... » . وتمضي رسالة الخارجية في تصوير خطورة المقال العالمية ، اذ « هو مكتوب بروح عدائية صريحة يهدف الى تنظيم سياسة عالمية واسعة ضد اليهود ، وبذلك يدعم تآلف كل العناصر الحساسة لدعوة التعصب الديني والكره العنصري ... ويساعد العناصر التي تتعاطف مع العدو في سوريه والولايات المتحدة واميركه الجنوبية ، بتنمية الانقسام والشك بين اليهود وسائر الفروع السامية الناطقة بالعربية ... ويثير العاطفة الدينية في اي بلد يشكل فيها المسلمون عنصرا كبيرا من السكان... ويعطي فرصا لوكلاء العدو باثارة الكرم وعدم الثقة لقضية الحلفاء ...». وتنتهي الرسالة بنوع من التحذير للحكومة الفرنسية . « اذ ان نشر مقال في مجلة لها صلة بوزارة الخارجية الفرنسية سيثير الشك في نفوس السكان الموجودين في مسرح الاحداث في الشرق ، حول مدى التوافق بين السياسة الفرنسية وسياسة حكومة جلالته وهذا ما يجعل من الصعوبة البالغة التنسيق بين السلطات البريطانية العسكرية ومساعديهم الفرنسيين في مسرح الحرب في الشرق الادنى والاوسط » . ولذلك طلبت الخارجية الى السفير الفرنسي « ان تتخذ الحكومة الفرنسية الخطوات لمنع استخدام المستقبل لاغراض الدعاية المثيرة وان تزيل قدر ما يمكن الاذى الذي لحق بقضية الحلفاء عامة ... » وفي نفس الوقت اتخذت الحكومة البريطانية اجراءاتها الخاصة وطلبت منع دخول الجريدة الى الممتلكات البريطانية في مصر ، والتأكد من شخصية كاتب المقال والوسيلة التي تهرب بها من الرقابة في مصر . ومع ان كلايتون كان واثقا من دقة المراقبة على الرسائل التي تخرج من فلسطين فقد وعد باستمرار التحقيق لمعرفة طريقة تسرب المقال .

وقد يكون من اجل تخفيف الاثر السيء الذي احدثه المقال في الاوساط الصهيونية والبريطانية ، ان نشرت المستقبل في ١٠ ايلول (سبتمبر) دعوة غريبة لا تمت على الاطلاق الى الروح التي كتبت بها المقال الاول ، وقد وجه الدعوة حقي العظم في مقال عنوانه (فلسطين او سوريه الجنوبية) . فالكاتب بعد ان يعدد ميزات فلسطين واهميتها بالنسبة للاديان الثلاثة ، ويتقدم بالشكر لجيش اللنبي الذي انقذ هذا القسم من النير التركي ، وبات الرجاء وطيدا بمستقبل زاهر لفلسطين ، يرى ان من الاسباب التي ستؤدي بفلسطين الى الترقي السريع جعلها وطنا قوميا لليهود كما ورد في خطاب بلفور ، وهذا التقدم ، برأي حقي العظم ، « يكون اسرع وامتن واقوى اساسا اذا قام الاهالي بالواجب عليهم ، وساعدهم الصهيونيون بالاتفاق مع سكان البلاد الاصليين من مسيحيين ومسلمين ويهود . وتضافر الجميع متحدين على ما فيه خير البلاد وراحة الجميع وحفظ حقوق الجهتين مع مراعاة اصحاب البلاد دون احراج مركزهم » . ويحاول الكاتب ان يعود الى النغمة التي سبقت الحرب (وكان له دور فيها) بامكان الوفاق بين الصهيونيين واهل البلاد ، ولكنه نظرا لتغير الظروف يبين للزعماء الصهيونيين ما سيلاقيه الصهيونيون في تلك البلاد من الصعوبات ، اذا تركت الاحوال كما كانت قبل الحرب ، دون ان يجري الاتفاق بينهم وبين المسلمين والمسيحيين العرب من سكان فلسطين الاصليين ، وهم اصحاب البلاد منذ الفي سنة . انه يتقدم

بطلبه الى الزعماء الصهيونيين كي يزيلوا تأثير الشائعات ضدهم ، اولا باعلان ما يرمون اليه من جعل فلسطين وطنا قوميا على صفحات جرائدهم بصراحة ، وثانيا بعدم التطرف بمطالبهم ، ولا سيما السياسية والادارية منها ، وبتحسين سلوكهم مع الاهالي العرب . وحقي العظم واثق « ان العرب بعد ذلك لا يتأخرون لحظة عن مد يد الاتفاق والاخاء الى الصهيونيين ، اذا اطمأنوا على مستقبلهم ، وامنوا مصير جنسيتهم ولغتهم وحكومتهم ... » انه يوجه دعوة شبيهة بتلك التي وجهت قبل الحرب الاولى، الى الكتاب الذين يهمهم الامر ، بان يخوضوا في هذا الموضوع عساهم يتوصلون الى « حل يرضي الفريقين ويحفظ حقوق الجهتين ويزيل اسباب النزاع والنفور في المستقبل ويوطد الاخاء والاتحاد بين الصهيونيين وبين اهل البلاد ، من مسيحيين ومسلمين » . وينهي مقاله قائلا « ... كفانا ما وقع لنا فيما مضى من الانقسام الذي كان سببا لبقاء بلادنا الجميلة خرابا ... في وقت تقدمت فيه بقية البلاد ... » .

هذه الدعوى التي تبناها حقي العظم ، في هذا الوقت الذي توضحت فيه تماما اهداف الصهيونية ، لم تلاق اي استجابة ، ولم تعلق عليها الصحف العربية في الخارج، بل يبدو ان هجوم الصحافة العربية في الخارج لم يتوقف ،رغم كل الاحتياطات. وكان لا بد للسلطات البريطانية من استمرار حملتها في وقف توزيع الصحف التي تحوي مقالات معادية للصهيونية ، ويعدد كلايتون في برقيته الى الخارجية في ٢٥ ايلول (سبتمبر) (١٢٠) اسماء بعض هذه الصحف ، ومنها الهوى في بيونس ايريس ، والشبيبة في سنتياغو . وكان لا بد للحكومة البريطانية ان تلجأ الى تنسيق سياستها مع فرنسه في حملة الردع الصحفية ، فبعثت الخارجية ثانية الى السفير الفرنسي في لندن في ٣٠ ايلول ، تبلغه ان مقالات مشابهة لما ظهر في المستقبل ، قد ظهرت في صحف اخرى في اميركه الجنوبية حيث توجد جاليات سورية قوية ، مما اجبر سلطات المراقبة في مصر على منع توزيعها . والرسالة تدعو السفير الى الاشتراك في منع الصحف العربية في بلاد الحلفاء عن مهاجمة سياسة الحلفاء في فلسطين .

ولم يكن الامر في فلسطين نفسها سهلا ، فكل التقارير كانت تؤكد صعوبة الموقف. وقد كتب (وارلاند) ، احد رجال المكتب العربي، تقريرا في تموز (يوليو) ١٩١٨ (١٢١)، يرى فيه ان سياسة الحلفاء اليهودية والصهيونية في فلسطين ، كانت تضيف تعقيدات شائكة للوضع في الشرق ، وانه كان يستحيل تماما شرحها للمسيحيين او المسلمين ، كل ما يمكن ان يقال لهم « ان الوضع يجب ان يقبل كما هو ... وان شعور الحلفاء الطيب سوف يعمل على ان يأخذ كلا العنصرين دورا عادلا في اي حكومة في المستقبل » . مع ذلك فان وارلاند يرى ان هذه السياسة قد اضافت الكثير الى المصاعب البريطانية، ونفرت كلا من المسلمين والمسيحيين ، فالمسلمون يتخذونها ذريعة من اجل استمرار شعورهم بالفتور ، وعدم الولاء للحلفاء والميل لتركيه ، والشعور بان ما حدث كان نتيجة لعدم تمسكهم بالامبراطورية العثمانية . وكذلك المسيحيون يشكون من المحاباة

١٢٠ - F.O. 371/3388/162884/1496 F.
١٢١ - F.O. 822/14 Arab Bureau Papers

التي تظهرها السلطات لليهود . ويبدو ان وارلاند كان عديم الثقة بجميع المقابلات التي اجراها وايزمان مع العرب ، ويصورها وكأنها « سوق الضحية الى الذبح ... » . وفي مذكرة رفعها هوغارت الى الخارجية في ٢ آب (اغسطس) حول المصاعب التي تحيط بالقضية العربية (١٢٢) يؤكد انه « لا يمكن ان نتوقع من الغالبية غير اليهودية في فلسطين قبولا للتغلغل الصهيوني ، او قبول المعاملة التفضيلية للصهيونية اذ ان معارضتها تنمو كل يوم ... » ويضع هوغارت امله فقط في ضمان قبول هذا التغلغل بأقل صعوبة ممكنة ، بان يسود العنصر (الشريفي) او ما يطلق عليهم اسم (البدو) بين العرب ، حيث يمكن عقد صفقة مالية ، والا فان « تعهدات بريطانيه للصهيونيين يجب ان تفرض بالقوة » وكان اورمسبي غور لا يزال يغالط حول اهداف الصهيونية، فكتب معلقا على مذكرات هوغارت : « انا لا اوافق على الاطلاق بان الصهيونية تستلزم ان تفرض بالقوة . فالصهيونيون لا يبحثون عن سيطرة سياسية ، وانهم يسعون فقط الى تغلغل سلمي » ، وهذا ما اثار حنق هوغارت الذي علق على مغالطات اورمسبي غور « ... انا لا اوافق على اننا يجب ان نصوغ سياستنا الخاصة – مهما قلنا ذلك علانية – على فرضية تقول بان : الصهيونيين لا يبحثون عن تسلط سياسي ... الخ » . لقد كان هوغارت يعرف تماما وما اكده له سوكولوف ووايزمان شخصيا « انه لن تكون هناك قوة فعالة وراء الصهيونية ما لم يعن الوطن القومي اليهودي بان يكون اليهود في فلسطين امة مسيطرة سياسيا هناك في ظل اي حماية تفرض نهائيا . وهذا سوف ويمكن ان يحدث فقط بضغط على السكان الحاليين ، وليس بموافقتهم الحرة ، وحتى المسألة ... » (١٢٣) .

ويرفع محمد القلقيلي رئيس تحرير (الكوكب) ، تقريرا الى اللنبي وينجيت في ٩/٢٩ (١٢٤) اثر جولة قام بها في فلسطين للترويج للكوكب وما تمثله من سياسة، ويقر انه رغم جهوده في النصح والارشاد ، لم يكن ناجحا في ازالة سوء الفهم بين الشعب والحكومة واهم اسباب ذلك المسألة اليهودية . يشرح القلقيلي بان احد الاسباب الرئيسية لاستياء الفلسطينيين من الحكومة التركية ، سواء كانوا مسلمين او مسيحيين ، هو المساعدة التي قدمتها لليهود في فلسطين ، ومساعدة خططهم في الاستيطان ، ودعم نفوذهم ، ولذلك لما بدات الجيوش البريطانية بالتقدم في فلسطين رحب السكان بهم ، على امل انهم سينقذونهم من ايدي الترك . ولما بلغهم ان الحكومة البريطانية عملت فلسطين وطنا قوميا لليهود . كان الانطباع مؤلما للغاية ، جعل الناس في حالة ذهول . وتأكد هذا الشعور المؤلم بكلمة وايزمان في القدس ويافا ، وخاصة بعد

١٢٢ – F.O. 371/3381/146256 في تعليقه على اتفاقية سايكس
١٢٣ – كان هوغارت قد ارسل الى روبرت سيسيل في ١٨ آب (اغسطس) فان هذا سيؤثر بشكل خطير على
بيكو « انه اذا كان علينا ان نتوقع اشرافا دوليا على فلسطين فان هذا سيؤثر بشكل خطير على الاداة التي من اجلها
موقفنا تجاه الصهيونية ، ولكن هذه – اي الصهيونية – ليست بالتأكيد الاداة التي من اجلها
يجب ايذاء العرب او اليهود غير الصهيونيين » .
١٢٤ – .F.O. 882/14 Arab Bureau Papers وان سوء الفهم لو
يشرح الكاتب ان تقريره ينبع من ولائه للحكومة البريطانية والقضية المشتركة ، وان سوء الفهم لو
ترك دون تصحيح قد يؤذي لا سمعة بريطانيه فقط بل يكون مهلكا للحركة العربية كذلك .

ان اندفع اليهود معتمدين على تصريح بلفور ، وخطب زعيمهم ، بمظاهرات على مرأى من المواطنين فآذوا شعورهم للغاية . ويحاول القلقيلي ان يلمح في تقريره الى خطر استغلال الترك لهذه السياسة الموالية لليهود في مناطق فلسطين التي لم تزل بيد الترك، كما اخبره بذلك عادل زعيتر احد القادمين الى مصر من منطقة نابلس ، اذ تنشر تقارير تصور ان اليهود في المناطق المحتلة بايدي البريطانيين قد اصبحوا اسيادا للموقف وحكاما للبلد ، يعاملون المواطنين باحتقار بحيث لا يمكن رفع رؤوسهم امامهم . ويتابع القلقيلي نقلا ، عن زعيتر ، « ان ذلك كان له بالغ الاثر على افراد الشعب حتى اصبحوا يفضلون الجوع والقسوة ، التي يفرضها الحكم التركي ، على توقع وصول البريطانيين خوفا من وضع اليهود حكاما عليهم » (١٢٥) .

وقد ظلت قضية مطالبة البعثة الصهيونية بملكية حائط المبكى مشكلة معقدة بالنسبة للسلطات البريطانية التي خشيت الصراحة في موقفها نتيجة للمعارضة الاسلامية . وكان الحاكم العسكري قد بذل جهده (١٢٦) ، ليخفف شعور عدم الثقة ، محاولا اقناع المسلمين بالفائدة التي يجنونها بضمان مبلغ مالي كبير للملكية ليس لها قيمة كبيرة ، يمكن الاشخاص القاطنين فيها حاليا ايجاد مسكن ملائم في مكان آخر ، كما يساعد على اصلاح الابنية في منطقة قبة الصخرة . وكان برأي كلايتون في ذلك الوقت ان تتجنب السلطات العسكرية اي محاولة تعطي انطباعا بانها تمارس ضغطا ما في هذا الموضوع ، وان يترك كمسألة بحتة بين الصهيونيين والسلطات الاسلامية . ولم تكن نتائج المفاوضات غير الرسمية مشجعة بنظره ، اذ يلاقي المشروع معارضة كبيرة من جانب المسلمين الذين يعتبرونه نقطة انطلاق لتعديات يهودية اخرى وتخوف من ان يؤدي الى محاولات في منطقة الحرم نفسه . ويعيد كلايتون الى ذهن بلفور المحاولات البريطانية التي تولاها باركر منذ سنوات للتنقيب في منطقة الحرم ، وما نتج عنها من تشكيل جمعية اسلامية بهدف الحفاظ على الممتلكات الاسلامية (١٢٧) ، ولاحظ كلايتون ان اعضاء هذه الجمعية قد اجتمعوا مؤخرا لاعادة تشكيلها ، وقد القيت بهذه المناسبة كلمات تتضمن الرسائل التي وردت من العرب المسلمين والمسيحيين في مصر تدعو عرب فلسطين « للاتحاد ضد الخطر المشترك الذي ظهر نتيجة للحركة الصهيونية ، وتنبههم الى عدم بيع ممتلكاتهم الى اليهود ، وتنظيم الاجراءات لحماية المصالح العربية... » .

ومع ذلك فقد استمر الحاكم العسكري في محاولات اقناع مستمرة للاعيان المسلمين ، بترغيبهم في الحصول على الاموال الضرورية لترميم الحرم الشريف ، وسد

١٢٥ – الغريب في تقرير القلقيلي انه يحمل الموظفين المصريين في فلسطين جزءا كبيرا من المسؤولية في الحملة ضد البريطانيين ، اذ هم ينشرون بين الناس الجهلة – على حد قوله – ان البريطانيين قد جاءوا لاخذ البلد من الشعب وتقديمها لليهود وان الحركة العربية ليست الا احدى المؤامرات البريطانية اخترعوها من اجل تحطيم الامبراطورية الاسلامية والخلافة الاسلامية ، ويدعو القلقيلي الى حزب وطني في فلسطين يشبه الحزب الوطني في مصر يكون عقبة خطيرة للسياسة البريطانية العربية .
١٢٦ – F.O. 371/3395/167915 من رسالة كلايتون الى بلفور ٣١ آب (اغسطس) .
١٢٧ – تولى باركر رئاسة بعثة بريطانية للحفر في منطقة الحرم عام ١٩١١ وفشلت عملياتها نتيجة رد الفعل المحلي واثارة القضية في المبعوثان .

عجز صندوق الاوقاف ، وتطوير التعليم الاسلامي ، وتذكيرهم بعدم اهمية الابنية في المنطقة المجاورة وقذارتها ، وقد نبههم الى امر آخر هو انهم « قد يتنازلون يوما ما دون تعويض عن شيء يأخذون عنه اليوم مبلغا كبيرا من المال ... » . ولكن كل هذه الاعتبارات لم تعدل شيئا من موقفهم كما يقول كلايتون في رسالة اول تشرين الاول (اكتوبر) الى بلفور (١٢٨) « ... وتطور الامر الى تخوف خطير ... وصل الى حد الهلع ... **كما تطورت الامور من سيىء الى أسوأ بالنسبة لآمال الصهيونية** حول الموضوع » . ورفعت الى الحاكم العسكري ثلاث عرائض احتجاج ، قدم آخرها وفد **من اربعة شباب من الجمعية العربية** ، بمناسبة زيارة ستورز الرسمية للمفتي يوم عيد الفطر ، وقد اوقف ستورز في الوقت المناسب قيام مظاهرتين عدائيتين ، كما ارفق كلايتون برسالته ترجمة لبعض عرائض الاحتجاج التي رفعت الى الحاكم العسكري ، الاولى موقعة من جمعية الاخاء والعفاف ، وجمعية مقتطف الدروس ، والنادي العربي باسم الجمعيات العربية الاسلامية في القدس ترجو الحاكم العسكري بمناسبة تهنئته بالعيد ان يهنئهم باخبار حازمة عن التخلي عن محاولات المقايضة لوقف ابو مدين (المتوضع قرب المسجد الاقصى) « لثقتهم باحترام بريطانيه تقاليد الامم ، وحماية مشاعرهم الدينية ... وميله هو الودي نحو كل المسلمين وخاصة مسلمي فلسطين» . ويؤكدون له انهم مع جميع المسلمين قاطبة لن يسمحوا بالمقايضة او الاستيلاء على هذا المكان المقدس التقليدي الذي يلاصق جامع عمر لعدة اسباب اكثرها اهمية « انه يجرح شعور المسلمين ، وهو جرح لا يندمل الا بالاذعان الى مطلبنا ورفض تسليمه للآخرين » . ووقع الاحتجاج الآخر عدد كبير من اعيان القدس (٢١٩) رأوا في العملية مخالفة للقوانين السائدة ، ولتصريح القائد العام عند احتلال القدس راجين منه منع اي عمل يرفضه المسلمون خاصة والعالم عامة . ولذا راى كلايتون ان من غير المرغوب فيه ان لم يكن خطرا في الحقيقة ، التقدم خطوة اخرى فيما يتعلق بمسألة حائط المبكى ، وخاصة ان المساهمة التي قدمتها القوات العربية على طول الحدود الشرقية السورية قد زادت في توثيق العلاقات العربية البريطانية من جهة ، ومن جهة اخرى فان كلايتون يرى ان هناك قضية اكثر الحاحا « من مشروع ليس له اهمية مباشرة بل ربما يثير شعورا حادا في الاوساط الاسلامية » وهي قضية المفاوضات التي يستعد لها البريطانيون للتوفيق بين المصالح العربية والفرنسية في سوريه (١٣٠) .

١٢٨ – F.O. 371/3395/177513

١٢٩ – الموقعون هم : عارف الدجاني، موسى شفيق الخالدي، هشام الدين جار الله، فهمي النشاشيبي، موسى البديري ، عمر الدقاق، محمد شكري، محمد توفيق الحسيني، محمد طاهر ابو السعود، محمد يوسف العلمي ، يوسف وفا الدجاني ، عبد السليم الحسيني ، خليل النشاشيبي ، عبد الله صدقي الحسيني ، سعيد حمدي .

١٣٠ – بعد دخول القوات العربية والانجليزية دمشق ١٩١٨/٩/٣٠ اعلنت قيام حكومة عربية فيها برئاسة فيصل تشمل نظريا كل سوريه الطبيعية وقسمت سوريه الى مناطق ادارية عسكرية تتبع القائد العام (اللنبي) ، شرقية (سوريه الداخلية) وتديرها الحكومة العربية . وغربية (الساحل اللبناني السوري وتديرها القوات الفرنسية العسكرية) وجنوبية (فلسطين) وتديرها القوات البريطانية العسكرية . وكان من المفروض ان هذا الاجراء تدبير مؤقت ريثما يتوصل مؤتمر السلم

(التتمة على الصفحة التالية)

٧ – على ابواب مؤتمر السلم :

وكان امرا طبيعيا ان يتزايد تعقيد الامور بعد الهدنة (١٩١٨/١٠/٣٠) ومع اقتراب مؤتمر السلم (١٣١) ، فقد زاد تطرف المطالب الصهيونية وتصاعدت شدة المعارضة العربية ، ورافق ذلك قلق بريطاني ، كان على الاغلب على مصير البرنامج الصهيوني . وامام مؤتمر الاتحاد الصهيوني الانجليزي في ١٩١٨/١١/٢ (١٣٢) ، وبمناسبة الذكرى السنوية لاصدار التصريح يشكر وايزمان حكومة جلالته « فأرض اسرائيل كلها تحررت في الوقت الحاضر » ويذكر الحاضرين بانهم يقفون على عتبة احداث عظيمة ، وان المهمة امامهم اوسع واكثر تعقيدا من الذين سبقوهم في الذهاب الى فلسطين ، اذ لا يمكن ان يرضوا بنفس النتيجة التي حصل عليها اولئك . انه يجزم « بان الظروف السياسية لبناء الوطن القومي اليهودي ستقام سريعا وبشكل ملائم ... » ويترجم وايزمان هذه التوقعات الحالية الى تسع مقترحات محددة رفعها الى روبرت سيسيل في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ، وهي: ان تستمر البعثة الصهيونية كهيئة استشارية للسلطات العسكرية في الامور المتعلقة بأحوال الشعب اليهودي وتطوير تنظيمه ، وان تتخذ كل الخطوات التي تمكنه من تشجيع وتوسيع مشاركة اليهود في الادارة الحالية للبلاد ، وان تفوض البعثة تقديم مقترحاتها وآرائها الى السلطات حول الوسائل الفعالة لتحقيق هذا الهدف ، وان يعترف باللغة العبرية كلغة للشعب اليهودي في فلسطين ، وان تعين فورا لجنة اراض يكون من اعضائها ممثلين عن البعثة الصهيونية ، لمعالجة كل المسائل المتعلقة بتملك الاراضي في فلسطين تباشر بعملية مسح اولي ، ثم عملية مسح نهائي للاراضي ، عندما تسمح الظروف ، وذلك بوضع الخرائط ، ثم فحص سجلات الاراضي التي لا تزال موجودة والتثبت من صحة حقوق الملكية ، وتصنيف كل اراضي الدولة والاراضي المهملة وغير المزروعة والمزروعة جزئيا، وبحث قوانين الاراضي الحالية واعداد مقترحات لاجراء التعديلات الضرورية التي تلائم المتطلبات الحديثة ، وكذلك طلب اعطاء اذن وتفويض كاملين للبعثة الصهيونية بارسال مجموعة خبراء لعملية تقصّ شامل للبلد للتأكد من موارده ووسائل تطويرها ، وان تخول البعثة الصهيونية في الوقت الحاضر البدء بتنفيذ الاشغال الضرورية والعملية كتجفيف مناطق معينة ، وحفر الآبار وعمل طرقات وما شابه ، وان تخول كذلك بحث الامكانيات وتقديم المقترحات اللازمة لتوطين الجنود اليهود الذين شاركوا في حملة فلسطين لو رغبوا في البقاء ووجدوا صالحين لاغراض الاستيطان ، وان يسمح بارسال ممثل للبعثة الصهيونية الى مركز الحكومة العربية (يقصد دمشق) وذلك من اجل انشاء علاقة دائمة مع السكان العرب وتنمية العلاقات الودية بين العرب واليهود ، واخيرا يسمح للبعثة بمتابعة احتلال موقع الجامعة العبرية على جبل سكوبس وتنفيذ الاشغال الاولية المتعلقة بالجامعة . ولم تر السلطات البريطانية في مصر ، في برقية

الذي افتتح في باريس كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ الى حل القضايا الناجمة عن الحرب والتي كانت قضية الشرق العربي جزءا منها .

١٣١ – F.O. 371/3414/190190

١٣٢ – F.O. 371/3395/182887/11053.F.

كلايتون ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٣٣) ، مانعا من الموافقة على معظم هذه الاقتراحات ، مع الاشارة الى ان اكثرها ساري المفعول في الوقت الحاضر ، وخاصة مسألة اللغة العبرية والمشاركة بالادارة المحلية . ومع ان هناك ، كما تقول البرقية ، سبعة ضباط في مناصب ادارية عليا ، الا انها تعد بان « اي اقتراحات للبعثة حول التوسع في توظيف العناصر اليهودية في جهاز الادارة العسكرية سوف يحظى بالاهتمام المتعاظف » . والاعتراض الجدي الوحيد كان على طلب لجنة الاراضي والتسوية والمسح اذ ان لهذا الامر براي السلطات هو مهمة الحكومة المدنية اكثر منه مهمة الادارة العسكرية المقيدة (بقانون واعراف الحرب) .

لقد كانت هذه التنازلات تقدم ، في وقت كانت السلطات البريطانية نفسها تشعر ان كراهية المسلمين والمسيحيين للصهيونية قد توضحت بشكل اكبر منذ الهدنة . « فالتصريح الانجلو فرنسي قد شجع كافة الاطراف على توضيح رغباتها بكل الوسائل الممكنة نظرا لاقتراب مؤتمر السلم » (١٣٤) كما جاء في برقية كلايتون ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٣٥) ، ولذلك يوصي بان « الوقت الحالي غير ملائم تماما لاي نشاط صهيوني خاص في فلسطين ، ويجب ان (يؤخر) حتى يحدد تماما وضع البلد وشكل ادارتها نهائيا ... » . وكان سايكس اكثر قلقا ، حين شعر اثناء زيارته الى الشرق بعد الهدنة « ان خلافا كبيرا ينمو بين العناصر اليهودية وغير اليهودية في فلسطين » . ومع انه كان لا يزال يعتقد بان « الوضع ليس خطيرا » (١٣٦) ، ولكنه قد « يتطور الى شكل أسوأ (١٣٧) » فقد شاهد سايكس بنفسه فشل سياسته (التوفيقية) ، والتباعد السحيق بين وجهتي النظر اليهودية وغير اليهودية (كما يسميها) ... والسبب برأيه « انه بتأثير الهدنة شعر الطرفان ان اللحظة مؤاتية لعمل دعاوي متنافسة بتصرفات علنية (وان) وجهة النظر اليهودية تعتبر ان تصريح بلفور لا يمكن ان يؤدي الى تحقيق كامل للاحداث ، ما لم يفرض التطور في المنطقة والنتيجة سلسلة من الشكاوى والاحتجاجات . ويصبح غير اليهود الذين يقعون تحت تأثير الوحدة العربية والافندية في وضع قابل للاثارة ، ويندفع اليهود بالتالي نحو موقف معاد ... ولكن الخوف هو ان يفكر غير اليهود بان احسن تأكيد (لمطالبهم) هو الانفجار العنيف » . ويرجع سايكس جزءا كبيرا من التوتر الى المقالين اللذين نشرتهما مجلة « بالستاين » ١٩/١٠ ،

١٣٣ – F.O. 371/3396/18287/11053

١٣٤ – اثارت الاجراءات الادارية العسكرية التي طبقت في سوريه بعد انتهاء العمليات الحربية احتجاج العرب ووجدت الحكومات الفرنسية والبريطانية انه من المناسب اصدار تصريح رسمي يدمج كل وعود الحلفاء الى العرب – فصدر في ١٩١٨/١١/٨ تصريح مشترك صيغ بعبارات غامضة عن وعود بتحرير الشعوب التي رزحت تحت الحكم التركي واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالي .

١٣٥ – F.O. 371/3395/18287/11053

١٣٦ – F.O. 371/3398/190447/27647. F. رسالة سايكس من القاهرة الى اورمسبي غور ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .

١٣٧ – يعدد سايكس حوادث شجار عديدة واحتجاجات ووفود كثيرة معادية للصهيونية امت السلطات .

١١/٢ حول حدود فلسطين (١٣٨) ، وكلاهما يتكلمان عن الدولة اليهودية المستقلة . وبرأيه « ان مثل هذه الدعاية مقدر لها ان تنمي التحالف بين العرب الفلسطينيين والفئات العربية الكبرى التي ظلت حتى الآن متفرجة ... » . ولخص سايكس الوضع بوجود مشكلتين تحتاجان الى قرار سريع، فاليهود يهمهم كثيرا معرفة حدود فلسطين، وغير اليهود يهمهم معرفة الهدف الصهيوني وهل هو اقامة دولة يهودية مستقلة عندما تستطيع ذلك الاغلبية اليهودية ؟ او هل ستستمر الوصاية الى حين تطالب العناصر اليهودية معا بالاستقلال ؟ وسايكس ينذر صديقه اورمسبي غور (ويرجوه ان يبلغ وايزمان وسوكولوف) « بان الوضع لا يمكن ان يتحسن حتى توضح هاتان النقطتان ، اذ لا يوجد متسع للدبلوماسية او التوفيق طالما ان الوسطاء المكنين وكلا الطرفين اصحاب العلاقة لا يعرف اسس النقاش ... » .

على كل حال كان قلق سايكس ينبع قبل كل شيء من خوفه على مصير البرنامج الصهيوني ، فهو لا يقترح مطلقا كما جاء في رسالته « ان يطلب من الصهيونيين اقل مما هو ضروري لتمكينهم من انجاز اهدافهم ... » . ورغم مخاوفه لم يستسلم لليأس . اذ كان لا يزال يرى « ان الوضع الحالي ينبعث من سوء الفهم اكثر من عدم التنافر المستمر للآراء ... » . ولم تكن الخارجية في جوابها الى سايكس في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٣٩) تقدر مخاوفه تماما ، وكانت بعض الاوساط فيها ترى انه امر طبيعي لا يمكن تجنبه ، ان تزداد الدعاية من قبل اليهود والعرب والسوريين في الفترة السابقة لتسوية السلم النهائية . ومع ان بعضهم قد مال الى الاجابة على القضيتين اللتين طرحهما سايكس (١٤٠) ، الا ان الرأي السائد كان يرى عدم اصدار تصريح رسمي من

١٣٨ – مجلة **بالستاين** التي تصدرها جمعية فلسطين الانجليزية بتأثير من جماعة منشستر الصهيونية . المقالان اللذان يشير اليهما سايكس يلخصان المبادىء العامة الجغرافية والاقتصادية والعسكرية والتاريخية التي يجب ان تبنى عليها حدود دولة فلسطين الجديدة . اذ يجب في رأي المجلة ان يأخذ بعين الاعتبار في رسم هذه الحدود امكانية تطوير حياة اقتصادية نشطة وسهولة الدفاع الذاتي وتقترح امتداد الحدود الساحلية في الغرب حتى الليطاني ، لان لبنان احسن خط دفاع لاسرائيل ، وان تمتد نحو الشمال الشرقي الى منطقة يسهل الدفاع عنها وتحوي كل المستوطنات اليهودية في الجليل وتقترب الى مشارف جبل الشيخ اما في الشرق فيجب ان يمتد خط الحدود الى غرب خط الحجاز بشرط ان يكون لفلسطين اليهودية نفوذ في الدولة العربية في سوريه . اما في الجنوب فتطالب المجلة بمنافذ على البحار الشرقية وتؤكد على اهمية العقبة الاستراتيجية والاقتصادية . اما بالنسبة الى الحدود المصرية فتقترح تسليم الاجزاء الموجودة حاليا مع مصر حتى تقترب حدود فلسطين الجديدة من قناة السويس رمزا للخدمات التي ستقدمها فلسطين في مهمة الدفاع عن مصر .

١٣٩ – F.O. 371/3398/190444/27647

١٤٠ – احد التعليقات على رسالة سايكس « انه بالنسبة للنقطة الاولى لا يبدو اي سبب يمنع ان تمتد فلسطين حتى الحدود الجنوبية للبنان حتى مصب الليطاني . اما في الشرق فنهر الاردن حد طبيعي جيد ، ولكن من المناسب ان تضم في فلسطين ذلك الجزء من وادي عربة ... وهي قابلة على ان تقبل عددا كبيرا من السكان لو رويت وزرعت بشكل علمي » . وفيما يتعلق بالنقطة الثانية فان مبدأنا ان تكون دولة فلسطينية بمواطنية فلسطينية لجميع السكان يهودا او غير يهود ، وهذا يتوافق مع رسالة بلفور ، ولكن العنصر اليهودي يجب ان لا يسمح له بان يشكل دولة داخل دولة يتمتع بامتيازات افضل من سائر السكان .

قبل بريطانيه او من الحلفاء الى حين اجتماع المؤتمر ، كل ما نصحوا به عرض آخر بارسال وايزمان الى فلسطين ، على امل ان زيارة خاطفة يقوم بها هناك ستحسن الاوضاع . ولكن السلطات في فلسطين لم تر فائدة في مجيئه ، فلم ترسل لاستدعائه ، وخاصة انه كان يستعد لحملته في مؤتمر السلم .

وفي الوقت الذي كان وايزمان يعرض قدومه الى الشرق للتهدئة ، كان يطلب المزيد من التنازلات من الحكومة البريطانية ، لتنفيذ السياسة التي انطوى عليها تصريح بلفور فبعث من لندن الى دكتور ادر (احد اعضاء البعثة الصهيونية) ، برقية يوضح له ان المنظمة الصهيونية قد رفعت الى الحكومة تحديدا بمعنى الوطن القومي اليهودي ، كي تصدر الحكومة تصريحا علنيا بشأنه ، يتبعه تصريح من المنظمة عن سياستها ، وهو يلح على ادر ان يشرح لسايكس (الذي كان لا يزال في القاهرة) ، وللسلطات بان « يهود العالم ، وخاصة اميركه ، الذين يدعمون باخلاص الوصايا البريطانية ، قد خاب املهم لاعتدال وجبن مطالبنا ، وهم يعتقدون بحق انه في الدولة العربية السورية الجديدة تتحقق الاماني العربية القومية كاملة . وفلسطين ضمن حدودها التاريخية الموضوعة تحت الوصايا البريطانية يجب ان تشكل نظاما سياسيا اداريا يقدم كل الفرص من اجل التطور النهائي نحو كومونولث يهودي » . ويعلق في النهاية « بان تهديدات الوحدة العربية ، ونداءات العنف التي يثيرها الافندية ، لن تخيف اليهود الذين يواصلون الاصرار على مطالبهم (العادلة) ، ومصالح الفلاحين الفلسطينيين ستضمنها الدولة صاحبة السيادة والسكان اليهود » .

وكان الامل الذي لا يزال يراود سايكس بامكانية اللقاء ، قد قضت عليه تماما برقية وايزمان هذه ، التيوقعت بيد المخابراتالعسكرية في القيادة العامة (١٤١)، يطلب الحفاظ على سريتها ، لانها ستثير تخوفا كبيرا . فقول وايزمان : « ان المطالب الصهيونية تتصف بالاعتدال والجبن لا اساس له نظرا لان هذه المطالب التي صرح عنها ... قد اثارت شعورا بعدم الثقة والتخوف » . وامر آخر هو ان وايزمان يعتبر تحقيق المطامح العربية القومية انما يكون في الدولة العربية السورية الجديدة ، بينما يرى كلايتون « ان تطور الاحداث السياسية الحالي لا يوحي للعرب بالثقة في ان آمالهم القومية في سوريه سوف تتحقق » ، ثم ان هذه المطامح بنظر كلايتون ليس لها الاعتبار الاول لدى السكان (غير اليهود) في فلسطين، اذ هم يعنون بصورة رئيسية «بالاحتفاظ بموقع في فلسطين نفسها يرون ان الصهيونية تهدده » . والصعوبة الرئيسية بنظره وبنظر سايكس ، قد نجمت عن توقيع الهدنة ، واقتراب مؤتمر السلم ونشر التصريح الانجلو فرنسي ، حيث « وجد الصهيونيون و (غير اليهود) ان اللحظة مناسبة للتصريح عن رغباتهم قبل التوصل الى تسوية محددة فيما يتعلق بمؤتمر السلم » . وكل ما يخشاه كلايتون ان « العمل المعادي لليهود قد يتخذه العرب وسيلة لاظهار معارضتهم للصهيونية حيث لا يمكنهم ان يعبروا عنها بوسائل اخرى » . ويوصي كلايتون ان « يتجنب الصهيونيون زيادة التخوف بتصريحات طائشة عن سياستهم ،

١٤١ – بعث البرقية كلايتون في ٥ كانون الاول (ديسمبر) الى وزارة الخارجية . F.O. 371/3885/201968/747. F.

او مطالب مبالغ فيها تؤثر على نجاحهم ، وتثير عداء دائما يجعلهم عرضة للتهمة بانهم يريدون تأمين اهدافهم بالقوة » . ولم يكن ذلك حرصا على المصلحة العربية، بل لاعتبار هام جدا هو ان غير اليهود في فلسطين هم ٥٧٣٫٠٠٠ مقابل ٦٦٫٠٠٠ يهودي . لذلك فان الاماني الحقيقية للصهيونيين يمكن ان تتحقق بشرط ان ينفذوا برنامجهم بصبر وان يظهروا تعاطفا لمن هم (اليوم) غالبية كبرى جدا » . انه يتنبأ بان الصهيونيين « لو غذوا سيرهم الآن بالقوة فان مجموع بنائهم سيشاد على اساس متزعزع » .

ومع اقتراب افتتاح مؤتمر السلم كانت استعدادات الصهيونية على اشدها وابلغ بلفور وايزمان شخصيا انه حين تعرض للقضايا المتعلقة بفلسطين امام دول الحلفاء لاعطاء قرار فيها سيسمع وجهة نظر الصهيونيين . وبدأ وايزمان يطلب من الخارجية تسهيل مجيء الزعامات الصهيونية لحشدها في لندن للمباحثة باسم المنظمة الصهيونية ، وافتتح مكتب صهيوني في باريس استعدادا للمؤتمر ومنحت تسهيلات سفر استثنائية لاعضائه للتنقل بين لندن وباريس (١٤٢) . ولم يكن لعرب فلسطين وفد يمثلهم ، الوفد العربي الوحيد الذي سمح له – وبصعوبة – حضور مؤتمر السلم كان وفدا يرأسه فيصل نائبا عن الحسين وبدأت استعدادات صهيونية للضغط عليه بوسائل عديدة . الصوت الفلسطيني الوحيد الذي انطلق ليعبر عن رأي الشعب الفلسطيني على ابواب مؤتمر السلم ، هو صوت الجاليات الفلسطينية في اميركه ، التي كانت اقدر على التحرك ، فانطلقت في محاولة يائسة لاسماع صوتها في الاوساط الدولية ، وخاصة بعد شعورها بأهمية ويلسون في تلك الاوساط : فتقدم عدد من المواطنين الفلسطينيين المقيمين في المكسيك (في Torreon, Coahuill) الى المفوضية البريطانية بعريضة باللغة الاسبانية في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٤٣) كما انهم الحقوها برسالة اخرى الى الرئيس ويلسون للاحتجاج على تسليم فلسطين لليهود . وبعد ان ترفض العريضة الادعاء التاريخي لليهود في فلسطين ترى انه «طبقا لمبدأ الرئيس ويلسون باعطاء القوميات والشعوب حق اختيار الحكومات التي تراها مناسبة لهذا لا يوجد اي سبب تاريخي او جغرافي او عرقي يرغم شعب فلسطين على الخضوع الى حكومة اسرائيلية لا يريدها ولا يرغب بها . ولكنه يتسامح بقبول اليهود كمواطنين عاديين لهم حقوق مساوية لغيرهم » . « اما اقامة حكومة مبنية على اساس الديانة الموسوية ، لا تخالف فقط قانون الحكومات الطبيعي ، ومبادىء سياسة الحلفاء بل انها تؤخر اقامة السلم في تلك المنطقة... وتحل مكان مبادىء ويلسون... حربا داخلية... تنذر بالكوارث ... تهلك الجنس البشري » . ويبدو ان الخارجية لم تنظر الى هذه الحجج بعين الاعتبار وخاصة كما بدا من تعليقاتها « انه ليس بين اصحاب التواقيع اصحاب نفوذ » .

في الولايات المتحدة كان النشاط الفلسطيني المعادي للصهيونية اكثر تنظيما

١٤٢ – F.O. 371/3417/189315. F.
١٤٣ – F.O. 371/3386/213863/856

واوسع مدى، فقد تأسست في نيويورك «الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية» (١٤٤) وبعثت عن طريق سكرتيرها دكتور شطارة رسالة الى بلفور في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) (١٤٥) باسم (سوريي فلسطين) « للادلاء برأيهم امام الدول حول امر يعني الحياة او الموت لوجودهم القومي » . الرسالة تعرض حججها باسلوب معتدل هادىء وتعلن بتحفظ انها متمسكة بالحس البريطاني بالعدالة الذي لا يمكن ان يرضى « بان يوافق على خطة تمكن لفئة غريبة بنزع ارضنا من ايدينا حيث تسودنا في النهاية وتفرض علينا نظام حكمهم الغريب » . ثم تفند العريضة الدعوى الصهيونية « لماذا ندوس باقدامنا كل ما يمليه الضمير والعدل ... ويشهد به الدين والتاريخ ... بان كل سوريه هي لنا ولنا وحدنا ... واقتراح فلسطين كوطن قومي ليس حلا للمشكلة اليهودية ، والصهيونية متعصبة طائفيا ولو نجحت بالتوطد في فلسطين ستزيد شرا خطيرا الى سوريه اهتزت تحته فترة طويلة » . كل ما يطلبه اصحاب الرسالة من بلفور ان يكون لهم صوت في تقرير مصيرهم ... وان يسمع هذا الصوت في مؤتمر السلم المقبل « اننا لا نرغب في فصل فلسطين سياسيا واقتصاديا عن بقية سوريه بل ان يمنح الجميع فرصا متساوية » (١٤٦) . الرسالة لم تنل رضا الخارجية ولم يكن لها تأثير على القرارات التي في طريقها الى الاعداد . وجاء في تعليق لاحد موظفي الخارجية « اننا يجب الا نقبل على الاطلاق ان تكون فلسطين جزءا من سوريه فقد صرحت كل دول الحلفاء بما فيهم الرئيس ويلسون لصالح جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود بشرط ضمان حقوق ومصالح السكان غير اليهود المقيمين في فلسطين ... ان الوسائل لضمان هذه الحقوق ستبحثها دول الحلفاء في مؤتمر السلم » .

والواقع ان المشروع البريطاني الصهيوني الذي طلب من العرب الموافقة عليه كان يحمل في جوهره عدة تناقضات : فالحكومة البريطانية قد التزمت بانشاء وطن قومي لليهود بفلسطين وبذل جهودها لضمان تحقيق هذا الهدف ، وفكرة الوطن القومي ليس له سابقة في القانون الدولي ، فالتصريح لم يؤكد اذا كان الوطن القومي سيكون مجرد اداة لخلق الدولة اليهودية ، او سيكون هدفا بحد ذاته . وهو الى جانب توجيهه بصورة رئيسية الى اليهود داخل وخارج فلسطين ، لم يأخذ بعين الاعتبار شعور ورغبات السكان الحقيقيين ، اذ جمعت سائر العناصر تحت هذا التعريف السلبي (الجماعات غير اليهودية) وبينما ضمنت حقوقهم المدنية والدينية لا يوجد ذكر لحقوقهم السياسية « في الحقيقة لم يكن لديهم شيء » (١٤٧) . وبنفس الوقت لم تسمح السلطات العسكرية في فلسطين بنشره رسميا ، وعملت على تهدئة شكوك الذين بلغتهم اخباره ، واحتجت بظروف الحفاظ على الوضع القائم ، وعدم تحديد الوضع

١٤٤ – The Palestine Antizionism Society وكان مقرها في ٣٩٦ برودواي نيويورك . وتتألف هيئة الادارة من الدكتور ن.أ. كاتبة (رئيسا) واندريه منصور (نائب رئيس) ويعقوب (امين صندوق) والدكتور شطارة (سكرتيرا) .

١٤٥ – F.O. 371/3420/206456/205922. F.

١٤٦ – وضعت الجمعية في ١٩١٩ كتابا لخصت افكارها في مقاومة الصهيونية بعنوان « فلسطين وتجديد حياتها » .

١٤٧ – Storrs. p. 414

السياسي لمستقبل فلسطين الى رفض احداث تغيرات اساسية تتناسب والتوقعات الصهيونية لمعنى التصريح . ولكنها وبموافقة الحكومة البريطانية سمحت بقدوم بعثة صهيونية نشطة سعت الى احداث امور واقعة محددة تعطي للصهيونيين حقهم بان يسمع صوتهم في مؤتمر السلم (١٤٨) . ورافق ذلك ادعاء بريطاني ان التصريح قد عمل وسط ظروف سوء فهم لفلسطين وان الصهيونية بالنسبة للسلطات البريطانية في الشرق كانت مشروعا سياسيا دبر في لندن . وكما يقول هوغارت في مقدمة كتاب جريفز (١٤٩) « ان حكومتنا لم تكن قد تحققت عام ١٩١٧ كم هو مفيد ان تكون فلسطين بلدا مستقرة يسكنها شعب عربي بآماله وتقاليده ... لم يكن ليرحب بالتحرير من الحكم التركي بثمن خضوع جديد ... لو كانت الحقائق معروفة لما سمحت للمتطرفين برفع علم سيادتهم المقبلة » بينما هوغارت نفسه كان احد افراد عصبة من المستشرقين في القاهرة مع عدد آخر من الضباط السياسيين يكونون المكتب العربي الذي كان يمارس تأثيرا قاطعا على سياسة بريطانيه في الشرق الادنى .

ثم ان الفكرة الصهيونية نفسها كان لها سياستان : سياسة سرية توجه دعوتها الى اليهود لانشاء دولة يهودية في فلسطين ، وسياسة ظاهرية توجه دعوتها الى التعاون مع العرب تخديرا لاعصابهم حتى تتمكن من السيطرة عليهم في النهاية : ففي الوقت الذي كان سايكس يدعو الى سياسته (التوفيقية) رسمت الجويش كرونيكل الخطوط العريضة لوضع تصريح بلفور موضع التنفيذ والبحث عن الوسائل الكفيلة بتحويل فلسطين الى دولة يهودية ، ولم تجد في المشكلة العربية اي صعوبة وخاصة انها ليست جديدة فقد واجهها « موسى في ارض كنعان » ، وتقترح ان يغير اسم فلسطين الى ارض اسرائيل ، وان يحول العرب سياسيا الى اسرائيليين . ولا ترى الجريدة مانعا من الترحيب بالعرب كمواطنين في الكومنولث اليهودي على امل ان اليهود باستطاعتهم تمثل الشعوب الاخرى ، وهم سيقبلون داخل حدود دولتهم كل الذين يرغبون ان ينضووا تحت لواء مؤسساتها السياسية والالتزام بقوانينها وبهذه الاساليب سيقصون تدريجيا من ارض اسرائيل كل الذين لا يرغبون قبول الجنسية الاسرائيلية (١٥٠) . ويرسم سايدبوتام حدود فلسطين الجديدة في المستقبل تحت الحماية البريطانية المؤقتة التي ستمتد من الليطاني شمالا الى العقبة جنوبا وتضم شرقا المنطقة التابعة لخط الحجاز ، ولكنه يرى ان حماية العناصر (غير اليهودية) ستكون الاهتمام الاساسي للدولة الجديدة وخاصة ان سوء معاملة عرب فلسطين بنظره سيكون له تأثير سريع على علاقات الدولة الجديدة بجاراتها في الشرق .

ولكن اغلبية الصهيونيين كانت تقدر صعوبة (فلسطين المستقبل) التي تحكمها (اقلية) وتحاط بأراض يسكنها شعب له صلة لغوية ودينية بالاغلبية (١٥١) ، ولذلك

١٤٨ – تقرير اورمسبي غور عن الوضع السياسي في فلسطين وما جاورها ٢٧ آب (اغسطس) ١٩١٨ . F.O. 371/3395/147225

١٤٩ – Graves, Palestine : **The Land of Three Faiths,** London. 1923.

١٥٠ – نشرت المقال المنظمة الصهيونية (مكتب لندن) ١٩١٨ بعنوان : Jewish Commonwealth

١٥١ – Zionist Pamphlets London, 1918. **A Jewish Palestine,** by H. Sacher

كان همهم في مؤتمر السلم ان لا يطبق مبدأ الديموقراطية المستند على الارقام المجردة « ... حتى يحين الوقت الذي تتحول فيه فلسطين الى بلد يهودي بهجرة كثيفة واستيطان منظم في ظل حماية بريطانيه ... » وهذا ما دفع ويليام ييل الى القول انه « ما لم تتحول فلسطين الى بلد يهودي فانه يبدو من الظلم للسكان الحاليين في فلسطين خلق دولة اصطناعية مفروضة على سكان معادين » (١٥٢) « لقد كانت حجتهم ان فلسطين ارض خاوية وصحراوية ، وان بها متسعا للتطور الصهيوني دون طرد السكان الحاليين » (١٥٣) وبها طاقات انتاجية هائلة، ولكن اساليب الحكم السابقة كانت تسير في خط يعارض التطور (١٥٤) ، كذلك ان سكانها في مرحلة متخلفة من الحضارة ولا تتوفر فيهم عناصر التقدم (١٥٥) ، وان الدولة اليهودية الجديدة « ستصبح اداة بين الحضارة الغربية والشرقية ، اذ ان الاوروبيين جاءوا للشرق كحكام وسادة لفرض ثقافتهم على الشرقيين ... غير الراغبين ومع كل ما ادخلوه ظل الشرقيون اكثر انفصالا عن الحضارة الغربية بينما سيأتي الشعب اليهودي المشرب بثقافة الغرب ليس كحاكم بل كمستوطن ينجز في الشرق ما عجز عن فعله الغرب » (١٥٦) .

وبنظر الصهيونيين ان مشروعهم سهل التنفيذ في فلسطين حيث لا يوجد للحركة القومية العربية موطىء قدم كما يقولون ، وان الميدان واسع ومفتوح للقومية العربية في العراق والجزيرة وسوريه (١٥٧) . كما يرون ان زعماء الحركة العربية خارج فلسطين الذين ينتمون كالصهيونيين الى ميدان المصالح البريطانية ، لا يعترضون على المطامع الصهيونية بل انهم اعتبروا ان هؤلاء الزعماء لديهم ادراك اوسع من عرب فلسطين عن فوائد المساعدة اليهودية في الاتحاد العربي المقبل . وان موقف عرب فلسطين من الصهيونية انما يختلف حسب الطبقات الاجتماعية والمصالح المتعددة ، وان المعارضة انما يتولاها طبقة الملاكين والافندية والمثقفين بحجة ان تقدم الصهيونية ضار لمصالح هذه الطبقات اذ يهدد مراكزها في القيادة كما ان ادخال اساليب التطور الحديثة يهدد امتيازاتها التي تعتمد على ابقاء الجماهير فقيرة ، ومن هذه الزاوية، يفسر الصهيونيون تنظيم المقاومة ضدهم ويرون ان تحسن الظروف المعيشية نتيجة للتطور اليهودي كفيلة بازالة المعارضة الصهيونية (١٥٨) .

الواقع انه منذ الفترة السابقة للحرب خبر الشعب في فلسطين ان اي ارض تشترى تتوقف آليا ان تصبح مكان اقامة او عمل للفلاحين العرب عليها ، مهما كانت

---

١٥٢ — Yale Papers, No. 23, April 22, 1918

١٥٣ — ما قالته جريدة Scotsman بمناسبة صدور وعد بلفور ونقلته منشورات المنظمة الصهيونية (مكتب لندن) ١٩١٨ .

١٥٤ — تقرير اورمسبي غور ١٩١٨/٨/٢٧ المذكور سابقا .

١٥٥ — منشورات المنظمة الصهيونية المذكورة سابقا (نقلا عن جريدة المنشستر غارديان) .

١٥٦ — تقرير ييل السابق (١٩١٨/٤/٢٢) نقلا عن اقوال غاستر .

١٥٧ — منشورات المنظمة الصهيونية (مكتب لندن) ١٩١٨ A Jewish Palestine, by H. Sacher

١٥٨ — تقارير وايزمان وكلايتون واورمسبي غور المشار اليها في هذا الفصل . ويشرح هذه الخلفية الاجتماعية الاقتصادية للمقاومة العربية : Sereni & A Shery, **Jews & Arabs in Palestine, New York 1936.**

قيمة التحسينات ومهما كان الثمن الذي دفع ، بل كان الخوف من هذه القوة المتقدمة ببطء ، التي تساندها قوة عالمية باموالها وتجهيزاتها هو الذي دفع الشعب الى ان يواجه المستقبل بقلق خوفا من عجزه عن المحافظة على مركزه . ويقول ستورز (١٥٩) « وبغض النظر عن مدى ما فشل شعب فلسطين في عمله ... فحقهم في الارض واضح ... يكفي انه مبني على مجرد سكنى مستمرة تمتد اكثر من ١٢٠٠ سنة » .

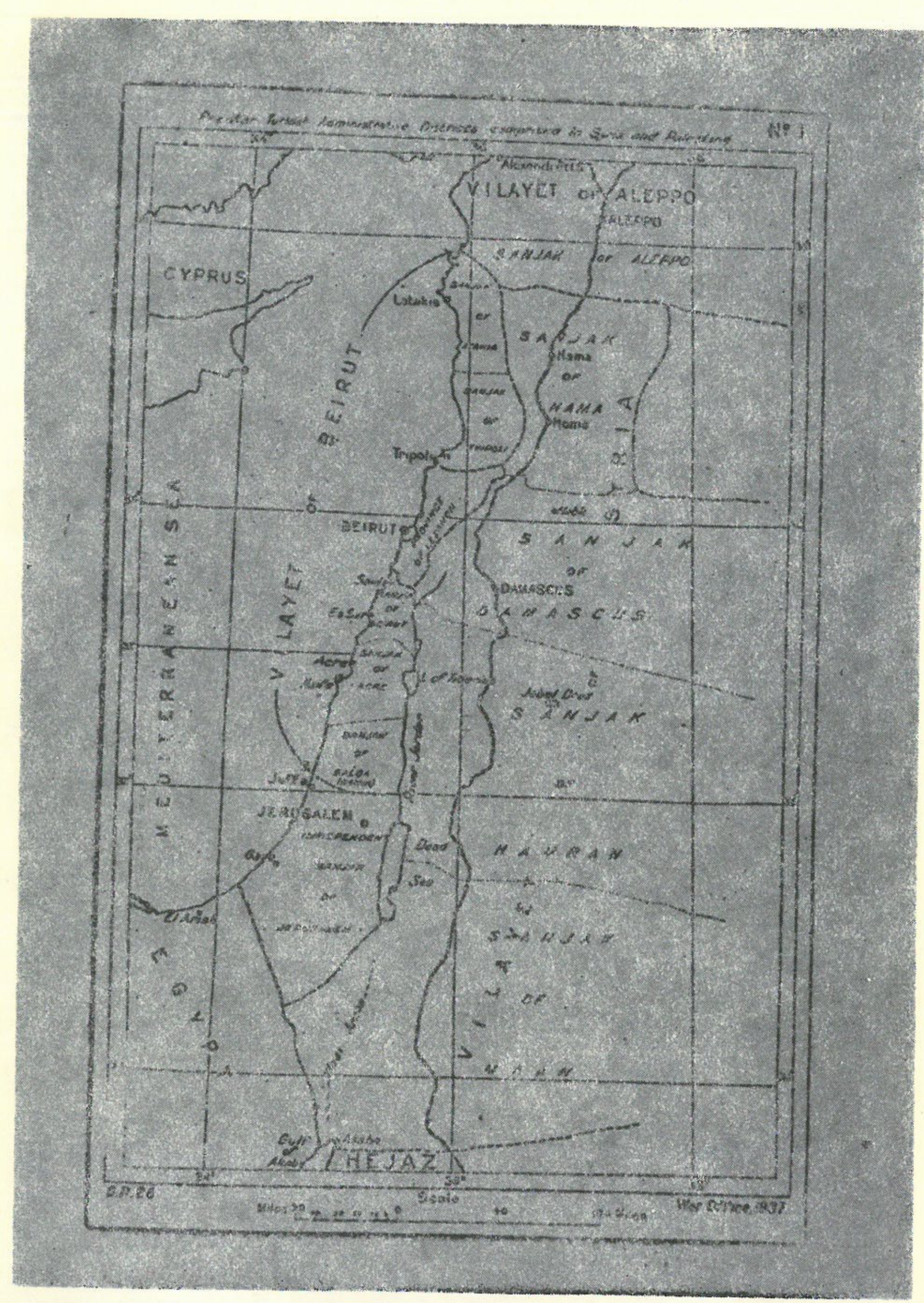
الحقيقة التي اقرتها الدول الكبرى في مؤتمر السلم : هو تجاهل كون العرب الفلسطينيين غالبية من اجل تقرير مصير البلد ... بينما كانت الآمال الكبيرة تراود الصهيونيين واتفقت مع وجهة نظر واماني بريطانيه عند افتتاح مؤتمر السلم في ١٩١٩/١/١٢ .

---

١٥٩ — Storrs, p. 414

وَثَائِق

الوثيقة الاولى

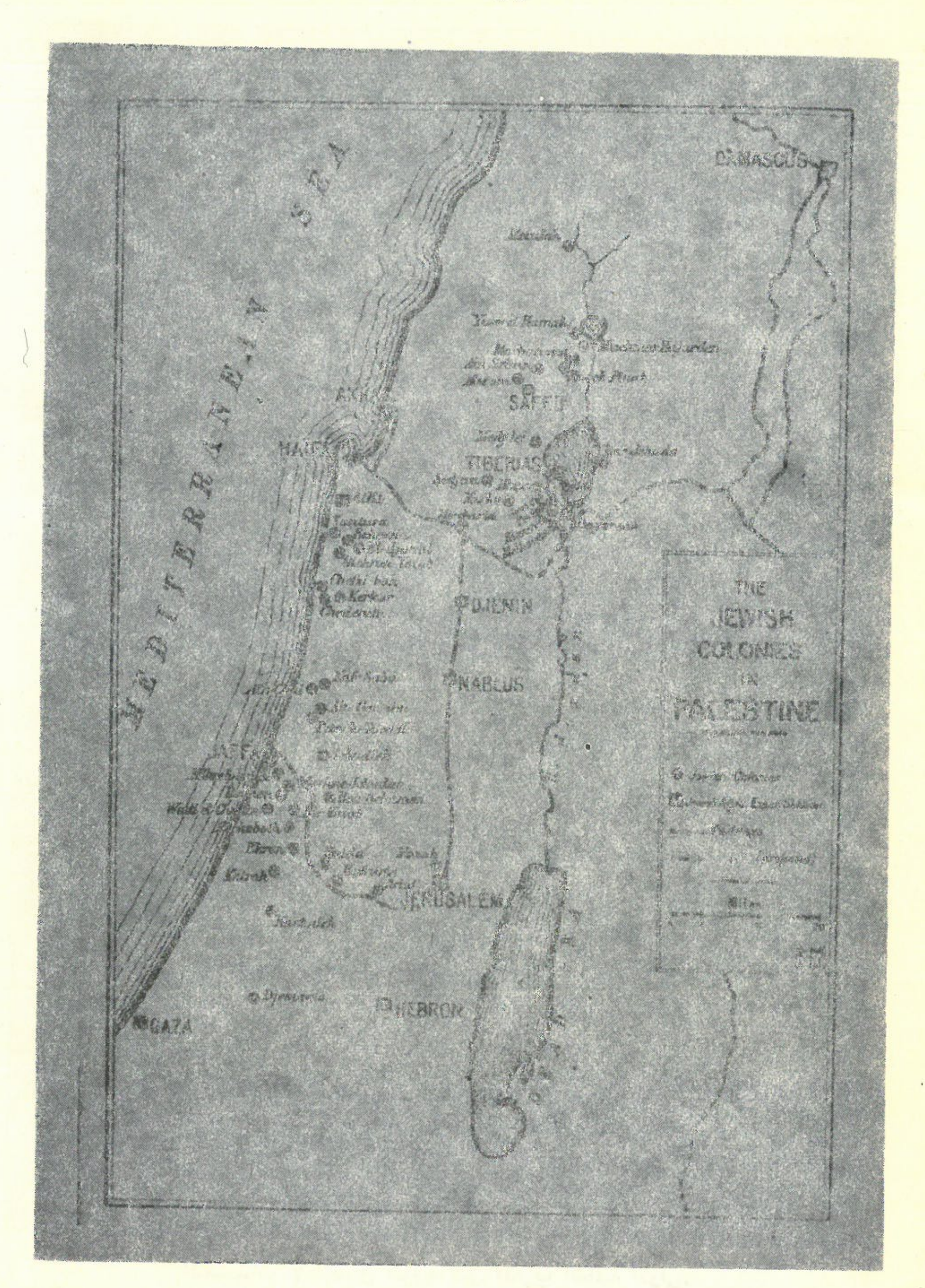


التقسيمات الادارية في سوريه قبل الحرب العالمية الاولى.

عن كتاب : Cohen, Aharon, **Israel and the Arabs World,** London 1970.

(من وثائق وزارة الحربية البريطانية) .

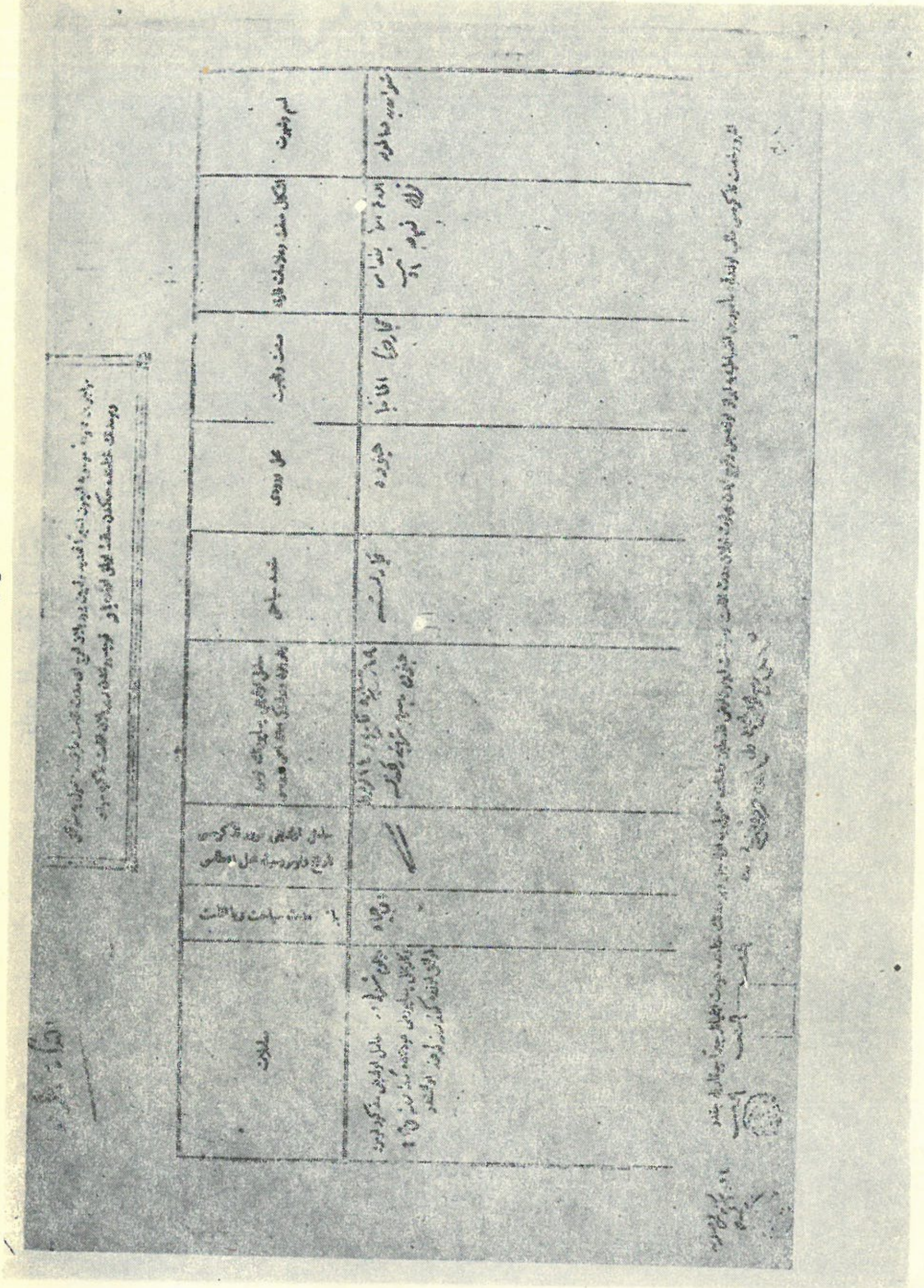
الوثيقة الثانية



المستوطنات اليهودية في فلسطين حتى عام ١٩١٤

عن كتاب : Sacher, H., **Zionism and the Jewish Future**, London 1916.

الوثيقة الثالثة



التذكرة الحمراء (او الجواز الاحمر) التي كان على اليهود الاجانب ان يستلموها لدى زيارتهم فلسطين بدل جواز سفرهم (حسب القوانين التركية التي صدرت عام ١٨٩٩) .

نقلا عن : **Mandel, N., Turks, Arabs and Jewish** Immigration into Palestine 1882-1914. (Unpublished Thesis) Middle East, St. Antony's College, Oxford 1965.

تابع الوثيقة الثالثة

هذه اقامة تذكرة التي اعطيت من قبل كوميسيون يافة « يافا » لمنع المهاجرين الموسويين « اليهود » اخيرا وتحديد وتعيين مدة اقامتهم ثلاثة اشهر والذي يعمل بها ويتمسك من قبلهم وبعد انقضاء هذه المدة اعتبارهم ساقطين من الحكم المعمول به .

الاسم والكنية	الاوصاف والاشكال والعلامات الفارقة	صنعة وتابعية	مصدر الورود	قصده السياحي	رقم حامل السفر وتاريخه واسم مكان اعطائه مع الفيزة	جواز مرور الحامل للجواز وتاريخ ورقم مكان الاعطاء	مدة الاقامة والسياحة شهر	معاملات
شوان بن سالمون	متوسط رفيع حنطي شعره يتخلله شيب عمره ٥١ عاما	من المانيا . تاجر	جنوه	تجارة	١٩ حزيران ٩١ و ١٤ جنوه مدينة بن وما جاورها		ثلاثة اشهر	ان حامل الجواز المبين اعلاه والمرقم والمؤرخ حين عودته سيسلم له بالذات وافهم ذلك علنا وبالذات

وعندما يطلب هذا الجواز من قبل ماموري الانضباط سيبرز ويعمل به مدة ثلاثة اشهر للاقامة والسياحة في داخل ارض فلسطين وفي ختام هذه المدة الذين لم يبرحوا فلسطين سيخرجون عنوة . في ١٨ ربيع الاول عام ٣١٩ وفي ٢٢ حزيران سنة ٩١٠

احمد حبيب

من قبل رئيس مالية الرفا

الوثيقة الرابعة

رسالة يقال ان السلطان عبد الحميد قد بعثها بعد خلعه من منفاه في سالونيك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق (وهو استاذ السلطان عبد الحميد في الطريقة الشاذلية) ويذكر فيها عبد الحميد انه لم يتخل عن الخلافة الا لان الاتحاديين قد الحوا عليه بان يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة (فلسطين) مع انهم قد وعدوه بتقديم ١٥٠ مليون ليرة انجليزية ذهبا .

(الاصل موجود لدى اسرة ابي الشامات في دمشق)

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .

[illegible]

تعريب الكتاب السابق للشيخ احمد القاسمي ، مدير عام الاوقاف سنة ١٩٥٧

يـا هـو
بسم الله الرحمن الرحيـم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آلـه وصحبه اجمعين الى يوم الدين .

ارفع عريضتي هذه الى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، الى مفيض الروح والحياة ، الى شيخ اهل عصره الشيخ محمود افندي ابي الشامات واقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة ـ

بعد تقديم احترامي ، اعرض اني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحاليـة وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدي ، اني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الاوراد الشاذلية ليلا ونهارا واعرض انني ما زلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة اعرض لرشادتكم ، والى امثالكم اصحاب السماحة والعقول السليمة المسالة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ .

انني لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما ، سوى انني ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعيـة الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم ـ اضطررت واجبرت على ترك الخلافة .

ان هؤلاء الاتحاديين قد اصروا واصروا علي بان اصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الارض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم اقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

واخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبـا ، فرفضت هـذا التكليف بصورة قطعية ايضا . واجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي : (انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا ـ فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا فلن اقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملـة الاسلامية والامة المحمدية ما يزيد علـى ثلاثين سنة فلم اسود صحائف المسلمين آبائي واجدادي والخلفـاء العثمانيين . لهذا لن اقبل بتكليفكم بوجه قطعي ايضا) .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وابلغوني انهم سيبعدونني الى سلانيك فقبلت بهذا التكليف الاخيـر .

هذا وحمدت المولى واحمده انني لم اقبل بان الطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامي بهذا العـار الابدي الناشيء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الاراضي المقدسة ـ فلسطين ـ .

وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فانني اكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد ان ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام ، وبه اختم رسالتي هذه . الثم يديكم المباركتين وارجو واسترحم ان تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي الى جميع الاخوان والاصدقاء .

يا استاذي المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه الاطالة ان تحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك علما .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

الوثيقة الخامسة

يافا في ٢٤ مارت ١٩١٢

عزتلو الفاضل الغيور رفيق بك العظم المحترم

بعد مزيد السلام والاكرام . نحن الآن على وشك تاليف لجنة ادارية فرعية في يافا وربما تم ذلك هذا الاسبوع . وقد كتبت الى صيدا ونابلس والسلط بشأن تاليف لجان هناك واني بانتظار ما يبدي به معتمدي هناك . واما في غزة فقد كتب الي انهم [illegible] لجنة فيها هذا الاسبوع على الاغلب . جريدة الجبروت العبرانية مستعدة لنشر كل ما يتعلق بالحزب وهي تصدر في القدس . وقد سافر صاحبها [illegible] الاسبوع الماضي الى القطر المصري وسيزور حضرة الاخ داود افندي بركات في ادارة الاهرام بعد اسبوع من الزمان وهو الآن في الاسكندرية . وقد كتب الى قلم التحرير [illegible] نشر افكار ومبادئ الحزب في جريدته .

جريدة الاخبار ستقبل كذلك بنشر مبادئ الحزب . وقد اعطيت صاحبها برنامج [illegible] لينشره منذ عدد اول امس . [illegible] التحفظ قبل ارسال المراسلات بالبريد الفرنسوي لانه ليس هناك ما يدعو الى ذلك . ونحن هنا نجاهر بمبادئ الحزب على مسمع من رجال الحكومة انفسهم . ولا يتجاوز [illegible] بشأن الحزب وقانونه حد الدسيسة والتهويل

ارجو ارسال عشرين نسخة من القانون باللغة الفرنسية حيث ان الخمس نسخ الاولى قد نفذت وانا باحتياج الى عشرة الآن على الاقل لتوزيعها على [illegible] الذين لا يعرفون العربية تماماً .

هذا ما لزم تعريفكم عنه الآن واني بانتظار اخباركم السارة . سلامي الى حضرات جميع الاخوان . وتفضلوا في الختام بقبول مزيد احترام المخلص

نسيم ملول

حاشية — في رسالتي للمقطم هذا الاسبوع ما يستحق الرد عليه من احد اعضاء الحزب [illegible] في عدد الاهرام [illegible] المقبل . واذا نشر الرد في جريدة غير المقطم ارجو ارسال العدد الي للاطلاع عليه .

من مراسلات نسيم ملول مع قيادات حزب اللامركزية وتبين انه قد اصبح من العاملين النشيطين في حزب اللامركزية ، مما استوجب ارسال اللجنة العليا للحزب كتاب شكر له .

(مجموعة اوراق محب الدين الخطيب)

تابع الوثيقة الخامسة

نقدم قبول طلبات نسيم افندي ملول وابن العم [illegible]

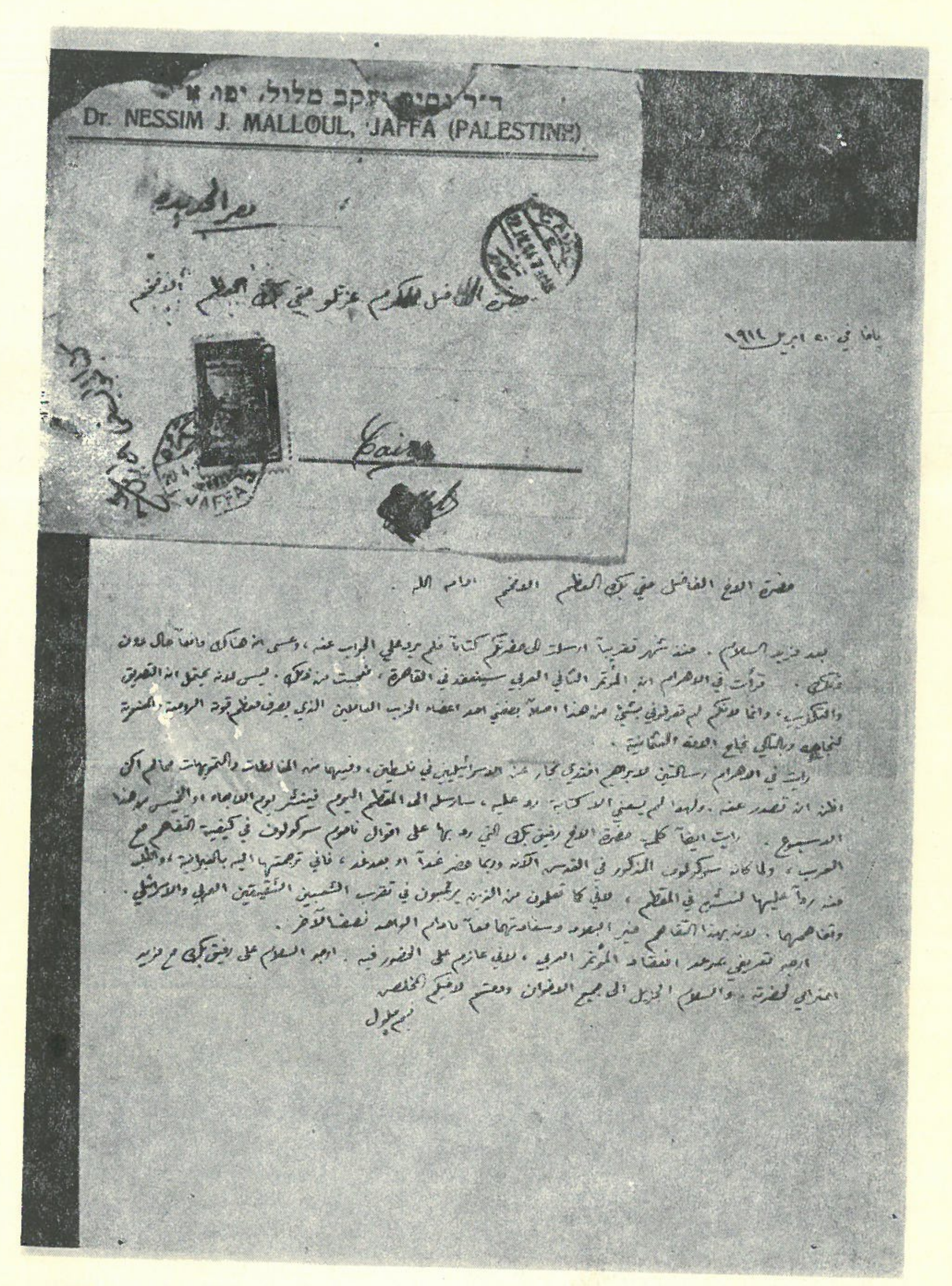
وطلب الارتباط المؤرخ ٢٦ مارت ١٩١٢ [illegible]

نقدم اليه كتاب [illegible] انه نشكره اللجنة العليا

على ما [illegible] وروحي للحزب

في فلسطين

الوثيقة السادسة



ד"ר נסים יעקב מלול, יפו

Dr. NESSIM J. MALLOUL, JAFFA (PALESTINE)

JAFFA

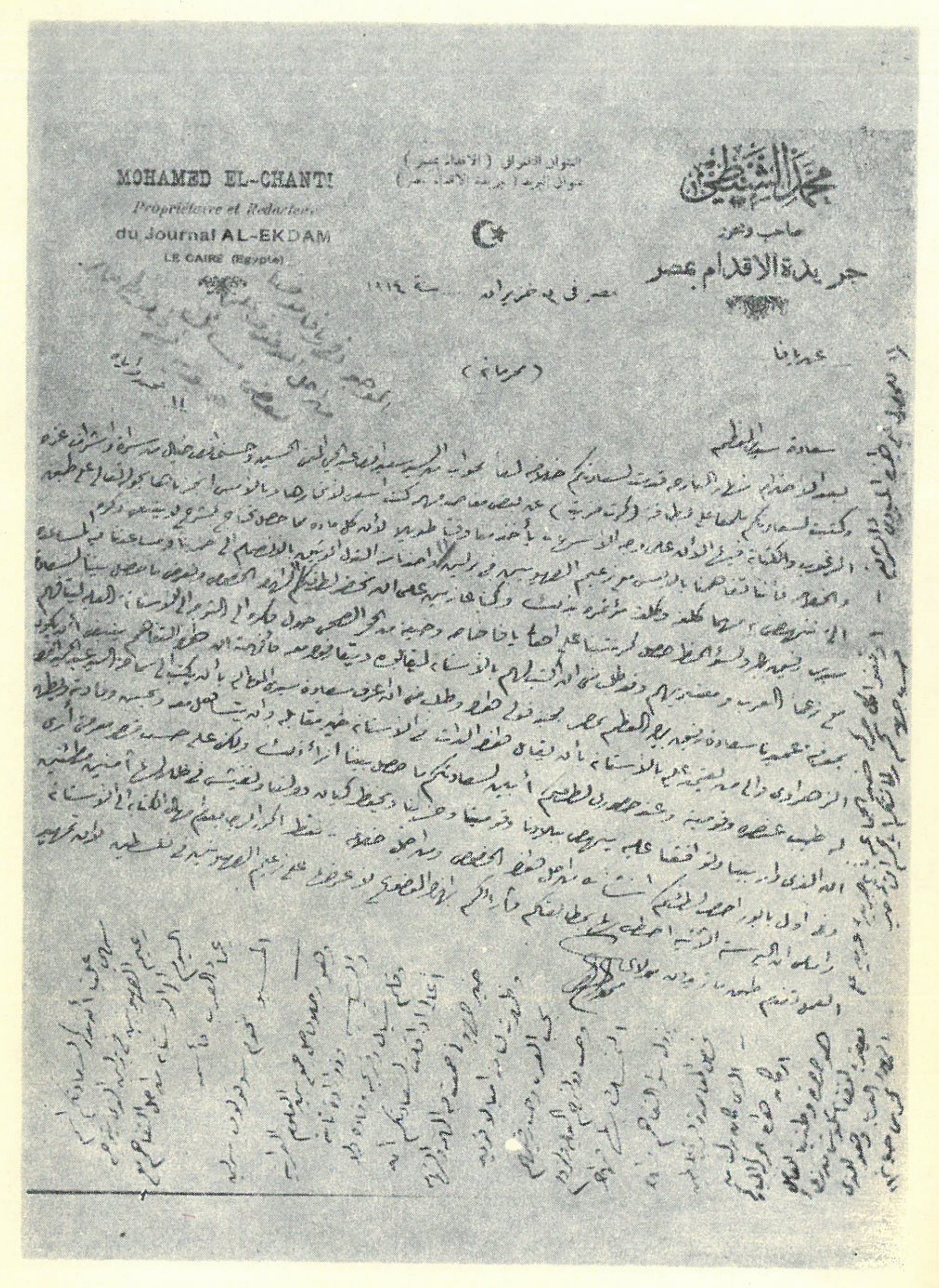
Caire

يافا في ٢٠ ابريل ١٩١٤

من مراسلات نسيم ملول مع قيادات حزب اللامركزية في القاهرة وتظهر سعيه لمحاولات التفاهم بين حزب اللامركزية والصهيونيين .

(مجموعة اوراق محب الدين الخطيب)

الوثيقة السابعة



محمد الشنطي

صاحب ومحرر

جريدة الاقدام بمصر

MOHAMED EL-CHANTI

Propriétaire et Rédacteur

du Journal AL-EKDAM

LE CAIRE (Egypte)

مصر في ... سنة ١٩١٤

من مباحثات محمد الشنطي (صاحب جريدة الاقدام) باسم اللامركزية مع سوكولوف لوضع اسس الاتفاق العربي الصهيوني .

(مجموعة اوراق محب الدين الخطيب)

الوثيقة الثامنة

من مساعي اسعد داغر (مراسل المقطم في الاستانة) باسم حزب اللامركزية لوضع شروط اتفاق عربي صهيوني .

(مجموعة اوراق محب الدين الخطيب)

تابع الوثيقة الثامنة

الوثيقة التاسعة

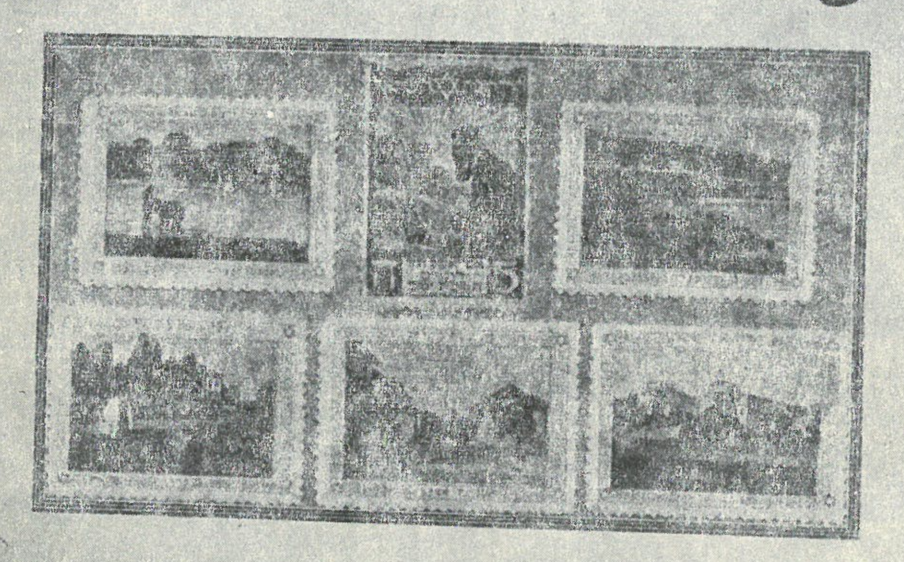


تابع الوثيقة التاسعة

رسالة من رفيق العظم الى محمود المحمصاني (بيروت) يوضح فيها بعض خفايا العلاقات الصهيونية العربية ، ويبرر الموقف الذي اتخذه حزب اللامركزية من هذه القضية .
(مجموعة اوراق محب الدين الخطيب)

الوثيقة العاشرة

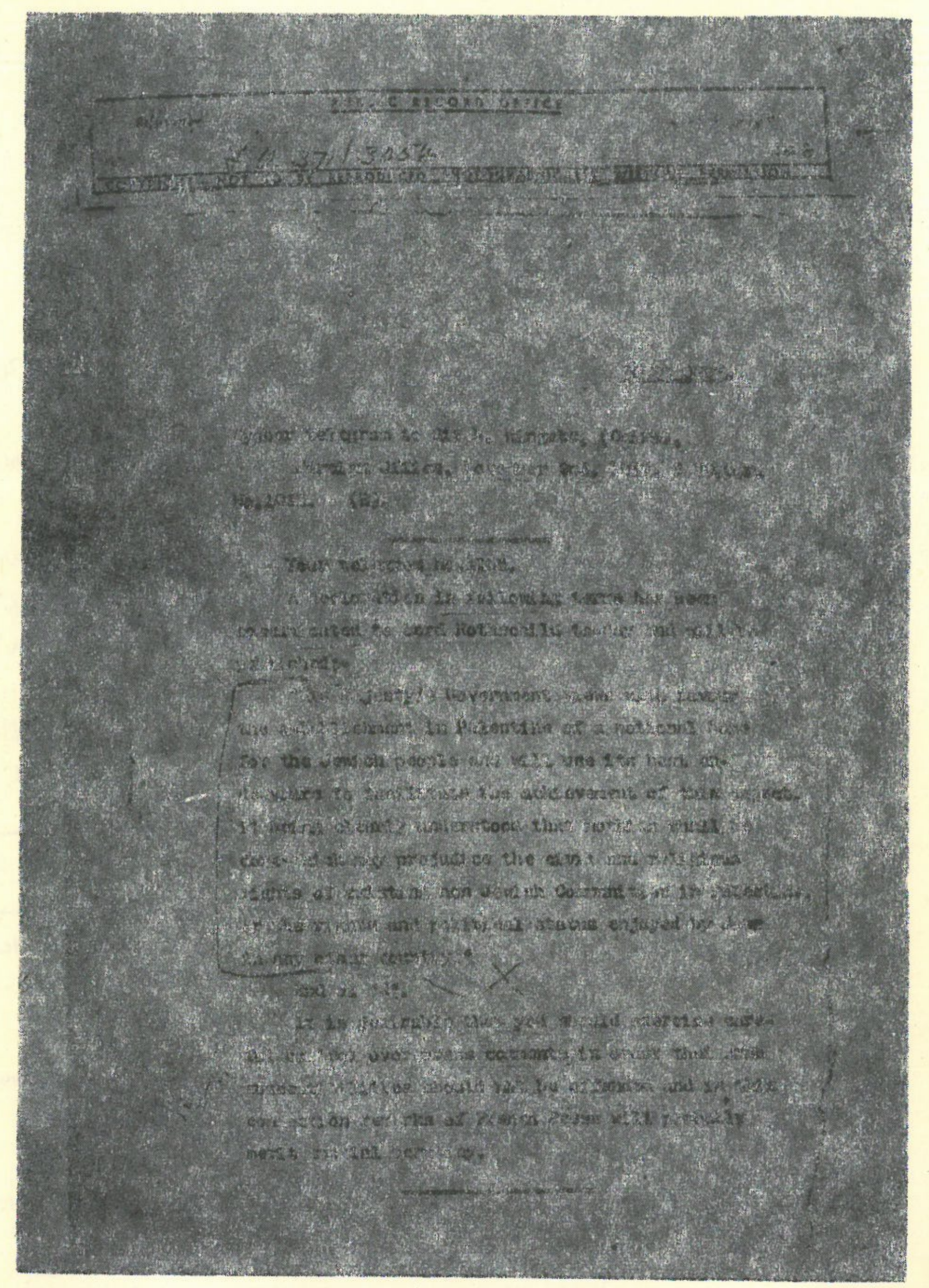
طوابع بريد الصهيونية في البلاد الفلسطينية



الاول لبريد (بيت دجن) وهي قرية من قرى قضاء يافا مكتوب اعلاه بالعبرانية (بيت اسرائيل) وأسفله بيت دجن
ي) ومرسوم في وسطه البارون هرتسل ينظر الى القدس ويقول لا أنساك يا أورشليم طول الايام . الطابع الثالث لـ
بحيرتها ومكتوب باعلاه (بيت اسرائيل) وباسفله بحيرة طبريا . الطابع الرابع لبريد (الخضيرة) وهي مستعمرة صهيونية
. (بيت اسرائيل) وباسفله الخضيرة . الخامس لبريد (تل ابيب) وهي المستعمرة الجديدة في يافا مكتوب باعلاه (بيت اسـ
[illegible]

مجموعة طوابع بريد صهيونية (بريد بيت دجن ، القدس ، طبريه ، الخضيرة ، تل ابيب ، وصفد)
وكلها مزينة بالرسوم ومكتوب عليها بيت اسرائيل .
(عن جريدة الاقدام ٢٧ تموز (يوليو) ١٩١٤)

الوثيقة الحادية عشرة



[illegible]
Your telegram No. [illegible]
[illegible]
for the Jewish people [illegible]
[illegible]

برقية من وزارة الخارجية البريطانية الى المندوب السامي البريطاني في مصر صباح يوم ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ تنقل له نص تصريح بلفور الى اللورد روتشيلد (ولم يكن قد نشر رسميا بعد) .
(من وثائق وزارة الخارجية البريطانية) F. O. 371/3054

مصادر البحث

١ ـ وثائق غير منشورة :

١ ـ مجموعة اوراق محب الدين الخطيب الشخصية المتعلقة بحزب اللامركزية في القاهرة ، ١٩١٣ ـ ١٩١٤ .

٢ ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في : Public Record Office في لندن ، وتقع في ثلاث مجموعات :

ا ـ المراسلات العامة بين وزارة الخارجية في لندن والسفارة البريطانية في استامبول (قبل الحرب العالمية الاولى) . او المراسلات بين وزارة الخارجية والسلطات البريطانية في مصر وفلسطين (في فترة الحرب) وهي مصنفة تحت رقم F.O. 371

ب ـ المراسلات بين السفارة البريطانية في الاستانة والقنصليات البريطانية الاخرى في الامبراطورية العثمانية . مصنفة تحت رقم F.O. 195

ج ـ اوراق المكتب العربي في القاهرة Arab Bureau Papers الذي اسس في القاهرة باشراف دائرة الاستخبارات العسكرية في شباط (فبراير) ١٩١٦ ، وبدأ يصدر منذ حزيران (يونيو) ١٩١٦ نشرة ملحقة سرية كانت تسمى اولا Arab Bureau Summaries ثم بعد العدد السادس اصبحت تسمى Arab Bulletin غرضها تغطية كل الاخبار المتعلقة بالمنطقة العربية . وهي مصنفة تحت رقم F.O. 882

٣ ـ منشورات المنظمة اليهودية المعروفة باسم : Jewish Territorial Organization وتعرف اختصارا I.T.O. Pamphlets (المتحف البريطاني) .

٤ ـ بعض تقارير المنظمة اليهودية المعروفة باسم : Jewish Colonization Association وتعرف اختصارا باسم I.C.A. (المتحف البريطاني) .

٥ ـ The Zionist Organization Pamphlets, London Bureau, 1918
a) Great Britain, Palestine and the Jews
b) A Jewish Palestine, by H. Sacher (المتحف البريطاني) .

٦ ـ Yale Papers,
Department of State,
Division of Near Eastern Affairs.
Middle East Centre, St. Antony's College, (Oxford).

وقد ترجم الدكتور محمود حسن صالح منسى ـ جامعة الازهر ـ تقارير ييل المتعلقة بفلسطين . ونشرتها دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠) .

٢ ـ وثائق منشورة :

١ ـ ملاحق بالفرنسية والالمانية لمقال :

Alsberg, P.A. The Arab question in the policy of the Zionist Executive before the first World War. Shivat Zion, Vol. 4. 1956 - 1957. pp. 161 - 209 (Hebrew)

٢ ـ ملحق بالانجليزية لمقال :

Heymann, M.,
The Zionist Movement and the Schemes for the Settlement of Mesopotamia after Hertzl. (Hebrew).
Tel Aviv University 1965, the Institute for Zionist Research.

٣ ـ Hyamson, A.,
The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews in Palestine 1838 - 1914. London, 2 Vols. 1939 & 1941.

٣ ـ المؤلفات العربية :

١ ـ ابو عسل ، ليفي ، **يقظة العالم اليهودي** ، القاهرة ١٩٣٤ .

٢ ـ برغوثي ، عمر وطوطح ، خليل ، **تاريخ فلسطين** ، القدس ١٩٢٣ .

٣ ـ التميمي ، محمد رفيق ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت القسم الجنوبي** ، بيروت ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ .

٤ ـ الحصري ، ساطع ، **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، بيروت ١٩٦٥ .

٥ ـ الخالدي ، محمد روحي ، **اسباب الانقلاب العثماني وتركيه الفتاة** ، القاهرة ١٩٠٩ م ، ١٣٢٦ هـ .

٦ ـ الخطيب ، محب الدين ، (جمع ونشر) **المؤتمر العربي الاول** ، القاهرة ١٩١٣ ، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية .

٧ ـ عزيز بك ، سوريه ولبنان في الحرب العالمية الاولى الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية ـ تعريب فؤاد الميداني . نشر بجريدة **الاحرار** (بيروت ١٩٣٣).

٨ ـ صلاح ، حنا ، **فلسطين وتجديد حياتها** ، نيويورك ١٩١٩ .

٩ ـ ملول ، نسيم ، أ ـ سوريه ومصر ، مجموعة مقالات نشرت في جريدة **النصير** (بيروت ١٩١٢) . ب ـ **اسرار اليهود** ، القسم الاول (نشر جمعية النهضة الاسرائيلية ، القاهرة ١٩١١) .

١٠ ـ نصار ، نجيب الخوري ، **الصهيونية ، تاريخها ، غرضها ، اهميتها** . ملخصا عن الانسيكلوبيديا اليهودية (مطبعة الكرمل ١٩١١) .

١١ ـ نقولا ، جبر ، **في العالم اليهودي** ، القدس ١٩٣٥ .

٤ ـ المؤلفات الاجنبية :

١ ـ Aaronsohn, Al., **With the Turks in Palestine.** London, 1917

٢ ـ Adler, S., «The Palestine Question in Wilson Era» **Jewish Social Studies,** Vol. X No. 4 1948.
Ahmad, F., **The Young Turks,** Oxford, 1971

٣ ـ Alsberg, P.A., «The Arab Question in the Policy of the Zionist Executive before the First World War» (Hebrew) **Shivat Zion,** Vol. 4 1956-57.

٤ ـ Antonius, G., **The Arab Awakening,** London 1938.

٥ ـ Azouri, N., **Le Réveil de Nation Arabe dans l'Asia Turque,** Paris 1905

٦ ـ Ben - Gurioun, D., a) **The Jews in Their Land,** London 1966
b) **Rebirth & Destiny of Isral,** London 1959.

٧ ـ Bentwich, N., a) **Palestine of the Jews, Past, Present & Future,** London 1919.
b) **England in Palestine,** London 1932

٨ ـ Bodenheimer, H., **Prelude to Israel,** the Memoirs of M.I. Bodenheimer. New-York 1963.

٩ ـ Böhm, A., **The Jewish National Fund,** The Hague, 1917.

١٠ ـ Burstein, M., **Self-Government of the Jews in Palestine since 1900,** Tel-Aviv 1934.

١١ ـ Cohen, A., **Israel and The Arab World,** London 1970.

١٢ ـ Cohen, I., (ed.) **Zionist Work in Palestine,** New-York 1912.

١٣ ـ Cunningham, A., «The Wrong Horse? — A Study of Anglo Turkish Relations before the First World War», St. Antony's Papers No. 17, **Middle Eastern Affair,** (ed., Hourani) No. 4. Oxford 1965.

١٤ ـ Dawn, E., «The Rise of Arabism in Syria», **Middle East Journal,** Vol. 16, 1962 No. 8.

١٥ ـ Dunning, H. W., **Today in Palestine,** London 1908

١٦ ـ Engle, A., **The Nili Spies,** London 1959.

١٧ ـ Emin, A., a) **The Development of Modern Turkey as measured by its press,** Colombia University 1914.
b) **Turkey in the World War,** New Haven, Yale University Press 1930.

١٨ ـ Esco Foundation for Palestine, **Palestine — A Study of Jewish, Arab and British Politics,** 2 Vols., New Haven, Yale University Press, 1947 and 1949.

Falastine, Jaffa, **The Balfour Declaration,** an analysis published 21 Oct. 1929. — ١٩

Golomb, E., **The History of Jewish Self-Defence in Palestine** 1878 - 1921. Tel-Aviv. — ٢٠

Graves, Ph., **Palestine, The Land of Three Faiths,** London 1923. — ٢١

Harran, T., **Turkish — Syrian Relations in the Ottoman Constitutional Period (1908 - 1914)** (Unpublished Thesis), S.O.A.S. University of London 1969. — ٢٢

Jabotinsky, V., **Turkey and the War,** London 1916. — ٢٣

Jeffries, J., **Palestine, The Reality,** London 1939. — ٢٤

Jewish Chronicle (Reprinted) — ٢٥

a) A National Home : For the Jewish People. The British Government's Recognition of the Zionist Movement, 1917.

b) A Commonwealth in Palestine. The Land of Israel for the People of Israel 1918.

Kedouric, E., — ٢٦

a) **England & the Middle East, The Destruction of the Ottoman Empire 1914 - 1921,** London 1956.

b) «Religion & Politics, the Diaries of Khalil Sakakini»: St. Antony's Papers, **Middle Eastern Affairs,** No. 1, Oxford No. 4. 1958.

Luntz, Y., «Diplomatic Contacts Between the Zionist Movement & the Arab National Movement at the Close of the First World War», (Hebrew) **Hamizrah Hehadash** (The New East) Jerusalem, Vol. XII. No. 3 1962. — ٢٧

Mandel, N., **Turks, Arabs and Jewish Immigration Into Palestine 1882-1914.** (Unpublished Thesis) Middle East Centre St. Antony's College Oxford 1965. — ٢٨

Manuel, F., **The Realities of American — Palestine Relations,** Washington 1949. — ٢٩

Mayer, N., **The Jews of Turkey,** London 1913. — ٣٠

McCullagh, S., **The Fall of Abdul Hamid,** London 1910. — ٣١

Oliphant, L., **The Land of Gilead,** Edinburgh, 1880. — ٣٢

Oliphant, M., **Memoir of the Life of L. Oliphant and his Wife,** London 1891 - 1892. — ٣٣

Patai, R., (ed.), **The Complete Diaries of Theodor Herzl,** Translated by H. Zohn, New-York & London 1960. — ٣٤

Patterson, J., **With the Zionsts in Gallipoli,** London 1916. — ٣٥

Perlmann, M., — ٣٦

a) «Chapters of Arab — Jewish Diplomacy, 1918 - 1922», **Jewish Social Studies.** Vol. XI. No. 2 April 1944.

b) «Paul Haupt and the Mesopotamian Project, 1892 - 1914». Publication of the **American Jewish Historical Society** Vol. XLVII No. 3 March 1958.

Porath, Y., **The Political Awakening of the Palestinian Arabs and Their Leadership Towards the End of the Ottoman Period.** Jerusalem (forthcoming publication). — ٣٧

Roi, Y., «The Zionist Attitude to the Arabs 1908 - 1914». **Middle Eastern Studies** Vol. 4. No. 3 April 1968. — ٣٨

Ruppin, A., — ٣٩

a) **The Agricultural Colonisation of the Zionist Organization in Palestine** (Translated from the German) London 1926.

b) **Three Decades of Palestine,** Tel-Aviv 1936.

Sacher, H., **Zionism and the Jewish Future,** London 1916. — ٤٠

Samuel, H., **Memoirs,** London, 1945. — ٤١

Schechtman, J., **Rebel and Statesman; The Vladimir Jabotinsky Story, The Early Years,** New-York 1958. — ٤٢

Schor, S., **Palestine for the Jew.** «Or the Awakening of the Jewish National» London 1907. — ٤٣

Sereni, E., & Ashery, R.E., (eds.) **Jews & Arabs in Palestine,** New-York 1936. — ٤٤

Sidebotham, H., **England and Palestine,** (Essays towards the restoration of the Jewish state), London 1918. — ٤٥

Simon, L., **Selected Essays by Ahad Ha'am,** (Translated from the Hebrew) Philadelphia, The Jewish Publication Society of America, 1912. Reprinted 1936, 1944, 1948. — ٤٦

Simon, L., & Stein, L., (eds.) **Awakening Palestine,** London 1923. — ٤٧

Simon, M., (ed.), **Speeches, Articles and Letters of Israel Zangwill,** London 1937. — ٤٨

Stein, L., **Balfour Declaration,** London 1961. — ٤٩

Storrs, R., **Orientations,** London 1937. — ٥٠

Waters, M., **Haganah, The Story of Jewish Self-Defence in Palestine,** London 1947. — ٥١

Weizmann, Ch., **Trial and Error, (autobiography)** London, 4th impression, 1950. — ٥٢

Weltmann, S.E., «Germany, Turkey & The Zionist Movement, 1914 - 1918», **The Review of Politics.** University of Notre Dame, Indiana. Vol. XXIII, April, 1961. — ٥٣

Wolf, L., **Notes on the Diplomatic History of the Jewish Question.** Jewish Historical Society of England, London 1919. — ٥٤

٥٥ ـ Yale, W., «An Ambassador Henry Morgenthau's Special Mission of 1917», **World Politics**, New Haven, Yale University, Vol. I. No. 3, April 1949.

٥٦ ـ Zangwill, I., «The Return to Palestine», **The New Liberal Review**, Dec. 1901, p. 625.

٥ ـ الصحف والدوريات العربية :

جريدة **ابابيل** (بيروت) ١٩١٢ ـ ١٩١٣ .

جريدة **الاتحاد العثماني** ١٩١٢ ـ ١٩١٣ (سميت فترة الائتلاف العثماني) .

جريدة **جراب الكردي** (حيفا) ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ .

جريدة **الحارس** (بيروت) ١٩١٢ ـ ١٩١٣ .

جريدة **الاصلاح** (بيروت) ١٩١٤ .

جريدة **الاقبال** (بيروت) ١٩١١ .

جريدة **الاقدام** (القاهرة) ١٩١٤ .

جريدة **البرق** (بيروت) ١٩١٢ .

جريدة **الرأي العام** (بيروت) ١٩١٤ .

جريدة **فتى العرب** (بيروت) ١٩١٤ .

جريدة **فلسطين** (يافا) ١٩١٢ ـ ١٩١٤ .

جريدة **فلسطين** The Palestine News (النسخة العربية التي اصدرها الجيش البريطاني بعد احتلال فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩١٨ .

جريدة **القبس** (دمشق) ١٩١٤ .

مجلة **المشرق** (بيروت) ١٩٢٠ ـ ١٩٢٨ .

جريدة **المستقبل** (باريس) ١٩١٦ ـ ١٩١٩ .

جريدة **الكرمل** (حيفا) ١٩١٢ ـ ١٩١٤ .

جريدة **الكوكب** (القاهرة) ١٩١٦ ـ ١٩١٨ .

جريدة **لسان العرب** (الاستانة) المنتدى الادبي ١٩١٣ .

جريدة **مرآة الغرب** (نيويورك) ١٩١٢ ـ ١٩١٦ .

جريدة **المفيد** (بيروت) ١٩١١ ـ ١٩١٢ .

جريدة **المقتبس** (دمشق) ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ .

مجلة **المقتبس** (تنقلت بين دمشق والقاهرة) ١٩٠٨ ـ ١٩١٦ .

جريدة **المقتطف** (القاهرة) اعداد متفرقة .

مجلة **المنار** (القاهرة) (جميع الاعداد للفترة موضوع البحث) .

جريدة **المنادى** (القدس) ١٩١٢ .

مجلة **المنهل** (القدس) ١٩١٣ ـ ١٩١٤ .

جريدة **المؤيد** (القاهرة) ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ .

مجلة **النفائس العصرية** (القدس) ١٩١٢ .

جريدة **النفير العثماني** (القدس ثم حيفا) ١٩١٠ ـ ١٩١٤ .

جريدة **النصير** (بيروت) ١٩١٢ .

٦ ـ الصحف والدوريات الاجنبية :

Le Jeune Turc, Constantinopole, 1911.

Jewish Chronicle, London 1908 - 1914.

The Jewish Review, London 1910 - 1914.

The Jewish Quarterly Review, Philadelphia, 1910 - 1916.

The Near East, London 1908 - 1910.

Palestine, The Organ of the British Palestine Committee London 1917 - 1918.

Palestine Exploration Fund (Quarterly Statement) London 1908 - 1918.

The Truth, Jerusalem, 1910 - 1914, Alexandria 1915.

طبع على مطابع فغالي
بيروت ـ تلفون ٢٢٤٠٤٠